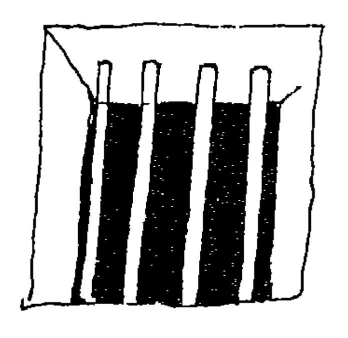
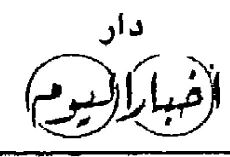
مصطفى أمين

سنة أولى سجن



دار



إدارة الكتب والمكتبات

غلاف الفنان .... مصطفى حسين

الرسوم الداخلية .... محمد عفت

الماكيت .... خالد عبد الرازق

عصــر العبــور

اليوم نعبر أول خطوة من خطوات الحرية - بعد ان عشت فى ظلام السجن حوالى تسع سنوات .

ولا أستطيع وأنا اخطو إلى الهواء الطلق خطوتي الأولى - إلا ان أذكر الرجل الذى فتح لى باب الحرية وفتح قبل ذلك ابواب الحرية أمام مئات المعتقلين - وأعاد العدالة لمئات القضاة - ووفر لقمة العيش لآلاف من الذين وضعوا تحت الحراسة او حرموا من وظائفهم .

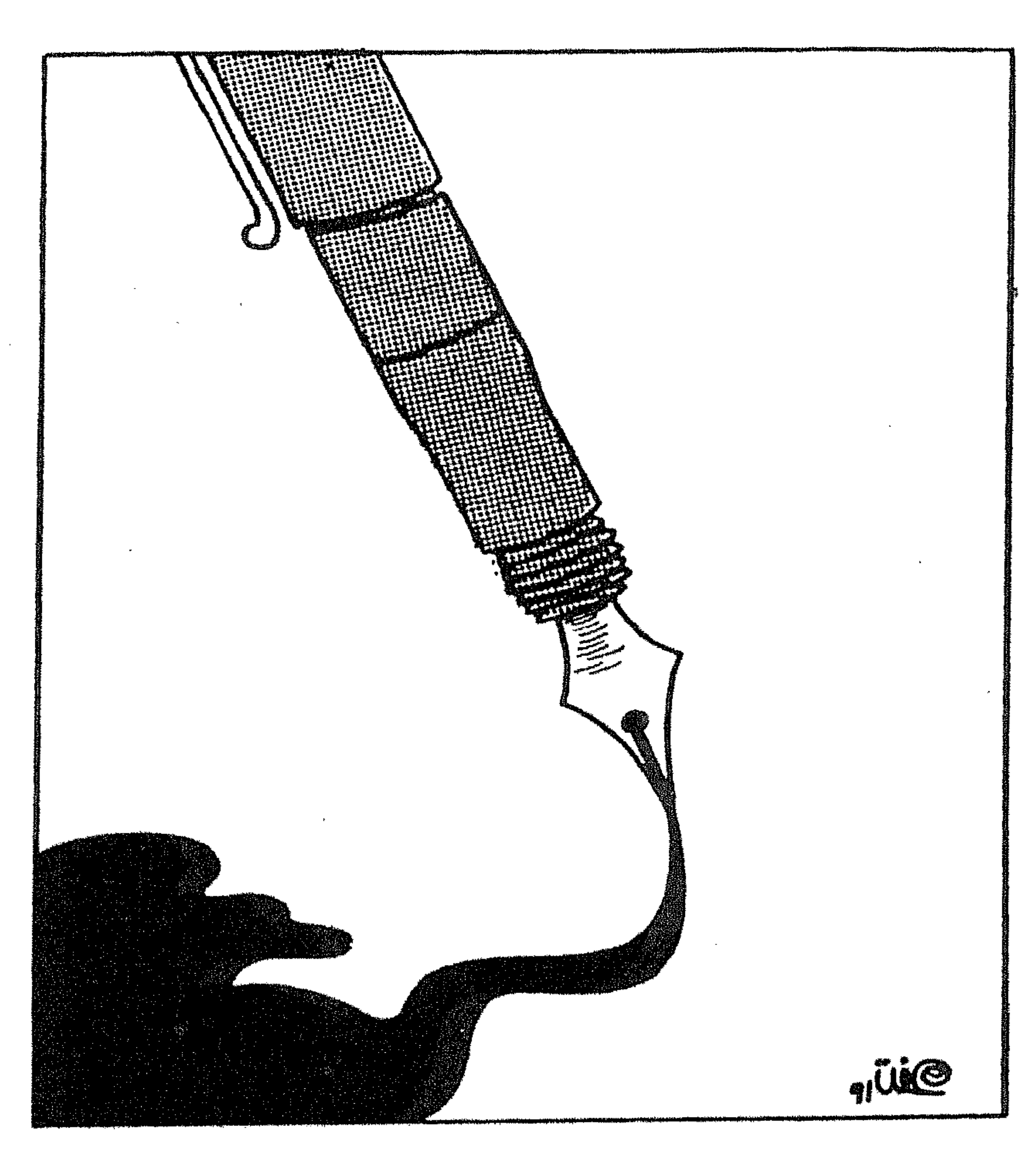
من حق هذا الرجل ان يطلق على عصره « عصر العبور » . عبور الجيش المصرى من الهزيمة إلى النصر .. وعبور الشعب العربى من الانقسام إلى الوحدة .. وعبور سمعة العرب من الهوان إلى الكرامة .. وعبور المظلومين من الظلم إلى العدل .. وعبور الخائفين من القلق والرعب إلى الطمأنينة والأمان والاستقرار ..

وعبور المقيدين فى الأغلال إلى حياة الأحرار .. وسوف يعبر بعد هؤلاء كثيرون ..

ان ستة أكتوبر أعطانا درسا عظيما - وهو ماذا يستطيع الانسان المصرى أن يفعل وهو حر - وبغير أن يعتقل فرد واحد اثناء المعركة سوى .. أسرى الأعداء ..

مصطفى أمين

الحيـــاة .. بلا قلـم !



القلم ممنوع ! الورق ممنوع ! الحبر ممنوع !

وتنقلت بين عدة سجون . سجن القبة ، ثم السجن الحربى فى صحراء مدينة نصر ، ثم سجن القبة مرة ثانية ثم سجن الاستئناف فى ميدان احمد ماهر بباق الخلق ، ثم سجن القناطر الخيرية ، ثم سجن الاستئناف مرة اخرى ثم سجن ليمان طرة . ثم معتقل القصر العينى . وفى كل هذه السجون والمعتقلات كان يقال لى أن القلم ممنوع والورق ممنوع والحبر ممنوع !

وبلغ الأمر بالعقيد صلاح مكاوى مامور ليمان طرة ان منع دخول ورق التواليت خشية أن اكتب عليه !

وفى بعض هذه السجون كانت الكتابة ممنوعة على الاطلاق . وفى سجن ليمان طرة مثلا كانت الأوامر والتعليمات التى أصدرها وزير الداخلية بشأن معاملتى الا يوضع ورق أو حبر أو قلم فى زنزانتى ، وأن أضعها فى مكتب ضابط العنبر ، وأن أكتب الى أسرتى مرتين فى كل شهر ، والا يزيد كل خطاب عن نصف ورقة كراس ، وأن اكتب الخطاب فى مكتب الضابط وفى وجوده !

● ● ●

وكنت مسجونا نموذجيا ، اطيع الأوامر والتعليمات ، مهما كانت سخيفة وجائرة وكل تعليمات السجن سخيفة وجائرة . ولكن تعليمات وحيدة قررت ان اثور عليها ، واخالفها وهى الخاصة بعدم الكتابة . وذلك أن الكتابة بالنسبة للكاتب اشبه بالتنفس ، وكان معنى هذه التعليمات الجائرة أن اتنفس مرتين كل شهر !

وبدات بمعاونة عدد من زملائى المسجونين عملية تهريب الورق والقلم ، ثم عملية تهريب الرسائل إلى اخى على امين فى لندن وصديقى سعيد فريحة فى بيروت ، وعدد من الصديقات والأصدقاء خارج السجن .

وكانت عملية خطرة وشاقة ومستحيلة ، وكان الذين يقومون بها يعرضون حياتهم للخطر ومستقبلهم للضياع .. وكنت اعتمد على المسجونين المظلومين .. فالمظلوم يتحول الى شهيد ، والشهيد يجود باخر قطرة من دمه فى سبيل هدف يؤمن به ..

وكان الهدف الذى نسعى إليه هو مقاومة الظلم ، وخروج الحقيقة المسجونة إلى خارج الأسوار !

وحدث أن ضبط عسكرى يهرب خطابا إلى مسجون سياسى فى سجن ابوزعبل ، فقبض عليه ، وفصل من الخدمة ، وحكم عليه بالسجن مع الشغل .. كل ذلك من اجل خطاب واحد !

ولكن الرجال الشجعان الذين قاموا بهذه المهام الخطرة من اجلى ومن أجل عدد من المسجونين السياسيين لم يخافوا قط ..

وكان بينهم مصريون وسوريون ولبنانيون وفلسطينيون ..

وذات يوم ضبط حارس فى ليمان طرة احد المسجونين السوريين وإسمه محمد نادر جلال . وكان نادر يخفى فى ملابسه خطابا منى مطلوبا تهريبه .. وحاول الحارس تفتيش المسجون السورى ، وخاف المسجون ان يقع خطابى فى يد ادارة السجن ، فاسرع واكل الخطاب ! وبذلك لم يعرف الضباط ولا الحراس ان الخطاب منى !

ووضعوه فى التاديب أربعة شهور ، والتاديب هو اشبه « بالجب » لا يدخله الهواء ، ولا تدخله الشمس ، ويحرم فيه المسجون من كل ضرورات الحياة ..

وضربوا نادر وعذبوه وهددوه ، ومع ذلك لم يفتح فمه ، ولم يعترف بالسر الرهيب ..

واستطعت خلال تسع سنوات ، أن أهرب إلى خارج السجن تسعة آلاف رسالة .

واستطاعت هذه الرسائل كلها ان تخترق الحصار المضروب ، وان تقتحم كل القيود المفروضة .

ولم تضبط منها رسالة واحدة !

وبعد أن خرجت من السجن حاولت أن أستعيد كل هذه الرسائل ، ووجدت أن بعض أصدقائي فزعوا من الرسائل وأحرقوها خشية أن تضبط في بيوتهم .. ولا ألومهم على ذلك فقد كان الفراعنة الصغار يعتبرون الرسالة من سجين سياسي أخطر من قنبلة !

ولكن الأغلبية الكبرى من الرسائل بقيت سليمة والحمدلله ..

واليوم أنشر بعض الرسائل التي كتبتها من السجن في السنة الأولى ! ..

سنة أولى .. سجن !

مصطفى أمين

كل النساء أقوى من بعض الرجال !

سجن القبة ..
يوليو سنة ١٩٦٥
عزيزتى ...

عندما جاءوا للقبض على فى منزلى بالاسكندرية ، ورأيت الحراس يملأون حديقة المنزل ، تصورت أن الرئيس جمال عبدالناصر قد حضر لزيارتى !

ثم تصورت بعد ذلك أنه حدث انقلاب ، وأن رجال الانقلاب الجدد جاءوا يقبضون على ، لأننى واحد من المتصلين بالرئيس جمال عبدالناصر !

وعندما تبينت الحقيقة تصورت أن عملية القبض تمت بغير علم الرئيس عبدالناصر ! وقد سبق أن قبض على مرة فى أول الثورة ، ومرة أخرى بعد بضعة شهور منها ، بدون علم الرئيس عبدالناصر ، وعندما علم فى المرتين بأمر القبض على وعلى أخى على أمين ، أمر بإطلاق سراحنا ! ولكن عندما رأيت أن القوة التى جاءت تقبض على ، صحبت معها مصورا لالتقاط صورى ، تأكدت أن المسرحية مدبرة !

ووضعوا القيد الحديدى فى يدى ، وأركبونى سيارة خلفها وأمامها عدة سيارات ، فيها حراس من جهاز الأمن يحملون المسدسات والمدافع الرشاشة ومشى الموكب فى الطريق الزراعى فى طريقه إلى القاهرة .

وفى هذه الأثناء كنت أتجه بكل تفكيرى إلى على أمين ، أوجه إليه رسالة غير مكتوبة ، أحاول أن أنقلها بروحى إلى روحه .. كنت أقول له طوال الطريق « أحذر أن تعود إلى القاهرة ! ابق فى لندن ، وجودك فى لندن سوف يفيدنى . مادمت مطلق السراح فلن يستطيعوا قتلى ، أما إذا عدت فسوف يقبضون عليك . سوف يهددونك بى ، وسوف يهددوننى بك ! لا تصدقهم إذا قالوا لك أننى أريد أن تحضر ! لا تصدقنى إذا وجدت خطابا منى أطلب منك فيه الحضور . سأكتب مثل هذا الخطاب وأنا مرغم على كتابته ! لا تحضر ! لا تحضر ! لا تحضر ! » .

وبعد ساعة خيل الى أن الرسالة غير المكتوبة وصلت إلى على أمين فى لندن ، وأنه سمع صوتى ، وأنه لن يحضر إلى القاهرة ، مهما استدعوه أو ألحوا عليه ..

ثم وجدتنى بعد ذلك أستغرق فى تفكير غريب ! انهم ماداموا قد قبضوا على ، فسوف يقبضون بعد ذلك على عبدالحكيم عامر ! لا أعرف متى سيقبضون عليه ! ولا ما هى التهمة التى سيوجهونها إليه ولكن شعورا داخليا يؤكد لى أنه الضحية التالية !

وعندما وصلنا إلى مشارف القاهرة ، وضعوا عصابة سوداء فوق عينى ، ثم سحبونى إلى داخل بناء المخابرات العامة ، وأدخلونى إلى غرفة كان يجلس فيها صلاح نصر مدير المخابرات ، ورفعوا العصابة عن عينى ، وصافحنى ، وقال لى أن الرئيس هو الذى أصدر الأمر بالقبض على ..

وقد عرفت أنهم قبضوا على سائقى الأسطى ابراهيم والسفرجى توفيق وصادق الذى يشرف على المنزل وأنور . وضربوهم وعذبوهم ، وطلبوا منهم أن يدلوا باعترافات على أشياء لم تحدث ومكثوا فى سجن المخابرات مدة طويلة !

وضحكت عندما علمت أن المخابرات العامة قدمت بلاغا للنائب العام بعد القبض على قالت فيه اننى أؤلف عصابة من ابراهيم صالح ومصطفى سنان ومحمود عوض المحررين فى أخبار اليوم ، وأن مهمة هذه العصابة خدمة أمريكا ، وتقديم اسرار البلد لها !

وعرفت من بعض أفراد فرق الأمن فى المخابرات انهم فتشوا بيتى فى الزمالك وذهلوا عندما وجدوا جوازى سفر دبلوماسيين صرفهما لى وزير خارجية مصر ، ومكتوبا عليهما اننى مكلف بمهمات رسمية لدى حكومة الولايات المتحدة ! وقال الحارس انه ذهل من أن وزير خارجية مصر يكلفنى بمهمات رسمية ، ويصرف لى جوازين دبلوماسيين ، والصحف والاذاعات تقول أن حكومة مصر لم تكلفه بأية مهمة !

وقال لى أحد افراد فرق الامن أنه كان مع القوة التى ذهبت إلى مكتبى فى اخبار اليوم وانهم اكتشفوا وجود خزانة سرية حديدية ، وانهم تصوروا انهم عثروا على كنز ! .. وجاءوا بخبراء فى فتح الخزائن ، وفتحوا الخزانة ولم يجدوا فيها اى شىء !!

وعلى الرغم من تكتمهم التحقيق إلا أن خبرتى الصحفية ، ساعدتنى كثيرا على أن أعرف ما حاولوا كتمانه من اسرار التحقيق ! وكنت الاحظ من

عصبيتهم معى ، ومن ضيقهم بى ، ومن المعاملة القاسية ، ومن التعذيب المستمر أنهم لم يستطيعوا أن ينجحوا فى عملية التلفيق كما يريدون ! وأن الشهادات التى أدلى بها المقبوض عليهم الذين هددوهم وعذبوهم كانت معى وليست ضدى !

وقد استدعوا سكرتيرتى زينب النحاس ، وهددوها وتوعدوها ، وأبقوها ساعات طويلة ، وحاولوا أن يرغموها على أن تدعى على بأشياء لم تحدث ، ولكنها صمدت لكل هذه المحاولات ، وأبت أن تكذب !

وعندما هددوها بأن يأخذوها الى غرف التعذيب سخرت من هذا التهديد !

واستدعوا عددا من محررات أخبار اليوم ، وانهالوا عليهن بالتهديد ، ثم طلبوا منهن أن يتعاون معهم ، وأن تدعى كل واحدة اننى كلفتها بمهام سرية .. وقالت المحررات بشجاعة .. نحن لا يمكن أن نتهم بريئا . وقالوا لهن أن موقفهن هذا سوف يكلفهن وظائفهن فى أخبار اليوم ، بل هددوهن بالدخول فى السجن .. وقالت كل واحدة منهن أنها تفضل دخول السجن على أن تتهم أستاذها كذبا ..

واستدعوا شادية من الاسكندرية ، وأثار حضورها ضجة فى بناء المخابرات !

وفوجئوا عندما قالت لهم شادية أنها لم تر وجهى منذ اكثر من عام !

والحوا على شادية بالأسئلة ، ولكنها رفضت أن تقول اى كلمة ضدى .. وقالت لهم : أنا لن أقول إلا الحقيقة !

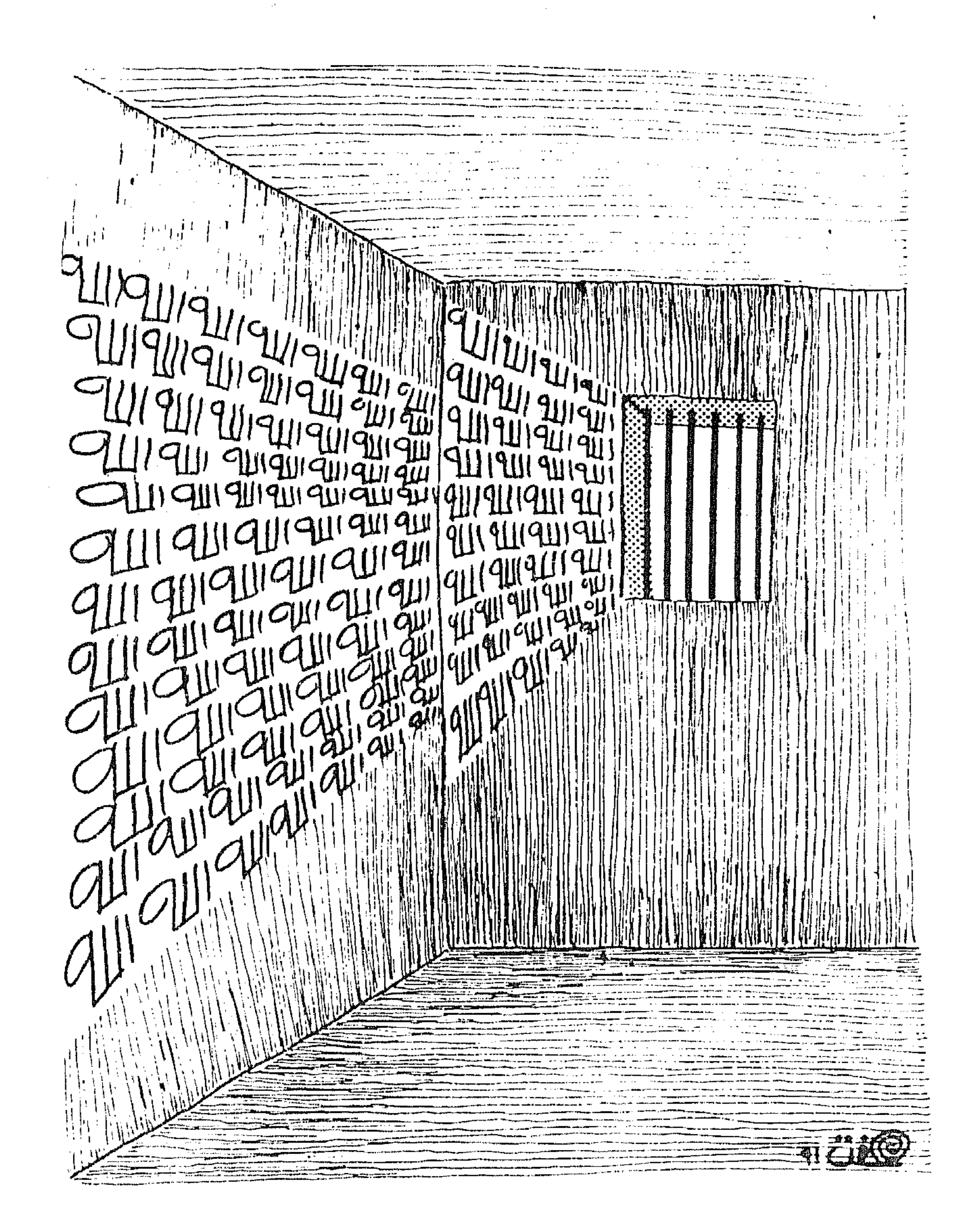
وجاءوا الى وهم يشتمون شادية لأنها رفضت أن تتعاون مع التحقيق !

وأشاعوا عنها كذبا أنها هى التى أبلغت ضدى ، حتى يحطموا سمعتها لأنها رفضت أن تشترك فى حملة الاختلاق والتزييف .

وكان صمود النساء يزعجهم ، ويثير أعصابهم ، فقد كانوا يتوهمون أن جو الارهاب الذى يحيطون به كل سيدة يسألونها ، سوف يجعل السيدة تنهار وتوافق على ان تشهد بالتلفيقات التى يريدون منها أن تقولها !

كل النساء كن أقوى من بعض الرجال ! ..

● ● ●



يكبرون لله ويذبحون البشر

سجن القبه ..
يوليو سنة ١٩٦٥
عزيزتي ...

كان من بين وسائل التعذيب التى لجاوا إليها أن صدر قرار بمنعي من الأكل والشرب ! والحرمان من الأكل مؤلم ، ولكنه محتمل الجسم يتحمل الجوع . ولكن العطش عذاب لا يحتمل . وخاصة أننا فى أواخر شهر يوليو . الحرارة شديدة قاسية . وأنا مريض بالسكر ، ومرضى السكر يشربون الماء بكثرة ..

وفى اليوم الأول تحايلت على الأمر . دخلت إلى دورة المياه فوجدت فيها إناء للاستنجاء . وشربت من مياه الاستنجاء ..

وفى اليوم التالى فوجئت بأنهم عرفوا اننى شربت ماء الاستنجاء ، فوجدت الاناء خاليا ، ووجدت معه ورق تواليت . واضطررت أن أشرب من ماء البول ! حتى ارتويت !

وفى اليوم الثالث لم أجد بولا لأشربه !

الجوع لمدة ثلاثة أيام أمر محتمل ، أما العطش فهو عذاب مثل ضرب السياط . كنت أسير فى زنزانتى كالمجنون . الحر فى شهر يوليو مؤلم . لسانى جف ـ حلقى جف . أحيانا أمد لسانى وألحس الأرض ، لعل الحارس نسى نقطة ماء وهو يغسل البلاط .

وبينما أنا أدور حول نفسى وأنا اترنح ، ورأيت باب الزنزانة يفتح فى هدوء . ورأيت يدا تمتد فى ظلام الزنزانة تحمل كوب ماء مثلج .

فزعت . تصورت اننى جننت . بدأت أرى شبحا . لا يمكن أن يكون هذا ماء ، انه سراب .. تماما كالسراب الذى يرونه فى صحراء .. تذكرت

ما قاله لى أحمد حسنين باشا الذى اكتشف واحة الفرافرة فى صحراء ليبيا . كان اذا اشتد بهم العطش رأوا أمامهم الماء ، وأسرعوا إليه ، وارتموا على المكان فوجدوه رملا ! هذا هو السراب . ولكنه ليس فى الصحراء وإنما هو فى سجن المخابرات .

وما لبثت أن وجدت أن الكوب حقيقى . ومددت يدى ولمست الكوب . فوجدته مثلجا فعلا . وقبضت على الكوب بأصابعى المرتعشة . ورأيت حامل الكوب يضع اصبعه على فمه وكأنه يقول لى لا تتكلم ..

وشربت الماء .. ألذ ماء شربته فى حياتى ! لا أعرف طعم الشمبانيا ، ولكن الماء المثلج أسكرنى .. لو كان معى مليون جنيه فى تلك اللحظة لأعطيتها للحارس المجهول ..

عادت الروح مع هذا الكوب ! عاد الدم يجرى فى عروقى . عاد عقلى إلى رأسى .. هذا الماء غسلنى من الداخل . أعاد البصر إلى عينى ! أحسست بقوة غريبة ! أغنانى الماء عن الطعام .. بل أغنانى عن الحرية . أحسست بسعادة لم أعرفها طول حياتى . كل ذلك من أجل كوب ماء مثلج !

ثم اختفى الحارس المجهول بسرعة كما ظهر بسرعة ، وأغلق باب الزنزانة بهدوء !

ورأيت ملامح الحارس المجهول . شاب أسمر قصير القامة . ولكنى احسست أنه ملك الجمال . أنه أحد الملائكة ! شعرت فى بعض اللحظات أن اليد التى حملت كوب الماء البارد ليست يد بشر ، انها عناية الله ! أحسست براحة غريبة : أننى رأيت عناية الله فى الزنزانة ! لعل هذا هو السبب الذى جعل أحد الزبانية يقول أن الله مسجون فى الزنزانة المجاورة لى ! لا .. ان الله - موجود فى كل مكان - فى زنزانتى أنا !

ومضت أيام التعذيب دون أن أرى الحارس المجهول .. ثم نقلت من غرفة التعذيب فى الدور السفلى ، إلى غرفة ملحق بها صالون ! نعم صالون فى سجن المخابرات !

وكانوا يغيرون الحراس كل يوم .. وذات يوم رأيت أمامى الحارس المجهول .. وكنا على انفراد وقلت له هامسا : لماذا فعلت ما فعلت ؟ لو ضبطوك كانوا سيفصلونك !

قال باسما : يفصلوننى فقط .. ؟ كانوا سيقتلوننى رميا بالرصاص !

قلت : ما الذى جعلك تقوم بهذه المغامرة !

قال : اننى أعرفك وأنت لا تعرفنى .. منذ تسع سنوات تقريبا أرسل فلاح فى الجيزة خطابا لك ، يقول فيه أنه فلاح فى أحد القرى ، وأن أمنية

حياته أن يشترى بقرة وانه مكث سبع سنوات يقتصد فى قوته وقوت عياله ، حتى جمع مبلغا ، ثم باع مصاغ زوجته ، واشترى بالمبلغ بقرة

وكان أكثر أهل القرية تقى وورعا وصلاة وصياما . وبعد ستة أشهر فقط ماتت البقرة !

مع ان جميع البقر ، الذى يملكه الفلاحون فى القرية الذين لا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون الله ، بقى على قيد الحياة !

وفى ليلة القدر ، بعد ذلك بشهور ، دق باب البيت الصغير الذى يملكه الفلاح ، ودخلت محررة من « أخبار اليوم » تجر وراءها بقرة !

وكانت أخبار اليوم قد اعتادت أن تحقق أحلام مئات من قرائها فى « ليلة القدر » من كل عام .

وسكت الحارس المجهول لحظة ثم قال

— هذا الفلاح الذى أرسلتم له البقرة منذ تسع سنوات هو أبى !! ألم أقل لك أن عناية الله كانت معى فى الزنزانة !! ..

● ● ●

ملك التعذيب

السجن الحربى :

عزيزتى .....

دخل الفريق حمزة البسيونى قائد السجن الحربى إلى الزنزانة التى كانوا يعذبوننى فيها فى سجن المخابرات ..

ووقف يتفحصنى ، وهو يرانى عاريا تماما ، وأنا مصلوب على جدار الزنزانة والضربات والصفعات تنهال على ، وثلاثة من الضباط ينتزعون شعر جسدى ..

ثم قال الفريق :

— لا .. لا .. لا ! أنتم تدلعونه هنا ! هاتوه لى فى السجن الحربى ليرى التعذيب الحقيقى !

وأسرعوا يفكون قيودى ، وينزلوننى من الصلب ، ويساعدوننى على ارتداء ملابسى ! كانوا مبتهجين وهم يفعلون هذا ، وكأنهم يعدون عروسا لليلة الزفاف !

ووضعوا عصابة سوداء على عينى ، وساقونى خلف الفريق حمزة البسيونى الى سيارة جيب ، قادها الفريق وأجلسنى بجواره ، وخلفى جنود بالمدافع الرشاشة !

وطوال الطريق من سجن المخابرات الى السجن الحربى والفريق حمزة البسيونى يهدد ويتوعد ! ويقول لى أنه يتسلم المسجونين بغير ايصال . وهو ليس مسئولا عن تقديمهم إلى المسئولين على قيد الحياة ، ولا يحاسبه أحد على الجثث ! وانه دفن كثيرا من المسجونين السياسيين فى صحراء مدينة نصر ، وأنه كلما دفن مسجونا سياسيا تلقى خطاب شكر !

وكان يقول لى مزهوا : أنا فى السجن الحربى القانون والنيابة والمحكمة ! وعندما وصلت السيارة الجيب إلى السجن الحربى ، اصطف

الحراس لتحية القائد الذى جاء لهم بالذبيحة .. أسير الحرب الجديد !
ووضعونى فى زنزانة صغيرة ، ثم أحضر الفريق حمزة البسيونى كلبين ضخمين وتركهما يندفعان نحوى ، وكان الدم يسيل من فمى الكلبين . وأمر الفريق البسيونى ، فاندفع الكلبان مرة أخرى ، وراحا ينهشان ملابسى .. وانهالت على رأسى الضربات واللكمات والصفعات والفريق البسيونى يزأر ويقول « اعترف ! اعترف وإلا فسوف أقتلك هنا ! » وتذكرت فى هذه اللحظات صورة أخرى للواء حمزة البسيونى - قبل أن يرقى الى رتبة الفريق . وكانت صورته يومئذ تختلف كثيرا عن صورة الأسد الهصور الذى وقف أمامى وأنا مقيد بالسلاسل والأغلال .
كان ذلك فى خريف عام ١٩٦٣ . دخل اللواء حمزة البسيونى مدير السجن الحربى إلى غرفة مكتب الرئيس جمال عبدالناصر ، فى داره بضاحية منشية البكرى فى القاهرة . ووقف رئيس الجمهورية لاستقبال الضابط الكبير . وفوجىء الرئيس بحمزة البسيونى ينبطح على وجهه ، ويرتمى على قدمى الرئيس ، وهو يحاول أن يقبل حذاء الرئيس ، وكان ينتحب ويشهق ويبكى حتى بللت دموعه حذاء الرئيس !
وذهل الرئيس ، ومد يده ورفع وجه اللواء حمزة البسيونى الذى كان يتمرغ على الأرض ، وقال له :
— ماذا تفعل ياحمزة ؟ أنسيت أنك لواء فى الجيش !
قال حمزة وهو لايزال ينتحب ويرتجف ، ويحاول أن يقبل يد الرئيس ، والرئيس يسحب يده من شفتى اللواء : سمعت من المشير أن سيادتك حكمت على بالاعدام !
قال الرئيس فى دهشة : انا لم أحكم عليك بالاعدام . ان كل ما قلته للمشير عبدالحكيم عامر هو أن ينقلك من منصب قائد السجن الحربى الى منصب آخر فى الجيش يليق برتبتك العسكرية .
قال حمزة البسيونى فى صوت متهدج :
— معنى هذا هو حكم بإعدامى ! معناه أن أضرب فى اليوم التالى بالرصاص !
— من الذى سيضربك بالرصاص !
— كل الناس تكرهنى لاخلاصى للثورة . كل أعداء الثورة يكرهوننى ! كل الوفديين . كل الشيوعيين كل الاخوان المسلمين .. كل من دخل السجن الحربى !

وطلب الرئيس من اللواء حمزة البسيونى أن يعود إلى عمله ، حتى يبحث الأمر مع المشير عبدالحكيم عامر ، وحاول حمزة وهو يجهش بالبكاء أن يقبل حذاء الرئيس مرة أخرى ، ودفعه الرئيس وقال له فى غضب :

— لو فعلت هذا مرة أخرى فسوف أصدر قرارا بإحالتك إلى المعاش !

وسارع أصدقاء حمزة البسيونى فى مراكز القوى ـ وكلهم شاركوا معه فى عمليات التعذيب ـ يتوسطون لحمزة لالغاء قرار نقله من السجن الحربى ، لأنه سوف يطلق على نفسه الرصاص ، لو خرج من السجن الحربى . لأنه يؤمن بأنه سوف يقتل بعد ٢٤ ساعة من خروجه من منصبه الخطير !

وبقى حمزة البسيونى مديرا للسجن الحربى ، ومديرا لجميع السجون الحربية !!

وتنتقل الكاميرا إلى منظر آخر فى عام ١٩٦٥ .

ضحايا التعذيب فى الزنازين يضمدون جراحهم . أجسام مصلوبة .. وجوه شوهتها سياط الزبانية . ظهور مزقتها الكرابيج التى استحضرت من السودان على ظهر طائرة خاصة . جثث المسجونين تحمل فى الظلام وتدفن فى الصحراء المجاورة للسجن . رؤوس مفتوحة . اسنان مقلوعة . بقع الدم تغطى كل جدران الزنازين . صراخ وأنين وعويل . كلاب تعوى وقد امتلأت افواهها بالدماء .

اللواء حمزة البسيونى يدخل إلى زنزانة فيها شاب غارق فى دمائه ويقول له :

— سمعت أنك كنت مهندس مبانى !

— نعم ..

— سوف أوقف تعذيبك إذا وضعت لى رسوم بيت جميل أقيم فيه فى السجن ، بدلا من بيتى الحالى .

— حاضر !

— وإذا لم تعجبنى الرسوم أصدرت أمرى باستئناف التعذيب !

ويطلب الشاب المهندس ورقا وأقلاما ، ويبدأ فى رسم قصر صغير يقيم فيه ملك التعذيب ! وينتهى المهندس من الرسم ، ويعجب ملك التعذيب بالتصميم ، ولكنه يعترض على ان ورق التصميم قذر .. فإنه ملطخ بدم بعض المعذبين وعلى رأسهم المهندس !

ويصدر أمر ملك التعذيب بأن يشترك جميع المسجونين السياسيين فى بناء القصر ، ويقبل المسجونون السياسيون على العمل المتواصل بالنهار والليل ، بغير انقطاع ، انها الطريقة الوحيدة ليفلتوا بها من سياط ملك

التعذيب ! ولم يحدث في تاريخ البناء في العالم ما حدث في بناء القصر الصغير . الذين كانوا يحملون على رؤوسهم التراب والأحجار لم يكونوا عمالا ! كانوا أطباء ومحامين وأساتذة في الجامعة ومعلمين وتجارا وكان بينهم أستاذان في الطاقة الذرية وطبيب بيطرى وبعض رجال الدين !

وتم بناء القصر في سرعة مذهلة ! كان المسجونون يريدون أن يتباطأوا لكي يطيلوا مدة « الراحة » من التعذيب ، ولكن السياط في أيدى الحراس كانت تضطرهم الى مضاعفة جهودهم ! وعندما انتهى بناء القصر أمر ملك التعذيب ببناء « دشم » حول القصر لتنصب عليها المدافع والرشاشات والسواتر ، حتى تحول القصر إلى شبه قلعة مسلحة !

كان حمزة البسيوني يخشى دائما أن ينقض عليه المسجونون الذين عذبهم ، وخلع أظافرهم ومزق أجسادهم بالسياط ، ولهذا كان يحتفظ في غرفة نومه دائما بعدد من القنابل اليدوية ويضع تحت فراشه عددا من المدافع الرشاشة ، ويضع تحت وسادته مسدسين متعددى الطلقات !

وتنتقل الكاميرا إلى منظر آخر في عام ١٩٦٧ .

نكسة ٥ يونيو . الرئيس عبدالناصر يصدر قرارا بالقبض على اللواء حمزة البسيوني وإحالته إلى المعاش ..

فجأة ينطلق جميع المسجونين السياسيين من زنازينهم وينقضون على القصر الذى بنوه بدمهم ودموعهم وعرقهم ! وبسرعة مذهلة يحولون القصر الشامخ إلى أنقاض !

وقد كان حمزة البسيوني سعيد الحظ .. لأنه لم يكن في القصر ولا في السجن ، وإلا لمزقه المسجونون ..

فقد قرر أن يسجن مدير السجن الحربى في معتقل القلعة ..

* * *

وتنتقل الكاميرا .. إلى ما قبل ذلك بسنوات ! وأترك أحد زملائى في السجن الحربى يروى ما كان يحدث لنا ..

كانت القاهرة منذ عام ١٩٥٤ تتحدث همسا عن « الأوبرج » ! كان الناس يقفلون أبوابهم ، ثم يطلون من النافذة ليتأكدوا أن أحدا لا يسترق السمع ، ثم بعد أن يتأكدوا أن الجدران ليست لها آذان ، يتحدثون عما يحدث من أهوال لكل من تطأ قدماه عتبة « الأوبرج » .. وعرفنا يومها أن « الأوبرج » هو الاسم الذى يطلقونه على السجن الحربى ! وسمعنا فيما سمعناه أن أى متهم يسوقه سوء الحظ إلى « أوبرج حمزة البسيوني » ولو لأيام معدودة ، تقام له حفلة استقبال ، وهذه الحفلة عبارة عن أن يعلق

كالذبيحة تكريما واحتفاء بمقدمه السعيد ، ثم تنهال عليه السياط والصفعات واللكمات واقذر الشتائم والسباب !

وساقني القدر في منتصف ليلة سوداء ، لأدخل الأوبرج ، وكان في استقبالي اللواء حمزة البسيوني مدير السجون الحربية ، والمؤسس للائحتها ، وملكها المتوج ، والخبير العالمي في شئون التعذيب والارهاب !

استقبلني ومعه « ميمي » و « ليلى » ! وهما الكلبان المعدان لاستقبال النزلاء من المسجونين السياسيين والترحيب بهم .. وكان « ميمي » يمتاز بنابيه البارزين ، اللذين يبقيان في خارج فمه إذا اغلق فمه !

والتف الكلبان بي ينهشان لحمي ويمزقان ملابسي ، ثم صحبني اللواء إلى زنزانة في المعتقل رقم ٢ ، وعاد يطلق على الكلبين يمزقان في لحمي بانيابهما ومخالبهما . وقد علمت بعد ذلك أن كلاب حمزة البسيوني كلها مدربة على تمزيق أي انسان يشير إليه ملك التعذيب أو أحد زبانيته ثم امر حمزة البسيوني بإشارة من يده للكلبين أن يتوقفا عن تمزيق ملابسي ونهش لحمي ، واطاع الكلبان في الحال ! ثم أمر بإحضار مائدة ومقعد ، وطلب مني كتابة تاريخ حياتي منذ أن كنت طفلا وقال لي ملك التعذيب :

— سيحضر لك الحارس كل نصف ساعة ، ويأخذ منك ورقة فولسكاب مكتوبة ، فإذا تباطأت ، أو لم تملأ الورقة ، فسوف يضربك الحارس ويطلق عليك الكلاب ! كان منظر اللواء حمزة البسيوني مخيفا أكثر من منظر الكلبين « ميمي » و « ليلى » ! كان طويل القامة ، له شاربان ضخمان ، عيناه يتطاير منهما الشرر ، شفتاه غليظتان كشفتي الضبع . يتقلب وجهه بصور متعددة . يبدو أحيانا بصورة الثعبان ، ويبدو أحيانا بصورة الوحش المفترس ، وفي خطوط وجهه قسوة وشراسة وعنف وبطش . وفي وجهه ندبة تشوه وجهه ، وتجعله اشبه بشيطان انطلق من عقاله ، في صوته مزيج من فحيح الأفعى ، وعواء الذئب !

وقبل أن يغادرني ملك التعذيب التفت الي وقال :

— إذا لم تكتب كل شيء ، فلن تخرج من هذا المكان حيا ! لن تكون أول ولا آخر من أدفنه هنا !

نطق هذه الكلمات ببساطة غريبة ، كانه يدعوني لتناول العشاء على مائدته ، أو يدعوني لأذهب معه إلى السينما ..

وخرج من الزنزانة يتبعه « ميمي » و « ليلى » !

وجلست إلى المائدة أكتب ما أذكره عن نفسي ! بلا نوم . بلا طعام . بلا كوب ماء ! وكلما تعبت من الكتابة رأيت أحد الزبانية يرقبني والسوط

فى يده ، فأعود إلى الكتابة من جديد ! مكثت أكتب ٤٨ ساعة متواصلة . فرغ مني الكلام . توقف عقلى عن التفكير . ولكنى لم أستطع أن أتوقف عن الكتابة رعبا من كرباج الحارس ! وأخذت أملأ الورقة بعبارة واحدة هى « والله العظيم مظلوم » وساعدنى على ذلك ان الحارس الذي كان يأخذ منى الورقة أمي لا يقرأ ولا يكتب ! وشجعنى على ذلك أننى لاحظت أن الحارس كان ينظر إلى الورقة وهى مقلوبة ، ثم يقول لى « كويس ! كويس كده ! أكتب كمان » !

واكتب « كمان » ! وفى صباح اليوم الثالث حضر حمزة البسيونى ملك التعذيب ، وكنت كتبت أوراقا لا أعرف لها عددا ، أغلبها صفحات كاملة كررت فيها جملة « والله العظيم مظلوم » ! وفوجئت بحمزة البسيونى يشكرنى على اننى تعاونت معه ! وكدت أظن أنه الآخر أمى لا يقرأ ولا يكتب ! ثم علمت أنه اكتفى بإحصاء عدد الصفحات التى كتبتها دون أن يقرأها !

وسألنى ملك التعذيب : هل أكلت شيئا ؟

وقلت له اننى لم آكل شيئا لمدة ٤٨ ساعة ، ولم أشرب نقطة ماء طوال يومين !

وأمر بإحضار طعام وماء ، وقطعة من بطانية ثم قال :

— الآن يمكنك أن تأكل وتشرب وتنام !

وأكلت سريعا ، وشربت ماء الجردل كله ، ثم استلقيت على بقايا البطانية ، ونمت نوما عميقا ، ولم أحس من شدة الارهاق بجروحى ولا آثار الضرب !

وفى المساء صحوت من نومى فزعا على ركلة حذاء قدم الشاويش فى بطنى ، والتفت الشاويش إلى أحد الحراس وقال له :

— عليك أن تفوق « البيه » !

وانهال على الحارس بعدد من الصفعات واللكمات والركلات حتى افقت تماما ! ثم صحبونى إلى مكتب اللواء حمزة البسيونى حيث وجدت رجال صلاح نصر فى انتظارى ، والأرض تحت أقدامهم مليئة بأكوام الورق الذى كتبته !

وقام أحدهم وصفعنى على وجهى صفعة شديدة وقال ساخرا :

— انت كاتب لنا قصة حياتك يا ابن الكلب !

وقبل أن أفتح فمى ، وأقول لهم ان اللواء حمزة البسيونى هو الذى أمرنى أن أكتب قصة حياتى ، انهالت على الضربات والصفعات والركلات ،

وسقطت على الأرض مغمى على ، وحملوني إلى زنزانتي بين الموت والحياة !
واستمر التعذيب اثنى عشر يوما .. استمر بالليل والنهار !
وفي اليوم الثاني عشر أخذوني ليلا إلى مكتب اللواء حمزة البسيوني ، ووجدته في انتظاري مع عدد من ضباط صلاح نصر ، وأمر كبيرهم أن أخلع ملابسي كلها ، ووقفت أمامه عاريا تماما ، فأخذ يديرني في كل اتجاه ليرى آثار التعذيب على جسمي !
ثم التفت الى حمزة البسيوني قائلا :
— لا ياحمزة بك .. أنتم دللتموه جدا !
وهنا هوى الشاويش المصاحب لى بالسوط الذي يحمله على صدري في ضربة أراد أن يثبت بها لكبير رجال صلاح نصر أنهم لا يدللونني ! وقد ظللت أتألم من هذه الضربة لمدة عام كامل ! .
وكانت مصدر عذاب أليم لى أثناء نومي !
وصاح اللواء حمزة البسيوني :
— لا .. حرام ! لا تضربوه ! هات « لاكي » !
ولم أعرف من هو « لاكي » وظننت في أول الأمر أنه طبيب أو ممرض ارسل حمزة البسيوني في استدعائه ليضمد جراحي . ودهشت أن ينقلب الوحش انسانا ، وملك التعذيب آدميا ووقفت أتألم من ضرب السوط ، وخيم الصمت على كل من في المكتب ، في انتظار قدوم « لاكي » ! وبعد دقائق رأيت هولا ! رأيت أمامي شيئا لم تصدقه عيناي ! رأيت أمامي كلبا هائلا ! لم أر في حياتي كلبا في مثل هذا الحجم ، ولا هذه البشاعة . كلبا في حجم الحمار الضخم . لقد رأيت في حياتي كلابا كثيرة من أنواع مختلفة ، ولكنى لم أر مخلوقا بكل هذه البشاعة والوحشية ! كان يبدو كالوحش المفترس . دخل « لاكي » وهو يسد الباب بجسمه الضخم ، وهنا أشار إليه الشاويش على بطرف السوط ، فقفز « لاكي » نحوي مهاجما ، وصرخت صرخة ملؤها الرعب والفزع ، واحتميت خلف مقعد يجلس عليه أحد ضباط صلاح نصر . وهجم الكلب على المقعد ، ونالت أظافره من أقدام الضابط ، الذي قفز في فزع وقال للشاويش في لهجة هستيريا « طلع الكلب ده بره » ! وخرج الكلب بعد أن أحدث ارتباكا وفزعا بين الموجودين ، وأخيرا أمسك بي كبير ضباط صلاح نصر من كتفي وقال :
— اسمع ! بشرفي إن لم تكتب الاعتراف فسنأتي بخطيبتك إلى هنا ، وسأجعلها تخلع ملابسها مثلك ، وسأعطيها للحراس يضاجعونها أمام عينيك !

وانهرت أمام هذا التهديد .. وقلت انني مستعد أن أكتب ما يملوه على !
وكانت حصة إملاء !

هم يملون وأنا أكتب ! أشياء لم تحدث كتبتها بغير اعتراض . أحداث لم تقع . أكاذيب واضحة .. كل هذا كتبته كما أملوه حتى النقط .. حتى اول السطر ! حتى الأغلاط فى اللغة العربية !

وبعد أن انتهيت من كتابة « الاعترافات » المطلوبة صدر الأمر بعدم ضربى أو تعذيبى لأن التحقيق انتهى !

وفعلا أخذونى الى زنزانتى ، وكف الحراس عن ايذائى وتعذيبى ولم تعد الكلاب تزورنى فى مواعيد محددة !

ولكن بعد يومين اثنين فوجئت بباب الزنزانة يفتح ، ويدخل شاب صغير ، فى حوالى الخامسة عشرة من عمره ، ومعه الشاويش يحمل الكرباج فى يده ، ومعهما الكلبة ميمى ، والكلبة ليلى !

وسألنى الولد الصغير فى تعال عن إسمى وسبب وجودى ، ثم نظر إلى الشاويش وقال له « سخنه » ، وانهال على الحارس بالسوط ضربا ، ثم أشار إلى « ميمى » و « ليلى » فهجمتا على ومزقتا ملابسى ونهشتا لحمى من جديد !

وكنت أبكى وأصرخ ، والولد الصغير يضحك ويقهقه ويقول « سخنه .. كمان » ! ثم أقفلوا على باب الزنزانة ، وهويت على الأرض أجفف جروحى وأمسح دمى ، وفجاة سمعت صراخا ثم سمعت ضحكا فى الزنزانة المجاورة ، وصوت السياط وهى تهوى ، وأجساما تقع على الأرض والكلاب تعوى ! وتكرر صوت السياط وصوت الصراخ وصوت الضحك وصوت العواء ! وعرفت أن « البيه الصغير » دخل كل نزنزانة فى العنبر ، وأصدر نفس الأوامر بالضرب ونهش الكلاب ! وتساءل المسجونون السياسيون من هو هذا « الولد الصغير » الذى يباح له دخول السجن الحربى ، ويصدر أوامره بجلد المسجونين السياسيين ، وبأن تعضهم الكلاب ! وعرفنا سر « البيه الصغير » أنه ابن أخت اللواء حمزة البسيونى ، ملك التعذيب ، ويدعى موسى وكان طالبا فى الاعدادى ، وكان يأتى للسجن الحربى للترفيه عن نفسه بضرب المسجونين وبتعذيبهم ، وكان يأمر وينهى ، وكان الحراس يطيعونه طاعة عمياء .. لأنه ابن أخت صاحب الجلالة ملك التعذيب !

وعرفنا عندئذ معنى المثل الشعبى الذى يقول « الولد لخاله » !

وبعد ايام أصدر ملك التعذيب امره بنفى إلى المعتقل رقم ٣ ، وبعد ظهر نفس اليوم سمعت ضوضاء عالية ، وصوت أقدام كثيرة ، ولم اعرف من هم نزلاء « الأوبرج » الجدد إلى ان أحضر لى الحارس وجبة العشاء ، وسألته عن السكان الجدد ، فقال انهم الشيوعيون !

وفى اليوم التالى علمت من الحارس ان اللواء حمزة البسيونى أمر بضرب الشيوعيين « علقة » يوميا طوال مدة التحقيق !

وكان ملك التعذيب يختار زبانيته بشروط معينة ، أولها الأمية ، وثانيها الغباء ، وثالثها ضخامة الأجسام ، ثم يلحقهم بفرقة خاصة اسمها « غرفة الاجرام » يتدربون فيها ثلاثة شهور على القسوة والوحشية وكيفية استخدام الكرباج .

وكان الكرباج الذى يستعمله الزبانية عبارة عن أسلاك كهربائية مجدولة ، ومكسوة بالقماش ، وكانت قطعة القماش متمزقة من كثرة الاستعمال ، وتآكل طبقة الكاوتشوك العازلة ، فيظهر منها أسلاك رفيعة كالابر ، تمزق الجلد ، وكأنها لسعات النار .

وكان القانون الذى يحكم هؤلاء هو قانون حمزة البسيونى . وكان من حق صاحب الرتبة الأعلى أن يضرب بالسوط صاحب الرتبة الأقل دون الرجوع إلى أى مسئول ، وحسبما يتراءى له . وكثيرا ما رأينا الشاويش « الرقيب » يأمر الأومباشى « العريف » أن ينام على الأرض ، ويرفع ساقيه مثل أى مسجون ، ثم ينهال عليه ضربا مبرحا . وهو بذلك يمارس حقا أعطاه له حمزة البسيونى وكذلك يفعل العريف بوكيل العريف . ووكيل العريف بالجندى البسيط وهكذا .

وكان حمزة البسيونى يستقبل « فرقة الاجرام » بعد تخرجها ويخطب فيها قائلا :

— عندما يصدر لك الأمر بضرب مسجون مائة جلدة فمعنى ذلك أن تضربه مائتى جلدة ! وعندما يصدر لك الامر بأن تضربه خمسين سوطا فمعنى ذلك أن تضربه مائة سوط ! لا تخف اذا مات المسجون بين يديك وانت تضربه .. لو حدث ذلك فسوف أعطيك ترقية استثنائية !

* * *

أصدر اللواء حمزة البسيونى أمره بضرب جميع الشيوعيين الموجودين فى السجن ، وكانوا مسجونين فى الطابق العلوى ، وكنت اقيم فى الطابق الأرضى

ودخل الزبانية زنازين الشيوعيين وانهالوا عليهم ضربا وصفعا وركلا وتعذيبا . ولما انتهوا من حملة التعذيب فوجئت بالحارس حامل الكرباج يدخل ومعه أحد الكلاب . وأسرعت أؤدى له التحية العسكرية ، ضاربا بقدمي بكل شدة ، طبقا لما أمروني به من أن أؤدى التحية العسكرية لكل شرطي يدخل زنزانتي .. حتى لو كانت الكلبة « ميمى » ولدهشتي سألني : هل أنت شيوعى ؟

— لا يافندم !

— أنت شيوعى !

— أن تهمتي انني قلت نكتة !

— يعنى شيوعى !

— شيوعى يا أفندم وأمرى لله !

— إذن أنت تعترف أنك كنت ستقتل الريس !

— أقتل الريس ؟ أنا لم أره طول حياتي !

— اخرس ياكلب ! انت كنت عاوز تقتل الريس ! نم وارفع ساقيك ! سأضربك عشرين سوطا وإذا قلت « آه » يصبحوا أربعين سوطا ! وإذا قلت « آه » يبقوا ثمانين !

واحتملت العشرين سوطا دون أن أجرؤ على التأوه ! وكان الكلب ينهش في جسدى ولا أستطيع أن أفتح فمى !

ثم انتقل الحارس الى بقية الزنزانات الأخرى يضرب المستقلين ويضرب الاخوان المسلمين ويضرب أنصار الأحزاب السابقة ! وعبثا يقولون له انهم غير شيوعيين ، وانهم ضد الشيوعية !

فالحارس الجاهل لا يعرف معنى الشيوعية ولا الاشتراكية ولا الأحزاب . كل من هو في زنزانة هو شيوعى مادام الامر صدر بضرب الشيوعيين !

واستمر ضربى طوال فترة ضرب الشيوعيين ، وعندما افرج عنهم ضربونى مع الاخوان المسلمين !

بقيت في السجن الحربى شهرين ونصف شهر ، واسرتى لا تعرف اين أنا ! لا انا حى تزوره ، ولا ميت تبكيه ! ويدور أهلى على كل في الجهات يسألون عنى ، فيكون الجواب الوحيد « لا نعلم عنه شيئا » !

واستطعت ان أهرب خطابا إلى أهلى ! وأخبرتهم أننى مسجون في السجن الحربى .

وحضرت أسرتى إلى السجن الحربى وطلبوا زيارتى فقال لهم اللواء حمزة البسيونى أنه لا يوجد عنده سجين بهذا الاسم ! واستطاعت أسرتى بعد اصرار وإلحاح أن تزورنى فى عيد الأضحى .

كان حمزة هو الملك !

وكلاب السجن هم أصحاب السمو الأمراء !

فقد كان بالمعتقل رقم ٣ مجموعة من الكلاب اكبرها « لاكى » والعياذبالله ، وكان عمره ١٢ سنة . وكان هناك الكلب « ركس » الذى يعتز به حمزة البسيونى لأنه أقوى الكلاب وأكثرها فتكا وشراسة . والكلبة « عنايات » زوجة ركس ، وكانت حاملا منه وكانت هناك الكلبة « جولدا » فى مرحلة البلوغ ..

كانت الكلاب كلها تعرف حمزة البسيونى ، وتحس بوجوده عن بعد ، وتأخذ فى العواء مرحبة بمقدمه السعيد . وكانت تعدو إلى باب المعتقل الحديدى لاستقباله .

وكان أفخر أنواع اللحم مخصصا للكلاب ، وأحقر انواعه مخصصا للمسجونين السياسيين ، وكانت الصنية المليئة باللحم يحملها الحراس يوميا من المطبخ إلى الكلاب ، ثلاث مرات كل يوم ، وكان ما بها من اللحم أكثر من اللحم الذى يكفى ألف مسجون .

وتأكل الكلاب حتى تشبع .. وبعد ذلك يأكل الحراس ما تبقى من الكلاب ! والويل للحارس الذى يجرؤ أن يأكل من اللحم قبل أن تنتهى الكلاب من طعامها !

انهم يجلدونه حتى يتمزق لحمه ، ثم يدعون الكلاب لتنهش لحمه ، عقابا على انه جرؤ وأكل قبل الكلاب المحظوظين !

وذات يوم جاءنا أحد الضباط يحمل لنا بشرى !

أن سعادة ملك التعذيب قرر أن يختار أربعة من المسجونين السياسيين ليكونوا خدما للكلاب !

وأن سعادته اشترط أن يكون خدم الكلاب من حملة الشهادات الجامعية !

ووقع الاختيار على خريج من كلية الآداب ، وخريج من كلية العلوم ، وخريج من كلية الهندسة ، وخريج من كلية الطب ليكونوا فى خدمة الكلاب ! وكنت واحدا من الذين اختيروا لهذا الشرف الكبير !

وكانت مهمتنا هى أن نتولى غسل الكلاب يوميا بالماء والصابون ، والعناية الدائمة بها ورعايتها وملاعبتها !

وفوجئنا بقصة غرام تبدأ بين الكلاب ! فعندما وصلت الكلبة جولدا إلى سن البلوغ ، بدأ الكلب ركس يحوم حولها مداعبا ومغازلا !

وكانت الكلبة « عنايات » زوجة ركس بالمرصاد لزوجها الدون جوان !

وكانت مهمتنا ، بناء على أمر اللواء حمزة البسيونى ، أن نمنع أى علاقة غرامية بين الكلب ركس ، والكلبة جولدا .. فكنا نحرص على الا نتركهما يجتمعان أبدا على انفراد .. حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه !

وذات ليلة ، وبينما نحن نيام فى زنزانتنا المغلقة سمعنا الكلاب تنبح بشدة ، وهى تتعارك وتتقاتل وتنبح .. ثم هدأ كل شىء بعد فترة ..

وفى الصباح ، وبعد فتح الزنزانات ، فوجئنا بالكلبة عنايات قتيلة ، وقد نهش جسمها ومزق بوحشية ، بينما برزت أحشاؤها بما كانت تحمله من كلاب صغار لم تكتمل خلقتها ..

وعلمنا أن الكلبة « عنايات » ضبطت فى الليل زوجها الكلب ركس ، فى وضع غرامى مع الكلبة جولدا . وأرادت عنايات أن تحتج على هذا الفعل الفاضح فى الطريق العام ، ولم يطق العاشقان هذه الغيرة العمياء من الزوجة ، فهجم الزوج والعشيقة على الزوجة عنايات وانتهت بمصرع عنايات وهى تستنزل اللعنات على الأزواج الخونة الكلاب !

ورأي`` الدم يلوث فم كل من الكلب ركس والكلبة جولدا ، مما يؤكد انهما القاتلان المجرمان !

وأعلنت حالة الطوارىء فى السجن الحربى ..

وحضر اللواء البسيونى على عجل ، لمعاينة الحادث الجلل ، وكان الضباط والجنود يقدمون له العزاء فى الفقيدة العزيزة عنايات !

وكان الرجل الذى لم تسقط من عينه دمعة واحدة حزنا على العشرات الذين قتلهم من التعذيب ، يبكى على عنايات !

ووقفنا نحن خدم عنايات الأربعة فى رعب خشية أن يتهمنا ملك التعذيب .. بالتهاون والاهمال الذى ادى إلى مصرع السيدة عنايات !

وجاءنا أحد الضباط يقول لنا :

— حظكم من السماء ! انكم ولدتم اليوم أنتم الأربعة من جديد . لولا أن الحادث وقع فى الليل أثناء وجودكم فى الزنازين المغلقة لاعتبركم سيادة اللواء مسئولين عن مصرع عنايات وعلقكم انتم الأربعة فى المشانق ! ولهذا اكتفى سيادة اللواء بجلد كل حـرس من حراس الليل مائة جلدة ، وحبس كل واحد منهم لمدة سنة !

ولم نتمالك أنفسنا وصحنا : يحيا العدل :

ثم فوجئنا بملك التعذيب يقرر محاكمة الكلبين العاشقين ! ويصدر حكمه بأن يمسك كل مسجون سياسى بقطعة خشب أو مكنسة ويطارد ركس وجولدا من ركن الى ركن فى فناء السجن ، وكان الحراس يمسكون الكلبين ، ويأخذونهما الى مكان الحادث ليشما رائحة الفقيدة عنايات ، ثم تنهال عليهما العصى ضربا !

وحدث لسوء حظ الحراس حادث جلل ، فإن أحدنا ضرب الكلب « ركس » ضربة خطأ أصابته فى عينيه !

لطم الحراس وجوههم .. وصرخوا .. وولولوا وقالوا « روحنا فى داهية » ! . وأسقط فى أيدينا . وتوقفنا عن الحركة . تسمرنا فى أماكننا ، وكأن على رؤوسنا الطير ..

واتفقنا مع الحراس على اخفاء الخبر عن ملك التعذيب ، وأخذنا نعالج الكلب يوميا فى عيادة السجن أثناء غياب ملك التعذيب ، وساعدنا على ذلك أن حمزة البسيونى أصدر أمرا بمنع زيارة الكلبين ركس وجولدا لسيادته يوميا ، مع باقى الكلاب ، عقابا لهما على جريمتهما الشنعاء !

وتم شفاء الكلب ركس ، وتصورنا أن السجن سينتهى من فترة الحداد ! وإذا حادث جلل آخر يقع ، اهتزت له جدران السجن ، فإن الكلب « لاكى » امتنع فجأة عن تناول الطعام !

وأصبنا نحن خدم الكلاب بالرعب ! وأصيب الحراس بالفزع وأصيب الضباط بالمغص الكلوى !

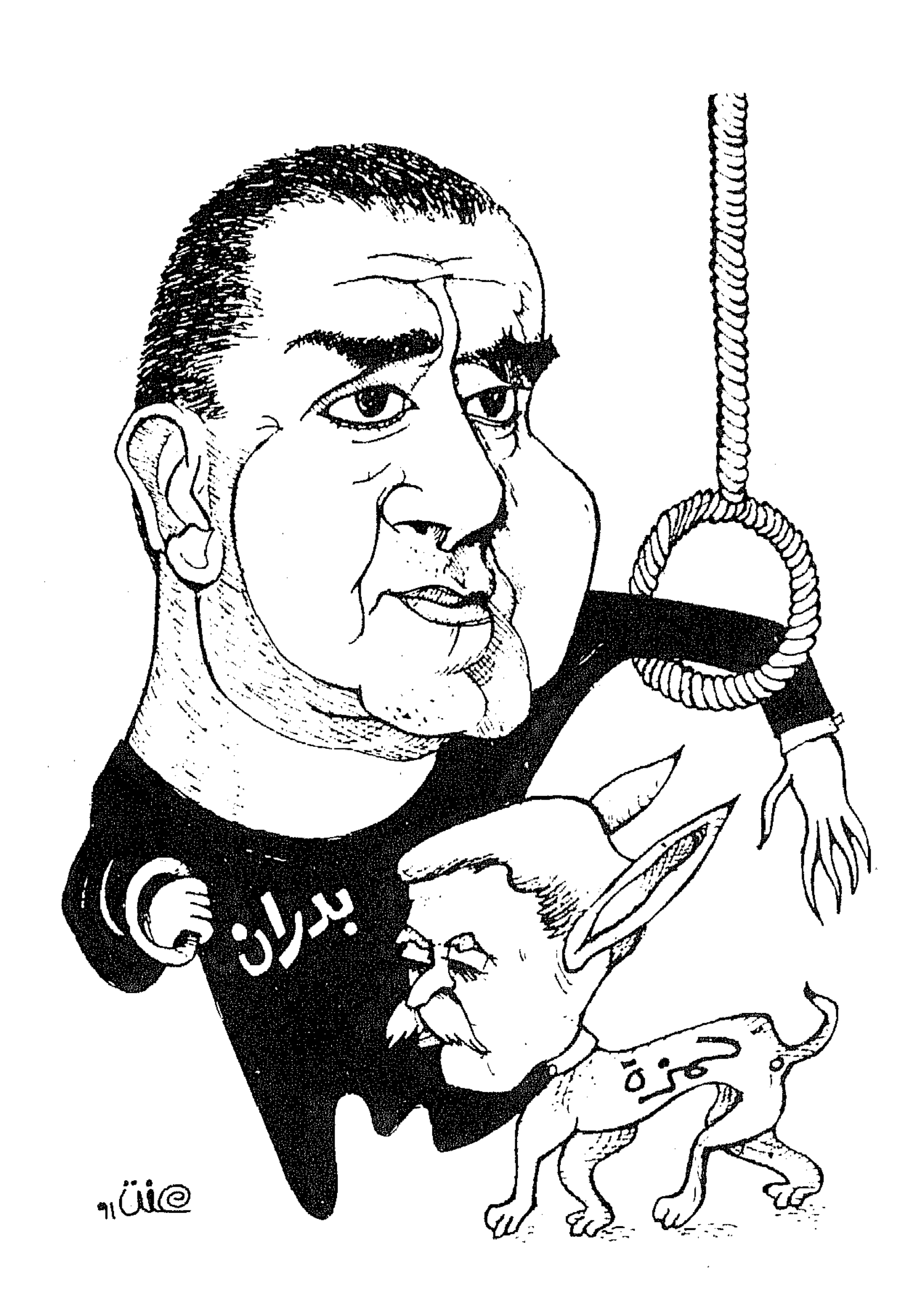
وأمر ملك التعذيب بإرسال الكلب « لاكى » الى المستشفى البيطرى للكشف عليه . وقال الأطباء البيطريون انه مرض الشيخوخة ، وأنه سيموت من عدم الأكل ، وأشاروا إلى قتله رحمة به !

وتم قتله رميا بالرصاص ، فى احتفال رسمى مهيب ، وتم دفنه فى مقبرة مجاورة لقبر ابنته الفقيدة السيدة عنايات !

وحزن ملك التعذيب حزنا شديدا ، وبكى بكاء مرا ، وأعلن حالة الحداد على الكلب الذى عض ألوف الأبرياء ونهش لحم ألوف المسجونين والمعذبين . ودخل علينا أحد الحراس ، ورآنا نحن خدم الكلاب الأربعة جالسين فى الزنزانة صامتين ، وانهال علينا الحارس ضربا بالسوط وهو يقول :

— ابكوا ! ابكوا ياأولاد الكلب ! سيدكم « لاكى » مات !

واضطررنا أن نبكى على الكلب الذى نهش لحمنا !


بدران
حمزة

مذبحة عام ١٩٦٥

السجن الحربى عام ١٩٦٥

عزيزتى ...

هذه صفحة أخرى من مذكرات احدى ضحايا ملك التعذيب حمزة البسيونى ..

الجلادون يهوون بسياطهم على الأجساد . أحذية الزبانية تغوص فى البطون . كلاب تنهش فى لحم الرجال . أنين الجرحى . صراخ المصلوبين . حشرجة الموتى . انها مذبحة عام ١٩٦٥ التى يتحدث عنها الذين رأوها ، ونجوا من الموت منها ، وهم يقشعرون من الرعب ، هذا الهول الذى رأوه بأعينهم والسياط تنهال فوق رؤوسهم !

ولم يكن حمزة البسيوني يومئذ ملك التعذيب ، فقد كان يجلس على العرش شمس بدران امبراطور التعذيب ، وتحول حمزة البسيونى أوتوماتيكيا إلى واحد من رعاياه !

وصحيح أن حمزة البسيونى كان يحمل يومئذ رتبة اللواء ..

وكان شمس بدران يحمل رتبة العقيد !

ولكن فى مملكة التعذيب الرياسات ليست بالرتب والألقاب ! فقد كان شمس بدران هو مدير مكتب المشير ، ولهذا كان اللواء حمزة البسيونى ينحنى بين يديه ويؤدى التحية العسكرية !

وهكذا شهد زبانية حمزة البسيوني منظرا عجيبا لم يألفوه من قبل ! لقد تعودوا أن يروا سيدهم الحاكم بأمره ، الذى يملك وحده حق إصدار الحكم بالموت أو الحياة ! الذى يجلد من يشاء ، ويعفو عمن يشاء ، الذى كان يقول لهم فى صلف وغرور وغطرسة : أنا ربكم الأعلى !

ها هو ذا ملك التعذيب يتحول فجأة أمام شمس بدران كأنه الكلبة ليلى ، أو الكلبة ميمى ، أو الكلب ركس .. وغيرها من كلاب السجن !

هذا السفاح الرهيب يتحول فجأة إلى « جندى مراسلة » يقدم لشمس بدران زجاجة الكوكاكولا أو فنجان القهوة ، ويهرول الى تلبية طلباته وأوامره !

ولم يحضر شمس بدران إلى السجن الحربى وحده ، وإنما أحضر معه بعض رجال المباحث الجنائية العسكرية ، وطلب إليهم أن يتولوا عملية تعذيب المتهمين ! وامتلأت عينا السفاح حمزة البسيونى بالدموع ! لماذا يحرم هذه المرة من شرف تعذيب المتهمين !

ماذا جنى من ذنب ، حتى يسحب شمس بك منه امتياز واحتكار ضرب المتهمين بالسياط وتعذيبهم . وتسليط الكلاب عليهم ، وينعم بهذا الحق على هؤلاء الصعاليك الذين لا يفهمون فن التعذيب وأصول التحقيق ! كيف ينسى شمس بك مفاخر حمزة البسيونى طوال السنوات الماضية ، وأشار حمزة إلى رمال السجن ، وكأنه يشير الى جثث المدفونين تحت الرمال ، وكأنه يقول ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقى :

« هذه آثارنا تدل علينا ! »

ويظهر أن شمس بدران لم يلتفت إلى نظرات الاستعطاف فى عينى اللواء حمزة البسيونى ، ومضى يصدر أوامره وتعليماته !

وهنا تقدم حمزة البسيونى وأشار الى أحد المسجونين المقيدين بالأغلال وقال لشمس بدران متوسلا فى صوت متهدج :

— أرجوك ياشمس بك ! والنبى .. من فضلك ! أرجوك تتركنى أعذب أنا هذا الشاب !!

وذهل الموجودون فى الغرفة من هذا الطلب العجيب ! ما الذى يجعل هذا اللواء المهيب يتذلل ويستعطف ويتوسل الى ضابط أصغر منه رتبة ، ليعطيه شرف تعذيب مسجون شاب ؟

ورق قلب شمس بك وسمح للواء حمزة البسيونى أن يعذب الشاب .. !

وأشرقت أسارير اللواء حمزة البسيونى ! ظهر فى بريق عينيه نشوة عجيبة . تهلل وجهه ، وبدأ يعذب الشاب المسكين بلذة غريبة . كأنه يعانق ملكة جمال !

قد يدعى أحد الذين يقومون بعملية التعذيب ، أنه اضطر الى ارتكاب هذه الجريمة مرغما ، تنفيذا لأوامر صدرت إليه . ولكن هذا رجل يتوسل ويستعطف ويكاد يركع راجيا أن تسند إليه عملية التعذيب !

وعندما يحققون له أمنيته ، وينهال بالسوط فى يده ، ويرى الدم ينزف من الضحية ، ويسمع صرخاته المفجعة ، ويراه امامه وهو يتلوى من الألم يشعر بنفس الاحساس الذى تشعر به المرأة فى قمة لذتها !

ان الذين شهدوا عمليات التعذيب كما شاهدناها يدهشون لمنظر وجوه الجلادين المنتشية بعد عمليات التعذيب الوحشى .

ان ضحايا التعذيب لا ينسون أبدا وجه « يسرى الجزار » وقد كان المساعد الأيسر لصلاح نصر فى عمليات التعذيب ، بينما كان حسن عليش المساعد الأيمن .

كثيرا ما كان يحضر يسرى الجزار إلى السجن الحربى للقيام بعمليات التعذيب .

وكان قبل عملية التعذيب يبدو متعبا مرهقا مكدودا .. ولا يكاد يأمر زبانيته،بالبدء فى التعذيب حتى يزداد وجهه اشراقا مع كل سوط يهوى على جسد المسجون ، تلمع عيناه بهناء عجيب ، صوت الصراخ والأنين يتحول فى أذنه إلى أصوات موسيقية ، كلها غزل وصبابة ، وهوى ملتهب . الأنين يشجيه والصراخ يطربه ، ومنظر الدم المسفوك يملأه بالنشوة .

انه يرى فى منظر الرجل الذى يتلوى أمامه من الألم والعذاب منظرا خلابا ، أسمى مراتب الجمال ، كأنه يرى فينوس أو أفروديت تبعث الى الحياة !

صوت السوط يغنى فى أذنه . منظر الدم القانى يتحول فى عينه إلى مجوهرات كريمة . كانت هذه المناظر المفجعة تملأ عينى يسرى الجزار بصور اللذة والمتعة والنشوة والشهوة ! وكأن الرجل العارى المسحوق الذى أمامه يتلوى من العذاب ، هو ملكة جمال ساحرة تتلوى بين ذراعيه من اللذة والنشوة !

الصورة التى رأيناها فى وجه يسرى الجزار أثناء عمليات التعذيب هى نفس الصورة التى رأيناها فى عيون حمزة البسيونى وصلاح نصر وحسن عليش وغيرهم من الذين كانوا يجدون متعة لا حد لها فى عمليات التعذيب .

والذى لاحظناه دائما فى شخصيات الذين يقومون بعملية التعذيب انهم عادة من الشواذ . وشذوذهم هو الذى يجعلهم يحسون بالبهجة فى عذاب الآخرين . وكلما كان العذاب أشد ، كانت النشوة أكبر . ان ضمائرهم لا تستيقظ أبدا بعد هذه العمليات . على العكس ، فهم بعد أن ينتهوا من التعذيب ينامون نوما عميقا ، تماما كما يحدث للمرأة العاشقة بعد أن تكون مارست الحب فى ليلة حمراء مع حبيبها !

واكثر هؤلاء يشعرون بالنقص أمام الرجال . يشعرون بانهم ضعفاء . وعندما يرون رجلا عاريا يتلوى أمامهم من الألم والعذاب ، يشعرون بلذة اذلال الرجال ، بنشوة الانتقال من رجال لا يستطيعون أن ينازلوهم فى أى ميدان ، اذا فكت قيودهم وسلاسلهم .. ان عملية تجريد الانسان من انسانيته تثير اشمئزاز الرجل العادى ، ولكنها تبهج الرجل الشاذ ، وتسعده ، وتكون تعويضا له عما يحس به فى داخل نفسه من ذل ومهانة .

وهكذا كان حمزة البسيونى ..

* * *

وكان ملك التعذيب شخصية مليئة بالمتناقضات . يامر بجلد المسجونين ويامر بالترفيه عنهم ! يقيم المذابح ويقيم الحفلات ! وكان يجد متعة لا حد لها فى ان يقيم فى بيته ليلة حمراء ، يدعو اليها أسياده والغوانى ، ويشرب ، ويرقص على انغام صراخ المسجونين الذين يامر بجلدهم لهذه المناسبة السعيدة ! وهكذا يختلط صراخ المسجونين المضروبين ، بصراخ السكارى والراقصات !

وذات يوم قرر ملك التعذيب ان يقيم حفلة ترفيه للمسجونين ، واعد المسرح بميس الجنود ، ووضع أمام المسرح مباشرة عددا من الكراسى الفوتيل لجلوس حمزة بك ومساعديه وخلفها مباشرة رصت دكك خشبية لجلوس المسجونين السياسيين ، ثم حاجز من الحبال يفصلهم عن جمهور « الترسو » من المسجونين العاديين الذين جلسوا على الأرض .

وقام بإحياء الحفل عدد من راقصات شارع محمد على والمغنى البلدى ابودراع والشنكحاوى والزعبلاوى للمنلوجات .

وبدأ الحفل مبكرا فى الساعة السادسة مساء حيث حضر فى بدايته حمزة البسيونى وصدر أمر الحراس للمسجونين بالهتاف والتصفيق الحاد وقال الحراس لنا أن الذى لا يهتف سوف يجلد عشرات الجلدات ! وهتفنا طبعا حتى بحت أصواتنا .. ولم تكن هذه أول مرة يهتف فيها مجلودون للجلاد !

وافتر ثغر الطاغية عن ابتسامة رضا وانشراح ثم انصرف ليشرب زجاجة ويسكى مع بعض أعوانه وتوالت فترات البرنامج بين الهرج والمرج ، حين صعدت احدى الراقصات ، وكانت على شىء من جمال الجسم والوجه ، واخذت تدور حول نفسها رافعة طرف بذلة الرقص ، لتظهر ساقيها الجميلتين الى أعلى مكان ممكن ، او غير ممكن !

وهاج جمهور الترسو وماجوا ، وطالبوا بإعادة الحركة صائحين « ارفع ! ارفع ! » ونزلت الراقصة على ارادة الجماهير ، وكشفت عن فخذيها مرات ومرات !

ثم عاد حمزة بك مترنحا وقوبل بعاصفة من التصفيق والهتاف ، وصعدت الراقصة نفسها الى المسرح ، وعادت الجماهير تصيح ارفع ! ارفع !

ولم يتمالك حمزة نفسه فقام من مقعده ، ولوح بقبعته وهو يصيح في الراقصة « ارفع ! ارفع » ورفعت الراقصة ثوبها كله بناء على طلب المدير ، لأن الناس مقامات !

وجن جنون ملك التعذيب ، وأمر بإنهاء الحفلة ، وادخل المسجونين الى زنازينهم ، وأخذ معه الراقصة الى بيته الموجود في السجن ، لتختم الحفلة معه على انفراد !

ومر الحراس على زنزانات المسجونين المجاورة لغرفة خدم حمزة البسيوني ، وانهالوا على المسجونين ضربا ، ليصل صراخهم الى حمزة بك ، لتزداد نشوته في ليلته الحمراء !

* * *

في أواخر عام ١٩٥٩ شهد سجن حمزة البسيوني أول ثورة للمسجونين في الشرق الأوسط ! ثورة لم تكتب عنها الصحف كلمة واحدة ، ولم تتناقلها وكالات الأنباء ، على الرغم من أن المسجونين استطاعوا أن يستولوا على السجن لمدة ثلاثة أيام !

كان ذلك في نهاية يوم حافل بالعمل الشاق ، والاهانات ، والآلام ، والعذاب . جلس نزلاء السجن الكبير القرفصاء أربعة أربعة ، في صفوف متراصة في حوش السجن ليتناولوا الطعام . فهذه كانت الطريقة المتبعة في تناول الطعام يوميا . المسجون لا يجلس على كرسى ، ولا على الأرض وإنما يجلس المسجونون القرفصاء ويتناولون طعامهم في هذا الوضع الغريب !

وكان المسجونون مكدودين من العمل الشاق ، مرهقين بألوان المعاملة السيئة ، الشتائم تنهال على رؤوسهم كالصفعات ، وكل حارس يجد نشوة في أذلالهم ، وفي تحطيم آدميتهم ، وفي أن يدوس بحذائه على كرامتهم ! وتحملوا كل هذا طوال النهار صامتين صاغرين ..

وأثناء تناول العشاء قام أحد الحراس بضرب أحد المسجونين بحذائه ، لأنه تجرأ وجلس على الأرض من شدة التعب ، بدلا من أن يجلس القرفصاء كامر حمزة البسيوني ..

وقال المسجون بانه لا يستطيع ان يجلس القرفصاء لأنه متعب تعبا شديدا !

وكفر المسجون لانه فتح فمه فى حضرة الحارس العظيم ، وانهال الحارس بالكرباج على المسجون المتعب ، وكانه ارتكب جريمة مروعة .

وفوجىء الحراس بأن المسجونين « يزومون » احتجاجا ! وثار الحراس لكرامتهم ! كيف يجرؤ هؤلاء المسجونون المسحوقون الصعاليك على ان « يزوموا » فى حضرة اصحاب السعادة زبانية حمزة البسيونى ! وانهال الحراس ضربا بالسياط على جميع المسجونين الذين « زاموا » والذين لم ينطقوا بكلمة واحدة !

وانقض المسجونون الراكعون على اقدامهم ! واختطفوا السياط من ايدى الحراس وانهالوا عليهم ضربا وصفعا وركلا ! وجعلوهم يذوقون ما ذاقوه على أيديهم الشهور والسنين الطوال !

واختطفوا اسلحتهم ، وقبضوا عليهم جميعا ووضعوهم فى الزنازين ، وهاجم المسجونون مخزنا كبيرا فيه سلاسل واقفال ، واحكموا اغلاق الباب الحديدى وصرخ الحراس الواقفون خارج العنبر « حرس سلاح » واسرع الحرس الموجود خارج العنبر يحاول أن يقتحم الباب الحديدى وفشلت المحاولات وعجز عن اقتحامه !

واعلن المسجونون انهم استولوا على السجن ، وانهم احتفظوا بالحراس كرهائن . وانهم سوف يقاومون من يحاول دخول السجن !

ووزع المسجونون المهمات على بعضهم . فريق يحرس الباب وفريق يحرس السطح وفريق للاسعاف ، وفريق يبنى المتاريس وفريق يتولى حراسة الحراس المقبوض عليهم !

وحضر أركان حرب السجن ، ومعه مكبر للصوت . حاول بواسطته تهدئة المسجونين الثائرين والتفاهم معهم دون جدوى . فقد امطرت عليه السماء ، وعلى الحراس الذين صحبوه ، أحجارا وقطعا من الحديد .. واضطر الى التراجع ..

وكان حمزة البسيونى فى مدينة الاسكندرية فى جولة تفتيشية فاتصل اركان الحرب تليفونيا به واخبره بما حدث ، فامره البسيونى بإطلاق النار للتهديد ، ومحاولة السيطرة على الموقف باى طريقة ، وقال انه سيعود فورا الى القاهرة .

واقام اركان الحرب كردونا من الحراس المسلحين حول مبنى السجن ، ثم امرهم بواسطة مكبر الصوت أن يطلقوا النار عندما يعطيهم الاشارة

بذلك . ثم امر الضابط الباشجاويش ان يجرى حول المبنى ، ويبلغ الجنود ان الامر هو بإطلاق النار فى الهواء للتهويش ، ويحذرهم من الضرب فى المليان !

ولكنه قبل ان يتم دورته أمر أركان الحرب بإطلاق النار .. وإذا بعدد من الجنود يطلقون النار فى المليان !

وسقط احد المسجونين قتيلا ، وسقط عدد من المسجونين جرحى برصاص الحراس ..

واندلعت الثورة ، والتهبت المعركة ، وانهال سيل الأحجار وقطع الحديد بغزارة على الحراس ، واضطر أركان الحرب المذهول الى الأمر بالانسحاب !

وحل الظلام ، واقام المسجونون نقط حراسة على الأسوار ، وتولى عدد اخر منهم حراسة المسجونين ! واصدروا اوامرهم الى المسجونين الا يضربوا الحراس الأسرى ، وألا يسيئوا معاملتهم ، كما كان الحراس يسيئون معاملة المسجونين ، ونظم المسجونون الثائرون توزيع المخزون عندهم من خبز وماء ، وانزلوا جثة المسجون القتيل من فوق السطح ، وتولى عدد منهم اسعاف الجرحى وتنظيف جروحهم !

وفى الصباح المبكر وصل حمزة البسيونى ، وجاء بمكبر الصوت ، وصرخ فى المسجونين مزمجرا مهددا متوعدا ، وهتف المسجونون الثائرون بسقوط الطاغية وسقوط السفاح !

وتحول الأسد الهصور الى فأر ، وراح يتوسل الى الثوار ان يهدأوا ويستسلموا وهو يعدهم بشرفه انه سيجيب جميع مطالبهم ، ولن يعاقب واحدا منهم لانهم إستولوا على السجن !

ودوى صوت المسجونين الثائرين كالرعد هاتفين بسقوط المجرم القاتل !

وتوافد المسئولون محاولين اقناع المسجونين الثائرين بإنهاء ثورتهم ، من أجل علاج الجرحى ودفن السجين القتيل ، واعدين بإجابة جميع مطالبهم !

ورفض المسجونون واصروا على أنهم لا يفاوضون إلا المشير عبدالحكيم عامر !

واستمر المسجونون ثلاثة أيام يحكمون السجن !

وأخيرا حضر الفريق أول على عامر ، وكان رئيسا لأركان حرب الجيش وقتئذ ، وقال للمسجونين ان المشير موجود فى سوريا ، وانه يستحيل عليه الحضور لمقابلتهم ، وذكر لهم انه اتصل بالمشير تليفونيا ، وكلفه بأن يقابل

المسجونين نيابة عنه ، ووعدهم بإجابة جميع مطالبهم ، وعدم توقيع اى عقوبات عليهم .

وطلب المسجونون وقف عمليات التعذيب فورا . ووافق الفريق على عامر ..

وطلب المسجونون سحب افراد حرس البسيونى ، وإحلال حراس محلهم من افراد البوليس الحربى ، فوافق الفريق عامر ..

وطلب المسجونون وقف سوء المعاملة المستمر على ادميتهم ، فوافق الفريق عامر ايضا .

واستدعيت على عجل فرقة من البوليس الحربى ، ودخلت مبنى السجن ، ووزعت على المسجونين قطع الشوكلاتة ، وعلب السجائر ، المحظورة عليهم طبقا للائحة حمزة البسيونى .

وسحبت جثة القتيل ، ونقل الجرحى الى المستشفى ، وتم فك أسر الرهائن من الحراس ..

وتوقف الضرب والتعذيب ..

واستمر ذلك لمدة اسبوعين !

وفى اليوم الخامس عشر ، فوجىء المسجونون بانسحاب البوليس الحربى ، وبعودة حرس حمزة البسيونى .. وعاد حمزة البسيونى ليبدأ عهدا جديدا اشد قسوة وإرهابا وتعذيبا ..

وتالفت مجالس عسكرية حكمت على اربعين مسجونا بعقوبات مروعة !

وتم نقل هؤلاء الى المعتقل رقم ٤ ، حيث فتحت عليهم نار جهنم ، ونالوا من العذاب ما لا يصدقه عقل !

وبدات عمليات الانتحار !

لا يمر اسبوع واحد بدون حادث انتحار ، أو حادثى انتحار ! يصعد المسجون الى الدور الثالث لمبنى السجن ، ثم يلقى بنفسه الى الطابق الأرضى ، ليريح نفسه من عذاب حمزة البسيونى وزبانيته ، وكلابه !

ولم تسجل سجلات سجن حمزة البسيونى حادث انتحار واحد !

كان المنتحرون دائما يسجلون فى دفاتر السجن بانهم ماتوا بالسكتة القلبية ، أو ماتوا بالشيخوخة !

مع ان كثيرين منهم كانوا فى العشرين من عمرهم !

* * *

ولعل هذا هو السبب الذى كان يحمل حمزة البسيونى يقول ان المسجونين كانوا يموتون فيه !!!

مصـــرع الســـفاح ..

سجن ليمان طره ..
الجمعة ١٩ نوفمبر ١٩٧١ :
عزيزتي ...
رقصت مصر فرحا .. لمصرع السفاح المجنون :
رقصت مصر فرحا لأن سيارة قتلت رجلا ! كان الناس يتبادلون التهاني في الشوارع . يقبلون بعضهم بعضا . والمصريون مشهورون بالقلب الطيب . لا يشمتون في مصاب . ويترحمون على العدو إذا مات . ويتناسون مظالم الخصم اذا انتقل الى رحمة الله . ولكنهم في هذه المرة خرجوا على طبيعتهم ، ونسوا الحكمة التي تقول « اذكروا محاسن موتاكم » لأن الميت في هذا الحادث لم تكن له محاسن .. على الاطلاق ! كان القتيل اكبر قاتل شهدته مصر ! الرجل الذي دفن عشرات الأحياء تحت رمال صحراء مدينة نصر ، وأعلن أنهم فروا من السجن ! الرجل الذي كان يجلد الأبرياء حتى يتمزق لحمهم . الرجل الذي كان يطرب لصراخ المصلوبين والمعذبين ويقول ان هذا الصراخ أحلى من صوت أم كلثوم وعبدالوهاب ! الرجل الذي سلط الكلاب البوليسية لتنهش لحم المتهمين . الرجل الذي أمر طبيبا مشهورا في الاسكندرية بأن يأكل لحم ساقه . واضطر الطبيب أن يأكل لحم قدمه والسياط تنهال على رأسه ! الرجل الذي كان يحمل الكرباج ، ويثير الفزع في ملايين المصريين ! ما يكاد يذكر اسمه حتى تقشعر الأبدان . ويرتجف الشجعان . ويتهاوى الأقوياء ! الرجل الذي جاء الى السجن الحربي بسكان مدينة كرداسة ، الرجال والنساء والأطفال ، وأمر حراسه بأن يضربوا الرجال بالسياط ويعذبوهم ، أمام زوجاتهم وأمهاتهم وأطفالهم ! الرجل الذي أطلق زبانيته على مئات الأبرياء من سكان

كمشيش بمحافظة المنوفية ، وعلقهم فى السجن الحربى من أقدامهم ، وصلب بعضهم على الجدران ، وأطلق عليهم الكلاب البوليسية تفترسهم ، بينما كان الحراس ينهالون عليهم بالسياط والركل والرفس والضرب ليعترفوا بجريمة لم يرتكبوها . واضطر قاضى التحقيق أن يستغيث بالرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية فى رسالة مشهورة ، يقول فيها أن رجال مخابرات صلاح نصر زاروا زوجة القاضى بعد منتصف الليل وهددوها اذا لم يحكم القاضى بإحالة هؤلاء الأبرياء الى محكمة الجنايات !

وجاءت محكمة الجنايات وبراتهم ، بعد أن ذاقوا عذاب الهون ، ورأوا ما رأته جميلة بوحريد فى سجون الفرنسيين فى الجزائر ، وما عرفه ضحايا النازى فى معسكرات الاعتقال !

الرجل الذى وصفته فى خطابى المشهور الذى كتبته من سجن الاستئناف فى ديسمبر عام ١٩٦٥ الى الرئيس جمال عبدالناصر ، ورويت فيه للرئيس كيف عذبنى هذا الرجل وأطلق على الكلاب البوليسية تنهش جسمى ، وكيف قال لى انه سيقتلنى ويدفننى فى السجن الحربى ، ويعلن اننى حاولت الهرب ، كما فعل مع عشرات من الذين دفنهم تحت رمال الصحراء المحيطة بالسجن !..

الرجل الذى وصفته مجلة « اللقاء العربى » وهى من مجلات الكويت ، بانه عندما يحمل الكرباج يصبح أطول قامة من برج الجزيرة ومن السد العالى ! وأن اسمه كان يبعث الذعر فى جميع القلوب !

الرجل الذى كتبت كثير من الصحف العربية ، من الخليج الى المحيط ، فى الشهور الأخيرة تطالب بمحاكمته بناء على التهم الخطيرة التى ذكرها سعيد فريحة فى مذكراته فى الأنوار ! من هو هذا الرجل ؟ انه اللواء حمزة البسيونى قائد السجن الحربى فى القاهرة !

كان الناس جميعا يتحدثون فى الشهور الأخيرة ماذا سيكون مصير هذا الرجل بعد أن أعلن الرئيس أنور السادات سيادة القانون ؟ وبعد أن وافق الشعب بأغلبية حوالى مائة فى المائة على الدستور الجديد الذى نص بأن « عقوبة الذين ارتكبوا جرائم التعذيب لا تسقط بالتقادم » . وكان الناس يتساءلون هل سيقدم اللواء حمزة البسيونى الى محاكمة علنية ، وهل سيمثل الضحايا أمام المحكمة يشهدون بالجرائم البشعة التى ارتكبها حمزة البسيونى . ان علامات التعذيب لا تزال ظاهرة فى اجساد بعضهم على الرغم من انه مر على بعضها ١٧ عاما ! .. ومر على البعض الآخر ست سنوات !

وفوجيء الناس بالقدر يرد على أسئلتهم ! ففي اليوم الثاني لعيد الفطر ، نشرت جريدة الأهرام في صفحتها الأولى خبرا بعنوان « مصرع حمزة البسيوني » ! وقالت « لقي اللواء بالمعاش حمزة البسيوني ، المدير السابق للسجن الحربي ، وشقيقه عقيد الشرطة السابق مصرعهما أمس عندما اصطدمت سيارته مع سيارة نقل ، كانت تسير في الاتجاه المضاد على الطريق الزراعي بين القاهرة والاسكندرية ، غرب مدينة قويسنا » .

فوجيء الناس بهذا النبأ ، لأن مصرع حمزة البسيوني وقع في أول أيام عيد الفطر ، وهو أول عيد أيضا أمضاه مئات المعتقلين في بيوتهم ، بعد أن امر الرئيس انور السادات بالافراج عنهم ، وكل هؤلاء المعتقلين مروا على كرباج حمزة البسيوني !

وفوجيء الناس بهذا النبأ ، لأن مصرع هذا الجزار وقع بقرب مدينة قويسنا ، في محافظة المنوفية ، نفس المحافظة التي فيها قرية كمشيش ، التي عذب حمزة البسيوني سكانها الأبرياء ، وتفنن في التنكيل بهم !

واختلف الناس : أغلبيتهم تقول ان هذه احدى آيات الله الذي يمهل ولا يهمل !

لطالما دوت في جنبات السجن صرخات الأبرياء تصيح « أنت فين يارب ؟ » !

وإذا بالله يقول لهم « انني هنا في محافظة المنوفية أنتظر حمزة البسيوني ! »

كثير من الضحايا الذين تزعزع ايمانهم ، أعاد لهم هذا الحادث الايمان المفقود ! الحكمة في أن يصرع اللواء البسيوني ، في أول يوم عيد يمضيه المعذبون في بيوتهم مع أولادهم وزوجاتهم وامهاتهم ! . الحكمة في أن يقع هذا الحادث في المحافظة التي يتحدث أهلها عن الأهوال والجرائم التي شاهدوها في السجن الحربي !

وأقلية من الناس تصورت أن الحادث لا يمكن أن يكون قضاء وقدرا ! لابد أن سائق هذه السيارة التي صرعت اللواء حمزة البسيوني هو احدى ضحاياه ، هو قريب لاحدى ضحاياه ، أو مواطن في نفس القرية التي فيها احدى ضحاياه . فلا توجد قرية واحدة في مصر ليس فيها رجل واحد على الأقل ، لم تخلع ظافره ، أو لم يضرب بالسياط ، أو لم تمتهن انسانيته في أحد السجون التي كان يشرف عليها اللواء حمزة البسيوني !

ان الالوف الذين كانوا مسجونين في السجن الحربي يذكرون يوم جمعهم اللواء حمزة البسيوني يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ - قبل النكسة بيوم واحد - ووقف خطيبا يقول لهم :

— اعلموا انني هنا الجزار ! أنا القانون ! أنا الدولة ! أنا الذى أستطيع أن أحيي واميت ! أنا القاضي ! أنا الجلاد ! أنا الطبيب الشرعي أنا أحيي واميت ! أنا الحانوتي الذى يستطيع أن يدفنكم جميعا أحياء ! أنا من رأيي ابادة جميع المسجونين السياسيين . وللأسف لم يأخذ الرئيس جمال عبدالناصر برايي هذا . ولكني في هذا المكان املك السلطات جميعا ! من حقي أن أحكم على أى واحد منكم بالاعدام وانفذ الحكم ! انني لا أتسلم المسجونين بإيصال ! لا أحد يعلم عدد المسجونين عندى ! أستطيع أن اقتل مائة منكم في يوم واحد ولن يحاسبني أحد ! انكم باقون هنا تحت سلطاتي . ولن يخرج منكم واحد حيا من هنا ! أنا اله السجن الحربي !

وبعد مرور اسبوع واحد على هذا الانذار والتهديد والوعيد « الالهي » فوجيء حمزة البسيوني بقرار جمهوري يصدره الرئيس جمال عبدالناصر بطرده من منصب قائد السجن الحربي وإحالته الى المعاش . ثم فوجيء بعد ذلك بالقبض عليه ووضعه في معتقل القلعة ، ثم فوجيء بالتحقيق معه في جرائم التعذيب التى ارتكبها !!

وفجاة صدر الأمر بوقف التحقيق في جرائم التعذيب .. فقد أصر اللواء حمزة البسيوني أن يذكر في التحقيق انه قتل فعلا عددا من المسجونين السياسيين ، ولكنه قتل كل واحد منهم بأمر صدر له من أحد مراكز القوى . وكان يحدد اسم كل قتيل وإسم الكبير الذى أصدر أمره بالقتل أو التعذيب ! ورات مراكز القوى وقتئذ ان التحقيق في هذه الجرائم سوف يدخلهم جميعا في قفص الاتهام . ولهذا أسرعوا بالأمر بحفظ التحقيق . وبقى اللواء حمزة البسيوني معتقلا في القلعة ، ولم يقدم مع الذين حوكموا في قضية المشير عامر ، مع صلاح نصر ، وشمس بدران وزير الحربية السابق وعباس رضوان وزير الخارجية السابق ونائب ورئيس الوزراء ، حتى لا يذكر اسماء على صبرى وسامي شرف وشعراوى جمعة الذين تلقى منهم أوامر القتل والتعذيب !!

ثم صدر قرار بالافراج عنه بعد أن أمضى أكثر من عامين في المعتقل . ولم يفرح اللواء حمزة البسيوني بالافراج عنه . كان في عالم الحرية يموت كل يوم من الرعب ! لا يستطيع أن يمشي وحده في الشارع . لا يستطيع أن يخرج من بيته في المساء .. لا يستطيع أن يفتح باب بيته لأى طارق . كان

يعتقد أن أحد الذين عذبهم سوف يقتله انتقاما لجرائمه البشعة !
وفقد أعصابه . أصبح يحدث نفسه كالمجنون . كان يقول لكل من يراه انه مظلوم ! انه كان ينفذ أوامر صريحة صدرت اليه .
كان مضطرا أن يطيع الأوامر بالقتل وإلا قتلوه ! وكان يرى أحلاما مفزعة . أن أشباحا تطارده . أن أيادى قوية تخنقه . أن سياطا تنهال عليه !
وذات يوم دخل اللواء حمزة البسيونى غرفة الزوار فى سجن طره ، ليزور ابن عمه الصاغ عزيز العقاد البسيونى ، المحكوم عليه بالسجن المؤبد ، فى جريمة تهريب المخدرات .. وفوجىء بى فى نفس الغرفة ومعى أسرتى تزورنى فى السجن . وهجم اللواء البسيونى على وراح يقبلنى ويعانقنى ويقول لى :
— انا لم أعذبك ! ان كل ما فعلته هو أننى جئت بمسدس وصوبته على رأسك ، وهددتك بالقتل !
قلت له فى هدوء : انك سلطت على الكلاب البوليسية وصلبتنى ، وقلت لى انك ستقتلنى وتدفننى فى السجن كما دفنت عشرات ، وقلت انهم هربوا من السجن .
وبكى اللواء حمزة البسيونى وقال :
— والله هذه كانت أوامر ! كنت أنفذ الأوامر ! سامحنى ! سامحنى ! سامحنى !
قلت له : أستطيع أنا أن اسامحك .. ولكن من الذى يستطيع أن يسامحك باسم عشرات القتلى الذين دفنتهم !
وعاد اللواء حمزة البسيونى يقول وهو فى حالة تشنج ، وهو يرتجف زائغ البصر :
— كانت أوامر ! كنت انفذ الأوامر . لو حاكمونى فسأقول لهم اسم كل من أصدر لى أمرا بالقتل والتعذيب !

* * *

ان ضحايا حمزة البسيونى لم يكونوا من فئة واحدة أو من حزب واحد ، كان بعضهم من الاشتراكيين ، وبعضهم من الشيوعيين وبعضهم من الاخوان المسلمين ، وبعضهم من المستقلين وبعضهم من الوفديين ..
ولابد أن اسم حمزة البسيونى سوف يدخل التاريخ ! ان بعض الكتاب والصحفيين الذين حضروا المذابح يستطيع أن يكتب عن مذابحه التى رآها بعينيه . ان الشاعر معين بسيسو الفلسطينى يستطيع أن ينظم

الملاحم الشعرية فى وصف ما رآه من اهوال تشيب لها الرؤوس ! ان كثيرين من الصحفيين والكتاب والأدباء والشعراء المعروفين مروا بسياط حمزة البسيونى !

* * *

وحدث أن حفر أحد المحكوم عليهم فى المحاكم الاستئنافية قصيدة حفرها باظافره على جدران زنزانته فى السجن الحربى . وكانت القصيدة تقول :

صاح فى وجه القضاة ..
لن تتموا المهزلة !
واستبدوا بحياتى ..
واقيموا المقصلة !
غير انى لن ادافع ..
لن أقول كلمة !
ياشياطين المدافع ..
كيف صرتم محكمة ؟

وكتب على جدار آخر :

هاتوا الحبال من الأشواك ، واجتمعوا ..
لدى الحبال ، وهاتوا من تشاؤونا ..
وعالجوا الشنق فى صمت وفى حذر ..
من الرعاع فقد لا يستريحونا ..
أتشنقون أمام الشعب قادته ؟
وتجعلون من الاعدام قانونا ..
أتعدلون ؟ فياتى عدلكم عجبا ..
من فاته الحبل . يقضى العمر مسجونا !
أتعقلون ؟ لقد ضلت عقولكمو ..
معنى العقول ، فعدوا الشعب مجنونا ..

وعلم اللواء حمزة البسيونى بأن هاتين القصيدتين محفورتان على جدران الزنازين ، فامر بإرسال عدد من المسجونين لتغطية القصيدتين بالبياض ..

وإذا بالمسجونين يحفظون القصيدتين .. ويلحنوهما .. وتصبح كلماتهما النشيد الذى يردده المسجونون السياسيون فى زنزاناتهم ..

وهذا هو السر فى ان مصر رقصت عندما سمعت بمصرع السفاح المجنون !!!

الحياة بغير جريدة !

سجن القبة .

نوفمبر سنة ١٩٦٥

عزيزتي .....

مكثت أربعة أشهر فى سجن المخابرات لا أقرأ جريدة واحدة ، ولا كتابا واحدا ! كنت اشعر كأننى الميت الحى . الصحفى الذى يعيش بلا صحف والكاتب الذى يعيش بلا كتب هو أشقى رجل فى العالم . اننى اشبه الانسان الذى يعيش بلا طعام .. أربعة شهور بلا طعام !

وكان يحدث مِن وقت إلى آخر أن أجد صفحة من جريدة ملقاة فى صندوق القمامة فى السجن . كنت اقوم بعدة حركات بهلوانية حتى احصل على الصفحة الممزقة ، واخفيها ، وأذهب إلى التواليت ، وأغلق الباب ، وأفردها فى حذر ، ثم اقرأها . وأحس بسعادة عجيبة والصفحة الممزقة فى يدى ، كأننى رأيت ليلة القدر !

وذات يوم وجدت ورقة لف فيها الحراس « طعمية » وبقايا الزيت تغطى سطورها .. تظاهرت اننى أربط الحذاء ، وانحنيت على الأرض ، والتقطت الورقة ودسستها فى جيبى ، ودخلت التواليت ، لأقرأ السطور غير المطموسة ..

ووجدتها « البقية » من الصفحة الأولى . واستطعت أن أفهم من سياق الكلام أن زكريا محيى الدين ألف وزارة ، وقرأت أسماء بعض الوزراء الجدد ، واستنتجت أسماء الوزراء المنشورة فى الصفحة الأولى التى لم تقع فى يدى !

وفى بعض الأحيان كنت أتظاهر بالنوم ، ويجلس الحراس يتهامسون ، فاستطيع أن التقط من كلامهم بعض الأخبار التى قرأوها فى الصحف ! بل

كنت أتتبع مباريات الكرة من أحاديثهم التى يتبادلونها .
وكانت التعليمات المشددة هي أن أعيش في ظلام . ألا أعرف أى شيء عما يجرى في بلادى . وكان هذا الأمر يعذبنى تماما كالضرب والصفع والركل بالأقدام !
ولقد عرفت وأنا في سجن المخابرات أن مصطفى النحاس قد توفى إلى رحمة الله . وحزنت كثيرا عليه . وأسفت اننى لا أستطيع أن أكتب رثاء له ، لقد أحببت هذا الرجل وحاربته . وسجنت من أجله . وفصلت من المدارس من أجله . واختلفت معه في الرأى وهاجمته وهو رئيس حكومة . فلم يفكر في أن يضعنى في السجن ، ولو كنت كتبت اليوم عن سكرتير أحد الوزراء ما كتبت عن رئيس الحكومة مصطفى النحاس ، لشنقونى ، أو أعدمونى رميا بالرصاص !
ولقد قبض على في عهد النحاس سنة ١٩٥١ ستا وعشرين مرة . ولكنى كنت أدفع كفالة ، وأخرج من السجن ، ولم يفكر النحاس أن يدبر لى تهمة ، أو يحاكمنى على جريمة أنا برىء منها .
من حق النحاس على أن أشيد به وأنا مسجون وأن أذكره كرجل قاد كفاح هذه الأمة ، وضحى في سبيلها . ونفى من أجلها . وحمل الزعامة بعد سعد زغلول . وكانت نهايته هى نهاية الديمقراطية .
ولقد أسعدنى أن الملايين خرجت لتشييع جنازته ، وحزنت أن الصحف لم تخصص الصفحات للحديث عن تاريخ هذا الرجل وأمجاده ، التى هى تاريخ شعب مصر وأمجاد شعب مصر ..
وشعرت أن الزبانية هنا فزعوا من خروج الشعب كله لتحية الزعيم الكبير الراحل . واعتبروا هذه الجنازة الشعبية الهائلة ثورة على النظام ، وانفضاضا عن الحكم . وقال لى أحدهم أن الأمر صدر بالقبض على كل من سار في الجنازة !! قلت له ساخرا : هل ستقبضون على ثلاثة ملايين ! ان السجون والمعتقلات مزدحمة ولا يوجد فيها أماكن خالية ! قال لى : هل كنت ستشترك في تشييع الجنازة . قلت : لولا اننى مسجون لسرت في الجنازة !
قال ضاحكا : وكنا قبضنا عليك !
ثم ذكر لى الزبانية أشياء أذهلتنى ! قالوا أن الأوامر صدرت بالقبض على مئات من الوفديين المعروفين بتهمة انهم مشوا في الجنازة ! ولم أكن أعلم أن الوفاء أصبح جريمة في هذا البلد ! وقال لى الزبانية أن الذين قبض عليهم لن يخرجوا من المعتقلات أحياء ! وأن القرار يقضى باعتقالهم إلى

الأبد ! قلت : أنتم لا تملكون الأبد الله وحده الذى يملك الأبد !
وضحك الرجل ساخرا من سذاجتى !
وقد حدث فى هذه الفترة أن دخل وكيل المخابرات إلى زنزانتى ، وقال لى أن الأمر قد صدر بأن تحذف جملة « أسسها مصطفى أمين وعلى أمين » المكتوبة تحت اسم « أخبار اليوم » و « الأخبار » .
وسكت ولم أقل شيئا ..
وقال وكيل المخابرات : لماذا سكت ؟ تكلم ! قل رأيك فى هذا القرار .
قلت له : رأيى أن هرم الجيزة الأكبر ليس مكتوبا عليه اسم خوفو .
وبهت وكيل المخابرات من ردى ولم يقل شيئا !
وقد تصور المسكين اننى سوف انهار عندما أعلم أن اسمى واسم أخى حذفا من الصفحة الأولى من جريدة « أخبار اليوم » وجريدة « الأخبار » !
ان اسم سليم وبشارة تقلا مؤسسى الأهرام منشور فى صدر جريدة الأهرام ، وإسم أميل وشكرى زيدان مؤسسى « المصور » و « الكواكب » و « حواء » فى صدر هذه المجلات وإسم روزاليوسف مؤسسة روزاليوسف ، وإسم محمد التابعى مؤسس آخرساعة .. هل يتصور الذى أصدر هذا القرار أن الناس سوف ينسون من أسس أخبار اليوم والأخبار ؟
وسيجىء يوم يعود اسمى وإسم أخى من جديد .. فلابد أن تشرق الشمس من جديد !!!
وكان مما يضايقنى فى سجن المخابرات أنهم كانوا يتحكمون فى السجائر التى أدخنها . قبل دخولى السجن كنت أدخن ست علب سجائر كل يوم . وقرروا أن يعطونى أربع علب سجائر فقط . كنت أقوم بعدة عمليات حسابية واقتصادية لتكفينى ٨٠ سيجارة فى اليوم بدلا من ١٢٠ سيجارة . وفى بعض الأحيان كانوا يتعمدون أن ينسوا أن يعطونى ما أستحق من سجائر يشترونها من حسابى .
ولكيلا أعرض نفسى لهذا العذاب المستمر ، كنت أوفر السجائر وأخفيها فى أمكنة مجهولة ، لكى أستعملها فى الأيام التى يحرموننى فيها من تدخين السجائر .
والذى لا يدخن السجائر لا يتصور العذاب الذى يحس به المدمن عندما تتأخر السيجارة ! وخطر ببالى أن أقاوم بأن أمتنع عن التدخين على الاطلاق . ولكن الظروف المريرة التى كنت أعيشها فى سجن المخابرات جعلتنى أعجز عن الاقلاع عن التدخين .

وكان مما يعذبنى أنهم لم يسمحوا لى بأن أحمل علبة كبريت أو ولاعة !

وكانوا يقولون انهم يخشون أن أحرق نفسى ! ولكنهم فى الواقع كانوا يتعمدون اذلالى ! فكان الحراس يحملون الكبريت ، ويغلقون عليه بالمفتاح فى درج مكتب بالصالون وكلما أردت أن أشعل سيجارة ذهبت إلى رئيس الحراس ، فيخرج المفتاح ، ويفتح الدرج ، ويشعل لى الكبريت .. وبقيت فى هذا العذاب إلى أن جاء الشتاء ، وأحضروا مدفأة كهربائية ، فكنت أشعل ورقة منها ، وأشعل السيجارة .. فقد كانوا يتعمدون أن يدعوا فى بعض الأيام أن الكبريت نفد لمدة ٤٨ ساعة ! وقد تبدو هذه مسائل صغيرة ، ولكنها تحطم أعصاب المسجون الذى أمضى أربعين يوما يتنقل بين مختلف وسائل التعذيب ، ثم يتوقف التعذيب الجسمانى ليبدأ التعذيب النفسى .

وكانت هذه احدى الوسائل التى لجأوا اليها لتحطيم أعصابى ، وإثارتى ، وعلمهم اننى مدمن على التدخين أوهمهم أنهم وضعوا أصبعهم على نقطة ضعفى ! وهم مثلا يعلمون أننى مريض بالسكر ، والمفروض أن مريض السكر يتناول طعامه فى أوقات منتظمة ، وكان يحدث أن يتعمدوا أن يجيئوا لى بطعام الغداء فى الساعة الخامسة بعد الظهر فى بعض الأحيان ، ويجيئوا بالعشاء فى الساعة الثانية صباحا . وفى أيام أخرى يجيئون لى بالغداء فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، ويجيئون بالعشاء فى الساعة الخامسة والنصف من نفس اليوم ! وكان اعتذارهم دائما أن السيارة التى يرسلونها لشراء طعام المسجونين مشغولة فى أعمال هامة ، أو انها تعطلت فى الطريق !

وكان يسعدهم أن يتحكموا فى كل شىء حتى فى الموعد الذى أغسل فيه وجهى ، أو فى الوقت الذى أذهب فيه الى دورة المياه ! فإذا طلبت أن أذهب إلى دورة المياه فى ساعة معينة ، لم يسمحوا لى بالذهاب إلا بعد سؤال عدد من المسئولين ، وكانوا يذكروننى بالتركى المفلس الذى وضع أمامه عددا من القلل فى ميدان السيدة زينب ، وراح يأمر المارة العطاش أن يشربوا من هذه القلة ، ولا يشربوا من القلة الأخرى !

وكان ممنوعا على الحراس أن يكلمونى ، فإذا ضبطوا حارسا يتحدث الى وضعوه فى السجن ، وجاء وقت أحسست فيه أننى نسيت الكلام !

وفى أوائل أيام سجنى نمت على الأرض ، وكانت أرض الزنزانة التى يعذبوننى فيها من الأسفلت ، وكنت أشاهد أثناء نومى فأرا ضخما ، هو أكبر وأضخم فأر رأيته فى حياتى ، يسير على جدار السقف ذهابا وإيابا !

وانني أعتقد أنه فأر مدرب ، جاءوا به ليملأوا قلوب المسجونين بالفزع !

وعندما نقلت إلى الطابق الأعلى ، بعد انتهاء التعذيب ، لاحظت أن أرض غرفة نومى والصالون من خشب الباركيه ! ومن العجيب انهم كانوا إذا غضبوا على نقلونى إلى الزنزانة فى الطابق السفلى لأنام على الأسفلت ، ثم أعادونى فى اليوم التالى الى جناحى الخاص لأنام فى السرير ! وأمضيت عدة أيام « طالع نازل » أنتقل بين الباركيه والسرير وبين الأسفلت الرطب بغير توقف !

وفى سجن المخابرات كان رئيس الحرس اسمه « على أمين » وتصور فزعى عندما استيقظت ذات صباح على صوت حارس يقول « تعال ياعلى أمين » تصورت انهم خطفوا أخى على من لندن ، ووضعوه فى صندوق ، ونقلوه إلى سجن المخابرات . ثم حمدت الله عندما عرفت أن على أمين هذا هو رئيس حراس احدى الدوريات ! وكنت أشعر بسعادة غريبة بعد ذلك أن سمع اسم على أمين يتردد فى السجن بالليل والنهار ، وفى بعض الأحيان كان الحراس يداعبونه وينادونه « يافكرة » !

ولقد استطعت أن أكتسب صداقة بعض الحراس وبعض الضباط فى سجن المخابرات . كل واحد منهم يتلفت يمينا ويسارا قبل أن يقول كلمة طيبة ، أو يقوم لى بعمل انسانى ! قال لى أحد الضباط أن الأوامر التى عندنا هى أن نحطمك ! ولكننا عجزنا عن تحطيمك . أن أعصابك القوية تذهلنا . ما الذى يجعلك بهذه القوة ؟ قلت ايمانى بالله وثقتى ببراءتى !

والعجيب انهم رفضوا أن يسلمونى المصحف الذى صحبته معى ! تصوروا أن كتاب الله سوف يقوينى ! ونسوا أن هذا الكتاب فى دمى !

๑ ๑ ๑

دعوة إلى حفلة تعذيب !

سجن القبة
٣٠ يوليو سنة ١٩٦٥
صديقى العزيز ....

كنت ألح على المسئولين فى سجن القبة أن ينقلونى إلى أى سجن آخر ! أى سجن مدنى ! وكانوا ينصحوننى بمزايا البقاء فى السجن الحالى . كانوا يقولون أنه أفضل من أى سجن آخر . أفضل من سجن مصر وسجن القلعة وسجن الاستئناف ! هذه السجون مليئة بالبق والحشرات وكنت أقول لهم اننى أفضل البق والحشرات على زبانية السجن الحالى ، لقد انتهى تعذيبى بعد ٤٠ يوما . ولكن تعذيب الآخرين لم ينته بعد . كل ليلة أسمع صراخا وعويلا .. أصوات رجال تتلوى من العذاب ، وأصوات أطفال ونساء تعول وتئن أنينا يفتت الأكباد . لا أعرف هل هذه أصوات حقيقية ، أم هو شريط مسجل يديرونه طوال الليل ليحطموا أعصابى وأعصاب المسجونين معى .

لقد توطدت صداقتى ببعض الضباط ، فكانوا يصحبوننى للتفرج على بعض حالات التعذيب ، تماما كما يدعو الانسان صاحبه للذهاب الى مسرح أو سينما أو مباراة كرة قدم !

وذات يوم رأيت أحد هؤلاء الزبانية وهو يضرب شيخا مسكينا بعصا غليظة تشبه « يد المقشة » وكان ينهال على ظهره بالضرب المبرح . وكان يبدو على الجلاد سعادة وغبطة ، والشيخ المسحوق يتلوى أمامه من العذاب ، وانكسر العمود الفقرى للشيخ ، وانكسرت العصا ولم يتوقف الجلاد عن الضرب . طلب عصا أخرى .. وأغمى على الشيخ المضروب ، ورأيت الدم ينزف من فمه ومن كل مكان فى جسمه . وكان يقف بجواره طبيب . نعم طبيب ! وكان الطبيب يكشف على الشيخ المجروح وعلى قلبه ، ثم يقول « مازال يتحمل ! » ويستأنف الزبانية الضرب !

وانتهى الشيخ . لم يبق فيه مكان لم يجرح . تحول الشيخ كله إلى جرح واحد وأحسسنا جميعا أنه سيسلم الروح . ثم رأيت الجلاد يحيط كتفي بذراعه ويقول لى : تعال نذهب إلى غرفتك !

وفزعت ! لسعتني يده وكأنها عقرب ، وسألته وكأنني أستغيث منه : لماذا تريد أن نذهب إلى غرفتي !

قال الجلاد ببساطة : لأصلى !

— تصلى ؟ هل تصلى بعد كل هذا ؟

وضحك الجلاد وهو يقول :

— دى « نقرة » ودى « نقرة » !

لا يمكن أن يقبل الله صلاة جلاد توضأ بدم الذين عذبهم ؟

ولكن للجلادين فلسفة غريبة ! أن الغرف التى يعذبوننا فيها يعلقون فيها لافتة كبيرة مكتوبا عليها « الله » !

. . . .

وأذكر ذات يوم وهم يعذبونني ، ويخلعون ملابسى الخارجية ، ويجردونني من ملابسى الداخلية ، ويشدون شعر جسدى ، وينزعونه بأصابعهم ، ثم ينهالون على ضربا وصفعا وركلا !

ان قلت لهم : هذا لا يرضى الله ؟

قالوا ضاحكين : . . . .

وذات مرة قلت لهم وهم يصلبونني على الجدار : هذا ضد ميثاق حقوق الانسان الذى قررته الأمم المتحدة !

وقهقهوا ساخرين وقالوا :

— حقوق الانسان الذى قررته الأمم المتحدة ؟ لا يوجد فى هذا السجن أى شىء اسمه حقوق الانسان !

كانوا يتصرفون معى وكأنهم ملكوا الأرض ومن عليها . لا سلطان عليهم ولا سلطان الضمير ! كانوا يتفرجون على عمليات التعذيب وكأنهم يتفرجون على رواية مضحكة فى فرقة نجيب الريحانى !

وتجد بين هؤلاء الزبانية بعض الناس الطيبين ، ولكنهم يخفون طيبتهم وكأنها جريمة مروعة أو كأنها الاثم الكبير !

وفى غرفة التعذيب مرآة كبيرة جدا تملأ الجدران . ويجىء الزوار الكبار ويقفون خلفها ، ويتفرجون على عملية التعذيب ، دون أن يراهم الذين فى غرفة التعذيب .

وهذه المرآة أشبه بالمرارة التى يضعونها فى بيوت الدعارة فى أوربا ، حيث يستطيع السياح أن يشهدوا العمليات الجنسية ، بغير أن يراهم الذين يرتكبون الخطيئة داخل غرفة النوم !

كانوا على حق فى الاستعانة بهذه المرآة فى غرفة التعذيب ، فقد كانت عملية زنا بالعدالة !!! ..

ooo



إلى سجن الاستئناف

سجن الاستئناف :

أول ديسمبر سنة ١٩٦٥ :

أحسست أنهم سينقلونني من سجن القبة إلى سجن آخر .. صدرت الأوامر بأن يخفوا عنى هذا النبأ ، ولكنى استطعت بخبرتي الصحفية أن أعرف الخبر الذى أخفوه-!

وكتمت فرحتي بالخروج من هذا السجن الرهيب ، خشية أن يصدر أمر بمد اقامتى !

بل انني شكرتهم على حسن الضيافة ! ضيافة التعذيب والتجويع والضرب والاهانة والتلفيق وشتم أمي !

ومازلت أذكر عندما انهالوا على ضربا وصفعا وصلبا ، وبقيت صامدا .. ولكنهم عندما قالوا لى أن أمي عاهرة وجدت نفسى أبكي كالأطفال

وذهل الزبانية وقالوا لى كيف لا تبكي ونحن نعذبك كل هذا العذاب ، ثم تبكي لأننا شتمنا أمك !

ولم يعرفوا كم أحب أمي !

واستعد سجن الاستئناف لاستقبالى يوم ٣٠ نوفمبر وكان من المقرر نقلى فى هذا اليوم ، وجمعت ملابسى ، وأعددت حقائبى . ولكن فجأة صدر الأمر بتأجيل نقلى الى اليوم التالى . ولم أعرف السبب . ولكن أحد أصدقائنا الحراس قال لى أن المخابرات تلقت أنباء مؤكدة بأنها تخشى أن تخطفنى طائرة هيلوكبتر !

وتقرر التأجيل حتى تعد الحراسة الكافية من بناء المخابرات بجوار سراى القبة الى سجن الاستئناف فى باب الخلق .

وجاء الضابط سيد زكى من المباحث ليصحبنى ، ووضعوا فى يدى القيود الحديدية . ثم وضعونى فى سيارة بوكس فورد مع عدد من الضباط الذين يحملون المسدسات ، وعدد من الجنود الذين يحملون المدافع الرشاشة . وأسدلوا ستائر سوداء على السيارة ونوافذها ، حتى لا يرانى أحد بداخلها ! وتقدمتنى سيارة نجدة ، فيها اذاعة تخطر الجهات المختلفة بتحركات الموكب ! وسارت خلفى سيارة فيها عدد من ضباط المخابرات وحرس الأمن التابع للمخابرات .

وبدلا من أن تسير السيارة فى الشوارع الرئيسية من القبة إلى باب الخلق ، اتجهت إلى عدد من الشوارع الجانبية والخلفية .. كل ذلك خشية أن يرانى الناس !!

وعجبت أن يذعر الظالم المدجج بالسلاح من المظلوم المجرد من السلاح !

أيكون الظلم يخيف الظالم أكثر مما يخيف المظلوم !؟

ووصلت الى سجن الاستئناف ، ورأيتهم قد وضعوا فوق سطح بناء المحافظة المجاور للسجن ، عددا من الجنود الذين يحملون المدافع الرشاشة .

وعندما وصل البوكس فورد الى باب سجن الاستئناف أصر ضباط المخابرات ألا أغادره فى الشارع ، وطلبوا أن يدخل « البوكس فورد » الى داخل فناء السجن ، ولا أنزل أمام باب السجن خشية أن يرانى أحد ! وحاول البوكس أن يدخل من الباب فلم يستطع وتكررت المحاولة عدة مرات ! وفى هذه الأثناء أخلى الجنود الشوارع المحيطة بالسجن من الناس ، وأخلوا حوش السجن من المساجين ، ولا أعرف لماذا يريدون اخفائى ؟ هل بلغت بهم السذاجة أن الناس سوف تتظاهر لى ؟ أن الرعب يملأ كل القلوب . الخوف عقل كل الألسنة . الارهاب أصاب الناس بالشلل .. لن يتحرك أحد من أجلى . كل ما سوف يفعله آلاف الناس أن يصلوا من أجلى .. ولكن حراسى يخيفون الناس وهم أشد منهم رعبا !

وعندما وصلت الى سجن الاستئناف . واختلطت بالمسجونين السياسيين وغير السياسيين قالوا لى أن السجن قائم على قدم وساق لاستقبالى منذ يومين .

وصدر الأمر للشاويش فتيحة والشاويش أحمد رجب ـ من سخرية القدر أن صديقى احمد رجب أصبح سجانى !! ـ صدر الأمر بإعداد زنزانة لى .

وصدر الأمر بأن تكون هذه الزنزانة بعيدة عن باقى الزنزانات . لا أحد فى الزنزانة التى على يمينى . ولا أحد فى الزنزانة التى على يسارى . وصدرت الأوامر المشددة بأن تغلق جميع الزنزانات الأخرى بالمفاتيح ، حتى لا أرى أحدا من المسجونين عند دخول الزنزانة ، وألا يرانى أحد !

وكانت التعليمات للسجانين ألا أتحدث مع سجين ولا يحدثنى سجين ، وأن أخرج الى دورة المياه فى الصباح ، فى صحبة شاويش وباشجاويش ، ويبقيا معى فى دورة المياه ، ثم يعودا بى إلى زنزانتى ، ويغلقا الباب بالمفتاح !

وصدرت الأوامر بألا يحدث هذا إلا بعد التأكد من أن جميع المسجونين داخل زنزانتهم !

وقيل لى أنه قبل وصولى صدرت الأوامر بأن أنام على « برش » على الأرض ، وتصرف لى بطانية واحدة .

وسمع المسجونون بذلك وثاروا . وقالوا أنه لا يمكن أن أنام على برش ، على الأسفلت ، بينما كل المسجونين السياسيين فى نفس الطابق ينامون على السرير !

وقيل لهم أن هذه هى الأوامر !

وفجأة وصل وكيل مصلحة السجون الى السجن وطلب أن يرى الزنزانة التى ستخصص لى ثم أصدر أمره بإحضار سرير جديد ، ومرتبة جديدة وأن توضع مائدة فى الغرفة وكرسى ولمبة كهربائية .

وذهل المسجونون والسجانون والضباط لهذه الأوامر الجديدة ، وذهلوا أكثر عندما وقف وكيل المصلحة فى زنزانتى يشرف على نظافتها ويأمر بأنه يجب أن تكون الزنزانة محترمة ولائقة !

ولم أعرف من الذى أصدر الأمر الأول أن أنام على الأسفلت ومن الذى أصدر الأمر الثانى بأن أنام على السرير !

وقال لى أحد الضباط هامسا أنه سمع أن الصحفيين الأجانب طلبوا أن يروا الزنزانة التى نقلوك إليها .. وأنه يخشى أن يكونوا وضعوا السرير حتى يراه الصحفيون الأجانب ، وبعد الزيارة سوف يسحبون السرير ، ويتركوننى أنام على الأسفلت .

◉ ◉ ◉

رسالة
إلى الرئيس عبدالناصر

سجن الاستئناف :

فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٦٥

سيادة الرئيس جمال عبدالناصر

لم أفتح فمى ، ولن أفتحه أبدا . حتى لو وقفت على حبل المشنقة .. اننى مؤمن بأنه إذا عرف الرأى العام العالمى جرائم التعذيب التى تعرضت لها ، فسوف تسىء إلى صورة بلادى ، وتخدم أعداءها ، هذه الصورة التى بذلت شبابى ودمى وأعصابى وحياتى من أجل أن تبدو أمام العالم فى صورة الأمة المتحضرة المجيدة .. فلا أريد أن يكون السيف الذى كان فى يد بلادى خنجرا يغمد فى ظهرها .

ولكننى لا أكتب إليكم دفاعا عن نفسى ، وإنما أكتب إليكم دفاعا عن بلادى . فقد تبينت فى الشهور التى أمضيتها فى المخابرات ، أن هذا الجهاز ، فى وضعه الحالى ، لا يخدم هذا البلد ، ولا يخدم هذا الحكم ، وإنما هو عصابة تضللكم وتكذب عليكم ، وتخدعكم ، وتزيف الحقائق وتلفق الأكاذيب وتخلق من الوهم قضايا . وأن عمل الجهاز الأساسى هو حماية أصحاب السلطان ، والبطش بكل شخص يتوهمون أو يخشون أن يكشف لكم حقيقتهم ، ويظهر أمامكم جرائمهم .

ولقد كنت قريبا منكم طوال ثلاث عشرة سنة ، وأعرف عن يقين ، أنكم تجهلون هذه الجرائم ولا تتصورون كيف أن أفراد هذه العصابة قد غرقوا فى الشهوات والفساد واستباحة الحرمات والاستهانة بكل مبادىء الشرف ، والاستهتار بقواعد القانون . واننى أعرف أن فضحى هذه الحقيقة قد يكلفنى حياتى ، ولكننى أفضل أن يموت برىء واحد ، على أن يتعرض ألوف الأبرياء لما تعرضت له من تعذيب وتلفيق . بل اننى أعتقد أن هذه

العصابة سوف تعرض هذا البلد الى كارثة كبرى ، فإن الجهاز لا يجيء للدولة بأسرار العدو ، وإنما هو يلفق الأكاذيب للمواطنين . وهو لا يحمي البلد ، وإنما يحمي بعض أصحاب النفوذ والسلطان .

فهذه عصابة توضع على عين هذا الشعب حتى لا يرى الجرائم التي يرتكبها هؤلاء المجرمون من أصدقاء صلاح نصر ومحاسبيه ومؤيديه . وقد يستطيع كل فرد في هذه العصابة ببطشه وسلطانه أن يسكت كل فم يتحدث عن جرائمه ، ويقطع كل يد تشير إلى مفاسده ، ويحطم كل رأس يرتفع أمامه ، ويفقأ كل عين ترى استهتاره وتهتكه . ولكنه لن يستطيع الى الأبد أن يمنع الحقيقة أن تطل برأسها ، وأن تصل إليك وأن تفضح هذه العصابة . ولكني أخشى أن تصل الحقيقة كلها بعد فوات الوقت ..

قبض على يوم ٢١ يوليو . ووضعوا في يدى الحديد . وحملوني في سيارة من الاسكندرية الى القاهرة . ووضعوا على عيني عصابة سوداء . وأدخلوني الى صلاح نصر فقال لى أن الرئيس هو الذى أمر بالقبض عليك لاتصالك بالأمريكي أوديل .

فقلت له أن اتصالى بأوديل لم يكن سرا عليك ، وأنت سألتني من شهور عن أسماء الأمريكيين الذين أجتمع بهم من موظفي السفارة فذكرت لك أسماءهم جميعا ، وفي مقدمتهم أوديل . وطلبت مني أن أسأله عن بعض معلومات عن موقف أمريكا من مصر ، وجئت في مكتبك هنا وأبلغتك ما قاله . وأخذوني الى زنزانة في سجن المخابرات . نزعوا ملابسي . أصبحت عاريا تماما وجهوا الى مصابيح كشافة كادت تعمى عيني . وراحوا يضربونني .. وصلبوني على الحائط وثبتوا كل يد في قيد من الحديد بأعلى الجدار .. ثم راحوا يرفسونني . وتقدموا ونزعوا بأيديهم شعر العانة .. واستأنفوا الضرب والصفع والرفس بالأيدى وبالأقدام وبالعصى . ثم فكوا القيد من يدى ، وربطوا جهازى التناسلي بسلك وجذبوني منه ، وداروا بي حول الغرفة عدة مرات . وفقد بصرى الرؤية . تحولت وجوه الزبانية الى أشباح ثم سقطت مغشيا على .

وأفاقوني ، وبدأوا يضربونني من جديد ، ويشدون شعر بطني وعانتي . وكان العذاب مريعا ، قاسيا ، ومع ذلك تحملته . ولكني لم أحتمل عندما شتموا أمي وقالوا انها شرموطة عندئذ بكيت . ودهشوا أنني لم أبك من الضرب والتعذيب بينما بكيت عندما قالوا أن أمي شرموطة . ولم يشفقوا على حالتي المرضية . لم يشفقوا على سني . لم يشفقوا على دموعي واستمروا في اهانتهم وفي ضربهم وركلهم ولم يكن التعذيب يوما واحدا ..

لقد استمر أيام يوليو العشرة وإلى أواخر أغسطس . كل يوم أعرى وأضرب وأصلب وأتلقى الاهانات والعذاب ..

وقلت مرة لأحد هؤلاء الزبانية : هذا لا يرضى ربنا ؟

فإذا به يقول لى : ربنا محبوس فى الزنزانة اللى جنبك !

وكانت جريمتى عند صلاح نصر أنك رشحتنى مرة مديرا للمخابرات ، واننى أبلغك ما أسمعه من الأخبار والبرقيات التى أعلمها من السفارة الأمريكية . وتذكر سيادتك أنك قابلتنى فى بيتك بمنشية البكرى ، وسألتك هل صحيح أنك رشحتنى مديرا للمخابرات بدلا من صلاح نصر فقلت لى : انك أخبرت صلاح نصر وعلى صبرى بأنك تنوى تعيينى مديرا للمخابرات ..

قلت لك : رحت فى داهية !

قلت لى : ماتخافش ..

قلت لك : اننى لا أصلح إلا صحفيا فقط وأرفض أن أكون مدير المخابرات .

وسألتك مرة : هل أقول لصلاح نصر أخبار الأمريكان التى أقولها لك فلم توافق ..

فقلت لك : أخشى أن يقطع صلاح نصر رقبتى ..

فقلت لى : ماتخافشى ..

ولكن كان تخوفى فى محله .. فقد نفذ صلاح نصر ما هددنى به .

وقال لى الزبانية أثناء التعذيب أننى كنت أبلغك بأخبار المخابرات ورجال المشير الخاصة وبعض مسائل خاصة عن حياة المشير الخاصة . وأقسمت لهم أننى لم أفعل ذلك . ولكنهم لم يصدقوا .

وإننى أصبحت أشعر بأن المخابرات الاسرائيلية تسربت الى جهاز المخابرات المصرية مستغلة جهله وغروره . وقد قلت للزبانية فى أثناء التحقيق انكم تحققون لاسرائيل ما تريد أن تفعله ، أنتم تلفقون على قضية لأننى أنا الصلة التى بين الرئيس وأمريكا . وأنا أقوم بدور فى تخفيف حدة التوتر . فالمقصود بهذا هو أن يعزل الرئيس عن أمريكا ، حتى تنفرد أمريكا بإسرائيل . وبعد ذلك تضربنا أسرائيل . وتكون علاقتنا سيئة بأمريكا ، فلا تكرر ما حدث سنة ١٩٥٦ ، فقال الزبانية : نحن نعرف ما تفعله النملة فى اسرائيل !

فقلت لهم أن فضيحة لافون ، ان اسرائيل أرادت أن تعزل مصر عن أمريكا فأوعزت الى عملائها بإلقاء قنابل على المكاتب الأمريكية فى القاهرة

والاسكندرية ، ليتهم بها المصريون ، وبذلك تسوء العلاقات بين مصر وامريكا . فضحكوا وقالوا ان كل الذى أقوله لا يهمهم ، وإنما الذى يهمهم انني اقول أشياء للرئيس ضد المخابرات وضد رجال سيادة المشير ، فأكدت لهم أنني لم اقل أى كلمة للرئيس ضد المخابرات أو ضد المشير ولكنهم أصروا على أن معلوماتهم تؤكد ذلك .. وهددونى بأن صلاح نصر سيقتلني بالسم ، وقالوا أن لديه سما لا يمكن ان يكتشفه أى طبيب شرعى فى العالم .

وأخذنى حمزة البسيونى إلى السجن الحربى ، وأدخلونى غرفة تعذيب سوداء بلا نوافذ واطلقوا على عددا من الكلاب البوليسية الهائجة ، كانت تهجم على وتمزق ملابسى ، وتركونى تحت رحمة الكلاب ودخل حمزة البسيونى وقال انه سيدفنني بالحياة هناك ، وانه دفن بنفسه عشرات من الأحياء .. وقال أنه سيقتلنى فى السجن الحربى ويقول اننى هربت ..

ويخرج حمزة البسيونى وتدخل الكلاب ، وتتكرر عملية التعذيب ثم يدخل عملاق يرتدى ملابس الجلاد ، ويدور حولى وكانه يعايننى قبل تنفيذ حكم الاعدام ..

وبقيت فى عمليات التعذيب ، لا أعرف الليل من النهار ، وكان يغمى على ثم يحضر من يسعفنى ثم يستانف التعذيب ..

وقال حمزة البسيونى أنه سيخرجنى من هذا الجحيم إذا تعهدت أن أقول لصلاح نصر عن أسماء العصابة ، وراح يهددنى بالقتل لأننى أتحدث عن رجال المشير ..

ونقلونى من السجن الحربى فى سيارة ـ معصوب العينين ـ إلى بناء المخابرات ، حيث بدأ الجحيم من جديد . جردونى من ملابسى ، صلبونى ، ضربونى ، كانوا يتفننون فى وسائل التعذيب ..

وهالنى انهم لم يكونوا يعتبرون ما يفعلون جريمة يعاقب عليها القانون .

كانوا يجيئون بمتفرجين يشهدون عمليات تعذيبى .. شاهدنى ضباط وحراس وعدد من المتهمين فى قضايا اخرى كانت تحققها المخابرات فى ذلك الوقت .. كانوا يتباهون بما يفعلون معى .. كانوا يتفاخرون بجرائم تعذيبهم ..

وأحضروا ثلاثة حراس يلازموننى بالنهار ، وثلاثة حراس يلازموننى بالليل .. مهمتهم أن يمنعونى ان انام او اغمض عينى ، فإذا اغمضت عينى دفعونى بقبضة مسدساتهم حتى لا انام .

عده ايام لم أذق فيها طعم النوم !! عدة أيام حرمت فيها من الطعام !!!
عدة أيام في شهر يوليو وشهر اغسطس لم أذق فيها الماء .. واضطررت أن أشرب من البول .. واضطررت أن أشرب من ماء التواليت من شدة العطش . وكانوا يجيئون بكوب ماء مثلج ويضعونه على المائدة أمامى ، فإذا قدمت يدى لأتناول الكوب ألقاه الضابط على الأرض .

فإذا انكفأت على الأرض أشرب الماء ضربونى ومنعونى من الشرب أو رفسونى حتى أقع مغمى على .

ولم يكن اهتمامهم بالقضية أو التحقيق ، كل ما يهمهم المسائل النسائية . سؤال عن نساء معينات . سؤال عن سيدة معينة ، وهل كان بينى وبينها علاقة ، وهل قالت لى ان بينها وبين شخصية كبيرة في الدولة علاقة ، وهل أخبرت الرئيس بما سمعته عن هذه العلاقة أو علاقات غرامية أخرى للشخصية الكبيرة .. ساعات طويلة .. أحاديث عن الجنس ، وعن أنواع النساء ، وعن مسائل لا يجوز أن يتحدث فيها رجل محترم ..

ولكنى كنت أذهل من اهتمام هذه الأجهزة بمثل هذه المسائل القذرة ، وبكل تفاصيلها وعندما أرفض أن أتحدث في مثل هذه المسائل القذرة يتهمنى الزبانية أننى غير متعاون ويهددوننى بالتعذيب لأننى لا أريد أن أقول لهم عن اسم أدوية يتوهمون أننى أستعملها في العلاقات الجنسية ..

وقال لى أحد الزبانية مرة : أننى سأحضر الى هنا سكرتيرتك وبناتك ، وسأترك العساكر يعتدون عليهن أمام عينيك ..

وفعلا أحضروا سكرتيرتى في الليل الى غرفة بجانب الغرفة التى كنت بها ، وجعلونى أسمع بأذنى صراخها ، وسمعتهم يهددونها بإحضار بناتها والاعتداء عليهن أمامها .

وكنت أسمع طول الليل أصوات أطفال يضربون بالسياط ويبكون ويتاوهون ويصرخون ، ثم اسمع أصوات استغاثة من الزنزانات وبكاء وصراخ وسياط تضرب ، وعصى تحطم الظهور ..

فإذا توسلت إليهم أن ينقذونى من هذه الأصوات ، قالوا لى أنك فقدت عقلك ، وأنه لا توجد أصوات ، وأنك تتخيل اشياء لا وجود لها . ثم جاءوا بمن يشهدون أنه لا يوجد أى صوت .

ثم بعد ذلك يستانفون اخراج هذه الأصوات المرعبة التى تحطم الأعصاب .

ولم أتحمل كل هذا التعذيب ، وتوسلت الى أحد الزبانية أن يعطيني مسدسا أقتل به نفسي ، ولكنهم لم يرحموني .. واستمر التعذيب كل يوم .. لم أعد أعرف متى يبدأ ومتى ينتهي .. كنت أفزع كلما سمعت صوت أقدام تقترب من زنزانتي . كان معنى اقتراب الأقدام أن الزبانية جاءوا ليأخذوني ويصلبوني من جديد .

وصحبوني الى غرفة التعذيب ، وشاهدت بنفسي عمليات تعذيب مفجعة لأشخاص لا أعرفهم .. وجاء أحد الزبانية وقال لى أن هناك سبع عمليات للتعذيب ، وأن كل ما تعرضت له هو العملية الأولى . وهددني بأنني اذا لم أكتب ما يريدون فإنني سأمر على العمليات السبع كلها .

وجاءت النيابة واستمر التعذيب .. كانوا يضربونني قبل التحقيق وبعد التحقيق ، بل ويحدث أحيانا أن يأخذوني أثناء التحقيق الى غرفة مجاورة ويضربوني ، ثم يعيدوني لاستئناف التحقيق .. والغريب أنني لم أستطع أن أنفرد بوكيل النيابة لحظة واحدة .. كان ثلاثة من ضباط المخابرات يحضرون كل تحقيق . وكانوا يجلسون أمامي وورائي ، فإذا لم يعجبهم كلامي زغدوني ، وأشاروا لى ، أو سحبوني خارج الغرفة وضربوني وأعادوا التحقيق ..

وفي نهاية التحقيق أحضروا أشرطة قالوا انها بصوتي ، وعرفت على الفور أنها ملفقة فقد قاموا فيها بعملية مونتاج ، فغيروا وبدلوا وعكسوا ، ونقلوا وحذفوا .. وعلى الفور اكتشفت عملية التزييف .. وشاء الله أن تظهر حقائق واضحة تثبت التزييف . وأردت أن أظهر هذه الأدلة ، فأخذوني وضربوني وعلقوني من جديد ، ومنعوا عني الطعام ، ومنعوني من النوم ومن شرب الماء والتدخين ..

وكان الزبانية يهددونني ويقولون لى لو فتحت فمك عن التعذيب في المحكمة ، أو أمام أى أحد فسنقتلك .. وسنصدر قانونا بمنع المحامي أن يذكر أن هناك تعذيبا يسمح بالطعن في الأدلة التي نقدمها ..

وكنت أنتقل ذهابا وإيابا بين غرفة مريحة فيها سرير وطعام وماء ، وغرفة تعذيب أعلق فيها على الحائط .. إذا كتبت ما يريدون فإنني أستطيع أن أنام على سرير ، وأن آكل ، وأن أشرب الماء ، وإذا رفضت أن أكتب ما يريدون بدأت عملية التعذيب من جديد .

انني أعرف أن أعضاء هذه العصابة أقوياء . وأعرف انهم استطاعوا أن يحطموني وأن يلوثوني ، وأن يلفقوا لى هذه القضية ، وأن يدوسوني بأقدامهم وأن يمنعوني من أن أرفع صوتي للدفاع عن نفسي ، ولكني أعرف أن الله أكبر منهم جميعا ..

د رأيت مرة أحدهم وهو يهددنى بالموت وفوقه لوحة معلق فيها كلمة
« ..

لت له : لقد رأيت من قبل صورة المسيح مصلوبا ..

كن هذه أول ....

كن هذا ليس مهما ..

هم أن تعلم ياسيادة الرئيس أن هذا الجهاز هو جهاز فاسد .. وأنه بالجرائم ، وأنه يلفق التهم ، وأنه يعمل لتضليلك ولخداعك وللكذب ، وأنه يخفى عنك الحقائق ، وأن مهمته أن يلوث كل من يتصور أنه ل لك فى يوم من الأيام حقيقة الفساد ..

نى اخترت من تثق به ليسلمك هذا الخطاب ، راجيا أن تحقق بنفسك ، ى تنقذنى ، فقد يكون الوقت قد فات ، ولكن لكى تنقذ مصر والمصريين هذه العصابة .

أرجو لك التوفيق فى هذه المهمة الصعبة .

ل ما أتمناه عندما تتبين هذه الحقيقة ، أن تترحم على لو كنت ميتا .. ن تذكرنى لو كنت حيا ..

مصطفى أمين

محاربة الزبانية بالضحك

سجن الاستئناف :

أول سنة ١٩٦٦ :

صديقى العزيز ....

ذات يوم قيل لى فى سجن « القبة » أنهم سيعطوننى ورقا وقلما ، وأننى أستطيع أن أكتب ما أشاء !

وفرحت كأنهم أفرجوا عنى !

ثم اكتشفت أنهم سيعطوننى قلمى فى فترة كتابة الخطاب فقط . وتضايقت لأننى كنت أتمنى أن أستطيع أن أكتب من وقت إلى آخر .. ثم أقنعت نفسى بأن الطشاش خير من العمى .. وجلست وكتبت خطابا مطولا من أربع صفحات .

ثم علمت أنهم كانوا يكذبون على ، وأنهم لم يرسلوا الخطاب . وهذا آلمنى ألما شديدا !

وفى مرة أخرى كذب على الضابط ، وأقسم بشرفه ، أن على عاد يكتب فكرة فى الأهرام .. وسررت بذلك جدا .. ثم جاءت الصفحة الأخيرة من الأهرام وقد لفوا فيها طعمية لأحد الحراس ، وألقوها فى التواليت ، وذهبت إلى التواليت ، وأخرجت الصفحة ، ورحت أنشفها ، ثم وجدت أن فكرة غير موجودة !

وكنت أمضى وقتى ألعب بالكوتشينة لعبة الصبر ، كنت أبدأ لعب الكوتشينة من الساعة السابعة صباحا ، وانتهى منها فى الساعة التاسعة ، ما عدا فترات كنت أتمشى خلالها ذهابا وإيابا فى غرفتى . وكانت التعليمات تجىء بألا اقترب من النوافذ ، حتى لا أرى من يدخل ومن يخرج . وكان الحراس بقرب النوافذ لمنعى من الاقتراب ، ولكن أحمد الله على طول قامتى ، فبفضلها كنت أستطيع أن أرى كل الخبايا ،برغم أننى لا أطل من الشبابيك !

ومن الطريف أن جميع الحراس تعلموا منى لعبة الصبر ، وانتشرت انتشارا هائلا فى السجن ! ولكن كانت العقبة أنه توجد كوتشينة واحدة هى التى أملكها ! وقد تهرأت الكوتشينة ، واضطررت إلى عمل عمليات جراحية فيها لترميمها ، ولصق ورق خلفها لأن بعضها تمزق ، وكانوا يقسمون بشرفهم كل يوم أنهم سيحضرون لى كوتشينة جديدة .. ولكنهم لم يفعلوا ذلك أبدا ! وعاشت هذه الكوتشينة معى كل تلك الشهور ، وأردت أن آخذها معى إلى سجن الاستئناف ولكنهم أخذوها منى يوم دخولى ، وأعادوها مع الملابس ، وأنا لا أرغب فى أن ألعب لعبة الصبر الان . فقد كنت محتاجا إليها عندما كانوا لا يسمحون لى بكتاب أقرؤه ، أو جريدة أو مجلة أطلع عليها . حتى القرآن رفضوا أن يعطوه لى ، إلى أن أعطانى أحد وكلاء النيابة مصحفا صغيرا .

ومن متاعبى فى ذلك الوقت الصابون . كانوا يصرفون لى صابونة بعد طلوع الروح . ولكن ما يلبث الحراس أن يقترضوا منى الصابونة ! .. والآن الصابون كفاية .

وكان يضايقنى فى تلك الأيام الغسيل ! وقد تركونى مرة فى شهر أغسطس ارتدى قميصا واحدا سبعة أيام ! حتى تحول لونه الأبيض إلى لون رمادى غامق . وكانوا يعتذرون بأن السيارة التى يرسلونها إلى المكوجى لاحضار المكوى مشغولة فى أعمال هامة !

ومع أن ملابسى كلها كانت موجودة عندهم غير أنهم كانوا يرفضون أن يعطونى قمصان أفرنجى كافية لارتدى قميصا كل يوم ، وتركوا لى مرة جوربا واحدا ، ومكثت شهرا كاملاحافيا ، ارتدى الشبشب واكتفيت بأن ارتدى الحذاء فى المناسبات الرسمية !

أما الان فإن أسرتى تتسلم غسيلى من السجن كل صباح .

وكان الطعام سيئا فى أول الأمر ، ولكنه أحسن كثيرا من الأيام التى أمضيتها بغير طعام على الأطلاق !

وبعد ذلك كانوا يحضرون لى ربع فرخة وجبن روكفور . فى الغداء ومثلها فى العشاء ، فى أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وفى أيام اللحم يحضرون لى نصف رطل كباب . وكان لربع الفرخة لون غريب ، حتى ظننت أنه جاء من المتحف المصرى لا من مطعم ، فقد كانت الفرخة محنطة كأنها مومياء أحد قدماء المصريين ! .

وكنت اكتفى فى بعض الأحيان بأكل العيش والجبن !

أما اللحم فإن أغلبها كفته ودهن وفيها قطعة لحم واحدة سليمة !

ولم يحضروا لى أى فاكهة من يوم أن دخلت إلى يوم أن خرجت !
ولقد كانت أمنيتى أن يسمحوا لى براديو !
وكانوا يعدوننى كل يوم بإجابة سلبى !
ولكنى لم استلم هذا الراديو الموعود ، على الرغم من الحلف والايمان التى كنت اسمعها صباح مساء !
والان فى سجن الاستئناف راديو ليسمعه المسجونون جميعا .
ولم يكن مسموحا بالكلام فى سجن المخابرات .. حتى أن أحد المشرفين واسمه أحمد عاشور جاءنى يقول إن التعليمات صدرت بألا أتكلم مع أحد ، ولا أحد يكلمنى ، حتى أننى إذا قلت له صباح الخير ، فهو يأسف جدا لأنه لن يستطيع الإجابة !
ومع هذه التعليمات المشددة ، أخذت استدرجه ، وادحرجه ، حتى أوقفوه عن العمل ١٥ يوما لكثرة كلامه !
وجرى مرة تحقيق مع أربعة حراس . لأن الضابط ضبطنا فجأة ونحن نضحك !!!
وكان سين وجيم . ومحاضر تحقيقات ، واختلق الحراس بأنهم كانوا يضحكون على نطق أحد الحراس لأنه بورسعيدى !
ومع ذلك خصم السجن مرتباتهم كلهم ! ولم أكن أعلم أن الضحك أصبح ممنوعا فى بلادنا !
وحدث أن كان هناك حارس ثقيل جدا . يرعب المسجونين ، وهو من أقاصى الصعيد اسمه « سيد » .
وأطلقت عليه إشاعة أنه كان فى بلدهم ومرض فأرسل إلى مدير السجن برقية يقول . « ملازم الحصيرة لا أستطيع الحضور » . ولم يكتب فى البرقية « ملازم الفراش » لأنه ينام فى بيتهم على حصيرة !
وسرت هذه الحكاية فى السجن ، وأصبح سيد هذا أضحوكة بدلا من أن كان شيئا مرعبا !
ورويت عنه مرة حكاية أخرى ...
وهو أنه سافر إلى باريس فى مهمة ..
وبينما هو يسير فى الشانزليزيه رأى ميزانا مكتوبا عليه « إذا دفعت فرنكا ووقفت فوق الميزان يقول لك الميزان من أنت ومن أى بلد أنت ... وإلى أين أنت ذاهب .. »
ودفع سيد فرنكا ووقف على الميزان !
وقال الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة أبو جرج فى مديرية

المنيا .. ومسافر الليلة إلى مصر فى الساعة الثامنة بالطيارة . وذهل سيد .. وترك الميزان ، واشترى قبعة ، وارتداها فوق رأسه ووقف على الميزان ودفع فرنكا ..

وقال الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة أبو جرج فى مديرية المنيا ومسافر الليلة فى الساعة الثامنة بالطيارة ..

وذهل سيد ... وذهب إلى الفندق وقرر أن يتنكر ، فوضع فى وجهه لحية كبيرة ، وعلى عينيه نظارة سوداء ، وغير فى ملامح وجهه ، وأبدل بذلته وعاد إلى الميزان ، ووقف عليه ، ودفع فرنكا .

وقال الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة أبو جرج فى مديرية المنيا ومسافر الليلة إلى مصر فى الساعة الثامنة مساء .

وزاد ذهول سيد ..

وقرر أنه لابد من خديعة الميزان ، فارتدى ملابس سيدة ، ووضع على رأسه باروكة ، وذهب إلى الميزان ، ووقف عليه ، ووضع فرنكا .

وصاح الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة جرج فى مديرية المنيا .. وإذا مابطلتش مسخرة يا ابن الكلب راح تفوتك الطيارة المسافرة إلى مصر !

ومشت الحكاية فى كل السجن .. وكلما اقترب من زنزانة صاح فيه مسجون :

— احكي لنا يا سيد حكاية الميزان !!

وهنا يطلق سيد ساقيه للريح !!

وهكذا ترى أننى كنت أقاوم العذاب والوحدة والارهاب بالسخرية والضحك وكانت ضحكاتي وسخريتي تذهل الحراس . وكانوا كلهم يحبوننى ، ويعرضون أنفسهم للعقاب وللتأديب وللسجن ، برغم التعليمات المشددة القاسية ، والرقابة المتوالية بالليل والنهار !

وعندما جئت إلى سجن الاستئناف ، وكانوا يغلقون على الزنزانة ثلاثا وعشرين ساعة ونصف ساعة كل يوم لم أتضايق .. لقد كانت محروما عدة شهور من أن أكون وحدى ! اذهب إلى التواليت مع حارس ، وأتناول طعامى فى وجود الحراس ، وأنام فى حضور أربعة حراس !

وعندما اقفلوا على باب الزنزانة ، وشعرت لأول مرة أننى وحدى فى غرفة ، غرفة خاصة بى ، وخلف باب مغلق ، حمدت الله على هذا البلاء الذى يشكو منه كل الناس ، ولكنه كان جنة الله بالنسبة للشهور السوداء التى أمضيتها فى سجن المخابرات والسجن الحربى .

وفى بعض الأحيان كنت اشعر اننى تعرضت لهذه التجربة بصفتى صحفيا ! واننى صحفى منتدب لعمل تحقيق فى حياة لم يعرفها احد مثل معرفتى لها ، ولقد كنت انسى اننى الضحية ، وامضى وقتى اتفرج ، وأشاهد ، وابحث ، وأراقب ، وادرس . كاننى جئت لى مهمة صحفية تقتضى أن اكتشف دنيا جديدة مجهولة ، لم يعرفها صحفى من قبل ، ولم يكتب عنها صحفى قبلى . وبرغم الحراسة الشديدة والرقابة الشديدة ، استطعت ان افهم كل شىء ، وأن أرى كل شىء ، وأن أحس بكل شىء .. ولقد كنت قبل ذلك اتصور اننى صحفى أعرف كل ما يجرى ، ثم اكتشفت بعد ذلك أننى صحفى حمار ، واننى عشت فى عالم آخر ، مختلف عن العالم الذى تحت الأرض ، الذى أتيح لى فى خلال الشهور الثمانية والنصف أن اعيش فيه . ولو أن أحدا روى لى ما رأيت ، لما صدقته أبدا . ولو أن كاتبا وصف ما لمسته بعينى ، لتصورت انه يبالغ ويتخيل خيالات . ولقد كان من الواجب أن أسجن ، وأن اعيش هذه الحياة العجيبة الغريبة المذهلة ، وأن أرى الوانا من البشر والناس لم اتصل بمثلهم ، ولم اعرف أنهم موجودون فى هذه الحياة ، ان سياسة الاستفادة من الكوارث فعلا هى سياسة حكيمة جدا .

واننى اعترف اننى استفدت كثيرا مما حدث لى ...

• • •

الجنـــة .. ســجن !

سجن الاستئناف :

١٥ يناير سنة ١٩٦٦

عزيزى ..

سجن الاستئناف هو الجنة بالنسبة لجحيم السجن الأول أو السجن الحربى .

منذ أيام نقل الاميرالاى محمد يوسف المتهم فى قضية حسين توفيق من السجن الحربى إلى سجن الاستئناف . فوجىء المسجونون برؤية الاميرالاى محمد يوسف يركع ويقبل أسفلت سجن الاستئناف ! لقد فرح الضابط الكبير بالخلاص من عذاب وتعذيب اللواء حمزة البسيونى مدير السجن الحربى ! إن كل ما قرأته عن سجن الباستيل أقل كثيرا مما رأيته فى السجن الحربى . حيث تهدر الكرامات ، ويداس الرجال بالأقدام ، ويقتل المتهم من التعذيب ويدفن فى الظلام فى صحراء مدينة نصر ، ثم يعلن مدير السجن أن المتهم قد فر من السجن ، ويطالب بسرعة القبض عليه !

أليس غريبا أن تصبح الجنة هى زنزانة ؟ ولكن كل زملائى هنا الذين جاءوا من سجن المخابرات فى القبة أو السجن الحربى يقولون أن كل العذاب الذى نلقاه هنا فى سجن الاستئناف هو نعيم بالنسبة لهوان سجن المخابرات أو السجن الحربى !

هنا لا يصلبوننا على الجدران ، ولا يسلطون الكلاب البوليسية الضخمة تحاول أن تنهشنا ، وتثير فينا الفزع والرعب !

هنا نحرم من الحرية ولا نحرم من الأدمية ! وعندما نقلونى من سجن المخابرات إلى سجن الاستئناف فوجئت بهم ينقلوننى فى موكب مسلح . جنود يحملون المدافع يقفون فوق أسطح المنازل يحمون الطريق ! السيارة

البوكس فورد التى وضعونى فيها وسلاسل الحديد تقيد يدى ، السيارة مسدلة الستائر ! لقد شاع أن طائرة هيلكوبتر ستهاجم الموكب وتخطفنى ، ولهذا اتخذت هذه الاحتياطات العجيبة ! ..

ما أسخف عقول هؤلاء الخائفين ! أليس من العجيب أن مسجونا مقيدا فى الاغلال يخيف دولة ؟

لقد لاحظت أنهم يضعون الان أسلاكا شائكة فوق جدار سجن الاستئناف ، وأنهم يشددون الحراسة . وسألت فى ذلك العقيد القطشة مدير السجن فقال لى أنهم يخشون أن أهرب !

فقلت له أننى لن أهرب ! اننى أريد أن ابقى فى السجن واثبت انى برىء !

قال لى أن كل مسجون فى السجن يفكر فى الهرب !

انا شخصيا لن أهرب . وقد عرض على عدد من المسجونين أن يدبروا لى خطة للهرب من السجن . ولكنى رفضت . لأننى أريد أن أواجه العدالة لا أن أهرب منها . ولكن هل التقى بالعدالة ؟ اظن ! لقد قالوا لى فى المخابرات وهم يحققون معى ، وقبل أن يقرروا أدانتى ، ان الذى سوف يحاكمنى هو الفريق الدجوى الذى لم يصدر حكما واحدا فى حياته ، وأن الأحكام التى يصدرها تكتب له فى مكتب سامى شرف ، وتملى عليه بالتليفون ، وينطق بها كالببغاء ! ومادام أصحاب الشأن قد اختاروا لى الفريق الدجوى ليحاكمنى ، فإنهم اختاروه ليحكم على ! وكثيرا ما كان يقول « أنا لست قاضيا أنا حامى نظام ! » . وأنا أعرف أن الدجوى هو « مهداوى صغير » وأن محاكماته أشبه بمحاكمات المهداوى فى بغداد ، هذه المحاكمات الهزلية التى داست على العدالة بالاقدام !

وأجلس فى زنزانتى واتساءل هل ستجد العدالة انصارا أم أنها وضعت معى فى زنزانة واحدة ؟ وهل أصبح الناس يخافون أن يعلنوا صوت الحق ، وهل تبقى الحقيقة إلى الأبد مقيدة بالسلاسل والاغلال ؟ وهل بقى حول الرئيس من يستطيع أن يحمل كلمة الحق ، أم انهم خافوا واصيبوا بالرعب ، بعد أن رأوا رأس الذئب الطائر ! أخشى ما أخشاه أن ماجرى لى سوف يجعل الكثيرين يخاون أن يقولوا الحقيقة للرئيس ! إن كل ما أخشاه أن يحدث لغيرى ما حدث لى . أن يلفق لأبرياء غيرى كما لفقوا لى . والا يجد غيرى ماوجدته من عطف الناس وحبهم وثقتهم بى التى لم تزعزعها الاتهامات الملفقة وطبول الأكاذيب المدوية !

لا أنسى ذات يوم اتصل بى رئيس تحرير فى إحدى صحفنا الكبرى .

وقال لى أن الدكتور عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء لشئون الاعلام اتصل به تليفونيا فى مكتبه وطلب إليه أن يترك عمله على الفور فى الجريدة ويلازم بيته .

وسألته ماذا فعل حتى يستحق هذا العقاب .

وفوجئت به يقول أنه فى ذهول لأنه لم يعمل أى شىء !

واتصلت بالدكتور عبدالقادر حاتم وسألته عن سبب هذا القرار الذى يعنى الحكم على صحفى شاب بالاعدام ؟

فقال لى الدكتور حاتم أن الرئيس عبدالناصر اتصل به فى الصباح المبكر وأمره أن يبلغ الأستاذ (...) أنه أوقف عن عمله ويجب أن يلزم داره ، ولم يقل الرئيس له عن سبب هذا القرار !

وبعد أيام كنت على موعد مع الرئيس جمال عبد الناصر فى بيته وتحدثنا فى بعض الموضوعات ، ثم سألته عن سبب وقف الأستاذ (...) ...

وامتقع وجه الرئيس وقال لى غاضبا : لا تحدثنى فى هذا الموضوع . لقد أصدرت قرارا لا رجوع فيه . إنه لن يعمل فى الصحافة بعد الان !

قلت له يا سيادة الرئيس هذا الشاب تلميذى ويهمنى أن أعرف فقد تكون وشاية كاذبة .. قال الرئيس فى حزم : إنها ليست وشاية كاذبة إنها جريمة مؤكدة .

قلت : ماذا فعل ! ؟

قال الرئيس : إنه يؤلف جمعية لتبادل الزوجات !!

قلت : هذا مستحيل ! إننى أعرفه منذ ١٥ سنة . وفيه عيوب مثل أنه مسرف ، ويستدين كثيرا . ومضطرب ماليا . وله غراميات ولكن هذا العيب ليس فيه على الاطلاق .

قال : إن عندى مستندات ! عندى عقد تأليف جمعية تبادل الزوجات وقد ثبت أنه بخط يده !

وهنا دخل رجل متجهم الوجه أسمر اللون متقدم فى السن يحمل لنا الليمون المثلج ، فالتفت إلى الرئيس وقلت له : - إن هذا الرجل أجمل كثيرا من زوجة الأستاذ (...) ، فمن يقبل أن يبادل زوجته فى مقابل هذه الزوجة غير الجميلة .

فقال الرئيس : هذه مسائل لا أفهم فيها ولكن المخابرات أكدت أن هذا توقيعه وخطه .

قلت للرئيس : إن الغرض من كتابة العقد فى القانون أنه إذا اختلف المتعاقدان يلجأ أحدهما أو يلجأ المتعاقدان إلى المحاكم للفصل بينهما . فمن

هو الزوج الذى يقبل أن يلجأ للقاضى ليطلب إليه أن يأمر زوجته بأن ترتكب الفحشاء مع رجل آخر ! إن التعاقد على أى شىء مناف للأخلاق يبطل العقد نهائيا .

قال الرئيس : إن هذه أمور قذرة لا أفهم فيها ، ولكن المؤكد أنه كتب عقد جمعية تبادل الزوجات ووقع عليه !

قلت للرئيس : أرجوك أن تختار بنفسك خبيرا للخطوط ، فإذا قرر هذا الخبير أن هذا خط (...) ، فلا يعتزل العمل الصحفى فقط بل اعتزله أنا أيضا .. .

قال الرئيس : وما ذنبك أنت ؟

قلت : أنا الذى علمت هذا الشاب ، وأنا الذى رشحته رئيسا لتحرير هذه الجريدة ، فأنا المسئول عن هذه الفضيحة .

وبعد أربعة أيام التقيت بالأستاذ (...) وأبلغته ما سمعت عن حكاية تبادل الزوجات فأكد أن الحكاية مختلقة من أساسها ، وإن كل ما هناك أن أخت ملحق عسكرى فى أوربا تحبه ويعشقها أحد المسئولين ، وأنهم طلبوا منه قطع علاقته بهذه الفتاة ولكن الفتاة أصرت على التردد عليه ..

وأخبرت الرئيس بما سمعت فطلب منى ألا أتكلم فى هذا الموضوع وسيتولى هو التحقيق .

وبعد حوالى خمسة أشهر اتصل بى الرئيس عبدالناصر تليفونيا وقال إنه أمر بعرض الوثائق على خبير للخطوط اختاره ، وأنه ظهر أن هذا ليس خط (...) ، وأنه أمر الدكتور عبدالقادر حاتم بإعادته إلى وظيفته كرئيس للتحرير !

وقلت للرئيس : وماذا ستفعل سيادتك فى الذين لفقوا هذه التهمة !

قال الرئيس : يكفى أننى أعدته لك رئيسا للتحرير !

قلت : إنك لم تعده لى .. إنك أعدته لجريدة منافسة .

قال الرئيس : أترك لى هذه المسائل !

وأتصور أن هؤلاء الملفقين لم يعاقبوا ، وأن أحدهم اشترك فى تلفيق قضيتى !

ترى هل أجد رجلا بجانب الرئيس يجرؤ على أن يقول له الحقيقة عنى كما قلتها عن الأستاذ إبراهيم .. أم تكون قضيتى هى قضية تبادل زوجات أخرى ؟!!

أخشى أن ما حدث لى سوف يجعل الكثيرين من المقربين يترددون ألف مرة ، قبل أن يقولوا الحقيقة ، ولعلهم تعلموا مما حدث لى أن من يقول

الحقيقة سوف يقطع رأسه ! وقد قلتها وقطعوا رأسى !

ويظهر أن لأحد الأشخاص مصلحة فى تلفيق التهم والأكاذيب على الصحفيين واحدا واحدا ، حتى يجىء يوم لا يبقى فى مصر سوى صحفى واحد !!

إننى مازالت عند رأيى فى أن ما حدث لمحمود أبو الفتح ولحسين أبو الفتح ولأحمد أبو الفتح ليس قضية وإنما مكيدة ، وإنه نقل على لسانهم إلى الرئيس كلاما لم يقولوه ، ونسب إليهم نوايا هم أبرياء منها . إن كل جريمتهم أنهم يطالبون بالحياة البرلمانية والديمقراطية ، وهذا أمر لم يخالفهم فيه أحد . وإنما كان الخلاف هو هل الحياة الديمقراطية قبل الجلاء أم بعد الجلاء !

وإحسان عبدالقدوس لفقت له تهمة كاذبة . ووضع فى السجن الحربى ، وضرب . ثم أفرج عنه بعد حوالى أربعين يوما !

وموسى صبرى شوهت صورته لدى الدولة ، وصدر قرار بوقفه عن العمل ، ومنعه من الكتابة لأنه انتقد « تسريحة مذيعة فى التليفزيون » وقيل فى تبرير هذا العقاب الغريب أن المذيعة زوجة ضابط !

وعندما علمت الدولة بأننى أمرت بصرف مرتب موسى أثناء وقفه عن العمل قامت الدنيا وقعدت ، وبذلت جهودا جبارة حتى لا يموت موسى صبرى من الجوع !

واليوم علمت بأنه صدر أمر عقب القبض على بوقف صرف مرتبى وبمنع صرف مكافأتى ، وبمنع صرف الواحد والعشرين يوما التى كنت أعمل فيها بأخبار اليوم قبل القبض على !

ويظهر أنه أصبح تقليدا أنه لابد أن يموت كل صحفى كبير من الجوع !

وأذكر أنه فى أواخر عام ١٩٦٠ أمر الرئيس جمال عبد الناصر بمنحى أجازة أنا وأخى من إخبار اليوم ، وعين السيد كمال رفعت رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم .

وكتب أنيس منصور فى يومياته فى جريدة الأخبار أن أحد الولاة فى سوريا ضاق بثناء الناس على علم وفضل قاضى قضاة دمشق ، فأمر بعزل قاضى القضاة ، وتعيين حمار الوالى قاضيا للقضاة ! وذهب الحمار إلى المحكمة وأحنى الناس رؤوسهم للقاضى الجديد !

وجاء سكرتير تحرير « الأخبار » ووضع صورة الرئيس عبد الناصر فى مقال أنيس !

وفى نفس اليوم ـ يوم صدور المقال صدر أمر بطرد أنيس من أخبار اليوم ، ووقف مرتبه ، ومنع صرف أى معاش له ، ومنع أية مطبعة من طبع أى كتاب له ، ومنعه من الاذاعة والتليفزيون ، ومنعه من أن ينشر مقالات فى أى جريدة خارج مصر . وملخص القرار العجيب أن يموت أنيس منصور جوعا !

واقتسمت أنا وعلى أمين مرتبنا مع أنيس منصور لمدة عام ، وهو عام الفصل !

وانتهزت فرصة رضاء الرئيس عبدالناصر على ، وتعييني رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال وطلبت من الرئيس أن يعمل معى أنيس فى دار الهلال . ووافق الرئيس بسهولة عجيبة !

وفوجئت بعد أسابيع بالدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ، يتصل بى تليفونيا ، ويقول لى بصوت حزين أنه صدر قرار جمهورى بوقف أنيس منصور !

وسألته عن السبب ، فقال إنه لا يعرف .

ثم عاد الدكتور حاتم بعد ساعة واتصل بى تليفونيا ، وسألنى هل العدد المطبوع من المصور فيه مقال لأنيس منصور ؟

فقلت له أن عدد المصور طبع فعلا وفيه مقال لأنيس ، فطلب الدكتور حاتم وقف الطبع ، وإعدام النسخ التى فيها مقال أنيس منصور .

وكلف هذا دار الهلال بضع مئات من الجنيهات .

واتصلت بالرئيس عبدالناصر أطلب مقابلته ـ .. ولكن محمد أحمد سكرتير الرئيس قال إن الرئيس مشغول ..

وفهمت أن الرئيس "لا يريد مقابلتى !

وبعد أيام قليلة اتصلت بالرئيس فى رقم تليفونه فى مخدعه . وأجابنى الرئيس ، فطلبت منه أن يتفضل ويحدد موعدا لى ، وقال لى الرئيس : ـ بشرط ألا تحدثنى فى مسألة أنيس منصور !

وقبلت هذا الشرط مرغما . وذهبت إلى بيت الرئيس وتحدثت معه فى كل مسألة أخرى إلا مسألة أنيس !

وإذا بالرئيس يقول لى : إن أنيس منصور يشتم رئيس الجمهورية !

قلت : إننى أرى أنيس كل يوم ، وهو يسهر فى بيتى كل ليلة . ولم أسمعه يشتم رئيس الجمهورية !

قال : عندى تقارير تؤكد هذا .. أنه ليس تقريرا واحدا بل ٤ تقارير من ٤ جهات !

قلت : أليس غريبا ياريس أن أربع جهات تقدم تقريرا عن أنيس منصور في يوم واحد .

قال الرئيس : لأنه يشتمنى فى كل مكان !

وقلت له : إن التهمة ملفقة من المخابرات .

قال : إن التقارير ليست من المخابرات !

قلت : من الممكن أن يصدر الأمر لمختلف الأجهزة أن تكتب تقريرا واحدا .

وقال الرئيس : إنه سيبحث الأمر ..

وفعلا تبين الرئيس بعد ذلك الحقيقة .. وصدر الأمر بعودة أنيس منصور للصحافة !

ولكن هل أجد الشخص الذى يستطيع اليوم الاتصال بالرئيس ويطلب لى تحقيقا عادلا ، أو محاكمة عادلة ؟

لا أظن !!!

وفى الختام أقبلك .

مدرســة التفــاؤل !

سجن الاستئناف :

٣٠ يناير سنة ١٩٦٦ :

أخى العزيز ....

اننى أمضى أيامى أوزع الأمل على الناس . أزرع حبوب الأحلام والأمانى فى صحراء القلوب . أحول اليائسين إلى متفائلين ، والأشقياء إلى سعداء . أحاول أن أنشر مدرستك فى التفاؤل ، فى كل مكان . ان لى فى كل زنزانة صديقا . مددت له يدى لأنقذه من الغرق فى بحر التشاؤم الذى يعيش فيه . وأنا أجد لذة فى أن أسعد من حولى . أجعل من أنصاف الأحياء أحياء ! أحول الدموع إلى بسمات . أخلع نظارات المسجونين السوداء وأضع بدلا منها نظارات وردية يرون خلالها أن الحياة فيها ما يستحق أن نتفاءل به ونعيش له .

والذين حولى يدهشون لصمودى العجيب . يعجبون كيف اننى لا أشكو ، ولا أتململ ، ولا ألعن الزمن والأيام . وأنا لست أمثل دور الرجل المتفائل ، بل اننى متفائل جدا . أن ايمانى بالله يجعلنى على ثقة بالمستقبل ، ويجعلنى مطمئنا إلى الغد مهما كان فيه من برق ورعود !

وأشعر بسعادة عندما يدخل المسجونون إلى زنزاناتهم متفائلين بفضل الجرعة التى أعطيتها لهم . ولكنى أجدهم فى الصباح متشائمين من جديد . ان جرعتى لا تستطيع أن تعيش ٢٤ ساعة .

وهنا أبدأ أعطيهم جرعة جديدة يعيشون عليها بقية اليوم . وتتكرر الحكاية كل صباح ومساء . ولا أجد فى هذا جهدا مرهقا ، بل أجد فيه لذة مريحة . فإن من المؤلم أن تعيش فى صحراء من اليأس ، ومن الجميل أن تعيش فى حديقة كلها مزروعة بورود من الأمل . ولهذا لا أمل من أن أزرع

حبوب الأمل كل صباح ، ولا أيأس عندما أجد الورود التى رويتها قد ذبلت وماتت ، فأحاول أن أزرع حبوب الأمل من جديد !

واليأس يضعف الناس . يحول العمالقة منهم إلى أقزام . والشباب إلى شيوخ ، والأصحاء إلى مرضى ، ولو اننى تركت من حولى فى السجن إلى أنفسهم لأصبحت وكأننى أعيش فى قرافة الامام !

ولقد كان المسجونون فى أول الأمر يقولون لى « شد حيلك » ولكنهم لم يعودوا يقولونها . فقد عرفوا أن حيلى شديد . وأن المطارق التى نزلت على رأسى ، لم تجعلنى أحنى رأسى ، ولم تجعلنى أسقط على الأرض تحت الضربات . على العكس ، فإن هذه الضربات زادت قوة احتمالى ، وقدرتى على الصبر ، وإيمانى بالغد القريب أو البعيد ..

ولهذا يجب أن تطمئن على ، وأن تعلم أن معنوياتى جيدة ، وأن إيمانى ببراءتى هو أشبه بمانعة صواعق ، حمت رأسى من أن تسقط فوقه القنبلة الذرية التى القيت فوقه ! فالايمان بالله هو مخبأ عجيب يحمى الانسان من كل الأسلحة الذرية النفسية التى يتعرض لها فى الحياة ..

ولا أتصور اننى فى آخر الدنيا ، وإنما أتصور اننى فى أولها ، وإذا كان ما حدث لى هو يوم القيامة بالنسبة للماضى فهو بلاشك يوم البعث بالنسبة الى المستقبل .

ولم أستطع فى هذه المحنة أن أحقد على الذين ظلمونى أو أكرههم ، أو أفكر فى الانتقام منهم . أقسم لك اننى لم أفكر فى هذا ابدا ، ولم يخطر شىء منه على بالى . اننى أطلب إلى الله أن يغفر لهم . ولا أطلب من الله أن يعاقبهم على ظلمهم كما ظلمونى .

وهذا الشعور يسعدنى كثيرا . يجعلنى أحس اننى أكبر من الذين آذونى ، وأقوى منهم ، واننى أستطيع أن أحمد الله على احتمال السياط التى يضربوننى بها ، وأشعر فى الوقت نفسه انهم لن يقدروا على أن يستمروا فى الضرب بالسياط . وسوف يتعبون فى يوم من الأيام . وسوف يلقون هذه السياط تحت أقدامهم وتحت قدمى أيضا !

والذين حولى من المسجونين السياسيين مشغولون بالسؤال عن موعد التصديق على الأحكام التى صدرت ضدهم . ولكنى لا أشغل نفسى بالسؤال ، ولا أشغل رأسى بالتفكير فى هذا الشأن . ولست قلقا على قضيتى والحكم فيها ، لأننى أعرف أن قضيتى هى أمام محكمة التاريخ ، وأنا واثق من أن محكمة التاريخ سوف تصدر حكما ببراءتى ..

ولقد حدث شىء فى هذا الاسبوع .. وهو اننا اعتدنا أن ناخذ فسحة لمدة ساعة فى حوش السجن ظهر كل يوم .

وإذا بخطاب يصل الى السجن مكتوب عليه سرى جدا ، فحواه أن المساجين لا يجوز لهم أن يظهروا أمام الزوار ، وأنه يجب أن تكون فسحتهم فى حوش صغير مخصص للزبالة وراء السجن !

وقيل أن السبب أن زوار السجن يروننى ، ويشيرون الى ، ويسلمون على ، ويخرجون يتحدثون بما يرون !

ولقد عجبت انه من أجلى أنا يعاقب جميع المسجونين ، واقترحت أن تلغى فسحتى ، حتى يتمتع باقى المسجونين بأن يروا ضوء الشمس ساعة كل يوم ! ولكن بعد الاجتماع تقرر أن تقام « ستارة من القماش » تفصل نصف الفناء عن النصف اخر ، وعندما يدخل فوج من الزوار لمقابلة المسجونين يخبئوننا فى حوش الزبالة حتى تنتهى الزيارة !

ولقد صعدت فى هذا الاسبوع إلى الدور الرابع فى السجن لأشهده . وكأننى أتفرج على فيلم الكونت دى مونت كريستو .. منظر العرايا الذين يضعونهم فى السفن مقيدين بالسلاسل ، بينما السجان يمسك بكرباج يضربهم به ! هذا المنظر رأيته تماما فى الدور الرابع من السجن . غرف صغيرة فى كل منها حوالى ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠ مسجونا عرايا بشعور كثة ، وذقون طويلة ، مرسلة .. ورأيت المستشفى فإذا هو أشبه بزريبة فى بيت فلاح مفلس ! ان البهائم ترفض أن تعيش فى مثل هذا المستشفى ! ومن الطريف أن أغلب الأطباء لا يستطيعون أن يصعدوا على أقدامهم الطوابق الأربعة ، ولهذا ينزل المرضى نصف الأموات على أقدامهم يستندون على أذرع زملائهم ، ليكشف عليهم الطبيب فى العيادة الموجودة فى الدور الأول !

وتعتبر الزنزانة التى أعيش فيها فى الدور الثانى أشبه بقصر عابدين بالنسبة إلى عنابر الدور الرابع التى هى أشبه بعشش الترجمان !

ولقد أصابتنى رعشة وشعور بالرغبة فى القىء وأنا أرى هذه المخلوقات الادمية تعيش فى هذا الذل والقهر والحرمان . وعجبت كيف اننا كتبنا تصريحات عن إصلاح السجون ، ولم يفكر أحد من صحفيينا أن يقوم بتحقيق صحفى عن الدور الرابع فى سجن الاستئناف .

ولا عجب أن يخرج هؤلاء من السجون حاقدين على المجتمع . وقد اهتزت المثل والقيم أمام أنظارهم ، فالحياة فى مثل هذه الغرف القذرة تلغى الفرق بين الانسان والحيوان ، وتعود به إلى القرون الوسطى ، وتجعله يحس أن المجتمع يكرهه ويحتقره وينكل به . فنحن نربى الجريمة داخل السجون ، ولا نقضى عليها . ونحول الأبرياء إلى مجرمين لا تائبين . ونقضى على بقايا الخير فى نفوس ، لو لقيت شيئا من الرعاية والرحمة لأمكن

القضاء على الانحراف فيها . والغريب أن المسجونين فى هذه الزرائب ليسوا مجرمين ، وإنما متهمون مقدمون للمحاكمة . وقد يصدر الحكم ببراءة الكثيرين منهم ، ولكن بعد أن يكون السجن قد حولهم الى مجرمين حقيقيين .

ومرت الأيام .. وكل يوم أحسن من سابقه . المعاملة تتحسن .. وأصبحت زنزانتى فى السجن أجمل من غرفة المأمور ! اننى فى كل يوم أضيف إليها شيئا ، وأجد متعة فى فراشها كالمتعة التى وجدتها فى فرش شقة بالزمالك !

وأصبح عندى فى غرفتى مرآة أرى فيها وجهى ، بعد أن بقيت عدة أيام لا أعرف صورتى ! وأحضرت حوضا وحمالة ووضعته تحت المائدة ، وأحضرت رفا وضعت فوقه الفرشاة والمشط والصابونة .

واختفت الملاءة القذرة التى كانت تغطى السرير ، وأحضرت مخدتين ، وملاءات فراش ، تتغير مرتين فى الاسبوع ، وصرف لى السجن ثلاث بطاطين ، وجاءتنى من منزلى بطانية زرقاء تغطى الفراش وتجعله أشبه بغرف نوم العرسان !

وأصبحت ترابيزة السجن الخشب مغطاة ، بغطاء ثمين .

وأصبحت المائدة عبارة عن مكتب وأوضة سفرة وصالون !

واشتريت سجادة واعترضت عليها ادارة السجن لأنها كبيرة فأحضرت سجادة صغيرة فرشتها أمام السرير ، فزادت الغرفة جمالا وبهاء !

وكنت أتضايق من اننى أضطر لاخراج ملابسى من الحقيبة إلى أن أنحنى كرقم ٨ وجئت بكرسى خشب صغير وضعته تحت الحقيبة وبذلك تحولت إلى دولاب !

وعندى فى الغرفة لمبة كهربائية للمكتب ، أكتب الان وأقرأ على ضوئها وأنا نائم فى السرير .

وفوق المائدة رف وضعت عليه جميع الأدوية . وصنعت رفين فى المائدة أحدهما للكتب والثانى للسجائر وفى الوقت نفسه يقوم الرف مقام « الكرار » !

وهكذا ترى اننى حولت غرفة ثلاثة أمتار فى مترين إلى شقة واسعة فاخرة مريحة ، فيها غرفة مكتب ، وغرفة نوم ، وغرفة صالون ، وحمام ، ومطبخ .. نعم ومطبخ !

ولقد بدأ الحر ..

واننى أمضى وقتا طويلا فى القراءة ، وأجد فيها لذة ومتعة ، ولقد كنت

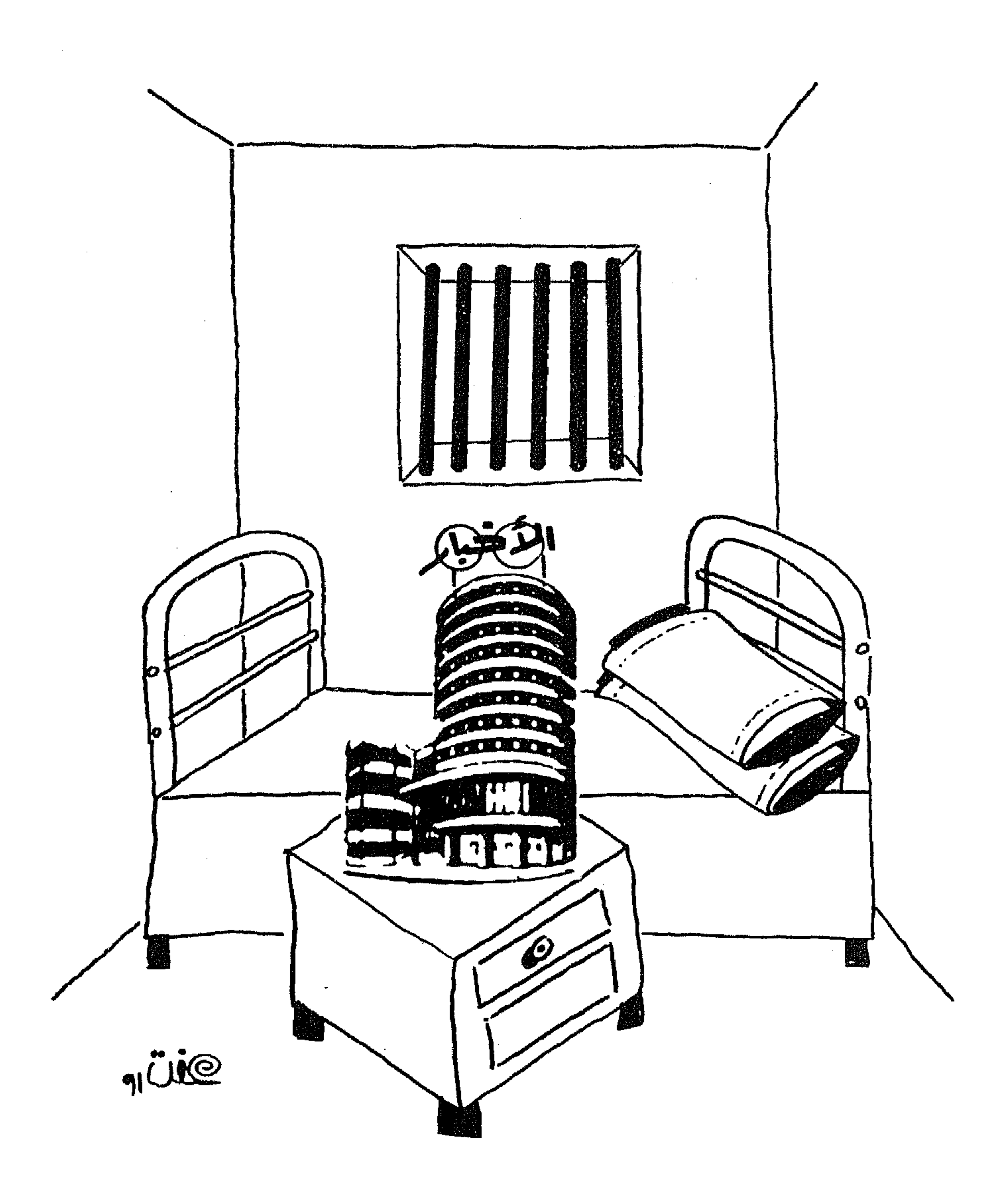
فى وقت من الأوقات ، قبل دخولى السجن أشكو من اننى لا أجد الوقت الكافى للقراءة . وكنت أقول لنفسى أنه لابد أن أدخل السجن لأقرأ كل الكتب التى أريد أن أقرأها ولكنى مع ذلك لا أجد الوقت الكافى لأقرأ كل ما أريد .. فإن الصباح والعصر أمضيهما مع المساجين ، وعندما تغلق الزنزانة فى الساعة السادسة مساء أبدأ فى قراءة الصحف ، ولكنى لا ألبث أن أشعر بالرغبة فى النوم بسبب ارهاقى من شدة المشى الطويل ، فأنا أفضل أن تكون كل مقابلاتى مع المساجين وأنا أمشى معهم ذهابا وجيئة . وعندما أنام أستغرق فى نوم طويل ، وأنام مدة كافية ، ولا أشعر بأى أرق ، أو سهاد ! ثم أستيقظ فى الساعة الثالثة صباحا وأبدأ فى القراءة من جديد .

والآن أختم خطابى بقبلة طويلة تعبر عن شوقى إليك ، وعندما يصلك هذا الخطاب يكون قد مضى على فراقنا عدة شهور ، ومع ذلك تأكد اننى أشعر أنك معى باستمرار فى الليل والنهار ، وخطاباتك تسعدنى ، وتجعلنى أشعر كأننا نتحدث كما كنا نتحدث ونحن نقطع غرفتى فى أخبار اليوم ذهابا وإيابا ، أو ونحن نقطع غرفة الصالون فى منزلنا بالزمالك ..

والحمدلله أن الأيام تمضى سراعا ، وأن الله أعطانا فى محنتنا الصبر والصمود والايمان ، وهذه ثروة ضخمة لا تقدر ..

ان الله لن يتخلى عنا ..




الأخبار

أشجع الشجعان
من يستطيع أن يصمت !

سجن الاستئناف
فبراير سنة ١٩٦٦ :
صديقى ....

ما أشقى المسجون السياسى فى هذا البلد . الدولة تعلن عليه الحرب بكل سلطاتها وكل سلطانها . الأجهزة تطارد أهله . أقاربه يشردون من وظائفهم ويبطش بهم . انه عدو الشعب رقم واحد . اهدار دمه حلال ، ونهب أمواله حلال ، وتلويث سمعته حلال واختلاق الأكاذيب عليه وتلفيق التهم ضده حلال .. حلال .. حلال !

وأنا أعيش اليوم هذه الحرب الشعواء ، أقرأ الصحف فأجدها تهاجمنى ، أقرأ الصحف فى البلاد العربية فأجدها تؤلف عنى القصص والحكايات . أستمع الى الاذاعة وأسمع بأذنى اللعنات تنصب فوق رأسى ..

لا يستطيع أحد أن يدافع عنى . أشجع الشجعان اليوم هو من يستطيع أن يصمت ولا يرتل أناشيد اللاعنين والطاعنين ! كانوا يقولون فى الماضى أن الساكت عن الحق هو حيوان أخرس ، اليوم أصبح الساكت عن الحق هو البطل الصنديد ! وأنا اليوم أرسل الرسائل الى أصدقائى وتلاميذى ، أتوسل اليهم أن يشتمونى ويهاجمونى ويصبوا على الاتهامات واللعنات ، ليبقوا فى مناصبهم . فإن ثمن البقاء فى المناصب الكبرى فى هذه الأيام أن يطعنوا أصدقاءهم ويهاجموا أساتذتهم ، وقد أصبح الوفاء والمروءة والصداقة من جرائم الخيانة العظمى ! الولاء للدولة يستوجب عليك الا يكون لك ولاء لصديق . وما دامت الدولة تظلم فعليك أن تظلم الأبرياء معها لتكون مواطنا صالحا !

انتهى الزمن الذى كان فيه المتهم بريئا حتى تثبت ادانته .. القاعدة اليوم أن كل مصرى مجرم حتى لو ثبتت براءته . الأبرياء وحدهم والوطنيون وحدهم هم أصحاب السلطان فإذا فقد واحد منهم السلطان أصبح مجرما مثلنا ، وخائنا مثلنا !

ولقد سألتهم وأنا فى سجن المخابرات ! ألا يتصور أصحاب السلطان انهم يضعون سوابق تطبق عليهم فى يوم من الأيام !! ألا يعرفون أن « العز » لا يقف بباب واحد الى الأبد ؟ ألم يخطر ببالهم أن الدوائر قد تدور عليهم ، فيحاكمون محاكمات استثنائية ، ويحرمون من حق التقاضى أمام القاضى العادى ، وتوجه اليهم الاتهامات ، ويمنعون من الدفاع عن أنفسهم .

وكان زبانية المخابرات يضحكون ساخرين من هذه الأسئلة التى تدل على اننى فقدت عقلى نتيجة للتعذيب ! كل واحد من أصحاب السلطان هؤلاء يتصور أنه عقد اتفاقا مع الأبد ، أن يبقى فوق كرسيه . يحكم ، ويستبد ، ويطغى الى أن يموت !

من سوء حظ هذا البلد أن أغلب أصحاب النفوذ والسلطان فيه انصاف متعلمين لم يقرأوا التاريخ ، أو قرأوا الصفحات الأولى من كتب التاريخ ، ولم يقرأوا الخاتمة ، ولو أنهم قرأوا خاتمة كتاب التاريخ لعرفوا أن لكل طغيان نهاية . ولكل استبداد آخر ! وأن الدنيا دوارة ، لا تستقر على حال ، ولو انها كانت قد دامت لغيركم لما جاءت إليكم !

كل هذا يجهلونه ، لأنهم لم يدرسوا التاريخ ، ولم يعلموا أن قصص الاستبداد تنتهى دائما بأن يجيء دور الجلاد فى المقصلة !

والذى يذهلنى أن المسجون السياسى المصرى كان يعامل فى عهد الانجليز أحسن مما يعامل فى عهد المصريين !

حدثنى الفريق عزيز المصرى باشا أنه عندما قبض عليه عام ١٩٤١ ووضع فى سجن مصر بتهمة محاولة الانضمام إلى قوات العدو . كان حسين سرى باشا رئيس وزراء مصر وقتئذ والحاكم العسكرى ، فأصدر أمرا بأن يصرف للمسجون عزيز المصرى عشرة جنيهات كل يوم مصاريف طعامه وملابسه وحاجاته ، وخصص له ضابط شرطة يقوم بخدمته فى السجن !

وانه كان يرسل الضابط كل صباح فى تاكسى ليشترى له افطارا من جروبى ، ويرسله فى الظهر ليشترى غداء من فندق سميراميس ويرسله فى العشاء ليشترى عشاء من فندق شبرد ! وكانت العشرة الجنيهات فى تلك الأيام تساوى مائة جنيه اليوم ، وكان يبقى من مصروف اليوم مبالغ كبيرة .. كان عزيز باشا يشترى بها بذلة له ، أو بذلة للضابط الذى يتولى حراسته !

وحدثنى الدكتور محمد حسين هيكل باشا أنه سنة ١٩٢٤ كان يرأس تحرير جريدة « السياسة » وكان يهاجم كل يوم سعد زغلول زعيم الأمة ورئيس الحكومة . وشكاه سعد الى النائب العام فوضعه فى السجن .

وسمح له رئيس الحكومة بأن يشرف على تحرير جريدة السياسة ، ويقابل المحررين ويصحح البروفات ، ويكتب وهو فى زنزانته فى السجن ، وكان الدكتور هيكل باشا يعتبر هذه المعاملة الطيبة اعتداء على الحرية !

وأتذكر أننى أمضيت فى سجن المخابرات ١٣٢ يوما ، وأهلى لا يعرفون أين أنا ، ولم يسمحوا لى أن أكتب خطابا لأولادى . كما لم يسمحوا لى بأن أستقبل محاميا أو أوكل محاميا ، وأن كثيرين من المسجونين السياسيين ومن بينهم مستشار فى محكمة النقض وأساتذة جامعة وقضاة وعدد من المحامين والأطباء والمهندسين وعلماء الذرة ملقى بهم فى زنازين السجن الحربى وأهلهم لا يعرفون هل هم أحياء أم أموات !

ولقد أتيح لى اليوم أن أجلس فى غرفة الضابط مع تمثال للشقاء !

انها زوجة مسجون منذ عام ١٩٥٤ وسمعتها تقول لى :

— لن أحدثك عن حياة الجحيم التى عشتها ، منذ أن زارنا زوار الفجر من ١١ سنة ! وكيف انتزعوا زوجى من بين ذراعى ، ومن بين أطفالنا الصغار . وكيف اقتادوه مكبل اليدين ، معصوب العينين الى غرف التعذيب ! ولن أحدثك كيف صلبوه عاريا ، وكيف انهارت السياط تمزق جسده . ومازالت آثار السياط تشوه جسده النحيل .. كأنهم حرصوا أن يوقعوا بسياطهم على كل جزء من جسده .

ولاتزال الامضاءات واضحة على جلده برغم مرور سنوات وسنوات !

ولم يستطع زوجى يومها أن يمسك القلم ليكتب بنفسه ما يريدون من اعترافات ، لأنهم انتزعوا أظافره ، وكان الدم ينزف غزيرا من أجزاء كثيرة فى جسده . لا أريد أن أحدثك عن انهم ضربوه وعذبوه لأن نقطة دم من دمه سقطت على الورق الأبيض الذى جاءوا به ليكتب عليه اعترافاته ، ولأنه لوث بدمه المسفوك بياض الورق الأبيض !

ولن أحدثك عن المحاكمة الصورية التى قدموه لها . عن الأحكام التى تصدر قبل بداية المحاكمة . عن قضاة عسكريين يتلقون الأحكام بالحكم على المتهمين كما يتلقون الأوامر العسكرية فى الطابور !

لن أحدثك عن الحرمان وشبح الجوع الذى يتهددنى وأطفالى ، بعد أن نهبت أموالنا ، وصودر مورد رزقنا ، وأصبحنا بلا دخل على الاطلاق .

نحن أسرة مسجون سياسى نعيش بلا اعانة وبلا معاش والويل كل الويل لمن يرق قلبه ويقدم لهذه الأسرة البائسة احسانا أو صدقة أو حتى « جلبابا » يقى الطفل الصغير برد الشتاء .. زوار الفجر وضعوا قانونا بمنع التراحم والتعاطف والمروءة والبر بأسر المسجونين السياسيين ، ويعتبر كل من يقدم لقمة خبز لأسرة مسجون سياسى شريكا فى التهمة ، ومتآمرا على أمن الدولة !

« اننى أريد أن أحدثك عن هذه الانسانة التى شاء قدرها العاثر أن تكون زوجة سجين سياسى ! اننى أواجه معركة ضارية مع الحياة ومع لقمة العيش ، ومع ذئاب البشر ! أنت تفهم جيدا معنى أن تجوع زوجة السجين ، ومعنى أن يجوع الصغار !؟

« كان من الممكن أن أهرب من هذه المعركة الطاحنة التى فرضها على القدر الساخر وكان من الممكن أن أطلب الطلاق ، وهذا حقى ، وبذلك أريح نفسى من مرارة العذاب وقسوة الحرمان ، وأبحث عن رجل آخر .. أى رجل ، يأكل عيش وجبنة ، ولكنى كإنسانة عربية أصيلة أبيت أن أتخلى عن رجلى فى محنته . يجب أن أبقى بجانبه ٩ سنوات أخرى ، بعد الاحدى عشرة سنة التى مضت . سأبقى مهما كانت التضحيات . خاصة اننى مؤمنة ببراءة رجلى . انه واحد من مئات المظلومين : بلا تهمة ، والمحكوم عليهم بلا محاكمة ، والمسجونين بلا جريمة !

« وأنا أواجه وحدى أعاصير الحياة . أمضيت سنوات من العذاب والحرمان والآلام ، ومطاردة أشباح الظلام . وأشياء رهيبة كافية لأن تجعلنى أفضل الموت على أن أواصل الحياة !

« وصمدت . ولكن أثاثات البيت وحلل النحاس لم تصمد للحجوزات ومطالب الدائنين !

« أنا قاومت الجوع ، ولكن بطون الأطفال تمزق قلبى وهى تصرخ بالجوع ..

« حاولت أن أجد عملا ، ولكن اسم زوجى فى القائمة السوداء جعلنى أطرد من كل عمل أتولاه ! انها اللعنة الكبرى التى تطاردنى اننى زوجة مسجون سياسى !

« وفكرت أكثر من مرة فى الانتحار » ..

« ولكنى كنت أتردد فى آخر لحظة عندما أسمع صراخ واحد من أطفالى » ..

« ما ذنبى ؟ أليس من حقى أن أعيش كإنسانة ؟ مازلت أؤمن بالخير

والحب والجمال ، وانتصار كل ما هو خير وشريف .. أليس من حقي أن آكل ، أليس من حقي أن أشبع بعد أن صبرت على الجوع ، تشويني نيران الحرمان ؟

ما أقسى أن تعيش امرأة ليالى طويلة دون عشاء ، لتوفر لقمة العيش لأطفالها ! ما أقسى أن تتحمل امرأة شظف العيش سنوات وسنوات من أجل أن تقوم بواجبها نحو أولادها .

ما أقسى أن تقاوم امرأة وحيدة ، فقيرة جائعة ، الجوع والحرمان وذئاب المجتمع فى وقت واحد !

ما أقسى الموقف عندما تقف امرأة جائعة بمفردها ضد دولة بسلطانها !

ان واجب المجتمع أن يحميني قبل أن ترتوى الذئاب بدمى ! واجب المجتمع أن يمنعني من الانتحار .. واجب المجتمع أن يمنعنى من دخول مستشفى المجاذيب .. فالمجانين فى هذه الأيام فى حاجة الى « واسطة » ليدخلوا مستشفيات المجانين ..

وصرخت المرأة قائلة :

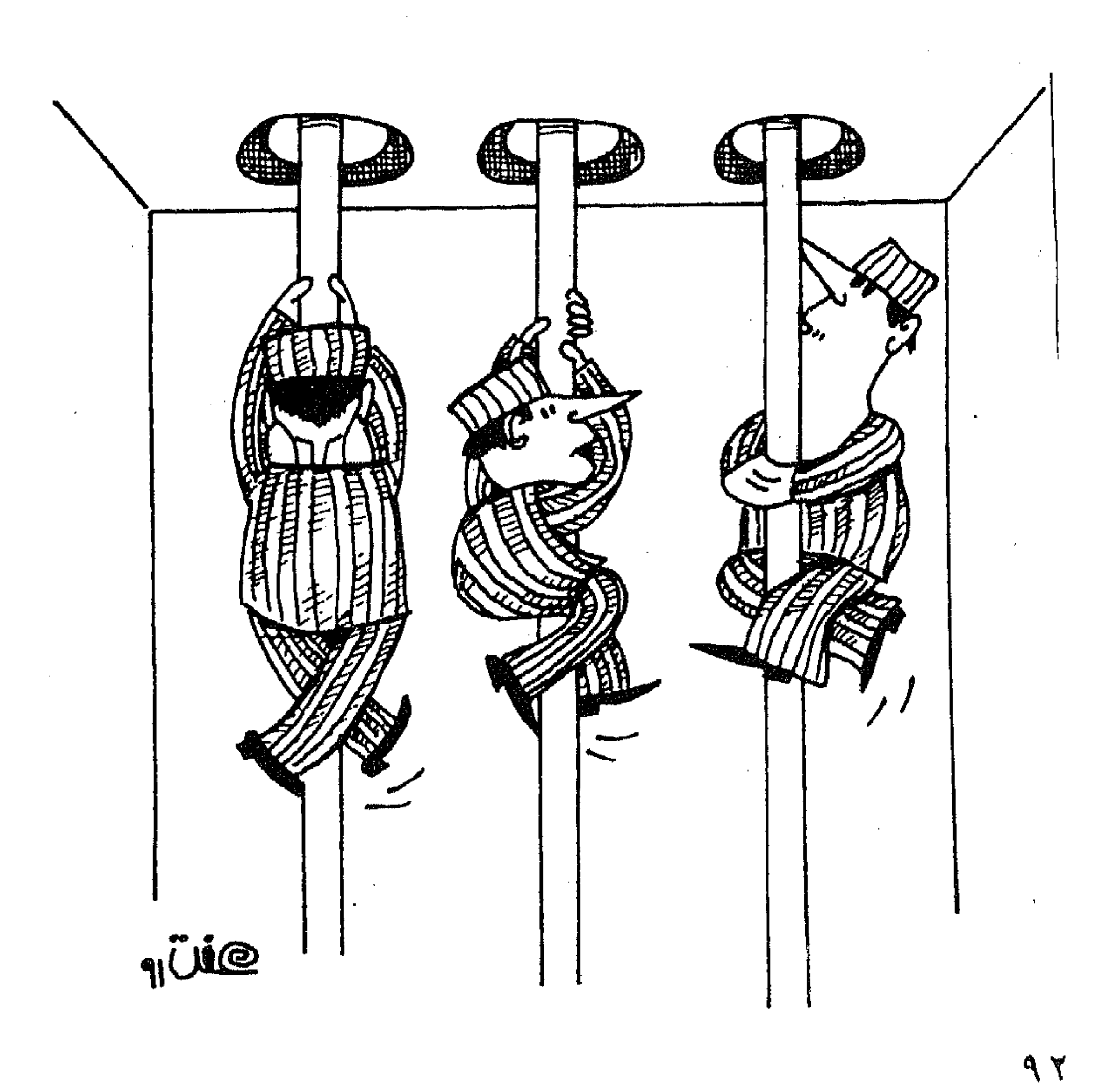
متى يضعون نهاية لنظام « المنبوذين » ؟ !

وهنا صاح ضابط السجن ..

— انتهت الزيارة !

ooo

سعادة المفتش



سجن الاستئناف
فبراير سنة ١٩٦٦ :

صديقى العزيز .....

والان تعال أحدثك معى عن حياتى فى السجن .

ان السجن عاش هذه الأربع والعشرين ساعة فى قلق وانتظار ! ان خبرا خطيرا وصل الى السجن ! ان المفتش سيزور السجن غدا الساعة السابعة صباحا !

وانتقلت الهمسات من أذن الى أذن . من المأمور الى الضباط ، من الضابط الى الصولات ، ومن الصولات الى الحراس ومن الحراس الى المسجونين . وكأن عصا سحرية مست السجن كله . خرجت فرق النظافة تنظف فناء السجن الذى هو أشبه بصفيحة كبيرة للزبالة ! حمل عدد من المساجين الجرادل والمقشات وراحوا يدعكون بلاط الممرات فى السجن . بعد أن كانت تغطيه طبقة من التراب بحيث لا تعرف هل تدوس على أسفلت أو بلاط أو تراب ! وتشعلق مسجونون آخرون على الأعمدة الحديدية ينظفونها ويلمعونها خشية أن يتشعلق المفتش عليها ويكتشف التراب . وأسرع المسجونون يخبئون، ما لديهم من الممنوعات . الذين معهم .. نقود أو حشيش أو سجائر يخفونها فى شرجهم .. ولم أتصور فى حياتى أن الشرج ممكن أن يتسع ليصبح خزانة نقود أو فريجيدير !

وكان على أن أستعد أيضا لحضور المفتش . أن المأمور سبق أن قال لى أمام أحد المفتشين أيضا أن غرفتى ملأى أكثر من اللازم يجب أن أعيد ثلاثة أرباعها الى البيت وأكتفى بالضرورى . وحرت ماذا أفعل . وقررت أن أستيقظ فى الساعة الثالثة صباحا لأقوم بعملية تنظيف فى الغرفة !

المصباح وضعته تحت السرير وأخفيته تحت الصحف والمجلات . الشمعة التي أستعين بها عند انطفاء النور وضعتها داخل فردة حذاء ، وغطيتها بأحد الجوارب ! والراديو أين أضعه ! وضعته تحت المرتبة . ولكنى خشيت أن يفتش المفتش المراتب . فوضعته فى جردل البول . ثم خشيت أن يكون المفتش فضوليا ، ويقلب ما فى جردل البول ، فقررت أن أضعه فى جيبى الخلفى . ولكن ماذا يحدث لو تحرك فجأة القرص أثناء جلوسى أو تحركي وأخرج الراديو صوتا فى أثناء وجود المفتش ! ولكنى قامرت بوضعه فى جيب البنطلون الخلفى على أمل أن يخجل المفتش ولا يفتش البنطلون ! ثم هناك وابور صغير لتسخين الطعام وهو ممنوع أيضا . فأخفيته تحت كمية من البرتقال والبلح !

وبقيت من الساعة الثالثة صباحا أنتظر المفتش . ثم وضعت حقيبتى تحت السرير ، وأخفيت سبتين أضع فيهما الجبن والمخللات والفاكهة والكبريت تحت السرير أيضا . حتى تبدو الزنزانة متواضعة عندما تطل عليها الطلعة البهية لسعادة المفتش .. وفى الساعة الثانية وصل المفتش . وصاح عسكرى : انتباه ! وسمعت العساكر يعدون فى الطرقات ويلمعون أحذيتهم وزرايرهم الصفراء ويعدلون وينظمون فى هندامهم .

وبقيت أنتظر وصول المفتش الى غرفتي ولكن المفتش مر على المسجونين السياسيين مرور الكرام . ثم نزل الى غرفة المأمور ليشرب القهوة ويقرأ جرائد الصباح . وتنفست العنابر والزنازين الصعداء . وبدأ السجانون يفتحون الزنزانات ، وقالوا لنا ان الخطر زال ..

وبدأنا نمشى فى أروقة السجن . ونلقى بأعقاب السجائر على البلاط ، وبدأ السجانون يفكون أربطتهم الجلدية ، وزراير جاكتاتهم .. وعدت الى غرفتي وأخرجت الحقائب من تحت السرير ، وتخلص بنطلونى من الراديو ، وعادت غرفتى الى ما كانت عليه .

وفجأة صاح الحراس انتباه ! وأسرعنا نعود الى زنزاناتنا ونغلق الأبواب علينا . أن المفتش سيفتش من جديد ! لقد انتهى من شرب القهوة وقراءة جرائد الصباح . وعدت أقوم بعملية اخفاء الممنوعات من جديد . وأحمل الحقائب وأضعها تحت السرير ..

وأسرع عدد من المسجونين يجمعون أعقاب السجائر من الأرض ، ويعيدون مسح البلاط ، ويتشعلقون على الأعمدة الحديدية يعيدون تنظيفها خشية أن تكون اتسخت فى خلال الساعة التى كان يقرأ فيها المفتش جرائد الصباح . وصعد الضباط الى الدور الثانى الذى نحن فيه ، ليشرفوا بأنفسهم على نظافة الأبواب والنوافذ والأسفلت والبلاط !

وساد السجن الهدوء . كأن الحراس يمشون على أطراف أصابعهم بعد أن كانوا يضربون الأرض بأقدامهم وكأنهم يجلدونها . وتوقفت مظاهرات الانتحار اليومية ! نعم اننا كل يوم نشهد محاولة للانتحار ! وهي طريقة المسجونين للاحتجاج على أى ظلم وقع عليهم . فالذى يحدث أن يتشعلق أحد المسجونين على « كمرة » حديد من الحديد الذى يحمل بلكونات السجن الداخلية ، بحيث لا يستطيع أحد الوصول اليه ثم يجلس فوق الكمرة مهددا بأن يلقى نفسه من الدور الثالث الى الأسفلت . ويقف المسجونون فى البلكونات يرجون المسجون ويتوسلون اليه ألا ينتحر . وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات ، حسب قدرة المسجون على الاحتمال ، يحضر الضابط أو المأمور ، فيروى له شكواه ، يوعده الضابط بأنه لن يعاقب لأنه حاول الانتحار ثم ينزل المسجون من مكان الانتحار بين تصفيق المعجبين !

ولكن تحدث فى بعض الأحيان محاولات انتحار حقيقية . فقد حدث أن ألقى أحد المسجونين بنفسه من الدور الثالث ، والغريب أنه سقط واقفا دون أن يصاب بخدش ..

وأنا أتفرج على المسجونين وهم يتعلقون بالأعمدة ويصعدون عليها وأعرف منها كيف أن اللصوص يجيدون تسلق مواسير المياه لسرقة العمارات ! وحدث أن أراد مسجون أن ينتحر فأخذ موس وفتح بها بطنه بحيث أصبحت ترى أمعاءه ! وفتح أحد المسجونين خصيته ! وكان منظر الخصيتين والدم يسيل منهما وهو يسير على قدميه منظرا غريبا جدا !

وبقيت محبوسا فى داخل زنزانتى عدة ساعات ، حتى جاءت الأخبار بأن المفتش غادر السجن بسلامة الله . وفتحت الأبواب وخرجت الممنوعات من المخابىء ، وخرجت الحقائب من تحت السرير !

ولم يدخل المفتش زنزانتى ! ولم يفتشها طبعا . وقال لى الضباط أن المفتش خاف أن يدخل غرف السياسيين ، لأن لسانهم طويل ، وقد يقولون أشياء ، ويتكلمون معه بلهجة لا تتفق مع مقامه السامى أمام المأمور والضباط والمسجونين ! وحسنا فعل !

ولقد أمضينا اليوم نضحك ! لقد زهقنا من عملية اخافة زميلنا الارهابى رقم ١١ ، وإظهار العفاريت واتفقنا معه على أن نعمله المسيح الجديد " أن الكتب الدينية تقول أنه سيظهر فى آخر الدنيا المسيح الدجال وسيدعى النبوة ، فلماذا لا يدعى زكريا النبوة ويقول انه المسيح الدجال !

واتفقنا معه على أن نشيع حوله الكرامات والمعجزات ! فيتظاهر أحد المساجين بأنه مات ، ثم يمر الارهابى رقم ١١ بيده على الميت ، فتعود إليه

الروح ! أو يطلب سماع أغنية فى الراديو ، وفجأة يذيع الراديو الأغنية التى يطلبها سيدنا الارهابى ! أو ندعى أن الارهابى مر بأحد المسجونين فشكا المسجون من طول سجنه ، فيقول له الارهابى رقم ١١ بعد ساعة ستخرج . بعد ٥٠ دقيقة . بعد ٤٠ دقيقة .. بعد ٥ دقائق . وفجأة يجىء السجان يبلغ المسجون نبأ الافراج عنه .

ووافق صديقنا الارهابى رقم ١١ أن يقوم بدور المسيح الدجال !

وفجأة وجدنا أن كتب الدين تقول أن المسيح الدجال بعين واحدة بينما زكريا بعينين اثنتين !

وقلنا له الحل هو ان نخرق احدى عينيه !

واستغاث سيدنا الارهابى بالحراس ووعدناه أن نترك له العين ..

ثم بدأنا نمثل المعجزات والكرامات التى سوف يحققها سيدنا الارهابى . وإذا بسيدنا الارهابى يصدق فجأة انه أصبح نبيا ، وأن الرسالة نزلت عليه بحق وحقيق .

وأحضرنا ثلاثة من المساجين تظاهروا بأنهم ماتوا ، ثم بدأ سيدنا الارهابى يحييهم ..

وفجأة قام الأموات الثلاثة وضربوا سيدنا الارهابى رقم ١١ علقة .. اقتنع بعدها أنه ليس نبيا ولا مسيحا ، ولا سيدنا ، ولا حاجة أبدا !



كانت أمي على حق !

سجن الاستئناف

١٥ مارس سنة ١٩٦٦ :

أخي العزيز .....

قرأت خطابك المؤرخ ٣ مارس . ان خطاباتك تسعدنى . اننى أنتظرها بفارغ صبر . أنا يحتلنى شعور اننى أعيش معك . ولقد أسعدنى أنك بدأت تضيق بالروتين فى حياتك ، وانك قررت أن تخرج من غرفتك فى الفندق التى سجنت نفسك فيها . وقد شعرت فى الوقت نفسه أنه يجب أن أكتب حتى لا أنسى الكتابة ! وشعورى انك تقرأ ما أكتب يجعلنى أجد لذة فى أن أكتب إليك ، وأكتب طويلا ! ولولا الظروف التى أنا فيها لكتبت لك أكثر ، ولكنى أنتهز فترات معينة لأستطيع أن أكتب لك فيها ، وبعد أن كنت اشكو أن باب الغرفة يقفل على ٢٣ ساعة ونصفا كل ٢٤ ساعة ، أصبحت الان ، وغرفتى مفتوحة من الساعة الثامنة الى الساعة الخامسة بعد الظهر ، إلا عندما يصيح الحراس « انتباه » فنعرف أن المأمور فى طريقه الى الطابق الذى أنا فيه ، فنجرى جميعا الى غرفنا ونغلق الأبواب خلفنا ! ومع ذلك فقد أصبحت ازهد فى هذه الحرية ، وأتمنى أن يغلقوا الباب ، لأنفرد بك ، وأكتب إليك ، واتحدث معك ، وافتح لك قلبى ، وأناجيك ، وأتكلم معك على الورق ، وإن كنت أتحدث إليك وأتكلم معك طول الليل والنهار بغير قلم وبغير ورق !

لقد خرجت اليوم ، لأول مرة منذ انتهاء المحاكمة ، لأذهب الى مستشفى المنيل الجامعى ـ القصر العينى الجديد ـ لأقوم بتحليل الدم . وقد مضى على اكثر من أربعة اشهر لم أحلل دمى ، ولقد تقدمت أطلب السماح بتحليل دمى منذ أربعة أشهر ، ولكن الطبيب هنا أخصائى فى امراض الولادة !!

وبقى الطبيب حائرا ومترددا وخائفا يقدم ساقا ويؤخر ساقا ، ثم طلب منى أن يحلل البول أولا ، ليرى هل فى البول سكر أم لا ؟ وتم تحليل البول وقالوا لا يوجد سكر ، ومادام لا يوجد سكر فى البول فلا يجرؤ الطبيب أن يطلب تحليل الدم ! بعد أخذ ورد ، وجذب وشد ، اتفقنا أن أحصل من الدكتور الصيفى على آخر شهادة بتحليل الدم وأن به « سكر » ، وحصلنا على الشهادة ، وأرسلنا الطلب الى النيابة ، ثم جاءت الموافقة بأن أذهب لتحليل دمى فى مستشفى القصر العينى ..

وحضر ضابط وجندى ليصحبانى ، وضابط من المباحث ، وركبنا سيارة ملاكى ، وهى أحسن بكثير جدا من السيارة اللورى التى كنت أركبها فى ذهابى الى المحاكمة . فقد كانت السيارة اللورى التى كنت أركبها فى ذهابى الى المحاكمة أشبه بالجمل ، وكانت تقفز فى أثناء الطريق ، وحدث مرة أن توقفت وراح الضباط والعساكر يصيحون « اللى يحب النبى يزق » ! ولكن فى هذه المرة كانت السيارة محترمة ! وكانت أول سيارة محترمة أركبها منذ سبعة شهور ونصف ! وعند باب المستشفى رأينا خيرية وزينب ! ولوحت لهما بيدى ، لأن الضابط توسل الى ألا أتحدث اليهما وإلا فسوف يتخرب بيته !!

وذهبنا الى عنبر اسمه المعتقل ، وهو أحد عنابر المستشفى ومن الصدف الغريبة انه عنبر مرضى البول السكرى ، وقد خصص العنبر للمعتقلين ، وبابه مغلق بالمفتاح ، وطرقنا الباب ، وفتح لنا عسكرى ، وجلسنا فى صالة العنبر مع ضابط ، الى أن يذهب ضابط المباحث ، ويبحث عن الطبيب الذى سيقوم بعملية التحليل . وكنت مهتما أن أذهب الى هذا العنبر ، لأرى كيف يعيشون فى المستشفى . وقابلت هناك محمد يوسف الأميرالاى الذى كان مسجونا معى فى سجن الاستئناف ونقل الى مستشفى القصر العينى ، وكنت أتصور أن الحياة فى المستشفى جنة ، وانها احسن من الحياة فى السجن ، ولكنى لم ألبث أن اكتشفت اننا كنا مخطئين جدا فى تصورنا ، وأن الحياة فى السجن أحسن كثيرا جدا من الحياة فى معتقل المستشفى ! عرفت أن الزيارات ممنوعة ! وأن بنات محمد يوسف كن يحملن تصريحا بالزيارة من النيابة ، ولكن المعتقل رفض الاعتراف بهذا التصريح . بينما كان محمد يوسف يستطيع أن يقابل أسرته وهو معنا فى سجن الاستئناف ، مرة كل خمسة عشر يوما . وعرفت أن الطعام من البيت ممنوع ، وأن المرضى يأكلون من أكل المستشفى وهو لا يطاق ! وكنت اتمنى ان أذهب إلى المستشفى متصورا اننى سأكون فى غرفة وحدى طوال اليوم ، ويجيئنى

الزوار ، ويكون فى غرفتى تليفزيون وراديو ، كما كان يحدث فى الماضى مع المسجونين الذين كانوا ينقلون الى المستشفى ، ولكن النظام الجديد ألغى كل هذه الرفاهية ، وجعل المريض المقيم فى المستشفى يتمنى أن يشفى سريعا جدا ليعود الى السجن من جديد !

وقد طلب محمد يوسف اعادته الى السجن ، والغريب أن طلبه رفض !! فإن دخول الحمام موش زى خروجه !

ولقد حمدت الله أن طلب المحامين نقلى الى المستشفى لم يقبل ! فإن الحياة فى المستشفى كما رأيتها اليوم ، ليست هى الحياة التى كنت أتخيلها وكان المسجونون معى يبالغون فى وصف جمال الحياة فى المستشفى وكأنها غاية المراد من رب العباد ! ..

ولقد استقبلنى الدكتور محمد عبدالمنعم أبوالفضل أستاذ قسم البيولوجيا الكيميائية الذى سيتولى التحليل ، وقال لى أن التحليل لا ينفع اليوم ، وطلب منى أن أعود اليه يوم السبت ، وأن أجمع ٢٤ ساعة بول ، وفهمت أنه أراد أن يعطينى فرصة لأرى الشارع مرة أخرى !

ولقد تصورت وأنا خارج من باب السجن اننى سأفرح عندما أرى الشوارع التى لم أرها منذ وقت طويل .. ولكنى فى الواقع لم أشعر بطعم الحرية كما كنت أتصور ! كنت أتوهم اننى سألتهم الشوارع بعينى ، سأكل الناس بنظراتى ، ولكنى لم أحس بأى شىء ، كنت أشبه بسائح ، وكنت أتوهم اننى سأرى أن المدينة قد تغيرت ، ولكنى لم أشهد شيئا مختلفا أو جديدا !

وسارت بى السيارة فى شارع الدواوين ، ومرت أمام البيت الذى كنا نسكنه ، وهدم وأصبح عمارة ، وأمامه مدرسة الأوقاف التى كنا تلاميذ بها ، وبجوارها الحوارى التى كنا نلعب فيها الكرة ، وقد مرت بسرعة ذكرياتى على أيام طفولتنا فى هذه الأماكن ، حيث ولدت أحلامنا ، وحيث أصدرنا مجلتنا الأولى بالبالوظة ، ثم عندما مررت بالمكان الذى كانت فيه مطبعة أحمد شفيق باشا وتذكرت عندما أصدرنا مجلتنا الأولى بالمطبعة وعمرنا ١٤ سنة !! ومرت السيارة بعد ذلك أمام بناء مدرسة المنيرة التى كنا تلاميذ بها ، ثم بناء دار العلوم التى كانت مدرسة المنيرة فى وقت من الأوقات ، ثم أمام معهد المعلمين الذى كان أيضا مدرسة المنيرة فى وقت من الأوقات ! واحسست كأننى أمشى من جديد فى طفولتنا ، فى تلك الأيام التى كانت بنطلوناتنا قصيرة وأحلامنا طويلة ! عندما كنا نصدر مجلة التفوق والبيان والأسد بالقلم الرصاص ، ثم مجلة الطالب بالبالوظة ، ثم مجلة

التلميذ بالمطبعة ، ثم رحت أتذكر كيف كانوا يضربوننا « علق » لحبنا للصحافة ، ما أبعد نظر أمي !! وتذكرت بعد ذلك أن ما يصيبنا الآن هو نوع من « العلق » التي كنا نتلقاها ونحن أطفال ، ونتصور أنها نهاية العالم ، ثم تمضي الأيام ، ونذكر هذه العقوبات ونضحك ، ولعله سيجيء يوم نتذكر فيه أيضا « العلق » التي نأخذها اليوم ، وسوف نضحك أيضا !

وفي طريق عودتي ، مرت السيارة بجاردن سيتي ، ثم مرت أمام الجامعة الامريكية التي كنا تلاميذ بها ، ثم مرت أمام عمارة بحري حيث كانت مكاتبنا في مجلة آخرساعة !

ولقد كانت هذه الرحلة تحليلا لذكرياتي ، لا تحليلا لدمي ، وما دمي إلا ذكرياتي !

ونسيت أن أقول لك انني في المستشفى احتفلت بي الممرضات ' وكن يجرين ورائي أثناء انتقالي من عنبر الى عنبر ، حتى ضاق بهن ضابط المباحث وقال « مرقعة بنات » واضطررت أن أوافقه على رأيه منافقا ، بينما كنت في قرارة نفسي سعيدا بهذا الاحتفال !

ونسيت أن أقول لك انني سررت عندما علمت أن وزنك نقص ، وأن بنطلوناتك أصبحت في حاجة الى تضييق .. ولقد كنت أتمنى أن تنتهز الفرصة وتنقص وزنك . ولعلك لا تعرف أنني أرتدي حزامك الأسود بعد أن أضفنا اليه عدة خروق ، وانني أستعمل كلسوناتك . وانني أرتدي بعض كرافتاتك ! وهذا يسعدني كثيرا ، فإنني أشعر وأنا أرتديها كأنك معي .. لا أستطيع أن أحضر أي شيء من بيتي .. لأن بيتي مغلق بالضبة والمفتاح بأمر نيابة أمن الدولة !

أما حالتي المعنوية فهي جيدة ، وكلما أحس بحب الناس أجد في ذلك هناء وسعادة . وانني متفق معك في أن الناس هائلون . وأن حبهم هو أجمل ما في الحياة . وكم أشعر بسعادة وأنا أمشي بين المسجونين وأراهم يرفعون أيديهم الى السماء ويبتهلون لي ، أو يقولون ربنا معاك . قلوبنا معاك . كلنا معاك ! ان هذه التحيات التي أسمعها في كل مكان كأنها موسيقى بتهوفن الخالدة التي لا أمل سماعها والتي تملأ روحي هناء وتفاؤلا وإيمانا .

والآن تعال أضمك الى صدري وأقبلك قبلة طويلة ، طول الأيام ، والأسابيع ، والشهور ، التي لم نلتق فيها ..

وسوف نلتقي بإذن الله ..

خطاب على جهاز تسجيل !

سجن الاستئناف
٢٣ مارس سنة ١٩٦٦
أخى العزيز ...

لا تتصور فرحي بخطابك الذى هربوه الى ، الذى اخبرتنا فيه بوصول حديثى « على جهاز التسجيل » الذى سجلته خيرّية فى الزيارة فى غفلة من الحراس . لقد كنت أنتظر بفارغ صبر لأعرف انك تجلس الان فى فراشك وتسمع صوتى ... ولاشك أن صوتى جعلك تعيش معنا باذنك بعد أن عشت معنا بإحساسك وبقلبك . وأرجو أن يجىء اليوم الذى نعيش فيه معا بعيوننا أيضا ! ان نجاحنا فى إدخال جهاز تسجيل داخل السجن أرسل عليه إليك خطاباتى بصوتى هو مغامرة مذهلة لا يقوم بها إلا مجانين .. وقد قمنا بها !

ولقد فرحت بالخطاب لأنه كان خطابا طويلا . وكنت عادة أضع الخطاب فى جيبى الى أن يغلق باب الزنزانة . لأخلو الى الخطاب وأستمتع به . ولكنى لم استطع الانتظار وغامرت ، وجلست أقرؤه وباب الزنزانة مفتوح ، وأنا مهدد بدخول اى حارس أو ضابط قد يسألنى ماذا تقرأ ! ولكن ولله الحمد لم يدخل احد ! وقرأته مرة ومرتين وثلاث مرات . ثم قرأته بعد أن أغلق باب الزنزانة ، وقبل أن أنام ، وبعد أن استيقظت من النوم ! وهو سوف يفارقنى اليوم ، وكانه حبيب سيفارقنى ، وانا سعيد ان الأيام اثبتت ان رأينا فى المرأة فى محله . فإن فى هذه المحنة ظهر بوضوح أن المرأة « أرجل » كثيرا من الرجال ! والواقع أن هذا ليس مفاجأة لى . فقد توقعت ذلك دائما . وأنت لا تتصور حماس النساء والأمهات لك . ففى عيد الأم كانت هناك امهات يزرن اولادهن المسجونين ، وكانت السيدات يقلن لى

« والنبى تسلم على على أمين وتقول له كل أم موش ممكن راح تنساه مهما غيروا اسم عيد الأم » ! لقد صدر قرار بتغيير اسم عيد الأم الى عيد الأسرة حتى ينسانا الناس ، ولم ينسنا الناس ، ولم ينسوا عيد الأم !

ولقد كان اليوم يوما مهما بالنسبة لى . لقد زارتنى أسرتى . وامضينا وقتا طويلا جميلا نضحك ونتحدث ونمرح ونروى قصصا وحواديت . وكانت المقابلة فى غرفة المأمور ، ولكنا لم نشعر بوجوده ! ولقد أحسست اننى أتكلم لك ، وأتكلم معك ، وأقول لك اننى بخير ، وأن أعصابى قوية ، وأن الأيام تمر على بسرعة ولا أصدق أنه مضى علىَّ مسجونا ثمانية أشهر ويومان ! واننى الان أدخل الشهر التاسع ! ولعل كثرة الأحداث التى وقعت لى ، وتتابعها ، وسرعتها ، جعلت الأيام تقفز ، ولا تجعلنى أشعر أنها تمضى على مهل !

ولقد كان اليوم يوما جميلا حقا . فما كدت أخرج من مقابلة أسرتى حتى رأيت فى الحوش ابراهيم شفيق القبانى مندوب بنك التسليف فى الشركة العامة لمنتجات الجوت وسيد حسن عزام المهندس بقسم التجهيز بشركة الجوت ، وهما المتهمان بأنهما قالا أن مصطفى أمين مظلوم وسيطلع براءة ! ومشيت معهما فى الحوش وقالا انه مضى عليهما فى السجن ٣١ يوما . فقلت لهما أن شعورى انهما سيفرج عنهما فى خلال ثلاثة أيام . وأن هذا هو احساسى ، فإذا لم يتم هذا فمعنى ذلك اننى فقدت أحسن خواصى ، وهى حاسة الاحساس !

وما كدت أنتهى من هذا الحديث حتى جاء مسجون من الذين يعملون فى ادارة السجن وهمس فى أذاننا بأنه وصل الان خطاب من النيابة بالافراج عنهما بدون كفالة ، وهجم الاثنان على بالقبلات ، وقبلتهما ، وشعرت بسعادة لا حد لها بالافراج عنهما ، فقد هزنى أن يقبض عليهما بسببى ، وتعذبت وأنا أرى زوجة أحدهما تبكى ولا تستطيع أن تواجه عريسا وراء القضبان ، وهى لاتزال فى شهر العسل !

وانتشر الخبر فى السجن كله ، وأقبل على السجانون والمسجونون يهنئوننى ويقولون لى]عقبالك » . وراح المسجونون يستنتجون من الافراج عن هذين المسجونين انه سيفرج عنى أيضا ! وحاولت أن أفهمهم أنه لا علاقة بالافراج عنى بالافراج عن المهندسين . ولكن المسجونين أصروا - رأسهم وألف سيف - أن لا بد أنه سيفرج عنى قريبا جدا . وراهنى مسجون اسمه الأستاذ مصطفى عبدالعظيم بعشرة جنيهات انه سيفرج عنى فى خلال خمسة عشر يوما ! وهرول السجانون الى يقولون انهم

واثقون أن معنى الافراج عن هذين المهندسين أنه سيفرج عنى خلال أيام ، ويقسمون ويؤكدون ويراهنون ، ويتهموننى بأننى أعرف أنه سيفرج عنى ، وانى أخفى عنهم هذا السر الرهيب ! وعبثا حاولت اقناعهم أن هذه الأحلام لا أساس لها من الواقع . وغضب بعضهم وقالوا لى : سيبنا يا أخى نفرح ! لماذا تريد أن تنكد علينا وتفسر هذا الحلم الذى نشعر جميعا بأنه سيتحقق فورا ..

وقلت لهم اننى لا أريد أن يبنوا قصورا فى الهواء ، واننى أعتقد أن المسألة ستطول .. ولكن أحدا منهم لا يريد أن يصدقنى . ان كل من فى السجن يتصور اننى سأخرج قريبا ، وأن المسألة مسألة أيام .

وكثير من هؤلاء يحبوننى ، وبعضهم يحبون أنفسهم .. إذا خرجت فسوف أبلغ المسئولين المظالم التى شهدتها بنفسى ولمستها بيدى ..

ولقد سررت كثيرا بأن فائق السمرائى وسعيد فريحة مقتنعان تمام الاقناع ببراءتى بعد أن حاولت المفتريات والأكاذيب أن تضلل سعيد . ولا تتصور يا على فرحى وسعادتى عندما أسمع بأن الرأى العام مؤمن ببراءتى ، لا فى مصر وحدها ، بل فى كل البلاد العربية ان هذا أكبر عزاء لى . انه يجعلنى أحب الناس كلهم . يجعلنى أتمنى أن آخذ الدنيا كلها بين ذراعى وأقبلها وأشكرها . اننى أرى الرأى العام هنا كل يوم ! اننى أحس به وألمسه وأصافحه وأتحدث اليه . انهم يقولون لى بألسنتهم وبعيونهم وبأيديهم أشياء جميلة تسعدنى . هى الدواء لجراحى ، والبلسم لآلامى . انه لولا هذه المحنة لما رأيت عواطف جميلة بريئة طيبة مخلصة كالتى رأيتها . أولئك الناس الذين يعرفوننى ولا أعرفهم . الذين لا أملك لهم ضرا ولا نفعا . ولكن يعطوننى حبا وثقة ودعوات جميلة نبيلة . لقد كنا على حق فى ايماننا بهذا الشعب ، وفى تفانينا فى خدمته والدفاع عنه ، ان فى هؤلاء البسطاء وفاء غريبا ، انهم لا ينسون أبدا أى شىء قدمناه لبلادنا . انهم يتحدثون عنا وكأنهم يعرفوننا طوال أعمارهم . وفى بعض الأحيان احس بأن ما أعطاه الناس لى فى هذه الفترة الوجيزة هو اضعاف ما أعطيناه للناس طول عمرنا . وأن الله لا يمكن أن يتخلى عن الذين عاشوا حياتهم للناس ومن أجل اسعاد الناس ، ولم يفكروا يوما فى انفسهم . وهذا ما يجعلنى أؤمن بأننى سأجد هؤلاء الناس الطيبين فى أى مكان سأذهب اليه . وانه مهما حدث فإن الناس سيكونون النافذة التى أطل منها إذا أغلقت جميع النوافذ ، وسيكونون الباب الذى أخرج منه ، اذا أغلقت كل الأبواب بالسلاسل والقضبان ، وسيكونون درعى إذا انهالت على

السهام ، وسيكونون الشعاع اذا أظلمت الدنيا أكثر مما أظلمت حتى الآن ..

ولقد حدث منذ أيام أن جاءني شاب مسجون وقال انني أريد أن أصافحك ' أريد أن أتحدث معك دقيقة ' وتحدث معي وتكلم عن نفسه ، وكيف انه يخشى اذا خرج من السجن أن يعتقل ، وان البوليس لفقق ضده تهمة احراز مسدس بدون رخصة ودهشت لالحاح هذا الشاب في أن يراني ورفضه أن ينتظر الى اليوم التالى ، فقد كنت اتحدث مع بعض الأصدقاء ..

وفي اليوم التالى سمعت أن هذا الشاب نفسه هرب '

فقد غافل حارسه في المحكمة واختفى ، ولم يعثر البوليس له على أثر ..

وعندما سمعت هذا عرفت ، لماذا أصر هذا الشاب على أن يصافحنى في اليوم السابق !

لقد أراد أن يصافحنى قبل أن يهرب !

ويحدث أن تجرى في السجن مناقشات

بعض الناس لا يتصور أنه يوجد في هذا البلد من يتحمل الاساءة لشخصه ، ولا يغير مبادئه ، ولا يحاول أن يحطم الذين حطموه ' وكم أقول لنفسى : آه لو يعلمون ما تحملت ' آه لو عرفوا اننا وقفنا ندافع عن هذه الثورة طوال هذه السنين الطويلة ، برغم ما كان يصيبنا شخصيا منها ! لو علموا مثلا أن الجمهورية صدرت سنة ١٩٥٤ وهدفها الأول أن تفلس أخبار اليوم وكيف كان بعض المسئولين يهدد أصحاب الاعلانات بالنفى خارج البلاد اذا وضعوا إعلاناتهم في أخبار اليوم ، وكان يحرق سيارات التوزيع بقنابل مولوتوف ، ثم جاءت أزمة مارس فنسينا كل هذه الاساءات ووقفنا الى جانب الثورة ، عندما تخلى عنها الجميع ، وخرجت المظاهرات تهتف بسقوطها . وقال لنا الرئيس جمال عبدالناصر يومها انه لن ينسى مادام حيا موقف أخبار اليوم في أزمة مارس .

وسوف يذهلون اذا علموا أنه عندما كانت أخبار اليوم تحارب معارك الثورة كلها . وكنا نقوم بالدعاية لها في صحف العالم الكبرى كانت لجنة الكسب غير المشروع تحقق في أخبار اليوم وتبحث دفاترها ، ومكثت تحقق في كل مليم دخل أخبار اليوم وبعد ذلك وضعت تقريرا قالت فيه أن كل قرش دخل أخبار اليوم حلال ..

وسوف يذهلون اذا علموا أن الرئيس جمال عبدالناصر عرض علينا مكافأة مبلغ مائة ألف جنيه ، وأنا رفضنا أن نأخذ مليما واحدا بينما كان الناس تتصور اننا مأجورون لهذه الثورة . واننا نقف هذا الموقف المتحدى لأننا نقبض الألوف من جمال عبدالناصر ! والذى كان يحدث اننا كنا ننفق

على الدعاية لبلادنا من أموالنا . ونسافر في مهام رسمية لبلادنا ونرفض أن نتقاضى مليما واحدا بينما يتقاضى الوزراء وكبار الموظفين نفقات سفرهم وإقامتهم في مهام لا قيمة لها .

وهم لا يتصورون أن أخبار اليوم قد أممت دون أن نأخذ مليما واحدا ، أو نطلب مليما واحدا ، بينما كل أصحاب الصحف أخذوا تعويضات ، أو خرجوا يملكون العمارات

وهم لا يصدقون اننا ، أنا وأنت ، الوحيدان في الصحافة اللذان ليس لنا معاش ! ومئات الأمثلة الأخرى ، لا أظن أن التاريخ سوف يغفلها ، أو سوف ينساها ، ولا يهمني أن يعرفها الناس ، بل لا أريد أن يعرفوها ، فأنا كما قلت كل ما يهمني هو التاريخ ، وهو أحكم القضاة العدول .

واننى أشكرك على المبلغ الذى أرسلته لخيرية ، فقد كنت في أشد الحاجة إليه ، فقد انتهيت من كل النقود التى كانت عندى . وأرجو اذا كان في الامكان ارسال مبلغ آخر

وقد سررت أن خيرية وزينب لم تنسيا أمى في عيد الأم ، فقد ذهبتا ووضعتا وردا على قبرها في ذلك اليوم . اننى شعرت انهما فعلتا ما تمنيت طوال الوقت أن تفعلاه ، وما أعرف أنك كنت تتمنى لو انهما فعلتاه . والواقع اننى تأثرت بهذا وفرحت به كثيرا ، وكان أجمل هدية تلقيتها في عيد الأم .

والاشاعات هنا كثيرة بأن الأحكام ستصدر عقب العيد مباشرة ، وبرغم ما سمعته من سعيد ، عن مقابلة محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان للرئيس جمال عبدالناصر ، فإننى أفضل أن أكون حذرا في تفاؤلى حتى لا أصاب بصدمة وأنا أقدر أسوأ الاحتمالات . فإذا صدر الحكم ضدى فمعنى ذلك أنى سأنقل من سجن الاستئناف الى ليمان طره . وهم يقولون انه سجن صحى أكثر من السجن الذى نحن فيه ، والذى يعتبر بشهادة الضابط أسوأ سجون الجمهورية . ويقولون أن سجن طره فيه حدائق ، وفيه حوش للعب الكرة ، ومسرح للتمثيل والسينما . والشىء السيىء فيه أن الزيارة مرة كل شهر لا كل ١٥ يوما كما هى الان وأنه لا يسمح للمسجون بأن يتناول طعامه من الخارج ، وإنما يأكل أكل السجن .

ولقد كان كل ما يهمنى أن أعرف هل يمكن أن أحصل على فول مدمس وبيض دائما . فقيل لى أن ذلك ممكن جدا ، ولهذا فإن الأكل لن يكون مشكلة بالنسبة لى . وستبقى هناك مشكلة السجائر فقد لا يسمحون بالسجائر الكنت ، وممكن أن أعود نفسى على سجائر البلمونت ، ولن تكون هذه مشكلة أيضا .

ومع كل هذه الاحتمالات فإنك ترانى متفائلا بالمستقبل ، وانني معتقد أن غدا يوم أجمل من اليوم ، وأن كل يوم يمضى ، يقربنى الى اليوم الموعود ، واشعر أن الأيام معى وليست ضدى . وانني مؤمن بأن الله لن يتخلى عنا أبدا . وسيعطينا أياما جميلة سعيدة حلوة ، واننا سنضحك كما لم نضحك أبدا ، وسنمرح كما لم نمرح أبدا ، وسنجعل أيامنا أعيادا متصلة الى أن نموت .

وأن كل ما يحدث اليوم هو اننا ندفع ضرائب متأخرة عن أيام حلوة عشناها في الماضي ، وعن أيام حلوة سوف نعيشها في المستقبل . ومن عادة مصلحة الضرائب أن تعطى تخفيضا كبيرا للذين يسددون ضرائب المستقبل قبل موعدها !

لقد مكنا الله من أن نحول الأيام التعسة الى أيام محتملة ، والفضل في ذلك لايماننا وللخطابات التى يهربها أصدقائي ، ولما أراه والمسه من عطف وحب الناس . وهذه نعمة من الله اقدرها ، وأشكره عليها وأحمده ، وأرجو أن يمنحنى الله الفرصة لأمد يدى لأكبر عدد من البؤساء ، لأسعدهم ، ولأرى الابتسامة على شفاههم ، كما رأوا الابتسامة على شفتي .

والان أقبلك قبلة طويلة .. وإلى اللقاء .

● ● ●

٥٠٠ جنيه من أم كلثوم



سجن الاستئناف
٢٤ مارس سنة ١٩٦٦
أخى العزيز ...

اقبلك وأرجو أن يصل إليك هذا الخطاب منى فى العيد الكبير ليحمل إليك تهنئتى بالعيد ، راجيا أن نحتفل بالعيد الثانى معا ..

رأيت سعيد فريحة . كنت ذاهبا إلى مستشفى القصر العينى لتحليل الدم . وعندما وقفت السيارة أمام الفناء الداخلى رأيت سعيد مع خيرية وزينب . وعانقته وقبلته . كان مذهولا . ثم أشرت بيدى اشارة معناها انه يستطيع أن يقابلنى فى غرفة الطبيب . واظن أن سعيد لم يفهم الاشارة . ولكن زينب وخيرية فهمتا الاشارة ، واللبيب بالاشارة يفهم . لم يكن فى استطاعتى استعمال لغة الكلام . كان معى عدد من الضباط والحراس يحاصروننى . وعندما كنت جالسا مع الطبيب دخل سعيد . وبدلا من أن ينتهز هذه الدقائق الثمينة ليقول لى أخبارك انهمر فى البكاء . وأمضيت الدقائق فى تهدئته وتطييب خاطره . وقال سعيد انه سيفعل المستحيل ليقابلنى فى السجن ! قلت له ضاحكا اعمل المستحيل لاخراجى من السجن !

وبعد لحظات دخل ضابط المباحث وأنهى المقابلة . ومع ذلك سررت بها . وشعرت كأننى قابلت سعيد مرتين ، ومن الطريف اننى رحت أحدثه عن تجديدات اقترحها فى صحف دار الصياد . فقال لى سعيد : مالك وهذا ! المهم هو أنت !

أنا ؟ أنا لست مهما . اننى أفكر فى زنزانتى فيكم فى صحف الصياد . فى صحف أخبار اليوم وفى الصحافة المصرية والارهاب الذى تعيش فيه . فى أصدقائى الصحفيين وتلاميذى الذين يهددونهم طوال الليل والنهار بتحويلهم الى متهمين بالتجسس اذا فتح واحد منهم فمه ودافع عنى !

لقد سررت كثيرا بحضور سعيد . وسررت بالمبلغ الذى أرسلته معه لى . كنت فى أشد الحاجة الى نقود فى السجن . وكنت مهتما بأن يصلنى مبلغ أستطيع به أن أسدد دين أم كلثوم انني لا أستطيع أن أنام الليل وأنا مدين . لقد أنقذتنى أم كلثوم فى أحرج لحظات حياتى . عندما قبضوا على أخذوا كل ما معى من نقود . أوقفوا مرتبى . رفضوا أن يدفعوا أى معاش . صادروا أموالى فى البنك . كان القرار أن أموت جوعا . سدوا على جميع المسالك حتى لا يصلنى قرش واحد منك .. أنفقت سكرتيرتى زينب كل ما تملك على . باعت مصوغاتها . لم يبق معها مليم واحد لشراء الطعام الذى يرسلونه الى يوميا فى السجن . كنت أعرف أن كثيرين من أصدقائى سوف يقبلون* أن يقرضونى فى هذه المحنة . ولكنى رفضت أن أحرجهم لأننى أعرف أنهم كانوا يقبضون على كل من يمد يده بمساعدة مسجون سياسى . أعرف أن عددا من تلاميذى كان على استعداد لأن يقامر بهذه التضحية ، ولكنى لم أشأ أن أعرض واحدا من زملائى للمحنة التى تعرضت لها .

فكرت فى أن ألجأ إلى أم كلثوم . قلت لها اننى فى حاجة فورا إلى مائتى جنيه وأحب أن أنبهها أن هذا المبلغ سوف يعرضها لسخط الدولة ، ان لم يعرضها لتوضع أموالها كلها تحت الحراسة ! .. قلت لها اننى لن أتضايق إذا رفضت أن تدفع هذا المبلغ وإذا رأت أن الظروف لا تسمح لها بأن تقرضنى هذا المبلغ . قلت لها اننى لا أعرف متى أرده لها . فقد لا أستطيع أن أرده قبل عشرة أعوام ، وقد لا أستطيع أن أرده أبدا !

وأرسلت لى أم كلثوم خمسمائة جنيه ، ورفضت أن نوقع لها ايصالا بالمبلغ .

ان النقود التى أرسلتها الى وصلتنى فى الوقت المناسب ، بعد أن انتهيت من انفاق آخر مليم كان معى فى السجن ..

من أهم الأخبار عندى أن بعض المسجونين السياسيين خرجوا من السجن لحضور جلسات محاكمتهم أمام الفريق الدجوى ، وعادوا يخبروننى أن أفراد أسرهم الذين رأوهم فى المحكمة ، قالوا لهم أن راديو اسرائيل أذاع أنه تم الافراج عنى ! وقلت فى نفسى هذه مصيبة لأن معنى ذلك أن الدولة لن تفرج عنى ، حتى تثبت أن أخبار اسرائيل كاذبة ! وكانت اذاعة اسرائيل قالت قبل ذلك أنه صدر الحكم على بالسجن خمس سنوات مع ايقاف التنفيذ . وغرض اسرائيل من هذه الأنباء أن تقول أن مصر تضغط على الحريات وتقبض على الصحفيين .

حالتى فى السجن تتحسن يوما بعد يوم . وبعد أن كنت أنام مبكرا ، وأستيقظ عند صلاة الفجر وأبدأ القراءة ، أصبحت أقرأ حتى الساعة الواحدة صباحا على صوت أم كلثوم الذى يذيعه ميكرفون السجن . وأصبحت أستيقظ فى الساعة السادسة صباحا . وانقطعت عنى الصحف الانجليزية فترة ثم استأنفت الوصول . وقرأت كتابا ترجمة أحمد بهاء الدين عن رسائل نهرو من السجن الى ابنته أنديرا غاندى . وقرأت كتابا عن بنيتو موسولينى تأليف كريستوفر جيزيت .. ورأيت فيه شبها مما يجرى عندنا ، وأرجو ألا تكون النهاية واحدة ' وقرأت كتاب تيرنس روبرتسون عن القصة الكاملة لمؤامرة السويس .

أمشى الآن ساعة كل يوم ، حرارة الجو تجعل المشى غير مريح .

تسليتى هنا أن كل مسجون يريد أن يقابلنى ويعرض على قصته أو مشكلته أو قضيته الكل هنا يفتقد « فكرة » ويقولون انها كانت شعاع الأمل الوحيد فى ظلام حياتهم . لقد أطفأوا آخر شمعة فى هذا البلد !

يقولون لماذا لا تطبع « فكرة » فى مجموعات . وعدتهم اننى ساقنعك لكى تفعل ذلك . فى رأيى أنه يجب ألا تتردد أبدا . ابدا فى إعداد هذه الكتب وأطبعها فورا .

أمضى بعض الوقت فى القيام بوظيفة « قاضى الغرام » مسجون يختلف مع زوجته ويقرر أن يطلقها ، ثم يجىء ليستشيرنى .. وحدث أمس أن كنت فى الفسحة ، وجاءت زوجة أحد المسجونين التى كانت فى الزيارة ، وحاولت أن تقبل يدى . وقالت لى أنا زوجة محمود ! ولم أعرف من هو محمود هذا ! فقالت لى : المسجون الذى كان يريد أن يطلقنى وأنت نصحته بألا يطلقنى ، وقد أبلغنى اليوم أنه نزل عند رأيك وعدل عن الطلاق !

وحمدت الله اننى لم أنصحه أن يطلقها ، وإلا لأمسكت بزمارة رقبتى فى حوش السجن !

ومن الغريب أن المسجونين العاديين يتوهمون اننى أفهم فى كل شىء فى القانون .. وفى المسائل المالية وفى الخدمات الزوجية ..

وحدث من أيام أن جاءنى مسجون وهمس فى أذنى أنه قرر الهرب ، وأنه أعد كل شىء ، وأنه جاء يستشيرنى ويعرض على الخطة التى وضعها ليهرب .

وشعرت بسعادة لأنه ائتمنى على سره الرهيب .. ونصحته بألا يهرب ، وأقنعته بأنه لو هرب اليوم فسوف يبقى طول حياته مطاردا من الشرطة ، وقبل الشباب نصيحتى وهو يبكى ..

وبعد خمسة أيام فقط حكمت المحكمة ببراءته ...

وجاء الى السجن ليأخذ ملابسه وعانقني وشكرني على النصيحة !

ولقد كنت في أول الأمر أضيق بالزنزانة التي أعيش فيها ، فقد كانت تغلق أبوابها ٢٣ ساعة ونصف ساعة في كل يوم ، ولا تفتح إلا نصف ساعة فقط .. وكان اذا مر المأمور في غير الوقت المحدد لفتح زنزانتي ، ورأى الزنزانة مفتوحة اقام الدنيا واقعدها ! وعرفت أن هناك تعليمات من وزير الداخلية بالتشدد معي أنا بالذات أكثر من بقية المسجونين . بمعنى أن زنزانات المسجونين الاخرين كانت تفتح طوال النهار ، فيما عدا زنزانتي أنا ..

ثم وصلت النقود ! واشتريت سجائر بلمونت ! والسيجارة البلمونت هي الجان الذي يقول : افتح ياسمسم في مغامرة ألف ليلة وليلة ! فما يكاد باب الزنزانة يرى السيجارة البلمونت حتى ينفتح عن آخره وهكذا استطاعت سيجارة بلمونت أن تقاوم وزير الداخلية !!

وهكذا أمكن التغلب على الأوامر المشددة ، وأصبحت زنزانتي تفتح طوال اليوم فيما عدا الدقائق التي يمر فيها المأمور ، أو أحد الضباط الذين يحبون تنفيذ التعليمات حرفيا !

وبعض ضباط السجن آدميون . يثورون على هذه الأوامر الوحشية ، ويعاملوننا كآدميين ، وهؤلاء الضباط أخاف عليهم ، خشية أن تكتشف مصلحة السجون انهم آدميون فتضعهم معنا في الزنازين ! والعجيب أن حرصي على هؤلاء الطيبين يجعلني لا أحاول تهريب الخطابات في ورديتهم ، حتى أحميهم من خطر العقاب ، وأجد لذة عجيبة في استغفال الضباط القساة الذين يعاملون المسجونين كأنهم حيوانات لا تعمل إلا بالضرب والصفع والركل والشتائم والاهانات !

ولست وحدي الذي يفعل هذا . كل المسجونين الاخرين لا يرتكبون المخالفات إلا في وجود الضباط الجلادين !

وأمضي وقتي في التمشي مع المسجونين في دهاليز الطابق الثاني . أدخن سيجارتي . وأتحدث الى المسجونين . وأستمع الى قضاياهم . وأشترك معهم في إعداد الدفاع عن انفسهم .

وانا على صداقة وطيدة مع ثلاثة شبان متهمين في قضية رشوة . أحدهم هو فاروق عبدالقادر مدير شركة النصر للتصدير ، ومحمد هاشم مساعده ، ولبيب المتولى مراجع الحسابات . وكل واحد منهم شخصية مختلفة ، ولكن تجمعهم قضية واحدة . فاروق شاب مؤدب جدا . هاشم يحب المناقشات

لبيب شاب ظريف مرح خفيف الدم يقطع صور الفتيات الجميلات من مجلة الشبكة ، ويمضى طول الليل يحلم بهن وهو نائم فى الزنزانة ، ثم يقوم فى الصباح يستحم ويتطهر ويصلى !

وقد درست قضيتهم بإمعان ، وبحثتها بعناية ، واكتشفت أن القضية ملفقة فعلا وانها لو عرضت على أى محكمة عادلة ، فسوف تحكم ببراءتهم . ولكن احد الأجهزة لفق القضية ، ورمى شاهد الاثبات من النافذة بعد أن أرغمه على الاعتراف على المتهمين الثلاثة !

وفى كل قضية من القضايا المسجونة معنا فضيحة ! وكلها تدل على أن العدالة فى اجازة ، وأجازة طويلة ! أحيانا اجلس فى زنزانتى وأتمنى أن اخرج لأدافع عن كل واحد من هؤلاء المظلومين ، لأهاجم التلفيق والكذب ، ثم اجد اننى وحدى أعجز من أن افعل هذا . ومن كثرة المظالم التى أراها امامى اصبحت اعتقد ان الله وحده هو الذى يستطيع أن يرفع كل هذا الظلم ! وهى مهمة تحتاج الى سنوات وسنوات ، لأن العدل يركب السلحفاة ، والظلم يركب الصاروخ !

ان هؤلاء الثلاثة المتهمين كذبا بالرشوة مضى عليهم فى السجن ١٦ شهرا ، ويلحون فى المطالبة بسرعة محاكمتهم ، ويرسلون البرقيات يتوسلون فيها الى المسئولين أن يقدموهم الى محكمة الجنايات !

والمسئولون يخشون اذا هم قدموهم الى محكمة عادية أن ينفضح الجهاز الذى لفق القضية !

واخيرا جاءتهم البشرى : انهم سيقدمون الى محكمة الجنايات فى الاسبوع الأول من شهر ابريل !

أصبح الناس فى هذا البلد يرقصون من الفرح اذا قدموا الى محكمة الجنايات ، لأن فيها شهودا ودفاعا وقضاة ، واستئنافا ، ونقضا وإبراما ، وعدالة !

وكل هذا غير موجود فى المحاكم الاستثنائية التى يرأسها الفريق الدجوى !

ومع ان السيجارة البلمونت اصبحت الان تقوم بدور مفتاح الزنزانة خير قيام إلا اننى أصبحت أدخل الزنزانة قبل الموعد المقرر ، وأنفرد بنفسى فيها ، وقد رتبت الزنزانة بحيث أصبحت بالنسبة الى الزنازين الأخرى غرفة شبه محترمة ! واحضرت خمس شماعات وعلقتها فى الحائط لأخفى الشقوق والثقوب التى فى بياض الزنزانة ، وأعلق بذلاتى وكرافتاتى على شماعة ، والروب دى شامبر على شماعة ، والفوطة على شماعة ، والبرنس

على شماعة . واكثر شيء يضايقني هو دخول التراب من نافذة الزنزانة ومن بابها ، وقد احضرت غطاء نايلون احفظ فيه البدلة لأحميها من التراب ، فلا اكاد افتح النافذة حتى يهب نسيم من التراب يغطى الحائط والملايات البيضاء والكتب والعبد لله !

ولكنى أستفيد من الكوارث كعادتى ، فأنا أغسل الصحون بنفسى ، بعد أن يتولى غسلها أحد المسجونين ، واجد لذة فى اننى استطيع ان أتناول طعامى فى طبق نظيف ، هذه نعمة كبرى أرجو الله ان يديمها ! ..

وكان من اكثر متاعبى أن مفتاح النور ليس فى داخل الزنزانة ، وإنما خارج الزنزانة ، وبعد اغلاق الزنزانة يجب أن أتى بكرسى واقف عليه حتى اصل إلى الشراعة التى فوق الباب ، وأمد ذراعى بين قضبان الشراعة ، وأقوم بعدة حركات بهلوانية إلى أن تصل يدى إلى مفتاح النور . ولا تستطيع ذراعى أن تدخل بين القضبان الضيقة إذا كنت مرتديا جاكتة البدلة ، أو الروب دى شامبر . وكثيرا ما كان يحدث ان أكون راغبا فى النوم ، ولا أكاد أنتهى من هذه الحركات البهلوانية حتى يطير النوم من عينى ، واقوم بهذه العملية البهلوانية مرة أخرى لأضىء النور حتى أقرأ ..

وأخيرا عودت نفسى أن أنام والنور مفتوح ...

ولما كانت الحاجة أم الاختراع ، فقد استطعنا تهريب لمبة مكتب كهربائية ، وأمكن عمل بريزة « سرية » تحت السرير .. وأصبح هذا المصباح يحل كل المشاكل .. وفى الصباح أخفى المصباح تحت الكتب والمجلات قبل أن يبدأ التفتيش الصباحى على الممنوعات !

ونحن نمضى بعض أوقاتنا فى الضحك ! نعم نضحك ونحن داخل الزنازين !

اننا نقاوم الجلادين بالضحك ! وأعتقد أن ضحكاتنا قادرة أن تحمينا من عذاب وآلام سياط الجلادين !

ان زميلنا الارهابى رقم ١١ شكا الى ادارة السجن من أنه يخاف من النوم وحده فى الزنزانة ، لأنه يرى أشباحا داخل الغرفة ، وأقسم انه رأى أقزاما برؤوس مقطوعة يحملون نعشا داخل زنزانته ، وأن القطط والعفاريت لا تجعله ينام ...

وإدارة السجن تعرف جيدا أن الارهابى رقم ١١ خواف جدا على الرغم من أن الادعاء فى المحكمة اتهمه بأنه ارهابى خطير جدا وسفاح وانه سيلقى القنابل والديناميت على كبار رجال الدولة !

ولهذا سمحت له ادارة السجن أن ينام مع ثلاثة من المسجونين السياسيين فى زنزانة واحدة .

واطمأن الارهابى رقم ١١ ، ودخل الزنزانة ضيفا على أصحابها الثلاثة ، ويبدو أن اطمئنانه زاد ، وتأكد انه ليس وحده فى الزنزانة ، فأراد أن يخيف زملاءه ، فادعى انه يستطيع استحضار العفاريت !

وتظاهر الموجودون فى الزنزانة انهم يصدقونه ..

وأطفأوا الأنوار ، حتى تطمئن العفاريت ، وراح الارهابى رقم ١١ يقرأ التعاويذ ، ويطلق أسماء الله الحسنى . ثم ادعى أن العفاريت لا تظهر لأن أحد الموجودين فى الغرفة نجس ، وانه مع ذلك يمكن احضار أحد العفاريت الحمر ، وهؤلاء العفاريت ارهابيون خطرون فوافق المسجونون على استحضار واحد منهم .

وبدأ الارهابى رقم ١١ يتلو التعازيم من جديد ، ثم فجأة غير صوته بصوت عفريت وقال « السلام عليكم » ايذانا بأن العفريت قد حضر فى الظلام الدامس .. وهنا قام زملاؤه فى الزنزانة على أطراف أصابعهم ، والقوا على الارهابى بطانية سوداء ، وانهالوا عليه يضربونه فوق رأسه بالشباشب .

وتصور الارهابى رقم ١١ أن العفاريت حضرت فعلا ، وأن اللعبة « انقلبت جد » فأخذ يصرخ ويولول ويصيح « الحقونى ياهوه ! العفاريت بيضربونى !

وحدث قبل ذلك بأيام أن ذهب الارهابى رقم ١١ إلى دورة المياه ، واتفقنا مع أحد المسجونين السياسيين أن يختبىء تحت سريره . وعاد الارهابى الى زنزانته وأغلق الحارس عليه الباب بالمفتاح ، واطفأنا الأنوار ، وما كاد الارهابى رقم ١١ يجلس على سريره حتى بدأ يسمع صوتا غريبا ، وأصيب بذعر ، وفتح النور فلم يجد أحدا ، ولكنه وجد أن كلسونه فى حاجة الى التغيير .

وأبدل الارهابى كلسونه بكلسون نظيف ، وإذا بصوت مجهول يقول له : أنا عفريت واحد نفذوا فيه حكم الاعدام !

وما كاد الارهابى رقم ١١ يسمع هذا الصوت المخيف حتى اصيب بهلع ، وفى هذه المرة أراد أن يغير الكلسون ، وجميع ملاءات السرير !

وفى السجن شخصيات غريبة ، بينها المسجون جليل عوض ، وهو يرفض أن يناديه أحد باسم جليل ، ويصر أن اسمه « جليلة » وهو أحد المصابين بالشذوذ الجنسى المنتشر انتشارا خطيرا داخل السجن .

وكانت جليلة ترتدى خارج السجن ملابس سيدة ، وتعيش كأنها سيدة تماما ، وتتكلم بصوت السيدات وتمشى مشيتهن . والسجن كله بما فيه من حراس وضباط يعاملون جليل كأنه سيدة ، وينادونه ياجليلة ، أو يا أنسة جليلة أو ياست جليلة !

وجليلة هذه فى الستين من عمرها ، سمراء ، وهى تتباهى وتروى ذكرياتها عن شبابها عندما كان لها ستة عشاق فى شارع واحد !

واهم شخصية فى السجن تاجر مخدرات ، ونطلق عليه اسم الحاج ابراهيم ، ويتحرك فى موكب ، ويسير أمامه أتباعه ، يوسعون له الطريق ، وخلفه مسجون يحمل فوطة ومسجون يحمل السجائر ، ومسجون يحمل الكبريت

وعندما يتضايق ملك المخدرات من حارس لا يحبه ، يشير باصبعه الى احد اتباعه ، فيتقدم التابع ويضرب الحارس علقة ، ولا يهم المسجون العقاب ، كل ما يهمه أن يرضى ملك المخدرات !

ومن أكثر الجرائم المنتشرة الآن داخل السجن الاختلاسات والرشوة ، وفى كل يوم نرى زبائن جددا من المتهمين فى هذه القضايا . ولاحظت أن الرشوة تنتشر فى عصر الظلام . وتحدثت إلى كثير من المختلسين والمرتشين ، ووجدت أن الذى شجعهم على ارتكاب هذه الجرائم انهم كانوا يستظلون بحماية بعض أصحاب النفوذ ، وكانوا يتصورون انه مادام هؤلاء أقوياء فلن يجرؤ أحد على كشف أمرهم ، وكان يشجعهم على ذلك أن الصحف تحمى الكبراء أو من يلوذ بهم ، ولقد فهمت الان لماذا كان الذين يحيطون بأصحاب النفوذ يعارضون بشدة حرية الصحافة ، ويقاومون كل محاولة لتحرير الصحافة من الرقيب ، وفى أول الأمر كنت أظن انهم يفعلون ذلك لايمانهم بالدكتاتورية ، وتبينت فى السجن انهم كانوا يحمون انفسهم من خطر اضاءة الأنوار !

والشيء الذى يستوقف النظر فى السجن هى حالة الحراس السيئة ، تصور أن العامل خارج السجن يعمل سبع ساعات فى اليوم ، والحارس داخل السجن يعمل ١٢ ساعة ولا يأخذ بدلا ، ومرتباتهم ضعيفة جدا ، ومرتب يومهم لا يكفيه لكى يأكل هو وأولاده عيش حاف ثلاث مرات كل يوم ! « وعيش وزيتون » مرة فى الاسبوع !

وحالة الفقر والبؤس والجوع تجعل بعضهم يقسو على المسجون ، ويجعل بعضهم يهرب المخدرات داخل السجن ، أو يقاسم المسجون طعامه وسجائره ..

وأعتقد أننا عندما نريح السجان سوف نريح المسجون ، لأن السجان البائس المعذب يجعل حياة المسجون جحيما لا يطاق .

لن تدخل السجن !

سجن الاستئناف
٢٥ مارس ١٩٦٦
أخى العزيز ....

زارنى هيكل يوم الخميس . قال لى أن الرئيس يبلغنى سلامه وتحياته ! وقال هيكل أن الرئيس لا يستطيع تخفيف الحكم لأسباب سياسية . ولكن الرئيس يعدنى أننى لن أدخل السجن . وكل ما سوف يحدث أننى سوف انقل بعد الحكم إلى المستشفى فلا أدخل السجن على الاطلاق ، وسأبقى فى المستشفى ، ثم بعد ذلك يصدر قرار بالافراج الصحى .

وقال هيكل انه أبلغ الرئيس بما قلته فى المقابلة السابقة ، بأننى لا أرغب فى أن أذهب الى مستشفى قصر العينى ، لأن الحالة فيه سيئة . وأن الرئيس وافق أن انقل من السجن إلى مستشفى الكاتب ، أو أى مستشفى خاص أريد أن أقيم به فترة من الوقت إلى أن يتم الافراج عنى .

ولا أعرف لماذا أشعر أن هيكل يكذب على . ولا أفهم لماذا تمت محاكمتى على الاطلاق إذا كان هيكل صادقا فيما قاله لى من أن الرئيس يريد أن يبلغنى أنه لا يزال يحبنى وأنه لن ينسى أبدا الخدمات التى قدمتها لبلادى .

قال لى هيكل أن على صبرى وسامى شرف وصلاح نصر هم الذين وقفوا ضدى ، وانهم يكرهوننى ، وانهم الذين تحمسوا لعمل القضية وتحمسوا لتقديمى إلى المحاكمة .

حدثنى عن عمله كرئيس مجلس ادارة أخبار اليوم إلى جانب رياسته لمجلس ادارة الأهرام . وكان يبدو سعيدا لأنه يتولى رياسة المؤسستين معا .

قال لى أنه أراد إخراج جميع المحررين الشيوعيين من أخبار اليوم . وأن على صبرى وكمال رفعت وقفا ضده فى اخراج ستة من الشيوعيين الذين أراد اخراجهم من أخبار اليوم .

وانه أخرج اثنين منهم ، وسيخرج صلاح حافظ وسعد كامل من أخبار اليوم ، وسيعينهما محررين فى مجلة « بناء الوطن » وقال لى أنه سيخرج عددا من محررى أخبار اليوم المشاغبين وغير المنتجين ، وينقلهم الى مؤسسات أخرى غير صحفية .

قلت له أنت تعلم أنه عندما أراد الرئيس أن ينقلنى من منصب رئيس مجلس ادارة الهلال الى رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم قال لى أن أكتب له قائمة بأسماء جميع محررى أخبار اليوم الذين لا أريد أن أتعاون معهم لينقلهم إلى مؤسسات غير صحفية .

ويومها قلت للرئيس اننى وأنا صاحب أخبار اليوم لم افصل محررا أو عاملا ، فكيف أفصل محررا وأنا أجير ؟

اننى لا أريد نقل أى صحفى من أخبار اليوم إلى مؤسسة غير صحفية .

قال الرئيس : ولكن كيف تعمل معهم ، وقد شتموك ، عندما أعطيتك اجازة ، وأخرجتك من أخبار اليوم ..

قلت له : ان كل هؤلاء أولادى ، ومن حق الولد على أبيه أن يتبول عليه وهو يضعه فوق ركبته !

ولم أفصل محررا أو أحدا من الذين شتمونى .

وبعد ذلك حدثت مجزرة جريدة الجمهورية ، عندما صدر قرار بتعيين عشرات من محررى الجمهورية فى شركات السردين ومؤسسات اصلاح الأراضى والأخشاب والأحذية .

وحاولت يومها جاهدا أن أوقف هذا القرار الغاشم وفشلت ، وقال لى المشير عامر يومها أن الغرض من هذا القرار هو إنقاذ جريدة « الجمهورية » من الغرق !

وكانت النتيجة أن « غرقت » الصحافة كلها !

قال هيكل : هل تعلم أن سعد كامل وصلاح حافظ شتماك بعد دخولك السجن .

قلت : أعلم ذلك ، ولكن سابقة اخراج محررين من أخبار اليوم ونقلهم الى مؤسسات أخرى هى كارثة الصحافة .

قلت لهيكل أن الصحف المصرية فى الوقت الحاضر لا تعجبنى . اننى أشعر أن المحررين يكتبون وهم يرتعشون من الخوف . الطباعة زفت .

فأبدى هيكل دهشته ، وقال انه يبحث عن شخص ليتولى رياسة تحرير جريدة « أخبار اليوم » وعن شخص آخر يتولى رياسة تحرير مجلة « آخرساعة » . ورشحت احسان عبدالقدروس لأخبار اليوم . وقلت أن فى أخبار اليوم عددا من المحررين الأكفاء كل منهم يصلح رئيسا لتحرير آخرساعة . رشحت سعيد سنبل لأخبار اليوم وأحمد زين لرياسة تحرير الأخبار ، فقال انهما صغيرا السن .

قال لى أن خالد محيى الدين رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم هو الذى اتصل بالدكتور عبدالقادر حاتم وطلب منه وقف مرتبى فى اليوم التالى للقبض على وأن الدكتور حاتم أرسل بعد ذلك خطابا إلى مؤسسة أخبار اليوم بوقف مرتبى .

وأنا أعرف أخلاق خالد محيى الدين ، وأعرف أنه ليس الرجل الذى يطلب وقف مرتب صحفى يوم القبض عليه ، بغير انتظار نتيجة الحكم عليه ، وهو شيء لم يحدث له مثيل فى تاريخ اخبار اليوم ولا فى تاريخ الصحافة ! والذى أعتقده أن الأمر صدر بوقف مرتبى ، وقد تلقيت رسالة فى السجن من أحد تلاميذى فى « أخبار اليوم » أن لا خالد محيى الدين ولا حاتم هما اللذان أصدرا الأمر بوقف مرتبى ، وبعدم صرف باقى مرتبى عن الواحد والعشرين يوما التى عملت فيها فى أخبار اليوم قبل القبض على ، ولا بعدم صرف مكافأتى ، ولا واحد منهما أصدر الأمر برفع اسمى واسم على أمين من الصفحة الأولى من أخبار اليوم والأخبار كمؤسسيها قبل أن يحقق معى ، وقبل أن أحاكم . وقبل أن يحكم على !

وأما الذى اقترح كل هذا فهو شخص يعرفه هيكل جيدا !

وقال هيكل أن صليب بطرس المستشار الفنى لأخبار اليوم أبلغه أن مسألة وقف المرتب ليست حتمية ، وإنما جوازية ، وانه لذلك عاد ، واتصل بحاتم وطلب منه أن يسمح بصرف المرتب ، وان حاتم وعده ببحث الأمر .

وقلت له اننى أستطيع أن أعيش فى السجن بعشرة جنيهات فى الشهر ، ولكنى فى دهشة أن يحكم على أولادى بالجوع قبل أن يحكم على !

فعاد وقال ان الرئيس قال له : اننى مازلت أحب مصطفى وإننى لن أنسى انه خاطر بحياته ، وركب طائرة أثناء عدوان سنة ١٩٥٦ ، وقام بالدعاية فى العالم ضد العدوان ، وتفاوض فى جلاء الانجليز والفرنسيين والاسرائيليين ، وقام بمهام سياسية كبرى فى أمريكا .

قلت له : وأنا مازلت أحب الرئيس بالرغم من كل ما حدث لى .

قلت لهيكل انني متفق مع الرئيس من قبل على انه اذا كانت مصلحة مصر أن يقطع رقبتى فليقطعها . ولكن فرق بين قطع رقبتى وتلويث سمعتى .. ظلما .

ومسألة نقلى إلى مستشفى لا يهمنى فى شىء . ان معنى الحكم على هو إعدامى كصحفى ، فإذا كان هذا هو الغرض من الحكم فأمرى إلى الله .

وعدنى بأن يزورنى بعد اسبوعين . ولكننى لا أصدق انه سيفعل ذلك فهو يزورنى « بالأمر » !

عاد وتحدث عن تصميمه على « تنظيف » أخبار اليوم بإخراج المحررين الشيوعيين والمحررين المشاغبين منها . عارضته بشدة وقلت له : اننى أعارض فى إخراج المحررين من الصحف بقرار جمهورى ، وقد يجىء يوم يخرجونك أنت من « الأهرام » بقرار جمهورى وضحك هيكل ساخرا من هذا الاحتمال !

سألنى هيكل إذا كنت أريد سجائر أو أدوية فشكرته وقلت ان عندى ما يكفينى .

وقلت له ان هناك تعليمات فى السجن بتشديد معاملتى أكثر من أى مسجون سياسى آخر فى سجن الاستئناف . فقال هيكل انه فى دهشة أن يسمع هذا !

قال لى أن لطفى حسونة نائب رئيس تحرير « الأخبار » نصحه بأنه لا داعى لهذه الزيارة ، فقد تؤدى إلى متاعب له وانه تركه يتوهم أن هذه المقابلة تتم بغير علم الرئيس .

قلت ان كل ما أصابنى فى هذه المحنة لم يؤثر فى أبدا .. وأن عقيدتى كما هى :

وأن إيمانى ببلدى لم يتغير . وإننى على استعداد أن أتحمل كل المظالم من أجل مصر ومصلحة مصر . وإننى لو كنت عرفت أن هذا سيكون جزائى ، وعادت عقارب الساعة إلى الوراء لفعلت نفس الشىء ، وخدمت بلدى بنفس التفانى والاخلاص .

وإننى أعتقد أن الله أراد أن يمتحن حبى لبلدى ، وهو امتحان قاس . ولكننى واثق بأننى نجحت فى هذا الامتحان .

قلت لهيكل أنا لا يهمنى الحكم . لأننى أعرف أننى برىء وأنت تعرف جيدا كيف تصدر هذه الأحكام .. وأنا مطمئن جدا لحكم التاريخ .

ولكن الشىء الذى يؤلمنى أن يدوس بعض الذين أحبهم على الحقيقة بأقدامهم .

وقلت لهيكل انني لست وحدى المظلوم الوحيد هنا . ان كل القضايا السياسية الموجودة معى فى سجن الاستئناف ملفقة مزيفة

ورويت له ادلة الزيف فى كل قضية منها وسألته لمصلحة من تلفق القضايا ! ان التلفيق لا يصنع تاريخا . انني بدأت اشك ان كل شيء أصبح يلفق فى هذا البلد ، وقد بدأنا نكذب على الناس وسوف نكذب على انفسنا . وانا اتوقع كارثة مائة فى المائة .

ولم يبد هيكل دهشته عندما قلت له أن كل المسجونين السياسيين معى أبرياء ، وكل القضايا ملفقة . وأن كل الاعترافات المزعومة وقعت تحت التعذيب الذى لا يتصوره بشر . وقلت له انني واحد من آلف مظلوم ولست أبدا المظلوم الوحيد ، ولا أطالب برفع الظلم عنى وحدى .

عاد هيكل يؤكد أن الرئيس قرر ألا أنقل الى السجن ، بل إلى مستشفى خاص أختاره انا ، ثم بعد فترة قصيرة أذهب إلى بيتى ، وأن المسألة سوف تتم على مراحل ، وأن الرئيس يقول فى كل مناسبة انه لا يمكن أن ينسى خدماتى للبلد ، ولهذا لن يوافق على أن ابقى فى السجن . وأن المسألة الهامة الان هى خروجى من السجن ، وبعد ذلك يمكن حل جميع المسائل تدريجا . فيصدر عفو صحى ، ثم تعلن براءتى ، ثم أعود إلى الصحافة .

قلت أنا لا أفهم أن يحكم على لتعلن براءتى بعد ذلك .

وانا لا اظن ان على صبرى مثلا بالقوة التى تجعله يحكم على برىء بالسجن ، ولا أصدق هيكل عندما يقول لى أن الذين يتآمرون على أقوى من العدالة !

على الرغم من انني تعودت ألا أصدق ما أسمع ، وعلى الرغم من أنني أعرف أن من صفات هيكل انه يكذب كثيرا ، إلا أن هذه المقابلة اراحتنى ، فأنا أعلم أن هيكل لا يمكن أن يجرؤ أن يحضر الى فى السجن إلا إذا كان هذا بأمر الرئيس عبدالناصر شخصيا ، وخاصة أن ما قاله على لسان الرئيس من أنه لن ينسى خدماتى الكبرى لبلدى هو نفس ما جاءنى من الأستاذ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السوداء ، وما قاله الرئيس لعدد من زعماء البلاد العربية الذين تحدثوا إليه فى شأن ايمانهم ببراءتى . ولكن هيكل لم يقل لى ما قاله الرئيس لهم انه لا يقصد إلا « تأديبى » . وإننى تجاوزت حدود المهمة « وإنني أعترض على السياسة المقررة » ! ويعلم الله انني لم أعارض السياسة ، كل ما هناك انني كنت أناقشها مع الرئيس بصراحة ، وبناء على طلبه هو ، وكان واجبى أن أصارحه برأيى بغير لف ودوران ، حتى لو كنت أعرف أن هذا الرأى قد يضايقه . والغريب أن

الرئيس لم يشعرنى فى يوم من الأيام طوال هذه السنوات أن صراحتى معه تغضبه . بل على العكس كان بعض من حوله ينصحوننى إلا أكون صريحا معه . والسبب حالته الصحية ، ولكنى كنت مصمما دائما أن أقول الحقيقة !

وقد قلت الحقيقة وقطعوا رأسى ! ولن يجرؤ أحد بعدى أن يقول الحقيقة !

سألنى هيكل هل صحيح اننى طلبت من المحكمة إذنا بالزواج من سكرتيرتى .

وقال أن البعض فسر حكاية طلبى الزواج من المحكمة باننى أريد أن أقول اننى غير مهتم بالمحاكمة ولا بالسجن ، واننى أتحدى وأقول « طظ » ، واننى سأتزوج فى السجن لأننى واثق اننى سأخرج منه .

وقلت لهيكل اننى لم أطلب من المحكمة إذنا بالزواج ، لأن هذا ليس من شأن المحكمة .

وأنا أعتقد أن هذه الكذبة أبلغت للرئيس ليقال له اننى « أتحدى » وإننى غير مهتم بالمحاكمة وإننى واثق من أننى سأخرج من السجن .

وهذا بغير شك سوف يضايق الرئيس ويثبت له اننى « لم أتأدب بعد » والذين يعرفون الرئيس يعرفون أنه عندما يسمع هذا سوف يؤيد الحكم على ، وسوف يبقينى فى السجن !

وقلت ألنى ألاحظ أن الذين لفقوا هذه القضية لا يكتفون بالأكذوبة الكبرى ، بل يؤلفون كل يوم كذبة صغيرة ضدى . وهذا لا يهمنى فى شىء . اننى من كثرة الخناجر القديمة التى أغمدت فى ظهرى أصبحت الخناجر الجديدة لا تصيبنى ، وإنما تصيب الخناجر القديمة !

وقلت له اننى شعرت من كثير من التصرفات معى ومع أصدقائى ومع المتصلين بى ، بان المطلوب هو أن يتخلى كل الناس عنى ، وأكدت له أنه لو تخلى الناس كلهم عنى ، فلن يتخلى الله عنى ، ولا يمكن أن يتخلى الله عن مظلوم بقرار جمهورى !

أحدثت زيارة هيكل لى فى السجن ضجة : المأمور والضباط والسجانون والمسجونون تصوروا أن معنى هذه الزيارة أن الافراج قريب جدا . وهم يقولون أنه لا يمكن أن يحضر هيكل إلى السجن إذا كنت مدانا ، وإذا لم أكن موضع عطف الرئيس . وقال المسجونون السياسيون أن المجرم يحوم حول مكان الجريمة ، وهم يتهمون هيكل بأنه وراء كل ما حدث ، وانه هو المستفيد الأول مما حدث ، وانه لهذا يحوم باستمرار حول جثة القتيل .

ولقد كان هيكل فى هذه المرة الطف من المرة السابقه ، ولم يكن « مشدودا » كما كان فى زيارته الأولى

قلت لهيكل أن خطاب الرئيس فى السويس أعجبنى لانه تمسك بسياسة عدم الانحياز ، وفى رأيى أن انحيازنا للغرب أو إلى الشرق سوف يؤدى إلى نكبة كبرى .

وقلت اننى سررت لأن الرئيس لم يحاول أن يتدخل فى حكاية عزل الرئيس سوكارنو فى أندونيسيا ، والاطاحة بالرئيس نيكروما فى غانا ..

انه يجب أن نتوقف عن التدخل فى شئون الدول الأخرى ، ونلتفت إلى شئوننا التى أهملناها .

وقال هيكل أن من رأيه ان ما حدث فى اندونيسيا هو صراع على السلطة ، وانه قال هذا الرأى فى التليفزيون .

وكنت قد تلقيت رسائل من خارج السجن بأن الناس افتقدت ظهورى فى التليفزيون فتقرر أن يملأ هيكل هذا الفراغ ..

يجب أن أصبر .. أن الظلم يجىء سريعا ، والعدل يجىء بطيئا وسوف يجىء العدل !

● ● ●

السر الخطير الذى أذعته !

سجن الاستئناف
٢٧ مارس ١٩٦٦
أخى العزيز ...

اقبلك قبلة حارة طويلة ، طول الشهور والأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثوانى التى لم نلتق فيها . واضمك إلى صدرى ، واطمئنك أن روحى عالية جدا ، وأعصابى ممتازة ، وقدرتى على الاحتمال تزيد ولا تنقص .

أشعر أن الوقت لا يقتلنى ، أنا الذى أقتله . لا أعرف متى يصلك هذا الخطاب قد يتأخر ويصلك بعد صدور الحكم . وأريد منك ألا تنزعج منه . أى حكم يصدر لن يصدمنى . أنا واثق من براءتى . مؤمن بأن التاريخ سيحكم لى . وأنا مطمئن لحكم التاريخ . كأننى قرأت الحكم مقدما قبل أن يصدر . ولست أعرف متى يصدر التاريخ حكمه . ولا يهمنى ذلك كثيرا ، مادمت أعرف مقدما حيثيات حكم براءة التاريخ لى . ولا يهمنى أن أعيش لأعرف هذا الحكم ، لأننى أعرف من الآن حكم التاريخ . وقد يظلمنى حكم البشر سنة أو عشر سنوات ، ولكن ما قيمة هذه السنوات فى عمر التاريخ . وفى بعض الأحيان أتصور نفسى كالضابط الفرنسى دريفوس الذى حكمت عليه فرنسا ظلما ، ثم جاء أميل زولا وتبنى قضيته ، وحكمت بعد ذلك المحاكم بإلغاء حكم الادانة ، وحكمت له الدنيا بالبراءة . ولست أعرف من هو اميل زولا الجديد الذى سيدافع عنى ، ولكن شعورى أن عشرات من الناس الذين لا أعرفهم سيكون كل واحد منهم أميل زولا الجديد .

ولقد جاءتنى أنباء من خارج السجن أن الحكم مقرر بالادانة قبل القبض على ، وقبل التحقيق ، وقبل المحاكمة . وأن النائب العام محمد عبدالسلام

كتب بخط يده أن لا قضية هناك ، وأن احمد موسى رئيس نيابة أمن الدولة الذى حقق معى قرر أننى برىء وتقرر إخراج النائب العام الشريف من منصبه ، وتقرر اخراج رئيس نيابة أمن الدولة الذى رفض أن يزور !

ومن الرسائل المهربة التى وصلتنى أن الحكم ليس قضائيا ، ولكنه حكم سياسى

وقيل لى أن بعض خصومى فى المناصب العليا يقترحون أن يصدر الحكم قبل وصول دين راسك وزير خارجية أمريكا إذا تحققت الأنباء أنه سيقوم بهذه الزيارة ، حتى يؤكد الحكم للناس أن أصدقاء التفاهم مع أمريكا يعاقبون بشدة وعنف وقسوة ، ويقترحون أن تتم عملية ذبحى قبيل وصول كوسجين رئيس وزراء روسيا إلى القاهرة ، تماما كما تذبح الخراف تحية لقدوم كبار الزائرين فى الأرياف !

والذين اطلعوا على هذه الرسائل المهربة من زملائى المسجونين السياسيين يقولون لى . ما رأيك فى هذا البلد الذى يصنع بك كل هذا !

قلت لهم : مازلت أحب بلدى ، فإذا رأى بلدى أن مصلحته أن يقدم رأسى فداء له فسوف أقبل هذه التضحية راضيا . ان هناك مئات من الشبان أرسلوهم إلى اليمن وماتوا هناك . شبان فى عمر الزهور ، فلأعتبر نفسى أرسلت إلى يمن أخرى فى مهمة وطنية !

أنا واثق أنه سيجىء يوم يعلن فيه بلدى براءتى ، ورد اعتبارى .

ان أكثر من مئات الأشخاص يعلمون الحقيقة المروعة . يعلمون ماذا قدمت لبلادى من خدمات .

وأنا أعتقد أن الحكم سيصدر ضدى . وهذا هو الخبر الصحيح الوحيد . الذى أصدقه . أما ما قاله لى محمد حسنين هيكل عندما جاء لزيارتى فى السجن بأن الرئيس يؤكد لى بأن الحكم لن ينفذ ، واننى سأنقل فورا إلى مستشفى ، ثم بعد ذلك يصدر عنى افراج صحى ، فإننى لا أصدق هذا .

ولقد قلت لكل من تحدث معى فى هذا الموضوع ، وفى مقدمتهم هيكل ، بأننى أعتبر الحكم قد صدر على فعلا يوم القبض على ، ويوم صدرت التعليمات للصحف بأن تشهر بى ظلما ، وتنشر الأكاذيب عنى ، وتنسب الى اعترافات غير صحيحة لم تصدر منى .

واعتبر الحكم قد صدر ضدى يوم حذف اسمى وإسمك كمؤسسى أخبار اليوم والأخبار ، ويوم توقفت « فكرة » عن الظهور . ويوم تقرر الا أقدم لى محكمة جنايات عادية ، بل الى محكمة برياسة الفريق الدجوى الذى

أعلم منه أنه لا يحكم ولكنه يتلقى الحكم بالتيلفون . والذى كان يحدثنى تليفونيا فى أثناء المحاكمات العسكرية السابقة ويطلب منى أن أوصى عليه المحرر القضائى أحمد لطفى حسونة فى وصف الجلسات حتى قرأ الرئيس فى الوصف أنه قاض جبار !

وعرفت أن الحكم قد صدر ضدى عندما تقرر أن تكون محاكمتى سرية ، وعندما صدرت الأوامر إلى الصحف بأن تنشر الاتهامات كاملة ، ولا تنشر كلمة واحدة للدفاع !

وعرفت أن الحكم صدر ضدى عندما وقف وكيل النيابة فى أثناء المحاكمة يقول انه يطالب برأسى ، لأننى قلت لأمريكا خبرا هاما . وأذعت سرا خطيرا من أسرار الدولة العليا ، وهذا الخبر هو أن السيد حسن ابراهيم نائب رئيس الجمهورية سوف يتزوج السيدة قدرية .

وهز الفريق الدجوى رأسه موافقا أن هذا خبر من صميم أسرار الدولة العليا !

والواقع أن هذه المسألة التافهة كانت موضع تحقيق طويل عريض عقب القبض على ..

قالوا لى : كيف تقول للملحق السفارة الأمريكية أن حسن ابراهيم سيتزوج السيدة قدرية ..

قلت : هذا نبأ اجتماعى عادى ، وليس سرا من أسرار الدولة . فراحوا يؤكدون أنه سر من أسرار الدولة العليا .

قلت : ماذا أفعل اذا كان هو يعرف الخبر ، وسألنى عنه ، ومصر كلها تعرف الخبر ؟

قالوا : كان يجب أن تضرب الملحق الأمريكى بالجزمة ، وتقول له أرفض أن تسألنى هذا السؤال الخطير فى مسألة تتعلق بسياسة الدولة العليا !

قلت لهم : اننى مكلف من الرئيس عبدالناصر شخصيا بأن أقنعه باستئناف المعونة لمصر ، فكيف أضربه بالجزمة لأنه يسأل هذا السؤال .

ثم ان حسن ابراهيم تزوج السيدة قدرية فعلا وهى سيدة فاضلة ومحترمة ، وزواجه منها لا يسىء إليه .

وعندما وقف وكيل النيابة فى المحاكمة ، وذكر الخبر قال انه خطير وخطير جدا ! وسرى وسرى جدا . وانه يجب أن أعاقب بأشد العقوبة من أجل اذاعة الخبر السرى الهام !

وابتسمت وقلت أن التاريخ سيقول انه حكم على أكبر صحفى فى البلد ،

واتهم بأشنع التهم لا لشيء ، سوى انه قال ان حسن ابراهيم نائب رئيس الجمهورية سيتزوج السيدة قدرية !

واتصور انه سيتأخر الحكم ، فالمطلوب « طبخ » حيثيات تقنع الراى العام الذى لايزال مؤمنا ببراءتي . وسوف يضع الفريق الدجوى حيثيات على اساس لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى . كما فعلوا في الأشرطة . ابقوا « لا تقربوا الصلاة » وحذفوا « وانتم سكارى » .

وكالعادة ، وكما فعلوا بأبرياء قبلى ، سوف تبذل الجهود الجبارة لتلويثي ، ولاثبات ادانتي ، ولتصويرى بصورة الخائن لوطنه ، ولانكار كل الخدمات التي قدمتها لبلادى . ولكنى مؤمن بالله ، واثق أن الله سيمد لى يده ، فتحمي يده رأسي من المطاعن والأكاذيب والتلفيقات ، كما حماني عند اتهامي ، وحرماني من الدفاع عن نفسي عند محاكمتي . والأمر الذى صدر للصحف بنشر الاتهام ضدى ، وحذف الدفاع عني !

ومن الطريف ان بلادنا تحتفل هذه الأيام بالعيد المئوى للصحافة المصرية ، ولاشك ان الذين لا يحبونني سوف يجدونها فرصة مناسبة وطيبة جدا لنشر الحكم على اكبر صحفيي مصر ! ولعلهم يرون أن خير الاحتفال بالصحافة المصرية هو دفن الذين اقاموا صحافة مصرية عظيمة في مصر .

ولقد قلت لهيكل انني واثق بانه لو كان الأمر أمر الرئيس عبدالناصر وحده لما عوملت هذه المعاملة ، لانني اعلم انه يعرف وطنيتي ، وما قدمته لبلادى من خدمات ، ولكني اعلم أيضا ان هناك من يريدون القضاء على . فالمسالة ليست عقاب شخص ، وإنما المقصود القضاء على كصحفي . وهم يتصورون انهم لا يمكنهم القضاء على إلا بهذه الطريقة . ولقد بذلوا في الماضى عدة محاولات وفشلوا ، وكان الرئيس ينصرني في آخر الأمر عليهم ، وهم يريدون في هذه المرة أن ينتهزوا هذه الفرصة الذهبية ويطمئنوا تمام الاطمئنان إلى انهم قضوا على ، وقضوا على مستقبلي الصحفي ، وقضوا على تاريخي كله . ولكن هل هذا ممكن !

ان المعركة ليست بينهم وبيني . ما اضعفني واقواهم . وإنما المعركة هي بينهم وبين الله ، وهو اقوى من كيد الكائدين ! وقلت لهيكل قد تستمر العاصفة سنة او عشر سنوات ، ولكن تأكد ياهيكل انه في النهاية سوف تشرق الشمس ، وسيرى الناس في ضوئها الحقيقة ، وسيقولون : هذا الرجل خدم بلاده بوطنية وبشرف وإخلاص ، وعندئذ سيتحول الطين الى تراب والأكاذيب إلى هباء .

اننا نخطىء كثيرا إذا حاسبنا بعض أصدقائنا إذا تخلوا عنا فى هذه المحنة .

ان طاقة الناس واحتمالها لها حدود ، ويجب أن نعطى عذرا للطبيعة البشرية .

وإذا كان عشرة أو عشرون خافوا أن يقفوا بجوارنا فى هذه المحنة فإن هناك مئات وألوفا فعلوا الشىء الكثير لنا ، وأسعدونا بحبهم وعطفهم ، ولست أستطيع أن أنسى مدى حياتى ما لقيت من عطف وحب فى هذه الفترة . بعضهم قامر بوظيفته من أجلى . بعضهم قامر بلقمة العيش ، عيشه وعيش أولاده فى سبيل أن يريحنى فى زنزانتى . بعضهم دخل السجن فى سبيلى . بعضهم خالف الأوامر المشددة وتحداها لأنعم ببضع ساعات من الحرية كان المفروض ألا انعم بها . هؤلاء هم الذين يهموننى ، لأن هؤلاء هم الرأى العام الصحيح هم الملايين ، هم الذين لا تؤثر فيهم المؤثرات الصغيرة التى تؤثر فى الكبار من أصدقائنا .

اننى أحرص فى اتصالاتى خارج السجن على أن أتفادى الاتصال بأى صديق لى ، لأننى أعلم أن هؤلاء الأصدقاء تحت المراقبة ، وأنا لا أريد أن أحرج أحدا ، لأننى عاجز أن أحمى أى واحد منهم .

اننى لم أيأس أبدا . ولن أيأس أبدا مهما حدث . انا لا أضيق بهذا السجن الذى أنا فيه . ان روحى لم يستطع أحد أن يسجنها حتى الان . لا يوجد قفص يكفيها . ولا زنزانة .

ان روحى لاتزال كما تعهدها ، بل أؤكد لك أن روحى أصبحت أكثر انطلاقا داخل السجن مما كنت خارج السجن . انها لا تخاف شيئا . انها لا تتلفت حولها ، ولا تتلفت وراءها .

اننى فى السجن أشجع كثيرا مما كنت خارج السجن !!

اننى أجد فى كل شىء ما يبعث على السخرية والضحك . القضبان والقيود والسلاسل لم تحبس حريتى ، ولم تقيد روحى . ان روحى أقوى من الحديد . انها حطمته ، وهزئت به ، ومضت تقفز وتنطلق ، وتعيش فى الدنيا كلها !

ولم يخلق بعد الطغاة الذين يستطيعون تقييد أرواح الأحرار !

ooo

العمل الطيب لا يموت !

سجن الاستئناف
٣٠ مارس ١٩٦٦
أخي العزيز ....

لست أعرف هل أستطيع أن أكتب إليك إذا صدر الحكم أم لا .

ولقد رأيت أنه يجب أن أستعد لكل الظروف ، في حالة ما إذا تعذرت الكتابة ، أو تعذر الاتصال .

ولهذا أحب أن أرجوك ملاحظة بعض الأمور وهي :

ان كثيرين من العرب الذين لجأوا إلى مصر في أيام الطغيان قد اقترضوا مني مبالغ كما تعلم ، وأعتقد أنه في إمكان بعضهم أن يسددوا هذه المبالغ أو بعضها في هذا الوقت بالذات . فإذا أمكن ذلك ، بغير احراج لهم ، وبغير أن نطلب أي شيء من الذين لا يستطيعون سداد مالا يستطيعون فإنني أحب أن أسدد مبالغ ، سأكون مستريحا اذا أمكن تسديدها .. فأنا أكلف سكرتيرتي بأن تدفع مرتبات شهرية لبعض الأسر الفقيرة قدرها مائة وأربعة وستون جنيها كل شهر . وقد توقفت عن دفع هذه المرتبات من أول أغسطس الماضي ، بسبب القبض علي . ويهمني كثيرا أن يدفع المبلغ المتأخر من أغسطس إلى الان وأن يدفع المبلغ الشهري بعد ذلك بانتظام طول مدة سجني .

ولقد أبدى كثيرون هنا رغبتهم في مساعدتي ، ولكنني أفضل ألا نقترض من أحد ولكن نحصل على جزء من المبالغ التي كنا ندفعها لكثير من الزعماء العرب في أثناء محنتهم .

وبعض هؤلاء تحسنت حالتهم بعد سقوط حكم طغيان عبدالكريم قاسم أو سقوط حكم كميل شمعون . وأعتقد أن هؤلاء لن يمانعوا في أن يسددوا لنا بعض هذه المبالغ التي أقرضناها لهم عندما كانت مصر لا تدفع لهم ما يكفيهم في أثناء التجائهم إليها .

ولقد علمت أن البعض منهم أبدى استعداده أن يسدد هذه القروض ، وكل الذى يهمنى ألا نرهقهم . اننا فعلنا ما فعلناه ليس من أجل أشخاصهم ، وإنما من أجل الثورة التى آمنا بها .

وكنا ندفع هذه المبالغ لهم فى صمت ، ولم نطالب حتى الرئيس أن يسددها لنا ، بل لم نقل شيئا عما نفعله من أجل هؤلاء الذين يحاربون معركة الحرية .

ولقد كنا نجد لذة فى أن نقف بجوار المظلومين والمضطهدين وكان هذا الأمر يسعدنا كثيرا ، فإننا على استعداد لأن نضحى بكل ما نملكه من أجل بلادنا .

وأنا واثق أن أى عمل طيب لا يمكن أن يموت .. مؤمن بهذا كل الايمان .

واثق بأن الذين ساعدونا فى أزماتهم ومحنهم وفى اثناء طردهم من بلادهم ، سوف يسارعون الى الوقوف بجوارنا ، كل بقدر استطاعته .

ان ثقتى بالناس لا حد لها . ان حب الناس هو رصيد ضخم لا يمكن أن ينتهى .

وهذا يجعلنى أشعر اننى لا أرهقك ، ولا أضايقك ، عندما أطلب منك هذا الطلب .

ومرة أخرى أضمك إلى صدرى وأقبلك ..



الذين يولدون فى العواصف لا يفزعون من زئير الرياح

سجن الاستئناف

١٢ ابريل سنة ١٩٦٦

عزيزتى ....

أقبلك ، وأشكرك على خطابك . وأنا فاهم جيدا شعورك وموقفك . انني أعلم كل ما قلته . ان أحدا لم يقله ، ولكن احساسى كان يقول لى كل كلمة قلتها .

وتأكدى اننى لا أفكر فى الانتقام من أحد من الذين أساءوا الى . الذين حكموا على قبل أن يسمعوا دفاعى . الذين ما كادوا يروننى واقعا حتى أغمدوا الخناجر فى ظهرى ! اننى لا أكرههم .. اننى أرثى لهم . انهم يضعون سوابق ، سوف تطبق عليهم فى يوم من الأيام . ان الله يمهل ولا يهمل . وأنا أفهم عذابك ، وأحس بألمك ، وأقدر خيبة أملك ، ولكن أنا سعيد بإيمانك بالله . ان هذا الايمان سوف يجعلك تستمرين فى تحمل مالا يتحمله البشر .

وأنا أراك اليوم تماما كما كنت فى أزماننا السابقة . عندما كنت تتحدثين عن المنطق وعن العدالة وعن القانون . وكنت أقول لك أن المسألة هى مسألة وقت . وكثير من الناس لا يحتملون الظلم مرة واحدة ، ولكننا احتملناه عدة مرات . ولقد عشنا قبل ذلك فى دنيا من الأكاذيب ، والافتراءات ، والادعاءات والوعود التى لا تتحقق . ويبدو أن الظروف القاسية شاءت أن تعيش مرة أخرى فى نفس الرواية . ولكن تأكدى أن الخاتمة واحدة إن شاء الله .

انه يجب أن نحتمل ، ويجب أن نشكر الله لأنه يعطينا القدرة على أن نتحمل . وأن تغمد الخناجر فى ظهورنا ونبتسم . وأن نضرب بالسياط فنشكر الضاربين لأنهم لم يضربونا بالرصاص !

تأكدى أن وطنيتنا لا يمكن أن تنال منها الأكاذيب ..

ان وطنيتنا ليست فى طبل أجوف نضربه ، وإنما هى معارك خضناها ، وأزمات عشناها . أيام كنا نثبت فى الميدان بينما كان غيرنا يكاد يقتله الخوف والفزع والجبن والأشباح !

ان الذين يولدون فى العواصف لا يفزعون من زئير الرياح . والذين بنوا مجدهم بعرقهم ودموعهم وأعصابهم لا يخشون على الجبل الشاهق الذى بنوه من أن تلقى عليه الأتربة والأحجار ! ان هذه الأحجار تزيد حجم الجبل ، ولن تنقصه أبدا !.

ولا يجوز أن تهتز القيم والمبادىء أمامك ، أو أن تهتزى لما ترين الان ! ان هذه أزمة وقتية . محنة زائرة . انها أضعف من أن تنتصر علينا . اننا أقوى منها لأن الحق معنا ، والتاريخ معنا ، والزمن معنا .

ولا تجزعى على بناتنا .. انهن كلما كبرن ، كبرت الحقيقة معهن وتضاءل الظلم بجوارهن . ان كل يوم يمضى يقربنا من النور ، ويبعدنا عن الظلام .

وأنا سعيد كذلك أن ايمانك بالله وعدالته ، يزيدنا قوة . فإن هذا الايمان يجعلنا أقوياء جدا ، ويجعل الذين يطعنوننا فى الظلام ضعفاء جدا .

ملحوظة : أختم خطابى لأن النور انطفأ ..

وقد أكملت لك هذا الخطاب على ضوء شمعة .. أو على الأصح نصف شمعة !



المؤامرة الملفقة !

سجن الاستئناف

٢١ ابريل ١٩٦٦

أخي العزيز .....

أقبلك قبلة طويلة . ولا تعرف مقدار سروري بخطابك المؤرخ ١٥ ابريل . ومن الغريب أن اهتماماتك وانت في لندن هي صورة طبق الأصل من اهتماماتي وأنا في سجن الاستئناف ! أنا كذلك مهتم كثيرا بمتابعة مباريات كرة القدم ، وقراءة ما تكتبه الصحف المصرية عنها . وهي في رأيي أحسن شيء يكتب الان في صحفنا ! وفي الوقت نفسه أشاهد مباريات الكرة مرتين في الاسبوع . مرة يوم الجمعة ومرة يوم الأحد . وفي كل مرة نبذل جهودا جبارة لنحصل على حق مشاهدة التليفزيون . يوسطني المساجين لدى المسئولين إلى أن نحصل على هذا الشرف العظيم . ولكننا نتفرج على نصف المباراة فقط ، ونكمل النصف الثاني بقراءة الصحف في اليوم التالي . ومع ذلك فإن الهاف تايم الواحد يسعدنا كثيرا . ولكن لا نتفرج على التليفزيون في الجو الهادىء العادي . اننا كأننا جالسون في المباراة نفسها . فإن المساجين ينقسمون بين الأندية ، يهيصون ويهتفون ، ويحكمون على الحكم ، ويهددون بتحطيم التليفزيون إذا لم يعجبهم قرار الحكم !

ومن العجيب أيضا انني أقرأ في الصحف نفس الموضوعات التي نهتم بها . فأنا أيضا أقرأ كل ما نهتم به تقريبا . أنا مثلا أتابع كل ما تكتبه صحف العالم عن الموقف في أندونيسيا ، وعن الطائرة النفاثة الجديدة التي سوف تتسع لـ ١٩٠ راكبا . وعندما رأيت صورتها تمنيت أن نركبها معا . ولقد قرأت مرتين كتابا عن موسوليني من تأليف كريستوف هيبرت

ولقد قرأت ما كتبه أوليفر ليتلتون ـ وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط اثناء الحرب ـ عن حادث ٤ فبراير ، وكيف أن ما كتبه هو صورة لما كنا نقوله في أخبار اليوم ، وما كانوا يكذبونه في تلك الأيام .

ولقد فكرت أن أجلس وأكتب تاريخ الأحداث السياسية الماضية ، ولكنني لم أستطع لأن هذا يحتاج إلى مراجع ، والاطلاع على مجموعات الصحف القديمة ، وهذا غير متوافر في السجن ، والكتابة في السجن ليست عملية سهلة ، فإنه في كل لحظة يجيء حارس ويفتح طاقة في الباب ، ويطل منها ليرى ما تفعل ! وعندما أحس بأن كثيرا من المراجع تنقصني ، أعدل عن الكتابة ، وأكتفي بأن أستذكر الأحداث في رأسي ، وأرتبها ، وأفكر فيها . حتى إذا جاء الوقت المناسب للكتابة ، كانت العملية سهلة جدا .

وفي بعض الأحيان أتمنى ، لو أتفرغ بعد خروجي من السجن إن شاء الله للأبحاث التاريخية وأسافر وأطوف العالم ، وأتحدث الى الشخصيات الهامة التي اشتركت في تاريخ المنطقة ، وصنعت أحداثها أو أثرت فيها ، فالواقع أن اللغة العربية خالية تماما من الكتب السياسية الحقيقية ، والجيل الحالي لا يكاد يعرف شيئا عن أحداث ما قبل الثورة . وفي رأسي أفكار لعشرات من الكتب . وأعتقد أن في رأسك كذلك أفكارا لكتب كثيرة . وقد تكون في لندن لك فرصة لتكتب عددا من الكتب ، أو لتنظم مقالاتك ومقالاتي ، بحيث تصلح لأن تكون كتبا في يوم من الأيام .

والتاريخ كما تعلم هو هوايتي ، وأنا مهتم به كثيرا . ولقد وجدت هنا كتب شارع الصحافة وأسرار الصحافة وثورة الصحافة ، والصحافة مهنة ورسالة . ولا تعرف كيف يتخاطف المسجونون هذه الكتب الأربعة ، ويتخانقون عليها . وهم يقرأون فيها مقالاتنا ، ويذهلهم الدور العظيم الذي قامت به « أخبار اليوم » ويقولون أن هذه الكتب هي أعظم مرافعة لي . وانه كان يجب أن أقدم هذه الكتب الأربعة في محاكمتي ، وأقول أن هذه هي مرافعتي الوحيدة ولا أريد أن أقول بعد ذلك كلمة واحدة دفاعا عن نفسي .

وابتسمت وقلت في نفسي أن هذه الكتب تتناول جهودنا أو بعضها حتى عام ١٩٥٢ ولكن الجهود التي بذلناها من أجل بلدنا كانت أعظم كثيرا مما تحدثت عنه هذه الكتب الأربعة !

وانني أشعر الان أن من أكبر أخطائنا اننا لم نصدر كتبا عن تاريخ بلادنا . ان المقالات والتحقيقات والأفكار التي نشرناها في هذه السنوات كان من الممكن أن تملأ مئات الكتب . ولكننا كنا مهتمين بالصحافة فقط ، ناسين أن الكتب تعيش أكثر كثيرا مما تعيش الصحف .

وأعتقد أن حياتى فى السجن يمكن أن تتحول إلى كتاب . فإن الأحداث والطرائف فيها يمكن أن تصنع كتبا ممتعة .

حدث فى هذا الاسبوع أن فوجئنا بإدارة السجن تنقل إلى الغرف المجاورة لنا المساجين المرضى بالجرب !

وذهلنا أن قانون السجون يقضى بعزل هؤلاء المسجونين ، أو وضعهم فى مستشفى السجن . ولكن وجودهم بجوارنا يجعلهم يختلطون بنا ، ويستعملون نفس دورة المياه . وهذا يعرضنا جميعا لمرض الجرب والعياذ بالله .

وثار المسجونون السياسيون ، وانتدبونى للتحدث للمأمور فى هذا الأمر ، وذهبت إلى المامور ، وأبلغته احتجاج زملائى .

وقال المأمور انه احتاج للغرف التى كان فيها مرضى الجرب لوضع الدوسيهات والملفات للمحافظة عليها !

قلت : من الغريب انك تهتم بالمحافظة على حياة الدوسيهات ولا تحافظ على حياة المسجونين !

قال المأمور : يجب أن تعلم أن هذه هى العدالة .

قلت له : أنت تخطىء إذا ظننت أن العدالة هى المساواة بين مرضى الجرب والأصحاء ! ان الاشتراكية تعالج مرضى الجرب وتحولهم إلى أصحاء ، ولكنها لا تحول الأصحاء إلى مرضى بالجرب !

قال لى : ليس عندى أمكنة .

قلت : ممكن أن تنقل بعض المساجين من غرفة فى الدور الثالث ، وتخصص لهؤلاء غرفة كمستشفى أو معزل صحى .

قال المأمور : لو نقلت أحدا من الدور الثالث فسيقولون انهم دفعوا نقودا للمأمور !

وقال المأمور ما معناه انه لو انتقلت الأهرام من مكانها المكين ، ولو انتقل قلبه من الشمال إلى اليمين لما نقل المرضى بالجرب بعيدا عن المسجونين السياسيين ! وعندما يئست من اقناعه . قلت له إذن سأتركك للمساجين السياسيين ! وإذا بالمساجين السياسيين يكتبون برقيات إلى النائب العام ومدير السجون يتهمون المأمور بالتآمر على قتلهم وتعريضهم لمرض الجرب !

وعندئذ تراجع المأمور ، ونقل المساجين المصابين بالجرب إلى حيث كانوا بدلا من الملفات والدوسيهات !

وحدث في يوم الاثنين الماضي أن كان موعد نظر قضية أخبار اليوم الخاصة بمحمد حمدى أمام محكمة الجنايات . والقضية طريفة فقد أملت المخابرات خبرا على أخبار اليوم ضد الوزير المفوض السابق محمد حمدى بمناسبة احدى القضايا ! وظهر أن الخبر كاذب ورفع محمد حمدى قضية على أخبار اليوم وأنا الان أحاكم بصفتي رئيس تحرير !

ومحكمة الجنايات ملاصقة لسجن الاستئناف في باب الخلق والمسافة بين البلدين أقل من مائة متر .. وإذا بي أجد في السجن ١٢ جنديا بالمدافع الرشاشة في انتظاري .

ومشى بعضهم أمامي ، وبعضهم خلفي ، وبعضهم بجوارى ... ومعنا ضابط حراسة وضابط من المباحث العامة . وكان موكبا عسكريا خطيرا ! ويظهر انهم خافوا أن أهرب ، أو أن يخطفني الناس !

وعند باب المحكمة الداخلي رأيت أفراد أسرتي ، وأردت أن أتحدث إليهم ، ولكن ضابط الحراسة منعني وقال ان لديه تعليمات ألا أتحدث مع أحد !!

ولكنهم لم يدخلوني إلى غرفة المحكمة ، وأدخلوني إلى غرفة الحرس ، وذلك حتى يخلوا قاعة محكمة الجنايات من المتفرجين .

وجاء محامي أخبار اليوم يطلب مقابلتي ، وهو المحامي الوحيد في القضية ، وإذا بالضابط يمنع المحامي من مقابلتي .

وقلت للضابط انني سأقف في قاعة المحكمة وأقول انهم منعوني من مقابلة محامي قبل الجلسة ، وأن هذا شيء لم يحدث له مثيل في تاريخ القضاء المصرى .

وارتعش الضابط وأسرع الى رؤسائه .

وجاء الأمر بالسماح للمحامي بمقابلتي . وقال لي المحامي أن هناك مفاوضات صلح وأن أخبار اليوم ستكتب كلمة اعتذار ، وتعطي لصاحب الدعوى مبلغا في مقابل مصاريفه .

وفي هذه الأثناء جاءنا خبر أن الجلسة تاجلت ، وذلك لاعلان على أمين ، وأن الجلسة القادمة يوم ٢٥ يونيو .

وعدت بالموكب نفسه الى سجن الاستئناف .

واكتفيت بتحية أسرتي من بعيد لبعيد !

لم أسمع في هذه الفترة شيئا عن التصديق على الحكم . وآخر ما لدى من أخبار هو ما قيل لمحجوب رئيس وزراء السودان ، وهو ما كرره هيكل . ولكن هيكل كان عندى منذ حوالى شهر . وقد أكد لي أن التصديق سيتم في

خلال ١٥ يوما . وقال لى أنه سيزورنى كل اسبوع . ولكن يظهر أن وفاة عبدالسلام عارف وكثرة المشاغل منعته من بحث الحكم أو التصديق عليه .

واليوم ٢١ ابريل ، وبذلك يكون قد مضى على مسجونا تسعة اشهر ، وقد مرت والحمدلله بسرعة ، لأنها كانت مليئة بالأحداث .

وبحكم قانون السجون أكون قد أمضيت عاما مادمت حسن السير والسلوك . وأنا ولله الحمد حتى الان حسن السير والسلوك !

ومن أغرب ما تلاحظه فى السجن ، أن المسجونين السياسيين يعيشون على الأمانى والأحلام ، وهم أشبه بالغريق يتعلقون بقشة ..

فكل خبر يقرأونه فى الصحف ، يربطون بينه وبين مصيرهم ..

فإذا قرأوا أن كاسترو زعيم كوبا عفا عن الذين تآمروا عليه ، قالوا انه لابد أن الرئيس سيعفو عنهم .

وإذا قرأوا عن عبدالرحمن عارف أنه أفرج عن المسجونين السياسيين وأوقف المحاكمات فى العراق ، تصوروا أن هذا سيحدث فى مصر ، وأن الرئيس سيوقف محاكماتهم .

وفى بعض الأحيان أحاول أن أفهمهم الفارق بين هذه الأحداث وقضاياهم وأنه لا علاقة بما حدث فى مصر وبما حدث فى كوبا .. وفى أحيان أخرى أسكت حتى لا أحطم قصور أسبانيا التى يبنونها فى الهواء .

وكل مسجون يأتى إلى هذا السجن من ليمان أبوزعبل أو ليمان طرة ، أو سجن القناطر الخيرية أو أى سجن من سجون الجمهورية يحمل إلى تحيات عدد من المساجين الذين لا أعرفهم ، والذين يجعلون المسجون يقسم على المصحف أن يبلغنى سلامهم !

والذين يدخلون السجن يقولون أن شعبيتى زادت بعد سجنى عما كانت قبل سجنى . فهم يعتقدون اننى مظلوم . والناس تحب المظلومين .

ومن رأى عدد من المسجونين السياسيين اننى كنت فى حاجة الى هذا السجن ، وأن سجنى فى مصلحتى . واننى استفدت كثيرا مما حدث لى !!

وحدث أن كنت أمشى فى السجن . ورأتنى احدى السيدات ، فهجمت على وراحت تصافحنى وتقول : وحشتنا فكرة ! والله وحشتنا خالص !

فقلت لها : أنا مصطفى ولست على !

قالت : أعرف ذلك جيدا .. ولكنى أحبك من أجل فكرة ! ومادمت مسجونا فلن نقرأ فكرة !

وسألتنى عنك وعن صحتك ..

وأمسك بها الحارس يدفعها بعيدا عنى ، لأن محادثة المسجونين ممنوعة ، فراحت تصيح وتقول : قلبنا معاكم .. والنبى بندعى لكم ! أنت وأخوك ..

ولازم تعرف وتتأكد أن فكرة راح ترجع تانى ! قلبى بيقول لى كده !

وجاءنى صول لا أعرفه ولم أقابله قبل الان ، وألح فى مقابلتى ، وقال لى أن أحلامه لا تنزل الأرض . وأنه حلم بأنه يعطينى مجلة آخرساعة بدون غلاف ، واننى أخذتها ووضعتها تحت ابطى ، وأراد أن يأخذها بعد أن أقرأها . فقلت : لا هذه المرة سأحتفظ بها على طول ! وقال أنه قام من الحلم متفائلا جدا لى ، وبأن الفرج قريب ، وأنى سأعود لأكتب فى الصحف التى أحبها !

وامتلأ السجن بنبأ هذا الحلم ، وأقبل السجانون على مهنئين ، ويقولون أن أحلام هذا الصول عجيبة ولا تنزل الأرض أبدا !

ولم أصدق الحلم طبعا ، ولكنى سررت بأن هذا الرجل فكر فى ، لدرجة أنه رآنى فى المنام !

فهذا الرجل الذى لم أعرفه ، ولا علاقة لى به ، ولم أتحدث معه مرة واحدة ، فكر فى قبل أن ينام ، وتمنى لى الخير ، ولهذا رآنى فى الحلم ..

ولقد فقدت هذا الاسبوع صديقا عزيزا ..

وإسمه « النص » ..

وهو متهم فى عدة جرائم سرقة ..

وقد كان هو الذى يحمل لى يوميا الطعام ويشترك فى تهريب الخطابات ، وكان مخلصا جدا وأمينا جدا .

ولكن أفرج عنه بعد أن أمضى فى السجن ٤٨ شهرا . وقد وعدنى أنه سوف يستقيم ، وأنه سيفتح دكانا ، وهو يحمل الاعدادية ، وقد فارقته وأنا أشعر اننى أفارق صديقا عزيزا .

وسوف يتولى حمل الطعام بدلا منه حرامى آخر وإسمه « بطيخة » وأرجو أن يكون خير خلف لخير سلف .

ومن العجيب انك تقابل فى أوساط المجرمين أخلاقا عالية ، تجد فى بعضهم رجولة وشهامة ومروءة ورغبة فى التضحية .

وبينما تجد هذه الرجولة والشهامة تجد أخلاقا سافلة فى طبقة مفروض انها متعلمة .

فإن عندنا أحد المسجونين ولنطلق عليه اسم درويش . وهو متزوج وزوجته تعمل موظفة فى احدى الشركات . ويظهر أنه اختلف مع زوجته .

ولا عمل له إلا أن يحضر مسجونين يستكتبهم خطابات غفلا من الامضاء ، ويرسلونها إلى مدير الشركة التى تعمل بها يقولون فيها أن الناس تقول أن هذه الموظفة عشيقتك ، فإذا لم ترفتها ، فسوف نبلغ المسئولين . ويرسل يوميا هذا التهديد والوعيد الى عدد من المسئولين حتى يرفتوا زوجته عقابا لها لأنها لم تزره فى السجن !

ويظهر اننا نعيش فى عهد التلفيقات والناس على دين ملوكهم !

قضايا كثيرة حولى ملفقة ! أكاد أقول أن الأبرياء فى هذا السجن أكثر من المجرمين .

وبين القضايا التى معى قضية زائفة مزيفة ملفقة ـ اسمها قضية الحزب الشيوعى العربى .. والمتهم الأول فيها حكم عليه قبل ذلك بسبع سنوات فى تهمة تزييف نقود . ثم لما رأى أن الحكومة تعين الشيوعيين فى وظائف كبيرة وفى الصحف ، تضايق انه لم يعين فى وظيفة . وادعى انه شيوعى ، ولكن الشيوعيين قالوا له انه مزيف نقود وعبثا حاول اقناعهم انه مزيف النقود ليخرب الاقتصاد المصرى وتصبح مصر شيوعية !

وخطرت له فكرة ..

وهى أن يوهم المخابرات أنه رئيس حزب اسمه الحزب الشيوعى العربى وأن الحزب يفكر فى انقلاب وإعلان مصر دولة شيوعية ..

وحرص أن يبلغ هذه المعلومات إلى زوج أخته الذى يعرف أنه متصل بالمخابرات وكان يتصور أنه عندما تعلم الحكومة ذلك سوف تستدعيه فورا ، وتعينه بمائتى جنيه فى أخبار اليوم !

وفرحت المخابرات بهذه الفرصة واتفقت معه على أن يدعى أنه سيقوم بانقلاب لمصلحة الصين .

وقبض عليه . وادعى على ١٢٠ شخصا انهم أعضاء الحزب . واعترف عدد منهم كذبا بأنهم أعضاء فى الحزب ! مع انه لا يوجد حزب ، وهو فى الواقع رئيس وأعضاء وأنصار هذا الحزب !!

ولكنه باع الترام .. ووجد من يشترى الترام ، بل ويركب الترام !

وقال لى بصراحة عجيبة : لو اننى قلت أن الحزب هو أنا وحدى ، لما اهتم بى أحد ، ولكن عندما أدعيت أن كل هؤلاء أعضاء معى وانهم وزراء فى الانقلاب أصبحت شيئا مهما !!

وقد طلبوا منه أن يكتب قائمة بأسماء الوزراء الذين قرر أن يؤلف منهم الوزارة عندما ينجح الانقلاب . وأخذ صاحبنا يذكر كل انسان أساء إليه فى حياته ، وقرر أن يعينه وزيرا !

وتذكر أن موظفا صغيرا فى مجلس الفنون والاداب اسمه عدلى أبادير ، يتولى احدى النقابات ، وطلب « الزعيم » منه أن يعينه مستشارا للنقابة ، واعتذر عدلى ، لأن « الزعيم » غير مقيد فى جدول المحامين .. وهنا عاقبه « الزعيم » بأن عينه وزيرا للثقافة ، وجاءوا بعدلى وضربوه وعذبوه فاعترف بأنه وزير الثقافة فى الانقلاب ..

وتذكر أن شفيق اندراوس وكيل بنك الاسكندرية فى الموسكى اختلف معه ، فعينه وزيرا للاقتصاد ، وقبضوا على شفيق وعذبوه حتى اعترف انه وزير الاقتصاد وتذكر الزعيم أن محمد النشرتى التمورجى بالقصر العينى رفض مرة أن يدله على عنوان ممرض زميل له استدان منه جنيهين ، فعين الممرض وزيرا للصحة ، وقبضوا على النشرتى وعذبوه حتى اعترف انه وزير الصحة ! وتذكر الزعيم انه تشاجر مع عادل سليمان المحرر بالجمهورية ، فعينه وزيرا للاعلام ، وقبضوا على عادل وانهالوا عليه ضربا وركلا وتعذيبا حتى اعترف بأنه وزير الاعلام ! وتذكر أن أنور زعلوك صاحب مجلة الحقائق رفض أن يعينه محررا فى مجلته فعينه محافظا للوادى الجديد ، واعترف أنور تحت وابل من التعذيب الذى لا يتحمله بشر انه فعلا محافظ الوادى الجديد ! ثم تذكر الزعيم أن شقيقته متزوجة من سامى سلام الجرسون بالأوبرج ، وأن سامى دون جوان بين الراقصات ، ويخون زوجته ، ولهذا قرر أن يعاقبه على خيانته لشقيقته فعينه وزيرا للخارجية فى الانقلاب المزعوم .. وقبضوا على سامى وضربوه وعذبوه وعلقوه حتى اعترف بأنه فعلا اتفق مع الزعيم أن يكون وزير الخارجية المزعوم !

ونشرت الصحف بالعناوين الضخمة نجاح الدولة فى القبض على أعضاء الحزب الشيوعى العربى ، واعتراف قادة الحزب جميعا بأنهم دبروا انقلابا للاستيلاء على الحكم ، وأن هذا الانقلاب لمصلحة الصين !!

هذه هى عينة القضايا الملفقة الموجودة معى فى السجن !

وإلى اللقاء ..

● ● ●

التهمـة الجـديدة !

سجن الاستئناف :

أول مايو سنة ١٩٦٦ :

أخي العزيز ....

أقبلك قبلة طويلة ، تحمل لك شوقي إليك . من يصدق انه عندما يصلك هذا الخطاب سيكون قد مضى إلينا أكثر من ثمانية أشهر دون أن نلتقي ، ولكن عزائي أن لقاءنا يتم يوميا بهذه الرسائل الروحية التي نتبادلها ، والتي تخترق الأسوار والقضبان .

ولقد ذهلت هذا الاسبوع عندما سمعت أن هيكل قال لخيرية وعدد من الزعماء العرب أن « على بيلبخ في لندن وانه متصل بالمخابرات البريطانية » !

ولقد توقعت هذه التهم الظالمة . فإن الذين دبروا اتهامي الظالم ، لابد أن يخترعوا لك أيضا اتهاما ظالما ! انهم سمعوا الناس تقول ما ذنب علي ؟ لماذا تمنع فكرة من الظهور ؟ لماذا يلغى عيد الأم ؟ لو فرض أن مصطفى مجرم فما هي جريمة علي ؟ .. ان الضابط نصار كان على رأس المتهمين باغتيال الرئيس وعمل انقلاب ، وكان شقيقه الدكتور نصار وزيرا في الوزارة ، وبقي فيها برغم الحكم على أخيه ! وعندما قام الشواف بالثورة على عبدالكريم قاسم ، كان شقيقه الدكتور الشواف وزيرا في الوزارة ، وبقي في الوزارة برغم ما حدث لأخيه ، فلماذا يعامل على هذه المعاملة !؟ وهنا لابد من اختراع تهمة تبرر التصرفات التي اتخذت ضدك .. وأنا بعيد عنك آلاف الأميال ولكنني أعرف انك برىء من هذه التهمة .

وأنا واثق أن الذين يتهمونك بهذه الأكذوبة يعرفون أنك برىء . ولكن كل ما يريدون ويحلمون به أن يوقعوا بيننا وبين بلادنا محاولين التشكيك

فينا ، والكذب علينا . وهم لا يكفيهم انهم نجحوا فى تلفيق التهمة على ولكنهم يخشون منك . انهم يعرفون أن الناس تتحدث عن موقفك . عن انك لم تفقد ايمانك بوطنك ، حتى وأنت ترى الخناجر تغمد فى ظهرى ، وانك لم تقل كلمة واحدة تسىء إلى البلد الذى أحببناه . وهذا الموقف المشرف لا يعجبهم ولا يرضيهم . ولهذا يجب أن يلوثوك أنت أيضا . وأنا لست حزينا لهذه الاتهامات الظالمة ، وإنما أنا أرثى للذين يظلموننا . أولئك الذين لا يعرفون أن الله أقوى منهم ، وأنه سوف يفسد تدبيرهم ، ولابد أن التاريخ ظلمهم على أنفسهم . ان الحقيقة لابد أن تظهر . ولابد أن التاريخ سوف يصفع هؤلاء الكاذبين على أقفيتهم !

أو لعل هؤلاء الكذابين عندما رأوا موقفك المشرف أرادوا أن يختلقوا هذه التهم ، لكى تزهق ، وتتكدر ، وتغير موقفك ، مادمت تتهم ظلما بما لم تفعله . وهم ينسون أن المسألة ليست سياسة ، وإنما هى مسألة مبدأ . وأن الذين تحملوا من أجل وطنهم ، مالا يتحمل البشر ، لا يمكن أن يغيروا مواقفهم ، أو يبدلوا مراكزهم ، أو يتخلوا عن بلادهم ، من أجل تهم ظالمة ، أو ردا على الطين الذى يلقى عليهم !

ويستدلون على تهمتهم الظالمة بأنك تعيش فى لوكاندة ماى فير ! سبحان الله ! انهم لا يعرفون اننا صحفيون عالميون . لا يعرفون اننا نستطيع أن نكسب عشرات الألوف من عرقنا ، ومن العمل الفنى ، وليس من العمل السياسى ! لا يعرفون اننا خدمنا ألوف العرب ، ووقفنا بجوارهم فى أزماتهم ومحنهم ، بدون مقابل .. فليس عجيبا أن يقف العرب من أصدقائنا بجوارنا فى محنتنا هذه . اننا مكثنا سنوات طويلة نساعد من أخبار اليوم الزعماء العرب المضطهدين من كل بلاد العالم العربى . كنا ندفع لهم مرتبات شهرية كبيرة . كنا نفعل لهم ما لم تفعله بلادنا . فهل من الغريب أن نجد اليوم من يقف الى جوارنا .. أم أن أولئك الظالمين يتصورون أن كل الدنيا مثلهم ، تكفر بالعمل الطيب ، وتتنكر للجميل ، وتعض الأيدى التى أطعمتها ، وتدوس بالأقدام على الذين رفعوهم فوق الرؤوس !

ان الأغلبية العظمى للناس طيبة ، مخلصة ، وفية ، ولقد أحببنا الناس جميعا ، فأحبنا الناس جميعا . كنا نعطى لكل الناس فلا عجب أن يقف الناس إلى جوارنا فى محنتنا ..

ان الذين يظلموننا يضعون أنفسهم . يتصورون اننا ضعفاء مثلهم . أن الذهب له قيمته فى كل سوق الدنيا . ان كفاءتنا العالمية قادرة أن تدر علينا مئات الألوف . ولقد وضعنا خبراتنا وكفاياتنا وعبقريتنا فى خدمة بلادنا

مجانا . لم نطلب ثمنا . بل على العكس كنا نتلقى الضربات فى مقابل الخدمات . كانت تدبر لنا الدسائس ، وتحاك الأكاذيب ، وكانت توضع الخطط للابعاد بيننا وبين الرئيس جمال عبدالناصر . وتحملنا كل هذا ، ورضينا بهذا العذاب الدائم ـ ويعلم الله كم تحملنا وكم تعذبنا ، دون أن نشكو ، ودون أن نتوقف عن خدمة بلادنا . ولقد عرفنا الناس على حقيقتنا . وفشلت الأكاذيب فى القضاء علينا ، ولم تصل المطاعن إلا الى أقدامنا . ثم جاءت هذه المحنة . وتصور الذين لفقوها لنا انهم هدمونا الى الأبد . ان كل الناس سيتخلون عنا . انه لن يبقى لنا أصدقاء فى هذا العالم . ان الذين وقفنا بجوارهم فى أزماتهم ومحنتهم لن يقفوا الى جوارنا فى أزمتنا . ولكنهم نسوا أن الله يعطى كل انسان بقدر ما فى قلبه . واننا أعطينا الناس قلوبنا فأعطانا الناس قلوبهم .

لا أستطيع أن أصف لك سعادتى بالحب الذى ألقاه هنا من كل المسجونين وأقارب المسجونين . ان هؤلاء عندى هم الرأى العام . هم الشعب . الفقراء والقادرون . الأبرياء والمجرمون . ان كل واحد منهم يتحدث عن فكرة ! ان عسكرى هنا يأخذ عشرة جنيهات فى الشهر كان يقتطع من قوته قرش صاغ ونصف قرش يوميا ليشترى الأخبار ثم الأهرام ليقرأ فكرة .. وبعد أن انقطعت فكرة انقطع عن قراءة الصحف ! انهم لا ينسون هنا عيد الأم . ولا ليلة القدر . ولا المساعدات التى كنا نقدمها للفقراء .. ولا قصة ليلى المريضة بالسرطان ! ان بعضهم يحفظ قطعا من فكرة صم ! انهم يصلون ويدعون لى ولك فى صلاتهم . انهم لا يكتفون بأن يدعوا فى صلاتهم لأنفسهم .. انهم يشركوننا معهم فى أمنيتهم بالخروج من السجن !

ولقد أصبحت أمشى فى السجن وكأننى أمشى فى أخبار اليوم ! ان كل من فى السجن كأنهم أصدقائى وأولادى وتلاميذى وقرائى ! اننى أرى فى عيونهم الحب والتقدير والاهتمام . الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم . الأبرياء والمجرمون . العجائز والشبان .. الذين يحملون شهادات عالية ، والذين يجهلون القراءة والكتابة .

ولقد حدث حادث غريب أمس .. فإن أحد ضباط البوليس فى قسم الوايلى اتهم هو واثنان من المخبرين بأنه عذب أحد المتهمين حتى مات من التعذيب وقدم الى محكمة الجنايات فحكمت عليه بالسجن عشر سنوات وحكمت على المخبرين بخمس سنوات سجنا لكل منهما . وأدخل الضابط سجن الاستئناف توطئة لنقله فى اليوم التالى الى الليمان .

وسمع المسجونون بما حدث ، وإذا بينهم بعض الذين كان يعذبهم هذا الضابط وهو فى قسم الوايلى ، فأبلغوا زملاءهم بجرائمه ضد الأبرياء وتلفيقه التهم لهم . واجتمع المسجونون وهجموا على زنزانة الضباط ، يريدون فتحها بالقوة ، وقتله فى داخل الزنزانة . وكانوا فى حالة ثورة . وأمكن بمجهود ضخم تهدئتهم وإعادتهم الى غرفهم . وكان كل من فى السجن ثائرا على الضابط المحكوم عليه ، حتى ولو لم يصبه أذى منه .

كان كل واحد يشعر أن الكرابيج التى ضرب بها الأبرياء أصابته هو . ورأيت فى هذا الضابط مصير كل الذين لا يحترمون العدالة . ويعذبون الأبرياء ويدوسون على الشرائع والقوانين التى تحمى المتهم وتعتبره بريئا الى أن تحكم عليه .

وفى هذا الاسبوع عرضت على قاضى المعارضات قضية المهندسين اللذين اتهما بأنهما قالا أن مصطفى أمين برىء !

ووقف المحامى يقول :

— ان هذين المتهمين ليسا وحدهما اللذين يقولان ان مصطفى أمين برىء !

ان البلاد كلها تقول هذا .. فإذا كانت هذه تهمة .. فيجب أن يوضع الـ ٢٨ مليون مصرى فى السجن !

وقال المحامى :

— اننى عضو مجلس الأمة عن دائرة شبرا الخيمة . وقد كانت البلدة هادئة الى أن قبض على هذين المهندسين بهذه التهمة .. وانقلبت البلدة .. تعالوا وشوفوا ماذا يقول الناس الان ، بعد أن علموا أن الذى يقول أن مصطفى أمين برىء يقبض عليه !

اننى أقترح اضافة مادة جديدة فى قانون العقوبات تعاقب بالسجن كل من يقول أن مصطفى أمين برىء !

ونظر القاضى الى وكيل النيابة وقال :

— أظن نفرج عنهما بكفالة ..

فقال وكيل النيابة : أرجو التاجيل كى أعاين المكان الذى وقعت فيه الجريمة !

وتأجلت القضية اسبوعين ..

* * *

كانت نتيجة التحليل أن السكر غير موجود فى الدم .

وإذا استمرت النتيجة هكذا فى الشهر القادم فمعنى ذلك أن كارثة سجنى هى التى أدت الى شفائى من السكر !!!

وإن كان الأطباء في السجن يقولون أن من رأيهم أن هذا يدل على أن الصحافة وأخبار اليوم هي التي تجيء بالسكر ، وأن عدم الاشتغال بالصحافة هو الذي أدى الى الشفاء !

وهم يقولون : العادة أن شعور المسجون بالسجن وضيقه به يؤدي الى زيادة السكر لا إلى نقصه ..

وأن هذه أول حالة من نوعها رأوها !!

ولقد فرحت كثيرا بهذه النتيجة ، وإن كانت سوف تضايق الذين يريدون نقلي الى المستشفى ، ولقد بدأت أفلسف المسألة ، وأقول لنفسي انني اذا قيل لي أنه لكي تشفى من السكر يجب أن تدخل مصحة كالسجن وتبقى فيها سنة فهل كنت أقبل أم لا ؟ وأحاول اقناع نفسي بأنني كنت أقبل ! واذا ظهر في الشهور القادمة أن السكر انتهى فعلا فسوف أسجل الاكتشاف ، وسوف تسمع أن جميع مرضى السكر وضعوا في السجن للعلاج والشفاء !

والواقع انني أفضل ألا أكون مريضا بالسكر وفي سجن ، على أن أكون مريضا بالسكر وفي مستشفى !

ولا أظن أن نتيجة التحليل سوف تؤثر في ذهابي الى المستشفى أو عدمه ، فلو كانوا يريدون ارسالي الى المستشفى لأرسلوني مهما كانت نتيجة التحليل ، ولو انهم لا يريدون فإنهم لن يرسلوني للمستشفى مهما كانت النتيجة . وهذه مسألة يجمع عليها الأطباء هنا ..

ولقد كان هذا الاسبوع اسبوعا هاما نظرا لوجود سعيد فريحة وفائق السمرائي ومحمد أحمد محجوب . وفي الوقت نفسه كانوا النافذة التي أطل منها على العالم ، وأرى منها ما يجري ساعة بساعة . ولقد سررت أن سعيد بعد أن اطلع على الحقائق اقتنع ببراءتي ، بعد أن كانت الأكاذيب قد ضللته وخدعته وجعلته يتصور انني مخطيء . وكان يهمني كثيرا أن يعرف الحقيقة كاملة . وسيجيء يوم تعرف فيه الدنيا كلها الحقيقة ، وسوف تبيض وجوه ، وتسود وجوه . ان ايماني بشروق الفجر يزداد كل يوم . ان الظلام لا يمكن أن يعيش الى الأبد ..

وفي الختام أقبلك وإلى اللقاء ..

فى مستشفى المجاذيب !

سجن الاستئناف :

٣ مايو سنة ١٩٦٦

أخى العزيز ....

أكتب هذا فى ٣ مايو ، لا أعرف متى يصل إليك . ولكنى أتصور أنه سيكون عندك يوم ٢٣ مايو . مرت سنة كاملة منذ آخر لقاء . الأيام تمر بسرعة . والأيام تمر ببطء . يومها كتبت عن هذا الوداع فى أخبار اليوم رسالة من المحرر . الذين قرأوها بكوا . كان قلبى هو الذى يتكلم . قلت فيها أشياء كثيرة . عندما انفجرت بالبكاء فى المطار . عندما تمزق قلبى لحظة الوداع . كان ذلك احساسا من أن فراقنا سيطول . سيطول جدا . لست أعرف سبب هذا الشعور . احساس داخلى عجيب . لعله نوع من أخبار الغد !

لم يتغير شىء . كأننى بعد سنة لا أزال فى المطار . أرى ظهرك وأنت تسير نحو الطائرة . حولى كل أصدقائى وأشعر أننى وحدى .. أتذكر أننى كنت ألومك .. لأنك تؤخر سفرك . كنت أقول أن قلبى يحدثنى بأنك إذا تأخرت فلن تسافر . تحققت نبوءتى .. كان يجب أن تسافر . ولو كنت بقيت هنا . وحدث ما حدث . لكنت أتعس رجل فى العالم . وأنت بعيد أقرب كثيرا مما لو كنت هنا . خارج السجن أو فى زنزانة أخرى بجوارى . أشعر الان أنك قريب جدا . أشعر اننى أتحرك معك . أتضايق عندما تحبس نفسك فى غرفتك . أحس كأنك تحبسنى معك . كلما خرجت الى هايدبارك خرجت معك . أتفرج على التليفزيون فى غرفتك بالفندق .

.. أسافر معك الى برمنجهام أشهد مباراة الكرة . أهتف فرحا لانتصار فريق شيفيلد . وفى الوقت نفسه أحس أنك معى . فى نفس الزنزانة

السرير الضيق يسعنا . المقعد الواحد يكفينا . السلاسل تربطنا . الباب المغلق يجمعنا . نركب فى مرجيحة واحدة . نهتز بين اليأس والأمل . أيد مجهولة تدفعها الى الأمام وإلى الوراء .. ولكننا لا ندوخ . لا نخاف أن نسقط من المرجيحة . نؤمن بأنها ستقف فى وقت من الأوقات . سننزل منها سالمين آمنين !

فى بعض الأحيان أشعر أنهم أدخلونى مستشفى المجاذيب ! هنا مجنون يعتقد أنه زعيم و « خواف » اعترف انه ارهابى . ولص يقسم انه أشرف الشرفاء . وبرىء اضطر أن يقول فى التحقيق أنه متآمر . وأحيانا يهتاج المسجونون . كما يفعل المجانين . يشتمون بعضهم . أو يضربون بعضهم ، أو يجرحون أنفسهم بالأمواس حتى تسيل الدماء . والحراس هم الممرضون . والضباط هم الأطباء . والمأمور هو الحكيمباشى . وفى بعض الأحيان تنتشر العدوى . ويصاب الأطباء والحكيمباشى بالجنون ! وأضع يدى على رأسى . أتحسس عقلى . أحمد الله على انه لم يطر . لا أزال عاقلا . انها نعمة كبرى . أن العقل أثمن من الحرية ! اذا كنت فقدت حريتى فقد احتفظت بعقلى . شىء خير من لا شىء .. ونصف البلاء ولا البلاء كله ! الشىء الذى يجنن المساجين السياسيين هو موعد التصديق على الأحكام ! قبل العيد الصغير يقولون بعد العيد الصغير . وقبل العيد الكبير يقولون بعد العيد الكبير . وفى يناير يقولون فى فبراير . وفى فبراير يقولون انه فى مارس . يسمعون أن تيتو سيصل الى مصر . يقولون ستصدر الأحكام قبل وصول تيتو . ويصل تيتو ولا تصدر الأحكام . فيقولون قبل وصول كوسيجين . فإذا وصل كوسيجين قالوا ستصدر بعد سفره ! وكل متهم يتحول الى قاض . يصدر الأحكام . يصدر أحكاما قاسية على الذين لا يحبهم . ويحكم على نفسه طبعا بالبراءة ! الظريف انهم جميعا يحكمون على بالبراءة . انهم جميعا بلا استثناء يحبوننى .. المسجون السياسى يقابل زوجته وأسرته كل ١٥ يوما . كل زيارة لا تجىء ويدها فاضية ! ان يدها دائما مليئة بإشاعات عن الأحكام ! والأخبار تجعل المسجونين كبندول الساعة . يتحركون بين التشاؤم والتفاؤل ! وهم يعتبرون أنفسهم المحور الذى تدور حوله الكرة الأرضية . كل شىء فى العالم يؤثر على الأحكام ! الافراج عن المسجونين فى الجزائر يفرحهم فى القاهرة . العفو عن المتهمين فى بغداد يجعل المتهمين يرقصون فى سجن الاستئناف ! وكثير منهم يعيشون على الأحلام . الحلم والرؤيا يؤثران على مزاجهم . وفى السجن واعظ يعتبر نفسه خبيرا فى تفسير الأحلام ! وهو يفسر كل الأحلام بأنها

براءة ! حلم أحد المسجونين أنه كان يأكل ملوخية . قال الشيخ الملوخية خضراء ، والخضرة براءة . وحلم مسجون ثان انه كان يركب طيارة . قال الشيخ محمد أن الطيارة تنطلق . والانطلاق معناه اطلاق السراح . وحلم مسجون ثالث انه كان يبيع « كشرى » أمام السيدة زينب . قال الواعظ أن السيدة زينب حفيدة رسول الله وهى لا تجىء إلا للأبرياء !

وفى السجن شخصيات غريبة ، شخصية عجوز اسمه عباس بيه . محام متهم فى قضية الشيوعية . عمره ٨٠ سنة . وهو متهم برىء بالشيوعية . لا يتكلم إلا بالقرآن والأحاديث النبوية . وهو يفتح مكتب محام فى السجن . يستشيره اللصوص وقطاع الطرق والنشالون . ثمن كل استشارة قانونية سيجارة بلمونت ! وهو يجمع السجائر ويشترى بها طعاما !

وفى السجن شاب اسمه كامل . كان بطل مصر فى الملاكمة . وهو متهم بالشيوعية - ووجدته هائجا غاضبا ثائرا . ان زملاءه يطلقون عليه لقب بطليموس ! قلت له أن بطليموس ليس شتيمة ! انه أحد البطالسة الذين حكموا مصر . وظهر أن سر غضبه أنه كان متزوجا من فتاة جميلة جدا . ثم رفعت عليه قضية أمام الكنيسة .. وطلبت الطلاق .. لأنه عاجز جنسيا . وأن بطليموس الثالث عشر كان متزوجا بكليوباترا . وطلقته لأنه كان عاجزا جنسيا ، وأحبت قيصر !! ولكى تعرف سر ثورة ، صديقنا كامل » هذا على لقب بطليموس ، هو انه سمع أن بطليموس عاجز جنسيا . ثم يجلس ويلقى عليك درسا تاريخيا فى حكاية بطليموس وكليوباترا . ويعترف بالقضية التى رفعتها عليه زوجته ، ويؤكد لك أنه كسب القضية . وبعد ذلك طلق زوجته الكذابة !

وأنا أصدق بطل الملاكمة ، وهو صادق لا يكذب . ولكن زملاءه هنا يعاكسونه ويدعون انه بطليموس الرابع عشر !

وسبب حرارة الجو كثرت الخناقات والمشاجرات . حدث أن أحد المتهمين السياسيين كان يحلق ذقنه . وبعد أن انتهى من حلاقته جاء زميل ليجلس على كرسى الحلاق . واعترض المتهم السياسى لأن الحلاقة يجب أن تكون بإذنه . وقد وعد مسجونا آخر بهذا الدور . وحدثت مشاجرة لرب السماء . ونزل المتهم السياسى الى المأمور وقدم بلاغا يقول فيه أن المسجون لبيب يريد قتله ، وأن حياته فى خطر ، وانه يطلب نقل لبيب من هذا الدور ! وهدد لبيب بأن يقدم بلاغا ضد هذا البلاغ .

وأراد الارهابى رقم ١١ أن يقلد المسجون السياسى ، فهو له عقلية القرود . إذا رآك تدخن أشعل سيجارة . وإذا رآك تمسح حذاءك مسح

حذاءه . وإذا رآك تمشى على يديك ورجليك ، مشى هو على يديه ورجليه . ولهذا قلد المتهم السياسى . وقدم بلاغا ضد زميله يتهمه بأنه ينشر الشيوعية فى السجن ويهاجم الرئيس !

وكانت نتيجة هذه الخناقات والمشاجرات أن صدرت التعليمات بتطبيق نظام الضبط والربط على المسجونين فى الدور الثانى الذى نقيم فيه . ومعنى الضبط والربط أن تغلق علينا الزنزانات . ولا تفتح إلا نصف ساعة فى اليوم . وفعلا أقفلت الزنزانات . ولم تنقذنى إلا زيارة فائق السمرائى . وكانت الزيارة فى حضور المأمور . وعندما انتهت الزيارة طلب منى المأمور أن أصفى الخلاف بين المسجونين السياسيين . فقلت له اننى آثرت أن أبتعد عن هذا الجو . ولكنه ألح فى أن أتدخل . فقبلت التدخل بشرط العودة الى فتح الأبواب . وإنهاء مسألة الضبط والربط . ووافق المأمور وتمت تسوية الخلافات . وفتحت أبواب الزنزانات !

وهكذا ترى اننا مشغولون ! كل يوم لدينا مشاورات واجتماعات للأقطاب . ومفاوضات . وحرب وهدنة وسلام . ولقد جرى تفكير فى تأليف مجلس أمن . ليحل المشاكل التى تهدد السلام . وأجمعوا على أن أكون أنا مجلس الأمن . لكننى رفضت بشدة . لأنه لا ينوب المخلص إلا تقطيع هدومه . وأنا فى حاجة الى هدومى . وأذكر مصير الكونت برنادوت الذى قتل عندما تدخل بين العرب واليهود !

وفى الدور ثلاثة متهمين فى قضية رشوة . فاروق وهاشم ولبيب .. وهم من أحسن المتهمين معنا . وكانوا يكونون ثالوثا مقدسا . يأكلون معا ويمشون معا . ويصلون معا ويتفسحون معا ويستحمون معا . وهم كلهم أصدقائى . وفجأة اختلف الثلاثة ! وكان خلافهم أثناء نظر قضيتهم أمام محكمة الجنايات . والخلاف على مسائل هايفة . وحاولت أن أصالحهم وأجعلهم يفهمون أنهم فى مركب واحد . إما يعومون معا ، أو يغرقون معا ! والمثل الذى يقول فتش عن المرأة ، لعب دورا فى هذا الخلاف . ان زوجة أحدهم قالت ان زوجة الثانى أوصت احد الشهود على زوجها وحده ! وتنعقد مجالس صلح ، وتنفض المجالس ، وتجرى اجتماعات جانبية ، واجتماعات جماعية ، ونفض الاشكال ، ثم يعود الخناق من أول وجديد !

والعجيب أن الثلاثة أبرياء ، ومركزهم واحد فى القضية ، إما أن يبرأوا معا أو يدانوا معا ، ولكنهم لا يعرفون !

وعندنا أربعة من الاخوان المسلمين . تهمتهم انهم قرروا نسف قطار الرئيس سنة ١٩٥٥ ثم عدلوا عن ذلك . وهم مختلفون فيما بينهم .

والخلاف حول من منهم يؤذن للصلاة ! كل واحد منهم يعتقد انه أحق بان يتولى الأذان . فهم يتسابقون الى الأذان ! ولهذا نجد الواحد منهم يؤذن الفجر قبل موعده بنصف ساعة حتى يسبق زميله ، واحيانا نجد اثنين منهم يؤذنان في وقت واحد . وإذا استمر هذا النزاع فسيؤذن الواحد منهم لصلاة الظهر في الفجر ، ولصلاة العشاء في الظهر !

وفي نهاية العنبر يوجد ثلاثة متهمين في قضية منشورات بالاسكندرية . اخوان وصديق لهما . شبان صغار السن . أحدهم موظف في بنك والثاني في مطار الاسكندرية والثالث في احدى الشركات . أصيب احدهم بحالة غريبة بعد دخوله السجن . فقد النطق وفقد السمع معا . أصبح يتكلم معنا بالاشارة . أو يكتب ما يريد ان يقول . ونكتب له ما نريد أن نقول . والأطباء في السجن حيارى في هذه الحالة الغريبة لا يعرفون ماذا يفعلون . واغلبية كبيرة من المسجونين من المتهمين في قضايا المخدرات . كثير منهم أطفال صغار . أولاد في السابعة عشرة والخامسة عشرة . وقد رايت من أيام تلميذا في الرابعة عشرة من عمره . جميل الشكل . يبدو انه من أسرة طيبة . تهمته أن صديقا له طلب منه أن يوصل خشبا إلى أحد البيوت . ثم ظهر أن الخشب مسروق . قبضوا عليه . أدخلوه الزنزانة . فزع عندما راى شكلها . راح يبكي . كان جائعا وقد انتهى موعد توزيع الطعام . كان حائرا لأنه لم يتعود هذا الوسط وهذه الحياة . أحسست كانه ابني ! اسرعت اليه أحمل فاكهة وطعاما . ومجلات ليقراها . وأخذت احدثه وأسرى عنه . حتى جففت دموعه . وبذلت جهدا كبيرا حتى لا يرى دموعي . وحمدت الله عندما افرج عنه بعد يومين عندما ابرز للقاضي شهادة ميلاده ، وعرف أنه أصغر من أن يسجن في سجن الاستئناف !

والسجن مشغول الان ! انهم يعلون أسواره ! ان ارتفاع السور خمسة أمتار ، وهم يرفعون فوقه أعمدة من الحديد طولها ثلاثة أمتار ، سيضعون فيها اسلاكا شائكة ، لمنع الذين يفكرون في الهرب ، وفي الوقت نفسه لمنع الذين يستعملون الحبال في احضار ممنوعات من خارج السور . مثل الشاي والحشيش وأمواس الحلاقة !

وهذه هي أهم أخباري ! أو هي صورة لحياتي واهتماماتي ! ولكن الصحف العربية والأجنبية لاتزال هي اكثر ما يسليني . وفي الوقت الذي كنت أتتبع فيه باهتمام مذكرات طبيب تشرشل في السانداي تيمس ، كنت انا اقراها باهتمام ، واقرأ بشغف تعليق المعارضين والمؤيدين .

وأنا أنتظر بشغف الأعداد الأخيرة من جريدة التيمس لأرى التغير الذى حدث فى صفحتها الأولى . وسأطلب أن ترسلوا لى جريدة التيمس بانتظام ابتداء من اليوم والأيام التالية .

ولقد وصلت الى القاهرة صديقة قادمة من رحلة الى الأردن ولبنان والكويت . كتب لى أحد أصدقائى رسالة مهذبة ذكر فيها « قالت لنا انها أثناء رحلتها الى عمان وبيروت والكويت ذهلت لعدد الناس الذين يهتمون بأخبارك .. أينما دخلت يكفى أن يعرفوا انها مصرية يروحوا فورا يسألونها : ازى مصطفى أمين .. وما هى أخباره وما تم فى مسألته .. الخ .. لاحظت حاجة غريبة أن الكل متتبع أخبارك باهتمام ويعرفون أدق التفاصيل ، لدرجة انهم يعلمون انك ختمت مرافعتك بكلمة غاية فى الابداع .. ويعرفون أو على الأصح متأكدين من براءتك ولا فرد واحد يشك ثانية فى انك خائن لبلادك ويدعون لك من كل قلوبهم . وكانت هى مذهولة من مثل هذا الشعور العام فى البلاد العربية » ..

ولقد وصل إلى السجن متهمون من سوريا ومن السعودية ومن ليبيا ومن الكونغو وهم يقولون نفس الكلام .

وكرر لى فائق السمرائى السفير العراقى السابق فى القاهرة عند زيارته لى هذه المعانى كلها .

وقال لى أن جريدة عبدالرحمن البزاز فى العراق كتبت تقول انها علمت من اوثق المصادر اننى سأنقل الى المستشفى ثم يفرج عنى « افراج صحى » .

وفائق متفائل ، ويعتقد أن الافراج عنى سيتم قريبا وهو مؤمن بأن الرئيس لا يمكن أن ينسى خدماتى من أجل بلدى ، ولا تفانى فى خدمته طوال هذه السنين .

ولقد سررت بشعور الناس كثيرا . ان حكم الناس وحكم التاريخ هو الذى يهمنى أكثر من أى شىء . وما أسمعه من أفواه الناس يسعدنى ويجعلنى أشعر أن ما دفعت كان أقل كثيرا مما أخذت . وأن كل ما حدث لى لا يساوى هذا العطف الذى أحس به من الذين كانوا يحبوننى ، والذين كانوا يكرهوننى ..

الحياة فى الزنزانة !

سجن الاستئناف :
١٠ مايو سنة ١٩٦٦
اخى العزيز ......

اطلعت على خطابك المؤرخ فى ٢٢ ابريل سنة ١٩٦٦ ، ولقد سررت ان صحتك جيدة ، وان آلام النقرس لم تعاودك منذ وصولك الى لندن . وانا أحمد الله ان صحتى جيدة ، وأنا كذلك اصبت بزكام ، ولكن كان زكاما خفيفا ولله الحمد . وعالجت نفسى بنفسى ، واستطعت بفضل الاسبرو ان اشفى نفسى بغير حاجة الى عرض نفسى على الاطباء ، وأهم شىء احرص عليه فى السجن النظافة ، فأنا اغير ملابسى كل يوم ، ويقوم بمهمة صادق فى الاشراف على تنظيف الغرفة مسجون مهمته ان يحضر فى الصباح المبكر ويأخذ الاطباق وعلب البلاستيك التى يحضر لى فيها الطعام ويغسلها ، ثم اتولى انا غسل الاطباق مرة اخرى زيادة فى النظافة والعناية الصحية . وهو يغير جردل البول ، وامضى الصباح فى ترتيب غرفتى . فأنا أحرص على ان اتولى تنظيف فراشى بنفسى ، وترتيب ملايات الفرش ، ولا اسمح لأحد سواى ان يلمس فراشى وذلك حتى اضمن الا يمتلىء بالقمل والبراغيث !

والحمد لله حتى الآن لم يحدث ضحايا ، وقد حدث ان اكتشفت فى سجن القبة الذى كنت فيه « بقة » وكانت حكاية !

واقرأ بترتيب الصحف الكثيرة التى تصل الى ، ثم اوزعها على المسجونين من زملائى ولكل واحد فيهم ذوق خاص فى الجريدة التى يريدها بعضهم يفضل الانوار وبعضهم لا يقرأ الا الشبكة ! وبعضهم يفضل الديلى تلغراف ، وآخرون يقرأون تايم ونيوزويك ونيويورك تيمس والارهابى رقم ١١ يبدى اسفه لأنهم لا يرسلون الى مجلة ميكى والسندباد !

ومن المهام اللذيذة التى أقوم بها كل يوم نقل الثلج من ترموس فاتن حمامة الى ترموس اصغر ، والى الأكواب البلاستيك ، وترموس فاتن يجعلنى اشعر ان عندى فى شقتى الصغيرة « فريجيدير » خاصا !

وأتولى بنفسى غسل اكواب الشرب والمعالق ، ثم افرش المفرش على المائدة ، وارتب السفرة استعدادا لوصول طعام الافطار الشهى .

والزنزانة تتحول الى غرفة مكتب ، والى غرفة نوم ، والى غرفة طعام ، والى صالون . فأننى اغطى السرير فيصلح كنبة ، ويجلس بعض المساجين على الكراسى ، وبعضهم يجلسون على السجادة .

وكما اهتممت بتأثيث شقة الزمالك اهتممت بتأثيث شقة سجن الاستئناف . وقد اصبحت غرفتى اكثر الغرف اناقة ونظافة وترتيبا فى السجن كله . ولست فى حاجة الى وضع صور زيتية على الحائط ، فان المساجين الذين قبلى تولوا ذلك ، بأن حفروا على الحائط عددا من الآيات القرآنية ، والدعوات ، والتواريخ !

ونسيت ان اقول لك ان الزنزانة تنقلب ايضا الى حمام ، فأننى استحم فيها وعندى طشت يقوم بمهمة البانيو خير قيام .

ويبقى كل شىء منظما فى شقتى الصغيرة الى ان يحدث تفتيش . وعادة يتم التفتيش فى الصباح المبكر . ويحضر عسكرى يقلب الغرفة رأسا على عقب ، فيبحث تحت المراتب ، وتحت السرير ، ويفتح حقيبة الملابس ، ويقلبها رأسا على عقب بعد أن أكون قد بذلت مجهودا كبيرا فى ترتيبها ، ثم يمرر اصابعه بين الصحف والكتب ، وفى سبتين من الخوص اضع فيهما الفاكهة والجبن والمخللات واسمى السبتين « الأوفيس الخاص » ثم يمرر اصابعه فى جميع البدل المعلقة على الشماعة والروب دى شامبر ويضع يده فى الجيوب . وفى بعض الاحيان يفتشنى شخصيا !

والأشياء الممنوعة هى الراديو والشمع والحبر والشوكة والكلونيا والخطابات !

وأنا اخفى كل ما اكتب خارج زنزانتى !

وقد قال المأمور فى اجتماع مع المساجين ان بعض المسجونين هربوا راديو ، ووضعوه فى مؤخرتهم ، وذهل السجانون : لا يمكن اخفاء راديو فى مثل هذا المكان الدقيق . ولكن المأمور قال انه ممكن اخفاء تليفزيون فى مثل هذا المكان !

والمنتظر ان يضم السجانون هذا المكان الغريب الى الأمكنة التى يفتشونها بدقة واهتمام ! !

وأمس حضر عسكرى وضابط وفتشا غرفتى . وجد العسكرى ساعتى ، وظن انه وضع يده على مخالفة خطيرة !

واسرع بالساعة الى الضابط على حطبه وهو يقول : وجدتها !

ولكن الضابط قال له ببرود ان هذه الساعة مسموح بها من المصلحة !

فأعاد العسكرى الساعة الى مكانها .

وساعتى مشهورة مثل ساعة الجامعة او ساعة محطة القاهرة ، وكل المساجين يسألوننى عن الساعة ، وهى الساعة الوحيدة بين المسجونين ولهذا فهم يعتمدون عليها فى أوقات الصلاة ، وأوقات الفسحة ، والأوقات المقررة لأغلاق الزنازين !

والحياة بغير ساعة مؤلمة جدا . ولقد عشت فى بعض الأيام - ايام سجن المخابرات والسجن الحربى - بغير ساعة ، وفى سجن الاستئناف لم يسمحوا لى فى الاسبوعين الأولين بساعة . وكنت احاول ان أعرف الوقت بالتشعلق فى نافذة الزنزانة وسؤال السجانين عن الوقت وفى بعض الأحيان يلغى السجان كسور الساعة فاذا كانت الساعة السابعة الا خمس دقائق قال لك انها السادسة ، باعتبارها الساعة السادسة وخمسا وخمسين دقيقة ! ولقد حدث مرة ان نمت واستيقظت وتصورت ان الساعة السادسة صباحا ، واذا بى اسأل وأعرف أننا ما زلنا فى منتصف الليل ! ولكن منذ ان سمحت لى النيابة باستعمال الساعة اصبحت اعرف اين أنا فى ساعات الليل والنهار !

وأهم حديث يسيطر على المسجونين السياسيين هو متى يصدق على الأحكام ! وكل اسرة مسجون تحمل له اشاعة أو خبرا عن موعد التصديق . وهم يحاولون ان يقرأوا بين سطور الصحف انباء غير موجودة عن موعد التصديق ! ومن الطريف ان المساجين يحضرون الى ، ويعرضون قضاياهم ، ويسألوننى عن الحكم الذى اعتقد انه سيصدر عليهم ، كأنهم يتصورون اننى الدجوى ! واننى عادة اعطيهم الأمل ، واطرد عنهم اليأس ، وحديثى معهم يريحهم . والساعة التى يفقدون فيها اعصابهم هى الدقائق السابقة على اغلاق ابواب الزنازين عليهم ، فتجد كل واحد منهم يحاول ان يؤجل اغلاق الزنزانة دقيقة أو خمس دقائق ، ليتمتع بالحرية هذه المدة الصغيرة . وصحيح انها حرية داخل عنبر السجن . لأن المسائل نسبية ، فهم يعتقدون انهم اكثر حيوية فى ردهة العنبر منهم فى داخل الزنزانة . واحاول ان اقنعهم بأنه لا فرق بين الزنزانة ، وبين ردهة العنبر ، وبين حوش السجن ، مادامت كلها محوطة بالأسوار ، ولكن من

العريب ان المسجون يشعر بالحرية عندما يخرج من باب الزنزانة أو عندما يفتح باب الزنزانة دون ان يخرج منها ! فهو يكره الباب المغلق . وحتى لو فتح هذا الباب ، وأدى الى باب مغلق آخر ، او الى عدة أبواب مغلقة ، فمع ذلك يتمنى ان يبقى باب زنزانته مفتوحا .

وأنا شخصيا لا أتضايق كثيرا من اغلاق باب الزنزانة ، فانها هى الفرصة الوحيدة التى انفرد فيها بنفسى ، وأكتب ، أو أقرأ ، لأنه مادام الباب مفتوحا فلابد ان يدق الباب . ويدخل أحد المسجونين ليسألنى عن شىء ، أو ليجلس معى ، أو ليطلب كوب ماء بارد فان ترموس فاتن حمامة اصبح اشبه بسبيل أم عباس !

ولقد لاحظت ان بعض المسجونين العاديين يلحون فى طلب الجرائد ، وأسألهم اى جريدة يريدون . فيقولون اى جريدة !

وأسألهم جريدة عربية أو جريدة افرنجية فيقولون زى بعضه ! وأسألهم هل تعرفون لغة انجليزية فيجيبون لا !

ثم اكتشفت انهم يريدون الجريدة ليحرقوها ، ويصنعوا على نارها الشاى !

وهى فائدة جديدة للجرائد لم أكن اعرفها برغم اشتغالى بالصحافة طوال هذه السنوات الأربعين !

ولقد صنع المسجونون السياسيون ، من لباب الخبز احجار شطرنج ، وهم يمضون جزءا من وقتهم فى لعب الشطرنج .

وانا امضى اغلب وقتى فى المشى ، امشى كثيرا جدا ، اكثر من اى مسجون فى السجن كله . ويجىء زملائى ويمشون معى ، ولكن لا يلبث الواحد منهم ان يتعب ، ويحل مكانه مسجون آخر . واحيانا امشى مع مسجون واحد ، واحيانا نمشى اربعة معا .

وقبل ان ابدأ كتابة هذا الخطاب تصورت ان ليس عندى شىء اقوله لك .

ولكنى ما كدت اجلس واكتب حتى وجدت ان فى حياتى هنا اشياء كثيرة تستحق الكتابة .

ان خطابى سيصلك وقد دخلنا الشهر الثانى عشر من فراقنا . وانا اعرف ماذا يعنى هذا بالنسبة لى ولك . ولكنى مؤمن بأن الغد احسن من اليوم ، وان الله لن يتخلى عنا . ثم فى الوقت نفسه اننى احمد الله لأنه اعطانى فى هذه الفترة كثيرا ، اكثر مما كنت اتصور ان يحدث ، فلقد جعل الله سجنى محتملا ومريحا وملأ قلبى بالصمود والايمان اكثر من اى وقت مضى . وانا سعيد جدا بأيمانك وصمودك واصرارك على ان تحب بلدك .

واننى اقبلك وأرجو ان تعذرنى لأننى لم اكتب لك طويلا فأنت تعلم ان ظروف الكتابة ليست سهلة .

والى اللقاء ....

لست المظلوم الوحيد

سجن الاستئناف :
٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٥
عزيزتى ...
اتريدين ان تعرفى حياتى هنا ؟

فى حوالى الساعة الثامنة صباحا يفتح السجان باب زنزانتى . اذهب معه الى دورة المياه ، وهى عادة مليئة بالمسجونين . ما يكاد يرانى المسجونون حتى يخلوا لى الطريق . ثم اعود الى زنزانتى ، وارتدى ملابسى . ويجىء جاويش يحلق لى ذقنى . ثم يعد طعام الافطار . ان المسجون تحت التحقيق يتلقى طعامه من بيته ، وهكذا افطر بيض مقلى يصل باردا فى اغلب الاحيان وفول مدمس يصل ساخنا ، و« كرواسون » مختلف الاشكال والاحكام ! عز حقيقى وجبن . اقتسم افطارى مع زملائى المسجونين والحراس . الحراس يريدون ان يكون لهم نصيب الاسد . بطنى وقلبى مع المسجونين ! ثم تصل صحف الصباح والتهمها ، على الرغم من اننى اعرف كيف تملئ الاخبار والتعليقات ! وبحكم التجربة استطيع ان أعلم ما حذفوه من الخبر الصحيح ، وما اضافوه الى الخبر الصحيح حتى اصبح غير صحيح !

وفى الساعة ١٢ ظهرا يسمحون لى بفسحة لمدة نصف ساعة . ويسمونها « الطابور » وهذه الفسحة عبارة عن المشى فى فناء السجن الذى يبلغ عرضه خمسة امتار أو ستة امتار وطوله خمسين مترا ... وتستمر « الفسحة » ساعة ونصف ساعة طبقا لمزاج الضابط !

وفى الساعة الثانية ظهرا اتناول غدائى ، ثم استأنف القراءة . الى ان يغلق باب الزنزانة فى الساعة الرابعة بعد الظهر .

اتفرج على مباريات كرة القدم فى التليفزيون مرتين كل اسبوع ، مرة يوم الجمعة ومرة يوم الأحد ، وفى أغلب الأيام لا يسمحون لنا الا بنصف المباراة ، « أى الهاف تايم الأول » لأن عملية « تمام السجن » تتم فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وهكذا نتفرج على الجزء الثانى من المباراة فى الصحف فى اليوم التالى . وهذا أمر يعذب هواة كرة القدم مثلى ، ولكن المثل البلدى يقول « الطشاش خير من العمى » وفى بعض الاحيان يحدث ان يرتكب احد المسجونين ذنبا ، كان يضبطوا عنده مخدرات أو جهاز راديو أو سكرا أو شايا ، وعندئذ يعاقب السجن كله بأن نحرم جميعا من مشاهدة التليفزيون ، لأن مسجونا واحدا اخطأ . ذلك أن القاعدة فى السجن ان « النعمة تخص والنقمة تعم » .

وفى بعض الليالى احمل مقعدى ، بعد اغلاق ابواب الزنازين ، واقف على المقعد ، بجوار الباب ، والصق رأسى بقضبان الشراعة ، ويفعل المسجونون نفس الشيء ونمضى الليل فى الحديث والحوار والمناقشة من وراء القضبان !

وبين المسجونين بجوارى مسجون سياسى قدموه الى المحاكمة ظلما بأنه الارهابى رقم ١١ فى قضية حسين توفيق ، والشاب مظلوم لم يذبح فرخة طوال حياته ، ولكنهم ارغموه ان يعترف على زملائه بأنه كان يعد معهم مؤامرة اغتيال والقاء قنابل وقتل بالمدافع الرشاشة !

والارهابى رقم ١١ يخاف من الظلام ، فاذا انقطع النور فى السجن ، وهو أمر يحدث كل يوم تقريبا ، اصيب الارهابى الخطير بفزع ، وراح يصرخ ويولول ، بينما المسجونون الأشقياء يقلدون صوت الذئاب والكلاب والقطط .. وفى ليال اخرى يقلد المسجونون صراخ العواصف وزئير الرياح ، ويدعى واحد منهم ان شبح مسجون نفذ عليه حكم الاعدام فى السجن يمشى امام الزنازين ، ويصرخ كل مسجون فى زنزانته مدعيا انه رأى بعينيه الشبح المزعوم ، ويصدق الارهابى رقم ١١ ويرقع بالصوت وهو يقسم ويؤكد انه لم ير الشبح فقط ، وانما هو الآن معه داخل الزنزانة !

وهكذا نستطيع ان نضحك فى احزاننا ، ونحاول ان نغير الجو الكئيب القاتل الى جو مرح . لا أريد ان افقد هنا قدرتى على الضحك ، لو فقدت قدرتى على الضحك لفقدت قدرتى على الحياة !

واستطعت ان أكون فى السجن صداقات مع كل المسجونين ،وقد دهشت عندما قال لى الضباط ان لى شعبية فى السجن . وهى شعبية غريبة

تذهلهم . وقال لى الضباط انه لو عرف ولاة الأمور بهذه الشعبية لوضعوا الضباط معنا فى الزنازين ، وليسوا فى حاجة الى تعليق المشانق ، فالمشنقة موجودة فى غرفة تحت الطابق الذى اقيم فيه ! لا اكاد امشى فى ردهة السجن حتى يتقدم نحوى المئات منهم يصافحوننى ، ويسلمون على ، ويرفعون ايديهم الى السماء داعين لى . وهذا يجعلنى اشعر انى لم اضيع فى الأوهام عمرى ، والمسجونين هنا يكتبون لى خطابات وكأننى احد نجوم السينما . وقد بدأت اتلقى رسائل مهربة من خارج السجن من تلاميذ لى ومن اصدقاء ، ومن قراء لم أعرفهم ، كلها تعلن ايمانها ببراءتى . ولا شك ان ما القاه من هذا الحب والعطف والتشجيع هو اجمل عزاء لى . ولم اكن اتصور ان كل هؤلاء الناس من مختلف الطوائف والطبقات والاتجاهات يعرفوننى. ويعرفون ما فعلت لبلادى أو يشعرون اننى مظلوم ، ويحسون بمقدار الظلم الذى اتعرض له ، على الرغم من حملات الأكاذيب والاتهامات الظالمة ضدى . وقد زادنى هذا الشعور حبا فى بلدى ، وايمانا بشعبها ، وعرفانا لجميلها .

ولكنى احب ان تعرف الدنيا اننى لست المظلوم الوحيد فى هذا السجن . لقد تبين لى انه يوجد مئات غيرى من المظلومين لفقت لهم القضايا ، وزجوا فى السجن بغير جريمة . واجبى ان أعلن للناس جميعا انهم ابرياء . لست البرىء الوحيد . اريد ان أهرب الى خارج السجن رسائل تروى قصص الظلم الذى وقع عليهم . فى الماضى كان العدل هوالقاعدة والظلم هو الاستثناء . اليوم الظلم هوالقاعدة والعدل هو الاستثناء . فى الماضى كان المتهم برىء حتى تثبت ادانته ! الآن المتهم مجرم حتى لو ثبتت براءته . وطالما حذرت وانذرت . ولا حياة لمن تنادى . ولعل الذين ظلمونى ارادوا ان يسكتوا اصوات التحذير والانذار . كان صوتى نشازا بين الأصوات التى تقول ان القوة هى العنف والارهاب وانا فى رأيى ان المظالم والتلفيقات والمحاكم الاستثنائية والمعتقلات هى معالم الطريق الى الكارثة !

وهم يتوهمون ان هذه علامات النصر ! ! انه يتصورون ان المسجونين السياسيين هم الأسرى الذين كانوا يسيرون خلف موكب فرعون ! وكلما طال الموكب كبر حجم الانتصار . انا ارى ان الأسرى من المصريين لا يصنعون موكب منتصر ، بل يصنعون طابور الهزيمة !

اعرف ان الناس خائفة واجفة . الحق يهمس والظلم يزأر . اصبحت الحقيقة هى المجرمة الخائنة ، والأكذوبة هى مثال الشرف والأمانة والوطنية !

انا لم افقد الثقة فى الشعب ، هذا الشعب عجيب ، يحنى رأسه وهو يلعن ظالميه ، يحسب الظالمون انه استسلم ، وانما هو يستعد للانقضاض ، ومع ذلك فان الارهاب قادر ان يسحق الحقيقة ، ويدفنها فى التراب .. ولكنى مؤمن بأن الحقيقة لابد فى يوم من الأيام ان تخرج رأسها من التراب !

الحقيقة تدفن ، ولا تموت ! !

خصص سجن الاستئناف الطابق الثانى للمسجونين السياسيين . ومعنا المحكوم عليهم بالاعدام ، والمسجونون الخطرون . وبعض هؤلاء يقيم وحده فى زنزانة منفردة ، والبعض الآخر يقيم ثلاثة أو اربعة فى زنزانة واحدة ، وكل المسجونين السياسيين ينامون فى هذا السجن على سرير اذا دفعوا اجر السرير ولكن باقى المسجونين فى الطابق الثالث والرابع ينامون على الاسفلت ، ويحشرون فى الزنازين كالسردين . ملابسهم ممزقة . طعامهم لا تأكله الكلاب . لا يرون الشمس . الأطباء يخشون عليهم من انتشار السل والأوبئة . الطابق الذى نحن فيه نظيف نسبيا .

العملة الصعبة هنا فى السجن هى السيجارة « بلمونت » ! وهم يحتقرون السيجارة « الكنت » اشد الاحتقار ! وانا أحلق ذقنى بسيجارة بلمونت ، وامسح حذائى بسيجارة بلمونت ، واعطى سيجارة بلمونت للمسجون الذى يحمل لى جردل البول !

وهناك ممنوعات غريبة . الساعة ممنوعة . وقد اخذوا ساعتى عند دخول السجن . وقدمت طلبا الى رئيس نيابة الدولة ، وبعد استشارة الجهات العليا اذن لى بالساعة ! ومن مضار هذه الساعة اننى اصبحت اشبه بساعة حائط السجن ! كل دقيقة يجيء مسجون ويسألنى الساعة كام !

ومن الممنوعات فى السجن الشوكة والسكين ، باعتبارهما من الاسلحة الفتاكة كالقنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية . وتعودت على استعمال المعلقة ، واصبحت تحل محل الشوكة والسكين ايضا ، ومن الممنوعات زجاجة الحبر ، وهنا يعتبرون الحبر اخطر من الديناميت ، ويحدث احيانا ان بعض المسجونين يضعون الحبر فى عيونهم ، حتى يصابوا بالعمى وينقلوا الى المستشفى ، حيث يجدون فيه بعض الحرية اكثر من الحياة داخل الزنازين ! آه لو عرف خصوم الحرية ان بعض الناس يضحون بعيونهم من اجل قليل من الحرية !

ومن الممنوعات ايضا الكولونيا لأن بعض المسجونين يشربونها ويسكرون بها كأنها الويسكى !

والحارس على باب غرفتي اسمه « احمد رجب » ودمه خفيف مثل احمد رجب ، وهكذا اشعر احيانا انني في غرفة في دار اخبار اليوم ! وانظر الى الترموس الأخضر فأرى امامي صاحبته فاتن حمامة ... واقول لنفسي يابختي ! !

ومن الحوادث الغريبة التي وقعت لي في سجن الاستئناف ان حارسا جاء الي متضايقا في الصباح المبكر ، وقال لي انه سمع بأذنه في الراديو مساء الليلة الماضية الرئيس جمال عبد الناصر وهو يهاجم اخي على امين ، ويقول عنه انه اجتمع مع بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل ويشتغل بالحلف الاسلامي !

وذهلت : وسألت الحارس : هل أنت متأكد من هذا .

واقسم الحارس بأنه سمع بأذنه الرئيس يذكر على امين ! !

وانتشر الخبر بين زملائي المسجونين فانقبضوا ، وقلت لهم ان هذه تهمة ملفقة مثل تهمتي ، وان المقصود بها تلويث اخي بعد ان لوثوني . وفكرت ان ارسل برقية الى الرئيس اقول فيها انني واثق من براءة علي وانها تهمة ملفقة ، وان الذين لفقوها قصدوا الاساءة الى انا ، وانني مستعد ان اشنق اذا ثبت ان ما قيل عن اخي صحيح .

ثم جاءت صحف الصباح بعد ذلك ، واذا بنا نجد ان الرئيس تكلم عن علي اميني رئيس وزراء ايران ، وليس على امين الصحفي ! ولكن السجان المغفل لم يستطع ان يفرق بين علي اميني رئيس وزراء ايران ، وعلى امين رئيس تحرير الأخبار واخبار اليوم سابقا !

لا تستطيع ان تعرف أو تتصور مقدار سعادتي عندما يهربون لي خطابا من صديق من اصدقائي ، أو تلميذ من تلامذتي . انني افرح بخطاباتهم . اقرؤها عشرات المرات ، انها شموع تضيء ظلام الزنزانة ! بعض الرسائل قصيرة وكأنها عود ثقاب . وعندما نضيء عود كبريت في ظلام دامس يبدو الضوء وكأنه نور الشمس !

اريد ان اكتب هنا كثيرا . اكتب مذكراتي . اكتب قصة . لا استطيع الحصار مضروب على . اتمنى ان يعد اخي من الآن عشرات المشروعات لكتب كثيرة . مثل فكرة . مثل مجموعة مقالاتي ويومياتي . انا اعرف ان الظروف التي يعيشها اخي تجعله لا يستطيع ان يركز افكاره في شيء معين . كل ما يهمني ان تاريخنا لا يموت .

أحب ان اقول لك انني وجدت ان الناس ، كل الناس ، احسن كثيرا جدا مما كنت اتصور ، ان الذين تخلوا عنا يحصون على اصابع اليدين . ولكن

الذين لم نخذلهم ، والذين لم نحملهم فوق اكتافنا أظهروا في هذه المحنة كثيرا من العطف والحب والاخلاص . وقد يكون في المنجم بعض الصفيح ، وبعض الزجاج ، وبعض التراب ، ولكنى اؤكد لك اننى وجدت في المنجم الكثير من الذهب والماس والياقوت !

ان أياد كثيرة امتدت الى من وراء القضبان ، اشعرتنى بحبها وثقتها وايمانها ببراءتى ...

ان امى علمتنا ان نحب الناس ، وهذه المحنة علمتنى ان اعشق كل الناس . اننى ارى في عيون الحراس والمسجونين واقارب المسجونين والموظفين كلمات . كأنها قصائد شعر واسمعهم وهم يتحدثون الى كأننى اسمع أم كلثوم !

أحمد الله ... اننى افضل ان تذهب حريتى ويبقى لى حب الناس ، على أن تجىء حريتى وأفقد حب الناس !

أحفر طريقى إلى الفجر .. بدبوس !

سجن الاستئناف
٢٧ ديسمبر سنة ١٩٦٥
أخي ..

أكتب اليك خطابا بلا تاريخ . فلست أعرف متى أستطيع أن أرسل هذا الخطاب اليك . ومتى يستطيع أن يصل اليك . وليس هذا أول خطاب أكتبه . لقد كتبت خطابات عديدة . لا أعرف هل تاهت ؟ هل ضاعت ؟ هل صودرت ؟ .

ومنذ ستة شهور قيل لى فى سجن المخابرات إننى أستطيع أن أكتب اليك .. وكتبت خطابا طويلا . وكان الخطاب مؤدبا جدا . وأقسموا بشرفهم أنهم سوف يرسلون لك هذا الخطاب . وعرفت طبعا أن الخطاب لم يصل اليك . وقد كان قسمهم بالشرف مؤذنا بعدم وصول هذا الخطاب !

ولكنى لا أعتمد على هذه الخطابات المكتوبة ! اننى أتلقى منك رسائل روحية .

كل ليلة . كل ساعة ! اننى أشعر أنك معى فى الزنزانة ، كما أحس أننى معك فى لندن . وأتصور أنى استمتع معك برؤية التليفزيون الانجليزى . وأتمتع معك بمشاهدة مباريات الكرة فى انجلترا . واتمتع معك بقراءة الكتب الجديدة التى تقرؤها . والشىء الوحيد الذى يحزننى أننى أعرف أيضا أنك معى فى زنزانتى بسجن الاستئناف . عزائى أن نصفنا حر ، ونصفنا مسجون . وسيجىء يوم يصبح كلنا حرا . لا أعرف متى ؟ ولكننى مؤمن بأن الله معنا . وأنه لن يتخلى عنا أبدا .

لقد أعطانا الله كثيرا . كثيرا جدا . ومن واجبنا أن ندفع هذه الضرائب البسيطة على ما أعطانا الله . كل الذى يهمنى هو التاريخ . وأنا مطمئن

لحكمة العدل . وأثق أنه سيقول للدنيا عن الخدمات التى أديتها لبلادى . وليست هذه أول أزمة تصادفنا .. وقد لا تكون الأخيرة . لقد عودتنا الأيام أن يظلم الليل ، ثم يطلع الفجر ..

لعلك تريد أن تعرف كيف أعيش فى سجن الاستئناف . ان زنزانتى فى الطابق الثانى . متران فى ثلاثة أمتار . لها نافذة عالية تطل على الشارع . استطيع أن أقف بقدمى على درابزين السرير فأطل على الحياة . أقصد أطل على الشارع . أرى المارة والسيارات والدنيا وهى تتحرك !

كل المسجونين يتعلقون بأيديهم فى هذه النوافذ المطلة على الشارع ، ويجىء اقاربهم وأصدقاؤهم ويقفون فى الشارع يتحدثون معهم طوال الليل والنهار ! ولكنى رفضت أن ألجأ إلى هذه الطريقة . التى يسمونها التليفون !

وهكذا ترى أن تليفونى فى السجن هو التليفون الوحيد الذى لا يدق !

زينب وخيرية تزوراننى مرة كل خمسة عشر يوما . لاتتصور كم تسعدنى هذه الزيارة .. اننى أعيش عليها .. أحصى الأيام حتى تجىء .. وأحزن عليها عندما تنتهى . ثم أبدأ أحسب الأيام من جديد . ان هذه الزيارة أصبحت أملا . وهذا الأمل يمنحنى سعادة وهناء . فى بعض الأحيان أراهما عند الظهر ، وهما تحملان لى الطعام .

وأكون أنا فى ساعة الفسحة . وألوح لهما بيدى . وهذا العمل يشبه مخاطرة من مخاطرات جيمس بوند . السلام بالاشارة ممنوع هنا . ولعل السبب هو أن اللبيب تكفيه اشارة !

فى بعض الأحيان أسمع أحاديث ممتعة بين المسجونين فى زنزاناتهم ، وزوجاتهم أو حبيباتهم الواقفات فى الشارع . .. بعض الأحاديث مشاجرات وخناقات واتهامات بالخيانة الزوجية ، وبعض الأحاديث من التى لاتجرى إلا فى غرفة النوم !

فى زنزانتى مائدة صغيرة من الخشب . وجئت بأحد المسجونين النجارين وركب تحتها رفين . رفا مخبأ فيه أخفى الممنوعات مثل الورقة والقلم . ورفا عاديا أضع عليه الكتب والسجائر والأدوية . السرير من الحديد الأبيض وعليه مرتبة . كان فيه كمية من البق والحشرات قاومتنى ببسالة ، وتجىء لى الملايات من البيت مرتين فى الأسبوع .

وصرف لى السجن ثلاث بطانيات وجئت ببطانية من البيت . وقد يدهشك أننى برغم البطاطين الأربع أنام وقد ارتديت « بول أوفر » صوف فوق البيجامة الصوف ، وأنام وفى قدمى جورب صوف وزنزانتى تشبه

سيبيريا فى برودة جوها ! لأن خشب النافذة لا يمكن اغلاقه جيدا ، والشراعة التى فوق باب الزنزانة مفتوحة بالأمر ولا يجوز اغلاقها ! ولم ألبث أن تعودت على هذا الجو ، وعلى الضجيج المنبعث من باقى الزنازين ، وأصبحت أنام تماما كما كنت أنام فى شقتى بالزمالك المجهزة بتدفئة وضعها وديع سعد صاحب العمارة رحمه الله !

ولكن الشىء الذى كان يعذبنى أن بجوارى وتحتى وفوقى مئات المسجونين العرايا الذين لايملكون بطانية واحدة ! وكان هذا وحده يجعلنى أقشعر أكثر من برد الزنزانة القاتل !

فى زنزانتى سجادة صغيرة ، وأحضرت شماعات ثبتها فى الحائط بمسامير . أعلق عليها بدلاتى . وقد بدأت أتعلم النجارة ودق المسامير ! وتذكرت بيت شعر نظمه الشاعر محمد الهراوى وكنا نردده ونحن أطفال : أنا فى الصبح تلميذ وبعد الظهر نجار ! وهكذا أصبح بيت الشعر أنا فى الصبح مسجون وبعد الظهر نجار !

وفى الزنزانة حقيبتى التى طافت معى جميع فنادق العالم الكبرى ، واستقرت على الأسفلت فى زنزانة بفندق الاستئناف ، وأضع فيها ملابسى ، وأعتبرها الدولاب الخاص !

وفى الزنزانة جردل فيه ماء ، وجردل بدل التواليت ، وكانت مشكلتى هى مشكلة الثلج ، وكنت فى حاجة الى ترموس كبير . وسمعت فاتن حمامة بمشكلتى ، فأرسلت لى « ترموس » كبيرا يبلغ طوله طول فاتن نفسها ! وأصبحت أحس أن فاتن معى دائما فى الزنزانة ! وكلما وقعت عينى على الترموس الأخضر الكبير خيل الى أننى أرى فاتن حمامة !

وقد علمت أن فاتن قالت إنها بعد أن وضعونى فى السجن أصبحت لاتشعر بالأمان على نفسها وعلى أولادها ، وأنها لاتستبعد الآن أن يلفقوا لها قضية كما لفقوها لى ، وأنها تفكر فى الهجرة !

وحزنت جدا لهذا النبأ أن تحرم بلادى من أعظم ممثلة عربية .. لقد تلقيت رسائل من عدد من الفنانين المصريين أنهم يفكرون فى الهجرة من مصر لأن الفن لايستطيع أن يعيش فى جو الارهاب ..

وتذكرت اننى قبل القبض على بأسابيع سافرت إلى بيروت وقابلت الفنانة صباح ، وأقنعتها أن تعود إلى مصر ، واقتنعت صباح بالحضور .. وسألتنى صباح :

— ومن الذى يضمن أمنى فى مصر ، فلا أسجن ولا أعتقل ولا أمنع من السفر .

قلت لها : إننى أضمن لك كل هذا !
وطبعا بعد أن عرفت صباح ما جرى لى ، سوف تعرف ما جرى « للضامن » !!
هناك ميزة فى زنزانتى عن الغرفة التى كنت أقيم فيها فى سجن المخابرات ، وهى أننى الآن أنام وحدى ! وتصور أننى مكثت فى سجن المخابرات أربعة أشهر كاملة أنام وحولى أربعة حراس يحملون المسدسات ! وعندما كنت متزوجا لم أكن أنام مع زوجتى فى غرفة واحدة ، ولكنى اضطررت أن أنام وحولى أربعة رجال يصوبون مسدساتهم إلى رأسى ؟
فى سجن الاستئناف تغلق الزنزانة الساعة الرابعة بعد الظهر ، وأخلع ملابسى ، وأرتدى البيجاما ، وأحول السرير إلى مكتب أقرأ الصحف الأجنبية . وتصلنى صحف التيمس والنيويورك تيمس والهيرالدتربيون والديلى أكسبريس كل يوم . وأقرأ جريدة « الأنوار » كل يوم ، وكل أسبوع أقرأ مجلة « الصياد » ومجلة « الشبكة » وانتظر يوم الثلاثاء أو الأربعاء بفارغ الصبر ، وفى هذين اليومين تصلنى من لندن صحف الأحد : الصانداى تيمس والأبزيرفر والايكونوميست والصانداى تلجراف . وفى يوم الخميس تصلنى مجلة تايم ومجلة نيوزويك .
هذه هى النوافذ التى أطل منها على الدنيا . الشىء الذى يزعجنى أننى أقرأ الحقيقة فى الصحف الأجنبية وأقرأ الأكاذيب فى صحفنا ! . يا ويلنا عندما يجىء يوم لا يصدقنا فيه أحد ، حتى أبناء وطننا ! ويا ويلنا عندما يعرف الشعب ذات يوم أن صحفه تخدعه وتكذب عليه وتضلله ! يومها سوف يلوم الناس الصحف ، ولا يعرفون أن السيف مسلط على رأس كل صحفى ..
ولقد كنت دائما أحذر من هذه السياسة الحمقاء ، ولا أظن أن أحدا سيجرؤ أن يحذر بعدى !
أمضى وقتى فى القراءة ، بينما ميكرفون السجن يذيع بصوت أجش أغانى أم كلثوم . ستجن أم كلثوم عندما تسمع صوتها فى ميكرفون السجن . عندما يختلط صوتها الجميل بصراخ حديد القضبان !
فى حوالى الساعة التاسعة مساء أنام ، ثم أستيقظ الساعة الثالثة فى الصباح ، وأعود إلى القراءة ، فأقرأ الكتب التى عندى حتى أذان الفجر ..
انى لم أتعود البطالة . أموت لو عشت أيامى عاطلا . بدأت أفكر فى أننى لابد أن أقاوم . لو استسلمت للبطش فكأننى أسير فى موكب

الظالمين .. ليس عندى سلاح أقاوم به . فمى مكمم . قلمى محطم . يداى مقيدتان بسلاسل الحديد . ومع ذلك يجب أن أقاوم . سأقاوم حتى بدبوس . بهذا الدبوس سوف أحفر طريقى إلى الفجر . قد أحتاج إلى عشرات السنين لأحفر نفقا إلى الحقيقة .. فليكن . يجب أن أقاوم . أول شىء فكرت فيه أن أنظم طريقة لتهريب الخطابات من السجن إلى خارج السجن بانتظام .

هذه الخطابات سوف تكون طريقتى البدائية لمقاومة الظالمين . لقد منعونى من الكتابة ومنعونى من أن أتلقى خطابات إلا بعد رقابة شديدة وأشاعوا الذعر بين تلاميذى لينفضوا عنى . سوف أحاول أن أربط الخيوط التى قطعت . هذه مهمة شاقة وشبه مستحيلة .

ولكن هوايتى أن أصنع المستحيل . أن الدولة أعلنت الحرب على ، بجميع أجهزتها ، الرقابة مستمرة على بالليل والنهار ، بعض المسجونين دخلوا السجن مكلفين بأن يكونوا عيونا على المطلوب أن أقاوم كل هذا . أعرف أن الذين خارج السجن يستطيعون أن يفعلوا ذلك بسهولة . ولكن الذى أريده أن أتولى من داخل السجن تنظيم المواصلات بينى وبينك ، وبينى وبين تلاميذى فى مصر وفى البلاد العربية . من الصعب أن تجد أشخاصا تثق بهم ليخاطروا هذه المخاطرة ، ولكنى أتحرك ببطء شديد ، أقدم ساقا وأؤخر ساقا . كل ما أريده أن تعلم الدنيا أننى مظلوم وهناك ألوف مظلومون غيرى . قضايا كثيرة ملفقة .. الطبول فى يد أصحاب السلطة . الميكرفونات والصحف فى خدمة الذين ظلمونى . الذين معى ضعفاء . لا قوة لهم . لانفوذ . كل واحد منهم خائف واجف مذعور . وقليلا قليلا سوف يستردون أنفاسهم . سوف يتخلصون من دوى القنبلة الذرية التى ألقيت على رأسى . أريد أن أعتمد على أقرب الناس الى ، أريد أن أعتمد على أشخاص بعيدين عنى ، يتظاهرون بأنهم يلعنوننى ..

هل سيجىء اليوم الذى تصل فيه الحقيقة للناس .

كم يستطيع دبوس واحد أن يحفر فى جبل الأكاذيب !

آه لو أمسك واحد من المظلومين بدبوس فى أصابعه !

ولكن أيدى المظلومين مشغولة بمسح دموعهم !

صحافتنا لن تموت

سجن الاستئناف

٢٨ مارس سنة ١٩٦٦

اخى العزيز

أكتب لك فى ثالث أيام العيد الكبير . ولم أشعر بأى تعاسة لوجودى فى السجن فى العيد ! فلقد تعودنا أن نعتبر العيد مثل أى يوم آخر ، ونذهب إلى مكاتبنا كالمعتاد ، لم نأخذ أجازة فى الأعياد . حتى شم النسيم كنا نكتفى بأن نشم حبر المطابع وهى تلف وتدور ! وكان أهم مافى العيد أن أتلقى قبلتك ، وقد تلقيتها فى صباح يوم العيد ، وذقت طعمها فى الرسالة التى أرسلتها إلى . وكل رسالة ترسلها تسعدنى إلى أن أتلقى الرسالة الثانية !

ومن خصائص العيد أن ندفع عيديات . وغير مصرح لنا أن نحمل نقودا . ولكن تتولى علب سجائر بلمونت القيام بمهمة العيديات خير قيام ! وهناك من يأخذ علبة عيدية وهناك من يأخذ أربع علب ، وهناك من يأخذ خرطوشة ! فالناس مقامات !

وأسوأ ما فى العيد هو أن الحلاق هنا أقفل خمسة أيام ، يوم الوقفة ، وأيام العيد الأربعة ، وخشيت اذا بقيت بذقنى هكذا أن يتصور أحد أننى من الاخوان المسلمين ! ولهذا سارعت بالاتفاق مع أحد الجنود الذى كان حلاقا فى يوم من الأيام ، أن يحلق ذقنى « سرقة » وفعلا سرقنا موس الحلاقة المخصص للمأمور وللضباط ، وحلقت به ذقنى ! وأفهمت الجندى الذى يحلق لى جيدا أننى لست المأمور ، ولهذا عدل عن أن يذبحنى ! وبعد أن انتهيت من الحلاقة اكتشفت أن الحلاق العسكرى خدعنى ! انه لم يكن قبل دخوله مصلحة السجون حلاقا ، وقد كان جزارا ، ولقد عرض بعد ذلك أن يحلق لبعض زملائى المسجونين ولكنهم فروا ، وكان يجرى وراءهم ،

كما يفعل الجزار وهو يجرى وراء الخروف فى فجر يوم العيد ! ولحسن الحظ لم يجرحنى العسكرى الحلاق ، وقد أعطيته علبتين سجائر مكافأة له على أنه لم يشوه وجهى !

والسجن يحتفل بالعيد بطريقة غريبة ! فاحتفالا بالعيد يمنع المسجونين من النزول إلى الفسحة والهواء الطلق لمدة خمسة أيام ! ويبقون هذه الأيام يحتفلون بالعيد داخل الزنازين ، باعتبارهم خرفان العيد طبعا ! ولقد حاولت أن أغافل الحراس ، وأنزل فى العيد ، ساعة احضار الغداء ، لأقبل أسرتى قبلة العيد ، ولكن المأمور كان رابضا كالأسد ، وحدث تغيير فى الحرس ، جعل من الصعب أن أنزل فى العيد إلى الردهة الخارجية التى نتنزه فيها .

وتقضى تعليمات مصلحة السجون بأن يتفرج المسجونون على التليفزيون فى العيد ، ولكن الضابط المسئول فى أول أيام العيد رفض تنفيذ هذه التعليمات ، بحجة أن لديهم أعمالا كثيرة جدا فى العيد ، وأن السجانين يريدون اغلاق السجن مبكرا ليذهبوا إلى أسرهم ليحتفلوا معها بالعيد ! ولكن أليس المسجونون بشرا من حقهم أيضا أن يحتفلوا بالعيد ؟ !

وهذا السؤال لم يستطع الضابط أن يجيب عليه . واكتفى بأن وافق على أن يسمحوا لنا أن نشم الهواء نصف ساعة بدلا من التليفزيون ! وشكرناه بطبيعة الحال على هذا العطف السامى ومن التقاليد هنا أن نشكر الضابط على مالا يعجبنا بحرارة أشد مما نشكره على ما يرضينا !

ومن الطريف أنه فى يوم الوقفة صدرت الأوامر بأن نجمع البطاطين وأن نضع كل عشر فوق بعضها ، ونضعها فى بلاط الممر . لأن ضابط السجن ومعه الباشكاتب سيمران للجرد . وقلنا أن هذا سيؤدى إلى أن تتلخبط البطاطين ، بعد أن أمضينا الشهور فى تنظيفها من البق والقمل ، واقترحنا أن يدخل الضابط ويعد البطاطين فى الغرف . وانتدبنى المسجونون أن أقابل الضابط عبد المنعم وكيل السجن وأعرض عليه هذا الرأى ، ولكنه رفض ، وأمر أن توضع كل عشر بطاطين فوق بعضها فقلت له وماذا يمنع لو أن عملية الاحصاء تمت فى الغرف ، فقال لى ببساطة لأن الموظف لايعرف أن يعد إلا عشرا .. عشرا !

وذكرتنى هذه الحكاية بحكاية طبيب جراح فى أحدى القرى ، جاءه أحد المرضى لاجراء عملية جراحية ، فأعطاه حقنة بنج ، وقال له عد .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة .

وراح الريفى يقول واحد .. اثنين .. ثلاثة .. اربعة .. خمسة ! ثم توقف .

وأخذ الطبيب المشرط وراح يفتح بطن المريض .. وهنا صرخ المريض بفزع !

وصاح فيه الطبيب : ألم أقل لك أن تعد واحد اثنين ثلاثة اربعة خمسة . لماذا توقفت عن العد بعد خمسة .

قال المريض الساذج لأنني ما أعرفش أعد إلا لغاية خمسة !

ومن أهم الأحداث هنا عودة الأميرالاى محمد يوسف . وقد مكث فى مستشفى قصر العينى أكثر من شهر .. وتضايق من الحياة هناك .. وقال إنه يفضل الحياة فى سجن الاستئناف أو السجن الحربى على الحياة فى معتقل قصر العينى ، فان الطعام هناك فظيع جدا . وغير مسموح للمسجونين بأن يتلقوا الطعام من الخارج . ويكتب له الأطباء على أدوية ثم لا تصرف له . ولايستطيع أن يشترى أدوية من خارج المستشفى . وقد صرحوا له بزيارة أهله مرة كل خمسة عشر يوما . ولكنه يفضل أن يبقى فى سجن الاستئناف ، فان طعامه يصل يوميا ، ويستطيع أن يتلقى مع الطعام تحية يومية من أهله . ولقد صرح لزوجته بالسفر إلى امريكا لاجراء عملية . وسافرت فعلا . ولكنه لايستطيع أن يعرف هل نجحت العملية أم لا ! إلا بعد خمسة عشر يوما ! وهو أمر لا يحدث هنا ، بفضل طريقة التشعلق فى شبابيك السجن ، والتحدث بواسطتها مع الشارع !

ولقد افتقدت محمد يوسف طوال غيابه . ولم يستطع أحد من المسجونين أن يحل محله . وبرغم أنه يبلغ من العمر ٦٨ سنة إلا أنه شاب فى تفكيره ، وهو خفيف الدم ، وحياته مليئة بالأحداث ، وقام بمهمام سياسية فى العهد الماضى فى البلاد العربية ، وله ذكريات لطيفة مسلية .

وأنا أقرأ الصحف المصرية كلها ، والمجلات الأسبوعية والشهرية ، وألاحظ أغلاطا فى التاريخ عجيبة جدا ، تدل على أن الجيل الجديد فى الصحافة لايعرف ألف باء التاريخ ! قرأت عددا خاصا من مجلة الهلال عن طه حسين ، وفيه مقال عن طه حسين ملىء بالأغلاط التاريخية ومنها أن على الشمسى باشا وزير المعارف الذى دافع سنة ١٩٢٦ عن طه حسين فى البرلمان كان من الأحرار الدستوريين ! وطوب الأرض يعلم أن على الشمسى كان فى ذلك الوقت عضوا فى الوفد ووزيرا وفديا !

وقرأت فى جريدة المساء أن جريدة أخبار اليوم صدرت فى عام ١٩٤٦ والمحرر لو قرأ عددا واحدا من أخبار اليوم ، وعرف أنه مكتوب عليها السنة ، فبعملية جمع وطرح يعرف متى صدرت أخبار اليوم !

وقرأت مقالا عن تاريخ نقابة الصحفيين وعن انشائها ، والكاتب يكتب عنها كأنها انشئت فى عهد قدماء المصريين ، وأن كل وثائقها مكتوبة باللغة الهيروغلوفية !

وأقرأ مجلة العربى الشهرية التى تصدر فى الكويت ، وأقارنها بمجلاتنا الشهرية ، فأصاب بحالة غم ! تصور أنها توزع الآن أكثر من ١٥٠ ألف نسخة فى العدد الواحد وبعشرة قروش ، بينما أكبر مجلة توزع عندنا لاتزيد عن ١٥ ألفا وستة قروش !

وأشعر بأسى شديد لتخلفنا الصحفى . لم يفكر أى صحفى مصرى فى أن يسافر إلى فيتنام ، ولا إلى أندونيسيا ، ولا إلى غانا ولا إلى موسكو لحضور اجتماع الحزب الشيوعى ، ولا إلى الصين ليكتب عن الخلاف بين الصين وروسيا ، ولا إلى الهند ليكتب عن المجاعة . اننا نعتمد على برقيات وكالات الأنباء وعلى نقل مقالات من الصحف الأجنبية .

وأشعر بأسى وأنا أقرأ العدد الهائل من المجلات والصحف الأجنبية ، وأجد الفرق الهائل فى التحرير وتغطية الأخبار . ثم أشهد النهضة القائمة فى بيروت فأتحسر .

ومع ذلك فاننى أعتقد أن صحافتنا لا يمكن أن تموت ، وأنه سيجىء يوم يستقيظ فيه النائمون ، ويتحركون ، وينطلقون ، ويجعلون صحافتنا تصنع الأحداث ، لا تتفرج عليها ، وتعيش على هامشها !

ولقد تتبعت الانتخابات البريطانية . وأعجبتنى شخصية ويلسون ولم تعجبنى شخصية هيث . بدا لى أن ويلسون يقلد تشرشل ، وأن فيه حيوية وحركة وثقة . ولم يظهر فى برنامج حزب المحافظين أى شىء جديد . ولهذا كنت أتوقع أن يفوز العمال ، وأرجو ألا يسيطر على الحزب الفريق الصهيونى فيه ، فاننى أعرف أن كثيرين من نواب العمال يعطفون على اسرائيل . ولكن أعتقد أنه فى امكان بلادنا أن تقوم بمجهود لتصحيح الأفكار الخاطئة التى لدى هؤلاء العمال عن موقف العرب من اسرائيل .

ولقد أسفت أن جريدة الأخبار هاجمت حزب العمال يوم انتصاره ، ولاحظت أن محطة لندن أشارت إلى أن مصر وحدها هى التى تضايقت لفوز العمال بينما رحبت بفوزهم أمريكا وروسيا وفرنسا والمانيا وأعتقد أن ما كتب فى الأخبار هو فكرة الكاتب وحده . بدليل اننى لم أر لمثل هذا الهجوم شبيها فى أى جريدة أخرى .

ولقد لاحظت أن الأخبار خالية من الروح . وأن كثيرا من الأخبار العادية الهامة ليست موجودة فى الأخبار . وهى أخبار ليست من مصادر

مسئولة ، وإنما هي أخبار يمكن لمخبر من الدرجة الثالثة أن يحصل عليها .
ويظهر أن الاضطرابات التى تعرضت لها الأخبار والتغيرات العديدة فيها ، أفقدتها الروح ، أو أفقدت المحررين الحماس . ولقد نبهت هيكل عند زيارته لى لهذا ، ولكن يبدو انه مسرور من أن الأخبار فى عهده أحسن كثيرا مما كانت فى عهد خالد محيى الدين . ولكن هذا لايكفى بل يجب أن تنطلق الأخبار .

ولقد لاحظت أنها أعلنت فى مانشيت عن مسابقة لها ؟ وهذا يدل على أن الأخبار ضعفت فى التوزيع ، وان كنت لا أعرف أرقامها الآن ، ولكنى أعتقد أن الأهرام يزيد توزيعه عليها ، بعد أن كانت الأخبار تزيد خمسين ألفا عن توزيع الأهرام .

وآخر ساعة ضعيفة جدا . وقد أصدرت عددا عن الجامعة زفت وقطران ، وعددا عن الحب أكثر من الزفت والقطران ، ويظهر أن محرريه الجدد لم يستطيعوا حتى الآن أن يفهموا الصحافة ، أو تفهمهم الصحافة !

ولقد أحضر لى المسجونون أمس مجلة السجون وفيها فكرة منقولة عن سنة ١٩٦٢ وعن حكاية شاب سرق بيت محاميه ، وكيف ذهب المحامى إلى المحكمة وطلب اعطاءه فرصة ، وقال إنه فى المرة الماضية دخل من النافذة ، ولكنه يعطيه مفتاح بيته ليدخل فى المرة القادمة من الباب ، وكيف حكمت المحكمة على الشاب بستة أشهر مع ايقاف التنفيذ ، وأنك تؤمن بالتسامح ، وأن التسامح هو الذى يغسل القلوب . والمسجونون يقرأون فكرة ويعجبون بها ، ويحفظون كثيرا منها ، وبعضهم يحتفظ بها فى جيبه !

وأحضر لى المسجونون مجلة سجن طره فى العام الماضى وفيها مقال بعنوان « مصطفى أمين يتبنى مشكلة المحكوم عليهم بقانون المخدرات المعدل » وهو عن محاضرة ألقيتها فى ٥٠٠٠ مسجون عن الصحافة قبل أن أدخل السجن بسنة !

وقد جاء فى كلمتى المنشورة ما يأتى :

وتحدث الصحفى الكبير فشد الاسماع اليه منذ اللحظة الأولى .

قال لنزلاء الليمان : اننى سعيد جدا بأن أتيحت لى هذه الفرصة لأتحدث اليكم ، فان المهنة التى اخترتها لنفسى كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالسجن . لقد توقعت عدة مرات أن أدخل السجن ، والفرق بينى وبينكم أن حظكم كان سيئا ، بينما كان حظى أفضل !!

ويظهر أن حظنا تساوى !!

وكل من فى السجن يدهش لقوة أعصابى . أمسك الخشب . ويعجب بصمودى . ويضرب بى المثل لقوة احتمالى . فاذا ظهر الضيق على أحد قالوا له هل أنت أحسن من مصطفى أمين ! أنظر انه يضحك باستمرار انه صامد كالجبل وهنا يفقد الناس أعصابهم بسهولة . ويتشاجرون لأقل سبب . فان كتم الحرية يشد أعصابهم ويؤثر فى احساساتهم ويجعلها مرهفة ، ولهذا تكثر الخناقات والخلافات . وكلما حدث خلاف جاءوا إلى يحتكمون ، فأحاول تهدئتهم وأصالحهم ، وأحمد الله أن منحنى هذه القوة ، لأستطيع أن أخفف عمن حولى متاعبهم . فان أكثر ما يسعدنى أن أسعد من حولى ، وان أرى الابتسامات تملأ وجوههم ، وكثير منهم يقول لى :

لولاك لانتحرت !

وأنا مؤمن بالغد ، وأعتقد أن الغد سيكون يوما أجمل ، وأنا أرى أن من أحسن ما أعطانا الله هو أن أعطانا التفاؤل والايمان والثقة فى المستقبل .

۞ ۞ ۞

دعاء على الظالم

سجن الاستئناف
٣١ مارس سنة ١٩٦٦
صديقى ..

طلب منى المسجونون فى سجن الاستئناف أن أكتب لهم دعاء العيد ليعلقوه على جدران الزنازين . كتبت الدعاء . كتبوا منه عدة نسخ . وضعوا إحدى النسخ فى لوحة الاعلانات . حرصوا على أن يحذفوا من هذه النسخة دعائى على كل ظالم ، وتوقعى نهاية كل ظالم ! وذلك خشية أن تقع فى يد المباحث !

الغريب أن هذه النسخة وحدها الخالية من لعن الظالم هى التى اختفت من الجدران !

ولو أن النسخ التى تلعن الظلم هى التى وقعت فى يد مرشد المباحث لقامت القيامة علينا .

وهذا هو الدعاء كاملا :

يارب :

يارب اسعد فى هذا العيد أكبر عدد من الناس ، واسعدنا نحن مع هؤلاء الناس !

يارب لاتحرمنا من الذين نحبهم . اجمعهم فى مكان واحد . فان أجمل ما فى الدنيا أن يجتمع المحبون .

يارب امسح دموع كل الناس وامسح معها دموعنا . ساعدنا على أن نسترد ضحكاتنا حتى نساعد غيرنا أن يستعيدوا ضحكاتهم .. يارب اجعله عيدا سعيدا لكل الناس . حقق فيه أحلامنا . وأحلام الناس ، كل الناس !

يارب قد تعودت أن أتجه اليك في كل لحظة من لحظات حياتي . تعودت أن تسمع دعواتي للناس . أنا اليوم أدعو للذين أحبهم ، والذين لايحبونني ! اسعدهم جميعا يارب ! انك اذا أسعدت الذين لايحبونني سوف تجعلهم يعرفون معنى الحب ، وسيوزعونه على الناس بغير حساب ، وسأكون أنا ومن أحب بين هؤلاء الناس !! يارب أنت عالم بما في قلوبنا وضمائرنا فاعطنا من رحمتك ما نستحقه .. ساعدنا على أن نستمتع بالدنيا الحلوة التي أعطيتها لنا .

ساعدنا على أن نملأ الدنيا بضجيج سعادتنا وضحكاتنا .

يارب أنا مؤمن بأن لكل ظالم نهاية ، ولكل ظلم نهاية . وأنه سيجيء يوم قريب أو بعيد ستفتح فيه أبواب السجون ويخرج المظلمون والأبرياء واحدا بعد واحد ، وستعود البسمة الى الوجوه الحزينة ! يارب ان ايماني بك لا حدود له . لم يتزعزع هذا الايمان لحظة واحدة .. كلما اشتد الظلام رأيت نورك .. وكلما قسا الليل رأيت فجرك .. وكلما شعرت بالوحدة أحسست بيدك ، تسندني عندما أتخاذل ، وتمسكني عندما أتهاوى .. ان ايمان بك هو منديل يجفف دموعي . وهو ترياق يذهب آلامي .. يارب خذ وابق لي ايماني ..

مصطفى أمين

سجن الاستئناف في ٣١ مارس سنة ١٩٦٦



القبض على كل من يقول

إننى مظلوم !

سجن الاستئناف
فى ٢ ابريل ١٩٦٦
أخى العزيز ..

لو كان الأمر بيدى لكتبت لك كل يوم وكل ساعة . فانى أجد فى الكتابة اليك لذة ونجوى وراحة وهناء . ومنذ أن كنا طلبة أنت فى لندن وأنا فى القاهرة . أو أنت فى القاهرة وأنا فى واشنطن لم يحدث أن طال فراقنا عن بضعة أسابيع ! ولكنه مضى علينا الآن أكثر من تسعة شهور دون أن نلتقى . وليس السجن أو الظلم هو العذاب . وإنما هذا الفراق الذى كتب علينا هو العذاب . الأليم . ولكن هذا الفراق الظالم لا يمنع من اننا نلتقى فى كل لحظة من لحظات حياتنا . مع كل زفرة من زفراتنا ، وآهة من آهاتنا وضحكة من ضحكاتنا ، وأنا لا أحمل هم نفسى ، فاننى متحمل بشجاعة وايمان ما حدث لى ، كل الذين أحمل همهم هو أنت والذين يحبوننى . فأنا أشعر كأننى أنا الطليق وأنتم المسجونون . ولولا شعورى بعذابكم وآلامكم لما أحسست بأى ألم أو عذاب ..

وأحب أن أؤكد لك أن صحتى جيدة جدا . واتناول أدويتى بانتظام . ولقد نقص وزنى فى سجن المخابرات والسجن الحربى حوالى ١٥ كليو . وعندما جئت الى هنا فى أول ديسمبر كان وزنى ١٠٥ واليوم وزنت نفسى فوجدتنى ١٠٦ وكأننى زدت كيلو . وسوف أحاول أن أتخلص منه . ولعلك استطعت أن تنقص وزنك . ويمكنك أن تحسب وزنى بالرطل وتقارنه بوزنك . وأنا سعيد بأن ملابسى اتسعت على حتى اضطررت الى تضييق الحزام والكلسونات . وأنت تعرف من مبادئى فى الحياة الاستفادة من الكوارث !

وعندما أقرأ القرآن أشعر كأن الأبواب فتحت . وقمت بنزهة في سيارة أتمتع بنسيم الحرية والحياة . ولقد كنت في أول الأمر أقرأ القرآن في مصحف صغير . وكان يتعب نظرى . ولكن خيرية أرسلت لى مصحفا خاصا به حروفه مريحة جدا ..

والان تعال نتحدث عن المستقبل .

انني أرى أن تعمل في عمل فني في الصحافة . فأنت صحفي عالمي ، وأفكارك الصحفية تساوى ألوف الجنيهات ، وأنا أعتقد أنه يمكنك أن تفتح مكتبا استشاريا عالميا للصحافة وتقدم مقترحاتك للصحف العالمية ، وهذا شرف عظيم لبلادنا أن ينتقل صحفي من الصحافة المحلية إلى الصحافة العالمية .

وانني أتصور أن كثيرين من كبار الكتاب والصحفيين سوف يكتبون في يوم من الأيام قصة كفاحنا الصحفي وكفاحنا الوطني بكافة اللغات . وسوف يتطاير الطين الذى ألقى علينا حتى يتحول الى تراب هباء ، ولا تبقى إلا الحقيقة التي لايمكن لأى قوة في العالم أن تدوسها بالأقدام ..

واذا حدث وبقيت في السجن فيجب ألا يؤثر فيك ، أو تتحطم روحك المعنوية ، ورغبتك في العمل ، فانني اذا حكم على بالسجن ، وشعرت أنك نجحت في عملك ، وتحولت إلى صحفي عالمي ، فهذا سوف يجعلني أشعر وكأنني مطلق السراح . انك بذلك تحقق حلمنا وهو أن نصبح أول مصريين صحفيين عالميين . ولا يمكن أن تنسانا الدنيا . ان نجاحك سوف يذكر الدنيا بنا . وأنا أفكر في التاريخ كثيرا ، وكل ما يهمني ألا يسجن التاريخ معى ، وأن يعيش حتى لو مت . وأن ايماني بالتاريخ ونزاهته وعدله وانصافه ، يجعلني أستهين بكل ما ألقاه ، وما سوف ألقاه .

واذا أراد الله أن يطلق سراحي ، فلست أعرف ما سوف أفعل . هل يسمح لى بالعودة إلى الصحافة ؟ هل يسمح لى بالكتابة والتأليف ؟ هل يسمح لى بأن أراسل صحف الصياد من القاهرة ؟ هل يسمح لى بأن أشرف على تحرير صحف الصياد في بيروت ؟ وكل مسجون يفكر عادة في الافراج فقط ، ولكن مشكلتي أنني أفكر : ماذا أفعل بعد أن يتقرر الافراج عنى ! ؟

وفي بعض الأحيان أغمض عيني وأحلم بما سوف أفعل عندما يتقرر الافراج عنى ! ؟

ان أول ما أفكر فيه أن أذهب إلى قبر أمي .

وأنا ليس عندى أى أخبار ، ولا شبه أخبار . كل ما عندى أن المحامين يؤكدون أن أى محكمة عادية سوف تحكم على بالبراءة . وأنه لو طبق

الفريق الدجوى القانون لحكم على بالبراءة . ولكنى أعرف أن مسألتى ليست مسألة قانون ، بل هى مسألة سياسية .

وأعرف أن هناك قوى يهمها كثيرا أن يحكم على . فهى تريد أن تلوث كل وطنى ضد الشيوعية وتريد أن تنتقم منى لحملاتى ضد الشيوعية . ولكن ايمانى بالله يجعلنى أثق بأنه سينصرنى ، وبانه سيأخذ بيدى . وأنه مهما زاد الظلام ، فان هذا هو ايذان ببداية النور !

واذا اقتضت مصلحة الدولة أن يحكم على ، فان هذا لن يزلزل ايمانى ببلدى ، وحبى لها . ولقد تحملت أهوالا أرى السجن أتفه ما فيها . وليس السجن بالذى يهمنى فاننى فى نفس الزنزانة التى كان فيها الدكتور أحمد ماهر ، وانما الذى يهمنى هو التاريخ .

وأنا اذا اطمأننت الى أن التاريخ سينصفنى كما أريد ، فانى مستعد أن استقبل تنفيذ حكم الاعدام بالهتاف بحياة الذين سيعدموننى . وليس السجن سيئا كما نتصور . أنه أشبه بمرحلة انعدام الوزن فى الفضاء . انك تشعر وأنت فى زنزانتك أن روحك حرة منطلقة تحطم القيود وتكسر الحديد . انها فرصة للتفرج على الدنيا . لتنتقل من خشبة المسرح إلى مقاعد المتفجرين المريحة . وقد عشت طول حياتى فوق المسرح . لم يكن لدى فرصة لا تامل نفسى ، لأسترجع قصة حياتى ، لأستذكر كفاحنا المريح ، لأعيش فى الأحداث الخطيرة التى صنعناها أو عشنا فيها .. وعندما أعيش فى هذه الحياة أجد أننا عشنا عمرا طويلا ، لعله أطول من اللازم . وأن من الغريب أننا لم ندخل السجن قبل ذلك ، برغم عدد المرات التى قبض علينا فيها ، وبرغم المعارك التى خضناها . لقد كان يجب أن أدخل السجن يوم عبث فى ذات ولى العهد !

وكان يجب أن أدخل السجن عندما هاجمت الأمراء فى حملة نادى الفروسية . وكان يجب أن أدخل السجن عدة مرات من أجل الحملات العنيفة التى قمنا بها ضد الملك وحكم الفساد ! فالذى يحدث اليوم هو انئى أسدد دينا كان يجب أن أؤديه . وأقضى المدد التى كان يجب أن يحكم بها على لولا حسن حظنا ..

وأنا أرى أننى عشت كثيرا جدا ، ونجحت أكثر من اللازم . وصنعت مجدا يكفى عدة أشخاص . ولا أريد أن أكون طماعا . فلقد كان المفروض أن أقتل برصاصة . وتذكر يومها اننى جلست وأعددت رثائى ، وكتبت مشروع المانشيت الذى سينشر فى أخبار اليوم يحمل نبأ مقتلى . وتذكر أيضا أننى توقعت أن نقتل نحن الاثنين معا ! ..

ولم يكن هذا الاحتمال يزعجنا أو يخيفنا . بل كنا نفكر فيه كأنه شيء طبيعي منتظر ومتوقع ! وها أنت ترى أنني عشت بعد ذلك ١٧ سنة ! فكأنني أخذت عمرا أكثر مما أستحق . فمهما حدث اليوم فانه يجيء بعد الموعد الذي كنت أتوقعه وانتظره !! ولقد شاء القدر أن يحدث لنا هذا بعد أن حققنا أحلامنا ، وحولنا دار أخبار اليوم إلى مؤسسة صحفية عالمية ، وأن تصدر جريدة الأخبار اليومية وتصبح أوسع الصحف انتشارا ، وأن يحدث تأميم أخبار اليوم فنثبت للدنيا أن ملكية أخبار اليوم لاتهمنا ، وأن الملايين التي انتزعت لاتساوي في نظرنا حقنا في أن نكتب رأينا . وفي هذه السنوات كونا احتياطيا من حب الشعب لنا وقدمنا لبلادنا خدمات لايمكن أن ينساها التاريخ . وهذا يكفينا وزيادة ولا أظن اننا نطمع في أكثر مما حققناه . فقد أعطانا الله أكثر مما نستحق من شهرة ونجاح ومجد ..

وفي بعض الأحيان أفكر في رتيبة وصفية وأحلم ، بأنه اذا حكم على ، فان المسئولين لن يمانعوا في سفرهما اليك لاتمام دراستهما في الخارج مع فاطمة . هذا اذا أرادت رتيبة وصفية ذلك .

ولقد كنت أتصور قبل القبض على أن قصتي انتهت ولكن القبض على فتح صفحات جديدة في حياتي برغم ارادتي . انني كنت أشعر أنني فعلت كل شيء أريده . تمتعت بكل شيء تمنيته . حققت كل أحلامي . صنعت تاريخي . وكنت أتصور انني سأمضي بقية حياتي مسترخيا ، أعمل كما يعمل الناس ، لا ١٨ ساعة كل يوم . تكون لي أجازات . لا أذهب الى مكتبنا في العيد وشم النسيم وأيام الجمعة كما كنا نفعل . ولكن القدر شاء ألا يحيلني إلى المعاش في الوقت الذي حددته . انني أشعر الان بنفس النشاط الذي كنت أشعر به وأنا شاب ، أحفر لنفسي طريقا في صخور الجبل . ولم أشعر أن الضربة التي انقضت على سحقتني ، أو أنها هوت بي من أعلى الجبل متدرجا إلى الهاوية . كلا ! مازلت اشعر أنني فوق القمة ! كل ما هناك أن عاصفة من التراب هبت ، ثم بعد ذلك سيتساقط التراب على الأرض وابقى فوق القمة في مكاني ! انني أعتقد أنني مازلت قادرا على أن أخلق وأبتكر وأصنع المعجزات لبلادي . ولم يزدني ما حدث لي إلا حبا في بلادي ، وايمانا بها ، ورغبة في خدمتها .

ولست نادما على أنني خدمت الذين طعنوني ، ولا انني رفعت الذين داسوني بالأقدام . ولو كنت أستطيع أن أقرأ الغيب ، وعرفت ما كنت سألقاه من نكران لقدمت نفس الخدمات ، وأخلصت نفس الاخلاص ، وتفانيت نفس التفاني . اننا لم نطلب في يوم من الأيام عزاء ، ولم ننتظر

عرفانا بجميل .. فان الذى يقدم حياته فداء لبلده لا ينتظر جزاء !

ولقد كانت حياتى قصة مسرحية هائلة . وكانت تنقصها قمة الخاتمة ! وشاء القدر أن تجىء خاتمة القصة بطريقة غريبة لم تخطر فى يوم على بالنا ، على كثرة ما تخيلنا من قصص وروايات وهذا يجعلنى أشعر أن الله يشاء ألا يجعل تاريخنا شيئا عاديا أراد أن ينتهى بقنبلة ذرية أو هيدروجينية تلقى علينا .. ومع ذلك فان شعورى أن هذه القنبلة اذا نسفت أشخاصا فانها لن تستطيع أن تدمر صفحات تاريخنا . انها ليست نهاية عالمنا بل بدايته .

وعالمنا سوف يعيش فى تاريخ الصحافة فى العالم . ما دام للصحافة تاريخ .

وبينما أنا أكتب لك هذه السطور ارتفع صوت مسجون من إحدى الزنزانات يصيح « يعدلها ربنا » ! واننى متفائل بهذا « الفال » !

ان أبواب السجن مغلقة . هدوء فى كل مكان . إلا من صوت أحد المساجين يؤذن لصلاة العشاء « الله أكبر . الله أكبر » .

ولقد صعدت على فراشى واقفلت النافذة التى تطل على الشارع . وأنا جالس الان أكتب على مائدة خشبية فوقها مجموعة أدويتى وطقطوقتان للسجائر ، مليئتان ببقايا السجائر التى دخنتها . وقد خلعت ملابسى وارتديت البيجاما الصوف .

ولقد كان مسجونا بجوارى الأميرالاى محمد يوسف وكيل الأمن العام السابق ، وهو متهم فى قضية حسين توفيق ، بأنه علم بالمؤامرة ولم يبلغ عنها . وهو يؤكد أنه برىء ، وأن حسين توفيق هو ابن شقيقه ولم يخبره بشىء . ولقد كان محمد يوسف أقرب المسجونين إلى ، وكنا نمشى معا فى أثناء ساعة الرياضة ، وكنت أستريح اليه . ولكنه نقل الى مستشفى قصر العينى ، وبذلك حرمت من الشخص الوحيد الذى كنت أعرفه من قبل دخولى السجن . ومع ذلك فاننى أجد من الجميع من الحب والصداقة والاهتمام ما جعلنى أشعر كأننى مازلت بين تلامذتى فى أخبار اليوم !

وظهر اليوم ، حدث حادث غريب ، فقد كنت أتمشى فى فناء السجن مع المسجونين السياسيين ، ومر علينا طابور من أقارب المسجونين فى طريقهم الى زيارة المسجونين . وكانت بينهم شابة مليحة ، جميلة الهندام ، تتعثر فى سيرها وبدأ عليها كأنها المرة الأولى التى تدخل فيها السجن لتزور أحد أقاربها . وكانت تسير فى آخر الطابور . وعند باب الغرفة التى يرى فيها المسجونين أقاربهم بين القضبان ، توقفت السيدة ، ورفضت أن تدخل ،

وانتحت الى جانب الحائط ، وراحت تبكى بغزارة ، وحاولت سيدة كبيرة السن معها ، وشاب يبدو أنه أخوها أن يدفعها إلى غرفة الزيارة ، فانتفضت ، ورفضت أن تدخل ، وهى تبكى بدموع كالدم . وخفق قلب السجن كله لمنظر هذه السيدة الشابة . شعر كل واحد منا أن قلبه يتقطع لأن هذه السيدة لاتستطيع أن ترى قريبها خلف القضبان . شعر كل واحد منا بعذاب من يحبونه ، وهم يجيئون لزيارته . ويبكون فى قلوبهم وهم يرسمون على شفاههم الابتسام . وفجأة أقبل شاب وتقدم نحوى وهز يدى بحرارة وهو يقول « قلوبنا كلها معك » ثم قال لى أرجوك أن تتحدث إلى أختى ، لأنك الوحيد الذى تستطيع أن تهدئها . انها تبكى بسببك !

وذهلت ! أنا سبب هذا البكاء ! وقال الشاب أن زوجها قبض عليه ، وهو مهندس فى شركة الجوت ، لأنه كان يجلس فى مكتبه فى الشركة وقال إن مصطفى أمين مظلوم . وهذا المهندس عريس من ١٨ يوما ! فأرجو أن تقول لعروسه كلمتين ..

وتقدمت إلى السيدة ، وحاولت أن أقول لها شيئا . ولكن الكلمات ماتت على شفتى . لم أجد كلمة واحدة أنطق بها . كانت تمثالا للتعاسة والشقاء والألم والعذاب .

كان كل شىء فيها يبكى وينتحب . وتقدمت إلى أم الشاب أشجعها ، واذا بها تقول ابنى فداؤك ! اننا كلنا نعرف أنك مظلوم .

وعرفت بعد ذلك أن هذا المهندس مسجون فى زنزانة فى نفس الدور الذى أنا فيه . واكتشفت أنه ليس وحده ! أن فى الزنزانة المجاورة مهندسا زميلا له فى نفس الشركة . تهمته أنه كان ينقد محاكمات الدجوى ويقول أيضا إننى برىء ! وأنه مضى عليهما فى الزنازين ١٨ يوما ، ولم يسمح لهما إلا بتناول طعام السجن ، ينامان على الأرض . لا سجائر ولا صحف . ولا تفتح لهما الزنزانة إلا ليذهبا مرتين فى اليوم إلى دورة المياه ، مرة فى الساعة الثامنة صباحا ، ومرة فى الساعة الثالثة بعد الظهر !

ولقد أصبح السجن كله يتحدث عن هذه العروس الباكية . فقد تأثر كثيرون وراحوا يبكون . وزاد بكاؤهم عندما علموا الجريمة الخطيرة التى أودع العريس الشاب من أجلها وراء القضبان ! وقال لى ضابط السجن إن السجون والمعتقلات مليئة بعشرات الأشخاص كل جريمتهم أنهم قالوا أن مصطفى أمين مظلوم !

وقلت لنفسى اذا كان الناس يقولون إننى مظلوم ، وهم لايعرفون حقيقة ما حدث لى ، ولا يعرفون الخدمات التى قدمتها لبلدى ، ولا يعرفون أن

وكيل النيابة طالب باعدامي في الجلسة لأنني قلت للدبلوماسي الأمريكي ان طائرة مدنية من طائرات شركة مصر صدمت تبه وسقطت في طريق السويس .

وان المحامي أثبت من الأوراق نفسها أن حادث الطائرة نشرته وكالات الأنباء قبل هذا الحديث ! وأنه صدر به بلاغ رسمي من الحكومة المصرية وأنه أذيع في الاذاعة قبل أن أقوله للدبلوماسي الأمريكي ..

واذا بوكيل النيابة يقول : نعم .. ولكن عندما أذاعت الاذاعة البلاغ الرسمي للنبأ ، كان لديها تصريح رسمي بأن تقول هذا .. ولكن مصطفى عندما قال هذا لم يكن لديه تصريح رسمي !!

فكأنه يحكم عليك بالاعدام اذا كررت ذكر خبر .. أذاعته اذاعة القاهرة !

وكلما شعرت بضيق هنا ، تذكرت الشهور التي أمضيتها في السجن الحربي وسجن المخابرات ، وعرفت بالمقارنة كأنني في جنة !

هناك كنت أشغل نفسي بالمسائل الصغيرة ! كان بين مشاكلي .. أنهم يتركونني عدة أيام بلا صابونة ! أو أجد بقة في الفراش ! أو يحضرون لي الطعام وينسون العيش ! أو ينتهي دواء السكر وأبقى عدة أيام أتوسل وأرجو حتى يحضروا لي دواء السكر ! أو أعيش بعود كبريت واحد لمدة ٢٤ ساعة واضطر أن أشعل سيجارة من أخرى ، فاذا انتهت مقطوعية السجائر بقيت عدة ساعات بدون سجائر ..

وكنت أتغلب على أزمة السجائر بالنوم ! اذهب إلى فراشي وأنام حتى يجيء اليوم التالي ويحل موعد صرف السجائر الجديدة ! وكان موعد اعطائي للسجائر يعذبني ! كان الاتفاق أن يسلموني مقطوعية السجائر في الساعة الثامنة صباحا وكانوا ينسون أو يتناسون فيعطونني السجائر بعد منتصف الليل ! أو لا يعطوني السجائر اطلاقا ! وكان بين المشاكل الخطيرة ترموس الماء البارد ، فقد كسروا ترموسي ، وبقيت بضعة أيام وهم مشغولون بفتح اعتماد لشراء ترموس آخر .. والاعتماد المطلوب هو ١١٥ قرشا !

وأمر لي رئيس النيابة براديو ترانزستور . وبقوا عدة أشهر يعدونني به . وفي الصباح يقولون في المساء . اليوم يقولون غدا . في هذا الأسبوع يقولون الأسبوع القادم . حتى نقلت من السجن الى سجن الاستئناف دون أن أتسلم الراديو الموعود !

وكأن الطعام إحدى المشاكل ! أقول لهم إن الطبيب منعني من أكل البطاطس فيجيئون لي بالبطاطس ، فأشكو ، فيمتنعون عن ارسال

البطاطس ويرسلون أرزا ! فأقول لهم إن الطبيب منعنى من الأرز أيضا ، فيرسلون لى مكرونة !

وكانت ملابسى مشكلة ! لقد تمزقت جاكتات البيجاما من الشد والجذب والضرب أثناء التحقيق . حتى أصبحت فى البيجاما أشبه بالمتسولين ! وألححت فى أن يحضروا لى بيجاما من منزلى وتركونى عدة أسابيع ! وأقبل الشتاء وكنت أشعر بالبرد يدخل كالرصاص من الفجوات المقطوعة فى البيجاما ، وطلبت أن يحضروا لى من منزلى بيجامات صوف ! وبعد شهور جاء الرد أنه لايوجد فى منزلى بيجامات صوف ! مع أننى أعلم أن هناك بيجامات صوف فى منزلى ، ومع أنهم كانوا يعلمون كل ابرة موجودة فى بيتى ، فقد احتلوه بعد القبض على عدة أيام !

وكل هذه مسائل بسيطة . ولكن كل واحدة منها كانت أشبه بأزمة أتبادل فيها الرسائل والاحتجاجات والمفاوضات والمحادثات مع الضباط المسئولين ! وكان وصول السجائر لى فى الصباح خبرا سارا عظيما ، وحدثا ضخما يقتضى تقديم فروض الشكر والحمد والثناء ! ولحسن الحظ اننى هنا لا أواجه مثل هذه الأزمات ..

والان أختم خطابى ، وأضمك إلى صدرى بقوة ، وأقول لك إننى أشعر أنك معى دائما ، وأحس بكل ما تفعله من أجلى ، ويجب أن تطمئن على جدا ، وأن تعلم أننى محتمل كل ما أنا فيه بشجاعة وايمان وعزيمة تذهلنى . ولو قيل لى فى يوم من الأيام أننى سأحتمل كل هذا بهذه الشجاعة والايمان لما صدقت . ولكن الله عندما أخذ حريتى أعطانى هذه القوة والايمان ..

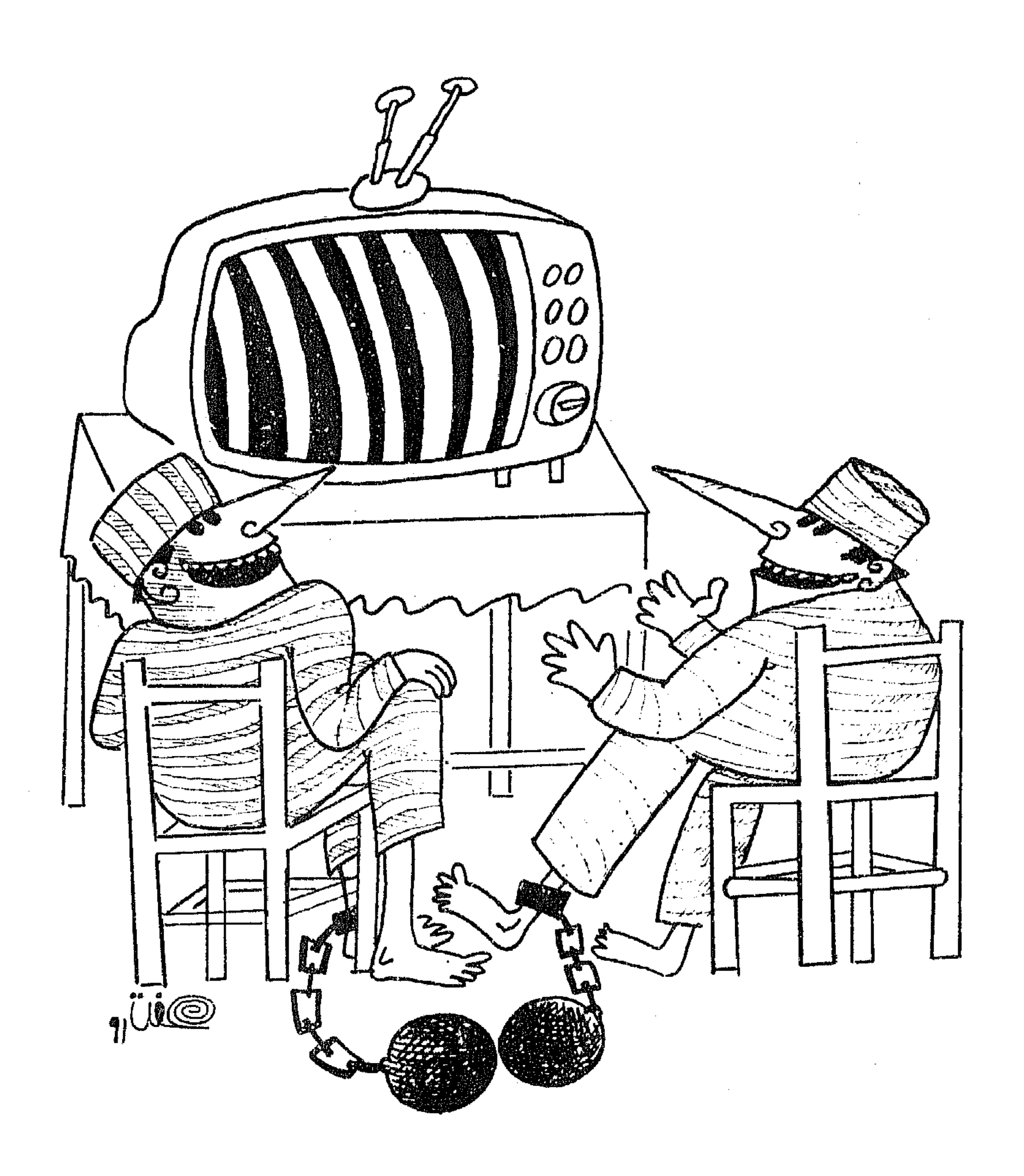
إن الله معنا يا على ..

سنرى أعيادا جميلة .. سنرى أياما حلوة .. سنمضى ساعات ضاحكة ..

إن الله لن يتخلى عنا أبدا ..

أقولها لك وأنا واثق مما أقول .. و شوقى أننى حى .. ولك قبلاتى .





عصر التلفيق . !

سجن الاستئناف
٣ مايو سنة ١٩٦٦
عزيزتى ..

استيقظت من النوم الساعة الثالثة صباحا . فأضأت النور الكهربائى ، كنت أحمل هم هذا النور ، عندما صدرت الأوامر بنزع البريزة الكهربائية من غرفتى . لقد حاولت جاهدا الاحتفاظ بها . لأن المصباح الكهربائى الموضوع على المائدة كان يعتمد عليها . وكنت أستطيع أن أمد يدى فأفتح النور وأغلق النور . ولكن نزع البريزة سوف يجعلنى أعتمد على مفتاح الكهرباء الموجود خارج باب الغرفة .. فانه من غير المسموح أن يكون مفتاح الكهرباء داخل الزنزانة . وكان معنى هذا أن أتحرك فى الظلام ، فأخبط فى كرسى ، وأضرب فى صحن من صحون العشاء . أن أشعل عود ثقاب ، لا يلبث أن ينطفىء فى نصف الغرفة قبل أن أصل إلى الباب ، وأحمل كرسيا ، وأقف عليه ، وأمد يدى خلال فتحة الحديد الصغيرة فوق الباب . وأتشعلق حتى أصل إلى مفتاح النور ، فأضىء النور . وكانت فتحة الباب صغيرة ، وكانت يدى لاتستطيع الدخول فيها إذا كنت أرتدى الروب دى شامبر ، فأخلع الروب دى شامبر ، لتستطيع يدى اختراف الفتحة ! وكانت هذه العملية تعذبنى . وكانت تعذبنى أكثر إذا أردت أن أنام . فاننى كنت أضطر أن أترك فراشى وغطائى ، فى البرد القارس ، لأقوم بعملية اطفاء النور ، ولا أكاد أنتهى منها حتى يطير النوم من عينى . وأتقلب على الفراش ولا أنام ثم أخرج من الفراش ، وأقوم بعملية إعادة فتح النور ، وأعود إلى القراءة . وهكذا تتكرر عملية البهلوان عدة مرات كل ليلة ! ثم اكتشفت أنه ممكن استعمال شمعة . وكنت أخفيها فى حذائى . لأن الشموع

ممنوعة . ثم جاء المصباح الكهربائى وأنقذنى من هذا العذاب . ولكن قرار نزع البريزة من زنزانتى سيعيدنى إلى عصر الجاهلية الأولى . وقلت للمأمور اننى أقرأ كثيرا . وفى أشد الحاجة لهذا المصباح الكهربائى والظروف لاتسمح بعمل نظارة . ولكن المأمور أكد لى أن البريزة تخالف التعليمات ، وأنه وبخ الكهربائى لأنه وضعها عندى بغير استئذان . وأنه لو جاء مفتش ورآها فسوف تكون مصيبة كبرى . وسألت عن الحكمة فى هذه المصيبة . فقال إن من الممكن استعمال كوبس البريزة للانتحار !!
وقبلت هذا القرار العجيب وأمرى لله . ولكنى أخذت منه إذنا بأن أخفض السلك الذى تتدلى منه لمبة الكهرباء فوافق . وكانت اللمبة ملتصقة بالسقف . فكان النور ضعيفا . لأن ارتفاع السقف حوالى أربعة أمتار . واتفقت مع الكهربائى أن ينزع اللمبة من السقف ، ويضعها فوق السرير بمترين . وأنزلنا منها سلكا فيه « كمثراية » شبكتها فى حديد السرير ، وهكذا حل اشكال عدم استعمال المصباح الكهربائى ، واختفاء البريزة . وأصبحت أضغط على الكمثرى فينطفىء النور ، وأضغط عليها فيضىء النور . تماما كما كنت أفعل وأنا نائم فى فراشى بالزمالك ! ووفرت عمليات البهلوانات التى كنت أقوم بها للتشعلق على الباب ! لأطفىء النور ! وأولع النور ! وبقى المصباح الكهربائى فوق المائدة ، أخرس ، لافائدة فيه ، وكأنه نصب تذكارى يعلن الاحترام الشديد لتعليمات مصلحة السجون !

وأحمد الله على هذا الحل . فقد كان يحدث فى الشتاء أو فى الليالى القارصة البرد ، أن أفضل أن أنام فى النور ، على أن أخاطر وأخرج من تحت البطاطين وأرتعش وأنا أقوم بمخاطرة ومغامرة اطفاء النور ! والمسائل تعود . فقد كنت فى الماضى أتصور أنه لايمكن أن أنام فى النور ، ولكن فى تلك الأيام علمت نفسى أن أنام فى النور !

وكان يحدث أحيانا بعد اطفاء النور ، أن أكون فى أحلى نومة ، ويجىء أحد الحراس من الخارج ، ويفتح النور ! لا لسبب إلا لأن مزاجه يقتضى ذلك ، أو لأنه يريد أن يتأكد أننى لم أهرب ، وينسى طبعا أن يطفىء النور بعد أن اطمأن أننى مازلت فى الزنزانة . واكتفيت بالكمثراية الموجودة على السرير . وبذلك كفى الله المؤمنين شر القتال مع السجانين الذين يضيئون النور فى الوقت غير المناسب !

وهكذا فان الحاجة أم الاختراع . وكل مشكلة تصادفنى تبدو فى أول الأمر أنها كبيرة ، ولا حل لها ، ولكن الوقت والتفكير يحل المشاكل . وكأن الوقت هو الكمثراية التى يمكنها اضاءة النور !

وكلما ضايقني شيء ، تذكرت ما كنت فيه ، فى سجن القبة والسجن الحربى ، وقارنته بما أنا فيه فى السجن الحالى ، وحمدت الله على التقدم العظيم ، وازددت إيمانا بأن كل يوم يجيء يكون أحسن من سابقه . فأنا الآن أنام ملء عينى ! أشعر أننى ملك فى سريرى ! وفى السجن الآخر كان يجلس معى أربعة حراس يحملون المسدسات أثناء نومى ، ولعل السبب فى ذلك أنهم يراقبون الأحلام ! وكان يحدث أن تأخذهم نومه . واستيقظ فأشعر أننى راغب فى الذهاب الى التواليت ، ولكننى أشفق عليهم أن أوقظهم من نومهم . وأبقى انتظر الى أن يفتح واحد منهم عينيه وعندئذ استأذن فى الذهاب الى الحمام . فيقوم الاربعة ويصحبوننى الى التواليت ، وكأنه موكب الملكة اليزابيث لافتتاح البرلمان !

وكان يحدث أن يخرج منهم شخير عجيب ، بعضه كالصفير ، وبعضه كالطبول ، وبعضه مثل صوت السيفون المكسور ، وتعلمت أن أنام على هذه الأصوات مقنعا نفسى أنها أصوات أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم ! وبينما أكون فى أحلى نومه ، يدخل الضابط النوبتجى ، ليفتش على الحراس ، ويهبون من مقاعدهم واقفين وكأنهم فى طابور ، وطبعا استيقظ من النوم واشترك فى تحية الضابط الهمام !

وكان الطعام فى السجن الأول مشكلة ! لقد مكثت ثلاثة أو أربعة أشهر آكل الجبن فى الافطار والغداء والعشاء . وكان هذا يغنينى عن أكل الخضار الذى لايؤكل . فقد كانت الخضراوات بطاطس وأنا ممنوع من أكلها . أو أرزا وهو ممنوع أو مكرونة وهى ممنوعة أيضا . وكان مع الخضار ربع فرخة . وهى دائما فرخة قامت بعملية رجيم صعبة ، أو أن جزءا منها قد نزع فى الطريق ، والخادم يحمله من المطعم الى غرفتى ! وكان الحراس يعتبرون طعامى هذا طعاما ملكيا أو امبراطوريا . وبالنسبة لأكل باقى المسجونين . الذى كان عبارة عن ساندوتش طعمية أو ساندوتس فول مدمس ، أو سلطانية لبن زبادى !

والغريب أنه فى السجن الأول يصاب المساجين بالامسك ! فقد حدث فى الأيام الأولى اننى كنت أذهب الى التواليت كأننى طفل صغير ! وتمضى بضعة أيام ولا أذهب إلى التواليت . وكان يحدث أن أسمع المسجونين يصيحون فى زنزانتهم .. ملين .. ملين .. فهم يطلبون دواء يلين مصارينهم التى تجمدت ! ولست أعرف ما الذى كان يجعل المصارين تتجمد فى السجن الأول . ربما يكون الرعب هو الذى يؤدى إلى هذه الحالة العصبية ..

ويظهر اننى لو تركت لنفسى ، لأكلت نفس الطعام يوميا دون أن أشعر بأى ملل أو قلق ! وأظن أن هذه ظاهرة طيبة بأننى لا أحب التغيير فى الأطباق .. وفى النساء أيضا !

وكان مما يضايقنى فى سجن القبة الغسيل ! وعندما أرى الآن حقيبة الملابس تدخل عندى مرتين فى الأسبوع أحمد الله كثيرا . اننى الآن أغير ملابسى الداخلية . والقميص والشوراب كل يوم . أما فى سجن القبة فقد كان مصرحا لى بقميصين ، ولباسين وفنلتين وجوربين . وثلاثة مناديل . على الرغم من أنه كان هناك عدة حقائب لى مملوءة بالملابس . ولكنها كانت موجودة فى مكتب الضابط المشرف على السجن . وكنت لا أستطيع أن أحصل على شىء منها إلا بعد أن أكتب له عدة خطابات أرجوه وألح فى الرجاء ! وكنت أحل مشكلة الجوارب فى أول الأمر بألا أرتدى جوارب ، وأنا أمشى بالشبشب عارى القدمين ، ولكن عندما حل الشتاء كنت أرتدى الجورب الواحد أسبوعا كاملا حتى يجىء الجورب الآخر من المكوى ! وكان القميص الأبيض يتحول فى النهاية إلى قميص رمادى بسبب تراب الأسبوع ! وكنت أغسل المناديل بنفسى لتستطيع أن تكفى حتى نهاية الأسبوع ! وكان الوصول إلى صابونة كالوصول إلى القمر . تحتاج إلى عدة طلبات .. وكان يزيد فى دقة الموقف أنها الصابونة الوحيدة فى الدور .. وكان الحراس يحضرون إلى ويستلفون الصابونة ليغسلوا وجوههم !

وفى نهاية الأمر تحسن الموقف ، فزاد عدد القمصان إلى أربعة والجوارب الى ثلاثة والمناديل الى ستة !

وكانوا يعدوننى كل يوم بأن يعطونى كتبا أقرؤها . ولم يقصروا فى يوم واحد خلال تلك الأيام عن هذا الوعد . وفى الوقت نفسه لم يقصروا أيضا فى عدم اعطائى أى كتاب أو أى جريدة أو مجلة ! وعندما أرى كومة الصحف والكتب التى عندى فى سجن الاستئناف ، أحمد الله أيضا وأشكره على هذه النعمة ..

وكان الحراس يجلسون معى فى غرفتى فى أثناء نومى الأول ويقولون إن الذى أدهشهم وهم يراقبوننى وأنا نائم أنى أصلى فى أثناء نومى . فانهم كثيرا ما سمعونى وأنا نائم أقول « يارب » وكان إيمانى هذا يذهلهم . وكان صمودى يدهشهم . وكانوا يقولون إنهم لم يروا قبل الآن مسجونا يستقبل كل هذه الأهوال ضاحكا !

وكان أكثر مايقلقنى فى سجن القبة هو أخى على . هل وصلته رسالتى الروحية ، بأن يبقى ولا يعود حتى لا يتعرض لهذا الهول فيزداد عذابى ..

هل نفذ رأيي هذا ! ؟ كيف صحته . لقد خشيت أن تؤثر الصدمة على حالته الصحية . وكنت أخشى أن يترك الفندق وينتقل إلى شقة كما كان يريد أن يفعل قبل ذلك . كنت أرى الفندق أكثر أمانا له . كنت أخشى أن تخطفه بعض الأجهزة فى صندوق ! وعلى الرغم من أن كل أبواب الأخبار والمعلومات كانت موصدة أمامى ، فاننى استطعت أن التقط الخبر الذى يهمنى وهو أنه اعتذر عن عدم الحضور لمرضه . برغم أن المحققين كانوا يؤكدون لى أن أحدا لم يطلب عودته ! وبرغم حرص المسئولين فى سجن المخابرات على أن أحاط بإظلام تام من ناحية المعلومات والأخبار ، فقد كنت أجمع فتافيت الأخبار من هنا وهناك وأضمها إلى بعضها ، واستعمل خبرتى الصحفية لأحصل على الخبر الكبير الهام . وكنت أسلى نفسى بأن أحاول الحصول على هذه الأخبار برغم التضييق والتدقيق ! فعرفت مثلا أن النحاس قد مات . وعرفت ماحدث فى الجنازة . وعرفت استقالة على صبرى وتعيين زكريا محيى الدين . وعرفت الوزارة الجديدة . وعرفت سفر الرئيس إلى السعودية وإلى موسكو . أما الآن فإن بين يدى صحف بلادى وصحف لبنان وصحف العالم أقرأ فيها ما أريد أن أعرفه . وكل يوم يدخل مساجين جدد ويحملون أخبارا جديدة ، وأهم أخبار جديدة ! وأصبحت أعرف أخبار أخى على يوما بيوم . وأصبحت أعرف أخبارك ساعة بساعة . فأنا الآن أشعر أننى على وجه الأرض . أرى الناس ويرانى الناس ، أما فى سجن المخابرات فقد أمضيت أربعة شهور وعشرة أيام لم أخرج من غرفتى ، ولم أخرج الى نور الشمس أو إلى الهواء مرة واحدة !

ان لدى فرصة لأكتب اليك مرة أخرى ! كأن الخطاب الذى أنهيته لايكفينى . فأنا أريد أن أتحدث إليك باستمرار . أريد أن أمضى حياتى فى السجن أكتب إليك . ان الكتابة اليك تسعدنى . انها تحملنى اليك . وأنا أجد لذة فى أن أخاطبك باستمرار . ان افتح لك صدرى . لقد أصبحت أنت كل شىء ! أنت القارىء الذى اكتب اليه . خطابك هو أحسن جريدة أحب أن أقرأها . يهمنى كل سطر فيها . تطربنى كل جملة . تحمل لى كل خبر يهمنى . اننى أقرأ كل السطور وما بين السطور . الكلمات . الأحرف وما بين الأحرف . فأنا أريد أن أعيش فيك كل لحظة . أخرج معك فى زياراتك . أحيا فى متاعبك . أتنفس فى نبضاتك وتنهداتك ! لا أريد أن ينتهى الخطاب . إن أكثر ما يهمنى هو أخبار قلبك . فهذا القلب هو المخبأ الذى أعيش فى ظله محميا من غارات الزمن ومن قنابل الأيام ! اننى أحس وأنا داخل هذا القلب أننى فى حماية كاملة . ان أحدا لن يصل إلىّ وأنا هناك .

إنه يصد عني المتاعب . أنا أشعر وأنا داخل هذا القلب أنني أسعد رجل في العالم . أشعر انني حر ! إنه ليس زنزانة ، ولا سجنا ، ولكنه حديقة غناء !

وأنا في الوقت ذاته أحب أن أحدثك عن كل شيء . انني أعرف أنك تريدين أن تعرفي حياتي هنا دقيقة بدقيقة . ماذا أقول : وماذا افعل ؟ في ماذا أتكلم ! وعندما يحدث شيء هنا أول شيء افكر فيه أنني ساكتبه لك ! لايجوز أن أنساه . ثم يحدث أن أنسى !

ولقد نسيت مثلا أن أحدثك أن أحد المسجونين معي واسمه عادل سليمان أخبرني بأنه رآك في أثناء احضار الطعام ، وأنه قال لك أن خطابا وصلني . ولعلك أهتممت أن تعرفي من أين هذا الخطاب . وقد قال إنه تصور أن الخطاب من علي . والواقع أن الخطاب من مسجون اسمه « النص » وهو يشكرك . وهو الآن في الاسكندرية ومفرج عنه والحمد لله . ويظهر انه انتهى من عملية المرور على جميع أقسام الجمهورية واستقر !

ومن الأخبار الطريفة هنا أن أحد زملائي في السجن واسمه فاروق عبد القادر كان لديه في غرفته كرسي ، وسرقه أحد المسجونين ، وباعه إلى احد المسجونين بأربع علب سجائر بلمونت !

واتفق المسجونون على محاكمة المسجون الحرامي . وقرروا تأليف محكمة برياستي لمحاكمته . وقام الأميرالاى محمد يوسف بدور المحامي . وصحفي اسمه أنور زعلوك بدور النيابة . وقد كانت محاكمة طريفة جدا . ضحكنا فيها كثيرا . ولكن لم أصدر حكما ، وانما أجلت اصدار الحكم على طريقة الفريق الدجوي !

. ولقد حدث حادث غريب ، وهو أن أحد المسجونين اتفق مع مسجون اسمه محمود متهم في قضية سرقة التليفزيونات ، بأن يدعى أنه عشيق زوجته ..

وراح يذكر له علامات مميزة ، فان في ظهرها حسنة سوداء ، وفي فخذها جرح على شكل × وعندما تجيء لحظة شهوتها تصرخ صراخا عاليا ! واتفق المسجون مع هذا اللص على أن يدعى أن شريكه في عصابة سرقة التليفزيونات هو شقيق زوجته ! كل هذا لينتقم من زوجته ويلفق لها قضية زنا .. انتقاما منها لأنها أرادت أن تطلقه !

وعلم المسجونون السياسيون بهذه السفالة ، واستدعوا محمود ، فاعترف لهم بكل شيء ، فهددوه بابلاغ النيابة اذا اشترك في عملية التلفيق هذه ضد امرأة بريئة !

وخاف المسجون مني فعدل عن التلفيق . لقد أصبح التلفيق مرض هذا العصر الذى نعيش فيه . الناس على دين ملوكهم ! وما دام أصحاب السلطان يلفقون القضايا والاتهامات ، فمن حق الأفراد أن يلفقوا ! فى كل العالم الذى يلفق قضية لبرىء يسجن ، وفى بلادنا من يلفق قضية كبرى يرقى إلى وظيفة أعلى ! الملفقون فى الأجهزة هم « الشطار » الذين يمطرونهم بالترقيات والدرجات والعلاوات الاستثنائية ، و « الخائبون » هم الذين يحترمون القانون ! أصبت بحساسية غريبة ضد الملفقين . انهم يثيرون أعصابى الباردة . لا أعرف ماذا يحدث لهذه الدولة اذا استمر الحال ، واستيقظ الشعب ذات يوم واكتشف أن كل شيء ملفق . كل شيء كذب . كل شيء أوهام ؟ !

ووصل الى السجن زبون جديد له اسم مستعار هو « أبو شادية » متهم بأنه أحد ملوك الدعارة فى المدينة .

واستدعينا أبو شادية . وقمنا بتحقيق صحفي . وكان يتكلم عن نفسه كأنه فى وظيفة محترمة ! ويسمى نفسه سمسار ! . تماما مثل سمسار العقارات والعمارات والأراضى الزراعية ! وروى لنا كيف كان يقوم بتقديم الفتيات للزبائن ، فيدفع الزبون العربى ١٠ جنيهات يأخذ منها هو ٧ جنيهات ، والفتاة المسكينة ثلاثة جنيهات ! وكيف أنه كان عنده تسع فتيات أخريات تعطى كل واحدة منهن له كل ما تتقاضاه . ولا تأخذ سوى اكلها وشربها ! وروى لنا حكايات وحكايات عن استغلال هؤلاء القوادين للطالبات الصغيرات والضحايا اللاتى يسقطن فى أيديهم ! اننى أتتبع كل هذه الأحداث فى عالم جديد لا أعرفه ، وهو عالم تحت الأرض ، فنحن الذين نعيش على السطح لا نعرف ما يحدث تحت أقدامنا . وقد حولت المسجونين السياسيين معى فى الدور إلى مخبرين صحفيين ، مهمتهم التقاط الأخبار ، ويأتون بها إلى ، كأننى فى مكتبى فى أخبار اليوم والمسجونين هم المندوبون الذين يدخلون كل لحظة يحملون الأخبار ! ولا تمر دقيقة بدون خبر جديد . من داخل السجن ومن خارجه . من الزيارات ومن التليفونات ، وهو ما يطلق على الأحاديث التى تجرى من نوافذ السجن !

ولعلك تعرفين المسجون « أسامة » الذى لاتحبينه . فقد أفرج عنه بكفالة عشرة جنيهات . ولم يكن يملك مبلغ الكفالة . والقانون أنه اذا مضى عليه ١٤ يوما دون أن يدفعها تلغى ويسجن من جديد ! وقرر المسجونون أن يجمعوا له علب سجائر ، يبيعها ، ويحصل على العشرة جنيهات . ولكن يظهر أن المسجونين لا يحبونه مثلك ، فانه لم يستطع أن يجمع المبلغ

المطلوب .. واعيدت لنا علب السجائر التى تبرعنا بها ، لأن المبلغ الذى جمع لم يصل إلا إلى آربعة جنيهات والمطلوب عشرة ! ولو كان أسامة أحسن معاملة زملائه ، لسارعوا جميعا إلى مساعدته ، كما حدث ما صاحبنا اللص المدعو النص . ولكنه كان دائما يثير شكوكهم . ولا يوجد فى الحياة اجمل من أن يحصل الانسان على ثقة الناس وحبهم . انه راس مال فى المحن والأزمات . ولكنه سيجىء فى وقت من الأوقات .

وابننى اشكرك كثيرا لأنك ترسلين لى جريدة التايمز بانتظام ، والغريب أننى فكرت أن اطلبها منك ، لأننى وجدت أن فيها أخبارا كثيرة من الشرق الأوسط ، وموضوعات خارجية هامة .. واذا بك بدون طلب تنتظمين فى ارسالها لى ! ولم أعد استغرب هذا ! كان فى أول الأمر يدهشنى ويذهلنى . ولكن الآن أصبحت أراه أمرا طبيعيا . ولهذا لم أعد أكتب خطابات إلى السيد الضابط . وفى كل يوم أفكر فى أن أبحث عن شىء أطلبه ، واكتبه الى السيد الضابط ليبلغه لك . ولكنى بعد أن أمسك القلم لا أجد شيئا أطلبه !

● ● ●

تنفيذ حكم الاعدام

سجن الاستئناف
١٦ مايو ١٩٦٦
اخى العزيز

أقبلك قبلة حارة . ان الكتابة لك مشكلة . اعرف انك فى غربة ، وأعرف أنك تتشوق إلى أخبار وطننا . وكنت أتمنى أن أستطيع أن أملأ خطابى لك بالأخبار التى تهمك . ولكن أهم الأخبار عندى أن لا أخبار . ويبدو أننا سوف نعيش بلا أخبار الى شهر يوليو ، وليس هذا على سبيل الخبر ، وإنما على سبيل الاستنتاج . ولقد علمتنا الحوادث أن الأيام هى خير دواء لكل داء . وان ثقتى بما قدمته لبلادى من خدمات ، وبأن الرئيس يقدر هذه الخدمات . يجعلنى مطمئن الضمير ، وأثق أن الأيام معى وليست ضدى . وقد تعلمنا الصبر ، وأنه لا يجوز أن نستعجل الفرج . فالفرج قادم بإذن الله . ولعلك تذكر أن أزمات كثيرة وخطيرة مرت بنا ، وأن الله كان يمد يده لنا ، وأن الرئيس كان لا ينسى ما قدمناه لبلادنا . ولعلك تذكر كيف ابتعدنا عن أخبار اليوم ١٥ شهرا . ثم جاء الرئيس ورد لنا اعتبارنا ، وأعطانا أكثر مما نحلم ونتمنى . وبدلا من أن تكون لنا دار واحدة هى دار أخبار اليوم ، أصبحت لنا داران هما دار الهلال ودار أخبار اليوم .

واننى أحمد الله على كل شىء . فاننى فى هذه المحنة رأيت ما يشبه المعجزات . ولم أحس فى لحظة بالوحدة ولا بالقلق . بل لقد تدهش اذا علمت أننى كنت فى خارج السجن أشعر بقلق أكثر مما أشعر داخل السجن . كنت لا أنام الليل . خوفا على وطننا .

كنا نشعر كأن كل ضربة موجهة إلى وطننا كأنها موجهة إلى صدورنا . وكل سهم يصوب اليه يصيبنا . وكل أزمة يصادفها كأنها تأخذ بخناقنا .

كنت أحس أننى مسئول عن كل شىء . واننى أقف فى الصف الأمامى . وان أى طلقة توجه إلى وطننا هى موجهة إلى قلوبنا . وكنت أحس كأنه ابنى . أخاف عليه من تيار الهواء وأخشى عليه من هبوب الريح . وكان دعائى له هو دعاء لنفسى . وحبى له هو حبى لنفسى . فقد تفانيت فى خدمته . وقدمت حياتى وخبرتى وكفايتى وفنى من أجل خدمة الرسالة التى أحملها .

والآن أشعر فى زنزانتى أننى عاجز عن أن أفعل أى شىء من أجل بلادى . وليس عندى ما أملكه سوى دعواتى ، ان يأخذ الله بيد هذا الوطن ويبارك فيه ويحميه من كل سوء .

وأمرى لا يهمنى كثيرا . اننى أشعر أن تاريخى لن يكتبه الذين يرموننا بالطين . سوف يكتبه مؤرخ منصف . سوف يكون هذا الغبار الكثيف المصطنع قد زال ، وظهرت الحقيقة كاملة . وسوف يعرف الناس كم ضحينا ، وكم أوذينا ، وكم تحملنا ، دون أن نفرط فى حق من حقوق وطننا . وكيف كنا نطعن بالخناجر فى ظهورنا ، بينما تكون أيدينا مشغولة بحمل السيوف دفاعا عن وطننا . وكنا نترك الدماء تنزف منا ، حتى لانشغل أنفسنا بتجفيفها أو بتضميدها ، عن معركة بلادنا الكبرى ..

واننى أعتبر هذه الفترة أجازة ! أجازة من عمل لاينقطع بالليل والنهار . لا أجازة أسبوعية . ولا أجازة سنوية . ولا عيد ولا شم النسيم . كنا دائما على مكاتبنا . كأننا ديدبان فى المواقع الأولى فى معركة القتال . ولعل القدر شاء أن أصاب برصاصة طائشة فى ظهرى أثناء المعركة ، من الذين أحبهم وأدافع عنهم ، بدلا من أن أصاب برصاصة فى صدرى من الذين أحاربهم وأهاجمهم . فأنا الآن كأننى جريح فى مستشفى انتظر اخراج الرصاصة من ظهرى .

والأيام تمضى سريعا . تصور انه مضى على معتقلا حوالى ثلثمائة يوم ! وبعد حوالى العشرة أسابيع سيكون قد مضى على سنة فى السجن ، ولقد كانت الأحداث تتلاحق بحيث لا تترك وقتا للملل . كل يوم شىء جديد . اننى أشعر كأننى لازالت خارج السجن . اننى أقرأ الأنباء وأحللها وأدرسها ، وأتابع أحداث الدنيا كأننى لا أزال جالسا على مكتبى فى « أخبار اليوم » . ولقد عودت نفسى على المجتمع الجديد الذى وجدتنى فيه . وعلمت نفسى أن أحب هذا المجتمع الجديد . ولم يكن هذا يستلزم جهدا . ان فيه قتلة ومجرمين ولصوصا ونشالين . ولكن فيه أضعافهم من المظلومين . ومن أصحاب القلوب الطيبة النبيلة . ان ملابسهم ممزقة ، وأرواحهم سامية . ان وجوههم متسخة وقلوبهم نظيفة . اننى وجدت فيهم

تلاميذ وأصدقاء . أمشي بينهم كأنني أمشي في دار أخبار اليوم . اجتمع بهم في طرقات السجن ، وفي زنزانتهم وفي زنزانتي ، وكأنني أستقبلهم في مكتبي بالزمالك . كأننا نسهر سهرة يوم السبت ويوم الاربعاء . نضحك كما كنا نضحك . ونتناقش كما كنا نتناقش . والفرق الوحيد ان شلتنا كانت تنصرف عند منتصف الليل . وهذه الشلل تنصرف في الساعة السادسة مساء عند موعد اغلاق الزنازين .. بوقت الصيف !

فالمسألة نسبية كما ترى . وممكن للانسان أن يكيف حياته حسب الظروف . وينسى أنه في زنزانة .

والسجن أشبه بادارة جريدة ! كل لحظة أخبار . مسجونون جدد يحملون قصصا جديدة . ومسجونون قدماء يخرجون ، وتسعدني أنباء الافراج عنهم كأنني أرى تلاميذي يحصلون على نصر صحفي عظيم ! فأنا افرح لكل واحد يخرج من السجن . كان جزءا مني خرج واخترق الأسوار ، وذاق طعم الحرية !

والسجانون . سواء كانوا ضباطا أو سجانين ، يعاملونني بأدب ولطف واحترام . كأنهم جميعا أصدقائي . وأنا لا أخاف تعليمات السجن . وأرفض ان أفعل أي شيء أعتقد أنه يخالف التعليمات ، أو يحرج موظفي السجن . وهم يدهشون من انني لا اطلب شيئا إلا واقول من فضلك ، ولا أتناول شيئا إلا وأقول أشكرك . ان الجو في السجن يدهش لهذه العبارات . ان العبارات التي تسمعها عنها هي عبارات بذيئة أكثرها أدبا كلمة ابن الكلب . ولكني لا أطيق سماع هذه اللغة ! ولهذا فان كل الذين حولي يحاولون أن ينسوا هذه الألفاظ في أثناء مناقشاتهم حتى لا يضايقوني !

والمشكلة التي تواجهني في السجن هي أن وزني زاد فجأة ! لقد كنت فرحا بأن وزني نقص كثيرا . وكنت أعتقد أن سياسة الاستفادة من الكوارث ، سوف تؤدي إلى أن أصبح مثل غصن البان . ولكن الذي حدث في الأسابيع الأخيرة أنني زدت في وزني بضعة كيلوجرامات . ولا أريد آن أقف فوق الميزان حتى لا أصاب بصدمة عاطفية !

ولست أعرف السبب ! ربما كان السبب هو أنه بسبب حرارة الصيف أصبحت أشرب كمية كبيرة من الماء . وربما السبب هو انني بسبب الشمس أصبحت لا أمشي ساعتين يوميا في فناء السجن ، بل أصبحت اكتفي بساعة واحدة أو نصف ساعة . وربما كانت هذه الأسباب كلها مجتمعة هي التي أدت إلى أن أصاب بهذه الزيادة في الكيلوجرامات !

وقد بدأت أحتاط اكثر مما كنت فى الطعام ، وبدأت أعود إلى المشى الكثير . لكن كمية المياه لم أستطع أن أخفف منها بعد .. وسأحاول أن أخفف منها ..

وأسعد أوقاتى فى السجن هى التى أمضيها مع خطاباتى وخطابات أصدقائى وصديقاتى التى تهرب لى بانتظام عجيب .

ولقد رأيت التغيير الذى حدث فى جريدة التيمس ، وأعتقد أنه البداية فقط ، وأنه سوف يعقبه تطور جديد . وترحمت على أنطون الجميل الذى كان يتصور أن الصحف اليومية المصرية يجب أن تتشبه بالتيمس . وأنا أعتقد أنه سيجيء يوم تتشبه التيمس بأخبار اليوم فى أيام مجدها الذهبى !

وأيضا أجد أن الصحف المصرية لابد أن تتحرك . انها تعيش فى جمود قاتل .

ولقد لاحظت فى السجن ملحوظة عجيبة . فى أول الأمر كان يصل الى الدور الثانى فى السجن ٣٠ أخبار و ٢٠ أهرام و ٣ جمهورية .. والآن يصل ٣٠ أهرام و ١٠ أخبار و ٢٠ جمهورية .. ولا أعرف اذا كان هذا الاحصاء يمثل التغيير الحقيقى فى توزيع الصحف . فاذا كان الأمر كذلك فان الأمر يكون كارثة !

وعندما أقرأ الصحف الأجنبية وأقارنها مع صحفنا المصرية أشعر كأن خنجرا يغمد فى قلبى . ولكنى أعتقد أن الصحفيين المصريين الشبان سوف يتنبهون إلى هذه الحالة ، وسيعيدون للصحافة المصرية مجدها . ان جو الارهاب يجمد الأقلام فى أيدى الكتاب . الأيدى المرتعشة لا يمكن أن تصنع صحافة ناجحة ..

اننى أخشى أن يكون خطابى لك خطابا مملا ، وليس فيه أى شيء جديد ، وأننى أكرر نفسى ، وأحصر أخبارى من داخل الزنزانة !

وكان يوم الثلاثاء ١٠ مايو يوما خطيرا فى السجن . فقد كان اليوم المحدد لتنفيذ حكم الاعدام فى الطيار محمود الذى هرب بطائرته إلى اسرائيل .

وقد أخفت ادارة السجن الخبر وتكتمته تكتما شديدا .. وعلمت به بصفة خاصة جدا . ولكن بعد دقائق كان كل السجن يعرف الخبر .. ماعدا المحكوم عليه بالاعدام ! وهذا من رحمة الله به . فان معرفته بموعد تنفيذ الحكم كان سيطيل عذابه .

وفى يوم الاثنين بدأت عملية تنظيف واسعة فى الدور الأرضى حيث سيتم الاعدام .

الفناء الخلفي كان أشبه بصندوق زبالة كبيرة ! واذا بعملية تنظيف هائلة .. وبدأوا يفرشونه بالرمل الأحمر ..

وهكذا نهتم بصحة الأموات أكثر من اهتمامنا بصحة الأحياء .

وفي يوم الاثنين حضرت أمه لزيارته . وكانت سيدة مشلولة . حملوها على كرسي . وصحبها شقيق الطيار وهو ضابط في القوات المسلحة . بملابسه العادية . وكان يضع على عينيه نظارة سوداء .. ليخفي عن أمه دموعه . ولم تكن الأم تعرف أن الابن سيعدم في اليوم التالي . ولكن الأخ كان يعرف ..

وأمر المأمور بفك الحديد من يدي الطيار ، حتى لاتراه والدته وفي يده الحديد . وتمت الزيارة دون أن تشعر الأم بشيء . ولكن الضباط الذين حضروا الزيارة كانت قلوبهم تتمزق !

فقد قال الطيار لأمه : لا تحضري يا أمي بعد الآن . في المرة الثانية سأزورك في البيت .

وقال لها إن كثيرين حكم عليهم بالاعدام وصدر عنهم عفو ، وعادوا إلى منازلهم . وفي ختام المقابلة طلب الطيار بسبوسة .

وخرج شقيقه واشترى له البسبوسة ..

ولكن المأمور وجد أن تعليمات السجن تقضي بألا يأكل المحكوم عليه بالاعدام قبل التنفيذ أي شيء من الخارج ، حتى لايؤتى له بسم ينتحر به قبل تنفيذ الحكم .

ورأى المأمور أن الحل هو أن يأكل أولا من البسبوسة قبل ان يذوقها الطيار ..

ونام المأمور في السجن ليلة تنفيذ الاعدام . وفي الساعة الثالثة صباحا شعر بمغص في بطنه . وذعر المأمور وهرول إلى زنزانة المحكوم عليه بالاعدام فوجده نائما في هدوء .. وعرف عندئذ أن المغص الذي اصيب به نتيجة اضطرابه هو وخشية أن يكون في البسبوسة سم !

وفي يوم الاثنين جاء عشماوي ، وهو عسكري من مصلحة السجون ، بثلاثة أشرطة ، وله شوارب ضخمة ، وعينان كعيني عزرائيل تماما ، وعاين المشنقة وجربها ..

ولما كانت زنزانتي تطل على الفناء الذي سيجري فيه تنفيذ الاعدام ، واستطيع أن ارى بعض العملية من نافذتي الحديدية ، فقد رأيت أن الأحسن الا اشهد هذه العملية المؤلمة . وحاولت أن أنام لكي يتم التنفيذ اثناء نومي . ولكني لم استطع أن انام . كنت متيقظا أفكر في هذا المسكين الذي يعرف كل الناس انه سيموت اليوم ما عداه هو !

وفى الساعة الثامنة تماما دخل ضابط وجنديان إلى الزنزانة وأيقظاه من النوم . وفى تلك اللحظة فقط عرف أنه سيعدم . فطلب أن يصلى ركعتين .
فقال له الضابط : صلهما تحت !

ومشى الطيار بثبات وهو مكبل بالحديد إلى الدور الأول ، بين صفين من الجنود ، ووقف مأمور السجن وتلا عليه الحكم ..

فقال الطيار : أنا ماكنت عارف أنه سينفذ حكم الاعدام الآن وأريد أن أصلى ركعتين .

فقال له وكيل مصلحة السجون : كأنك صليتهما !

ثم تقدم بسرعة عشماوى وزميله ، وسحباه بسرعة إلى غرفة التنفيذ . وتم الاعدام فى أقل من دقيقة .

وفى الزنزانة المجاورة للطيار مسجون آخر محكوم عليه بالاعدام . وقد هزه تنفيذ الاعدام فى زميله . وتصور أنهم سيجيئون بعد ذلك وينفذون الحكم فيه . ولكن جت سليمة !

وقد هزت الحادثة كل الموجودين فى السجن . حتى الحراس ان حادث رؤيتك لشخص تعرف أنه سيموت بعد ساعات يزعج القلب ، ويقبض الصدر ، ويجعلك تشعر أن حكمة الذين ألغوا عقوبة الاعدام باعتبارها عملا غير انسانى هى حكمة فى محلها برغم شناعة الجرم الذى ارتكبه الطيار بأنه لجأ إلى اسرائيل وسلمهم طائرة حربية ..

ولكن فى المسألة شيئا محيرا . وهو أن هذا الطيار بعد أن هرب من مصر ، وسافر إلى اسرائيل ، سافر إلى الأرجنتين ، وفى الأرجنتين سلم نفسه للسفير المصرى أحمد طعيمه ، وطلب أن يعود إلى مصر .

وهو يؤكد أنه لم يهرب إلى اسرائيل ، ولكن طيارته أجبرت على الهبوط فى اسرائيل .

ولكن السلطات تؤكد أنه هرب فعلا قاصدا اللجوء إلى اسرائيل .

وحدث أن حضر الى السجن سبعة من المحكوم عليهم بالمؤبد قادمين من سجن الزقازيق فى طريقهم إلى سجن طره حيث يؤدون امتحان التوجيهية الذى يقام فى السجن . وأقبلوا على يصافحوننى ، ويقولون ان المسجونين فى كل مكان يثقون ببراءتى ، وأنهم يدعون لى ، وأنهم يفتقدون « فكرة » فقد كانت النور فى ظلام زنزانتهم . وكثيرون منهم يحفظون كلماتها ويرددونها .

ولقد سررت كثيرا من هذا الشعور . ولكن هذا الحب لا يعوضنى عن الحرية !

هذا الحب يحملني مسئولية كبيرة . ماذا أستطيع أن أفعل وأنا في قيودي وسلاسلي ، لأرفع صوت المظلومين والمسجونين داخل الزنازين ! والطريقة الوحيدة أن أهرب خطابات إلى خارج السجن تحمل قصص الظلم .

وكان معي في السجن سعد الزناري سكرتير نقابة عمال أخبار اليوم ، وقد أفرج عنه بكفالة ، وسررت كثيرا بذلك ..

وقد وصلت لي ستارتان ، علقت ستارة على نافذة الزنزانة ، والأخرى على النافذة الحديدية فوق الباب . والسبب في هذا ان الصيف يجيء معه الذباب . وأنا أتضايق من الذباب . وأتنرفذ منه ، وأعتقد ان الستارتين ستساعدان كثيرا على أن يقل انتشار الذباب في الزنزانة .. انني وأنا اقتل الذباب في الزنزانة أشعر انني في يوم من الأيام سأضرب الظالمين كما أضرب الذباب ..

اننا اعتدنا الآن على احتمال ضربات الخناجر . ولم تعد تسيل دماءنا ! ولكننا لم نتعود على السكوت عن الظلم !

ولقد انتهت مباريات الكرة ، وبذلك فقدت لذة جميلة كنت انتظرها في التليفزيون بفارغ صبر . وقد سررت لأن الأهلي نال الكأس ، وصحيح أنني على الحياد بين الأندية ، ولكني وأنا أتفرج على المباراة ، قلت لنفسي لو غلب الأهلي ، فمعنى ذلك أن كل شيء سوف يتم على ما يرام .

وكانت الاعجوبة وانتصر الأهلي ونال الكأس !

وفي بعض الأحيان أفتح المصحف على صفحة ، واقرأ أول آية فيه ، واقول إنها على بختي ..

وكثيرا جدا ما تكون الآية مطمئنة تبشر بأن فرج الله قريب ..

وأرجوا من الله أن يحقق آمالنا ، وينهي أيام فراقنا ، وأن قلبي يحدثني بأن فرج الله قريب .. ان السجن يعيدنا أطفالا من جديد ويجعلنا نؤمن بالغيبيات !

والآن أقبلك قبلة من كل قلبي وكل حبي وكل شوقي ..

● ● ●

علي أمين وأنا

سجن الاستئناف
٢١ مايو سنة ١٩٦٦
عزيزتي ..

جاءنى أحد المسجونين بعدد أخبار اليوم فى مايو من العام الماضى ، الذى كتبت فيه كلمة اودع فيها اخي على امين لمناسبة سفره إلى لندن !

قرأت المقال وذهلت ! هذا ليس مقالا . انه احساس عجيب بأنني لن ارى أخي إلا بعد سنوات طويلة !

كان الاتفاق بيننا ان نلتقي بعد شهر ، ولكن المقال كان يؤكد أن قلبي كان يحس أن هذا اللقاء لن يتحقق .. سيطول الفراق طويلا طويلا ..

انني أرسل لك هذا المقال العجيب وأسأل نفسي ما الذى جعلني احس أن كارثة فراقنا على الابواب ..

بعد اقل من شهرين من كتابة هذا المقال قبضوا على !

وهذا هو المقال :

كلمة من المحرر
بقلم : مصطفى أمين

لست اعرف كيف بكيت وانا أودعه . كان يجب أن اضحك وابتسم . لقد حقق نصف الأمنية التى عشنا سنوات نحلم بها ، ان نكون مراسلين متجولين فى أنحاء العالم . ولكن ما كاد يدير ظهره لى ليستقل الطائرة إلى لندن حتى امتلأت عيناى بالدموع . وخجلت من نفسى . لقد كنت دائما معروفا بقوة أعصابى . ولكننى فى تلك اللحظة انهرت . شعرت ان العصا التى استند اليها قد سقطت ، وان اليد التى تحميني قد انسحبت ، وان الأرض التى أقف عليها قد مادت بى !

ولم تكن هذه أول مرة نفترق .. ولكنها كانت المرة الأولى التى أبكى فيها فى وداعه .

ان على أمين اكبر منى بخمس دقائق ، ومع ذلك فانني اشعر أنه ابنى الصغير .. أخاف عليه اذا ابتعد عن ناظرى ، التاع عندما اتصور خطرا

يهدده . أتعذب اذا مرض . اذا غاب أشعر أن قطعة من قلبى قد انتزعت منى . ولقد أمضينا معا تسعة اشهر فى بطن أمنا . لعلها هى التى خلقت بيننا صداقة ومحبة وتفاهما وعشقا لو وزعت على أهل الدنيا جميعا لكفتهم أجمعين . وكان يحدث ونحن تلاميذ أن يضربنى المدرس فيبكى على . أو أذنب أنا فيعاقبوه هو ، وأضطر ناظر المدرسة أن يفصلنا فى فصلين مختلفين ، ولكننا كنا نحس ببعضنا البعض والجدران تفصلنا فاحس أننى أريد أن أبكى لسبب أجهله أعرف بعد ذلك أن مدرس اللغة العربية كان يضرب على فى الفصل الآخر لأنه اعتدى على كرامة اسم إن أو خبر كان !

ودخل هو القسم العلمى ، ودخلت القسم الأدبى ، ودرس فى انجلترا الميكانيكا . ودرست أنا العلوم السياسية فى أمريكا .

وأصبحت أنا رئيس تحرير « آخر ساعة » ، وأصبح هو موظفا باليومية بوزارة الأشغال . ثم رأينا أن كل هذا الانفصال فى الدراسة وفى الوظائف وفى البلاد لم يفصلنا . يقينا بعد ذلك كاننا ما زلنا فى بطن أمنا ! كنت أبدأ المقال فيتمه على ، دون أن يعرف أحد الفرق فى الأسلوب .

وكان على يبدأ المحادثة التليفونية وأتمها أنا دون أن تعرف زوجته أن الذى يكلمها ليس زوجها ! وكان يصدر أخطر القرارات دون أن يرجع إلى لأنه يعرف تماما أن القرار الذى يصدره هو هو نفس القرار الذى أصدره . وكان اتفاقنا فى الذوق يعرضنا لمواقف حرجة . فلقد أحببنا نحن الاثنين فى وقت واحد ابنة الجيران . ولم نكتشف هذه الحقيقة إلا بعد أسبوع . واضطررنا أن نجرى قرعة بيننا وكسبتها أنا . واذا ذهبنا لشراء قماش لملابسنا اخترنا نفس الألوان ونفس القماش .. وكنا نشعر بخجل عندما نظهر فى مكان عام بنفس لون البدلة ، ولهذا كنا نتصل ببعضنا البعض صباح كل يوم بالتليفون لنتفق على ألا نرتدى نفس اللون !

وعندما مرض على بالنقرس قال الأطباء أن ٢ فى كل مليون يصابان بهذا المرض قبل الثلاثين ، وبعد أسبوع واحد بدات أشعر بأعراض نفس المرض .. فكنت الثانى فى المليون .. وعندما اكتشف على أنه مصاب بمرض السكر قمت فى الحال بتحليل دمى فاذا بالطبيب يجد اننا أصبنا بنفس المرض فى يوم واحد ! وعندما يحس على بمبادىء آلام النقرس أسارع على الفور بأخذ دواء النقرس ، لأننى أعرف اننى سأصاب به بعد ٢٤ ساعة على الأكثر ! وهذا هو نفس مايحدث لنا فى كل مرة يصاب أحدنا بالأنفلونزا أو الزكام !

ورزق كل واحد منا ببنتين ، ولم نرزق أولادا ! ولم نشعر فى يوم ما بحاجتنا إلى ولد . ان كل واحد منا يحس أن أخاه هو ابنه . فالأب يشعر بسعادة أن يرى نفسه فى شخص آخر ، ونحن أكثر حظا من غيرنا لأن كل واحد منا رأى ابنه فى سنوات متأخرة من الحياة ، وهو حظ لا يتمتع به كثير من الآباء !

وعندما نجلس معا فى غرفة واحدة لانتكلم كثيرا . كلماتنا معا معدودة . اننا نحدث بعضنا البعض دون أن نحرك السنتنا . كلمة واحدة ينطقها تروى قصة طويلة احتاج ساعات لشرحها لشخص آخر سواه !

ان بيننا شيئا من لاسلكى القلوب . نتبادل رسائل غير مكتوبة . لا يفهمها أحد سوانا ولعل هذا هو السبب الذى جعلنى أبكى وأنا أودعه !

لقد شعرت انه يريد أن يبكى فبكيت !

« مصطفى أمين »

هذا هو المقال الذى كتبته منذ عام ، والعجيب أن أخى على سافر إلى أوربا وافترق عنى عشرات المرات ، ولم أفكر مرة واحدة أن اكتب فى الجريدة عن هذا الفراق !

لماذا خرجت هذه المرة عن القاعدة .

هل عقلى الباطن كان يتوقع ان يطول الفراق هذه المرة سنوات وسنوات ، ولهذا بكيت !

لا أعرف ! كل ما أعرفه اننى لم أبك كما بكيت فى تلك المرة إلا عندما ماتت أمى !

● ● ●

الناس الطيبون

سجن الاستئناف
٢٨ مايو سنة ١٩٦٦
عزيزتي .....

تسلمت اليوم خطابك . كنت انتظره بفارغ الصبر . فرحت به كثيرا . كنت في اشد الحاجة اليه . ولقد كان خطابا لذيذا رائعا . كان اشبه بعدة نوافذ جديدة اطل منها . بابواب كثيرة اخرج منها الى الحياة . كان اشبه بسيارة تنطلق بي الى رياضة نفسية وروحية .. بل كان اشبه ببساط سليمان الذين يتحدثون عنه في قصة الف ليلة وليلة . شعرت كأنني فوق بساط الريح ، وانت بجواري وقد انطلق بي الى الماضي ، والمستقبل . طاف بنا في قصة حياتنا . حملنا الى دنيا الخيال والجمال . كنت سعيدا ، وانت تأخذينني معك في هذه الرحلة الشائقة ، كيف كنا نعمل معا ، كيف كنا ندق باب الخير والحب باصابعك ! كيف كنا نحاول ان نسعد الناس . كل الناس . نحاول بقدر استطاعتنا ان نجفف دموعهم . ونشفي امراضهم . ونخفف آلامهم . وكنت اشعر بلذة عجيبة ايامها . وانت التي تحملين اليهم المنديل الذي يجفف الدموع . أو أنك طاقة ليلة القدر تضيئين ظلام ايامهم ! واكثر ما يشقيني اليوم انني فقدت لذة من اكبر لذاتي في الحياة ، وهي محاولة اسعاد الناس . محاولة أن امد يدي الى الغرقي في امواج الأقدار . كنت ارى السعادة ـ سعادتي ـ في الابتسامة في العيون التي كانت تملأها الدموع . في ان اشعر انني حملت عن بعض الناس بعض متاعبهم اردت ان اكون لو شعاعا صغيرا في ظلام يأسهم وقنوطهم . وكنت اشعر ان كل ما أفعله اقل ما يجب ان افعله . كنت أريد المال لأنفقه عليهم ، واطمع في النفوذ لأخدمهم . كنت اشعر كانني مسئول عن كل معذب وكل مظلوم

وكل يائس . فاذا استطعت ان اقدم لواحد منهم خدمة رضيت عن نفسي . واذا عجزت شعرت بعذاب اكثر من عذاب اليائس والمظلوم !

وهذه اللذة الجميلة لا استطيع ان أمارسها الآن . ليس لدى الا الكلمات الجميلة . والكلمات ما هى الا مراهم وقتيه ، تخفى الجروح ، ولا تزيل آثارها !

وكل ما اتمناه اذا كتب الله لى الفرج ، ان استطيع أن افعل للناس اكثر مما كنت افعل لهم ، وكثيرا ما لامنى بعض اصدقائى على الخير الذى كنت اقدمه ، ويقولون ان بعض من ينالون الخير لا يستحقونه . ولم يكن يهمنى هذا فى شيء . لم تكن لذتى فى وفاء الذين اعطيهم ، ولكن كانت كل لذتى فى ان اعطى ، وان اساعد وان اقف بجوار كل من اعتقد انه يحتاج لمن يقف بجواره فى محنته ، فانا لم اتوقع من احد ممن ساعدتهم ان يرد الى الجميل . ابدا اننى لم افكر فى هذا ولا أريده اننى حصلت على الجزاء الذى اطمع فيه بشعورى بالسعادة اننى فعلت شيئا ، واضأت ولو شمعة فى حياة مليئة بالسحب والظلام !

وانا افتقد هذا الشعور هنا . فأنا اشعر اننى اشبه برجل مؤمن لا يجد الماء الذى يتوضأ به ليصلى وقد كانت خدمة المحتاجين فى نظرى نوعا من انواع العبادة والصلاة !

ولهذا ارجو ان يمنحنى الله الفرصة ، لاعوض الصلوات التى فاتتنى ، واعطى الناس من الحب ، بقدر ما اعتقد انهم يستحقون .

ويجب ان تتاكدى ان الدنيا مليئة بالناس الطيبين . ولا يجوز ان نمشى فى زاوية العميان ، فنتصور ان الأزهر كله من العميان ، أو نرى زنجيا فى السويد ، فنتصور ان كل اهل السويد من الزنوج ، ان الاغلبية الكبرى من الناس الذين صادفتهم هم اناس طيبون ، اعطونى اضعاف اضعاف ما اعطيتهم . وفى كل حياتى الطويلة رأيت ورودا اكثر كثيرا مما رأيت الاشواك . وذقت من القبلات اضعاف اضعاف ما أصبت سن الخناجر ، ولولا الذين ساعدونى طوال حياتى لما استطعت ان امشى فى الحياة هذا المشوار الطويل . فانا مدين لألوف من الناس بعضهم اعرفه ، وأغلبهم لا أعرفه . فالذى كنت افعله هو اننى كنت ارد للناس بعض جميلهم . وكنت اعطى شيئا تافها الى جانب الاشياء العظيمة التى اعطوها لى . فلهذا اقول لك ان من اكثر الاشياء التى اعجبتنى فيك ، سعادتك ، وحماسك ، وترحيبك ، عندما كنت ارسلك فى مشوار لمساعدة شخص اشعر انه يحتاج الى مساعدة ، كان هذا الشعور منك يقربك كثيرا الى قلبى . كنت اجد فى

السعادة وهى تغمر عينيك لذة اكثر من وفاء عشرات الالوف من الناس .

وكثيرا ما أفكر ، هل سيوفقني الله ، بعد خروجي من السجن ، ان شاء الله ، لأساعد الناس ، كما كنت افعل ، انني اكره ان تكون حياتي بغير قيمة للناس . اكره ان اكون متفرجا على آلامهم . أو راثيا لهم . أو اكتفي بأن اذرف الدموع حزنا على مصائبهم !

انني اريد ان اكون دائما عصا يتوكأ عليها الذين لا يستطيعون السير ، أو منديلا يجفف دموعهم ، أو نظارة وردية يضعها اليائس على عينيه ، او حلالا لمشاكل الامهات اللاتي يتشاجرن مع اولادهن أو ازواجهن !

واني في بعض الاحيان اغمض عيني ، واتصور ونحن نجلس معا ، نقرأ مشاكل الناس ، ونحاول ان نجد لها حلولا ، ونفتح اذرعنا للذين توصد في وجوههم أبواب الحياة ! ....

● ● ●


ياظالم لك
يوم .. !!

عبد الوهاب خائف !

سجن الاستئناف
اول يونيو سنة ١٩٦٦
عزيزتى .....

كنت فقدت الأمل فى ان استطيع الكتابة اليك . واننى اسف جدا اننى لم اكتب اليك قبل الآن ، برغم محاولاتى الكثيرة فى الكتابة ، لاننى اعلم انك تحتاجين الى مثل هذه الرسالة باستمرار للأطمئنان على . ولكن تاتى الرياح بما لا تشتهى السفن .

فبعد ان كنت اتصور اننى استطيع ان اكتب اليك باستمرار ، اكتشفت ان هذا اصبح من الصعب جدا ، بل انه من المستحيل . ولهذا ارجو ان تعذرينى فاننى اعرف مقدار المك لأننى لم اكتب اليك . واعرف مقدار خيبة املك ، وانت تنتظرين البريد كل يوم دون ان يصلك خطاب منى .

ولكن عزائى انك تشعرين بى ، وانه حتى ولو لم يصلك اى اخبار عنى ، فانك سوف تشعرين بكل ما اريد ان اقوله لك ، سواء كتبت او لم اكتب .

واننى اعرف انك تنتظرين منى هذا الخطاب بفارغ الصبر . ولكن ما باليد حيلة .

اننى افضل الا اخرج على النظام ، ولم يحدث منذ دخولى الى السجن حتى الآن اننى خرجت على النظام مرة واحدة . ومع ذلك فاننى اتعرض للتفتيش الآن بكثرة غير عادية ! احيانا فى الصباح واحيانا فى المساء ! وبعد ان كانت اطعمتى لا تفتش اصبحت تفتش بعناية زائدة ! وحتى حقيبة الملابس اصبحت تفتش بدقة غريبة ! ومع ان النظام المعتاد ان يفتشوا الزنزانة مرة كل اسبوع ، اصبحت افتش احيانا مرتين فى اليوم ! واعتبر هذا عناية وعطفا بشخصى لا استحقه !

اننى اشعر بأننى لم ارك منذ وقت طويل جدا . واشعر بأننى سيىء الحظ لأننى لا استطيع فى هذه الظروف ان اتصل بك باستمرار وان اقول لك اننى احس بك كثيرا وان متاعبى هنا لا تساوى شيئا بجوار ما اتصور انه متاعبك . وخاصة أنك تعرضت فى المدة الأخيرة لأزمات متوالية

ان كل ما أرجوه من الله هو ان يقوى اعصابك , فانك اثبت فى هذه الظروف التى مرت بك ، انك اكثر من بطلة ، وارجو من الله ان يكون ما فات هو نهاية المتاعب ، وان تشرق الشمس من جديد ..

وان ايمانى بالله لم يتزعزع انه يزداد ثباتا ، ويتضاعف يقينا ، واننى مؤمن بان نور الفجر سوف يقترب ، ولسوف يبدد كل هذا الظلام الذى نعيش فيه ، واننا الآن فى نهاية العذاب وليس فى بدايته .

لقد عشت هذين الاسبوعين فى قلق .. قلق اكثر مما عشته طوال الشهور العشرة الماضية . وكان الذى يقلقنى ان اشعر انك وحدك ، واننى لا استطيع ان أفعل شيئا ، حتى ولو اقول لك كلمة مشجعة .

والآن احدثك عن اخبارى .

ان حياتى هنا كما هى . لا تغيير فيها سوى الحر الشديد ، وارتفاع درجة الحرارة التى جعلتنى اشعر اننى اقيم فى خط الاستواء ! ومن حسن الحظ اننى وضعت الستائر فى غرفتى ، وهذا جعل الجو فى الزنزانة محتملا ، ويظهر ان الحل لارتفاع درجة الحرارة ، هو اننى سأذهب الى الحمام و آخذ دشا عشر مرات كل يوم ! واعتقد ان هذا هو الحل السعيد لمواجهة ارتفاع درجة الحراة !

وكلما ارتفعت درجة الحرارة اتذكر الأيام التى كانت تتعطل فيها اجهزة التكييف فى شقتى فى الزمالك ! وعشرات الأجراس التى كنت ادقها لسكرتيرتى لتتصل بشركة كولدير لاصلاح الجهاز ! وكان من عادة التكييف عندى الا يتعطل الا عندما تشتد الحرارة . ويصبح الجو قطعة من جهنم ! ولهذا فأنا اعتبر ان جهاز التكييف عندى فى الزنزانة لا يشتغل ، وان السكرتيرة اهملت الاتصال بشركة كولدير ، للقيام باجراء التصليح !

ان نافذتى الصغيرة فى الزنزانة هى جهاز التكييف !

وبعد ان كنت اتمشى ساعتين فى ردهة السجن الخارجية ، اصبحت بسبب الحر الشديد ، اكتفى بالمشى نصف ساعة ، ثم اعود الى غرفتى امتدد على السرير ولسوء الحظ ان السجن رغبة فى الاقتصاد اصبح لا يضىء الكهرباء الا عند الساعة السادسة مساء والضوء فى الزنزانة فى الصباح غير كاف . ومن المستحيل ان استطيع القراءة فى غرفتى قبل ان تضاء

الكهرباء ! ولهذا اقرأ صحف الصباح بجوار نافذة فى الدهليز وانتظر الى ان يجيء الليل لاقرأ الصحف الأجنبية والمجلات والكتب .

وقد كنت اود ان اقول لك اننى اريد ان ينتهز اخى على كل فرصة ليدافع عن وطننا .

اننى احب بلدى برغم كل ما حدث لى . لقد كنت احبها فى الماضى والآن اعبدها . ان كل ما اصابنى لم يزدنى الا عشقا لها ، وتفانيا فى الاخلاص لها ، والايمان برسالتها اننى اعطيت لبلادى كثيرا ، ومع ذلك اشعر اننى لم اعطها شيئا ! اننى اعطيتها احلى سنوات عمرى . وهى اعطتنى مجدا ونجاحا وحبا . اعطيتها كل ما املك ، ومع ذلك احسب ان كل ما اعطيته هو شيء قليل جدا . وكل ما آسف عليه ، ان الظروف التى ادخلتنى السجن حرمتنى ان اخدم بلادى اكثر واكثر . ولا اقصد اننى سأعيش بقية حياتى محروما من خدمتها .

انى اريد ان اعطيها ما تبقى من دمى وحياتى ، ولا يهمنى اين اخدمها اننى لا يهمنى المكان الذى ساكون فيه . كل ما يهمنى ان استطيع خدمة هذا البلد الذى احبه .

واننى اعزى نفسى هنا . اننى محبوس بغير ارادتى . ولكننى امضيت طوال حياتى محبوسا فى مكتبى ! كنت احبس نفسى ! كانت تمضى سنوات وسنوات لا أذهب الى السينما ! لقد كنت اسافر الى الاسكندرية واحبس نفسى فى بيتى ، واكتب واكتب لاسجل تاريخ بلادى ، ولم اذهب يوما واحدا الى شاطيء البحر ، كما يفعل الناس الذين يسافرون الى الاسكندرية !

ولقد قلت لهيكل اننى احس كأننى مكلف بعمل تحقيق صحفى عن السجون فالصحفى الناجح ، لا يكتب عن السجن من الخارج ، بل يدخل السجن ليقوم بالتحقيق الصحفى من داخله !

وأعود واكتب اليك مرة اخرى ! ان الساعة الآن الثالثة والربع صباحا ، وصوت أم كلثوم ينبعث من راديو بعيد عن السجن ، وهى تغنى الوصلة الثالثة من اغنيتها بعيد عنك حياتى عذاب ، ان الصوت يبدو بعيدا جدا ، كأن ام كلثوم تغنى من وراء البحار ، ولا تكاد تصل الى الألحان ولا الكلمات ، ويظهر ان الصوت يجيء من قهوة فى الميدان بقرب السجن ، أو أن احد الجيران اراد ان يشرك المسجونين فى سهرته مع أم كلثوم ، واسمع صوت حارسين فى فناء السجن يتحدثان . احدهما يقول ماذا نعمل لو ماتت الست دى !

فيرد عليه الآخر ، ويقول : نموت وراها ! وكلمات الأغنية تصل الى

كالهمس . فاذا مر اتوبيس أو سيارة فى الشارع المجاور داس على كلمات الأغنية ، فماتت الكلمات !

ولم استطع الا أن اذكر كيف اننى كنت فى المدة الأخيرة ، قبل القبض على ، حريصا على الذهاب الى حفلات ام كلثوم ، اجلس فى البنوار ، واعيش معها حفلاتها واغانيها ، ويظهر اننى كنت اودعها ! ومازلت اجد لذة فى ان اسمع هذه الأغانى ، واتخيل السهرة ، والناس يصفقون ويهتفون ويستعيدون ، ولقد اصبح لكلمات الأغانى معان اكثر بلاغة مما كانت لها . فإن الأيام تعطى للكلمات نغمات وكأنها ملحن جديد ! !

وفى بعض الأحوال اشعر ان ام كلثوم تغنى لى وحدى ، بلسان الذين يحبوننى واحبهم ، كأنها تبلغنى شوقهم ، أو كأننى ابلغهم على لسانها حنينى اليهم . وقد كنت اشعر ان ام كلثوم معى فى محنتى . سواء قالت ذلك او لم تقل . ولكنى كنت اضع اسمها على رأس الصديقات التى خرجت بها من الحياة . وانت فى محنتك لا تحتاج للذين يمدون اليك يدهم ، بقدر احتياجك للذين يشعرون بك ، حتى ولو لم يفتحوا فمهم بكلمة عزاء ..

ولقد قال لى هيكل :

انه كانت هناك حفلة فى يوم ٢٣ يوليو بعد القبض على بيومين ، وكان هناك عبد الوهاب وقال له الرئيس جمال عبد الناصر : طبعا انت زعلان علشان مصطفى ؟ فقال عبد الوهاب : ابدا يافندم ! المسىء يلقى جزاءه ! واضاف عبد الوهاب انه لم يكن صديقى الا من مدة قليلة ! وقال هيكل للرئيس ان عبد الوهاب كان يأكل عندى كل ليلة ! ولست اعرف اذا كانت هذه الرواية حقيقية أم تشنيعية من هيكل على عبد الوهاب . ولكن الواقع انها صورة كاريكاتورية له ! ولم أتضايق من عبد الوهاب لأنه قال هذا فاننى اتوقع انه يقول هذا فى مثل هذه الظروف ، وانا اعذره اذا بادر بهذا الكلام دفاعا عن نفسه ليرد التهمة الظالمة بأنه صاحبى ! واننى اعتبر عبد الوهاب فى قمة الشجاعة لأنه لم يشتم فى !

ان عبد الوهاب بطبيعته خواف ، يرتعش من اى شىء ، ويذعر من خياله ، فماذا يستطيع ان يفعل فى جو الارهاب الذى تعيش فيه البلاد . لقد كنت اتوقع انه سيقول للرئيس انه لم يسمع باسمى قبل الآن ! !

وفى الوقت نفسه جاءتنى رسالة من احد اصدقائى ذكر فيها حقيقة رد عبد الوهاب .. انه قال لعبد الناصر « اما ان مصطفى مظلوم أو انه اكبر ممثل » والتفت الرئيس الى أم كلثوم وسألها رأيها هامسا فقالت له اننى اعرف مصطفى طول حياته واعرف وطنيته واعرف كيف دخل كل مليم فى

اخبار اليوم ولم ينقل لى هيكل ما قالته ام كلثوم وانما نقله الصديق عن المشير عبد الحكيم عامر ...

والناس كالنقود ، بعضها حقيقي وبعضها مزيف ، واحمد الله على ان الله منحنا نقودا حقيقية ، ولا مانع مطلقا ان يكون فى جيبى عشرة جنيهات ، وبينها قرش تعريفة براني !

وأحمد الله انه اعطانا قروشا كثيرة جدا من حب الناس وعطفهم واحساساتهم النبيلة . وهذا يجعلنى احب الناس اكثر مما احببتهم فى اى وقت من الأوقات ، واحس بأن شعبنا طيب حقيقة ، ويستحق كل الحب وكل تضحية وكل اخلاص .

واحب ان اقول لك اننى متفائل واننى اشعر بأن أسوأ الفترات قد مرت ، وان الفجر لابد ان يجيء فانا اشبه براكب قطار امامي خمس محطات للوصول . المحطة الأولى هى الحكم والمحطة الثانية هى المستشفى والمحطة الثالثة هى الذهاب الى بيتى والمحطة الرابعة هى السماح لى بالعمل ، والمحطة الخامسة هى اللقاء مع اخى . ولست قلقا من ان المحطات كثيرة المهم اننى اشعر ان القطار يتحرك ، ولا يقف ، ولكننى لا اعرف المسافة بين كل محطة واخرى !

واننى اشعر ان الخمسين يوما القادمة هى التى سيصدر فيها الحكم ، واعتقد ان هذه الايام سوف تمر بسرعة ، فقد مرت قبلها ٣١٦ يوما !

ولقد احسست ان الكتابة الى اخى ليست سهلة . فقد كتبت اليه قبل الآن خطابا طويلا . ولكن الخطاب كان اشبه باستمارة صرف معاش من احد دواوين وزارة الأوقاف ، لابد ان يمر على خمسين امضاء ! وقد انتهى الأمر بتمزيق الخطاب ، لأن المفروض الا اكتب شيئا عن الحياة فى السجن ، ولهذا فان اى خطاب سوف اكتبه الى اخى سيكون خطابا رسميا جافا .. هو سؤال عن الصحة والمراد من رب العباد ! ولا اعتقد ان اخى سوف يسر بمثل هذا الخطاب السخيف ، بل سيتصور عندما يصله اننى متضايق ، أو اننى تعيس ، ولهذا اكتب له هذا الخطاب السخيف . ولقد فكرت انه خير لى الا اكتب اليه ! ان قيمة الخطاب فى ان يصل ساخنا حارا ، كالخبز الذى خرج من الفرن ، ولكن عندما تمر ايام على الخطاب ، وتتناوله عدة ايد يتحول الى خبز بايت !

ولقد شعرت من رسالتك الأخيرة .. ان اخى يتصور ان هناك مظاهر ضيق اشعر بها ، والواقع اننى اسف جدا اذا فهم من كلماتك له اننى متضايق . ابدا اننى احمد الله على انه اعطانى صبرا جميلا ، وايمانا اجمل من الصبر . ان حياتى فى السجن محتملة وكل الذين معى فى ذهول .

لقوة اعصابى ولثباتى ، ولايمانى العجيب بالله ، وتفاؤلى الذى لم يضعف ولم يتزعزع ابدا . وان لدى من التفاؤل ما يجعلنى اوزعه على الألوف من الاشقياء التعساء الذين أراهم . حتى اصبحت اشبه بسبيل ام عباس ، الذى كان يتوجه اليه الفقراء ليملأوا منه آوانيهم من المياه !

ولا احمل هم نفسى ابدا . اننى احمل هم اخى ، وهمك ، وهم اصدقائنا ، احمل هم الذين احبهم ويحبوننى ، والذى اشعر انهم يتعذبون من اجلى ويشقون لابتعادى عنهم . فانا لست قلقا ابدا على نفسى . ان كل قلقى عليكم . وكلما سمعت اخباركم شعرت ان جزءا من الحمل الثقيل على صدرى يخف ويتضاءل ، والذين معى فى السجن يحملوننى همومهم ومتاعبهم ومشاكلهم العائلية واحزانهم ودموعهم وآهاتهم . وانا اتحملها بصدر رحب . واشاركهم فيها ، واتعذب لهم ويسعدنى ان اقدم لهم مرهما يخفف جروحهم ، ويقلل عذابهم . واجد سعادة وهناء فى ان أفعل لهم ذلك . وهمومى انا اشعر اننى لا احملها على رأسى ، اننى احس انكم انتم الذين تحملون هذه الهموم ، وتكادون تسقطون تحتها . ولهذا فانا احس بآلامكم واشعر بعذابكم ، ولا اكذب عليكم أو اخدعكم عندما اقول لكم ان حياتى هنا محتملة جدا ، أن كل يوم خير من سابقه ، ولكن عندما احس ان اخى يحبس نفسه فى غرفته اشعر كأنه يحبسنى معه .

فى بعض الأحيان اتصور ان المسجونين فى السجن الصغير اسعد حالا من المسجونين فى السجن الكبير !

فالهموم التى احملها هى كيف تعيشون ؟ ولقد قيل لى اطمئن ، ولكننى لا استطيع ان اطمئن ، بل اننى اخشى انكم فى رسائلكم القادمة معى سوف تكذبون على ، وسوف تقولون ان احوالكم عال ، بينما انتم فى الواقع فى ظروف سيئة . وجوه الزائرين فى السجن صفراء كالحة . وباء الارهاب يشبه وباء الكوليرا ، انا اشفق على الذين يعيشون فى رعب من دخول السجن فهم أسوأ حالا من الذين داخل السجن .

هذه هى الهموم التى احملها فوق صدرى ، اما هم سجنى ، فهو اخف هذه الهموم ، واقلها ألما .

اننى هنا كأننى فى اخبار اليوم . المسجونون تلاميذى وابنائى واصدقائى .

اننا نضحك كما كنا نضحك فى سهراتنا يوم السبت والاربعاء مع اصدقائنا .

علمت نفسى ان احب الزنزانة كما كنت احب شقتى فى الزمالك .. وأعنى بها عنايتى بشقتى وطعامى هو هو ، وربما أحسن ! وقراءاتى هى هى ، واكثر ! وملابسى هى هى .

لا شىء ينقصنى سوى انتم !

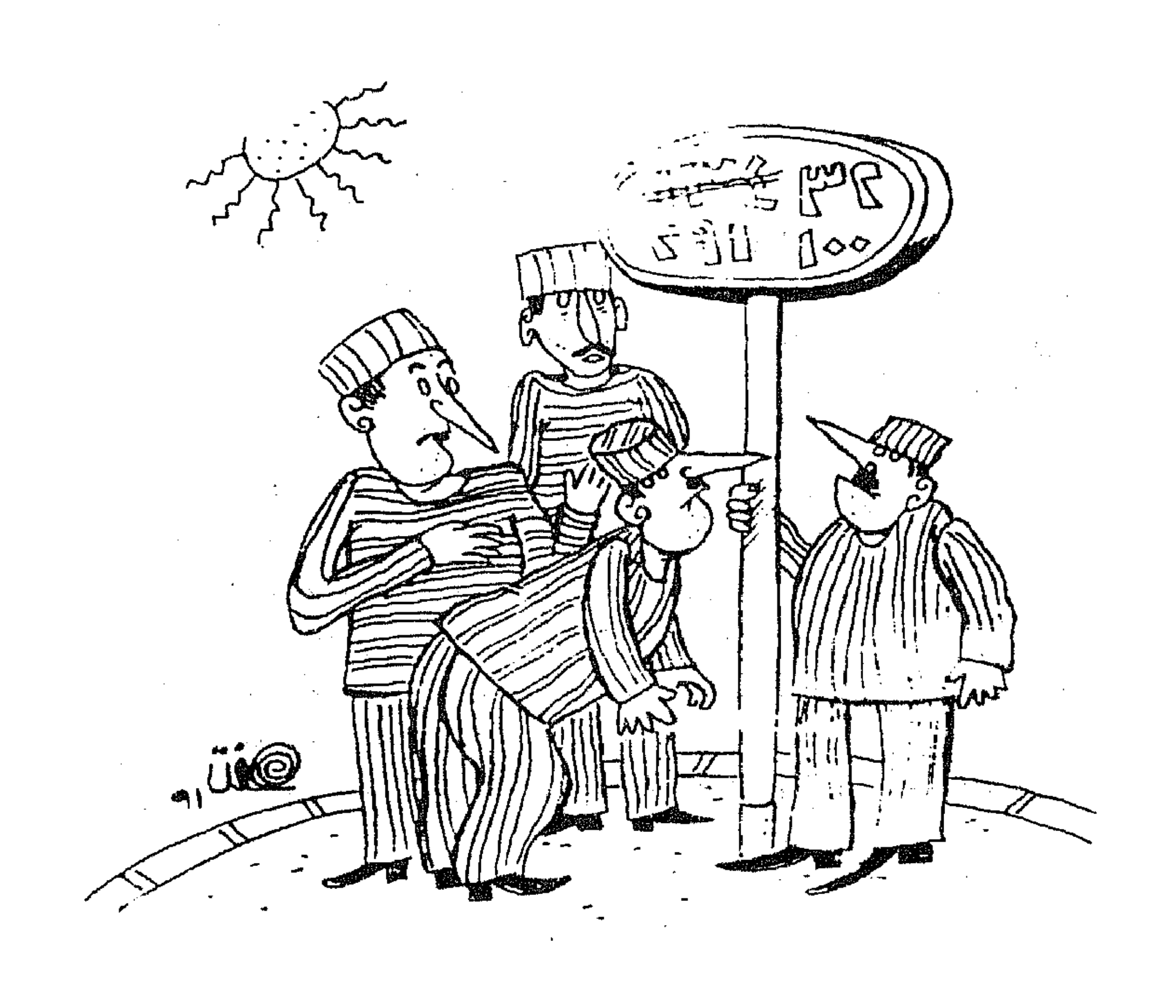
ولا شىء سوى اننى اشعر اننى اصبحت من العاطلين بالوراثة ! فاننى الآن آكل دون ان اقدم عرقا ودما ومجهودا ! انها أول اجازة احصل عليها ! وصحيح انها اجازة طويلة . ولكننى لا اشعر بالأرهاق ، واحتراق الدم والأعصاب ، وهى المشاعر التى كنت احس بها كل يوم وأنا اعمل طوال هذه السنوات التى اشتغلت فيها بالصحافة !

انا الآن صحفى من منازلهم ! أو صحفى من سجونهم ! احصل على الأخبار من الخطابات ومن الصحف . احللها وادرسها .. اكتب الموقف السياسى بينى وبين نفسى !

ولكن حياتى ليست فيها مانشتات ولا اخبار مثيرة ! ان المنشيت يجىء مرة كل خمسة عشر يوما فى الزيارة أو فى خطاب يهرب الى . والخطابات اشبه بنوافذ اطل منها على الدنيا كلها ..

والآن اتركك ، راجيا ان يصل اليك هذا الخطاب بالسلامة ! واقبلك من كل قلبى ، والى اللقاء .

● ● ●


٢٣
١٠٠

الرقابة على الخطابات

سجن الاستئناف ١٠ يونيو ١٩٦٦

عزيزتى .. أكتب لك من جديد للمرة الثالثة ! ان ارسال الخطاب تاخر ، فلأنتهز الفرصة لأكتب اليك من جديد . فمن يعرف متى أستطيع الكتابة اليك مرة أخرى . أن شعورى أن الكتابة اليك مقيدة ، تجعلنى لا أستطيع ان انطلق كما أريد .

لقد اعترضوا على الخطاب الذى كنت ارسلته لاخى ، لأن فيه أسماء المسجونين ، وتفاصيل عن حياتهم فى السجن ، وهى كما يظهر أشياء ممنوعة. ولقد قيل لى أن هذا الخطاب تمزق .. وشعرت أن شيئا جميلا هو جزء من حياتى يتمزق ! وحاولت ان أكتب إلى أخى فى حدود اللوائح والقوانين ، فلم أستطيع إلا ان أكتب له سوى جملة بعد السلام والسؤال عن صحتكم التى هى غاية المراد من رب العباد !

وأتصور أنهم أرسلوا خطابى إلى أخى للجهات العليا انهم يريدون أن تكون الخطابات التى أرسلها بالطريق الرسمى تافهة لا قيمة لها . ولهذا يضطر المسجون إلى تهريب الخطابات !

ولقد عدت اقرأ خطابى لك من جديد ، وخشيت ان تتصورى من قراءته اننى متضايق ، وفكرت أن امزق هذا الخطاب ، ولكننى فضلت ان أرسله لك ، وأقول أنه فى لحظات قصيرة جدا أحس باليأس ، ولكن لا يلبث أن يزول ، فان إيمانى بالله يطرد من قلبى جيوش الظلام . ومن هنا فان الدموع هى واحد فى المائة من البسمات والضحكات . فانا لا أشعر بقلق أبدا إلا عندما تنقطع أخبارك ، وعندما أقرأ خطابا من أخى أو من أصدقائى وصديقاتى ، أشعر طول اليوم بسعادة ، وكأننى كنت مدعوا إلى مادبة فاخرة وسهرة من الف ليلة وليلة ! وأنا لا أريد أن أثقل على أخى

بالرسائل اللذيذة الطعم التي يرسلها ، فانني أقدر ظروفه .. ولكني أرجوك ان تبلغيه شكرى عليها ، وفرحتي بها ، وانها تسعدني كثيرا .

وقبل ان انسى ، ان هيكل قال لى انه سيعطى ريتا وصفية مرتب عام ، من مرتبى فى أخبار اليوم ، فأكون شاكرا لو سألتهم هل تم هذا ، وتذكير سكرتيرة هيكل بهذا الشأن . لأن شهر يونيو هو الشهر الذى أعتدت أن أدفع فيه للأولاد نفقتهم .

انى أكتب لك هذا والساعة الخامسة صباحا من صباح يوم الجمعة ١٠ يونيو . ترى ماذا تفعلين الآن ؟ لابد انك نائمة ! إن كل شىء هادىء حولى . ان أحد المسجونين ، وهو محام عجوز ، اعتاد أن يوقظ أحد المسجونين الذين يتولون الأذان ، ليقوم من نومه ويؤذن ! وهو يناديه باسمه حتى يستيقظ . ثم يقول له ان الساعة الرابعة . وأنه باق على الأذان ٣٠ دقيقة ! ويطلب منه أن يتعبد وتهجد حتى تجىء ساعة الأذان . ثم يحدث أن تأخذ المؤذن نومة وتفشل كل المحاولات لايقاظه ، فيتولى أحد المسجونين الأذان بدلا منه ! ويحدث أن تدخل مسجون طفيلى بين المكلفين بالأذان ، فيسبق المؤذن ، وفى الصباح تقوم خناقة ، عمن له حق الأذان ، والشروط التى يجب أن تتوافر فى المؤذن ، واهمها ألا يكون مجنونا ، وألا يخاف من القطط والفيران !

وصاحبنا الذى يخاف من القطط والفيران يحاول جاهدا أن يدخل مستشفى ! وفى كل يوم يكتشف أنه مريض بمرض جديد . مرة يقول أنه ينزف دما ، ومرة ثانية أنه اصيب بشلل فى ساقه ، ومرة ثالثة أنه مصاب بسرطان فى الرأس ، والأطباء يعرفون أنه يدعى المرض ، ويصفون له الأدوية المناسبة .. التى تنتهى بأن يلازم دورة المياه باستمرار !

والسجن أشبه بسيارة أتوبيس ، مزدحمة كما يحدث فى أزمة المواصلات . ركاب يصعدون وركاب ينزلون . ولا يكاد ينزل راكب حتى يتشعبط عشرة ركاب ! وهو مخصص للمسجونين تحت التحقيق ، أو الذين لم تصدر عليهم أحكام بعد . ولهذا فان الركاب قلقون ، لا يعرفون مصيرهم ، ولا يعرفون أى محطة سينزلون فيها .

وهو فى الوقت نفسه أشبه بمحطة مصر . فانه مخصص للتراحيل ، يمر عليه المسجونون فى طريقهم إلى السجون الأخرى فى أنحاء الجمهورية ، ولهذا نحن نرى مساجين فى طريقهم إلى أبوزعبل وطره ، أو إلى سجن المنيا أو الزقازيق أو سوهاج

وأغلب المتهمين هم متهمون فى قضايا المخدرات ، وهم يمثلون أغلبية كبيرة من المسجونين وهم يقولون أن السجون الأخرى أنظف كثيرا من هذا

السجن . ويقولون أنه عربخانة ، وليس سجنا ، ولكن ميزته أنه فى وسط البلد ، وأن المسجونين فيه هم دون سواهم الذين يتناولون طعامهم من بيوتهم ، وأن الزيارة فيه مرتان فى الشهر . فهنا يشعر المسجون أنه على اتصال يومى بالحياة فى الخارج ، ولا يحس أنه منقطع عما يحدث وراء الأسوار من أحداث وأخبار .

ويجىء المسجونون إلىّ ، ويستشيروننى فى قضاياهم ، وفى ظروفهم . وقد حدث أن جاءنى موظف شاب مختلس ، وقال أنه اختلس ألف جنيه ، وأنه سيقدم إلى قاض أعتاد أن يحكم على المختلس بسبع سنوات سجن مع الشغل . وأن موظفا معه فى العنبر حكم عليه بسبع سنوات لأنه اختلس ٣٠٠ جنيه . وقال ان كل دفاعه هو أن الشيطان لعب برأسه فسرق المبلغ ! قلت له أن هذا الدفاع لا يقنع أحدا . وطلبت منه أن يروى قصته كاملة .

وإذا بقصته هى أن والده يبلغ من العمر ٦٥ سنة . كان يشتغل ممرضا ، وعند احالته للمعاش ظهر أن عهدته ناقصة ، لأن الأطباء الذين كانوا فى المستشفى كانوا يأخذون أدوات المستشفى ولا يعيدونها وقدرت وزارة الصحة الأدوات الناقصة بمبلغ ٦٠٠ جنيه . وخشى الابن على أبيه . فاختلس المبلغ ليسدد هذا العجز ، وينقذ والده ، الذى ينفق على زوجته وسبعة أولاد .

فقلت له : يجب أن تقول هذه الحقيقة أمام القاضى .

قال : ولكنى أخشى على والدى .

قلت : ان هذا لن يضر والدك فهو محال إلى المعاش .. وأقنعته بأن يقول للقاضى الحقيقة التى أخفاها .

وما كاد يسمع المستشار القصة الحقيقية ، حتى تأثر كثيرا ، وحكم عليه بثلاث سنوات مع السجن البسيط ، وقد أمضى منها فى السجن حوالى السنتين ، وسوف يفرج عنه بعد بضعة شهور .

وقد جاءنى بعد الحكم ، وهو يحاول أن يقبل يدى ، ويقول لولا نصيحتك لرحت فى داهية ! .. اننى لن انسى لك هذا الفضل مدى الحياة .

ولقد فرحت بأننى استطعت أن أمد يدى لانقاذ غريق !

قلت له أن الحقيقة هى طريق النجاة .. ولكنها كذلك أمام القاضى العادى لا أمام الفريق الدجوى !

وهكذا ترين أن حياتى مليئة . ان مآسى الناس ، ومشاكلهم تحتل أغلب وقتى ، وحتى أصبح يومى لا يتسع للتفكير فى مشكلتى ! وأنا أحس بسعادة عندما أستطيع أن أخفف عذاب واحد من هؤلاء المعذبين . وأن أقدم نصيحة أو رأيا ، أو كلمة طيبة لمظلوم أو ضحية من ضحايا المجتمع .

ومن المشاكل التي عرضت عليّ ، أن أحد زملائي المتهمين كان عريسا مدة ٢٨ يوما قبل القبض عليه . ثم مضت عليه أكثر من عشرة شهور في السجن . وهو ليس لديه مرتب تعيش منه زوجته . وقد أرسلت اليه تطلب الطلاق لأنها لا تستطيع أن تعيش جائعة ، بعد أن باعت كل شيء تملكه .

وقلت له ان زوجته معذورة . انه أعطاها ٢٨ يوما من السعادة ، واعطته هي ٢٨٠ يوما من الوفاء والصبر . فلا يجوز له أن يلومها ، أو يحقد عليها . بل عليه أن يقول لها أنها انتظرت عليه أكثر مما يجب ، وأن يحاول مقابلتها ليشكرها لا ليلعنها كما يريد أن يفعل !

وسمع المسجون نصيحتي ، وقابل زوجته بهذه الروح ، وما كادت تسمع حديثه ، حتى قالت له انها عدلت عن طلب الطلاق . وعاد إليّ يرقص ! ان الكلمتين الحلوتين اللتين قالهما لها كانتا أشبه بزجاجة من أكسير الصبر أسكرتها ! وقالت له انها بعد أن سمعت هذه الكلمات ، سوف تقاوم ، وسوف تبحث عن عمل ، وسوف تبقى تنتظره ٢٨ شهرا أو ٢٨ سنة !

هذه الأشياء الصغيرة تملأ حياتي سعادة وأملا ! انني كلما رأيت ابتسامة على شفتي يائس ، أشعر أنني أنا السعيد .. فالسعادة مرض « معدى » كالشقاء تماما !

بعض أصدقائي لا يعجبهم أنني أقاوم الظلم بالهمس . يقولون أن الرسائل التي أهربها إلى هنا تصل إلى عدد محدود جدا من الناس . وبعض الذين يتلقون رسائلي لا يجرؤون على الهمس بها . أنا أعذر الخائفين الراجفين المرعوبين .

* * *

الارهاب قوى وهم ضعفاء . البطش عملاق وهم أقزام . ومع ذلك سوف استمر أهمس بالحقيقة حتى ولو همست وحدى ! همسة المظلوم اليوم قد تضيع في زئير الظالم . ولكن الحقيقة سوف تتوالد مع الأيام . وسوف يصبح الهمس رعدا ! الذين يتوهمون انهم يحاربون الظلم بالاستسلام يخطئون . الطوبة في يد المظلوم أقوى من المدفع في يد الظالم . أنا شخصيا خلقت لأقاوم . لذتي في أن أقاوم . حياتي في أن أقاوم . والذين يخافون عليّ من المقاومة ، ويخشون أن تضبط رسائلي التي أتحدث فيها عن المظالم والتعذيب والتلفيقات التي تعرض لها زملائي هنا ، لا يعرفون أن الموت عندى أهون من الاستسلام . ماذا سوف يفعلون بي أكثر مما فعلوا ! سيقتلونني هنا ، ويقولون أنني حاولت الفرار كما فعل حمزة البسيوني في

السجن الحربى بكثيرين أنا لا أخاف أن أموت كل ما اخشاه أن تموت الحقيقة . لا أستطيع فى زنزانتى أن أنسى أننى صحفى . ومهمة الصحفى أن ينشر الحقيقة وسوف استمر أزاول مهنتى ، حتى ولو كان لى قارىء واحد . الذى يسعدنى أن عددا من الأجهزة يراقبنى فى السجن . التعليمات تقول أنه يجب التضييق علىّ والتشديد علىّ ومراقبتى بالليل والنهار ! بعض الضباط يتصور أنه سيترقى إذا ضبط رسالة مهربة منى ، أو رسالة مهربة إلىّ ، ومع ذلك استطاع الله ان يطمس عيون كل هؤلاء فلا يروا ، وأن يغلق عقولهم فلا يتصوروا ماذا يستطيع أن يفعل الكاتب إذا وضعوه داخل زنزانة ! ألم أقل لك أن الله معى ؟



الحقيقة المسجونة

سجن الاستئناف فى ١٨ يونية سنة ١٩٦٦

عزيزتى .. لم أكتب لك من وقت طويل . انني أتصور أنه مضت علىّ عدة أشهر لم أتحدث اليك . ولكن ما باليد حيلة كما يقولون . أو أن العين بصيرة واليد قصيرة ! فان يدى لا تستطيع أن تمتد خلف الأسوار لتحمل لك هذه الرسالة . ومن أقسى الأمور على الكاتب أن يكتب وهو لا يعرف هل ستصل الرسالة إلى المرسل اليه أم لا . فان حالى الآن يشبه حالى عندما قامت الحرب العالمية الثانية ، وأعلنت الرقابة ، وأصبحت أجلس فى مكتبى بآخر ساعة لأكتب مقالاتى ، ولا أعرف هل ستصل إلى القراء ، وترى النور ، أم يقرأها سوى الرقيب ! وأذكر أننى فى تلك الأيام ضقت بهذا الحال ، وفكرت فى اعتزال الصحافة .. ولكنى لا أستطيع أن اعتزل الكتابة اليك .. فأنا أريد أن أكتب اليك ، وأن أكتب كثيرا ، ولكنى أشعر أن يدى ليست طليقة . فهناك موضوعات محرمة علىّ الكتابة فيها ! محرم علىّ أن أكتب عن زملائى فى السجن . ومحرم أن أكتب عن نظام السجن .. ومحرم أن أكتب اقتراحات لتحسين السجون كل شىء محرم سوى ارسال ما أريد من التحيات والأشواق وأن صحتى على أحسن ما يرام . بينما أنا أحب أن أفتح لك صدرى . أن أذكر كل شىء عن حياتى هنا . لأننى أعرف مقدار شوقك أن تعرفى كل شىء !

وهكذا عندما أجلس لأكتب ، لا أكاد أخط سطرا حتى أكتشف اننى أخرج على التعليمات ، فأعود وأمزق الورقة ، وأن أبدأ من جديد . فأنا مثلا لا أستطيع أن أكتب لك أن أحد زملائنا هنا اصيب بالتيفويد . ولكن الأطباء مكثوا شهرين يعالجونه على انه مصاب بالانفلونزا . إلى أن اكتشف المستشفى أنه مريض بالتيفويد ، فنقل إلى مستشفى الحميات ! وعلى الأثر

اصبت بحالة ذعر ! فان المريض كان يحضر إلى غرفتى ، ويجلس على سريرى ، وأذهب إلى غرفته ، وأمشى معه فى الدهاليز . ولكنى أمسك الخشب لقد مر حوالى أسبوعين على اكتشاف المرض ، ولم أشعر بشىء !

هنا يريدون أن يضعوا خطابات المسجونين فى زنزانات يصنعها الخوف والرعب . يريدون أن يقيدوا كلمات المسجون بسلاسل وأغلال خشية أن تهرب الحقيقة إلى خارج السجن فيعرف الناس حقيقة المظالم التى يتعرض لها المسجون السياسى فى بلادى .. أنهم هنا لا يخافون من القاتل أو رئيس عصابة اللصوص أو سفاك الدماء . هؤلاء هم فى بلادنا أعداء القانون . أما نحن المسجونين السياسيين فأعداء الدولة والدولة فى بلادنا أهم من العدالة ومن القانون أنهم يذعرون أن تخرج الحقيقة إلى الناس فيعلم الناس عن الجرائم التى ترتكب فى التحقيق ، والمذابح التى تحدث فى السجون .. والعدالة التى تداس بالأقدام . وهم يتصورون أنهم بالتضييق على خطاباتنا سوف يمنعون الحقيقة أن تخرج للناس ، وتوقظ النائمين وتنبه الغافلين وتفتح عيون الحالمين . ولكنى مؤمن أن الحقيقة سوف تخرج إلى الناس ، مهما طال حبسها فى زنازين الارهاب ! ولقد امتد التضييق إلى اتفه الأمور . كل شىء أصبح هنا سرا حتى اسم الحارس .. وأنا مثلا لا أستطيع أن أقول لك أنه قيل لى من شهر أننى سأنقل من هنا خلال عشرة أيام . ومرت عشرة أيام . وعشرة أيام ، وعشرة أيام ، ولم يحدث شىء ! ولكنى أعرف أن حبال الصبر طويلة ، ولعلك تذكرين اننا كنا عندما أخرجنا من أخبار اليوم فى نهاية ١٩٦٠ نتصور اننا سنعود إلى أخبار اليوم بعد شهرين ، فلم نعد اليها إلا بعد ١٦ شهرا .. ومع ذلك فاننى لست متشائما ، مازلت أتصور أن سببا سيحدث قبل ٢٣ يوليو ، أو لمناسبة ٢٣ يوليو ، وأن التصديق على الأحكام سوف يتم فى حوالى ذلك التاريخ . فإذا لم يحدث هذا فمعنى ذلك أن الموقف سيبقى كما هو إلى ما بعد فصل الاجازات .

ولقد تذكرت حديثك لى فى الرسالة الأخيرة من أن حماة فائق السمرائى قالت انه متفائل جدا ، وأن تفاؤله انتقل إلى قلبك ، وأنا أقابل كل هذا التفاؤل بحذر لأن العدالة فى اجازة ولم تعد من اجازتها بعد .. واننى أضيع أغلب الوقت فى القراءة ، وأقرأ الآن مذكرات ديجول ، وانتهيت من قراءة مذكرات طبيب تشرشل ، وانتظر بفارغ الصبر مذكرات ماكميلان . ولقد خطر ببالى أن أملأ وقتى بكتابة مذكراتى ، ولكن عدم الاستقرار ، وعدم تمتعى بحرية الكتابة ، وعدم وجود مراجع ، جعلنى أعدل عن الفكرة . وقد فكرت أن أكتب بعض القصص ، ولكنى عدلت للسبب نفسه ،

وأتصور أن أصدقائى خارج السجن يتصورون أننى سأخرج من السجن أحمل عشرات الكتب والقصص والمذكرات ، وسوف يصابون بخيبة أمل ، عندما يعرفون أننى لم أكتب سوى خطابات . وفى بعض الأحيان أشعر اننى نسيت الكتابة ! ولكن كثرة الموضوعات والأفكار التى فى رأسى تطمئننى إلى انى مازلت كما أنا !

ولقد بدأ موسم الصيف فى السجن . وفى هذه الأيام اعتدت أن أستأجر بيتا فى الاسكندرية وقد رأيت أن من المناسب تحويل زنزانتى إلى مصيف ! ولهذا أجريت تعديلا فيها . فأرسلت معاطفى إلى البيت ، ودهنا حائط الزنزانة بالجير .. ووضعت البطاطين تحت المرتبة . فأصبحت مريحة أكثر من ذى قبل . وعدلت عن أن استحم فى الغرفة ، فأصبحت أخرج فى الصباح ، واستحم فى الحمام العمومى ! وكنت أخجل فى اول الأمر أن أقف عاريا ويدخل المساجين ، ثم لم ألبث أن تعودت على هذا ، وأتبادل الحديث مع المسجونين ونحن تحت الدش أو هم فى التواليت .. وكل هذا يجرى فى غرفة واحدة !

وأطلقت على اسم الدهليز الداخلى فى السجن ، أمام الزنزانات اسم « الكورنيش » وأصبحت أمشى على هذا الكورنيش باستمرار وأتخيل ان الزنزانات هى أكشاك الاستحمام ، وأن المساجين أنصاف العرايا ، هم السابحات الفاتنات على البلاج !

ويظهر أن المسئولين فى السجن قرروا الاحتفال بقدوم فصل الصيف أيضا فقد قيل لنا أنه صدرت التعليمات بأن تمنع فسحة المسجونين السياسيين فى حوش السجن الخارجى ، لأن أهالى المساجين يروننا ، وأن تكون الفسحة فى حوش خلفى مخصص للزبالة ! وهو حوش صغير جدا يمشى فيه الذباب على هيئة استعراضات وهذا ما يجعلنى أتصور أننى لن أنزل فى الفسحة أبدا ، ولن أتضايق من هذا ، فاننى بسبب شدة الحر ، أصبحت اختصر سيرى فى حوش السجن من ساعتين إلى نصف ساعة . وأنا أعزى نفسى بأن هذه التضييقات الصغيرة هى دليل على أن الفرج قريب . وأحمد الله أننى استطيع دائما ان الائم بين نفسى وبين التغييرات الاضطرارية ، فأستطيع بذلك أن أحول الفسيخ إلى شربات ! ومادام عندى السجائر التى أدخنها ، والأطعمة التى أريدها ، والصحف التى اقرؤها ، والملايات النظيفة التى أنام عليها ، وملابسى الداخلية التى أغيرها كل يوم ، فاننى أستطيع أن أضحك ، وأحلم ، وأتخيل ، وأتفاءل ..

وفى بعض الأحيان أقول لنفسى الحكمة التى تقول « لو أطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » وأعزى نفسى بأن أقول ربما أن هذه الحياة التى

أعيشها هنا هى أحسن كثيرا من الحياة فى سجن آخر .. فأنا أعيش الآن فى مفترق طرق . وقد تجىء يد وتدفعنى إلى الحياة أحسن ، أو تجىء يد وتدفعنى إلى حياة أسوأ . ولكنى مع ذلك أعتقد وأتصور أنه حتى لو حدث أسوأ الأمور ، فان هذا سيكون شيئا مؤقتا ، وأن النهاية المؤكدة ، أن الفجر سوف يجىء بعد الظلام . وهذا الايمان المطلق ، يجعلنى احتمل أى شىء ، ولا تصدمنى الصعوبات ، أو التعليمات المشددة .

ومن الطريف أنه حدث فى هذا الأسبوع حادث طريف ، فقد طلبت مقابلة المأمور ، فعملت أنه فى الخارج ، وعندما عاد من الخارج أرسل فى استدعائى . وجاء الحارس يطلبنى لمقابلة المأمور . وما كاد زملائى فى الدور يعلمون بهذا حتى اصيبت بطونهم بالمغص والاسهال ! لقد تصوروا أن الأحكام صدرت ، واننى استدعيت لابلاغى حكمى ، لأن قضيتى هى الأولى . وبعد أن انتهت مقابلتى للمأمور صعدت وأنا ابتسم ، فلما أروا ابتسامتى أخذوا يصرخون : براءة براءة ! وعندما أخبرتهم بالحقيقة لم يصدقوا ! وتصوروا اننى أخفى عنهم الخبر !

وكلما ازداد الجو حرارة ، وطالت المدة تكهربت الأعصاب ، ولكنى أحمد الله أن أعصابى بشهادة الجميع ، لا تزال أقوى الأعصاب . واننى قادر أن ابتسم وسط هذه الكآبة ، وأن انقل تفاؤلى إلى قلوب كثيرة هزها السجن ، وحطمتها الوحدة ، وعصرها القلق .

والرسائل التى أتلقاها منكم أعيش عليها ، حتى تجىء الرسالة التالية ، وأشعر بألم أننى لا أستطيع أن أكتب لكم ردا على كل رسالة . ولو كان الأمر بيدى لكتبت اليكم فى كل يوم . ولكنى أجد كأن خطاباتى فاضية . لا شىء فيها ، لا ترد على أسئلة . ولا تحمل أخبارا جديدة . لقد سررت كثيرا عندما علمت أن احسان عبدالقدوس عين رئيسا لأخبار اليوم ، ومع أن أخبار الصحافة تصل إلىّ بانتظام ، إلا اننى استطيع أن أعرف أخبارها من قراءة الصحف . وقد فهمت من هذه التعيينات ، وتعيين ناصر فى الأهرام . أن مسائل الصحافة كانت موضع بحث ، وكنت أتوقع تعيين رئيس تحرير جديد لآخر ساعة . وأتصور أن الذى عرض على احسان فى أول الأمر هو رياسة تحرير آخر ساعة ، ولكنه فضل أن يكون رئيس تحرير أخبار اليوم . وأرجو أن يكون بعد هذه التغييرات بداية نهضة فى صحافتنا ، فاننى لا أزال أشعر انها فى حاجة إلى دفعة قوية . وأنه يجب أن تتحرك إلى الامام .

ولقد ذهلت لأننى أقرأ أشياء هامة فى الصحف الأجنبية ولا أجد فى صحفنا شيئا منها . ولكنى أعتقد أنه مع الوقت سوف تنتصر صحافتنا على هذا الجمود وهذا الكسل !

صحافتنا فى حاجة إلى الحرية أكثر من حاجتها إلى الحبر والورق ! كان المحرر يكتب فى الماضى وهو يتجه إلى الشعب ، أصبح الآن يكتب وهو يتجه إلى الحاكم ! الشعب كان يستطيع أن يرفع مرتب الكاتب باقباله على ما يكتب ، ويخفض مرتبه إذا انصرف عنه . أصبح الحاكم الآن هو الذى يعين الصحفى ويرفته ، هو الذى يختار رؤساء التحرير ، هو الذى يحكم على الكاتب بالحياة أو الموت ! ولقد كانت عندنا جريدة « وقائع رسمية » واحدة ، والآن أصبح عندنا أربع جرائد تشبه « الوقائع الرسمية » بأسماء مختلفة ! ان الذين أطفأوا الأنوار فى شارع الحكم تصوروا أنهم بهذا الظلام الذى نشروه جعلوا الحاكم حرا يفعل ما يشاء بغير رقيب ، وأنا أعتقد أنهم ارتكبوا فى حقه خطيئة كبرى . ان هذا الظلام سيؤدى به إلى الاصطدام أو إلى الوقوع فى « الحفر » التى لا يراها فى الظلام ! ولن يضيئوا الأنوار قبل أن يسقط الحكام فى الحفرة !!

وإلى اللقاء .



أرتفع مستوى السجن

سجن الاستئناف
فى ٧ يونيو سنة ١٩٦٦
عزيزتى
عندما تصلك هذه الرسالة يكون قد مضى على فى السجن حوالى العام ! ان الاحداث التى مرت بى جعلت هذه الحياة تمضى بسرعة ، ولكنى احمل همكم انتم ! انتم الذين قطعتم هذا العام فى ألف عام ! ان المشوار سوف يطول . فبعد يوليو ستجىء اجازات الصيف ، ومعنى هذا ان المسائل قد لا يبت فيها قبل شهر اكتوبر أو نوفمبر . وعلى كل حال فمهما حدث فاننى استطيع الاحتمال . ومستعد لأسوا الاحتمالات والفروض . وايمانى بالله لا يتزعزع ، بل أنه يزداد يوما بعد يوم . وكل الذى اتمناه ان يمنحكم الله قوة احتمالى ، وقوة ايمانى ، فأننى احمل همك اضعاف ما أحمل همى ، وان ثقتى بان الله لن يتخلى عنا تجعلنى مطمئنا كل الاطمئنان الى المستقبل ، مؤمنا بأن الغد سوف يحمل لنا السعادة والحرية.

وكلما ضاقت الامور داخل السجن احسست بأن الفرج يقترب ، فكلما اشتدت الازمة انفرجت . وكلما اظلم الليل اقترب موعد اذان الفجر . ولقد حدثت تغييرات فى نظام السجن . فبعد ان كانت الزنزانه تترك مفتوحة من الصباح الى الساعة السادسة بعد الظهر اصبحت تغلق على المسجونين السياسيين اغلب الوقت . وبعد ان كنا ننزل الى ردهة السجن الخارجية ساعة فى صباح كل يوم اصبحنا ننزل نصف ساعة فى الصباح ونصف ساعة بعد الظهر فى ردهة خلف السجن مخصصة للزبالة ! ونفتش كل مرة عند دخولنا فى الفسحة عند خروجنا من الفسحة ! وبعد ان كانت غرفنا تفتش مرة فى الاسبوع اصبحت تفتش مرة كل يوم ، واحيانا تفتش مرتين فى

اليوم . وقيل فى تبرير تفتيشنا قبل الفسحة ان بعض المسجونين السياسيين اعطوا خطابات لبعض الزائرين فى اثناء الفسحة . ولقد تعودت ان احترم التعليمات ، ووضعت لنفسى قاعدة والا اعترض على أى شىء ، فما دمت لم اعترض على السجن فلا يجوز ان اعترض على تعليمات السجن ، فالذى يصاب بالسرطان لا يجوز له ان يشكو من دمل أو فسفوسة او جرح اثناء الحلاقة !

وبعد ذلك سمعنا ان هناك اقتراحا بنقلنا من سجن الاستئناف الى سجن القناطر .

وعيب سجن القناطر انه سوف يكون بعيدا ، والعيب الثانى اننا عرفنا الانظمة هنا ، وعرفنا المسئولين وطباعهم ، وتعودنا عليهم وتعودوا علينا . ولكن يقال ان سجن القناطر اوسع كثيرا من هذا السجن ، وبه حدائق ، وفيه حوش للعب الكرة ، وصالة للسينما ومكتبة . ويقال كذلك انه انظف من هذا السجن الذى كان يشاركنا فيه الى وقت قريب مسجونو التسول . فقد كان البوليس يجمع المتسولين ويضعهم هنا ، وكان عددهم يصل الى المئات ، ويكونون الاغلبية بين المسجونين .

ولم يتقرر بعد شىء فى شأن هذا الاقتراح . وسوف تظهر نتائج هذا الاقتراح فى خلال اسبوع او اسبوعين . وانى آمل ان يتقرر نقلى الى المستشفى قبل ان يتقرر النقل الى سجن آخر ، وكفى الله المؤمنين شر السجن الثالث !

وان الحر الشديد بدا يدخل الى الزنزانة . واصبحت اغرق فى عرقى . ولهذا فاننى استبدل بيجامتين فى الليلة الواحدة . ولكن بقى يومان فى شهر يونيو . وسيبقى ٦٠ يوما بعد ذلك فى الصيف ، وممكن احتمالها كما احتملنا الايام الماضية . والحديث عن الحر ، وازدياد الحر ، يضيف موضوعا جديدا الى مواضيعنا التى قتلناها بحثا من كثرة التكرار ، ويمكن ان نعتبر الحر نوعا من التغيير فى حياة مملة لا تتغير ابدا ، ومع ذلك فان اليوم يمضى بسرعة ، فان لدى اشياء كثيرة اقوم بها ، واشخاصا كثيرين اتحدث معهم ، وقد ارتفع مستوى السجن ، بسبب كثرة عدد الموظفين ومديرى الشركات واعضاء مجالس الادارة الذين يدخلون السجن الآن !!

وانى آسف على اننى لا استطيع الكتابة لك بانتظام . أن الكتابة ليست سهلة . أنها مليئة بالتعقيدات . وأشعر ان كتابتى لك تمر بكثير من الايدى . ولهذا عندما اجلس لاكتب اشعر كان يدى مقيدتان . لا تستطيع يدى ان تنطلق وتكتب عشرات الصفحات كما تريد ان تفعل وتتمنى ،

ولكنى مع ذلك اشعر انه سيرضيك ان اكتب لك ولو سطرين ! والسطران يساويان كتابين كاملين . فلقد عودتنى ان تعرفى شعورى ، واحساسى دون ان افتح فمى . ولكن يهمنى ان تعلمى ان حالتى طيبة ونفسيتى طيبة وايمانى قوى . واعتقادى لا يتزعزع بأنه لا بد ان هنك حكمة الهية ، وفائدة حقيقية فى الظلم الذى وقع على . فكل يوم يمضى يزيدنى اعتقادا بأننى خدمت بلدى ، واننى قدمت لها خدمات اكثر مما هو مطلوب منى كمواطن ، وقد تكون هذه هى غلطتى الوحيدة ، ولكننى احببت بلادى لدرجة اننى شعرت ان واجبى ان اقدم لها اكثر مما تطلبه منى . وكنت اتعذب عندما ارى الوف الناس يتفرجون ولا يعملون شيئا لها . واعجب لهؤلاء الذين يجلسون على الشاطىء ولا يمدون ايديهم لبلادهم فى أثناء العاصفة . فاذا كنت غرقت وانا احاول ان اقدم مساعدة لبلادى ، فهذا شىء لا يضايقنى . بل اننى آسف ان ليست لى اكثر من حياة واحدة اقدمها لبلادى . ما أشبهنى برجل رأى المرأة التى يحبها تتعرض للغرق ، فألقى بنفسه فى البحر لينقذها ، وبينما هو يحاول ان يحملها على ظهره ، مست يده ثوبها ، فقدموه الى المحاكمة بتهمة فعل علنى فاضح ، ونسوا انه عرض حياته للموت من أجل انقاذها .

ولقد وصل الى هنا احد موظفى شركة الاسوشيتدبرس ، وهو متهم باختلاس مبلغ ٤٠ الف جنيه ، وكان يعمل مديرا للشركة . ويقول ان كل الصحفيين الاجانب الذين كانوا يترددون على الوكالة كانوا يقولون أنهم متأكدون اننى برىء . ولقد سررت أن هذا هو شعور الرأى العام الأجنبى ، بعد أن عرفت أن الرأى العام فى بلدى يؤمن ببراءتى . ومهما حدث فان الذى يهمنى هو التاريخ . اننى لا يهمنى اقوال رجال السلطة ، ولكن الذى يهمنى ان يقول التاريخ الحقيقة كاملة . وارجو أن تكتبى ذات يوم هذا التاريخ ، أو أن تعيشى حتى تقرئى ما يقوله التاريخ . واننى اتصور بغير غرور ، انه ستظهر فى يوم من الأيام ، كتب بعدة لغات ، ستذكر قصتنا ، وتنشر تاريخنا ، وهذا عندى يساوى أن أسجن . اننى اشعر أننى تمتعت بحياتى كما لم يتمتع بها أحد . حققت انتصارات لم يحققها احد . قدمت لبلادى خدمات لا يتصورها أحد . ولقد حرصت دائما أن أكتمها ، ولا أفاخر بها ، ولا أتحدث عنها ، ولهذا فاننى مطمئن أن التاريخ سوف يتحدث عما لم نتحدث عنه . سوف يتحدث عن دورنا فى تأييد ثورة ٢٣ يوليو . كيف حاربنا التدخل البريطانى للقضاء على الثورة . كيف وقفنا مع عبدالناصر فى أزمة مارس . كيف قمنا بدور هاد فى

مفاوضات الجلاء الأولى ، ومفاوضات الجلاء الثانية . كيف لعبنا دورا في تأليب الرأى العام العالمى ضد هذا العدوان . كيف قام أخى باتصالات مع حزب العمل البريطانى ليقاوم العدوان . كيف قمت بجهود ضخمة من اجل المعونة . وعشرات المواقف الأخرى المعروفة والمجهولة . فاذا نسيها الجيل الحاضر أو تناساها ، فان التاريخ لا يمكن ان ينساها . أو يتناساها .

لقد تصورت اننى اخدم بلادى بالاتصالات التى كنت اقوم بها بأمر الرئيس ، لم اذع سرا واحدا ائتمنت عليه . ويكفى اننا عرفنا سر تأميم قناة السويس قبل اعلانه بأيام ، ولم يعرف به مخلوق .. انا وعلى أمين والدكتور سيد أبو النجا .

***

التليفونات لا تدق !

سجن الاستئناف

فى يوم الثلاثاء ٢٨ يونيو سنة ١٩٦٦

عزيزتى ..

الظلام يودع النور . كأنهما يتعانقان . فى حب وحنان . واتطلع من نافذة السجن الى السماء فأرى النجوم تتلاشى وتغيب . بعد ان سهرت طوال الليل تحرسنا . لقد جاء دورها لتذهب وتنام . تحمل معها دعواتنا واحلامنا وزفراتنا وتنهداتنا . وأشعة الشمس الأولى تتساقط على الارض ، والارض تشرب هذا الشعاع بلذة وباسترخاء وببطء وتمهل ، كانها شفتا شارب خمر ، يستطيب طعم النور فى نشوة وكأنه لا يريد أن يفيق !

ويرتفع صوت المؤذن يدعو الناس الى الصلاة . ويؤذن قلبى يدعونى للكتابة الى من أحب . فالكتابة الى الحبيب نوع من الصلاة والدموع التى يسكبها المسجونون اشبه بالضوء والزفرات والتنهدات وهى دعوات صامتة فى معبد الحب . وكما ان الصلاة شىء مريح جميل ، يهدىء اعصاب المؤمن ، يزيل اضطرابه ، ويحمله فوق السحاب ، يبعده عن لعنة الأرض ومتاعبها . فإن كتابة المحبين تريحهم . وتهدىء اعصابهم . وتزيل اضطرابهم ، وتحملهم الى عوالم جديدة من الاحلام . وكما ان الطفل عندما يحس الرعب من الوحدة يجرى نحو أمه ، ويدفن رأسه فى حجرها . فان العاشق فى حيرته ووحدته يسرع الى الورق يدفن فيه رأسه ، ويشعر فى هذا الورق الذى يكتبه الى الحبيب بنفس الراحة والهناء والاطمئنان الذى يشعر به الطفل وهو يضع رأسه فى حجر أمه .

ان هذه اللحظات من الفجر صامته ، ولكن القلوب تتكلم فيها اكثر مما تتكلم فى النهار والليل .

انها لحظات لذيذة حزينة . تصل فيها الذكريات والأحلام . كأنها مطار فى لحظة زحام . طائرات تهبط وطائرات تطير ! فالذكريات هى هبوط على

الأرض ، والأحلام هى صعود الى السماء ، وفى اللحظات هذه احس فى قلبى بنفس الحركة التى نجدها فى المطار ..

أفكار تدخل وتخرج . وتصعد وتهبط . وتصل وتطير ! وبعض الافكار لا تعرف بعضها كالمسافرين . وبعضها تحمل اثقالا كالحمالين . وبعضها أشبه بمهربات تفلت من جمرك الواقع وبعضها تتوقف لحظات للتفتيش !

وفى بعض الاحيان أقارن حياتى بين الماضى والحاضر . الدوامة التى كنت اعيش فيها . والهدوء الذى اقيم الآن فيه . التليفونات التى لا تكف عن الرنين .

كان على مكتبى خمسة تليفونات ومع ذلك لم تكن تكفى .. واليوم مضى على حوالى العام لم اسمع رنين جرس التليفون ! لقد كنت فى الماضى اتوسل الى الاجراس أن تتركنى خمس دقائق فى هدوء ، واضطر الى رفع السماعات حتى استطيع ان افكر . والآن رفعت السماعات كلها ، واصبح لا عمل لى الا التفكير ! والتفكير شىء مضن ومرهق ومتعب . ولكنى أحمد الله اننى لا أحمل على رأسى الآن سوى همومكم وهمومى . بعد ان كنت احمل على رأسى هموم البشر أجمعين . كنت أشعر اننى محاصر بالأحداث . لا استطيع أن أفلت منها ، كنت سجين عملى . كنت أحلم بعملى طوال الليل واستيقظ فزعا خشية ان أكون تأخرت عن موعد الذهاب الى مكتبى ، أو أن شيئا حدث فى الليل دون أن تعرفه الجريدة وتسبق به . وكنت أجرى الى مكتبى لاوقع على ساعة أخبار اليوم مع العمال ، وأنا رئيس مجلس الادارة الوحيد الذى كان يوقع على الساعة ! وأنا اليوم استطيع أن انام كما اريد ، أن اتمرغ على فراشى طوال الليل والنهار . لأول مرة أصبح لدى الوقت الذى أفكر فيه فى نفسى وفيمن احبهم ! كانت تمضى الشهور ، وربما السنوات . وأنا ناس نفسى ! لعل القدر اراد ان يعاقبنى لأننى اجرمت فى حق نفسى وحق من أحب ، أو أنه يعوضنى عن هذا النسيان ، فأعطانى كل هذا الوقت الطويل ووضعنى مع نفسى فى زنزانة واحدة ! ولكنى اشعر بالشقاء فى انفرادى بنفسى وبمشكلتى . اشعر أننى أنانى . ان سعادتى فى التفكير فى الناس ، كل الناس : اننى اشبه بشخص سجن فى غرفة المرايا ، مهما تطلع فوقه وتحته ، وعن يمينه ويساره لا يرى الا شخصه ! فالحرية هى حريته ، والطعام هو طعامه ، والمستقبل هو أمله فى الخروج من السجن ، وهكذا احس كان الدنيا ضاقت حتى تحولت الى زنزانة ، وان سكان العالم انقرضوا حتى اصبحوا واحدا . كأن الدنيا بدأت بآدم

وانتهت بآدم وحده ! ولكن روحى تغافل حراس الزنزانة ، وتنطلق منها ، الى العالم الواسع . فأنني اسمع تليفونات مجهولة تدق باستمرار .
ارى الناس الذين احبهم . افكر في مشاكلهم . اسعد لانتصارات بلادى . وكأنني اشارك فيها . اتعذب مع عذابها ، وأفرح لافراحها . واحترق عندما اقرأ عن حريق في قرية . واحس ان شيئا سرقوه من جيبى عندما اقرأ عن اختلاس في مصنع . واقرأ الصحف وكأنني مازلت اكتب . واتامل المنشيتات وكأنني انا الذى صنعتها . ان روحى تهرب من الزنزانة كل يوم ، وتذهب الى أخبار اليوم ، وتجلس الى مكتبى ، وتعقد اجتماع الاخبار الصباحى تناقش المحررين فيما يجب عمله ، وتحاول ان تحلل الاحداث الخارجية وتضع الردود على اتهامات خصومنا ، وتصنع الحملات من أجل بلادنا .
ان روحى لم تستسلم للسجن ابدا . ان جسمى هو الذى يعيش في زنزانة . ولكن روحى منطلقة ، تتمتع بكل حريتها ، تطوف الدنيا ، تتحرك هنا وهناك ، لا تستقر في مكان واحد . تتحدث الى الناس . تسمعهم . تعيش معهم . تسمع نجواهم وتعرف أخبارهم . وهذا شىء يسعدنى ويعذبنى . ولكن روحى تختنق عندما تحس ان هناك اشياء كثيرة تستطيع ان تقدمها لبلادها ، ولا تستطيع ثم اتذكر اننا اخرجنا مدرسة من الصحفيين . مئات من الشبان . بعضهم علمناهم في أخبار اليوم . وبعضهم علمتهم في الجامعة . ان هؤلاء يستطيعون الآن أن يفعلوا لبلادنا اكثر مما فعلنا .
ان يحققوا حلمنا بأن تصبح بلادنا صحافة عالمية .. ثم أحمد الله أنه اعطانا شيئا عظيما جدا . أن الهرم الذى بناه خوفو ، يجب ان تذهب الى الجيزة لتراه . ولكن الهرم الذى بنيناه يدق كل صباح يوم على باب كل بيت ، ليمسكه الناس بأيديهم . فأنا اشعر انني حى في الصحف التى أنشأناها ، أنطلق فيها ، أتحرك معها ، أتنقل معها . أقترب من قرائى ، كلما اقتربت نسخة من جرائدنا من عيونهم ! ما كان اتعسنى لو أن الجرائد التى أنشأناها هى التى سجنت ، وبقيت انا مطلق السراح ! يسمع الناس صوتى ولا يسمعون صوتها . يروننى ولا يرونها يصافحوننى بأيديهم ، ولا يلمسونها كل يوم بأيديهم ! أننى أتصور الباعة وهم يملأون الشوارع ينادون على الأخبار وأخبار اليوم ، كأنهم ينادون على اسمى واسم اخى .
ان هذا شىء لذيذ جدا . ان صوتهم يصل الى داخل زنزانتى . ان حياتنا اسطورة وهذا الذى يحدث لنا هو ملامح درامية فيها .

التفتيش . !

سجن الاستئناف
أول يوليو سنة ١٩٦٦
عزيزتى ..

فى يوم الاربعاء ٢٩ يونيو سنة ١٩٦٦ ذهبت الى جلسة محكمة الجنايات للنظر فى قضية محمد حمدى التى رفعها على أخبار اليوم . أن المسافة قصيرة جدا بين سجن الاستئناف ومحكمة الجنايات . نحن جيران . اننى أمشى فى التراب حوالى ٢٠٠ متر إلى أن أصل إلى المحكمة . يتقدمنى ضابط البوليس ، وورائى ضابط مباحث وعسكرى .

العسكرى يحمل فى يده قيدا حديديا . ولكنهم لا يضعون فى يدى القيد الحديدى ، مرتين وضعوا فى يدى القيد الحديدى . المرة الأولى يوم القبض على ، والمرة الثانية عندما نقلت من سجن المخابرات الى سجن الاستئناف . ولكن بعد ذلك ، حتى فى أيام المحاكمات كانوا يحضرون القيد الحديدى ولا يضعونه فى يدى ! ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى يوضع فيها القيد الحديدى فى يدى . لقد وضع القيد فى يدى ويد أخى قبل ذلك بخمس وثلاثين سنة ! عندما نظمنا اضرابات صدقى باشا ونحن تلاميذ فى مدرسة الخديوية احتجاجا على الغاء الدستور . فأنا من أصحاب السوابق ! واجلسونى فى غرفة الضابط فى المحكمة الى أن تبدأ الجلسة . ورأيت هناك ياسين السفرجى والاسطى ابراهيم الطباخ . وتأثر ياسين عندما رآنى وانهمرت من عينيه الدموع . ثم دخلنا الجلسة وجلست فى مقاعد المحامين .

وكان محمد عبدالله المحامى الذى ترافع عنى امام الفريق الدجوى ، هو محامى الخصم هذه المرة . وكان المستشار الهوارى رئيس الجلسة رجلا ظريفا خفيف الدم ، يكثر من التنكيت والدعابة وجرى البحث هل اعلنوا على أمين أو لا . وجاءت النيابة بورقة عليها امضاء على أمين بأنه علم بالجلسة . واعطانى المستشار الورقة وسالنى هل هذا هو خط على أمين فقلت نعم . وقرر المستشار تاجيل الجلسة الى ٢٥ سبتمبر . وطلب من المحامين تقديم مذكرات .

وعندما خرجت من مقعدى وبينما أنا أمر فى صفوف الحاضرين كانوا يتلفتون الى وسمعت سيدة تقول : « قلبنا معاك » ورجلا عجوزا يقول « ربنا معاك » واحد المحامين يقول : ان شاء الله تخرج قريبا جدا . وهكذا اسير فى دعوات وابتهالات .

وعدنا الى غرفة الانتظار من جديد . وعلى بابها قابلت احسان جاد ونعم الباز من سكرتارية أخبار اليوم ، وكانت مصادفة جميلة .

ثم عدت الى السجن . واذا بى أجده مقلوبا رأسا على عقب . لقد حدث فى اثناء غيابى ان حضر رئيس التفتيش بمصلحة السجون وقرر ان يقوم بتفتيش مفاجىء لدور السياسيين . واحضروا عددا ضخما من جنود السجن . وجميع الضباط . ثم بدأت كبسة . فتش غرفتى اولا عدد من العساكر . ثم دخل ضابط وفتشها من جديد . ثم دخل المأمور وفتشها للمرة الثالثة ، ثم دخل مدير التفتيش وفتشها تفتيشا دقيقا للمرة الرابعة !

وعندما عدت من المحكمة ودخلت غرفتى لم اعرفها ! ان كل شىء كان مقلوبا ومبعثرا ولم يجدوا عندى أى شىء أو أى مخالفات سوى شبر فى زجاجة كولونيا . ولم يجدا أى شىء فى الغرف الاخرى التى فتشوها بنفس الطريقة . وكانت هناك معلومات بأن السياسيين لديهم ممنوعات ولكن لم يجدوا أى شىء ممنوعا ! والذى كان عندى لم يكن كولونيا بل دواء أمسح به قدمى لاصابتى بمرض النقرس . وجلست مع المامور ورئيس التفتيش . وقال لى رئيس التفتيش ان السجن ملىء بالمحرومين والعرايا . وان دخول الطعام وحقائب الملابس امامهم يثير حقدهم فينهالون بشكاوى على المأمور والضباط . وقال أن من رأيه أنه لا يجوز وضع المسجونين السياسيين فى هذا السجن ووضعهم فى سجن آخر . ويبدو ان فكرة نقلنا الى سجن آخر اصبحت تتردد بكثرة فى هذه الايام . مما يجعلنى اعتقد اننا قد ننتقل الى سجن القناطر بين يوم وآخر . وعيب سجن القناطر انه مشوار عليكم . فالمسافة هى نصف ساعة فى الذهاب ونصف ساعة فى العودة .

والمسجونون السياسيون هنا اشقياء بهذا الاتجاه ، خصوصا وهم يتحدثون الى زوجاتهم يوميا من النوافذ . وكثير منهم فى حالة مالية سيئة لا يستطيعون دفع مصاريف الانتقال يوميا الى سجن القناطر . وهناك بناء السجن بعيد عن الشارع ، ولا يمكن التحدث من النوافذ كما هو الحال الآن . وقال السجانون ان عملية التفتيش التى حدثت ذلك اليوم لم تحدث لها مثيل منذ انشاء السجن . ولابد أنهم كانوا يبحثون عن شىء خطير لان الطريقة التى تم بها التفتيش كانت دقيقة جدا وغريبة ، واشبه بخطة حربية ! فالجنود لم يعرفوا بمهمتهم الا قبل نصف دقيقة من بدء التفتيش .

والمسجونون اخرجوا من غرفهم وطلبوا اليهم عدم الدخول فيها . والوقوف امامها وتصور المساكين من الطريقة التى صدرت بها هذه الاوامر انهم يصفونهم ليعلنوهم بالاحكام . فكاد بعضهم يقع على الارض مغمى عليه من الفزع ! وقال لى المأمور أنه لاحظ ان فى زنزانتى ثلاث بدل ، وانه يكفى بدلة واحدة . فقلت له سأحتفظ ببدلتين وارسلت الثالثة الى البيت .

وقال أنه لاحظ ايضا ان الزنزانة فيها حقيبتان وتكفى حقيبة واحدة . فقلت له ان الحقيبة الثانية لم تدخل سوى اليوم وفيها الغسيل . فقال أعرف ذلك ، لأننى ، بعد خروجها من التفتيش ، احضرتها الى غرفتى وفتشتها بنفسى ولم اجد فيها اى شىء . وقال ان عندى كتبا كثيرة ويجب ان اكتفى بثلاثة كتب وارسل الباقى الى البيت ! ثم قال انه لاحظ وجود « كمثراية» اضىء بها النور واقفله . وأن لمبة الكهرباء معلقة فوق السرير ، بينما يجب أن تكون اللمبة معلقة وسط الغرفة . واصدر اوامره الى الكهربائى بنزع « الكمثراية » وبنقل اللمبة من موضعها . ومعنى هذا أن اعود واتشعلق على الباب ، وأمد يدى من الحديد ، كلما اردت ان اغلق النور وافتحه . وكان هذا الشىء يعذبنى فى أثناء الشتاء القارص ، ولكن الحمد لله ان الجو حار ، واستطيع أن أقوم بهذه المهمة . ثم جاءت مشكلة وضع اللمبة فى وسط الغرفة وهذا يجعلنى لا استطيع القراءة وأنا نائم . ولما كانت الحاجة أم الاختراع . فقد حللت هذه المشكلة . واصبحت اضع رأسى فى السرير فى المكان الذى كنت اضع فيه قدمى ، واضع قدمى حيث كان رأسى ، وبهذه الطريقة اصبحت اللمبة فوق رأسى ، واصبحت القراءة ممكنة ! وعلمت بعد ذلك أن سر التفتيش انهم علموا ان خطابات تصل الى والحمد لله لم يعثروا على شىء !

ثم حدثت مأساة في اليوم التالى ، وهو اننى اكتشفت في البيجاما التى ارتديها « بقة » وقتلت البقة ، وساح دمها على البيجاما ! ويظهر أن هذه البقة حضرت مع عملية التفتيش ! ثم حدثت مأساة أخرى ، وهو أن ماسورة المجارى التى في الحمام الذى فوق غرفتى انكسرت ، وراحت مياه المجارى تتسرب على حائط زنزانتى ! وشكوت ، ولكن مضت ٢٤ ساعة دون أن أجد من يصلحها ومما يؤسف له أننى في هذا الجو الملىء بالميكروبات والحشرات ممنوع من استعمال الكلونيا ! والذين دخلوا غرفتى للتفتيش فتشوا الارض والجدران ، ولم يفكروا في أن يرفعوا رؤوسهم الى سقف الغرفة ، أو أن البحث عن الميكروبات والحشرات ليس من اختصاصهم ! وأننى أعزى نفسى !

لقد أقمت في جناح في فندق سوفريتا في سان موريتس ، وفي فندق جورج سانك في باريس ، وفي سافوى في لندن ، وفي وولدورف استوريا في نيويورك وفي الشورهام في واشنطون وفي هيلتون في لوس انجلوس . لقد نمت في أجمل السراير وعلى اشهر المراتب طوال عمرى . ماذا يجرى لو دفعت هذه الضريبة ، ونمت هذه الشهور في سجن الاستئناف !

أننى انام على سرير ومرتبة ومعى نفس الدور من ينام على برش على الأرض ! ولهذا فأنا أحمد الله وأعتبر البقة التى زارتنى شيئا يحدث في أحسن العائلات !!

ولقد مر شهر يوليو . وسأحتفل بعد أيام بمرور عام على دخولى السجن والجميع هنا ينتظرون الفرج قبل ٢٣ يوليو . ويتصورون أنه سيفرج عنى في حوالى هذا التاريخ .

ولكن يبدو أن كل شىء واقف لا يتحرك . وتوقفت فجأة الاشاعات والانباء . وقد تكون هذه من علامات الساعة . وأنها دليل على اقتراب الفرج . ولكن صبرى لم ينفذ . وايمانى لم يتزعزع . وثقتى بالله لا حدود لها . ولهذا فإنا مطمئن الى الغد . أشعر أنه صديقى وحليفى وصاحبى ونصيرى . ومما يسعدنى كثيرا أن الناس لم ينسونى .. ولقد رأيت في عيونهم ونظراتهم وهمساتهم أثناء وجودى في محكمة الجنايات كثيرا من الحب والأمانى الجميلة . وهذا اسعدنى كثيرا . ان حب الناس يقوينى كثيرا ويضاعف ايمانى . لاتزال الدنيا مليئة بالناس الطيبين .

اننا لم نزرع ارضا وانما زرعنا حبا في قلوب كثيرة ، وقد نبتت هذه البذور وأينعت .

وأنا أحس أننا نعيش الآن في ظلها .

المخبأ .. !

سجن الاستئناف

٣ يوليو ١٩٦٦

عزيزتي

كنت قلقا عليك هذا الأسبوع أكثر من أى وقت مضى . كنت أعيش فى أوهام من صنعى .

وجاء خطابك فبدد لى هذه الأوهام وقضى عليها . وعندما أذكر هذه الأوهام اليوم أغرق فى الضحك وأسخر من تصوراتى الغريبة . ولكن يبدو أن الحياة فى السجن هى مصانع الأوهام . الميكروبات تتكاثر عندما تغيب الشمس . والأوهام والمخاوف تتكاثر فى ظلام الزنزانة ..

وكان يجب ألا أصاب بالقلق فى هذه الأيام بالذات ، فقد تلقيت فيها خطابات كثيرة كان يمكن أن أعيش عليها طويلا .. وتراكمت لدى الخطابات المهربة ، وكنت فى كل يوم أتفنن فى اخفائها فى مكان مختلف فى الزنزانة . واستطعت أن أهرب جزءا من لخطابات إلى خارج السجن ، وأبقيت عندى الخطابات الهامة . وشعرت بعد ذلك بألم غريب لفراق هذه الخطابات . شعرت بوحدة قاتلة . ولم أكن أتصور أن خطابات أصدقائى ستوحشنى هكذا إلا بعد أن فارقتنى ! إذا كان هذا حالى مع الورق فما هو حالى مع البشر ؟ كنت كثيرا ما أدس هذه الخطابات فى جيوبى ، وكنت أتحسسها من وقت إلى آخر كأنها محفظة نقودى . وكنت أشعر كأن أصدقائى معى باستمرار ، ثم عندما أخرجت هذه الرسائل شعرت كأننى وحدى ، ثم ندمت على أننى أخرجتها إلى خارج السجن ، ولكنى كنت أرى أنها رسائل ثمينة ، وكنت أخشى عليها من الضياع . وكنت أشعر أنها قطعة هامة منى . بل من التاريخ ، ويجب أن تكون فى مكان أمين . يجب أن تعيش حتى بعد

حياتنا . ولهذا رأيت أن تكون معك لتحفظ فى مكان بعيدا عن العيون !

ودسست هذه الرسائل تحت أوانى الطعام الفارغة . وأرسلتها إلى خارج السجن فى وقت كان فيه الضابط نائما ، والحراسة ضعيفة ، والرقابة مهلهلة ! ثم فوجئت عندما أخبرنى بعض المسجونين السياسيين أنه ظهر فجأة عند باب السجن رجل من المباحث ، وأنه أمسك بالسلة التى كانت فيها أوانى الطعام . وأنه فتش الأوانى باهتمام ، وأن التفتيش كان دقيقا ..

وأصبت بالرعب . لابد أنه عثر على الرسائل المهربة . لابد أنهم فتشوك تفتيشا دقيقا وعثروا على رسائلى . وتصورت أنهم فتشوا منزلك . وفتشوا منازل أصدقائنا .

وحمدت الله أننى لا أكتب إلى أصدقائى المقربين مباشرة ، لأننى أعرف أنهم تحت رقابة شديدة ، وأننى أكتب إلى أصدقائى غير الظاهرين ، لا يعرف أحد أنهم من المقربين إلىّ . ولكنى فزعت من أن يؤذى أحد بسببى ، وبدأت أندم على أننى أكلف الناس بما لا يطيقون ، وأننى أعرضهم للمخاطر والأهوال ! ثم علمت أن مخبر المباحث لم يجد شيئا !! ثم جاء بعد ذلك من يخبرنى بأن عددا من رجال المباحث فى داخل السجن ، وأنهم سيقومون بتفتيش السجن بعد منتصف الليل . وأسقط فى يدى . وعلمت أننى المقصود بهذا التفتيش . وعجبت أن يحدث التفتيش فى أيام متعاقبة !

وكان معى عدد من خطابات على وخطابات من أصدقاء ، وعناوين الأشخاص الذين أرسل إليهم الخطابات المهربة . وأحرقت بعض الخطابات . ومزقت بعضها إلى قطع صغيرة وألقيتها فى دورة المياه . ولكنى لم أستطع تمزيق خطابات أخى على وعناوين الأصدقاء . وحرت ماذا أفعل بهذه الممنوعات ؟

وقررت أن أخفيها فى زنزانة أحد المسجونين السياسيين معى فى الطابق الثانى ! ولكننى خشيت أن يفتشوا كل الزنازين فى الطابق الثانى ، وكل المسجونين السياسيين ..

وقررت أن أبحث عن مسجون غير سياسى . قاتل ، لص . تاجر مخدرات . نشال . كل هؤلاء فى أمان ! المجرمون وحدهم هم السياسيون !

وخطر ببالى أن أختار أحد المتسولين من المسجونين . الطابق الرابع فى السجن مخصص للمتسولين . واخترت متسولا اسمه عمر . شعرت منذ مدة وأنا أمشى فى فسحة السجن أنه يعتبر نفسه صديقى . نشأت صداقتنا

عن أننى أعطيته سيجارة بلمونت دون أن يطلبها . هذه السيجارة المتواضعة أسرته . أحس أننى قدمت له جميلا لن ينساه مدى الحياة . كان يريد دائما أن يرد لى الجميل ! عجيب أن يشعر متسول بكل هذا الجميل لأننى أعطيته سيجارة بلمونت .. وهناك من أعطيتهم ألوف الجنيهات فردوا الجميل بالخناجر والسكاكين ! بعض الملائكة يرتدون ملابس المتسولين ، وكثير من الشياطين يرتدون البنطلونات ، ويتشحون بالألقاب والأوسمة والنياشين !

وبعد أن أعطيت الخطابات للمتسول عمر سحبتها منه ، لأننى علمت أنهم سيفتشون جميع طوابق السجن ، بما فيها عنبر المتسولين !

وأخيرا اتفقت مع لص أن ينقذ الموقف ! أنه عثمان نوبتجى المأمور . وهو مسجون محكوم عليه بالسجن لأنه سرق ثلاثة جنيهات اشترى بها دواء لأمه المريضة بالسل وليدفع أجر الطبيب ! لقد شعرت دائما بأن هذا اللص هو من اشرف رجال السجن ، ولهذا لم أتردد فى أن أئتمنه على رسائل يعتبرها المسئولين كنزا ، وقد يستطيع بها أن يبيعنى ويشترى الخروج من السجن .

ولكنى لم أتردد فى الوثوق به ، الرجل الذى يسرق ويدخل السجن ليشترى دواء لأمه هو رجل غير عادى .

وكان عثمان هذا هو الذى ينظف ويمسح غرفة مأمور السجن كل صباح .. واتفقت معه على أن يخبىء الرسائل فى مكان لا يخطر ببال أحد أن يفتشه وهو مكتب المأمور نفسه .

وفتحنا مكتب المأمور فى غفلة من الحراس ، ووضعنا داخله الرسائل !

وبقيت ساهرا طوال الليل أنتظر التفتيش ..

وجاءت المباحث .

وفتشت كل طابق ، وكل زنزانة ، وكل ركن . فتشت دورة المياه والحمامات . فتشت الجدران والسقف . فتشت المسجونين جميعا ..

ولم تجد شيئا على الاطلاق !

ولكنها نسيت أن تفتش غرفة المأمور !

● ● ●

رقم قياسى !

سجن الاستئناف
٥ يوليو سنة ١٩٦٦
أخى العزيز

منذ وقت طويل لم أكتب إليك . أشعر أننى لم أتحدث إليك منذ سنوات طويلة .. أن الخطاب الذى أرسله إليك يمر على عدة أيد ، ثم ينتهى بألا يرسل ! وهم يقرأون خطابى إليك بالطول والعرض ، ومن فوق إلى تحت ، ومن تحت إلى فوق ، خشية أن أكون قد قلت لك فى الخطاب ممنوعات ! ثم يرون أن من الأسلم أن يحجز الخطاب . وكفى الله المؤمنين شر القتال ! وهكذا أصبح شرط الكتابة إليك أن يكون الخطاب تافها ورسميا ولا شىء فيه ! ولهذا رأيت من الأفضل الا أكتب فلقد تعودت فى الماضى عندما كنت أكتب إليك أن أفتح لك قلبى . ويظهر أن شعورى بأن ما أكتب يمر على عدة أيد يجعلنى لا أستطيع أن أكتب خواطرى ، بالرغم من أنها بريئة ، كما كنت أتردد أن أقف فى الحمام واستحم فى وجود مسجونين آخرين .. ولم ألبث أن تعودت على ذلك ، ويظهر أن المسألة هى مسألة عادة ، ومن أصعب الأشياء أن تكتب خطابا ولا تعرف هل سيصل أم لا يصل إلى المرسل إليه . تماما كما تكتب مقالا ولا تعرف هل سيرى النور أم يشطبه الرقيب .

أننى أمضيت اليوم الأسبوع الخمسين فى السجن ! لقد أمضى التابعى ٤ شهور فى السجن ومضى طول حياته يتحدث عنها . وأمضى العقاد فى السجن ٩ شهور ، وامضى توفيق دياب ٩ شهور ، ويظهر أننى ضربت الرقم القياسى . ولا يزال أهم شىء أفعله أن أمضى أغلب الوقت فى قراءة الصحف والمجلات والكتب . ثم فى حساب الأيام . أما الكتابة فهى عملية

شاقة . ولقد خطر ببالى أن أضيع الوقت فى كتابة سيناريو سينمائى . ولكنى لا أستطيع أن أركز تفكيرى بسهولة فى شىء كهذا . وقد يكون السبب هو عدم الاستقرار . فأنا لا أعرف هل أنا باق هنا ، أم ذاهب . هل سأنقل إلى سجن أم إلى مستشفى . ثم أن السجن اعتاد أن يأخذ من المسجون كل الورق قبل خروجه . وليس من المعقول أن أكتب سيناريو أو قصة ، ثم يأخذها السجن بعد ذلك . وهذا ما يجعلنى أكسل عن التفكير فى قصة أو سيناريو . وأعتقد أننى لو عرفت ما استقر عليه الرأى بشأنى فسأكون أكثر نشاطا مما أنا عليه . ولقد قيل : « لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » فاننى أفكر فى بعض الأحيان أنه ربما كان التأخير فى التصديق على الحكم فيه مصلحة أكثر من البت فيه ، ونقلى إلى سجن آخر . ولقد قيل لى منذ حوالى شهرين أن نقلى إلى المستشفى سيتم فى خلال عشرة أيام أو خمسة عشر يوما . ولكن مرت ٤ اضعاف المدة ولم تتحقق الأمانى . وقد يكون فى كل تأخيرة خيرة .. وقد يكون تتابع الأحداث وكثرة مشاغل الدولة هى سبب التأخير . وقد تكون مسألتى « كارت » فى الحرب الباردة . ولكن الملاحظ أنه لم يصدر حتى الآن أى حكم فى قضايا أمن الدولة وأن كان ترتيب قضيتى فى المحاكمات هو رقم واحد . وقد كنت أنتظر وصول سعيد فريحا من يوم إلى آخر . وحدث أن وصلنى كريز .. وتفاح .. وتصورت أن معنى هذا أن سعيد قد وصل . ولكن لم يصلنى ما يؤيد هذا ، فعرفت أن الكريز من أصدقائى فى القاهرة وليس من بيروت . ولقد سررت أن صحف سعيد تدافع عن القاهرة بحرارة ووعى ، وهى الصوت الذى يرتفع ضد حملات الاستعمار علينا . ولم يكن عندى شك فى يوم من الأيام فى أن سعيد مؤمن بقضية بلادنا ، وأنه يستطيع بكفاءته وإخلاصه أن يخدم بلادنا أعظم الخدمات . وأشعر أن أزمة مقتل كامل ردة مرت بسلام ، وأن سعيد نجا منها ، وهذا سيجعله يستطيع أن يترك بيروت ، ويحضر إلى القاهرة بضعة أيام . ولقد سررت أن اسم فائق السمرائى لم يكن بين الأسماء التى طلبوا القبض عليها بعد فشل انقلاب بغداد ، ومن حسن حظه أنه كان فى الصين فى أثناء الانقلاب . ولقد وصلت لى مربى قليلة السكر ، ومصنوعة فى لندن ، وتصورت أنها منك ، ثم رأيت أنها مربى فراولة . وهنا عرفت أنها لا يمكن ان تكون منك ، لأنك تعرف أن الفراولة ممنوعة بسبب مرض النقرس ، ومع علمى بذلك ، فإن « فجعتى » جعلتنى آكل منها ملعقة ، واعدتها فى نفس اليوم إلى البيت ، حتى لا تمتد يدى إليها ، فأصاب بأزمة نقرس فى السجن . ومن أكثر الأمور التى يخشاها المسجون أن يمرض فى

السجن فلا عناية إطلاقا بصحة المسجون وعندما يموت أحد المسجونين يفرح الممرضون فى العيادة ، فهذه فرصة أن يضعوا فى ملفه جميع الأدوية الناقصة فى العهدة ! ولا يستطيع المسكين أن يتكلم ويقول أنه لم يستلم دواء واحدا منها ، لأن الموتى لا يتكلمون !

ولقد امتلأ جسمي بحمو النيل بسبب العرق الشديد فى الحر ، وأنا الآن أعالج نفسى بنفسى ، وقد تحسن حمو النيل بعض الشىء . وأمضى بعض الوقت فى مقاومة الحشرات والذباب ، وقد نجحت فى هذه الحملة . وحدث أن فوقى تواليت ، وانكسرت الماسورة ، وتسربت مياه التواليت إلى زنزانتى ، وغطت الجدار ، وأصبحت أشعر كأننى أنام فى التوليت . وكانت حكاية ! وبسبب الروتين اقتضى الأمر أن يتأخر اصلاح الماسورة ، إلى أن استطاعت علبة السجائر أن تنجح فيما فشل فيه الروتين !

وقد بدأت فى السجن حملة ضد الجرائد القديمة ! ففى كل يوم يدخل الضابط والحراس للتفتيش ، ويأخذون الجرائد القديمة ، خشية أن نحرقها ، ونصنع فوقها شايا أو قهوة ! وأنا لم أفعل هذا مطلقا فإن القهوة تصل إلى يوميا فى ترموس ولكن التعليمات هى التعليمات !

وبعد أن كان المسجونون يعيشون على أمل أن يحدث البت فى قضاياهم قبل يوم ٢٣ يوليو تضاءل هذا الأمل ، وكلما مضى الوقت ، زادت حالتهم العصبية حدة ، وكثرت انيهاراتهم النفسية . وضاعف هذا من مهمتى ، وهى نشر الأمل بين اليائسين ، وإقناع الذين يفكرون فى الانتحار بسخافة هذه الفكرة ، ومعنا عجائز يفكرون فى الموت باستمرار . ولا عمل لى إلا أن أحاول حقنهم يوميا بمخدرات من الأمل والصبر والايمان . وأنا أشعر أن « فكرة » تركت فراغا فى نفوس الناس ، فان الشمعة التى كنت تضيئها كل صباح ، كانت تبعث النور فى القلوب المظلمة اليائسة ، وأنا أحاول أن أضىء هذه الشمعة فى محيطى . وأرجو أن يجىء يوم قريب ، وتعود إلى إضاءة هذه الشموع ، لا من أجلك ، بل من أجل الناس أجمعين .

والشىء الذى يستوقف نظرى هو أنه فى كل يوم يجىء لنا متهم جديد فى اختلاس من شركة ، أو رشوة ، أو اهمال جسيم . وهذه ظاهرة تستوقف النظر ، وتحتاج إلى علاج . فما هو سر انتشار الرشوة ؟ أعتقد أن السر هو شعور الموظف بعدم الاستقرار ، أو بأن باب الأمل فى الطريق الشريف مقفل أمامه .. ولهذا فهو يريد أن يخبط الخبطة بأسرع ما يمكن لأنه لا يضمن أنه سيبقى فى وظيفته فى اليوم التالى . ولقد قال لى مفتش السجون ، أن

السجون ضاقت ، وان فيها الآن ثلاثة أضعاف طاقاتها . وأنهم اضطروا إلى العفو عن الناس الذين أمضوا نصف مدتهم اضطرارا ، لأنه لا توجد أماكن خالية ، ولأن نفقات المساجين أكثر من اعتمادات المصلحة ! ولقد لاحظت أن انجلترا فيها نفس الشكوى حتى أن وزير الداخلية صرح بأن من رأيه أن يقلل القضاء أحكام السجن ، ويكتفى فى كثير منها بالغرامة .

اما حالتى المعنوية فجيدة ، وأعصابى قوية ، وصبرى لا حد له ، وثقتى بالله لا تتزعزع . وأحس بأن الذين حولى فى حاجة إلى . أو كما يقولون : أننى الميناء الوحيد الذى يلجأون إليه فى البحر العاصف الملىء بالزوابع والرياح .

ومن الطريف أننى قرأت فى كتاب السيد شوشة « أسرار الصحافة » فى صفحة ٥٠ عن والدى ما يأتى :

« بعد ولادة مصطفى وعلى أمين بسنة واحدة قبضت السلطات البريطانية على والدهما فى سنة ١٩١٥ وزجت به فى سجن الاستئناف بالقاهرة ، ووجهت إليه عدة اتهامات ، منها أنه يدعو إلى خلع السلطان ، وأنه يتلقى أخباره بالشفرة عن الانتصارات الألمانية .. وأنه يحرض على الخروج على الحلفاء » .

وضحكت عندما قرأت هذا ! أن التاريخ يعيد نفسه ! ومن يعرف أن كان أبى كان مسجونا فى نفس هذه الزنزانة أو نفس هذا الطابق ! وهكذا شاء الله أن يتكرر الحدث بعد خمسين سنة ! فأسجن فى نفس السجن الذى كان فيه أبى !!

ولقد ثبت من التحقيق أن التهمة التى كانت ضد أبى لا أساس لها من الصحة وأطلق سراحه .. فهل يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى ؟

والآن أقبلك وأضمك إلى صدرى ، وأرجو من الله أن يجمعنا فى أسعد الأوقات . أن قلبى يحدثنى بأنه لابد أن ينتهى هذا الظلام ، وأن الفجر قريب بإذن الله أننى أحصى الأيام التى مضت دون أن نلتقى فيها فأجدها طويلة جدا ، ولكنى أحمد الله على أن العلاقة بين التوأمين ، تجعل لقاءنا يحدث يوميا ، وفى كل لحظة . وفى كل ساعة . يكفى أننا نقرأ نفس الصحف ، ونتبادل نفس الأفكار ، ويملأ قلوبنا نفس الايمان والثقة فى الغد ، والفجر الجديد .

أن الأيام تمر بسرعة ! وكل يوم يمضى يقربنا من يوم اللقاء ، ونرجو من الله أن يمنحنا العمر ، لنعوض الذى فقدناه ، ولنستأنف خدمة وطننا الذى أعطيناه حياتنا ودمنا وعمرنا وكفايتنا .

أن الله أعطانا كل شيء تمنيناه . أنه لم يتخل عنا أبدا . أنه أعطانا دائما أكثر مما أملنا أو تخيلنا أو تصورنا .. فشكرا لله على ما أعطانا .. وما سوف يعطينا .

وإلى اللقاء .



مقلب فى السجن !



سجن الاستئناف
١٤ يوليو سنة ١٩٦٦
عزيزتى
أقبلك ، وأرجو أن تكونى والأسرة بخير .
أننى سررت عندما قلت لى فى رسالتك الأخيرة أن أخى سيتفرج على مباريات كرة القدم لكأس العالم . أننى أتصور وأنا أقرأ وصف المباريات أننى أشهدها معه . وعندى برنامج المباريات ، وفى الساعة التاسعة من مساء كل يوم أتخيل أخى جالسا يشهد المباريات . وهكذا أعرف يوميا ماذا يفعل ، وأعرف فى اليوم التالى نتيجة المباراة التى شاهدها . أنه شعور لذيذ أن أحس يوميا بما يفعل . فنحن برغم البعد الذى بيننا نعيش معا ، ونفكر معا ، ونتألم معا ، ونضحك معا أيضا ..
وقد حدث أن اتفق زملائى المساجين على أن نعمل مقلبا فى زميلنا الارهابى رقم ١١ . فنوهمه بأن أخى على وصل إلى مصر . واننى انتهزت فرصة ذهابى إلى محكمة الجنايات فى قضية أخبار اليوم ، وتبادلت أنا وعلى الأمكنة ! فالموجود فى السجن الآن ليس مصطفى أمين وانما هو على أمين ! وبدأت أمثل دور على أمين ، وغيرت طريقة حديثى مع الارهابى . وأصبحت أسأله عن أشياء خاصة به أتظاهر بأننى أجهلها ، مع أنه كان قد أخبرنى عنها من قبل . فقد سألته مثلا هل هو متزوج أم لا ؟ مع أن المفروض أننى أعرف أنه متزوج ، وأن زوجته تحضر لزيارته فى السجن . وإذا سألنى عن شىء أجبته اجابة تختلف عن اجابتى قبل ذلك . وبدأ الارهابى يشك ! ويتحير . وفجأة راح يصرخ : أنا ح أتجنن ! ح أتجنن ! هل أنت مصطفى أم على ! وقلت له أنا مصطفى . وراح يهمس فى آذان زملائنا بالسر

الرهيب ! وراحوا يقولون له أنهم يشكون ايضا أننى تغيرت ، وأن الموجود فى السجن هو على وليس مصطفى ! وراح هو يمتحنى ويختبرنى ليعرف هل انا مصطفى أم على ، وسقطت طبعا فى الامتحان حتى يتصور أننى على ! ثم رحنا نمضى فى المقلب ففى يوم أتصرف كأننى مصطفى ، وفى اليوم التالى أتصرف كأننى على ! .. والمسكين حائر هل أنا مصطفى أم على . أم الاثنان معا !

وقد أمضينا عدة أيام نضحك ، ونحن نرى حيرته ، ودهشته ، وعجزه عن أن يفرق بين مصطفى وعلى ! ومحاولته الاعتماد على ذكائه فى اكتشاف أن الموجود هو على أمين وليس مصطفى أمين .

لقد كان يحدث أن أكون سائرا فى ردهة السجن فيصيح الارهابى على بك ! على بك ! وهنا ألتفت ورائى ! ويصيح مصطفى بك فلا ألتفت ! وهنا يتأكد الارهابى أن المسجون هو على أمين وليس مصطفى أمين . وبعد أن يتأكد أن المسجون هو على أمين ، أعود وأثير الشك فى نفسه بأن المسجون هو مصطفى أمين . وأقترح عليه بعض زملائنا أن يبلغ الدولة بما حدث ، وأنه عندما سيرشد عن مثل هذه الجريمة الخطيرة ، فسوف يفرج عنه ، ويقتنع الارهابى بالفكرة ، ثم يعود زملاؤنا ويقولون له ولكن لو حدث أن ظهر أن المسجون هو مصطفى ، فسوف تحاكم بتهمة البلاغ الكاذب وازعاج السلطات ، وتدخل فى جريمة جديدة ! وهنا يخاف الارهابى ويعدل عن التبليغ !

ومن الوسائل التى تشغلنى الآن أننى أعلنت الحرب على البق ! وإذا كان الفلاحون الآن يقاومون الدودة ، فأنا أبذل نفس المجهود فى مقاومة البق . وأتولى رش غرفتى يوميا بالمسحوق المقاوم للحشرات ، ولكن فى بعض الأحيان أفاجأ بأن جيوش الأعداء أقوى من الفيت كونج ! وأقوم فى الغرفة بحرب العصابات . وأحاول أن أنسف الحشرات التى تقاوم مقاومة عنيفة ! وزاد الطين بلة أن فوقى تواليت ، وحدث أن انكسرت الماسورة ، ونزلت مياه ماسورة المجارى على حائط الغرفة ، وكانت حكاية ! والشىء الذى اهتم به كثيرا هنا أننى أحاول أن أحافظ على صحتى ، واستحم كل يوم ، وأرفض أن يلمس أحد سريرى ، وأتولى غسيل الأطباق بنفسى . وحرب النظافة تشغلنى فهى تأخذ وقتا فى اعداد الخطط الحربية ، واختيار ساعة الصفر للهجوم على الخنادق والمخابىء والقلاع التى تختفى فيها الحشرات ! ومن عادة المسجونين هنا أن يقفوا فى شرفة الردهة ، وينفضوا البطاطين فيها ، وهكذا يتطاير القمل والبق والحشرات فى الهواء وتسقط

على رؤوسنا كالقنابل والصواريخ ! ومن العادات القبيحة البصق . فيحدث أن نكون سائرين في الفسحة ، وإذا بأحد المسجونين واقف في النافذة في الطابق العلوى ويبصق ، ولا يهم إذا نزلت البصقة فوق رأس أحد المسجونين أو أحد الضباط ! وهو لا يقصد بهذه البصقة التعبير عن رأيه ، وانما هي عادة ، وسوف أحاول أن أقاومها ، وأن نلقى محاضرات على الزملاء بمضار البصق فوق رؤوس الناس من النوافذ والشرفات !

وقد سررت بأن فاطمة نجحت ، وكذلك رتيبة وصفية ، ولم يبق من نتائج الامتحانات سوى نتيجة امتحانى أنا ! وأرجو من الله أن تكون النتيجة خيرا كذلك !

والجو في الزنزانة لا بأس به ، وبرغم أننا اقتربنا من منتصف يوليو ، إلا أن الجو لطيف ومحتمل ، ولم تتكرر حتى الآن الأيام الملعونة التى جاءت لنا في شهر يونيو ، وعلى كل فلم يبق من الصيف سوى شهر ونصف ، ولقد جاءنى واعظ السجن وقال لى أنه عمل « استخارة » لى وأن نتيجة الاستخارة تؤكد أنه سيفرج عنى قريبا ، وفي كل يوم يقول لى مساجين أنهم حلموا لى أحلاما طيبة تبشر بأن الافراج قريب . ويظهر أن فلسفة السجن هي أن يطمئن كل مسجون الآخر ، وبذلك يطمئن نفسه . ولكنى مع ذلك فما زلت متفائلا ، ولا يزال شعورى يقول ان الفجر لابد أن يجىء .. ولكن لا أعرف متى يجىء !

ولقد كانت تضايقنى أشياء صغيرة . فقد تقرر نزع « الكمترابة » التى كنت أضىء بها النور وأنا نائم ، وتصورت أن هذا سوف يضايقنى جدا ، واننى سأضطر لأن أقوم من فراشى وأطفىء النور ، ولكنى لم ألبث بعد أيام أن تعودت على ذلك ، ولم تكن كارثة كما تصورت في أول الأمر ! والمسائل كما ترين عادة ، ولقد كنت اقيم الدنيا وأقعدها في الماضى عندما يتعطل جهاز تكييف الهواء ، في بيتى ، وأضرب الجرس للسكرتيرة كل خمس دقائق لأسأل هل اتصلت بشركة كولدير لاصلاح التكييف أم لا ؟

وأنا الآن ليس عندى تكييف هواء سوى نافذتى في الزنزانة أفتحها وأغلقها ، ولم ألبث بعد فترة أن شعرت أنها حلت تماما محل جهاز تكييف الهواء .

ولأول مرة عرض فيلم في السجن ، وهو فيلم قديم اسمه فيلم بورسعيد . وقد سبق أن تفرجت عليه في التليفزيون قبل دخولى السجن بمدة طويلة . ومع ذلك فقد فرح به المسجونون كثيرا برغم أن الصورة كانت غير واضحة ، والصوت غير واضح ، فلا تعرف هل المتكلم هو هند رستم أم

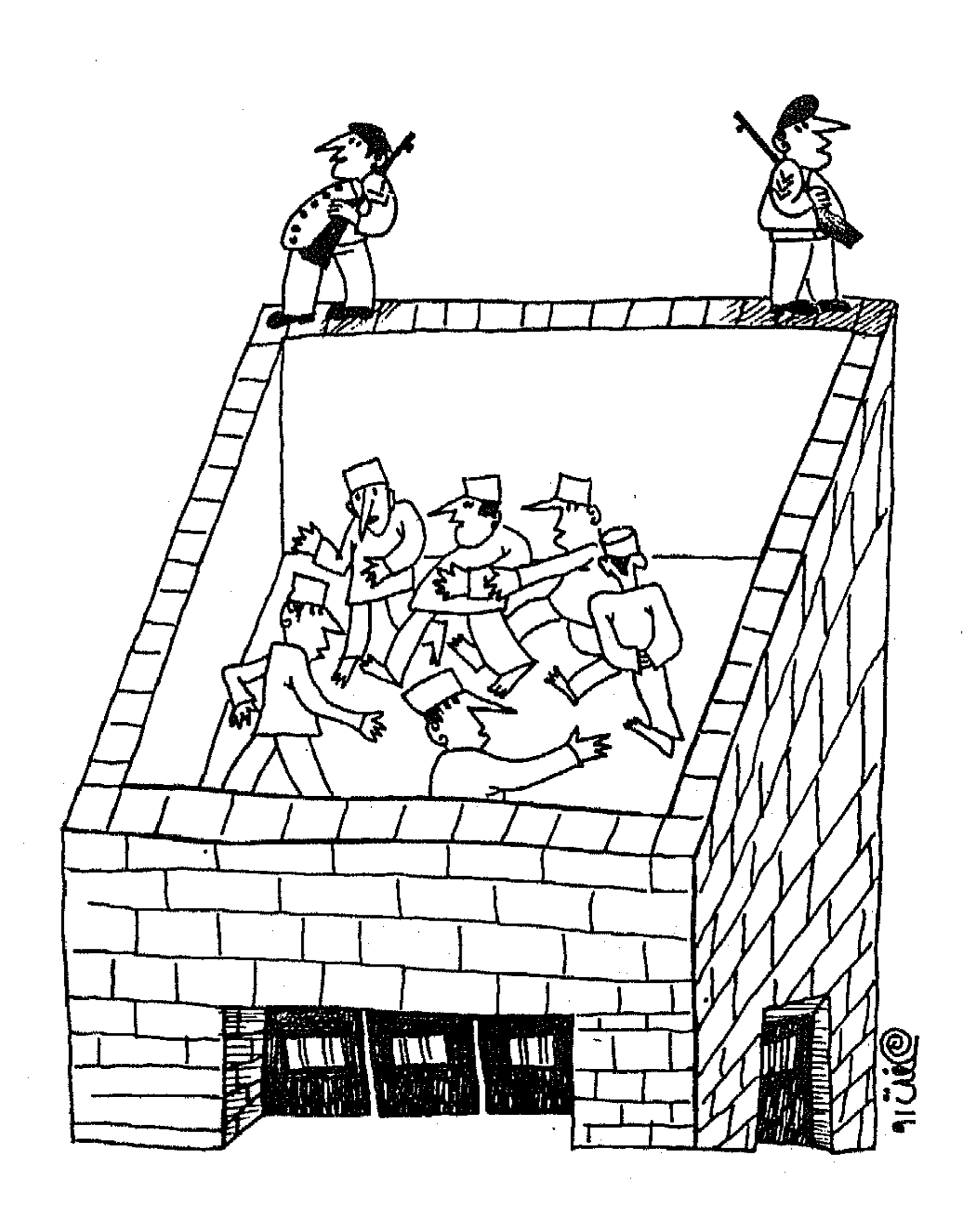
فريد شوقى . ولا تعرف هل الذى أمامك هو بطل الرواية أحمد مظهر أم السد العالى .

ومن أهم ما يحدث فى السجون هو وصول المسجونين للتراحيل أى الذين ينقلون من سجن إلى سجن . وسجن الاستئناف هو المحطة ، التى يجيئون إليها ويبيتون فيها قبل نقلهم الى السجن الآخر . ووصل بين التراحيل هذا الأسبوع شخصية غريبة وهو لص اسمه فتوح ، متخصص فى سرقة الخزائن ، ومحكوم عليه بالسجن ١٥ سنة ، وقد أمضى منها ١٣ سنة ، وبقى له عامان . وجلس يروى لنا مغامراته . وقد كان متخصصا فى سرقة اليهود ولا يسرق المسلمين ، والمرة الوحيدة التى حاول فيها أن يسرق مسلما ضبط ، وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة ، ومن حوادثه الغريبة أنه سرق احدى الخزائن ، ولم يضبطه أحد ، وذات يوم قرأ فى الصحف أن البوليس قبض على اللصوص الذين سرقوا هذه الخزائن ، وأنهم اعترفوا ، ودهش فتوح لأنه لا يعرف هؤلاء اللصوص ، ولم يكونوا معه فى حادث السرقة ، وانتظر حتى وصلوا الى اللومان ، وسألهم فقالوا له أن البوليس ضربهم فاضطروا أن يعترفوا بأنهم سرقوا الخزانة التى لم يسرقوها أبدا !

ومن الزبائن الجدد عندنا عدد من الموظفين اتهموا بأنهم سرقوا قطارا مشحونا بالقمح ، فقد اتفقوا مع معاون المحطة على أن يوقف القطار فى محطة أخرى ، وأحضروا لوريات سرقت القمح ! وهو حادث يشبه سرقة قطار لندن المشهور !



الحيـــاة فى قبــر .. !



سجن الاستئناف
٢٠ يوليو ١٩٦٦
عزيزتي

الساعة الرابعة صباحا . أنها لحظة الفراق بين النوم واليقظة . بين الليل والنهار . السجن ساكن . ساكت . موحش . مقفر . وتطلعت في الظلام إلى جدران زنزانتي ما أشبهها بالقبر . انني دخلت ذات يوم إلى القبر الذي دفنت فيه أمي . والذي أتمنى أن أدفن فيه . أنه سرداب تحت الأرض . أنه أكبر من الزنزانة التي أنا فيها اليوم .

لقد كنت دائما فضوليا أريد أن أعرف ماذا بعد الموت . وأن أعيش الموت الآن ! فالموت كالسجن وهو زنزانة الجسم . أما الروح فهي تنطلق ، حرة غير مقيدة ، هاربة من قوانين الحياة !

الصمت مخيم . صمت مقيد . مصنوع من مئات الأنفس المقيدة بالسلاسل . كان الزفرات مربوطة . كان الأحلام مكبلة بالحديد . كأنني أنام والى جواري مئات الجثث .

ملابس السجن الزرقاء والخضراء والبيضاء كالأكفان . هنا تحت التراب يتساوى الملوك والمتسولون ، الظالمون والمظلومون . العباقرة والتافهون . لا شيء يميزهم إلا لافتات من الورق المقوى تحمل أسماءهم . أنها أشبه بالشواهد التي يضعونها فوق القبور تحمل أسماء الموتى . ولكن كثيرين من الموتى بلا أسماء !

من كان في هذا القبر قبلي ؟ من سوف يجيء بعدي ؟ الجدران لا تتكلم ولا تحكي . ولو تكلمت لروت ألوف القصص . فهنا خشبة مسرح . القصة واحدة . الممثلون يتغيرون . فوق هذا الأسفلت سكب ألوف قبلي دموعهم .

هذه الجدران سمعت دعوات وزفرات ولعنات وتاوهات وصرخات . أنصاف أحياء وأنصاف موتى مروا من هنا ! تركوا بصمات شقائهم وعذابهم على الجدران . كأنني أسمع صدى تضرعات مجهولة . صلوات بعيدة . أنغامهم مختلفة . كلماتها متباينة . ولكن معانيها واحدة .

كل شيء هنا مسجون . حتى الكلمات مسجونة . كان السطور السوداء على الورق هي قضبان من حديد . والمعاني تحاول أن تخرّج راسها من بين القضبان فلا تستطيع .

والأحلام أيضا مسجونة ، لا تكاد تتحرك ، حتى تقبض الحقيقة على عنقها ، كأنها سجان قاسي القلب ، يوسعها ضربا بحزام من جلد ، يمنعها من أن تهرب من زنزانة الواقع إلى فضاء الأماني الفسيح .

كل شيء صامت . كأنه لا يجرؤ على الكلام . محبوس . مخنوق . حتى الصرخات مخنوقة ، وكانها حشرجة تأوهات !

فما أطول الليل داخل السجن . كأنه لا ينتهي أبدا ! أنه أشبه بالعمى . أن الأحلام والأماني تتعثر فيه ، وتسقط على وجهها مصطدمة بجدار الواقع . أنها تحتاج دائما إلى عكاز من الايمان . وما أشقى الذين تنكسر العصى التي يتعكزون عليها وهم يسيرون في عالم الأماني والأحلام !

واشعلت المصباح ، وامتلأت زنزانتي بالنور ! قفز الظلام من النافذة ، كأنه لص انتهز فرصة الليل فدخل يسرق أحلامي ، ثم فاجأه النهار ، فأسرع ينجو بنفسه تاركا وراءه ما حاول أن يسرقه من أماني واحلام !

وفي النور رأيت كل أحلامي حولي . لم يسرق الليل منها شيئا . اختنقت الغيوم السوداء من أفكاري . كنت أخشى أن تتدحرج الأماني من قلبي ، فأسرعت أمسك بها !

أن المصباح الذي أضأته هو ايماني بالله . وفي بعض الأحيان يخفت ضوء المصباح ويتحول الى قنديل ، وفي أحيان أخرى يسطع ويتوهج ، وكأنه نور الشمس . وهذا الايمان أشبه بمنجم من الذهب تجيء الأعاصير والعواصف فتغطيه بطبقة من التراب ، فلا ألبث ان احفر بأظافري ، وأكتشف أنه موجود ، عميق ، كامن ، لا تنتهي معادنه أبدا !!

ثم لا ألبث أن أسمع الفجر يغني ترنيمة الحرية . أنه يغني بصوت منخفض ، وكأنه همس يجيء من بعيد ، ثم لا يلبث ان يعلو هذا الهمس في أذني حتى يصبح دويا . وهكذا تستيقظ أذني على موسيقى مجهولة ، تحن إليها وتنتظرها ، وتتوقعها ، وترقص روحي على نغماتها .

وأتصور أن هذه الأنغام هي صوت أبواب تفتح ، وسلاسل تتحطم ، وقيود تنكسر ، وحياة جديدة تبدأ .

وأتصورهم قادمين يدقون بابى ، ويطلبون منى أن أرتدى ملابسى ، وأن أذهب لمقابلة المأمور ، والمأمور يقول لى أن أمرا صدر بالافراج عنك ! وأسرع إلى زنزانتى أجمع ملابسى .. لا .. أننى لن أجمعها . سأوزعها على هؤلاء العرايا من زملائى المساجين . لقد وزعت عليهم طوال هذه الشهور الأمل والايمان يسترون بهما أرواحهم القلقة العارية . والآن سأعطيهم الملابس ليغطوا بها أجسامهم المريضة العارية . ولكن حالتى المالية الآن لا تسمح لى أن أكون كريما كما أحب .

فلن أعطيهم ملابسى كلها . فقد تكون ملابسى فى بيتى بالزمالك أكلتها العتة ، سأكتفى بأن أعطيهم بعض ملابسى ! وكل السجائر . وكل المأكولات ! وأنا أتصور أنهم سيفرحون لنجاتى . لقد كانوا كلهم يدعون لى بالفرج . أن الله استجاب دعوتهم لى ، وسوف يستجيب دعواتى لهم . وأريد أن أخرج من السجن إلى قبر أمى . أننى أشعر بأنها كانت تحرسنى من السماء . سوف أذهب وأشكرها . وأقول لها أننى أحسست بيدها تمتد من السماء وتأخذ بيدى . ولكن قد يكون الافراج بشرط أن أذهب إلى بيتى مباشرة . سأكتفى بأن أقرأ لها الفاتحة من بعيد . وأنا أمر من الطريق الذى يتجه إلى شارع محمد على ، وإلى حيث يوجد الامام الشافعى .

وسوف أذهب إلى بيتى فى الزمالك . ربما أجده لا يزال مقفلا ولا يزال الحارس واقفا أمامه يحرس أختام الشمع الأحمر . فقد لا تكون النيابة سمعت بقرار الافراج عن بيتى المغلق ، وفتحت البيت .

أننى أحلم بهذا اليوم السعيد ! أحلم بأنه سيكون فى شهر يونيو وربما شهر يوليو ، ان شاء الله ، وقد لا تجىء كل هذه السعادة مرة واحدة ، وقد تأتى على درجات ، ولكنى أشعر أنها ستأتى .. حتى ولو بعد عشر سنوات !

ويقول كونفوشيوس : كثيرون يبحثون عن السعادة فيما هو أعلى من الانسان ، وآخرون فيما هو أوطى منه . ولكن السعادة بطول قامة الانسان .

وسعادتنا طويلة ، لأن قامتنا طويلة ! ولابد أن القدر يستغرق وقتا طويلا فى تفصيل بذلة السعادة التى سأرتديها ! وهذا هو سبب طول الانتظار ! ولا يضيرنى أن أعيش عاريا بضعة شهور أو بضع سنوات ، فاننى مؤمن بأن بذلة السعادة سوف تجىء على مقاسى . وأنها ستكون جميلة ، وجديدة ، وواسعة بحيث أستطيع أن أتحرك فيها !

اننى لا أتصور أنها ستكون كفنا ، أو بذلة زرقاء ، وإلا لما احتاجت إلى هذا الزمن الطويل لاعدادها . فالمصائب لا تنتظر ، وانما هى كالهبوط إلى الهاوية ، ولكن السعادة هى أشبه بقمة الجبل ، تحتاج إلى وقت ، وإلى مجهود ، ومن هنا فإن قلبى يحدثنى ، بأن الفرج سيجىء يوما، وأن الله لن يتخلى عنا ، وأن أيامنا المقبلة ستملأها الضحكات والابتسامات والأحلام .

أن الترزى الذى يصنع لنا بذلة السعادة ترزى بطىء ، ولكنه فنان ، يصنع البذلة بذوق وبدقة وباتقان ، وإذا كانت هناك محطات بيننا وبين السعادة ، فانها ستكون أشبه بالبروفات التى يقوم بها الترزى ليتأكد أن البذلة الجديدة على المقاس المطلوب !

أن الأزمات فى حياتنا هى التى تصنع الحيوية لهذه الحياة ! أنها التى تعطى أيامنا شخصيتها وروحها . فالحياة بدون أزمات بل أشبه بماء مقطر صاف بدون ميكروبات ، وبدون جراثيم ، ولكنه فى الوقت نفسه بدون طعم ! أشبه بامرأة رائعة الجمال بدون روح ، أو هى قطعة من الحجر ، ولولا ضربات الأزميل على الحجر ، والأجزاء التى تناثرت وتساقطت منه ، لما تحول هذا الحجر إلى تمثال جميل ! فلا يجوز لنا أن نضيق ونتألم بضربات المعول علينا ، أنها هى التى تصنع تقاطيعنا الجميلة ، أنها هى التى تخلق لنا العيون والملامح فى التمثال الرائع الذى سيخلب أنظار الناس !

أن حياتنا لم تكن سهلة أبدا . أن هذا ليس السجن الأول الذى ندخله . أن المقادير وضعتنا فى زنزانات كثيرة متعددة وخرجنا منها . أن قيودا ثقيلة ربطت أيدينا وأرجلنا ، وأرواحنا . ثم حطمناها . أننا تحملنا من المقادير أشكالا وألوانا من العذاب . كأنها سياط لم تكن تجعلنا ننكفىء على وجوهنا ، بل كانت تدفعنا لنمضى فى طريقنا . لم تكن حياتنا كلها أفراحا ، كانت المآتم فيها أكثر من الأفراح . كانت الدموع أضعاف الضحكات . كانت الهزائم أكثر من الانتصارات . ولكن لابد أن نعيش الليل لنصل إلى النهار ، ونقاوم العواصف والأنواء لتمسك أيدينا بالشاطىء . فلا أرباح بغير ضرائب . وكلما كانت الأرباح أكبر كانت الضرائب أفدح ! ولقد كنا نتصور فى وقت من الأوقات أننا سنقتل على مكاتبنا دفاعا عن الثورة التى آمنا بها . وكنا لا نخاف هذا الموت ولا نخشاه . فالذى أصابنا هو أقل كثيرا مما كنا ننتظره . أن الله لطيف بنا . والأيام وهى تقسو علينا أحاطتنا برحمة الناس وحبهم . ولهذا فيجب أن نحمد الله ، ونشكره . أعطانا الداء

والدواء . منحنا الألم والصبر . ملأ عيوننا بالدموع . وأرواحنا بالمناديل التي جففت هذه الدموع .

إن أخي ينقصني كثيرا . لا أتصور أنه مضى الآن أكثر من عام دون أن نلتقي ، دون أن نجلس معا بغير أن نتبادل الكلمات ، وكأننا نتحدث ونتناقش ، وكنت أشعر بكل ما يجول في رأسه دون أن ينطق به . وكان يحس بما أريد أن أقوله قبل أن أقوله . ومع ذلك فأنا أحس به على هذا البعد القاسي بجانبي . وأسمع صوته . وأرى عينيه ، إيمانه وثقته بالمستقبل ، وأمله في أن كل شيء سيكون على ما يرام ، وستنتهي كل الآلام والدموع والمتاعب ونعود إلى حياة التوأمين العادية ، بلا فراق ، ولا وداع ..

* * *

سيجيء يوم قريب ، أو بعيد ، يخرج فيه الناس من قبورهم . المظالم هي قبور يوضع فيها الأحياء . وسيكون يوم الحرية هو يوم قيامة جديدا !

* * *

ان حروف كلمة الظلم هي من حروف كلمة الظلام . ذلك أن الظلام هو الذي يجيء بالظالمين !

وسينتهي الليل الطويل ..

وستشرق الشمس من جديد ! ..

نص الحكم على ملك التعذيب
قضية صلاح نصر
الحكم على صلاح نصر
بالسجن ١٠ سنوات

هيئة المحكمة الموقرة

مكونة من :

● السيد المستشار :

أنور حسن مرزوق - رئيسا

● وعضوية السيدين المستشارين :

محمد مصطفى حسن

وعبدالمعطى السيد ناصر - عضوين

● وعضوية الأستاذين :

أحمد سمير - رئيس النيابة

وعبدالحميد البحيرى - وكيل النيابة الذى ترافع فى الدعوى .

وأمانة سر / سليمان عياد وعلى أبو السعود

المتهم فيها :

صلاح نصر / مدير عام المخابرات العامة سابقا

حسن عليش / وكيل المخابرات العامة سابقا

أحمد يسرى الجزار / من كبار منظمى المخابرات العامة سابقا وقد استغرقت هذه المرافعة أربعة أيام

باسم الشعب
محكمة جنايات القاهرة

المشكلة علنا برئاسة السيد المستشار أنور حسن مرزوق رئيس المحكمة ، وعضوية السيدين المستشارين : محمد مصطفى حسن وعبدالمعطى السيد ناصر (المستشار بمحكمة استئناف القاهرة) .

وحضور الأساتذة : أحمد سمير سامى رئيس النيابة ، وعبدالحميد البحيرى وكيل النيابة ، وسليمان عياد وعلى أبو السعود أمينا سر المحكمة .

أصدرت الحكم الآتى :

فى قضية النيابة العامة رقم ٣٨٤٢ / ١٨٠ كلى سنة ١٩٧٥ حدائق القبة .

وحضر الأستاذ / محمد شوكت التونى مع المدعى المدنى والشاهد الأول فى الدعوى الأستاذ / مصطفى أمين يوسف وأدعى مدنيا بمبلغ ٥١٠ جنيها على سبيل التعويض المؤقت قبل المتهمين الثلاثة متضامنين .

١ - صلاح محمد نصر ٥٥ سنة

٢ - حسن زكى عليش ٥٣ سنة

٣ - أحمد يسرى الجزار ٤٨ سنة

وحضر للدفاع عنهم الأساتذة على الرجال (المحامى مع الأول) ، ومحمد عبدالله (المحامى مع الثانى) ، وعاطف الحسينى (المحامى مع الثالث) ، بعد سماع أمر الاحالة وطلبات النيابة العامة وأقوال المتهمين وسمع أقوال الشهود والمرافعة والاطلاع على الأوراق ، وما تم فيها من تحقيقات ، وما دار بشأنها فى المذكورين بأنهم فى الفترة ما بين ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ و ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٥ (بدائرة قسم حدائق القبة محافظة القاهرة : بصفتهم مستخدمين عموميين ، الأول رئيسا لهيئة المخابرات العامة ، والثانى والثالث يعملان بهذه الهيئة) ، أمروا بتعذيب مصطفى أمين يوسف المتهم فى الجناية رقم ١٠ سنة ٦٥ أمن دولة عليا ، لحمله على الاعتراف بمقارفته الجريمة المسندة إليه فى الجناية سالفة الذكر . وقد أحالتهم إلى هذه المحكمة لمحاكمتهم طبقا للقيد والوصف والمواد الواردة بقرار الاحالة .

وبجلسة ١٥ فبراير سنة ١٩٧٦ بدأ نظر الدعوى كما هو مبين بمحضر الجلسة ، وتوالت جلسات النظر حتى جلسة يوم ٢٥ مايو ١٩٧٦ إذ صدر القرار بحجز القضية للحكم لجلسة اليوم ٢٦ / ٦ / ١٩٧٦

المحكمة

حيث أن وقائع الدعوى حسبما استبانتها المحكمة من الإطلاع على الأوراق والمداولة قانونا . حيث أن النيابة العامة انهت الجلسة ، تخلص فى أن المتهم حسن زكى عليش ، بصفته رئيسا لهيئة الأمن القومى بالمخابرات العامة ، أبلغ بتاريخ ٢٠ / ٥ / ١٩٦٥ نيابة أمن الدولة العليا بأن المجنى عليه مصطفى أمين يوسف - وهو رئيس تحرير الأخبار - يقوم بالتخابر والعمل لحساب المخابرات الأمريكية وضد أمن وسلامة الدولة ،

وبأنه سيجتمع مع مندوب المخابرات الأمريكية في الساعة الثانية من مساء يوم الأربعاء ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ بمسكنه بالقاهرة / ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك أو في منزله بالاسكندرية رقم ٢٦ شارع الاسماعيلية بمصطفى باشا ، وطلب الأمر بضبط هذا الاجتماع وتفتيش مسكنيه ومكتبه بالجريدة . وبتاريخ ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ قام المتهم الثالث أحمد يسرى الجزار بصفته وكيل هيئة الأمن القومي على رأس قوة من أفراد المخابرات العامة إلى الاسكندرية ومعهم وكيل نيابة أمن الدولة ، حيث تم القبض على المجنى عليه مصطفى أمين يوسف أثناء جلوسه في حديقة داره مع بروس تايلور أوديل الملحق بالسفارة الأمريكية . ونقل من الاسكندرية في الساعة الرابعة مساء مكبل اليدين بالحديد ومعصب العينين إلى القاهرة ، حيث وصلوا دار المخابرات العامة قبيل غروب الشمس واحتجزوه فيها دون ثمة سؤال ، حتى إذا ما كانت الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم التالى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ مثل المجنى عليه أمام رئيس نيابة أمن الدولة العليا ، واستمر التحقيق معه وبحضور النائب العام السابق حتى الساعة الثالثة من صباح يوم ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ حيث أمر بحبسه احتياطيا . وبدلا من أن يرحل المجنى عليه إلى أحد السجون العمومية أو المركزية تنفيذا لأمر الحبس الصادر ضده ، أودع سجن المخابرات دون أمر كتابى صريح من النيابة العامة .

وكان المتهم الثانى حسن زكى عليش قد طلب في ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ من رئيس نيابة أمن الدولة العليا اصدار أمره بالقبض على كل من مصطفى كمال ابراهيم وابراهيم صالح محمد (الصحفيين بدار الأخبار) وتفتيشهما وتفتيش محال اقامتهما وذلك لتحريرهما تقارير تتضمن معلومات عثر عليها لدى المجنى عليه مصطفى أمين يوسف ، غير أن رئيس النيابة رفض هذا الطلب لأن ما نسب إلى هذين الصحفيين لا يشكل في حقهما آية جريمة تبرر اتخاذ أى اجراء قبلهما ، فما كان من المتهم الثانى حسن زكى عليش إلا أن استنجد بالمرحوم المشير عبدالحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة والنائب الأول لرئيس الجمهورية الذى اتصل برئيس النيابة وطلب منه القبض على هذين الصحفيين بدعوى أن البلد مازال في حالة ثورة وأن التعلل بالقانون يعتبر تخلفا الأمر الذى من أجله قد تقدم المتهم الثانى أيضا ببلاغ نسب فيه إلى هذين الصحفيين التعاون مع المجنى عليه ، فصدر أمر النيابة العامة بضبطهما وتفتيشهما ثم حبسهما بعد استجوابهما ..

طريق غير مشروع

ونظرا لأن المجنى عليه مصطفى أمين يوسف لم يعترف عند ضبطه أو استجوابه بالتهمة المسندة إليه ، ولما كانت التسجيلات الصوتية التى حصلت عليها هيئة الأمن القومى بالمخابرات العامة والتى سجلت بعض اجتماعات المجنى عليه مع الضابط الامريكى قد اخذت بطريق غير مشروع مما خشى معه تقديم هذه التسجيلات الى المحقق يوم بدا التحقيق فى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ فقد طلب المتهم الأول صلاح محمد نصر من المجنى عليه عقب استجوابه اول مرة ان يكتب اقرارا فى صورة التماس وذلك للرئيس السابق جمال عبدالناصر يعترف فيه صراحة بالتهمة المنسوبة إليه وعلى الا يذكر أن اتصاله كان بتكليف من المسئولين . وإذ رفض المجنى عليه مصطفى امين يوسف ذلك الطلب أمر المتهم صلاح محمد نصر رئيس المخابرات العامة بتعذيبه حتى يذعن لما طلبه منه وتنفيذا لذلك الأمر اقتاده معذبوه إلى زنزانة بالدور الأرضى بمبنى المخابرات بداخلها مقعد دائرى بين الفاظ التهديد والوعيد ، ثم جردوه من ملابسه حتى أصبح كيوم ولدته أمه ، وسلطوا عليه الكشافات المضيئة القوية التى كادت تعمى عينيه ثم انهالوا عليه ضربا بالأيدى وركلا بالأقدام ، ثم قيدوه إلى الحائط من يديه وقدميه وقاموا بنزع شعر جسده وعانته بأيديهم ، وفى قسوة ، وأخذوا يلدغونه بأظافرهم فى جسده ، ثم ربطوا قضيبه بسلك كهربائى وأطلقوا قيده وأخذوا يجذبونه منه ، وانهالت عليه ألفاظ السباب البذيئة حتى سب أمه فاضطر إلى الخضوع لمطلبهم لعدم تحمله ما لاقاه من ألوان التعذيب البدنى ، فصعدوا به إلى غرفة بالدور العلوى حيث أحسنوا وفادته . وبدأ يكتب ما يرضون عنه أو يملونه عليه حتى إذا لم يمتثل لأوامرهم أو يكتب ما لايرضون عنه أنزلوه إلى زنزانته بالدور الأول ليعيدوا عليه الكرة ويقدموا إليه وجبة اخرى من التعذيب المماثل فضلا عن حرمانه من الطعام والشراب حتى اضطرنى أثناء ذلك الى شرب ماء الاستنجاء بل وشرب بوله . واستمر الحال على هذا المنوال بين تعذيب وراحة حتى انتهى المجنى عليه من كتابة ما راق لهم من اقرار وبالصورة التى قدم بها هذا الاقرار الى المحقق فى يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥

❁ ❁ ❁

مشاهدة التعذيب

وكان المتهمان الأول صلاح محمد نصر والثانى حسن زكى عليش يترددان على المجنى عليه أثناء تعذيبه ومعهما بعض المتهمين فى القضية رقم ٩ سنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا المعروفة باسم قضية الحزب الشيوعى العربى وهم شفيق أندراوس بشارة وعدلى أبادير غطاس وأنور مصطفى جمعة زعلوك ومحمد عبدالغنى النشرتي وعادل سليمان ، وذلك ارهابا لهم وزهوا بسلطانهم .

وكان المجنى عليه مصطفى أمين يوسف أثناء استجوابه فيما جاء بالاقرار المذكور واقعا تحت تأثير ماذاقه من ألوان التعذيب سالفة الذكر فضلا عن التلويح له باعادة تعذيبه إذا ما فكر فى العدول عما سطره فى الاقرار السابق ذكره أو ذكر التعذيب أمام المحقق ..

هذا وقد ترك التعذيب الجسدى بالمجنى عليه آثارا ظل بعضها ظاهرا حتى أثبته المحقق العسكرى فى ١٦ / ٣ / ١٩٦٨ عند مناظرته المجنى عليه بمناسبة سؤاله فى الشكوى المقدمة منه بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٦٨ بشأن تعذيبه ، وهى علامات سوداء أسفل الركبة وأيضا أسفل الساق ناحية القدم . كما لاحظ وجود أثر غائر فى منتصف الركبة اليمنى ووجود علامتين أسفل الذقن ، والثانية ممتدة ناحية اليسار ، وعلامات غائرة حول رأس القضيب كما ثبت من الكشف الطبى الموقع على المجنى عليه فى ٣ / ٤ / ١٩٦٨ بليمان طره وجود أثر التئام قديم لجرح صغير بقمة الرأس وأثر التئامين صغيرين بمقدمة الساق اليسرى .

وبعد انتهاء التحقيق مع المجنى عليه مصطفى أمين يوسف بمبنى المخابرات رحل الى سجن الاستئناف فى ١ / ١٢ / ١٩٦٥ حيث حرر رسالة فى ٦ / ١٢ / ١٩٦٥ إلى الرئيس السابق جمال عبدالناصر يشكو له فيها مما تعرض له من تعذيب بمبنى المخابرات العامة ، وهربها إلى الصحفى سعيد فريحة (صاحب دار الصياد بلبنان) الذى عرضها على السيد على السيد فائق السمرائى الذى نصح بعد ابلاغها الى الرئيس السابق جمال عبدالناصر خوفا على حياة المجنى عليه مصطفى أمين يوسف فيما لو علم بها المتهم الأول - صلاح محمد نصر .

وقدم المجنى عليه لمحاكمة أمام المحكمة العسكرية العليا ، حيث أفضى إلى هيئة الدفاع عنه - وكان من بينهم الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامى - بما تعرض له من تعذيب . وقضت تلك المحكمة بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة . ثم رحل إلى ليمان طرة حيث زارته لجنة الحريات

المشكلة من بعض أعضاء مجلس الشعب لتقصى الحقائق ، وكان من بين اعضائها السيد سيد جلال والسيدة كريمة العروسى اللذان التقى بهما المجنى عليه مصطفى أمين يوسف وأخبرهما بما وقع عليه من تعذيب كما روى للدكتور عز الدين عبدالقادر احد زملائه بالليمان ما حدث له فى هذا الشان .

محـــاولات الأصـــدقاء

وقد حاول بعض أصدقاء المجنى عليه - وهم السيد محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق والسيد فائق السمرائى سفير العراق السابق بمصر - التوسط لدى الرئيس السابق جمال عبدالناصر للافراج عن المجنى عليه ، غير أن مسعاهما قد باءت بالفشل لعدم استجابة الرئيس السابق جمال عبدالناصر لمطلبهما تاديبا للمجنى عليه جزاء ما نسبه اليه من أن منع الولايات المتحدة الأمريكية توريد القمح إلى مصر سيرغمه على الركوع لها ، فضلا عن الكيد للولايات المتحدة الأمريكية . هذا بالاضافة الى ما قرره المتهم الأول صلاح محمد نصر للدكتور بهى الدين شلش بأن المجنى عليه قد ظلم فى قضيته .

الوقـــائـع ثابتـــة

وحيث أن الوقائع سالفة الذكر قد ثبتت لدى المحكمة ثبوتا كافيا وتوافرت الأدلة على صحتها من شهادة كل من المجنى عليهم : مصطفى امين يوسف وشفيق اندراوس بشارة وعدلى أبادير غطاس وانور مصطفى زعلوك ومحمد عبدالغنى النشرتى وعادل سليمان والسيد سيد جلال والسيدة كريمة العروسى والأستاذ محمد محمد عبدالسلام مصطفى المحامى والدكتور عز الدين عبدالقادر والاستاذ فائق السمرائى والمستشار سمير ناجى والدكتور بهى الدين شلش ، ومما قرره السيد محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق ، وكذلك من محضر تحقيق المدعى العام العسكرى ، ومما جاء بالكشوف الطبية للمجنى عليه وشهود الرؤية المرفقة بالأوراق .

فشهد المجنى عليه الصحفى مصطفى امين يوسف انه فوجىء فى أثناء جلوسه مع أحد ضباط المخابرات الأمريكية (بروس تايلور اوديل) بحديقة منزله بالاسكندرية الساعة الثانية ظهر يوم ١٩٦٥/٧/٢١ بقوة من افراد المخابرات العامة برئاسة المتهم الثالث احمد يسرى الجزار يقتحمون عليه هذا الاجتماع . وكان فى صحبتهم وكيل نيابة امن الدولة العليا الذى

سأله عن سبب هذا الاجتماع فأجابه بأنه مكلف من قبل المسئولين بالاتصال برجال السفارة الأمريكية للحصول منهم على ما يهم الدولة من معلومات . ثم اقتيد مكبل اليدين ومعصوب العينين في سيارة الى مبنى المخابرات العامة بالقاهرة . وعند استجوابه أمام رئيس نيابة أمن الدولة العليا في اليوم التالى ردد ما قاله في أول الأمر . وبعد انتهاء التحقيق معه يوم ١٩٦٥/٧/٢٣ طلب منه المتهم الأول صلاح محمد نصر كتابة ما دار بينه وبين ضابط المخابرات الأمريكية من أحاديث وما تضمنته تلك الاحاديث من معلومات ، وذلك في صورة إلتماس مرفوع للرئيس السابق جمال عبدالناصر وعلى الا يذكر في هذا الالتماس انه مكلف من المسئولين بهذا الاتصال . ولما رفض هذا الطلب أمر المتهم الأول صلاح محمد نصر بتعذيبه حتى يرضخ لطلبه . وبدأ التعذيب بإنزاله زنزانة بالدور الأول ، وأجلسوه على مقعد دائرى في وسطها بعد أن خلعوا عنه جميع ملابسه حتى أصبح عاريا منها تماما ، وسلطت عليه الأنوار الكاشفة القوية الاضاءة ، ومنع عنه الطعام والشراب في فترات حتى اضطر الى شرب ماء الاستنجاء وشرب ماء بوله ، ثم شدوا شعر جسده وعانته وهو مقيد اليدين والقدمين الى الحائط ، ثم قاموا بفك قيده وربطوا قضيبه بسلك كهربائى ، وأخذوا يجذبونه منه وكان في معظم الأحيان معصوب العينين . وانهال عليه السباب وبأقزع الألفاظ حتى سب أمه مما اضطره تحت وطأة التعذيب وتلك الاهانات الى الانصياع الى طلب المتهم الأول وهو كتابة الاقرار الذى كان يشرف على كتابته معاونو المتهم الأول ومن بينهم المتهمان : الثانى حسن زكى عليش والثالث أحمد يسرى الجزار . وقد استغرق ذلك عدة أيام . وبلغ عدد صفحاته ستين صفحة . وكان إذا أجاب مطلبهم تركوه وإذا رفض تحرير ما يملونه عليه عادوا إلى تعذيبه حتى أتم كتابة الاقرار ، ثم بدأ استجوابه فيما جاء بهذا الاقرار وذلك يوم ١٩٦٥/٨/٤ يلاحقه التهديد بالتعذيب . وكان التعذيب بأمر المتهم الأول صلاح محمد نصر . وكان يحضر بعض جلساته المتهمان الثانى والثالث . وكان المقصود من التعذيب هو الاعتراف بجريمة لم يرتكبها . وأن الاقرار الذى حرره جبرا كان يحوى وقائع كاذبة كسفر أم كلثوم لعلاجها بالذرة ، وأن مجلة المختار كانت بمقابل وانه لو لم يقع عليه التعذيب لما كتبه ، وأن التسجيلات التى سجلت اجتماعاته مع ضابط المخابرات الأمريكية قد حدث بها تعديلات ، ولأنه كان يعذب وهو معصوب العينين لم يشاهد أحدا أثناء التعذيب ، وأن الذين شاهدوه وهو يعذب أخبروه بعد ذلك بالسجن وهم شقيق اندراوس

غالى وعدلى أبادير ومحمد عبدالغنى النشرتى وعادل سليمان وانور جمعة زعلوك الذين كانوا متهمين فى قضية الحزب الشيوعى العربى ، وانه بعث برسالة موجهة الى الرئيس السابق جمال عبدالناصر يذكر فيها ما ناله من تعذيب أرسل صورة منها الى الأستاذ سعيد فريحة الصحفى وذلك فى ١٩٦٥/١٢/٦ الذى أخبره أن الرسالة لم تصل الى علم الرئيس السابق جمال عبدالناصر تنفيذا لنصيحة الأستاذ فائق السمرائى خوفا على حياته فيما لو علم بها المتهم الأول صلاح محمد نصر ، وانه لم يذهب الى الولايات المتحدة الأمريكية إلا مرة واحدة خلال المدة من سنة ١٩٦٠ إلى سنة ١٩٦٥ وفى رفقة الرئيس السابق جمال عبدالناصر ، وكانت اتصالاته هناك برجال الحكومة الأمريكية بأمره . وقد ذكر وقائع التعذيب لهيئة الدفاع عنه أثناء محاكمته أمام المحكمة العسكرية العليا ، وكان من بينهم الأستاذ محمد عبدالسلام المحامى ، وأن المتهم الأول أرسل إليه برسالة شفوية مع الدكتور بهى الدين شلش يخبره فيها بأنه مظلوم فى قضيته وانه بعث مع الأخير الى المتهم الأول بإقرار كتابى بهذا المضمون ليوقعه ، وقد أخبر الدكتور بهى الدين شلش بما وقع له من التعذيب ، وقد زارته فى سجنه بليمان طرة لجنة تقصى الحقائق والتى كانت مشكلة من بعض أعضاء مجلس الشعب ، وكان من بينهم السيدة كريمة العروسى والسيد سيد جلال ، وقد أخبرهما بما وقع له من تعذيب .

شـــهادة اندراوس

وشهد شفيق اندراوس بشارة أنه ضبط متهما فى قضية الحزب الشيوعى العربى فى ١٩ / ٨ / ١٩٦٥ واقتيد الى مبنى المخابرات العامة وهو معصوب العينين ، وهناك أمروه بخلع حذائه ، وأدخلوه فى غرفة بداخلها ثلاثة ضباط وأجلسوه على مقعد متحرك وسلطوا عليه كشافا كهربائيا قوى الاضاءة ، ثم قادوه إلى زنزانة وخلعوا عنه ملابسه ، ثم بدأت معه عملية الضرب ، وأمروه بالصعود على مقعد يقف عليه . وفى مرحلة من مراحل التعذيب قاموا بنفخه حتى أغمى عليه ، ثم علقوه فى فلكة ورفعوه الى أعلى وأخذوا يضربونه على قدميه ، وحتى لا يصيح أدخل أحد الضباط حذاءه فى فمه عنوة . وكل ذلك حتى يحملوه على الاعتراف . ولما لم يذعن لطلبهم انهالوا عليه ضربا بالعصى حتى أغمى عليه ، ثم اصطحبوه الى غرفة أخرى وهو معصوب العينين ، وهناك رفعوا العصابة حيث شاهد المجنى عليه مصطفى أمين يوسف وهو عار من ملابسه ، وقد ربط قضيبه بسلك

كهربائى ويشده منه أحد الحراس . وكان آخر يشد عانته ، وثالث يضربه بعصا . وكان مصطفى أمين أثناء وقوفه وبجواره عدد من الضباط ومن بينهم المتهم الأول صلاح محمد نصر الذى هدده بأنه سيعذبه أضعاف ما عذب به المجنى عليه ، ثم أخذوه إلى حجرة أخرى بعد أن وضعوا على عينيه عصابة وأمروه بخلع ملابسه وعلقوه من قدميه فى كلبشات الى أعلى ورأسه لأسفل ، وبدأوا فى ضربه ضربا متواصلا وهو يصرخ حتى أغمى عليه . وكان التعذيب يصاحبه الحرمان من الطعام والشراب رغم شدة الحر . ولما لم يذعن لطلبهم اخذوه الى حجرة أخرى حيث قيدوا يديه بكلبشات مُثبتة بالحائط وظهره لهم ، ثم انهال عليه الضرب بالعصى على جسمه وهو عار من ملابسه ، ثم اقتيد الى حجرة أخرى بوسطها مقعد صغير مثبت بالأرض ، وطلبوا منه الصعود عليه وهو مكبل اليدين وأمروه بعمل خطوات تنظيمية حتى اذا تعب ضربوه بالعصى . وفى حجرة أخرى وضع أحد الضباط سلكا كهربائيا على جسمه ثم سلط عليه التيار الكهربائى فكان يصرخ ويقفز الى أعلى . وتكرر ذلك عدة مرات حتى انهارت قواه وخضع لمطلبهم وأقر بما كانوا يطلبون منه الاقرار به وبأنه عضو فى منظمة شيوعية . وأن آثار الضرب مازالت باقية فى قدميه ، وأثبت الطبيب الشرعى ذلك عند الكشف عليه فى أوائل مارس ١٩٦٨ ، وأن سبب مشاهدته المجنى عليه وهو يعذب هو للارهاب والاذلال ، وانه قابل بعد ذلك المجنى عليه فى سجن الاستئناف عقب ترحيله من مبنى المخابرات فى ١٩٦٥/١٠/٢٦ وانه فى أثناء ذلك أخبره عن التعذيب وما ناله من عذاب ..

شـــهادة زعـــلوك

وشهد أنور جمعة زعلوك بأنه قبض عليه فى يوم ١٩٦٥/٧/٢٥ واقتيد الى مبنى المخابرات العامة وهو معصوب العينين . وهناك اجبروه على خلع ملابسه وسلطوا عليه كشافات كهربائية ذات قوة عالية . واستمر ضربه حتى يعترف أنه شيوعى . وفى حجرة أخرى قاموا بقيده الى الحائط . ومنع عنه الطعام والشراب . وكان التعذيب بإشراف وبحضور وأمر صلاح محمد نصر ونائبه حسن عليش . ولما رفض طلبهم الاعتراف ازدادت مراحل التعذيب . ثم نقلوه الى غرفة حيث علق ساعات بعد قيد يديه فى كلبشات حديدية ثم رفع جسمه وظل معلقا عدة ساعات بغير طعام أو شراب . ولما لم يستجب الى طلبهم أخذوه الى غرفة أخرى حيث شاهد

المجنى عليه مصطفى أمين يوسف عاريا مثله وقد ربط قضيبه بسلك كهربائى يجره منه أحد معذبيه فى أنحاء الغرفة . وكان المجنى عليه أثناء ذلك يهدده صلاح نصر بأنه لن يفلت من يديه ، ثم اعتدوا عليه بالضرب بالأيدى والركل بالأقدام ، وقد انهالت عليه الفاظ السباب وسب أمه ، وعندئذ صرخ مصطفى أمين وبكى ، ثم أخرجوه من غرفة المجنى عليه إلى غرفة أخرى حيث فوجىء برفعه الى أعلى من قدميه ، وأدخلوا فى فتحة شرجه آلة معدنية ، وبدأوا فى نفخه مما سبب له أضرارا كبيرة حتى أغمى عليه . ولما لم يتمثل إلى مطلبهم أخذوه إلى حجرة أخرى حيث قيدوه من يديه وقدميه وقاموا بخلع ظفر أصبعه الأيسر وكذا الوسطى والابهام الأيسر وذلك بآلة معدنية حتى اغمى عليه . وبعد الضغط النفسى وألوان التعذيب وتهديده بأحضار زوجته وبناته واخواته للاعتداء عليهن لم يجد بدا من الاستسلام لرغبتهم وكتب ما أملاه عليه صلاح نصر وحسن عليش وحقق معه أمام النيابة العامة وفى حضور افراد المخابرات ، ولم يخرج فى التحقيق عن مضمون الاقرارات المزورة التى حررها جبرا عنه خوفا منهم ، وكان أثناء اقامته فى مبنى المخابرات يسمع صراخا لأصوات مختلفة منها صراخ أطفال ، وأن رؤيته لمصطفى أمين وهو يعذب كان للارهاب النفسى وانه قابل مصطفى أمين فى السجن بعد خروجه من مبنى المخابرات العامة فى ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٥ ، وأن أعضاء لجنة تقصى الحقائق عند حضورها إلى ليمان طرة ومن بينهم السيدة كريمة العروسى اجتمعت بالمسجونين السياسيين ومن بينهم المجنى عليه مصطفى أمين يوسف حيث شرحوا لهم ما لاقوه من تعذيب .

* * *

وشهد محمد عبدالغنى النشرتى أنه قبض عليه فى ١٩٦٥/٧/٣١ واقتيد الى مبنى المخابرات العامة متهما فى قضية الحزب الشيوعى العربى . وقد كبلت يداه وعصبت عيناه . وفى غرفة من إحدى الغرف كانت الكشافات شديدة الحرارة قد سلطت عليه ، ولما طلبوا منه الاعتراف بما يعرفه عن الحزب الشيوعى العربى نفى علمه به . فبدأ تعذيبه بخلع ملابسه ، ثم قيدوا يديه من الخلف . وظل كذلك حتى صباح اليوم التالى . وهددوه بالعذاب الشديد إن لم يعترف . ولما لم يمتثل لهم أخذوه الى غرفة أخرى حيث القيت على رأسه وظهره رمال محمية ، واستأنفوا ضربه بالعصى والسياط ، ثم علقوه من قدميه ، وهو يصرخ مستغيثا طالبا شرب الماء الذى حجبوه عنه . وفى غرفة أخرى قيدوه وبدأوا معه عملية كى

القضيب والخصيتين بجسم ملتهب لمدة ربع ساعة وهو يصرخ . وفى منتصف الليل أوثقوه ووضعوا دبابيس فى عنقه من الخلف ثم نزعوها . وشعر بالدم يسيل على عنقه . ثم اقتيد معصوب العينين الى غرفة أخرى حيث رفعوا العصابة عن عينيه ، وشاهد المجنى عليه مصطفى أمين يوسف عاريا من ملابسه ومقيدا الى الحائط من يديه وقدميه والأنوار الكاشفة مسلطة عليه والعرق يتصبب من جسمه . ثم اقتيد الى غرفة أخرى حيث قيد من قدميه ويديه ووضعوا فى فتحة شرجه خرطوما وأحس بدخول غاز بارد أحدث آلاما مبرحة فى أمعائه . ثم أغمى عليه . وبعد أن أفاق عادوا الكرة عليه . ثم بدأ أحدهم بنزع أظافر قدمه اليمنى الخمس وهو يصرخ بشدة ، وعندئذ أذعن لمطلبهم وكتابة ما يملونه عليه وهو أنه متفق جنائيا مع باقى المتهمين فى قضية الحزب الشيوعى العربى لقلب نظام الحكم واغتيال الرئيس السابق جمال عبدالناصر . ثم أملوه بعد التهديد اقرارا آخر . ولما حاول اثارة التعذيب أمام وكيل النيابة المحقق أخذوه بحجة تناوله الطعام ، ثم قاموا بإعطائه وجبة أخرى من التعذيب بالضرب والركل . وظل بمبنى المخابرات حتى ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٥ ثم نقل الى سجن الاستئناف . وكانت رؤيته لمصطفى أمين أثناء تعذيبه هى للارهاب . وقابل مصطفى أمين فى سجن الاستئناف وذكر له ما شاهده من التعذيب وقال انه شاهد متهمين آخرين يعذبون فى مبنى المخابرات أثناء نقله من غرفة لأخرى ومنهم أنور زعلوك وعدلى أبادير ، وأن لجنة تقصى الحقائق اجتمعت بالمسجونين السياسيين وأخبرهم المجنى عليه مصطفى أمين بما ذاقه من عذاب ..

* * *

وشهد عادل سليمان انه بعد القبض عليه فى اتهامه فى قضية الحزب الشيوعى العربى اقتيد الى مبنى المخابرات فى ٣١ / ٧ / ١٩٦٥ معصب العينين ، واستقبل بعد وصوله بالركل بالأقدام . وجردوه من كل شىء ونزعوا عنه عصابة عينيه . وشاهد مرآة فى الغرفة التى كان بها وفى حضور المتهم الأول صلاح محمد نصر وكذا المتهم الثانى حسن عليش ومعهما عبدالخالق شوقى ، وسألوه عما يعرفه عن الحزب الشيوعى العربى ومصطفى أغا المحامى ، ولما نفى علمه بأى شىء خلعوا عنه ملابسه وبدأوا فى ضربه ، ثم أوثقوه وعلقوه الى أسفل ، ووضعوا وجهه فى فتحة دورة المياه حتى أغمى عليه . ثم رفعوا العصابة من فوق عينيه حيث شاهد رجلا يهذى كالأطفال ، ثم قادوه الى زنزانته . وكانوا يجذبونه من

قضيبه . وكانوا يتدرجون فى التعذيب ويناولونه الماء قطرة قطرة . وأخذوه إلى حيث كان المجنى عليه مصطفى امين يوسف مقيد اليدين والقدمين الى الحائط وقد انهال عليه سيل من السباب فى حضور المتهم الأول وكذا المتهم الثانى ، وانه قابل المجنى عليه مصطفى أمين فى سجن الاستئناف بعد خروجه من مبنى المخابرات العامة فى ١٩٦٥/١٠/٢٦ حيث تبادل معه الحديث عن التعذيب الذى ذاقه كل منهما .

* * *

وشهد عدلى أبادير غطاس أنه قبض عليه فى يوم ١٩ يولية ١٩٦٥ متهما فى قضية الحزب الشيوعى العربى ، واقتيد الى مبنى المخابرات العامة معصوب العينين ، وجردوه من كل ما كان معه وتركوه واقفا فى احدى الغرف مدة تزيد على الساعة ، وسألوه عن علاقته بالأستاذ مصطفى أغا المحامى . وفى حجرة اخرى نزعوا عنه عصابة عينيه وطلبوا منه كتابة ما يعرفه عن ذلك المحامى . وكان يسمع أصوات استغاثة . ولما لم يرضوا عما كتبه أخذوه الى غرفة أخرى وخلعوا عنه ملابسه جميعها ، ثم وضعوا العصابة على عينيه وكبلوا يديه بالحديد وقيدوا قدميه وقاموا بكى ظهره فى أماكن متفرقة ثم صبوا عليها الماء البارد . كل ذلك وهو مشلول الحركة عن كل مقاومة . ثم أمروه بالسير فى الحجرة وهو مقيد القدمين . وكان يتكرر سقوط فى كل مرة يحاول فيها السير . ثم طلبوا منه تحرير اقرار بانضمامه الى الحزب الشيوعى العربى الذى ألفه مصطفى أغا . فكتب هذا الاقرار تحت ضغط التعذيب . ثم أخذه بعد ذلك أحد الضباط وخلع عنه عصابة عينيه وطلب منه تحرير اقرار آخر يذكر فيه أعضاء التنظيم . ولما لم يمتثل الى طلبه أمر بضربه بالسياط أو العصى - لأنه لم يتمكن من معرفة الالة التى كان يضرب بها وهو معصوب العينين - واستمر ضربه حتى أغمى عليه . ولما أفاق وجد الدم يسيل من فمه وقد تخلخلت أسنانه الأمامية التى خلعها طبيب سجن الاستئناف بعد نقله اليه . ولما أفاق من اغمائه طلب منه أحد الضباط كتابة الاقرار المطلوب منه . وقد أعادوا تعذيبه ، وقادوه الى حجرة أخرى وهو معصوب العينين ، وهناك رفع عن عينيه العصابة فشاهد المجنى عليه مصطفى أمين عاريا تماما ومقيد اليدين والقدمين الى الحائط وكان أحدهم يشد شعر عانته . وفى اليوم التالى طلب منه ضابط المخابرات تحرير اقرار بأن مصطفى أغا المحامى عرض عليه وزارة الثقافة وانه قبلها ، فحرر الاقرار كما طلب منه ، ثم بدأت النيابة التحقيق معه . وكانت رؤية مصطفى أمين وهو يعذب لتهديده بعذاب

آكبر . وكان يحضر صلاح نصر تعذيب مصطفى امين . وسمع بعد نقله الى سجن الاستئناف فى ١٩٦٥/١٠/٢٦ انه أى بمصطفى امين تليفونيا وطلب منه أن يعيد (أى مصطفى امين) الطعام والشراب عنه وكذا الأدوية ، وأن كلا من أنور زعلوك ومحمد عبدالغنى النشرتى وعادل سليمان شاهد مصطفى أمين وهو يعذب وأثبت الطبيب الشرعى الاصابات المختلفة بكل منهم من آثار التعذيب ، وانهم شرحوا الى أعضاء لجنة تقصى الحقائق ما لاقوه من تعذيب عند زيارتهم لهم بليمان طره ، كما ذكر لهم مصطفى امين ما لاقاه من تعذيب ..

— وشهد السيد سيد جلال عضو مجلس الشعب انه كان عضوا فى لجنة تقصى الحقائق التى شكلت من بين أعضاء مجلس الشعب لزيارة المسجونين السياسيين ، وانه توجه مع اللجنة لزيارة ليمان طرة حيث قابل مصطفى أمين المجنى عليه الذى اصطحبه الى زنزانته وذكر له ما ناله من تعذيب ، وانه شاهد معه السيدة كريمة العروسى تنفرد بالمجنى عليه أيضا ، وانه حاول الاتصال ببعض الأشخاص كوزير الداخلية ليبلغه ما حدث للمجنى عليه مصطفى أمين وعلل عدم اثارته واقعة تعذيبه بمجلس الشعب بأنهم جميعا كانوا منافقين ..

— وشهدت السيدة كريمة العروسى (أحد أعضاء لجنة الحريات لتقصى الحقائق بمجلس الشعب) انها ذهبت الى ليمان طره ، وعند مقابلتها للمجنى عليه مصطفى أمين بكى متأثرا لما حدث له من تعذيب وأخبرها بتفاصيله وطلب إعادة محاكمته بعد ادانة صلاح نصر وكذا جميع المسجونين السياسيين . وقد حررت تقريرا سلمته الى رئيس مجلس الشعب اثبتت فيه ما سمعته من مصطفى امين وما شاهدته بالليمان ..

— وشهد الدكتور عز الدين عبدالقادر انه كان متهما بالتحريض على قلب نظام الحكم . وكان فى فرنسا ثم ذهب لاجئا الى المغرب حيث قابل الرئيس السابق جمال عبدالناصر الذى طلب منه فتح صفحة جديدة . ورحب بحضوره الى مصر . وعقب وصوله الى مطار القاهرة الدولى ومعه زوجته قبض عليهما واقتيدا الى مبنى المخابرات العامة حيث قابل صلاح نصر المتهم الأول . وأمروا بخلع ملابسه وأخذوا فى تعذيبه ونغزه فى ظهره بالسكاكين حتى أغمى عليه . وقدم للمحاكمة وقضى عليه بالعقوبة . وقابل بليمان طره المجنى عليه مصطفى امين وتبادلا الحديث عن التعذيب الذى حدث لكليهما . وأخبره مصطفى أمين انهم كانوا يشدونه من شعر جسمه . وطلب من أعضاء لجنة تقصى الحقائق عند حضورها الى الليمان مشاهدة مصطفى أمين الذى أخبرهم بما ناله من تعذيب .

— وشهد الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامي بأنه ندب للدفاع عن الأستاذ مصطفى أمين في قضية التخابر ١٠ سنة ١٩٦٥ ، وانه ذكر له ما حدث له من تعذيب في أثناء مقابلته له في المحكمة في فترة الاستراحة وأمام هيئة الدفاع التي كانت مكونة منه والاستاذين محمد عبدالله وحمادة الناحل المحامين ، وانهم سمعوا جميعا من المجني عليه ما لاقاه من تعذيب كشد شعر جسمه وعانته ، وأن هيئة الدفاع قررت عدم جدوى اثارة موضوع التعذيب أمام المحكمة لأن رئيسها لم يكن يسمح لأى محام باثارة مثل هذه الأمور ، ولأن أمر تشكيل المحكمة المذكورة لا يأخذ بقانون الاجراءات الجنائية .

— وشهد الاستاذ فائق عبدالكريم السمرائي سفير العراق السابق بمصر بأنه كانت له علاقة قديمة بالمجني عليه مصطفى أمين يوسف بحكم اشتغالهما بالقضايا العامة وتوقفت هذه العلاقة بينهما عندما عين سفيرا للعراق في القاهرة . وطلب منه الرئيس السابق جمال عبدالناصر الاتصال بمصطفى أمين في القضايا المستعجلة . وكان ذلك سببا في توثيق العلاقة بينه وبين مصطفى أمين . وفي احدى الزيارات له في أواسط سنة ١٩٦٤ اتصل سامي شرف بمصطفى أمين تليفونيا وطلب منه أن يعيد (أى مصطفى أمين) اتصاله برجال الولايات المتحدة الأمريكية ، فأشار (أى الشاهد على مصطفى أمين) أن يتصل بالرئيس جمال عبدالناصر شخصيا وتم هذا الاتصال أمامه فأيد الرئيس السابق جمال عبدالناصر ما أبلغ به سامي شرف المجني عليه مصطفى أمين ، ثم سافر بعد ذلك الى بغداد وسمع وهو هناك بأمر القبض على مصطفى أمين لتخابره مع دولة أجنبية . ثم تردد على مصر عدة مرات بعد ذلك قابل خلالها الرئيس السابق جمال عبدالناصر ، وقبل صدور الحكم ضد مصطفى أمين . وأخبر الرئيس السابق بأنه كان حاضرا المكالمة التليفونية بين مصطفى أمين وبين سامي شرف وكذلك بين مصطفى أمين وبين الرئيس السابق جمال عبدالناصر وأن اتصال مصطفى أمين برجال الولايات المتحدة الأمريكية كان بناء على طلب الرئيس السابق جمال عبدالناصر ، فأخبره الأخير انه لم يقل لمصطفى أمين أن تمنع الولايات المتحدة الأمريكية القمح عن مصر . ثم حدثت بعد ذلك عدة اتصالات بينه وبين الأمير طلال ابن عبدالعزيز آل سعود والسيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق وكذلك بين الاخرين وبين الرئيس السابق جمال عبدالناصر الذى أخبرهم بان مصطفى أمين مظلوم وانه اذا أطلق سراحه وقتئذ فسيضطر لاطلاق سراح الاخوان

المسلمين والشيوعيين ، ووعدهما بإرسال مصطفى أمين الى المستشفى بعد الحكم عليه . وبعد وقوع نكسة ٦٧ وفى الطريق الى مؤتمر الخرطوم عاود الكلام مع الرئيس السابق جمال عبدالناصر واخبره انه اذا كان ما نشر فى الصحف عن انحراف المخابرات صحيح أفليس من الانصاف أن تعاد محاكمة مصطفى أمين ، بإطلاق سراحه فى أقرب فرصة . وقد كان مقتنعا ببراءة مصطفى أمين . وفى الفترة ما بين ديسمبر ١٩٦٥ وفبراير سنة ١٩٦٦ استدعاه الصحفى سعيد فريحة فى فندق الهيلتون وقدم له رسالة بخط يد مصطفى امين موجهة الى الرئيس السابق جمال عبدالناصر لعرضها عليه ، وانه بعد أن قرأ ما بها من تعذيب طلب من سعيد فريحة أن يعتبر الرسالة كأن لم تكن . وأخبر سعيد فريحة بأنه لن يقدم الرسالة لأنها اذا تسربت من مكتب الرئيس السابق جمال عبدالناصر فستكون حياة مصطفى أمين فى خطر ، فاقتنع سعيد فريحة بكلامه ولم يقدم الرسالة . وبعد ذلك تسربت الرسالة الى جريدة الانوار بعد مضى مدة كبيرة . وقد قابل مصطفى أمين مرتين أولاهما بسجن الاستئناف والثانية بليمان طره .

* * *

— وشهد الدكتور بهى الدين شلش بان المتهم صلاح محمد نصر وكذا المجنى عليه مصطفى امين كانا يعالجان بمستشفى قصر العينى ، وبعد الافراج عن مصطفى أمين أبلغ صلاح نصر أنه سيقابل مصطفى أمين فطلب منه الأول أن يبلغه انه كان مظلوما فى اتهامه وأن الرئيس السابق جمال عبدالناصر كان يحاكم مصطفى امين للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية . وقد طلب منه مصطفى امين ان يستكتب صلاح نصر مضمون ما ذكره له وان الأخير لم يوافق . وذكر له مصطفى امين ما ناله من عذاب كشد شعر العانة وجذبه من جهازه التناسلى ..

دور المشير عامر

— وشهد المستشار سمير ناجى انه بعد القبض على المجنى عليه وانتقاله الى مبنى المخابرات بالقاهرة مع رئيس نيابة امن الدولة العليا حضر واقعة طلب المتهم الثانى حسن زكى عليش من رئيس النيابة الأمر بالقبض على الصحفيين مصطفى كمال ابراهيم وإبراهيم صالح محمد اللذين كانا يعملان بدار الأخبار لتحريرهما تقارير وجدت لدى المجنى عليه مصطفى امين يوسف ، وإذ رفض رئيس نيابة امن الدولة هذا الطلب

باعتبار أن ما صدر منهما يدخل في صميم عملهما ولا يكون أي جريمة أو له شبهة علاقة بما هو مسنود للمجني عليه مما يجعل القبض عليهما على غير أساس من القانون ، فقد بادر المتهم الثاني حسن زكي عليش واتصل بالمرحوم المشير عبدالحكيم عامر (القائد العام للقوات المسلحة والنائب الأول لرئيس الجمهورية) الذي تحدث تليفونيا مع رئيس النيابة المذكور وطلب منه ما طلبه المتهم الثاني قائلا « قانون ايه بلاش تخلف » ولما أصر رئيس النيابة على موقفه رد المشير « قانون ايه انت مش عارف ان احنا في ثورة . قانون ايه خلوا قلوبكم معانا » فرد رئيس النيابة بانه يعمل بكل قلبه . وانتهت المكالمة ، وأحس (أى الشاهد) بتأزم الموقف ، وانه في حدود ما ضبط لا يستطيع أن يقبض على هذين الصحفيين . ثم قدم بلاغ أخر به معلومات من المخابرات عن الصحفيين المذكورين فصدر أمر بالقبض عليهما ..

شهادة محجوب

— وقرر السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق جمال عبدالناصر للتوسط في شأن الافراج عن المجني عليه مصطفى أمين يوسف وانه قابله في منزله بمنشية البكري واستفسر منه عما اذا كان مصطفى أمين جاسوسا ، فأخبره الرئيس السابق جمال عبدالناصر أنه كلف مصطفى أمين بالاتصال بالمخابرات الأمريكية ليعرف أخبارهم ، ولما أخبروه بان ذلك لا يتم إلا إذا عرفت المخابرات الأمريكية أخبار مصر ، أكد له الرئيس السابق جمال عبدالناصر معرفته ذلك ، ولكن مصطفى أمين قد تجاوز حدود مهمته إذ قال لرجال المخابرات الأمريكية أن الرئيس السابق جمال عبدالناصر يحتاج الى القمح وانه إذا منع عنه القمح فسيركع على ركبتيه للولايات المتحدة الأمريكية وأن هذا الأمر آلمه ولذلك لا يمكنه اطلاق سراحه وقتذاك حتى لا يقال ان رجال الولايات المتحدة الأمريكية طلبوا منه ذلك في الوقت الذي يحاكم فيه الاخوان المسلمين ، وانه اذا أفرج عنه قد يقتضي ذلك الافراج عن الاخوان المسلمين ، ووعده بالافراج عن مصطفى امين افراجا صحيا ..

تحقيق المدعي العسكري

وثبت من مطالعة محضر تحقيق المدعي العام العسكري عند مناظرته المجني عليه مصطفى امين يوسف في ١٦ / ٣ / ١٩٦٨ مشاهدته علامات سوداء أسفل الركبة بطول ٣ سم وأسفل الساق ناحية القدم بطول ٢ سم

كما لاحظ وجود أثر غائر فى منتصف الركبة اليمنى وجد علامتين أسفل الذقن تركت أثرا واضحا الأولى بطول ٣ سم والثانية ممتدة ناحية اليسار وعلامات غائرة حول رأس القضيب . كما ثبت من الكشف الطبى الموقع على المجنى عليه فى ٣ / ٤ / ١٩٦٨ بليمان طره وجود أثر إلتئام قديم لجرح صغير بقمة الرأس بطول ٢ سم والتئام كبير قديم مستعرض لجرح رضى أسفل الذقن بطول ٢ سم وأثر التئامين صغيرين بمقدمة الساق اليسرى بلغ طول كل منهما ٢ سم وأن هذه الالتئامات قديمة لجروح رضية يصعب التكهن بميعاد وأسباب حدوثها ، اللهم الا مصادمة بأجسام صلبة راضة منذ وقت طويل . كما ثبت من الكشف الطبى الشرعى المؤرخ ١٣ / ٥ / ١٩٦٨ على الشاهد شفيق اندراوس ..

أولا : أن الضرس ذا الشرافتين الثانى الأيمن فى الفك السفلى مفقود واللثة مكانه ملتئمة تماما وضامرة ..

ثانيا : اثرة إلتئام سطحية على شكل حرف ٧ مبيضة اللون نوعا ، وطول كل من ضلعيها نحو ½سم ، وتقع بوحشية ظهر المفصل التسلامى لابهام اليد اليمنى ..

ثالثا : أثرة التئام بلون داكن عن لون الجلد نوعا حوافيها غير محددة تماما وغير منتظمة الشكل وتقع بأعلى الظهر الى الأنسية قليلا من اللون الأيمن .

رابعا : عدة آثار التئامية سطحية عددها ٣٠ مستديرة الشكل وكل بقطر حوالى ١سم ، وكل أبيض اللون نوعا وحوافيها داكنة ومنتشرة بأعلى الظهر وخلف الكتفين وأسفل خلف القفا وإثنان منها خلف الكتف اليمنى مكون من نسيج كليويدى بارز قليلا عن سطح الجلد بينما بقية أثر فى مستوى سطح الجلد ..

خامسا : عدة تلوثات بالجلد حوالى ٢٠ بلون بنى داكن عن لون الجلد منتشرة بالنصف العلوى ..

وانتهى التقرير الى نتيجة بأنه شكل وطبيعة أثر الالتئام المستديرة الموصوفة بالظهر ومؤخر الكتفين ومؤخر العنق يتفق ، ونخلف هذه الاثار عن الكى بأجسام ساخنة . أما الأثر الموصوف بإبهام اليد اليمنى وبالظهر على أنسية اللوح الأيمن وموضع فقد الضرس ذى الشرافتين السفلى الثانى الأيمن تغير معالمه جميعا بفعل تطورات التقيح فى بطنها والالتئام ثم مضى الوقت عليها الأمر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوثها . وكان يمكن القطع فى هذا الصدد لو كان تيسر الحصول على كشف طبى

يصف الاثار التى تخلف عنها فور حصولها . وكل ما يمكن تقريره فى صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها على سبيل القطع نتيجة الاعتداء المتعمد والتعذيب . وجميع هذه الاثار مضى عليها فترة تزيد على ستة اشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ، ولا يوجد ما يمنع أن تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور وقد شفى من اصابته دون تخلف عاهة ..

كما ثبت من الكشف الطبى الشرعى المؤرخ ايضا ١٣ / ٥ / ١٩٦٨ على الشاهد عدلى ابادير غطاس انه وجد أن سنته القاطعتين الأنسية اليسرى والوحشية بالفك العلوى مفقودتان مع تركيب أخريين صناعيتين ووجود اثرة التئام تامة التكوين بلون مبيض حولها بلون بنى . والأثرة مستديرة الشكل بقطر حوالى ٢سم وتقع عند الزاوية الأنسية للوح الأيمن كما توجد اثرة التئام مبيضة اللون حوافيها بنية تقع على يسار الخط المنصف للظهر مباشر فى مستوى الفقرة التاسعة الظهرية ومساحتها نحو ٢×٢سم وبلون داكن بالجلد غير منتظم الشكل فى مساحة حوالى ٥×٤سم يقع بانسية خلف الكتف الأيسر على بعد حوالى ٨ سم من الخلف المنصف للظهر ، وتلون بالجلد داكن اللون نوعا غير محدود تماما فى مساحة حوالى ٤ × ٣ سم ويقع بانسية خلف الكتف الايمن على بعد حوالى ٥سم من الخط المنصف للظهر . وخلص التقرير الى أن أثر الالتئامين والتلفيات البنية الموصوفة بالترقوة بالظهر ومؤخر الكتفين وموضع فقد السنتين القاطعتين بيسار الفك العلوى جميعها قد تغيرت معالمها بفعل تطورات التقيح فى بعض منها والالتئام تم مضى الوقت عليها الأمر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوثها . وكان يمكن القطع فى هذا الصدد لو كان تيسر الحصول على كشف طبى يصف الاثار التى تخلفت عنها فور حدوثها . وكل ما يمكن تقريره فى صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها على سبيل القطع نتيجة الاعتداء المتعمد والتعذيب ، وجميع هذه الآثار مضى عليها فترة تزيد على ستة أشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ولا يوجد ما يمنع تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور الذى شفى من اصاباته دون تخلف عاهة .

وثبت من الكشف الطبى الشرعى على الشاهد محمد عبدالغنى النشرتى فى ٦ / ٣ / ١٩٦٨ انه وجد بمؤخر العنق اثرة إلتئام تامة التكوين على يسار مؤخر العنق بين شعر القفا وعلى بعد حوالى ٢.٥ سم من الخط المنصف بلون نحاسى بقطر حوالى ½سم وتحتها تليف بالأنسجة تحت الجلد بحجد

الحمصة ، وأثرة إلتئام تامة التكوين على يمين مؤخر العنق بين شعر القفا على بعد حوالى ٣ سم من الخط المنصف بلون نحاسى وبقطر حوالى ٢ ملليمتر ، تحتها تليف بالأنسجة تحت الجلد بحجم الترمسة ، وبالساعد الأيسر ثلاث ندب سطحية صغيرة على مقدم أسفل الساعد الأيسر بلون نحاسى باهت أولاها تعلو الرسغ بمسافة حوالى ٢,٥ سم وهى غير منتظمة الشكل مساحتها فى أقصى ابعادها ٥× ٣ ملليمتر ، والثانية على وحشية السابقة بمسافة حوالى ١سم وهى غير منتظمة ومساحتها فى أقصى ابعادها ٣×٣ ملليمتر ، والاثرة الثالثة أسفل مستوى المسافة بين الاثرتين السابقتين وهى خطية بطول حوالى ١سم وبعرض ١ ملليمتر وباتجاه من اعلى الى أسفل ، والأنسجة باليد اليسرى اثرة سطحية رقيقة بيضاوية الشكل براحة اليد على كلية الابهام مساحتها فى أقصى ابعادها ١٨×١٠ ملليمتر وهى بلون نحاسى داكن ، وبالساق اليسرى اثرة إلتئام سطحية رقيقة غير منتظمة الشكل مساحتها فى أقصى ابعادها ١,٥×١ سم على مقدم الساق اليسرى بلون نحاسى باهت ، وندبة منخسفة لامعة بلون الجلد تقريبا قطرها ٨ ملليمترات على مقدم الساق اليسرى عند اتصال رسغيها السفليين ، وبالقدم اليسرى اثرة التئام رقيقة بلون نحاسى باهت عند ظهر القدم اليسرى خلف المفصل السلامى المشطى للابهام باتجاه من الأنسية الى الوحشية والأمام مساحتها حوالى ١٦×٤ ملليمتر قوسية نوعا ، وبالقدم اليمنى تشوه بسيط بقاعدة ظفر الابهام ، وأظافر باقى الأصابع عادية المظهر وتبين من فحص الطبيب أن بالتمرة مساحات صغيرة غير منتظمة عديدة بلون مبيض يقرب لونها من لون التمرة الباهت وهى متصلة بها وتتراوح أقطارها ما بين ٣,٥ ملليمتر وذلك بالاضافة الى أثرتين بلون باهت على ظهر جسم القضيب نفسه عند منتصفه أولاهما بقطر حوالى ٦ ملليمترات والثانية مساحتها ٨×٦ ملليمتر وتفصلهما مساحة سليمة من الجلد بعرض ١سم .

وخلص التقرير الى أن آثار الالتئام الموصوفة بالعنق والساعد الأيسر واليد اليسرى والساق اليسرى والقدم اليسرى والقضيب قد تغيرت معالمها جميعا بفعل تطورات التقيح فى بعضها والالتئام ثم مضى الوقت عليها الأمر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوثها . وكان يمكن القطع فى هذا الصدد لو كان تيسر الحصول على كشف طبى يصف الآثار التى تخلفت عنها فور حدوثها . وكل ما يمكن تقريره فى صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها على سبيل القطع نتيجة الاعتداء المتعمد

والتعذيب وأن النشر الموصوف بظفر الابهام بالقدم اليمنى حدث نتيجة نزع الظفر ونمو ظفر جديد بدله بعد تقيح مجلس الظفر المنزوع . وجميع هذه الاثار مضى على حدوثها مدة تزيد على ستة أشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ولا يوجد ما يمنع أن تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور الذى شفى من اصاباته دون تخلف عاهة مستديمة بسببها ..

وثبت من الكشف الطبي الشرعي على الشاهد انور جمعة زعلوك المؤرخ ١١ / ٥ / ١٩٦٨ انه به أثرة التئام تامة التكوين مبيضة اللون حوافيها تقريبية بوحشية خلف العضد الايسر طولها ٤ سم وعرضها ١ ١/٢ سم ، وتغير واضح بظفر الأصبع الوسطى من اليد اليسرى مع انغراس غير عادي بحوافيه وظهور تقرحات خطية في تكوينه وتغير واضح بظفر الأصبع الابهام الأيسر مع انغراس بحوافيه وانخساف بقاعدته وظهور خطوط عرضية في تكوينه ، ووجود اثرة إلتئام صغيرة تامة التكوين مبيضة اللون طولها نحو ١ سم ممتدة من الجهة الأنسية لقاعدة الظفر ، واثرة الالتئام خطية في الجزء الخلفي من الغشاء المخاطي المبطن للقناة الشرجية ممتد حتى الجلد الخارجي بطول نحو ١ ١/٢ سم مع وجود تقلص في العضلة القابضة الشرجية واثرة إلتئام تامة التكوين طولها نحو ٧ سم تقع اسفل يمين البطن متجهة من أعلى واليمين الى أسفل واليسار . وخلص التقرير الى أن به اثرة التئام بحافة فتحة الشرج وتشوه بظفرى الأصبعين الوسطى والابهام باليد اليسرى ودوالى بالساقين وفتق أربى مزدوج وبول سكرى . والاثرة المشاهدة بحافة الشرج قد تغيرت معالمها بفعل تطورات التقيح والالتئام ثم مضى وقت عليها الأمر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوثها . وكان يمكن القطع في هذا الصدد لو كان متيسرا الحصول على كشف طبى يصف الأثر الذى تخلفت عنه فور حدوثه . وكل ما يمكن تقريره في صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها نتيجة الاعتداء . والتشوه المشاهد بظفر كل من الاصبعين الوسطى والابهام باليد اليسرى وانغراس حوافيها وظهور الخطوط العرضية في تكوينها يتفق وحصول التشوه في الحالتين نتيجة نزع الظفر ونمو ظفر جديد بدله بعد تقيح مجلس الظفر المنزوع . وهذه الاثار مضى عليها فترة تزيد على ستة اشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ولا يوجد ما يمنع أن تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور الذى شفى من اصابته دون تخلف عاهة ..

● ● ●

الادعـــاء المـدنى

وحيث أن المجنى عليه مصطفى أمين يوسف قد ادعى مدنيا قبل المتهمين الثلاثة صلاح محمد نصر وحسن زكى عليش واحمد يسرى الجزار أن يدفعوا له بالتضامن وعلى سبيل التعويض المؤقت مبلغ ٥١ ج (واحد وخمسون جنيها) والمصاريف والاتعاب ، وذلك عما ناله من ضرر أدبى وجسمانى ، وقال مدافعه أن المتهمين قد امروا بتعذيب موكله لحمله على الاعتراف ، ونعى على النيابة امرها بحبس المجنى عليه بمبنى المخابرات العامة وهو ليس من الأماكن المحددة قانونا لحبس المتهمين حبسا احتياطيا فتركت بذلك المجنى عليه فى حوزة المخابرات العامة وتحت سيطرتها ، وردد ما حدث فى طلب القبض على بعض الصحفيين بلا مبرر من القانون وما يعنيه هذا التصرف من تعارض مع سيادة القانون الذى اعتبر فى نظر المسئولين تخلفا ، ثم عدد ما جاء بمؤلف المتهم الأول صلاح محمد نصر « الحرب النفسية » من طرق التعذيب المختلفة كالعزل وحرمان من الطعام والشراب وغسيل المخ وقيد اليدين والقدمين والصلب والنفخ وسماع أصوات الاستغاثة حتى يسلب المتهم من كل إرادة ويكون طوع ارادتهم ، وقارن بين هذه الوسائل وبين ما جاء ذكره على لسان المجنى عليه والشهود الذين عاصروه وقت وجوده بمبنى المخابرات وما ذاقوه من ألوان التعذيب ، وكذا مما وقع للعقيد عبدالقادر عيد مدير مكتب المرحوم المشير عبدالحكيم عامر والمستشار مصطفى كمال وصفى ، وما جاء على لسان سمير عبدالقوى بمجلة المصور من تعذيب بانواعه المختلفة بمبنى المخابرات العامة . وخلص الى أن القضية المطروحة هى قضية مصر وليست قضية مصطفى أمين . وانتهى الى طلب الحكم بتوقيع العقوبة على المتهمين الثلاثة وإلزامهم بالتعويض المؤقت متضامنين مع المصاريف والأتعاب ..

دفـــاع المتهمين

وحيث أن المتهمين الثلاثة أنكروا ما أسند اليهم .. وطلب الحاضرون معهم القضاء ببراءتهم من التهمة المسندة إليهم ورفض الدعوى المدنية المقامة عليهم وإلزام رافعها بالمصاريف . قولا منهم أن المدعى بالحق المدنى بتعذيبه من وحى خياله ولا أساس له من الصحة ، وقد استقى وسائله من مؤلف المتهم الأول « الحرب النفسية » ونسب لنفسه ما سمعه من آخرين

عذبوا فى السجن الحربى . ركنوا ذلك الى الأسباب الاتية :

١ ـ ان صحة المجنى عليه لا تحتمل ما ذكره من ألوان التعذيب ومدته ، ولا يتناسب مع ما به من اصابات .

٢ ـ ان المتهمين يعلمون بملكية المجنى عليه لدار نشر لها ارتباطات وثيقة بالصحافة العالمية ، ويعرفون أن أى مساس به سيكون له صداه فيها .

٣ ـ ان المتهمين لم يعرفوا بمحتويات الحقائب التى هربها المجنى عليه ، ولو عذب حقا لعرفوها .

٤ ـ ان بلاغ المجنى عليه الأول بشأن الجاسوس لوتر لا يعول عليه لأنه صدر من محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة (م ٢٥ ع) .

٥ ـ ان المحقق العسكرى ليس فنيا مما يتعين طرح ما ذكره بشأن سبب اصابات المجنى عليه لاحتمال أن تكون من سبب آخر غير التعذيب ..

٦ ـ ان مكتب الادعاء لمحكمة الثورة لم يجد فى بلاغ المجنى عليه من التعذيب حقا ، وإلا لما افلته .

٧ ـ ان المجنى عليه لم يكشف عن اصاباته للمحققين حيث لا داعى للمناظرة لأن القضية ليست من القضايا التى يستلزم فيها المناظرة ، كما ان حبس المجنى عليه بمبنى المخابرات وإجراء التحقيق فيه كان للسرية ومنع الاتصال بالشبكات .

٨ ـ ان الالتماس المحرر من المجنى عليه قد تضمن معلومات لا يعرفها غيره من المتهمين الذين لم يكونوا قد ظهروا بعد فى الحياة العملية ، وتضمن أن اتصاله بالأمريكيين كان بتكليف من المسئولين كما انه حرره بعد أن استشعر بورطته بقصد العفو وانه فى حقيقته دفاع مكتوب وقد أقر الرئيس السابق بعد اطلاعه عليه بإرفاقه بالتحقيق حتى يقطع على المجنى عليه خط الرجعة وانه بتدخل المخابرات العامة ولرفضه ما تضمنه من تهديد وتعبير .

٩ ـ ان المجنى عليه تضارب فى أقواله فى كل مراحل التحقيق بشأن من قام بتعذيبه فضلا عن اختلاقه وقائع ثبت عدم صحتها .

١٠ ـ ان شهود الرؤية قد كذبوا فى أقوالهم بدليل حفظ البلاغات المقدمة منهم عن تعذيبهم فضلا عن ان أحدهم وهو أنور زعلوك له سوابق فى التزييف والشيكات بدون رصيد .

١١ ـ ان المجنى عليه قرر انه لم يشاهد أحدا من هؤلاء الشهود وقت تعذيبهم .

١٢ - ان أقوال المجنى عليه قد تضاربت مع أقوال شهوده - وكلهم محكوم عليهم وكان يجمعهم سجن واحد بزعامته - فى شأن من حضر من المتهمين فى التعذيب فضلا عن انهم لم يشهدوا إلا عن واقعة التعذيب فقط .

١٣ - ان المجنى عليه لم يستشهد بشاهد جديد رغم تعدد سؤاله أمام محققين متعددين .

١٤ - ان الكشف الطبى الموقع على المجنى عليه يوم دخوله سجن الاستئناف فى ١٩٦٥/١٢/١ جاء خاليا من وجود اصابات به .

١٥ - ان واقعة الرسالة التى ادعى المجنى عليه تحريرها فى سجن الاستئناف للرئيس السابق مختلقة لعدم نشر سعيد فريحة لها فى حينه ولتضارب أقوال الأستاذ فائق السمرائى بشأن المحادثة التليفونية التى جرت بين المجنى عليه وسامى شرف .

١٦ - ان المجنى عليه لم يعرض نفسه إلا على سيد جلال دون سائر اعضاء لجنة تقصى الحقائق والذى ذكر رؤية اصابات فى صدر وظهر المجنى عليه فى وقت جاء التقرير الطبى الثانى الموقع على المجنى عليه ، وبمناظرة المحقق العسكرى خلو المجنى عليه من وجود أية اصابات بالصدر أو الظهر مما يحتمل أن تكون هذه الاصابات مفتعلة .

١٧ - ان أحدا ممن زار المجنى عليه فى سجن الاستئناف لم يشاهد ما به من اصابات .

١٨ - ان المجنى عليه لم يدفع عند محاكمته فى قضية التخابر بالتعذيب .

١٩ - ان أقوال الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى ليست كأقوال المحامى الموكل وانه مادام قد ارتضى لنفسه أن يعمل سكرتيرا للمحامى الموكل فإنه يتعين أن تهدر أقواله خاصة وانه يتقاضى أجرا من المحكمة ولا صالح له فى شىء حتى انه لم يدفع فى الدعوى بالتعذيب رغم سابقة الدفع به فى القضية رقم ٩ / ٦٥ جنايات أمن دولة عليا .

٢٠ - ان اصابات المجنى عليه الثابتة بالكشف الطبى الثانى تطابق اصاباته من سقوطه فى سيارة والتى أشار اليها فى مؤلفه « سنة أولى سجن » .

٢١ - ان المجنى عليه كان يسعى الى الافراج عن المتهم الأول .

— واضاف مدافع المتهم الأول أن موكله كان موضع حملة تشهير من المجنى عليه والصحافة ، ولم يكن المجنى عليه يبغى من ذلك إلا إعادة

محاكمته لتعود له عضويته فى نقابة الصحفيين . وإن ما حدث للمتهم الأول من الرئيس السابق فى قضية انحرافات جهاز المخابرات العامة كان بسبب الاعتقاد بأنه من جبهة المرحوم المشير عبدالحكيم عامر

— ودفع بعدم اختصاص المحكمة بنظر الدعوى لاختصاص القضاء العسكرى بها طبقا لنص المادة ٧٠ من القانون رقم ١٠٠ لسنة ٧١ بشأن جرائم أفراد المخابرات وهو قانون خاص لاحق فى الصدور لقانون الاحكام العسكرية فيفسخ منه ما يتعارض معه من احكام (م٢ من قانون اصداره) مثل تقييده حق النيابة العسكرية فى القبض على أفراد المخابرات العامة إلا فى حالات التلبس ، ووجوب ابلاغها رئيس المخابرات العامة عند اصدارها بأمر حبس أحد أفراد الجهاز . وعدم تحريك الدعوى إلا بأمر يصدر من رئيس الجمعية (م ٧١ ق ١٠٠ لسنة ٧١) بالاضافة الى طبيعة تشكيل المحكمة المختصة بنظر مثل هذه الجرائم (م ٧٣ ق ١٠٠ لسنة ٧١) التى تختلف عن تشكيل المحاكم العسكرية العادية خاصة أن جريمة التعذيب المدعى بها وقعت فى المخابرات العامة وليس فى السجن الحربى . وهو سند النيابة العسكرية فى عدم اختصاصها بنظرها فضلا عن أن صاحب الكلمة فى الاختصاص هى المحكمة العسكرية وليست النيابة العسكرية .

دفاع المتهم الثانى

أما مدافع المتهم الثانى فقد أضاف أن الاعتراف لا يرد على الركن الشرعى لجريمة التخابر ، وهو وجود التكليف الذى لا يثبت إلا بدليل القانون ، وأن المجنى عليه وقد قرر أن التعذيب قد وقع عليه حتى لا يقرر أن اتصاله بالأمريكيين كان بعلم المسئولين وبتكليف منهم وهو الامر الذى كان يسعى الى اثباته بدليل الشخصيات التى استشهد بها فإن الجريمة المنصوص عليها بالمادة ١٢٦ عقوبات لا تنطبق حيث انه لابد أن يكون التعذيب للحمل على الاعتراف . ولا تعدو الواقعة - إن صحت - جريمة استعمال قسوة قد سقطت بالتقادم .

كما أضاف أنه لا يوجد أى شىء بين المجنى عليه وبين المتهم الثانى . وإنما أراد أن يدهسه فى خضم الصراع السياسى فى وقت لا سلطان فيه للمتهم الثانى على مكان التحقيق وإنما للنيابة العامة . وفى وقت لم ينسب له فيه أى فعل مادى حيث لا أمر مكتوب ولا شفوى لعدم وجود المأمور مما ينعدم معه الدليل فى هذا الشأن . وأن ما ذكر عن مبنى المخابرات فلا تجرى فيه البينة وإنما المعاينة أو كلام الشخص المسئول

دفـاع المتهـم الثـالث

بينما أضاف الحاضر مع المتهم الثالث أن موكله يعمل في جهاز علمي هو هيئة الأمن القومي لا يحتاج في عمله الى التعذيب لاثبات ما يقوم بضبطه من قضايا ، وأن الرسالة المقول بأن المجني عليه حررها في ١٩٦٥/١٢/٦ لم تظهر الى الوجود إلا عند ابلاغ المدعي العام العسكري في سنة ١٩٦٨ لاحتوائها على وقائع لم تكن معروفة وقت كتابتها ، مثل تسرب المخابرات الاسرائيلية الى المخابرات المصرية التي ضمنها المجني عليه بلاغه في ١٩٦٨/٢/١٩ بشأن واقعة لوتز . وواقعة تهديده بسم لا يظهر في التحليل ، وهو لم يسمع به إلا في قضية انتحار المرحوم المشير عبدالحكيم عامر سنة ١٩٦٧ . وواقعة استشهاده بشهود كالنشرتي الذى لم يره إلا في سجن القناطر . ولأنها لم تنشر إلا سنة ١٩٧١ بعد موت عبدالناصر وانهيار مراكز القوى . ولأنها لو كانت موجودة لسلمها المجني عليه إلى من زاره في سجن الاستئناف ..

كما أضاف بأن المجني عليه لم يذكر اسم المتهم الثالث إلا سنة ١٩٧٤ أى بعد عشر سنوات من تاريخ وقوع التعذيب المدعى به . وانه قبل ذلك اتهم المتهمين الأول والثاني لاتهامهما في قضية انحراف المخابرات وأغفل اتهام المتهم الثالث لعدم اتهامه فيها .. هذا بالاضافة الى تضارب أقوال المجني عليه في شأن ما يتعلق بالأمر بالتعذيب . والتعذيب نفسه وكيفية تعرفه على المتهمين وتحرير الاقرار الذى كتبه كله بإرادته لأن الارادة لا تتجزأ ..

المحـكمـة تفنـــد

وحيث أن الدفع المبدئي من المتهم الأول بعدم اختصاص المحكمة ولا بنظر الدعوى وهو دفع متعلق بالنظام العام ، يجوز التمسك به في أية حالة كانت عليها الدعوى وتقضي به المحكمة ولو بغير طلب (م ٣٣٢.ح) مردود بأن المادة ٤٨ من قانون الأحكام العسكرية رقم ٢٥ لسنة ٦٦ ينص على أن « السلطات القضائية العسكرية هى وحدها التي تقرر ما إذا كان الجرم داخلا في اختصاصها أم لا » .

وقد نصت المذكرة الايضاحية للقانون المذكور على « أن هذا الحق قرره القانون للسلطات القضائية العسكرية وذلك على مستوى كافة مراحل الدعوى ابتداء من تحقيقها حتى الفصل فيها »

ولما كانت النيابة العسكرية عضوا أصيلا من عناصر القضاء العسكرى وتمارس السلطات الممنوحة للنيابة العامة وللقضاة المنتدبين للتحقيق ولقضاة الاحالة فى القانون العام بالنسبة للدعاوى الداخلة فى اختصاص القضاء العسكرى طبقا للمواد ١ ، ٢٨ ، ٣٠ من القانون السالف الذكر فإنها هى التى تختص بالفصل فيما اذا كانت الجريمة تدخل فى اختصاصها وبالتالى فى اختصاص القضاء العسكرى ، وقرارها فى هذا الصدد هو القول الفصل الذى لا يقبل تعقيبا . فإذا رأت عدم اختصاصها بجريمة ما يتعين على القضاء العادى أن يفصل فيها دون أن يعيدها مرة أخرى الى السلطات العسكرية التى قالت كلمتها فى هذا الخصوص .

— وإذ حجبت النيابة العسكرية اختصاصها عن نظر الدعوى الماثلة استنادا الى ما جاء بكتابها المؤرخ فى ١٩٧٤/١٢/١ أن الدافع للقبض على المجنى عليه وحبسه كان سياسيا بحتا ، وان السلطات المدنية قد نيط بها وحدها القبض عليه بمبنى المخابرات العامة والتحقيق معه ممثلا فى النيابة العامة وذلك تنفيذا لمشيئة سياسية مدنية لها دورها فيما حدث ولا دخل للقوات المسلحة فيها ولا ارتباط لها فى ذلك الوقت ، فإنه يتعين التزام قرارها دون ما نظر الى ما تضمنه قانون المخابرات العامة رقم ١٠٠ لسنة ٧١ من اختصاص القضاء العسكرى بالجرائم التى تقع فى مجال تشغلها المخابرات العامة متى كان مرتكبوها أفراد المخابرات العامة ولو انتهت خدمة الفرد قبل الحكم طالما ارتكبت الجريمة أثناء الخدمة (م٧٠/جـ) . أى أن هذا القانون قد صدر لاحقا لقانون الأحكام العسكرية ومقيدا وناسخا لما يتعارض معه من أحكام لما فى ذلك من اجتهاد فيما ورد به نص غير جائز خاصة أن تقييد حق النيابة العسكرية فى القبض على أفراد المخابرات العامة إلا فى حالة التلبس ووجوب اخطار رئيس جهاز المخابرات عند صدور أمر بحبس أحدهم أو الافراج عنه وعدم تحريك الدعوى قبلهم إلا بأمر رئيس الجمهورية م ٧١/٢، ٣، ٤ ق ١٠٠ لسنة ٧١) لا يخرج الدعوى من يد النيابة العسكرية التى تباشر بالنسبة لها كافة سلطاتها المخولة لها بموجب قانون الأحكام العسكرية (م ٧١/ق١٠٠ لسنة ٧١) ومنها حقها فى تقرير اختصاصها بالجريمة طبقا لنص المادة ٤٨ منه الذى لم يتعرض له القانون رقم ١٠٠ لسنة ٧١ بما يسلبها منه .

أبشــع إرهــاب

وحيث أنه قد ثبت للمحكمة وبيقين أن جهاز المخابرات العامة قد أقيم على أحدث النظم العالمية وجهز بأحدث الوسائل العلمية ، إلا أن المتهمين القائمين عليه والأول رئيسه بدرجة وزير والثانى نائبه ورئيس هيئة الأمن القومى بدرجة نائب وزير ، والثالث وكيل هيئة الأمن القومى بدرجة وكيل وزارة (م ٢ ق ١٥٩ لسنة ٦٤) (والملحق المرفق به) قد نهجوا فى سبيل اثبات وجودهم وإظهار نشاطهم فى حماية أمن الدولة وحفظ كيان نظامها الاشتراكى (م ٣ ق ١٥٩ لسنة ١٩٦٤) طريق البطش والارهاب ، فانكروا القيم ، وانتهكوا الحرمات ، وسلبوا الحريات ، وامتهنوا المقدسات ، واتخذوا من دعوى حفظ النظام مظلة يحتمون بها وتكأة يبررون بها تصرفاتهم المجردة من الرحمة والانسانية ، مستغلين فى ذلك ما لديهم من وسائل وإمكانيات لاخفاء انحرافاتهم حتى اصبحت المخابرات العامة فى عهدهم دولة قائمة بذاتها يرهب جانبها ويعمل حسابها الى ان أعلن الرئيس السابق المرحوم جمال عبدالناصر فى نوفمبر ١٩٦٨ أمام مجلس الأمة عن سقوطها واعتبر هذا السقوط من أهم الجوانب السلبية التى خلصت الأمة منها فى سبيل تطهير الحياة العامة فى مصر .

وآية ذلك ثبوت وجود سجن بمبنى المخابرات العامة عبارة عن زنازين بإقرار نائب رئيس هيئة الأمن القومى الحالى ورئيس نيابة أمن الدولة السابق أنشىء خفية لأغراض لا يعلمها إلا منشئوه ومستعملوه ولا يقرها القانون حتى ان المتهم الأول أنكر وجوده امعانا فى التضليل مستغلا اغفال ذكره وعدم الاشارة إليه فى قانون انشاء الهيئة رقم ١٥٩ لسنة ١٩٦٤ الذى ألغى بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧١ المنشورين فى الجريدة الرسمية الأول فى العدد رقم ١٥٤ تابع بتاريخ ١٩٦٤/٧/٩ السنة السابعة والثانى فى العدد رقم ٤٥ بتاريخ ١٩٧١/١/١١ السنة الرابعة عشرة واللذين لم يوزعا عمدا حتى لا يصلا الى أيدى الكافة ، وباتصاله إلى عملهم بالقانون ، لأن النشر عن القانون وحده لا يحقق الغرض المرجو منه دون اذاعته على افراد الشعب الأمر الذى اضطرت معه المحكمة الى طلب القانونين المذكورين من ادارة المخابرات العامة .

وهذا السجن أودع فيه المتهمون معظم من وصلت أيديهم إليهم ووقع فى قبضتهم بحق أو بغير حق ، ولم يتركوه إلا بعد أن ساموه سوء العذاب ليقدموه الى النيابة العامة وإقراره المكتوب بيمينه كما حدث مع المجنى عليه ومعظم متهمى القضية رقم ٩ سنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا مثل شفيق اندراوس وأنور جمعة زعلوك وعدلى أبادير غطاس والعقيد متقاعد عبدالقادر ابراهيم عيد وزميله فى قضية المستشار مصطفى كمال وصفى .

وحيث أنه لا يصح من حجز المجنى عليه بسجن المخابرات العامة أو حتى فى مبناها صدور أمر من النيابة العامة بحبسه احتياطيا على ذمة القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ جنايات أمن دولة عليا لأنه إذا كان المشرع الاستثنائى قد أسبغ على النيابة العامة المادة ٢ من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن بعض التدابير الخاصة بأمن الدولة الصادر فى ٢٤ / ٣ / ١٩٦٤ إلى جانب السلطة المخولة لها سلطات قاضى التحقيق ومستشار الاحالة وأطلق يدها فى معظم القيود والضمانات التى نظمها القانون العام وهو قانون الاجراءات الجنائية بقصد كفالة حق المتهم فى الدفاع عن نفسه باعتباره بريئا إلى أن تثبت ادانته وهى المنصوص على فى المواد ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٦٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، منه فان هذا المشرع الاستثنائى لم يتعرض لضمانة المتهم والتى تحول دون التعسف فى الاعتداء على حريته الشخصية ، ورغم ذلك فقد سلب المجنى عليه (المتهم فى قضية التخابر رقم ١٠ سنة ١٩٦٥ جنايات أمن دولة عليا) من هذه الضمانة الباقية حيث أودعته هيئة الأمن القومى بمحبسها السرى فى مبنى المخابرات العامة وهى التى قامت بمراقبته وجمع الأدلة ضده ثم التبليغ عنه وضبطه . ومن مصلحتها ثبوت تهمة قبله تتويجا لجهودها وذلك طوال فترة التحقيق التى استطالت مائة وثلاثة وثلاثين يوما دون أمر كتابى من النيابة العامة (م ١٣٨ ١ ج ، م ٩٦١ التعليمات العامة للنيابات) التى سكتت على هذا الوضع المخالف للقانون اعتمادا على ما جرى عليه العمل وأيدته استنادا الى أنه من حقوقها طوال فترة التحقيق ..

وليس صحيحا فى القانون أن من حق النيابة العامة ، وهى خصم عادل تمثل الصالح العام وتسعى فى تحقيق موجبات القانون ، أن تحجز المتهم المحبوس احتياطيا فى المكان الذى تراه هى مناسبة دون مكانه الطبيعى الخاضع لقانون تنظيم السجون بدعوى صالح التحقيق وسرعة انجازه وسهولة مثول المتهم أمامها وقتما تشاء تجنبا لمشقة نقله من السجن

الطبيعي الى دارها وما يستلزمه ذلك من حراسة مشددة ، إذ أن ذلك الحق وان جاز في اختيار مكان التحقيق الذى سكت المشرع عن تحديده وتركه لمطلق تقدير النيابة العامة فاصبح من اطلاقاتها حرصا على صالح التحقيق وسرعة انجازه تلك السرعة التى اجاز فيها المشرع للمحقق الخروج على بعض القواعد المتعلقة باجراءات التحقيق بنص صريح (م ٧٧ ، ١٢٤ ١ ح) باعتبار أن السرعة في اجراء التحقيق الجنائي من أوجب الواجبات لمساس ذلك بأمن الدولة وحرية الأفراد . علما بأن اختيار مكان التحقيق لا يتعدى عادة يوم التبليغ عن الحادث او يوم القبض على المتهم أن كان لاحقا لأطول تحقيق مع المجنى عليه استغرق أربعة أشهر وازدادت عشرة أيام من يوم ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ الى يوم ٢١ / ١ / ١٩٦٥

اعتداء على حرية الفرد وكرامته

فان حق النيابة العامة لا يقوم في اختيار مكان تنفيذ أمر الحبس الاحتياطي باعتبار أن الحبس الاحتياطي اجراء شاذ يعتدى به على حرية الفرد قبر أن تثبت ادانته لمصلحة التحقيق ـ يمنعه من الفرار وتاثيره على سير التحقيق ولذلك قيده القانون بقيود أشد مما نص عليه بالنسبة لأعمال التحقيق الأخرى . ومن هذه القيود ما نص عليه قانون الاجراءات الجنائية في المادة ٤١ منه أنه « لا يجوز حبس أى انسان إلا في السجون المخصصة لذلك .. » وتاكيده على هذا الحظر في المادة ٤٣ ـ ٢ منه والتى تنص على أن « على كل من علم بوجود محبوس في محل غير مخصص للحبس أن يخطر أحد أعضاء النيابة العامة الذى عليه بمجرد علمه أن ينتقل فورا إلى المحل الموجود به المحبوس وأن يقوم باجراء التحقيق) .
ولم يقف المشرع عند هذا الحد بل بسط حمايته على المتهم المحبوس احتياطيا في السجن فنص في المادة ١٤٠ من قانون الاجراءات الجنائية على أنه « لا يجوز لمأمور السجن أن يسمح لأحد من رجال السلطة الاتصال بالمحبوس داخل السجن إلا باذن كتابى من النيابة العامة ، وعليه أن يدون في دتفتر السجن اسم الشخص الذى سمح له بذلك ووقت المقابلة وتاريخ ومضمون الأذن » وأكد هذا الحظر في المادة ٧٩ من قانون تنظيم السجون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ وذلك لمنع محاولة رجال السلطة الاتصال بالمتهم خفية داخل السجن واحداث أى تاثير عليه بدون أن يظهر ذلك أى اثر في دفاتر السجن أو في محاضر التحقيق .

وما ذلك كله إلا لضمان حرية المتهم وتلطيف خطورة الحبس الاحتياطي ، حتى أن المشرع خص المتهم المحبوس احتياطيا بمزايا فصلها في قانون تنظيم السجون لا يتمتع بها المحكوم عليه بالحبس البسيط .

ولا يصح الاعتداد بما درج عليه العمل في مقام تطبيق نصوص قانون الاجراءات الجنائية إذا كان هذا العمل مخالفا لاحكامها ، لان هذا العمل مخالف ومهما طال أمر سريانه لا يلغي او يعدل تلك النصوص باعتبار انها هي الواجبة التطبيق في المواد الجنائية الى ان يصدر تشريع آخر ينص صراحة على إلغائها ، أو يشتمل على نص يتعارض مع نص التشريع القديم ، أو ينظم من جديد الموضوع الذى سبق أن قرر قواعده ذلك التشريع (م ٢ مدنى)

كما انه لا محل للاجتهاد عند خروجه ، كما نص القانون على الواجب التطبيق ، لأن القاعدة العامة انه متى كانت عبارة القانون واضحة جلية المعنى ولا لبس فيها فانه يجب أن تعد تعبيرا صادقا عن ارادة الشارع ولا يجوز الانحراف عنها عن طريق التاويل أو التفسير او البحث عن حكمة التشريع ايا كان الباعث وإلا كان فيه اهدار ومنافاة صريحة للغرض الذى من أجله وضع القانون .

هذا في الوقت الذى لم يحل وجود المجنى عليه بسجنه الطبيعي (الاستئناف ثم القناطر) دون نقله إلى المحكمة لنظر قضية التخابر المتهم فيها عدة مرات حيث استغرقت محاكمته جلسات ٢٨ ، ٢٩ / ١٢ / ٦٥ و ١٩ و ١ و ٢ ، ٣ / ١ / ١٩٦٦ ، و ٢٠ / ٨ / ١٩٦٦ لسماح الحكم بخلاف المرات الأخرى التى نقل منها لنظر قضية أخرى كان متهما فيها بصفته رئيس مجلس ادارة الأخبار .

وليس أدل على عدم مشروعية حجز المجنى عليه المحبوس احتياطيا في سجن المخابرات العامة وافتقاره الى السند القانوني من صدور قرار وزير الداخلية رقم ١٤٥٣ لسنة ١٩٦٨ في ٢٧ / ١١ / ١٩٦٨ والمعمول به من ٢٤ / ١٢ / ١٩٦٨ باعتبار مبنى المخابرات العامة من الأمكنة التى يجوز أن يودع فيها المحجوزون على ذمة القضايا العامة بامن الدولة من جهة الخارج والصادر بالاستناد إلى القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٦٨ بتعديل بعض احكام القانون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٦٥ في شان تنظيم السجون الذى خول وزير الداخلية حق تحديد الأماكن التى يودع فيها المحجوز أو المعتقل او المتحفظ عليه او المسلوب حريته على اى وجه ، وقصر حق الدخول فيها وتفتيشها على النائب العام أو من ينيبه من رجال النيابة العامة بدرجة

رئيس نيابة ، وذلك الحق الذى ثبت للمحكمة انه لم يستعمل إلا مرة واحدة حتى اليوم وبمناسبة صدور القرار المذكور الأمر الذى يفقد هذا الحق الحكمة من وجوده ويضيع الغرض الذى تغياه المشرع منه . ومما يؤكد هذا النظر ما نص عليه دستور جمهورية مصر العربية الصادر بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٧١ فى المادة ٤٢ منه فى باب الحريات والحقوق والواجبات العامة أنه « لا يجوز حجز المواطن أو حبسه فى غير الأماكن الخاضعة للقوانين الصادرة بتنظيم السجون » .

وحيث أنه لم يقف الحال بالمتهمين عند حد بسط سيطرتهم على المجنى عليه أثناء التحقيق معه ليكون تحت رحمتهم وطوع ارادتهم بل أنه تعدى ذلك إلى تحكمهم فى الأدلة التى جمعوها ضده لتمحيصها وتدقيقها وبيان مدى جديتها قبل أن تمتد إليها يد العبث وتدقيقها حيث حجبوا التسجيلات الصوتية التى حصلوا عليها والتلفيق ، لبعض الأحاديث التى جرت بين المجنى عليه وضابط المخابرات الأمريكى فى الاجتماعات التى عقدت بينهما فى ثمانية أيام خلال الأشهر مايو ويونيو ويوليو ١٩٦٥ (١٢ ، ١٩ ، ٢٦ / ٥ / ١٩٦٥ و ٢ ، ١٦ و٢٣ ، ٣٠ / ٦ / ١٩٦٥ و ٧ / ٧ / ١٩٦٥) وهى الدليل الوحيد الذى كانت تحت أيديهم قبل المجنى غليه قبل كتابة اقراره ، خاصة أن ما قرره المجنى عليه عند ضبطه بالاسكندرية يوم ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ لا يعتبر اعترافا بالتهمة المسندة إليه وإنما اقرارا بالتكليف الصادر له من الدولة بالاتصال بالسفارة الأمريكية وتبليغه المسئولين بما يحصل عليه من معلومات ، وأذن الرئيس السابق له بالاستمرار فى الاتصال دون ثمة اشارة إلى ما قدمه هو إلى ضابط المخابرات الأمريكى من معلومات حتى تقيمها ، وبيان مدى مساسها بمركز مصر الحربى والسياسى والاقتصادى والدبلوماسى ومصلحتها القومية ، لأن مجرد الاجتماع بأجنبى لا يحرمه القانون ، كما أن أقواله فى أول استجواب له يوم ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ لا ترقى فى جملتها إلى مرتبة الاعتراف المعول عليه حيث لا تخرج فى مضمونها عن أخباره الرئيس السابق وسامى شرف بما وصل إلى علمه من معلومات نقلها من ضابط المخابرات المذكور والأذن له بالاستمرار بالاتصال بالأمريكان دون تقييده بطريقة معينة لاتباعها ، وبعض ما قرره ردا على استفسارات جليسه ومحدثه نسبها - على حد قوله - كذا إلى المسئولين دون تفصيلات أخرى على النحو الوارد فى الاقرار الكتابى باستفاضة ، فمن كل الذى دار فى الاجتماعات المسجلة التى بين المجنى عليه وبين ضابط المخابرات الأمريكى مع ذكر تواريخ

معينة بطريقة لا تتفق والظروف التى قرر فيها هذا الاقرار وهو حبيس مبنى المخابرات العامة ، والحالة النفسية التى كان فيها ، وسيف الاتهام بارتكاب جريمة فى حق وطنه مصلت على رقبته ، وهو مقيد الحرية بين أيديدى من قاموا بضبطه ، وقدم الاقرار إلى المحقق يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ على أنه التماس حرره المجنى عليه للرئيس السابق قبل تقديم التسجيلات الصوتية فى ٩ /٨/١٩٦٥ رغم وجودها فى حوزة المتهمين من يوم ١٩٦٥/٧/٧ واحاطة رئيس نيابة أمن الدولة علما بأمرها منذ فجر التحقيق ، والتى تبين من تفريغها أن ما ورد بالاقرار ـ وكما جاء بأسباب الحكم رقم ١٠ سنة ٦٥ جنايات أمن الدولة العليا ـ يكاد يكون مطابقا لها ، الأمر الذى يقطع بأن هذه التسجيلات كانت محل اعتبار وقت تحرير هذا الاقرار ليأتى مطابقا لما تضمنته من احاديث ـ ويؤكد ثالثة ـ المجنى عليه أنه كان يملى عليه أثناء كتابته ولا يقبل مما يكتبه إلا ما يروق لهم حيث أنه لا يعقل أن يتذكر المجنى عليه فى الفترة من ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ إلى ٤ / ٨ / ١٩٦٥ ، كل ما دار فى الاجتماعات المسجلة فقط دون الأخرى التى تمت قبل اكتشاف أمرها فى ١٤ / ٢ / ١٩٦٥ كما ورد بمذكرة المخابرات العامة المؤرخة ٢٤ / ٥ / ١٩٧٦ ولم تسجل ، وفى حدود ما ظهرت عليه التسجيلات الصوتية المقدمة لثبوت استغراق الاجتماع مدة زمنية أطول من المدة المسجلة ، والمجنى عليه فى مثل حالته النفسية سالفة البيان ، سيما أنه لم يثبت للمحكمة أن الاقرار المكتوب قد أرسل الى الرئيس السابق أو أعيد تقديمه فى التحقيق كما قرر بذلك الدفاع عن المتهمين بدليل أن المتهم الثالث قرر عند تقديمه للمحقق يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ أن المجنى عليه قرره لرفعه للرئيس السابق ، وهو فعل مستقبل دون ثمة اشارة الى سابقة رفعه فعلا الى رئاسة الجمهورية أو اعادته منها دون ذكر لسابقة طلب المجنى عليه وعدا بتقديم التماسه الى الرئاسة ووعده بذلك .

ولم يكن تأخير تقديم التسجيلات الصوتية من يوم ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ تاريخ القبض على المتهم إلى يوم ٩ / ٨ / ١٩٦٥ إلا بقصد تحصينها بالاقرار الذى قدم قبلها يوم ٤ /٨/ ١٩٦٥ والذى لا يعدو أن يكون تفريغا لهذه التسجيلات بعد أن أكره المجنى عليه على كتابته بالصورة والشكل المطلوب ، وذلك نظرا لحصول هيئة الأمن القومى على التسجيلات خلسة وبغير الطريق الذى رسمه القانون بما يجعلها عرضة للطعن عليها بالبطلان واهدارها كدليل ، خاصة أن القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٥ فى شأن التدابير الخاصة بأمن الدولة الذى حصن فى المادة ١ / ٣ منه جميع أوامر

واقرارات سلطات الضبط والتحقيق قبل العمل به من اى طعن لم يصدر إلا في ٩ / ١١ / ١٩٦٥ اى بعد الحصول على التسجيلات وتقديمها والتي كانت الدليل الوحيد الذى تحت يدى هيئة الأمن القومي قبل المجنى عليه الذى رأى هو وضابط المخابرات الأمريكية ـ وكما جاء بمذكرة هيئة الأمن القومي المقدمة في القضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات امن دولة عليا بتاريخ ٢٥ / ١١ / ١٩٦٥ ـ (الابتعاد عن الحصول على اى وثائق او تقارير خطية . وكانت المعلومات تقدم شفاهة وذلك بأن يملى مصطفى امين المعلومات إلى ضابط المخابرات الامريكي الذى يدونها بخطة في نوتة معدة لذلك ويناقشه فيها خلال الحديث ، كما كان ضابط المخابرات الأمريكى يكلف مصطفى امين الاحتياجات شفاهة كاجراء امن) .

الاقرار .. وطريقة كتابته

— هذا فضلا عن ان الاقرار المذكور لا يتفق مظهره العام وطريقة كتابته وما حواه من وقائع مطولة يرجع إلى ماض بعيد سودت ستين صحيفة اعتبر الدفاع بعضها تهديدا للرئيس السابق وتعبيرا له ، والتوقيع على كل صحيفة بتوقيع المجنى عليه رغم كتابته كله بخطه مع الغرض المقصود به باعتباره التماسا مرفوعا إلى الرئيس السابق اقرارا بذنب ، وتسجيلا لتوبة ، وطلبا لصفح ، واملا في عفو ، خاصة انه قدم فجاة دون سابق اخبار في جلسة تحقيق غير محددة من قبل (٤ / ٨ / ١٩٦٥) وهو الطابع المميز لتحقيقات قضية التخابر حيث تقفل محاضر التحقيق دون اصدار أى قرار بشأن موعد الجلسة التالية على خلاف ما تقضى به أصول التحقيق الجنائي وتعليماته النيابة العامة (م ٥٣) من وجوب تحديد جلسات قريبة متلاحقة لسرعة الفراغ من التحقيق ، ولحكمة خافية لا يبررها ما قيل بشأن توالى جلسات التحقيق إذ ان ذلك لا يحول دون تحديد الجلسات التالية كما حدث من بعض المحققين عند استجواب الصحفيين وسماع بعض الأشرطة وذلك درءا لكل ظن ودفعا لأى لبس . هذا في وقت لم يتحقق هذا التوالى المقول به في جلسات التحقيق مع المجنى عليه التى انقطعت من يوم ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ اثر استجوابه أول مرة حتى يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ حيث قدم الاقرار المذكور ومن يوم ٥ / ٨ / ١٩٦٥ إلى يوم ٧ / ٨ / ١٩٦٥ ومن يوم ٩ / ٨ / ١٩٦٥ حيث قدمت التسجيلات الصوتية إلى يوم ١١ / ٨ / ١٩٦٥ ثم إلى يوم ١٦ / ٨ / ١٩٦٥ فيوم ٢١ / ٨ / ١٩٦٥ ومن يوم ٣١ / ٨ / ١٩٦٥ إلى يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٦٥ فيوم ٢٥ / ١١ / ١٩٦٥ .

وحيث أنه ليس صحيحا ما ذهب إليه الدفاع عن المتهمين أن الالتماس أو الاقرار المكتوب قد ورد على الركن الشرعي في جريمة التخابر ، وهو أن اتصال المجنى عليه بالأمريكيين كان بعلم المسئولين وبتكليف منهم وأنه هو الذى سعى إلى اثباته ، وأنه لو صح أن التعذيب كان لذلك السبب لما تحقق به القصد الجنائى الواجب توافره لقيام الجريمة المنصوص عليها فى المادة ١٢٦ عقوبات لأن هذا الركن لا يمثل إلا سبب الاباحة فى الاتصال دون ما تأثير على توافر أركان جريمة التخابر .

— ذلك أن الالتماس المذكور ما هو فى حقيقته إلا اقرار جريمة لا لبس فيه من المجنى عليه المتهم فى القضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات أمن دولة عليا على نفسه باتصاله بأجنبى ومده بمعلومات اعتبرها الحكم الصادر فى القضية المذكور ضارة بالمركز السياسى والدبلوماسى والاقتصادى والحربى للبلاد ، مما يعتبر نصا على اقتراف الجريمة وليس تامرا على واقعة التكليف والعلم دون غيرهما . وقد وصفه الحكم المذكور أن المجنى عليه « يعترف فيه صراحة بكل ما حدث بينه وبين بروس من معلومات وهذا دليل قد جاء على لسانه بأنه كان يتخابر وينقل معلومات عن كافة النواحى الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية والقومية دون علم أحد » .

— ولا يعقد فى هذا المقام بما قرره المجنى عليه ان السبب فى تعذيبه كان يقصد ألا يذكر علم المسئولين باتصالاته مادام قد ثبت للمحكمة أن فكرة تحرير الاقرار لم تنبع أصلا من المجنى عليه وانما كانت بناء على طلب المتهم الأول على أن يكون فى صورة التماس الى الرئيس وأن المجنى عليه لم يحرره طواعية واختيارا وبمطلق اراداته ، وانما كان تحريره له رضوخا منه ودفعا لما وقع عليه من تعذيب لم يطقه ثم يأمر المتهم الأول الذى يعلم بالاتهام المسند الى المجنى عليه وتحت اشرافه ومعاونيه وباملائهم ما تضمنته التسجيلات الصوتية من وقائع ليخرج الاقرار بالصورة التى قدم عليها وقصدها المتهم الأول ليس قاصرا على واقعة التكليف فحسب ولكن شاملا لكافة أركان الجريمة المنسوبة الى المجنى عليه الذى كان يهمه وفى المقام الأول اثبات تكليف المسئولين له وعلمهم بالاتصالاته اعتقادا منه أن فى هذه الواقعة الكفاية لاخلائه من العقاب ، ولذلك لم يحل ترديدها منذ أن قبض عليه واثبتها بالاقرار رغم تحذيره من ذلك وأن لم يلتزم معذبوه بهذا التحذير خاصة أن المسئولين ردوا عليه قصده بعد كتابة الاقرار وليس قبله ، بنفى هذا العلم وانكار ذلك التكليف إذ انه نقل منهم أو إليهم

أية أخبار منقولة عن الملحق السياسى بالسفارة الأمريكية الذى ضبط معه .
لتستقيم الجريمة فى حقه سيما وأنهم اعتبروا أن من شأن الأخبار بالمعلومات التى نقلها المجنى عليه لمندوب الولايات المتحدة الأمريكية الاضرار بمركز مصر الحربى والسياسى والاقتصادى ، مع أنه كان من المتعين تحقيق دفاع المجنى عليه بشأن واقعة التكليف التى أثارها فور القبض عليه وأصر عليها عقب استجوابه الأول فى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ فى حينه لا فى ١٤ / ١٠ / ١٩٦٥ بعد تقديم الاقرار المكتوب ثم التسجيلات الصوتية ، إذ ليس ثمة ما يمنع من تقييم ما أدلى به من معلومات بعد ذلك .

وحيث أن المتهمين لم يكتفوا ببسط سيطرتهم على المجنى عليه وما جمعوه من أدلة قبله ، وانما جاوزوا ذلك إلى درجة أن أصر المتهم الثانى رئيس هيئة الأمن القومى على القبض على بعض الصحفيين الأبرياء بدار الأخبار (مصطفى كمال ابراهيم وابراهيم صالح محمد) وتفتيشهما وتفتيش محال اقامتهما ، مع انه لم يصدر منهما أى تصرف يستوجب اتخاذ أى اجراء قبلهما ، ورغم رفض رئيس نيابة أمن الدولة طلبه فان المتهم الثانى لم يذعن لرأى القانون ، بل استنجد بالمرحوم المشير عبدالحكيم عامر (النائب الأول لرئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة وأحد قمتىَ السلطة العليا فى الدولة فى ذلك الوقت) الذى اتصل برئيس النيابة لتنفيذ طلب المتهم الثانى بدعوى أن البلد مازال فى حالة ثورة وأن التعلل بالقانون يعتبر تخلفا ، وكان له ما أراد بعد أن قدم المتهم الثانى بلاغا نسب فيه الى الصحفيين كذبا تعاونهما مع المجنى عليه ، وصدر قرار النيابة العامة بحبسهما احتياطيا بعد استجوابهما وعرض الأوراق على النائب العام فى ٢٤ / ٧ / ١٩٦٥ رغم وضوح حقيقة مركزهما قبل القبض عليهما والتى ظهرت جلية فى عدم اسناد أى اتهام اليهما ..

مؤتمرات صحفية

— أما المتهم الثالث منذ قام بعقد مؤتمرين صحفيين الأول بتاريخ ٩ / ٢ / ١٩٦٥ فى مبنى جريدة الأخبار والثانى بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٥ فى مبنى نقابة الصحفيين عرض فيهما الأدلة القائمة قبل المجنى عليه والتى تثبت من وجهة نظر دولة المخابرات العامة صحة الاتهام المسند إليه . وذلك قبل نظر القضية بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٦٥ رغم ما فى ذلك من تأثير على القضاء الاستثنائى المطروحة عليه الدعوى ، واستبان كلمته فى

شأنها . ولا يؤثر في الأمر أن هذين المؤتمرين قد عقدا بناء على طلب نقيب الصحفيين في ذلك الوقت كما ورد بكتاب المخابرات العامة المؤرخ ٢٤ / ٥ / ١٩٧٦ بغير دليل ، لأن هذا المطلب غير ملزم وسابق لأوانه باعتبار أن الاتهام المسند الى المجنى عليه مطروح أمره على القضاء وإلى أن يقول القضاء كلمته فهو برىء إلى أن تثبت ادانته ، ولأن في المؤتمر الصحفي (الذى عقد بمكتب السيد وزير العدل واذيع فيه قرار اتهام المجنى عليه ونشر في الصحف في ١ / ١٢ / ١٩٦٥) الكفاية تجنبا لمثل هذه الاجتماعات التى لن يخفى امرها على غير أعضائها بتسرب ما دار فيها إلى علم الجمهور مما قد يكون من شأنه التأثير في القضاة الذين يناط بهم الفصل في الاتهام المذكور ، هذا ما لم يكن هناك أثر آخر في نفس المتهمين .

لا كـرامـة للانسـان

وبما أنه يبين من تصرفات المتهمين القائمين على جهاز المخابرات العامة سالفة البيان أنه لا قانون يحكم تصرفاتهم ، ولا حائل يقف في سبيل تحقيق رغباتهم . إرادتهم هى القانون ، ومشيئتهم واجبة التنفيذ وليس للفرد كرامة عندهم ولا حقوق ، فكان أن عذبوا من شاءوا ومنهم المجنى عليه قصد اجباره على طاعتهم والامتثال لأوامرهم ، وعرضوه على غيره من المتهمين زهوا بقوتهم ، وتفاخرا بسلطتهم وردعا لكل من تسول له نفسه عدم الرضوخ لطلباتهم فلا راد لتصرفاتهم ولا معقب عليها ، طالما أن من بيده الأمر يؤازرهم فيما هم فيه فاعلون ، فالثورة ماضية في طريقها وهى في مفهومهم التحلل من كل شرعية والتنصل من كافة ضماناتها مع أن الثورة جاءت لترسى قواعد الحرية والعدالة والاطمئنان الى المستقبل باقامة نظام قانونى تقدمى صالح محل نظام قانونى متخلف فاسد ، يأمن فيه المواطن على حريته وكرامته وانسانيته .

— وإذا كان المجنى عليه قد امتد به الأجل رغم ما تعرض له من تعذيب وقد جاوز من العمر الخمسين عاما ونال منه المرض . فهذه ارادة الله عز وجل وهو على كل شىء قدير .

— ولو شاء المتهمون معرفة ما بحقائب المجنى عليه المهربة لما عجزوا عن ذلك وهم على علم بأمرها من التسجيلات . وما تركهم لها إلا لعدم حاجتهم اليها .

— وليس في اختلاق المجنى عليه واقعة اتصال الجاسوس لوتز بالمخابرات المصرية التى أبلغ بها وكيل نيابة حلوان في ٢٩ / ٢ / ١٩٦٨

منتهزا فرصة وجوده فى ليمان طره لتفتيشه قصد وصول صوته عما لاقاه من تعذيب الى مسامع النيابة العامة وتحريكا لبلاغه السابق ارساله اليها فى ٢٥ / ٢ / ١٩٦٨ فى هذا الشأن ما ينفى وقوع تعذيب عليه أو يكذبه فى هذا الخصوص ..

— أما الرسالة التى حررها المجنى عليه فى ديسمبر ١٩٦٥ بسجن الاستئناف ، وكانت أول اشارة إلى ما وقع عليه من تعذيب جسدى بالمخابرات العامة ، فقد تأكد وجودها بما قرره السيد / فائق عبدالكريم السامرائى الذى تطمئن المحكمة الى أقواله من اطلاعه عليها ونصحه السيد / سعيد فريحة بعدم ابلاغها الى الرئيس السابق .خوفا على حياة المجنى عليه ، ولو علم بها المتهم الأول ، وهو السبب الذى من أجله لم تنشر فى الخارج فى ذلك الوقت ، وظلت فى طى الكتمان حتى أفصح عنها المجنى عليه فى أول تحقيق عن تعذيبه بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٦٨ بعد زوال سلطان المتهم الأول ونشرت فى الخارج بعد ذلك .

— هذا ولم يثبت أن كتابة المجنى عليه لها كانت سابقة لزيارة زواره فى سجن الاستئناف حتى يسلمها لأحدهم ، فضلا عن أن عدم تسليمها اليهم لا ينفى وجودها فى ذلك الوقت ، بل أن عدم وجودها أصلا لم يكن ليغير وجه الرأى فى حقيقة الواقعة طالما أن المجنى عليه قد أبلغ عن واقعة تعذيبه أول مرة فى ٢٥ / ٣ / ١٩٦٨ وطالما أنه لم يدع أن الرسالة المذكورة قد وصلت الى الرئيس السابق .

— ولا ترى المحكمة موجبا لمعاينة مبنى المخابرات العامة للوقوف على ما أثاره شهود الرؤية بشأن معدات التعذيب وما نالهم منها لاطمئنان المحكمة الى أقوالهم والتى تأيدت بما ورد بالتقرير الطبى الشرعى اثباتا لما بقى بهم من اصابات تشهد بصدق روايتهم فضلا عن ثبوت وجود سجن بهيئة المخابرات العامة ، ومضى وقت طويل على تاريخ الواقعة (سنة ١٩٦٥) يزيد على أحد عشر عاما ، هذا بالاضافة الى أن حيازة هذه المعدات فيه مخالفة صارخة للقانون . وهذه المخالفة كانت سمة المتهمين فى أعمالهم وقد دالت دولتهم دون الجهات كهيئة الأمن القومى لا يأتلف مع ما قامت عليه ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ من ارساء دعائم القانون وفرض سيادته .

وحيث أنه عن اصابات المجنى عليه فان المحكمة لا تطمئن إلى الكشف الطبى الموقع عليه يوم دخوله سجن الاستئناف بالكشف الطبى من عدم وجود أثار اصابات أو تعد بالمجنى رئيس قسم الصحة الوقائية وحسنى

محمد باشات طبيب سجن الاستئناف تناقض واضح بشأن طلب الأول للكشف على المجنى عليه والذى لا يشترك فى الكشف إلا فى حالات معينة ليس من بينها حالة المجنى عليه ، ومن حضر الكشف غيرهما حيث قرر طبيب السجن خلافا للأول أن أشخاصا لا يعرفهم حضروا للكشف والجهة التى طلبت الكشف الطبى حيث وجد كشفين أصليين بالقضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات أمن دولة عليا أحدهما صادر من مصلحة المسجون فى ٢ / ١٢ / ١٩٦٥ والثانى من المباحث العامة فى ٨ / ١٢ / ١٩٦٥ وما قرره طبيب السجن بشأن عدم قدرة المسجون على الكلام بحرية حتى يفصح عما به من اصابات . هذا بالاضافة الى ما ثبت بالكشف الطبى من عدم وجود آثار اصابات أو تعد بالمجنى عليه رغم اقرار الطبيبين بعدم خلع المذكور كل ملابسه ، وخلوه من الأمراض رغم اثبات الدكتور حسنى باشات فى افادته المؤرخة فى ٤ / ١ / ١٩٦٦ بالقضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات أمن الدولة باصابة المجنى عليه بالنقرس والسكر . ولا يعقل أن يكون المجنى عليه قد أصيب بالمرض الأول (النقرس) فجاة بعد الكشف عليه فى ١ / ١٢ / ١٩٦٥ مما يشكك المحكمة فى صحة ما تضمنه هذا الكشف من بيانات ، ويتعين الالتفات عنه بخلاف الحال بشأن الاصابات التى أثبتها المحقق العسكرى فى محضره المؤرخ فى ١٦ / ٢ / ١٩٦٨ بشأن مناظرته المجنى عليه وهى علامات سوداء بأسفل وكبة الساق اليمنى بطول ٣ سم وأسفل الساق ناحية القدم بطول ٢ سم ، وأثر غائر فى منتصف الركبة اليمنى ، ورضية أسفل الذقن بطول ٣ سم وأخرى ممتدة من الناحية اليسرى بطول ٨ سم ، وعلامات غائرة وأثرة حول رأس القضيب . وهذه الإصابات تأخذ بها المحكمة وترجح امكان تخلفها عن التعدى الجسيم الذى وقع على المجنى عليه بمبنى المخابرات العامة فى المدة من ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ الى ٤ / ٨ / ١٩٦٥ خاصة أنها فى مواضع من جسمه تعرضت للاعتداء عليها أثناء تعذيبه وذلك هديا بما جاء بالكشف الطبى الموقع على المجنى عليه بتاريخ ٣ / ٤ / ١٩٦٨ بمعرفة الدكتور محمد كمال قاسم مدير ادارة الشئون الطبية والدكتور عبدالقادر اسماعيل مدير مستشفى منطقة طره والذى ورد للنيابة العامة بناء على طلب المباحث العامة بدلا من المجنى عليه الذى طلبه أكثر من مرة دون جدوى لسؤاله فى بلاغه عن تعذيبه من وجود أثر التئام قديم لجرح صغير بقمة الرأس طولى طوله ٢ سم وندبة والتئام كبير قديم مستعرض لجرح رضى أسفل الذقن بطول ٦ سم تقريبا ، وأثر التئامين صغيرين بمقدم الساق الأيسر طول كل

منهما ٢ سم وانها التئامات قديمة لجروح رضية يصعب التكهن بميعاد وأسباب حدوثها اللهم إلا بالمصادمة بأجسام صلبة راضة منذ وقت طويل ، الأمر الذى ترى معه المحكمة انه لا يأتلف مع السقوط فى سيارة فى شهر يناير ١٩٦٧ ولا مع الاصابات التى تخلفت عن هذا السقوط والتى وصفها المجنى عليه فى مؤلفه سنة ثانية سجن (الطبعة الاولى سنة ١٩٧٥ ص ١٨٩ . ١٩١ . ١٩٢) فى أصبع اليد والوجه والجبهة والذراع وجفن العين والرأس والساق والقدم - دون تحديد فى اى موضع من رأسه - والساق سيما وأن المجنى عليه قرر بشأنها انها لو كانت لها علاقة بالاصابات الثابتة بمحضر المحقق العسكرى او الكشف الطبى الثانى لرفعها من مؤلفه الصادر اثناء تحقيق واقعة التعذيب ولعدم ثبوت اصابة المجنى عليه فى حادث آخر قبل الكشف عليه

، — وإذا كان المجنى عليه لم يعرض اصاباته على المحققين فان ذلك مرجعه التعذيب الجسمانى الذى تعرض له بعد انتهاء اول استجواب له فى ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ إلى يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ بتاريخ تقديم الاقرار الكتابى وحالة الارهاب التى كان يعيشها والتهديد المشمولة بالتعذيب . مما جعله فى حالة من الرعب . احجمته عن الافصاح عما به او وقع له حتى لا يتعرض لمثل ما لاقاه وهو بين ايدى اسريه بعلم النيابة ورضائها والذين أثبتوا له بتصرفاتهم انهم قادرون على تنفيذ وعيدهم

— وقد ساعد على ذلك عدم مناظرته أثناء التحقيق معه بمبنى المخابرات العامة بحجة عدم وجود اصابات ظاهرة به وعدم اثارته شيئا منها ولأن الجريمة المسندة إليه لا تستلزم بطبيعتها فحص المتهم . مع ان المناظرة وهي معاينة ملابس المتهم وفحص جسمه بمجرد مثوله امام المحقق (م ٣٤ من التعليمات العامة للنيابة) لا يقصد بها فقط اثبات الآثار المتعلقة بالجريمة المسندة الى المجنى عليه حتى تستعمل بهذا الاجراء بعض الجرائم دون غيرها وانما ايضا قطع دابر كل إنكار مستقبل بعد اعتراف يعزوه الى اكراه وقع عليه قبل او اثناء التحقيق وهو محجوز بين ايدى رجال السلطة التى قامت على ضبطه . وخاصة ان الجريمة التى كانت مسندة اليه جناية ذات عقوبة مغلظة تصل الى حد الاعدام (م ٨٠ ع) مما يجعل الدفع فيها بالتعذيب امرا مألوفا

وحيث أنه إذا كان المجنى عليه قد تضاربت اقواله بشأن بعض الوقائع فان ذلك مرده طول المدة من تاريخ حصول الواقعة وما اكتنفها من ظروف واحداث الى تاريخ تحقيقها وتعدد التحقيق الذى تولوه .

— اما مبالغته فى بعضها الأخر فان المجنى عليه لم يكن يبتغى من اثارة وقائع تعذيبه امتداد التبليغ عنها والذى قام به الاستاذ عبدالحليم رمضان المحامى فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٤ استعمالا لحقه المقرر قانونا (م ٢٥ أ . ج) استنادا الى ما تضمنه كتاب سنة أولى سجن للمجنى عليه من وقوع جريمة تعذيب عليه ، وانما كان كل ما يهدف المجنى عليه اليه ويقصده هو اعادة محاكمته عن تهمة التخابر التى عوقب من اجلها فكان بلاغه للمدعى العام الاشتراكى فى ٧ /٨ /١٩٧٤ ومحاولته الحصول على توقيع المتهم الأول على اقرار بانه اتهم ظلما فى قضية التخابر بامر الرئيس السابق بقصد اغاظة الأمريكان ، مقابل السعى لدى المسئولين لاطلاق سراحه ، وذلك بواسطة الدكتور بهى الدين شلش الذى اخبره المتهم الاول بهذه الواقعة والتى لو لم تكن صحيحة لما حاول المجنى عليه مطالبة المتهم الأول بهذا الطلب لأنه لا يستقيم فى الفهم أن يحاول المجنى عليه استغلال المتهم المذكور فى هذا الخصوص إلا إذا كان ما نقله اليه له ظل من الحقيقة . وذلك كله اعتقادا من المجنى عليه أن هذا الأسلوب كفيل بان يوصله إلى مراده .

— وهذا المسلك منه لا يذهب بكل أقواله او يهدرها إذ انه لا يصح عقلا ان يكون الشاهد صادقا فى ناحية من اقواله وغير صادق فى ناحية اخرى ، والمحكمة وهى فى مقام تقييم شهادة المجنى عليه .فانها تُعرض عن غير ما استقر فى وجدانها ووقر فى يقينها باعتبار أن هذا الذى اطمانت اليه هو الصورة الصحيحة للواقعة .

— وإذا كان قد وحد بين المجنى عليه وبين شهود الرؤية آلام تعذيب المخابرات العامة وضمهم سجن الحبس الاحتياطى فى الاستئناف والقناطر ، وجمعهم ليمان الحكم فى طره فان ذلك لا يهدر من قيمة شهادة هؤلاء الشهود ولا يقلل من شانها خاصة وقد ثبت من القضية رقم ٩ / ١٩٦٥ جنايات امن دولة عليا وجودهم فى مبنى المخابرات العامة فى وقت معاصر لوقت نزول المجنى عليه فيه .

— وإذا كانت بلاغات هؤلاء الشهود بشان تعذيبهم والمقيدة برقم ٤١٤٢ ، ٤٠٦ ./ ٦٨ ادارى المعادى قد حفظت فان ذلك لا يعنى عدم صحتها وبالتالى كذب مقدميها ، وانما هو تصرف اتخذته النيابة العامة فى ١٧ / ٥ / ١٩٦٨ لاعتبارات خاصة غير خافية بقصد منع السير فى اجراءات تحقيقها رغم وجود اصابات ظاهرة بمقدميها اثبتها الطبيب الشرعى فى تقريره المؤرخ فى ١٣ / ٥ /١٩٦٨ ولو لم يرفق بلاغ المجنى عليه بعد

تحقيقه بمعرفة المحقق العسكري ، في أوراق التحقيق الخاصة بقضية انحرافات جهاز المخابرات العامة ، للقى ذات المصير ولذات الحكمة .

— ولا يعني هذا التصرف من مكتب الادعاء بمحكمة الثورة عدم صحة شكوى المجني عليه كما ذهب الى ذلك الدفاع عن المتهمين لأنه لا يتفق وواقع الحال وهو أن المجني عليه قبض عليه بأمر الرئيس السابق الذى تعرض عليه ظروف كل واقعة تخابر وتنفذ تعليماته بشأنها لمساسها بدولة اجنبية كما قرر بذلك المتهم الأول ، ولرفض الرئيس السابق قبول وساطة كل من السيد / محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق والسيد / فائق عبدالكريم السامرائي سفير العراق السابق بمصر للافراج عن المجني عليه جزاء على ماقاله لمندوب الولايات المتحدة الأمريكية بشأن ركوع الرئيس السابق على قدميه إذا لم يعطوه قمحا وكيداً للولايات المتحدة نفسها ، وخوفا من تاويلها الافراج عن المجني عليه إلى انه جاء على طلب الولايات المتحدة الأمريكية ، وحتى لا يضطر إلى الافراج عن الاخوان المسلمين وهو ما يرغب فيه .

— وحيث أن عدم دفع المجني عليه بالتعذيب عند محاكمته لم يكن إلا سياسة انتهجها الدفاع موكلا عنه ومنتدبا في قضية التخابر حسبما قرر الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامي الذى تطمئن المحكمة الى أقواله في هذه الواقعة فيما نقله عن المجني عليه من وقوع تعذيب عليه . ولا يقال عن شهادته أنه كان منتدبا للدفاع عن المجني عليه وليس موكلا ويتقاضى أجره من المحكمة ، ولا صالح له في شيء ، وقد قبل أن يعمل سكرتيرا للمحامي الموكل كما ذهب إلى ذلك الدفاع عن المتهم الثالث إذ انه لا فرق بين المحامي المنتدب والمحامي الموكل في اداء رسالته السامية رسالة الحق والحرية والعدل ، ولم يثبت أن الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامي المنتدب قد قصر في أداء واجبه أو خرج في مهمته عن مبادىء الشرف والاستقامة والنزاهة الواجب تقيده بها في سلوكه المهني .

— وإذا كان لم يدفع بالتعذيب في المحاكمة فهذه سياسته ومن معه ، ولا يؤثر في الأمر سابقة دفعه بالتعذيب في قضية اخرى لأن لكل قضية ظروفها وملابساتها المختلفة .

— كما أنه لا ينال من شهادته قبوله ألقيام بعمل سكرتير - على حد تعبيره - لرغبة الموكل توقيرا له واحتراما لمكانته لديه ، وليس في ذلك ما ينال من قدره أو يحط من شانه حتى تهدر شهادته .

— ولو حقا ما ذهب إليه الدفاع من أن المحامى المنتدب لا يهتم بشان موكله لأنه يتقاضى اجره من المحكمة (فى ظل القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٥٧ حيث اصبحت اتعاب المحامى المنتدب فى قضايا الانتداب تئول إلى مالية النقابة طبقا لنص المادة ١٤١ من القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٨) لما وجد المتهم الفقير عونا صادقا عند اتهامه بجناية من محاميه المنتدب ولما استحقت المحاماه ان تكون مهنة نجدة ترتكز على اقدس القيم واشرف المقاصد .

صلاح نصر هو الآمر بالتعذيب

وحيث انه مما تقدم يكون قد ثبت فى يقين المحكمة واستقر فى وجدانها ان المتهم الأول بصفته رئيس جهاز المخابرات العامة هو الذى امر بتعذيب المجنى عليه أثناء حبسه بسجن المخابرات العامة ليحمله على الاعتراف بجريمة التخابر المسندة إليه بابداء اقوال لا تصدر منه لو كان حرا فيما يقول ، لكان ان ناله قسط وافر من صنوف التعذيب من صفع بالأيدى بقوة وركل بالأقدام بقسوة وضرب بالعصى الغليظة وقيده من يديه وقدميه الى الحائط وشد شعر جسمه وعانته بلا رحمة وربطه من قضيبه بسلك كهربائى وجذبه منه بلا شفقة ومنع الطعام والشراب عنه عدة ايام فى شهرى القيظ يوليو واغسطس ١٩٦٥ ، وكلها تعذيبات جسيمة لا طاقة لجسده الذى جاوز من العمر خمسين عاما وهو مثقل بمرض السكر وداء النقرس ولا بمركزه الأدبى باحتمالها مما دفعه إلى قبول بلاء الاعتراف للخلاص منها .

— وليس ذلك بمستغرب على المتهم الأول الذى قيل عنه فى الحكم الصادر فى قضية انحراف المخابرات التى حجبت عمدا عن المحكمة رغم تكرار طلبها « انه المسئول الأول عن هذا الانحراف والذى يعد بحكم وضعه وسلطاته المسئول الأول عن كل عمل تدخل فيه جهاز المخابرات بوسائل غير مشروعة . كما انه مسئول عن استغلال وظيفته وسلطاته فى اغراض شخصية مما اضر بالأمن القومى بالدولة ، ويعتبر خروجا عن المبادىء التى قامت عليها الثورة » .

وانه من المؤسف ان تصرفات صلاح نصر الشخصية وانحرافه فى سلوكه قد ادت إلى اساءة سمعة جهاز المخابرات العامة فى نظر الشعب بينما الواقع ان جهاز المخابرات وجد ليحمى الشعب من أعدائه فى الداخل والخارج .

— اما قول المتهم الاول بان ما حدث له فى قضية الانحراف كان وليد اعتقاد الرئيس السابق بانحيازه الى جبهة المرحوم المشير عبدالحكيم عامر فيكفى فى الرد عليه ما جاء بحكم المحكمة الثورة سالف الذكر انه قد « اراد تدعيم مركزه فسعى الى انشاء علاقات شخصية خاصة بينه وبين المشير عامر مكنت له من غرض سيطرته عليه » . وانه « قد ظهر للمحكمة هذا الارتباط واضحا من العلاقات الشخصية التى كانت قائمة بينهما مما مكن المتهم الأول من الاستناد الى مركز القوة الذى كان يمثله المشير والاعتماد عليه واخفاء الحقائق عن المسئولين » ، وان تحقيقات قضية المؤامرة قد كشفت « عن انحياز المتهم الأول إلى فريق المتامرين بسبب هذا الارتباط الوثيق تحقيقا لمصلحة شخصية » . حتى « يعود المشير الى السلطة ويبقى صلاح نصر فى منصبه وتبقى أسرار حياتهما الخاصة فى طى الكتمان » .

— ومن ثم فان المتهم الأول يكون فى الفترة من ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ الى ٤ / ٨ / ١٩٦٥ بدائرة قسم حدائق القبة محافظة القاهرة . وبصفته رئيسا لجهاز المخابرات العامة امر بتعذيب الصحفى مصطفى أمين يوسف المتهم فى القضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات امن دولة عليا لحمله على الاعتراف بالجزيمة المسندة إليه ، وقد تخلف عن التعذيب الاصابات الموصوفة بالتحقيقات والكشف الطبى . الامر المؤثم بنص المادة ١٢٦ من قانون العقوبات ويتعين معه انزال العقوبة بالمتهم الأول وفق حكمها .

سبب براءة عليش والجزار

وحيث انه لم يثبت للمحكمة على وجه القطع واليقين ان أيا من المتهمين الثانى والثالث قد قام باصدار اوامر بتعذيب المجنى عليه لاكراهه على الاعتراف بالجريمة المسندة إليه ، أو فعلا ذلك بنفسيهما حيث قد نفى المجنى عليه صراحة عنهما هذا الفعل الأخير وقرر بالنسبة للمتهم الثانى انه لم يشاهده إلا بصحبة المتهم الأول دائما . وقد ايده فى هذه الواقعة كل من عادل السيد سليمان وانور جمعة زعلوك .

— وإذا كان المتهم الأول هو الوحيد الذى توافرت القناعة لدى المحكمة من جميع ما قدم فى الدعوى من اوراق وتم فيها من تحقيقات ودار بشانها بالجلسة انه الآمر بالتعذيب لارغام المجنى عليه على الاعتراف بالجرم المسند إليه ، فان صدور أمر من المتهم الثانى بتعذيبه لهذا الشأن يضحى ولا محل له ، غير مستساغ عقلا او مقبول منطقا خاصة أن أمر المتهم الأول قد وضع موضع التنفيذ .

— واما بالنسبة للمتهم الثالث فان ذكره لم يرد على لسان المجنى عليه بشان التهمة موضوع هذه المحكمة إلا في تحقيقات النيابة العامة بتاريخ ١١ / ١١ / ١٩٧٤ رغم اقرار المجنى عليه بمعرفة اسمه الحركى (جلال) من وجوده بمبنى المخابرات العامة وفي وقت نسب اليه واقعة محددة هي الاشراف على تحرير الاقرار الذى كان السبب فيما انتهت إليه المحكمة من وقوع تعذيب عليه ، ولا يمكن أن يغيب عن باله او يغفل عن ذكره طوال هذه الفترة الأمر الذى يفقد المحكمة اطمئنانها إلى ما قاله في هذا الشان الذى لم يقصد به إلا مجرد الزج بالمتهم المذكور في الاتهام موضوع هذه الدعوى لحضوره واقعة تعذيبه وكتابة الاقرار وجزاء له على عقده مؤتمرين صحفيين بداز الأخبار ونقابة الصحفيين عن قضية التخابر قبل عرضها على المحكمة مع ما في ذلك من تشهير بالمجنى عليه وتلويث لسمعته وحط من شانه واحتقاره ليس عند أهل صناعته فقط بل أيضا عند اهل وطنه وعلى الصعيد الدولى ، وهو الأمر الذى علم به عقب الافراج عنه نفاذا لقرار العفو الصادر في ١٨ / ٥ / ١٩٧٤

وحيث أن عدم اصدار المتهمين الثانى والثالث الأمر بتعذيب المجنى عليه ولاكراهه على كتابة الاقرار لا يعنى عدم علمهما بحكم موقعهما في المخابرات العامة والأول رئيس هيئة الأمن القومى والثانى وكيله ، بما حدث للمجنى عليه ، بل انه ثبت للمحكمة علمهما به ووقوع التعذيب وتحرير الاقرار في وجودهما ، غير ان ذلك العلم لا يرقى إلى مرتبة الفعل المجرم بنص المادة ١٢٦ من قانون العقوبات وهو الأمر بالتعذيب ، وانه كان يستشف منه الرضاء به . وهذا الرضا لا يستنتج منه ان أيهما الأمر به لأن هذا الاستنتاج يترتب عليه تغيير لفظ الأمر .

— كما أن أيهما لا يعد مشتركا في ارتكاب الجريمة بعدم تدخله في منعها لأن عدم الاهتمام أو التقاعس عن منع ارتكاب جناية أو جنحة وهو موقف سلبى لا يمكن اعتباره عملا من أعمال الاشتراك الذى يعاقب عليه القانون ، وكلها ايجابية ومحددة به على سبيل الحصر (م ٤٠ ع) وأن كان يعتبر من الأعمال التى يحكم عليها تأديبيا باعتبار انهما موظفان أن كان هناك محل لذلك .

— ومن ثم فان التهمة المسندة إليهما تكون قد غلفتها الريبة واحاطتها الشكوك ، وتضحى براءتهما منها حتما مقضيا عملا بنص المادتين ٣٠٤ / ١ ، ٣٨١ / ١ من قانون الاجراءات الجنائية .

وحيث انه قد انتهت المحكمة الى ثبوت التهمة في حق المتهم الأول دون المتهمين الثانى والثالث ، وقد نال المجنى عليه من تعذيبه الجسدى بقصد حمله على الاعتراف بالجرم المسند إليه اضرارا مادية وادبية غير متكورة ، فان المتهم الأول يكون مسئولا عن تعويضه عنها طبقا لنص المادتين ١٦٣ ، ١/٢٢٢ من التقنين المدنى . وترى المحكمة اجابة المدعى بالحق المدنى (م ٢٥١ أ . ج) الى مطلبه المؤقت والزام المتهم المذكور بالمبلغ المطلوب والمصروفات المدنية شاملة اتعاب المحاماة عملا بنص المادة ١/٣٢٠ من قانون الاجراءات الجنائية ، مع رفض الدعوى المدنية قبل المتهمين الثانى والثالث لان الحكم بالبراءة لعدم ثبوت التهمة يستلزم دائما رفض طلب التعويض لانتفاء الخطا الموجب للمسئولية .

فلهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المواد ١٢٦ عقوبات والمواد ١/٣٠٤ ، ١/٣٨١ ، ٢٥١ ، ١/٣٢٠ اجراءات جنائية ، ١٦٣ ، ١/٢٢٢ مدنى . حكمت المحكمة حضوريا :

اولا : بمعاقبة صلاح محمد نصر بالاشغال الشاقة مدة عشر سنوات عن التهمة المسندة اليه ، والزامه ان يدفع للمدعي بالحق المدنى مصطفى امين يوسف مبلغ ٥١ جنيها (فقط واحد وخمسون جنيها) على سبيل التعويض المؤقت والمصاريف ومبلغ مائة جنيه (١٠٠ جنيه) مقابل اتعاب المحاماه .

ثانيا : ببراءة كل من حسن زكي عليش واحمد يسرى الجزار من التهمة المسندة إليهما وبرفض الدعوى المدنية المقامة قبلهما .

صدر هذا الحكم وتلى علنا بجلسة يوم السبت الموافق ١٩٧٦/٦/٢٦

امين السر　　　　　　　　رئيس المحكمة

فــكــرة

يارب !

ما أبلغ حكمتك ، واعظم مشيئتك . امهلت وما اهملت . انت تعلم انني لم اطلب منك في يوم من الأيام ان تنتقم من ظالم . كل ما طلبته منك ان تنصف كل مظلوم .

انت تعلم انني لم اطلب شيئا لنفسي ، كل ما طلبت الا يحدث لغيرنا ما حدث لنا !

انت تعلم انني لم ارفع هذه القضية . ولم اقدم شكوى إلى النيابة . كل ما حدث ان محاميا لم اعرفه ولم اقابله قبل ذلك طوال حياتي ، وهو الأستاذ عبدالحليم رمضان المحامي قدم بلاغا إلى النائب العام يطلب التحقيق في وقائع التعذيب التي جاءت في « سنة اولى سجن »

كنت واقفا وحدى . وكنت اشعر انني اواجه قوى لا قبل لى بها . هى تملك كل شيء وانا لا املك سوى قلمى . هى تهدد وتتوعد وانا ليس لى إلا الله استعينه واعتمد عليه .

اذكر كيف أن صلاح نصر كتب مذكرة يقول فيها انه ليس من حق محكمة الجنايات أن تحاكمه . وليس من حق النيابة ان تحقق معه ، وانه يجب ان تؤلف محكمة خاصة لمحاكمته . وانه ضابط سابق برتبة فريق لا يجوز أن يحاكم إلا امام محكمة عسكرية يتولاها ضابط برتبة فريق . وانه يطلب من الجيش ان يحميه من المحاكمة العادية . ورفض الفريق الجمسى وزير الحربية ان يتدخل الجيش في قضية تعذيب .

ثم ارسل صلاح نصر الى عادل يونس وزير العدل يطلب منه ان يمنع محاكمته امام محكمة عادية ، ويطالب ان يحاكم امام محكمة عسكرية . وإذا بعادل يونس - رحمه الله - يضع مذكرة يعلن فيها ان سيادة القانون تقتضى ان يحاكم صلاح نصر امام القضاء شانه شان كل متهم عادى بغير تفريق ولا تمييز !

تحية للقضاة الكبار الذين رفعوا راس قضاة مصر ، واثبتوا ان قضاء مصر صامد كالطود وانه يحمى كل مصرى وأن المصريين جميعا سواء أمام القانون .

تحية لشوكت التونى المحامى الذى ترافع عن شعب مصر مرافعة بليغة سوف تدخل بين اعظم المرافعات السياسية في تاريخ مصر .

وقبل كل شيء .. وبعد كل شيء لك الشكر يارب !

مصطفى أمين

● ● ●

كتب للمؤلف

- أمريكا الضاحكة

حياة طالب مفلس فى امريكا
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ - (نفدت) .
الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣ - (نفدت) .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ - (نفدت) .

- فاطمة

مثلتها للسينما ام كلثوم وانور وجدى سنة ١٩٤٧

- عمالقة واقزام

ساسة مصر قبل الثورة
سنة ١٩٥١ - (نفدت) .

- ليالى فاروق

قصة حياة الملك فاروق
الجزء الأول سنة ١٩٥٤ - (نفدت) .
الجزء الثانى سنة ١٩٥٤ - (نفدت)

- معبودة الجماهير

الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ - (نفدت) .
مثلها للسينما عبدالحليم حافظ وشادية

- صاحب الجلالة فى الزنزانة - المكتب المصرى الحديث

قصة الصحافة المصرية فى الأغلال والصراع بين الصحافة والطغيان
الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٥

سنة أولى سجن - المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤ - (نفدت) .
الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثالثة يناير ١٩٧٥ - (نفدت)
الطبعة الرابعة فبراير ١٩٧٥ - (نفدت) .

الطبعة الخامسة مايو ١٩٧٥ - (نفدت)
الطبعة السادسة يناير ١٩٧٨
الطبعة السابعة أبريل ١٩٨١
الطبعة الثامنة يناير ١٩٨٥ « الشركة السعودية للأبحاث والتسويق »

● الكتاب الممنوع
أسرار ثورة ١٩١٩
الطبعة الأولى ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثانية ١٩٧٥

● سنة أولى حب - المكتب المصرى الحديث
يناير ١٩٧٥
مثلها للسينما محمود ياسين ونجلاء فتحى

● ست الحسن - المكتب المصرى الحديث
الطبعة الأولى ١٩٧٦ - (نفدت)
الطبعة الثانية ١٩٨١

● من واحد إلى عشرة - المكتب المصرى الحديث
الطبعة الأولى ١٩٧٧
الطبعة الثانية ١٩٨١

● سنة ثانية سجن - المكتب المصرى الحديث
الطبعة الأولى ١٩٧٧

● سنة ثالثة سجن - المكتب المصرى الحديث
الطبعة الأولى ١٩٧٨

● لا .. - المكتب المصرى الحديث
الطبعة الأولى ١٩٧٧

● لكل مقال أزمة
الطبعة الأولى ١٩٧٩

- تحيا الديمقراطية ـ المكتب المصرى الحديث
الطبعة الأولى ١٩٨٠
- من عشرة لعشرين ـ المكتب المصرى الحديث
الطبعة الأولى ١٩٨١
- صاحب الجلالة الحب
الطبعة الأولى ١٩٨٠
- من فكرة لفكرة الجزء الأول
الطبعة الأولى ١٩٨٣
- من فكرة لفكرة الجزء الثانى
الطبعة الأولى ١٩٨٤
- مسائل شخصية
الطبعة الأولى ١٩٨٤
- الفكرة الممنوعة
الطبعة الأولى ١٩٨٤
- سنة خامسة سجن
الطبعة الأولى ١٩٨٤

● ● ●

فى هذا الكتاب

صفحة

● ● ●

رقم الايداع : ٩٠٥٠ / ١٩٩١
الترقيم الدولى : I. S. B. N
977 - 08 - 0168 - 2

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم

هذا الكتاب

« سنة أولى سجن » دراما إنسانية .. ورؤية ثاقبة لعالم السجون .. هذا العالم الغريب وراء حجب الأسوار . إنه أدب جديد يمكن تسميته « بأدب السجون » وأدب الرحلات .. إنها تجربة فريدة ومتميزة .. وبالرغم من قوتها إلا أن الأسلوب الرشيق السلس للكاتب الكبير مصطفى أمين يحمل القارئ [illegible] يقرأ وتتسارع ضربات قلبه ونبضه حتى وهو يرى المشاهد المصورة داخل دهاليز السجون .. ليطل على هذا العالم الذي يحيطه الغموض وتلفه

أخبار اليوم

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم


مصطفى أمين
سنة ثانية سجن
المكتب المصري الحديث

إهـــــــداء2005

الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدي محمود
القاهرة

الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٧٥
الطبعه الثانية ديسمبر ١٩٧٥

الناشر : المكتب المصرى الحديث للطبع والنشر
٧ شارع نوبار ت ٢٦٦٠٠ الاسكندرية
٤ شارع شريف ت ٥٣١٢٧ القاهرة

مصطفى أمين

سنة ثانية سجن

هذه الرسائل المقيدة بالأغلال

هـــذه سنة ثانيـــة سجن !

انها مجموعة من الرسائل كتبتها فى الزنزانة فى السنة الثانيـــة من سجنى . رسائل مهربة ، غافلت قبضة السجان وهربت من جو الزنزانة الخانق الى الهواء الطلق ، خدعت الحراس ، واقتحمت الأسوار ، وضللت الاجهزة التى كانت تراقب المسجونين السياسيين بالليــل والنهــار .

الرسائل مذعورة تتلفت حولهـــا فى رعب . الكلمات ثقيـــلة تجر وراءها السلاسل . المعـــانى مسجونة فى حروف . الهول الاكبر أن تحاول وأنت مسجون أن تكتب كلمة حرة ! الأغلال التى فى يديـــك تمنع الكتابة . القضبان امام عينيك تمنع الرؤية . الباب الحـــديدى الذى يقف بينـــك وبين الحياة يمنع التفكير . عالم الممنوع لا يبيح اى شىء . القلم ممنوع . الورق ممنوع . الحبر ممنوع . الاحتجاج ممنـــــــوع ..

المسجون السياسى أســـير فى حرب لم يدخلها . لا يعرف لمــاذا جاء الى الأسر ، ولا يعرف متى يخرج من الأسر . لا يستطيع ان يشـــكو الظلم لأن الظالم هو الحاكم . ولا يستطيع أن يســـتنجد بالعدالة لأنها مسجونة فى زنزانة مجاورة . ولا يستطيع أن يستصرخ القانون لأنه مشنوق تحته فى غرفة الاعدام !

ومع ذلك استطاع المسجونون السياسيون أن يقـــاوموا القيود المفروضة . وأن يحفروا بابر صغيرة فى الصخر الأصم ثقوبا يدخـــل منهـــا الهواء والنور والحرية ! وتخرج من هـــذه الثقوب صرخات المظلومين وانين المصلوبين ودعوات المعذبين !

كانت التعليمـــات مشـــددة بالا يكون فى زنزانتى قلم ولا ورق ولا حبر . .واذا كتبت فتكون الكتابة فى غرفة الضابط ، وفى حضوره،

والا يزيد ما اكتبــه على خطابين فى كل الشهر والا تزيد مســاحة الخطاب على نصف ورقة ..

ولم استطع ان اخضــع لهذا القرار الظالم . احنيت راسى ، ولعنتــه !

وبدانا نقاوم على طريقتنا ..

واخفيت القلم والورق عند مسجون غير سياسى فى زنزانة تبعد ١٣ زنزانة عن زنزانتى ..

وعند المغرب يتم اغلاق الطابق الرابع كله الذى كنت فيه ..

وتمتد يد محمد الى خارج القضبان تحمل الورق والقلم من نافذة الزنزانة رقم ١٤

وتمتد يد المسجون فى الزنزانة رقم ١٣ خارج القضبان ، وتلتقط الورق والقلم .. وتسلمهما الى المسجون فى زنزانة رقم ١٢ .

وهكذا ينتقل الورق والقلم من نافذة زنزانة الى نافذة زنزانــة اخرى حتى يصلا الى الزنزانة رقم واحد التى كنت فيها ..

وابدا فى الكتابة ..

حينا فى ضوء كهرباء خافت ، واحيانا فى ضوء شمعة ..

وتستمر الكتابة الى ان تجىء حملة التفتيش ، وما يكاد يشــعر بها زميلنا الناضورجى فى الطابق الأول فى عنبر واحد حتى يصرخ « احمد عبد الرحمن » !

وهى كلمة سر معناها ان هناك حملة تفتيش ..

ويصرخ بها الناضورجى فى الطابق الثانى .. ثم الثالث .. واسرع فى زنزانتى أخرج ذراعى من بين قضبان النافذة ، بالقلم والورق ، فيلتقطهما زميلى المسجون فى الزنزانة رقم ٢ ، الى الزنزانة رقم ٣ ، الى ان يصلا الى محمد فى الزنزانة رقم ١٤ .

ويقتحم الضابط والحراس زنزانتى ، ويفتشون كل ركن فيهــا فلا يجدون شيئا ..

ويفتشون زنازين المسجونين السياسيين فلا يجدون شيئا !

ولا يخطر ببالهم ان يفتشوا الزنزانة رقم ١٤ لان المسجون بهـا مسجون عادى •• ولا يقرأ ولا يكتب !!

وهكذا استطعت فى خلال هذه السنوات التسع أن أكتب عشرة آلاف رسالة ، وست قصص ، وكتابين سياسيين ثم يبقى سؤال ••

كيف كانت هذه الرسائل تتسلل الى خارج السجن •• ؟

ان كل رسالة كانت تخرج من بوابة عليها حـارس : وتمـر فى طريق طويل ملىء بكردونات التفتيش ••

ثم تنطلق من بوابة حديدية ضخمة وقف عليها عدد من الحراس يفتشون كل شىء !

ومع ذلك استطاعت عشرة آلاف رسالة ان تفتح الأسوار •• وكان فريق من أصدقائى يتولى عملية التهـريب ، فتصل الرسائل أولا الى سعيد فريحة فى بيروت ثم الى على أمين فى لندن ••

وقد كانت سيدة مصرية هى التى تتزعم هذا الفريق من الأصدقاء الذى كان يقوم بهذه المهمة الخطرة ، التى كانت تعرض القائمين بها للسجن أو الاعتقال والوضع تحت الحراسة ••

ولا أستطيع ان أذكر فى الوقت الحاضر للأسف أسـماء هـؤلاء الأبطال الذين عاونونى ••

فقد ادخل السجن مرة ثانية !

مصطفى أمين

رسالة من كمال الدين حسين الى جمال عبد الناصر

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

تلقيت من بعض تلاميذى وأنا فى سجن الاستئناف أن كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة ثائر وغاضب على جرائم التعذيب التى ارتكبت ضد المسجونين السياسيين .. وانه لم يصدق فى أول الأمر ما سمعه ، وعندما تأكد من حوادث التعذيب كتب الخطاب التالى الى الرئيس جمال عبد الناصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لا خير فى اذا لم أقلها لك .

اتق الله .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا « قرآن كريم » .

اتـــق الله .

قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم .

« يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » .

اتق الله . ولا تكن ممن قال فيهم الله سبحانه وتعـــالى .. « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم » .

انق الله . امر الله بها الرسول والمؤمنين .

وامر بها الرسول اصحابه والمؤمنين .

وقالها الخلفاء والائمة لبعضهم ، ولولاتهم ، وللمسلمين .

وقالها المسلمون للخلفاء ، والائمة ، والولاة ، ولبعضهم بعضا .

قالتها تلك الأمة التى اعزها الله بقوله :

« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

صدق الله العظيم .

والسلام على من اتبع الهدى .

كمال الدين حسين

١٢ اكتوبر سنة ١٩٦٥

وقد تلقيت صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط كمـال الدين حسين .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد

قد تغضب مني إذا لم أتق ... الله

- اتقوا الله:

"ومن يتق الله يجعل له مخرجا" قرآن كريم

"ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا" " "

"ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا" " "

- اتق الله

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم

"يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين"

وخشية الله: ولا تكن ممن قال عنهم الله سبحانه وتعالى.

"وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم".

وطاعة الله: أمر الله بها الرسول والمؤمنين

وأمر بها الرسول أصحابه والمؤمنين

وقالها الخلفاء والأئمة لبعضهم ولولاتهم وللمسلمين.

وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة والولاة ولبعضهم لبعضا

فالتزمت هذه الأمة التي أخرجها الله بقوله.

"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" صدق الله العظيم

والسلام على من اتبع الهدى، كمال الدين حسين

١٢/٨/٦٥

رسالة من كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر

سجن الاستئناف ...

عزيزتى.

ما كاد الرئيس يتلقى خطاب « اتق الله » من كمال الدين حسين ؟ الذى يحتج فيه على تعذيب المسجونين السياسيين ، حتى أحاط تلاميذ مدرسة التعذيب بالرئيس ، وأوغروا صدره على كمال الدين حسين ، فأمر فى يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٥ باعتقاله فى استراحة بالهرم ، وذلك بعد يومين فقط من وصول رسالة « اتق الله » !

وكتب كمال الدين حسين فى معتقله رسالة الى المشير عبدالحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام .

وقد استطاع تلاميذى أن يهربوا لى داخل السجن نص هذه الرسالة الخطيرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كلمة صريحة واخيرة ، لن تنزعج بعدها يا عبد الحكيم ، لم اجد بدا من ان اقولها لك بعد كل ما حدث ، وان كنت قد ترددت كثيرا فى الكتابة لك ، فاننى حين نويت ، لم اتردد قط فى ان اكون صريحا .

اليوم يا عبد الحكيم أصبحت اعتقد انه لا حياة لى فى بلدى ، الذى أصبحت أرى فيه جزاء الكلمة (اتق الله) هو انا ما فيه وما فيه اهــــلى .

عندما قلت لكم اتقوا الله ، قصدت ان تتقوا الله فى هذا الشعب ، الذى تمنا سويا لخلاصه واسترداد حريته . قلت لكم (اتقوا الله) بعد ان الجمنم جميـــع الأفواه ، الا افواه المنافقين ، والمتزلفين ، والطبالين ، والزمارين . قلت لكم اتقوا الله فى الحرية التى قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها ، وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية ، نطمئن — حين نقضى من هذه الدنيا — ان قد ادينا أمانتنا ، فنترك بعدنا هذه البراعم قد نضجت وأصبحت سوقا قوية قادرة على الصمود .

قلت لكم « اتقوا الله » لأنكم أردتم « استنعاج » هذا الشعب ، وانا لم ولن أرضى بذلك .

ولذلك اصبحت الآن لا أطيق الحياة فى هذا الجو الخانق ، وأرجو أن يتيسر لك معرفة درجة الاطمئنان فى هذا الجو . اذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون اعظم . فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من أخوة كانت بيننا فى يوم من الأيام . فاننى لا اطلب سوى أن أخرج انا ومن يريد من اسرتى ، التى نالها أيضا نصيب وافر من اجراءات . أخرج لأبقى الى جوار رسول الله حيث اقضى ما بقى من حياتى ، مستخلصا روحى لنفسى ودين الله .

فاليوم يمكنني أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن ، بعد ما كان جزائى — وأنا الشهيد — على كلمة الحق (اتق الله) ما أنا فيه .

وانت نعلم يا عبد الحكيم انـكم لن يمكنكم ان تكبلوا روحى وان اعتقدتم انكم كبلتم جسمى .

وانت تعلم يا عبد الحكيم انكم لا تملكون اى حق شرعى فيما قمتم به نحوى ، الا حق الديكتاتورية والطغيـان . اذا جاز أن يكون لهما حق .

وانت تعلم يا عبد الحكيم انـه اذا لم تتقيدوا بشرع تجاهى ، فالناس يعلمون (ومن زمن) انكم غير مقيدين بشرع تجاههم . وهم اذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فانهم سوف يعرفون معناه جيدا الآن .

اننى آسف أن تتحول ثورة الحرية الى ثورة ارهاب ، يعلم فيها كل انسان مصـيره لو قال كلمة حرة ، يرضى بهـا ربه وضميره ووطنـه .

واذا قيـل لى وللناس أن هناك مفهوما آخر للحرية فهـذا هو التضليل وحكم الهوى ، الذى يضل به الشيطان أولياءه ، لينسوا قانون الله وشرع الله ، شرع الاسلام الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد . حرية يتساوى فيها أبناء آدم جميعا أمام الله ، أمام الشرع أمام الحكم الالهى ، الذى لا يقبـل التأويل واللف والدوران .

يا عبد الحكيم ! مهمـا كانت التعابير الجـديدة والشعارات ، فالحرية هى الحرية ، التى عبر عنها عمر حين قال « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا » وحين قيل له (اتق الله) قال .. « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها » .. وانت تعلم يا عبد الحكيم اننى لن استعطف احدا ، ولن يؤدبنى احدا ، والحق معى ، ولقد جابهتكم جميعا بذلك فى مناسبة سابقة . لأنى لا اخاف الا الله .

وانا حين اكتب اليك الآن فانني لا اطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الارض التى يئست ان تقال فيها كلمة حق ، فضلا عن ان يقام فيها ميزان عدل — وان ابيتم على ذلك فان وليى الله ، عليه اتوكل ، واليه انيب ، وانا لله وانا اليه راجعون .

يا عبد الحكيم ! ان اجراءاتكم هذه التى اصابتنى ، وان كنت قد تحملتها فى صبر ، فان الصدع الذى اصاب مشاعرى تجاه من امر بها ، صدع يصعب رتقه ، وبقائى هنا متعبة لى ولكم .

وانت تعلم يا عبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس عام ١٩٦٥ وقلت لك : اننى مستعد للاعتقال ، والقتل ، واى شىء آخر .

قلت لى عن نفسك « اعتقال ايه يا شيخ ، والله انا اللى ييجى يعتقلنى انا اضربه بالرصاص » .

انا فكرت فى هذا ، ولكنى لم استصوبه ، لأن هذا ينافى ايمانى .

وجاء يحدثنى هلال كرجل ، وعلى لسان رجل او رجال ، ومع ذلك كانت النتيجة أن فتشوا منزلى ، وحجرة مكتبى ورقة ورقة ، وحجره نومى ، وعائلتى ، وحتى ملابسى ، ومتعلقات السيدات .

واعتقلوا اهلى ، وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ ، وانا لا اعرف مصيرهم حتى الآن تماما ، كى لا يعلم احد من افراد الشعب سبب أو مكان ، ولا مصير أى شخص يعتقل منهم ، واذا مات احدهم (لأى سبب !!!) يكتفى بأن يخطر أهله انه قد هرب او انه قد دفن فى مكان كذا تحت رقم كذا ، مجرد رقم . كان انسانا حيا وأصبح مدفونا !

يا عبد الحكيم ! ان ما تمتم به ضدى جريمة ، تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه آلاف المواطنين (طبعـــا مع تغيير فى الشكل) . كانت الرجولة يا عبد الحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم (واحد منا) لأعلم منه ماذا جرى ، ولماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق تصيح فيكم (ان اتقوا الله) ؟

ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم ، فأبيتم هذه المواجهة ، واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ، ولا يكبل ضميرا حيا ، ولايئد ايمانا وتقوى . ولكن يورث النفس مرارة وأسفا .

واذا لم يواجهنى واحد منكم فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة علنية او شرعية . على الاقل لاعرف ما هى التهمة الموجهة لى ما دام قد أصبح امرا طبيعيا فى (زمن الحرية) أن يعتقل الناس ، وتصادر حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة . اننى اتحدى اى اتهام . واتحدى ان يواجهنى أحد بأى اتهام يبرر ما حدث (طبعا أنا اخرج من حسابى عمليات التلفيق لأننى ما زلت انكر عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك) .

يا عبد الحكيم ! الم أقل لك فى مارس الماضى « ما هى ضمانات الحرية » ؟ فقلت « نحن ضمانات الحرية » !

وقلت لك : اننى لا اثق فى ذلك .

وهذه الأيام تأتينى بالبرهان ، بأن للحرية ضمانات ، « وأنتم الضمانات » . . كل شىء جايز . . .

الم اقل لك يومئذ انه اذا لم يتنازل عن تألهه ، وفرديته ، فلا فائدة من العمل معه ؟

فهل يا ترى هذا الذى جرى لى لمواجهة الكلمة (اتق الله) هو دليل هذا التنازل ؟

كلمة صريحة اقولها لك يا عبد الحكيم ! اننى أرثى لهذه الحال . ومع ذلك اتمنى أن يهديكم الله . .

لا تغضب انت الآخر يا عبد الحكيم . راجع نفسك . ولا يغلبك الهوى والغرض . راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وعلى مدى سنتين من هذه الثورة ، ثم أنظر أين ينتهى بكم الطــريق ، طريق الحرية . . اقدس ما منح الله للانسان !!

يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأى الناس فيكم ، وما يحسونه نحوكم . . لقد أصبحتم ويا للأسف فى نظر الشعب جلاديه . نتيجة

تدعو للرثاء ، وحصاد مر لثورة ٢٣ يوليو « التحررية الكبرى » تتجرعه الملايين المستذلة ، بعد ما وضعت فى تلك الثورة وقادتها ، آمالها . واعطتها الكثير ، واستأمنتها على الكثير « على الحرية » .

ولكن اين الأمانة الان ؟ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، لقد بددت الأمانة، لقد وئدت الحرية ونعيش فى هذه الأيام مأتمها فى ليل لا يبدو له فجر .

يا عبد الحكيم ! لا تتصور انى مبتئس لما جرى ، ولكنى حقيقة اشعر بالأسف . اقول « يا حسرة على الرجال » « يا خسارة على الثورة » .

واشعر بذنب واحد ، هو أن ثقتى الغير محدودة فيكم مكنت الطغيان أن يسلب هذا الشعب حريته ، وكرامته وانسانيته . مهما كانت الشعارات الزائفة التى تردد والادعاءات الكاذبة التى تقال . والناس جميعا يعرفون حقيقتها .

والسلام ..

كمال الدين حسين
٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٥.

وقد تلقيت فى السجن صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط كمال الدين حسين .

الرسالة الثامنة - عبد الحليم عابدين :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحليم   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد
كلمة صريحة (ربما لن تحتاج بعدها) يا عبد الحليم، لم أجد بدا من
أن أقولها لك لسبب ما حدث، وإن كنت قد ترددت كثيرا في الكتابة إليك، ولكني
بعد تردد، لم أتردد قط في أن أقولها صريحا.
اليوم يا عبد الحليم أصبحت أعتقد أنه لا فائدة لك في ملبس الدين أصبحت
أرى فيه جزاء الكلمة (اتق الله) هو ما أنا فيه وما فيه أهلي، عندما قلت
لهم اتقوا الله فهمت أن يتقوا الله في هذا الشعب الذي قمنا سويا بثورة
واستشهاد رجاله. قلت لهم (اتقوا الله) بعد أن أطلق جميع الأحزاب إلا الأحزاب
المنافسة والمتزلفين والطبالين والزمارين. قلت لهم اتقوا الله في الحرية
التي قضيتم على كل ما لها بأيدينا من آثارها ولكنا نأمل أن تنتهي لو جاءت تابعه
قصير - حين نقضي من هذه الدنيا. أن قد أدينا أمانتنا فتركت بيننا هذه
الأمور. قد نفيت، وأصبحت بسببها غربة قادرة على الصدور. قلت لهم
اتقوا الله لأنكم أردتم الاستعباد. هذا الشعب وأنا لم ولن أرضى ذلك.
ولذلك أصبحت الآن ولا أطيق الحياة في هذا الجو الخانق (وأظن أن
يغير الله معرفة ورحمة بالمظالم في هذا الجو. إذا لم يغير ذلك فالطيبة لا تكون أعظم؛
~~[illegible]~~ بأيام في [illegible]
أطلب منك أن أخرج أنا ومن معي من أسرتي (إلى بلد أذهب وأرى أهلي
أخرج لأذهب إلى جوار رسول الله حيث أقضي ما بقي من حياتي، مستغفرا روحي
لنفسي ولديني لله - فاليوم يطيب لي أن أرى صورة المستقبل هنا لو ظلمتم
بعدما كان هذا الشعب - أنا الذي - على كلمة الحق (اتق الله) ما أنا فيه.
وأنت تعلم يا عبد الحليم أنكم لم يمكنكم أن تقبلوا روحي وإيماني حقا
حتى - وأنت تعلم يا عبد الحليم أنكم لن تقدروا أن تحقروا شرعي فيما
قمتم به تحريم إلا مع الدكتاتورية والطغيان - إذا جاز أن يكون شرعا هنا
وأنت تعلم يا عبد الحليم أنه إذا لم تتقيدوا بشرع تجاهكم، فالناس لا يقبلون
(ومن معهم) أنكم غير مقيدين بشرع أي شيء - وهم إذا لم يكونوا قادرين
على الفاظم خلال سنة ١٩٦٦ فإنهم سوف يرفضونه جميعا جيدا لكم.
إني آسف أن تتحول ثورة الحرية إلى ثورة إرهاب - يعلم فيه كل إنسان
قد قال كلمة حرة يرضى بها ربه وضميره ووطنه - فإذا قيل له أو للناس
هناك شيء آخر للحرية فذا هو التضليل وعلى الحق الذي يكفي به الشيطان
وأولياؤه - ليعلموا أن الله شرع الله شرع ليخرجوا الناس من الظلمات
من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد - وبه - ينادي بني أبناء آدم جميعا
أمام الله إمام الشرع إمام الحق أيها الذي لا يقبل التأويل والله لم [illegible]

يا عبد الحليم ما الآفات التي تبرز الشهادات فاطنه هي الحرية التي تعيش [illegible]
[illegible] قال « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ، ومن قبل له
(رضي الله عنه) - قال . (لا تغيروا فيهم إذا لم تقلدوها ولا قوة لنا إلا بالله)
أنت تعلم يا عبد الحليم أنني لم أستطع أبدا ولن تؤدي [illegible] (والحمد لله)
ولعلها تختلف عما ذكرته من مناسبة سابقة . [illegible] الآفات إلا الله .
وأما عن الكتب الدينية التي [illegible] - نسبا [illegible] الرجل [illegible]
التي [illegible] أن [illegible] فضلا عن أن تقام [illegible] .
وإن [illegible] [illegible] ولكن الله [illegible] [illegible] وإذا [illegible]
[illegible] [illegible] . يا عبد الحليم إن [illegible] هذه التي [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] هنا [illegible] [illegible] . وأنت تعلم يا عبد الحليم [illegible]
[illegible] أني [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] « [illegible]
[illegible] ، [illegible] [illegible] أنا [illegible] » . أنا [illegible] في هذا [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يا عبد الحليم [illegible]
[illegible] [illegible] (والحمد لله) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] (أن اتقوا الله) [illegible] [illegible]
[illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] النفس [illegible] . وإذا لم [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]
في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . أنا [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ([illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible])
يا عبد الحليم [illegible] [illegible] في [illegible] « ما هي [illegible] الحرية » [illegible]
« [illegible] الحرية » [illegible] [illegible] [illegible] . وهذه [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] « .. [illegible] .. [illegible] »
[illegible] [illegible] [illegible] إذا لم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] هذا [illegible] في [illegible] (رحمه الله) [illegible] هنا [illegible] ١٠٠٠

كلمة صريحة أوجهها إلى عبد الحكيم !! أرثي

لهذه الحال ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله

لا تغضب أنت الآخر يا عبد الحكيم . وامسك لسانك .

ولا يغلبك الهوى والغرض .. وابحث ضميرك قبل ثورة

٢٣ يوليه وعلى مدى سنين من هذه الثورة ثم انظر

أين يقف بكم الطريق .. طريق الجريمة ... الذي سيؤدي مع

الله سلامتك .!!

يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأي الناس فيكم وما يخبئونه

تحت ثيابهم ... لقد أصبحتم وأنا للأسف ما زلت الشعب

حيالكم : شخصية تدعو للرثاء وحطام من الثورة

٢٣ يوليه (الحركة المباركة) تتجرعه الأفواه لسنوات

بعد ما وضعت في تلك الثورة وثروتها آمالك وأعطاك الشعب

واستأمنك على الثروة "على الجبهة"

ولكن أين الأمانة لكنه والله يأمركم أن تؤدوا

الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل . لكنك بددت الأمانة .. لقد ضيعت

(٤)

الحرية والتعبير في هذه الأيام مأتم في ليل لا يبدو له نجم.

أعتقد الحاكم لا يستطيع أن يتنبأ لما جرى ولكني وجميعه أشعر بالأسف أقول "يا حسرة على الرجال" "يا خسارة على الثورة"

وإن لم يبق واحد من أبناء ثقتي المحدودة فكم تمنيت للطغيان أن يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وإنسانيته. ومع ذلك الشعارات الزائفة التي تردد والادعاءات الكاذبة التي تقال ولكن صبرا لن يدوم طغيانكم وظلمكم

[signature]

٢٥/١١/٦٥

سجن الاستئناف ..

عزيزى ..

تسألنى رأيى فى خطاب كمال الدين حسين الى الرئيس عبد الناصر وخطابه الى عبد الحكيم عامر . ان رأيى أن الخطابين موجهان الى الرئيس عبد الناصر . وما يشكو منه كمال الدين حسين سبق أن شكا منه عبد الحكيم عامر فى أحاديثه معى وفى استقالته الخطيرة التى قدمها عام ١٩٦٢ وأعطانى صورة منها . وتحدثت بشأنها مع الرئيس عبد الناصر . ولا أوافقك على رأيك بأن صرخة كمال حسين سوف تفزع الفراعنة الصغار الذين حول الرئيس ، وستجعلهم يعدلون عن غلوائهم واستبدادهم وجرائمهم . على العكس اننى أتوقع أن يحدث أن يشتد الضغط والارهاب . ولن يقال للرئيس بأن كمال الدين حسين يعبر عن رأى عام يستنكر تلفيق القضايا ، والمحاكمات الصورية ، وأحكام محاكم التفتيش ، وجو الكبت ، والتعذيب والمعتقلات . بل سيقولون له أن كمال الدين حسين يريد أن يتزعم المعارضة .

وليست هذه أول مرة يوضع رجل فى مكانة كمال الدين حسين ، نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الثورة ، فى المعتقل .. فقد أصبح السجن الآن أشبه بكلوب محمد على الذى كان يضم رؤساء الوزارات والوزراء والكبراء فى العهد الماضى ! .

انك لو أحصيت الذين دخلوا السجن أو المعتقل لوجدت بينهم رئيس جمهورية هو اللواء محمد نجيب ووصيا على العرش هو القائمقام رشاد مهنا ورؤساء وزارة أمثال ابراهيم عبد الهادى ونجيب الهلالى وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وعثمان محرم

وزير الاشغال ومحمد صلاح الدين وزير الخارجية ومرتضى المراغى وزير الداخلية وزكى عبد المتعال وزير المالية وعبد المجيد ابراهيم صالح وزير المواصلات والدكتور حافظ عفيفى وزير الخارجية السابق ورئيس الديوان الملكى وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية وحسن الهضيبى مرشد الاخوان المسلمين والمستشار بمحكمة النقض والابرام واحمد عبد الغفار وزير الزراعة وحامد جودة رئيس مجلس النواب .

واهمية القبض على كمال الدين حسين انه كان من اقرب اعضاء مجلس الثورة الى قلب الرئيس ، ووقف معه بحماس فى كل معاركه. وعندما اختلف معه اعتكف فى بيته ولم يقل لأحد اى شىء عن سبب الخلاف مع انه كان سببا هاما جدا ، وهو على ما اتذكر أن الرئيس عرض عليه هو وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم خطة جديدة فى تطبيق الاشتراكية فى مصر تجعلها اقرب الى الشيوعية فاعترض عليها الثلاثة وعندما قال الرئيس انه سيؤمم محلات البقالة الصغيرة قال له كمال الدين حسين « فى المشمش » وأرسل الثلاثة استقالتهم.

فاذا اعترض كمال الدين حسين على ما جرى للمسجونين السياسيين من تلفيق وتعذيب وارسل للرئيس يقول له اتق الله كما فعل المسلمون مع عمر بن الخطاب خليفة المسلمين .. فاذا بالأمر يصدر بالقبض على كمال الدين وكل الذين كانوا يزورونه فى بيته فمعنى ذلك أن الحرية فى بلادنا تصادف محنة كبرى .

وسيكون من نتيجة ما حدث لنا ، وما حدث لكمال الدين حسين ، أن احدا لن يجرؤ ويقول الحقيقة للرئيس .. ولن يسمع بعد ذلك سوى المدح والثناء ، والتأييد والتأليه .. وهذا هو أكبر خطر يتعرض له عبد الناصر .

ان ميزة عبد الناصر الكبرى انه كان يسمح لنا بأن نقول له آراءنا بصراحة تامة ، ولم يكن يغضب عندما كنا نعترض على بعض التصرفات . ولم يحدث الا بعد مرضه انه كان يضيق بكلمة الاعتراض على رأى له . وقد أرسل لى عبد الحكيم عامر وأنا فى السجن يقول ان سبب « مصيبتى » اننى كتبت مقالا فى الموقف

السياسى فى اخبار اليوم من الكونغو ! نعم عن الكونغو .. وان الرئيس فهم من المقال أنني اقصد الحالة فى مصر ، واننى اريد أن اقول انه نشر الارهاب ، وانه كمم الأفواه ، وان هذا هو السبب فى القرار الذى صدر بالبطش بى « حتى أعرف الارهاب يبقى أيه » واذكر انه فى أوائـــل ديسمبر ١٩٦٢ ، استدعانى عبد الحكيم الى بيته فى الحلميـــة ، وأعطانى نص استقالة ارسلهـــا الى الرئيس عبد الناصر ، وشعرت يومهـــا أن شرخا حـــدث فى العلاقة بـــين الصديقين العزيزين أو بين (التوأمين) كما كان يقول عبد الحكيم .

كان عبد الناصر يشكو لى أن عبد الحكيم سيىء الاختيار فى اختيار مديرى مكتبه .. كل مدير مكتب اختاره حاول أن يقوم بانقلاب ضد عبد الناصر ...

وكان عبد الناصر يشك أن السبب فى ذلك أن الجو الذى حول عبد الحكيم يكره الرئيس عبد النـــاصر ، وهذا هو سر أن جميـــع الانقلابات تجىء من داخل مكتب عبد الحكيم ، أما عبد الحكيم فهو يقول أن على صبرى وسامى شرف وباقى حاشية عبد الناصر هى التى افسدت العلاقة .

وان عبـــد الناصر اصبح ديـــكتاتورا ، وهو يرى أن لا حـــل الا بالديموقراطية وبمنح الصحافة حريتها ..

وغضب عبد الناصر من صيغة استقالة عبد الحكيم ، ثم هدأ بعد ذلك ووعد عبد الحكيم بتنفيذ كل ما فيها من طلبات ..

ثم عدل بعد ذلك ولم ينفذ منها أى طلب .

وهذا هو نص استقالة عبد الحكيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب القائد العام ..

عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ارى أن الواجب .. وأيضا الوفاء .. يقتضى أن أكتب اليك معبراً عن رأى مخلص رغم الأحداث الأخيرة .

فبعد عشر سنوات من الثورة وبعد عشرين سنة صلة بينى وبينك لا يمكننى أن أتركك وأعتزل الحياة العامة دون أن أبوح لك بما فى نفسى كعادتى دائما .

انى اعتقد ان الانسجام والتفاهم بين المجموعة التى تشارك فى الحكم أمر ضرورى وأوجب من ذلك الثقة المتبادلة بين أفراد هذه المجموعة وقد وجـدت فى الفترة الأخيرة أن الاسلوب الغالب هو المنـاورات السياسية ونوع من التكتيك الحـزبى . فضـلا على ما لا أعلمه من أساليب الدس السياسى ، والذى قد أكون مخطئا فى تصوره ولو أن الحوادث كلها والمنطق يدل على ذلك .. والنتيجة التى وصلنا اليها خير دليل على هذا التصور فقد استطاع هذا الاسلوب أن يتغلب على ما كنت أعتقده مستحيلا .. وهو تحطيم صداقتنا وما نتج عن ذلك من أحداث لا داعى لسردها فكلها لا تتفق مع المصلحة العامة فى شىء ..

المهم فى الموضوع انى لا استطيع بأى حال أن اجارى هذا الاسلوب السياسى لانى لو فعلت لتنازلت عن اخلاقى وانا غير مستعد لذلك بعد أن انتهى نصف عمرى .

الذى أريد ان أحدثك اليه بخصوص نظام الحكم فى المستقبل فانى اعتقد أن التنظيم السياسى القادم ليكون مستمراً وناجحا يجب ان يبنى على الانتخابات من القاعدة الى القمة بما فى ذلك اللجنة العليا للاتحاد وبما فى ذلك اللجنة التنفيذية العليا وان تمت اللجان العليا بدون انتخابات حقيقية فسيكون ذلك نقطة ضعف كبرى فى التنظيم الديمقراطى للاتحاد .

وان ما يجب أن نسعى اليه الآن هو تدعيم الروح الديمقراطية ، وخصوصا بعد عشر سنوات من الثورة وانى لا اتصور بعد كل هذه الفترة وبعد ان صفى الاقطاع ورأس المال المستغل وبعد أن منحتك الجماهير ثقتها دون تحفظ ان هناك ما تخشاه من ممارسة الديمقراطية بالروح التى كتب بها الميثاق .

وخصوصا بأن الملكيات الفردية الباقية والقطاع الخاص لا يشكلان اى خطر على نظام الدولة كما أنه ليس هناك ما يمنع اطلاقا من ان تنسجم هذه القطاعات مع النظام الاشتراكى .

كذلك الامر بالنسبة للصحافة فيجب أن تكون هناك ضمانات تمكن الناس من كتابة آرائهم وكذلك تمكن رؤساء التحرير والمحررين من الكتابة دون خوف أو تحفظ . وقد تكون هذه الضمانات عن طريق اللجنة التنفيذية العليا مثلا او اى نظام آخر يكفل عدم الخوف من الكتابة وتوهم الكاتب انه سيطارد او يقطع رزقه وخصوصا ان الآراء التى ستعالج لن تخرج عن مشاكل الناس والمسائل التنفيذية وبعض المناقشات فى التطبيق الاشتراكى وفى هذا فائدة كبيرة لانه سيعبر عن الآراء التى تدور فى خلد بعض المواطنين .

دعنى وانا أودعك ان احدثك أيضا عن الحكومة ورأيى فيها .

قبل كل شىء لا يمكن أن تسير أى حكومة فى طريقها الطبيعى وهو الحكم السليم اذا كان نظام الحكم فى حد ذاته ممسوخا مشوها فيجب أولا أن نستفيد بتجارب العالم وحكوماته التى عاشت مئات السنين مستقرة منتظمة دون حاجة لتغيرات شاملة كل فترة قصيرة من الزمن .

ففى رأيى ان النظام الطبيعى للحكم يكون كالآتى :

أما حكومة رئاسية ويرأس الوزارة فيها رئيس الجمهورية ويكون مسئولا أمام البرلمان مسئولية جماعية مع وزرائه . وبدون الدخول فى التفاصيل يمكن أن يكون هناك نائب للرئيس ويجب أن تكون أنت رئيسا للدولة ورئيسا للحكومة .

أو حكومة برلمانية يرأسها رئيس الجمهورية ويكون رئيس الاتحاد الاشتراكى هو رئيس الوزراء أو ربما يكون رئيس الوزراء ليس رئيسا للاتحاد الاشتراكى ولا أريد أن أدخل أيضا فى التفاصيل ولكن تكون أيضا مسئولية الوزارة جماعية أمام البرلمان كما ورد فى الميثاق .

على كل حال أى من هذه الحلول ، وجودك فى النظام او الاصح على رأسه ضرورة وطنية وانا لا أقول ذلك مجاملة فهناك كثيرون

مستعدين للمجاملة او الموافقة على رايكم بمجرد ابدائه ولكنى أعتقد ان اى تصرف غير ذلك سيكون بداية لنهاية لا يمكن معرفة مداها .

دعنى ايضا قبل أن أودعك ان اقول لك أن اختلاطك الشخصي بالناس ضرورى فانه يعطى الثقة المتبادلة ويعطى احساسات متبادلة ويعطى افكارا ابضا متبادلة وهذا هو الطريق الطبيعى للارتباط بأفراد شعبنا القياديين فى المستقبل أما انعزالك التام فانه سيجعل صور البشر عندك أسطرا على ورق او اسماء مجردة لا معنى لها وهو فى رايى لا يمثل الواقع فالعقل والعاطفة من مكونات الانسان ولا تستطيع أن نفصل كلية بينهما ولكن يجب الجمع بينهما فى الطريق الصحيح وهذا لا يكون الا عن الاتصال الشخصي وهذا ايضا هو الطريق الوحيد لاظهار شخصيات قيادية تعتز برأيها وتقوله دون خوف ولكنها فى نفس الوقت تثق فى قيادتها وتحترمها .

وهذا النوع من الناس أنت فى أشد الحاجة اليه .. بل وبلدنا كلها محتاجة اليه .. نوع جديد لم يتمكن منه حب المنصب فيسكت عن الخطأ ولم تأخذ الأضواء نور بصره فيضحى بكل القيم ليعيش فيها .

وانا أودعك ايضا أرجو من الله الا يحدث منى أو منك ما يجعل ضميرنا يندم على الاقدام عليه او يجعلنا صغارا فى أعين انفسنا .

ويكفى فى رايى ما حققه اهل السوء الى الآن فقد نجحوا فيما تمنوا وفيما كانوا يعتبرونه مستحيلا .

لا أريد أن أطيل عليك لكنى أبديت آرائى لك فيما أعتقده أنه المصلحة العامة .

وليكن فراقنا بمعروف ، كما كانت عشرتنا بالمعروف ، والله أسال أن تتم حياتنا بشرف وكرامة ، كما بدأناها بشرف وكرامة ..

ورغم كل شيء .. ورغم كل ما أعلم فانى أدعو لك من قلبى بالتوفيق وأتمنى لك الخير وأدعو ربى أن يوفقك فى خدمة هذه الأمة ولخيرها .

والسلام ..

عبد الحكيم عامر

القاهرة ١٩٦٢/١٢/١ م

فى اليوم الأول من ديسمبر سنة ١٩٦٢

هل الرسالة بقلم عبد الناصر !

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

تلقيت فى السجن نص الخطاب الذى أرسله المشير عامر الى كمال الدين حسين يرد فيه ردا عنيفا على رسالة كمال الدين حسين . الرسالة عنيفة . ليس هذا أسلوب عبد الحكيم فى الحوار . أعتقد أن الرئيس عبد الناصر هو الذى أملى عبد الحكيم هذه الرسالة ، أو على الأقل الاجزاء العنيفة منها . فانا أعرف مثلا أن عبد الحكيم هو آخر من يتهم كمال الدين حسين بأنه عندما يحتج على التعذيب والطغيان ومحكمة الدجوى وأمثالها والقانون الذى منح رئيس الجمهورية سلطات الآلهة انما يفعل ذلك غضبا لما اصاب جماعة الاخوان المسلمين وحدهم ! . فالمظلومون ليسوا اخوانا فقط . ان بين المظلومين اخوانا وشيوعيين ووفديين ومستقلين وسعديين ودستوريين وحزب مصر الفتاة .. كل الاحزاب ممثلة فى زنزانات السجن الحربى .. منهم مسلمون ومسيحيون . بينهم اساتذة جامعة وعمال .

ولقد كنت أرى كمال الدين حسين كثيرا فى عام ١٩٥٤ عند جمال عبد الناصر عندما حدثت مذبحة الاخوان الأولى . وكل ما كنت ألاحظه أن كمال الدين حسين متدين ، ولكنه يخاف على البلد من حكم الفرد ومن الطغيان ومن الشيوعية . ولا يوجد عاقل يرضى بأن تنسف مواسير المياه ، أو أن تنسف مدينة القاهرة أو تنسف المسارح والملاهى .. ولقد قابلت هنا كثيرا من الاخوان وسألتهم هل حقيقة كانوا ينوون قتل أم كلثوم وجميع المطربات ، وقتل عبد الوهاب وجميع المطربين ؟ فأقسموا لى أن هذا من اختراع « ولاة الأمور » ، وان المقصود به تبرير القمع والارهاب والمشانق امام الراى العام ..

ولو كانت هذه التهم صحيحة ، فلماذا لم يقدموا الى محاكم جنايات عادية ؟ ولماذا أخضر الجزار الدجوى فى محكمة عسكرية مكونة من ضباط ؟ ولماذا هذا الضرب بالسياط والكلاب المسعورة والنفخ والوان العذاب والتعذيب ! ؟

كل هذه التصرفات غير القانونية تؤكد أنه لا توجد هناك قضية ولا أدلة قانونية ، والحاكم لا يلجأ الى المحاكم الاستثنائية الا عندما يكتشف ان العدالة لا تقر تصرفاته . ومن الغريب أن عبد الحكيم يتصور أن التعذيب والمحاكم الاستثنائية (مسائل بسيطة) وسوف يعيش عبد الحكيم ليكتشف أن كل هذه الأشياء سوف تؤدى بمصر الى التهلكة . . وسيكون هو أول الهالكين !

وهذه هى رسالة عبد الحكيم بنصها :

عزيزى كمال :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لقد تعودت الا تزعجنى الصراحة . . لأن الصراحة هى الطريق الى الفهم الصحيح . . ودعنى أيضا أن أصارحك القول ، وقد تعودت أن أقول ما اعتقد ولا أخشى فى ذلك الا الله وضميرى . .

ان طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة ، قد نسفت فى نظرى جميع القيم والروابط التى تجمعنا دون سـابق مقدمات . . وفى رأيى لم يكن هناك ما يبررها على الاطلاق فهى مرسلة . . وسأعبر عن ذلك مخلصا وصادقا . « من كمال رسول الله الى عبد الحكيم كسرى أنو شروان » أى من نبى مؤمن الى قائد ملحد وأنت لست نبيا وما كنا نحن بملحدين كافرين . . فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر . . وكنت أنتظر أن تكون رسالتك فى مثل هذا الوقت وهذه المؤامرات الاجرامية التى تدبر ، والتى كان الغرض منها التحطيم ، والقضاء على نفوس بريئة ، والرجوع بها الى الخلف سنين طويلة . . كنت أنتظر على الأقل أن تستنكر ذلك وما عهدت فيك عدم الوفاء وما عهدت فيك أن ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة التى لا أعلم ولا يعلم الا الله كيف وصـل بك الأمر الى ذلك . . تتشكك فى كل شىء وترى صورا قاتمة لا وجود لها . . ماذا ألم بك ؟ . .

لا أعلم ! ارجع الى نفسك يا كمال : وتأمل كل شيء بهدوء ، وبنفس خالية من الغضب والنزعات .. فكر في الأمور بعيدا عن المؤثرات ، وبعيدا عن كلام المغرضين وهمساتهم وافتراءاتهم .. الذين لهم هوى ، والذين لا يبغون الا مصلحة ذاتية من ورائك .. وقد وجدوا في شخصك الأمل الذى يحقق لهم الأمان وهذه الأهداف ، فهم يدعون الكلام باسم الحق وهم لا يريدون الا الباطل .

ان المؤامرة الأخيرة التى دبرها الاخوان المسلمين المتعصبين .. مؤامرة لا يمكن وصفها جريمة ضد شعب بأسره .. بل جرائم تنتل باسم الاسلام ، جرائم تدبر باسم الاسلام ، دماء تسيل ، وخراب يعم باسم الاسلام .. هل هذه هى الحرية التى يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض انفسهم على الناس بالدماء والخراب ؟ .. والله هذا لا يقره دين ، ولا يقره ضمير ، ولا يقره أى شخص عنده انسانية .

اننى تابعت التحقيق خطوة خطوة .. والمؤامرة فيها اكثر مما نشر حتى الآن . أيريد سيد قطب ، الذى كانت توزع كتبه ، ان يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحى يأمره بقتل الناس وتدمير البشر ؟ .. أهو ظل الله على الأرض ينهى حياة ما شاء من العباد ؟ .. لا اعلم كيف لم يحدث في نفسك هذا العمل الالم كل الالم .. وكيف اكتفيت بارسال خطابك لى بالمعنى الذى سبق ان ذكرته لك ؟ .. هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ .. توقف المستشفيات وفاة المرضى رجـالا ونساء واطفالا .. القاهرة بلا اضواء .. بلا مصانع يعمل فيها آلاف العمال وقد اصبحوا عاطلين الناس لا تجد قوت يومهم .. بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه .. مجارى تطفح في الشوارع وفي المنازل .. أوبئـة تقتل النـاس بالجملة .. خراب كامل .. كيف تعوض مثل هذه الخسارة قبـل سنوات طويلة .. اما الارواح فلن تعوض طبعا .. باسم ماذا يحدث كل هذا ؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟ حكم من هذا ؟ حكم من جعلوا انفسهم خليفة الله في الأرض .. اغتيال لشعب ، ولحريته ولحياته ، ولتقدمه ، بل أيضا لمعاشه اليومى .

وماذا يكون شعورك واولادك في منطقة تتفجر فيهم مواد النسف ؟! ماذا يكون شعور كل اب ؟ . كل أم ؟ .. كل أخ .. ؟ فكر قليلا يا كمال دون تحيز ودون غضب ، لأن هذا هو حكم الطغيان بكل

معانيه .. حكم الغابة بكل صوره .. هذا هو الارهاب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى مروع ..

هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل الشائن أو تعنى أنه كان يجب عليك استنكاره ؟

هل المبادىء الاسلامية والانسانية تقر أنك لا تقف تحارب كل هذا بكل قوتك بدل أن تؤيده فى خطابك الاول الذى يدل معناه على ذلك ؟

ان معنى ذلك انك توافق على قتلنا ، وهذا رأيى فى أبسط الأمور فلكل أجل كتاب .. ولكن كيف يطاوعك ضميرك وكيف تقتنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب ؟

تعرضت فى كلامك عن الثقة فينا ، وأنا بدورى أقول انك لم تخطىء بثقتك فينا ، وكل ما أريده منك وأرجوه أن تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ، ولا تجعل أى تصرف شخصى أو تصرف بسيط يؤثر على جوهر المواضيع .

اننا ومن جانبى أيضا سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا ، وسنحافظ عليه ضد أى محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة ، وكما ذكرت حقا فى خطابك الأخير أن الناس يعرفون الحقيقــة ولكن ليست الحقيقة التى تتصورها أنت .. والتى طبعا يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة وان كلامهم لا يقبل المناقشة .

وتقول انك تريد ان تخرج الى السعودية .. لماذا ؟ هل هى بلد الحريات هل هى بلد الاسلام .. ؟ ما هذا يا كمال .. عجيب والله هذا التفكير ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بشرا ومات كما يموت البشر .. وان جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا . لا تخدع نفسك يا كمال .. جرد نفسك من كل الاعتبارات وفكر مليا وسترى الأمور بغير هذه العين خصوصا بالنسبة للحقــائق التى سردتهــا لك ولا تقبل جــدلا .

ثم بعد ذلك تكلمنى عن قانون .. ويزعجك ان يصدر مثله .. وهذا ليس موضوعا جوهريا ومهما اخطأت الثورة يا كمال فانها تصحح دائما اخطاءها .. ولكنها ما كانت قاسية .. وما كانت منتقمة ..

وانت تعلم ذلك وشاركتنا فى افكارنا ، وفى قراراتنا ، وفى جميع الأحداث التى جرت بشعبنا منذ يوليو ٥٢ .. وتعلم جيدا كيف نفكر وكيف نتصرف .

ان الذى يقضى على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان نوعه ومهما كان شكله .. ومهما كانت الشعارات التى يحتمى فيها .. ان كان تحت اسم اسلام أو تحت اسم اصلاح أو غيره ..

ان بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية . الا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمته وتجعلنا فى قبضته مرة أخرى وربما الى سنين طويلة لا يعلم الا الله عددها ؟

هل هذا مفهوم الحرية ؟ .. وهل هذه هى الحرية .. التى أعلنها الاسلام ؟ انا أقول كلا والف كلا .. بل ان هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والانسانية بأكملها .

أتوافق يا كمال على أن يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التى نزعت من قلوبها الرحمة ؟ .. تعصب أعمى لا يرى الا فى القتل والتهديد وسيلة لكل شىء .. وبأمر من ظل الله على الأرض سيد قطب .. ؟ ! وهل هذا هو حكم الله ؟ ان الله برىء من القتلة والسفاكين .

لماذا انت عاتب اذن ؟ .. أليس عتبى عليك اكثر وأعظم ؟ .. أليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا أدعى اننى أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها .. أليس من حقى أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد .. وهذا ما يقره ضميرك ، وهـذا ما تراه حقا ..

اننى يا كمال كما تعرف لا أخاف أحدا ولا أخشى شيئا الا الله وضميرى ، ولولا سفرى السريع لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق ، مع ضعف أملى انك ستستمع لما أقول وتقتنع بالحقائق الملموسة .. أننا لم نمنع الناس عنك الا خوفا عليك وخوفا على الناس أيضا حتى تنتهى هذه المأساة البشرية التى كانت تهدد بل تعمل على نسف

عمل ثلاثة عشر عاما .. قد نختلف فى الرأى .. لكن أرجو أن تصغو الى نفسك وتفكر فى هـذه الآراء .. وتطرح المسائل الصغيرة جانبا .. وطبعا أنت حر فى ان تأخذ بهـا أو تلقيهـا فى عرض البحر ولكن لى الحق أن أكتب اليك ناصحا بأمانة وصدق كما كتبت الى دائما وناصحا .. ربما تذكر انك كنت فى الحكم ، وجميع السلطات فى يدك سياسية وتنفيذية .. وهذه حقيقة . وكنت حر التصرف .. وهذه حقيقة أيضا .. ولم يحدث طوال هذه الفترة ان اختلفت على المبادىء التى نسير عليها بل كنت متحمسا لها ، وكنت أشد تطرفا .. هذه حقيقة أيضا .. ربما تذكر القوانين الاشتراكية سنة ٦١ والآراء التى أبديتها أنت شخصيا فى الاجتماع بالاسكندرية ؟ .. وكنت يا كمال متطرفا لحـد كبير ، ومتحمسا للقوانين أشد التحمس .. حقيقه أيضا .. ماذا تغير اذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجىء المتطرف أيضا ؟ .. وفجأة يصبح كل شىء خطأ .. وتصبح الحريات مقتالة على حد تعبيرك ، الذى لم أهضمه مطلقا .. فجأة حدث كل ذلك .. ما الذى غير افكارك بهذه السرعة الكبيرة .. ما الذى اخل بتوازنك لهذه الدرجة وحتى تنقلب افكارك فجأة ؟

لقد تناقشت معك اكثر من مرة فى افكارك وتطارحنا الحجج والبراهين .. وصدقنى والله ما وجدت فى آرائك التى اصر على انها ظهرت فجاة شيئا منطقيا أو سليما .. وجدت لديك اصرارا غريبا وعقلك يرفض أن يناقش بل تصميم فقط على ما أنت فيـه .. ان تطبيق أى نظام وحكم الشعوب يحتاج منا جميعا لاعادة النظـر فى خطواتنا من حين لآخر فجل من لا يخطىء .. واظن انك لا تعتبر معصوما من الخطأ .. ولا أظن أن يصل بك الأمر الى هذا الحد .. ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك .. فانك تريد فرض رأيك ، ورأيك أنت فقط ، لأنه فى نظـرك هو الصـحيح . وهـذه هى الدكتاتورية فى أعنف مظاهرها يا كمال .. وهذا هو قتل الحريات ، وضربها ضربة قاصمة . كل منا قد يرى عيوب غيره حبذا لو فكر فى عيوب نفسه .. لماذا لا تحاول أو تجابه نفسك وتعرف عيوبك ، كما تبحث عن عيوب الآخرين ، وتبالغ فيها الى اقصى الحدود ؟ .. ان فعلت وحاولت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب الى الصواب ، ولا تختلط الأمور فى ذهنك هذا الاختلاط الفظيـع . لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك .. ولا تجعل لكلام من

حولك قدسية .. وهم فى كلامهم معك فى قرارة نفسهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسطوة وطلبا للشهرة .. وعندى على ذلك امثلة كثيرة واقعية امثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير .

اذا فكرت جيدا وحللت كل شيء لنفسك بصراحة ووضوح ستجد اننى كنت خير ناصح لك حتى أكثر ممن تظن انهم اقرب واخلص الناس اليك . واعود مرة أخرى واقول كيف تتصور أن تولد الحرية فى ظل الدماء والخراب ؟ . وان يكون لفئة من الناس الحق فى أن يتكلموا ويفعلوا باسم الله مفوضين منه .. يفعلون ما شاءوا .. هل هذه هى الحرية ؟ .. هل هذا هو طريق الحرية ؟ .. أو الديمقراطيـــة ؟ ؟ !

اقول بدورى يا كمال اتق الله فى نفسك .. اتق الله فى شعب مصر .. اتق الله فى حياة الناس وارزاقهم .. ولا تظلم نفسك ولاتظلم الناس معك .. لقد حاولت جهدى أن اشرح لك الحقيقة وان كانت مرة .. ولكن دفعتنى الى ذلك دفعا .. واقول وانا مرتاح الضمير اللهم اننى اديت الأمانة .. ولعلك ترى الأمور على حقيقتهـــا بعيدا عن المؤثرات التى وقعت تحت تأثيرها فترة من الزمن ، وان حدث ذلك كان نصرا عظيما لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله للجميـــع .

وقد ترددت أن أكتب اليك خوفا من أن تكون قد سددت اذنيك ، لا تريد أن تسمع أحدا ، الا اذا حدثك على هواك وعلى ما تحب .. ولكننى قررت أن أرد عليك قدر جهدى ومناقشة الموضوعات التى اثرتها ليست صعبة .. فقد ناقشتها معك مرارا ، وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بما تقول يا كمال .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

امضـــاء

عبد الحكيم عامر

فى : ١٩٦٥/١١/٤

ملاحظـــة :

اننى اخشى حكم التاريخ عليك أن يقول كمال الدين حسين انقلب على الحكم متبنيا أفكارا جديدة لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التى كان يمارسها .

امضـــاء

عبد الحكيم عامر

كتبت اليك هذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة التى تذ تكون تاهت عنك ، وسط خضم المتكلمين والمتحدثين ، وانى اكتب لك ما أعتقده وعن صدق ، والحديث طويل ولا يتسع له حتى هـذه الصفحات القليلة ، ولكن لعل الله يجمع ما تفرق ، ويهدى ، ويرتق الصدع . انه على كل شىء قدير .

امضـاء

عبد الحكيم عامر

الأخ القائد الأول

أخي ... كمال

بعد السلام تحية ورحمة الله

لقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالضراعة [illegible] [illegible] [illegible]

الطريق إلى [illegible] البعيد . ودعني أيضا أصارحك

القول وقد [illegible] [illegible] [illegible] ١٠٧ [illegible] ولقد أفضي

[illegible] إلى الله وضميري

إن [illegible] برسالة [illegible] [illegible] [illegible] بشأنه [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ما [illegible] [illegible] أيد [illegible] .... فإنه [illegible] ورسائل

من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كمال [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نؤمن بالله واليوم الآخر

[illegible] [illegible] [illegible] رسالتك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الوزارات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

والقضاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى الفلسطينية

[illegible] ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نستنكر ذلك . وما [illegible]

[illegible] [illegible] البلاد . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

والضريبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى الله [illegible] . [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ..... [illegible] [illegible] ... [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ماذا [illegible] [illegible] [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ القائد الأعلى

إرجع إلى نفسك يا كمال وتأمل كل شيء [illegible]

ونفسك خالية من الغضب والانفعالات ... تجد أن

الذين [illegible] بعضاً من [illegible] ... وبعضاً من كلام [illegible]

والصياح [illegible] ... الذين [illegible]

والذين لا [illegible] إلا [illegible] ذاتهم ومن ورائهم ... .

[illegible] وجدنا في [illegible] [illegible] [illegible] هذه الأهداف

فهم يدعون الإسلام باسم الحق ولكن لا يريدون إلا [illegible] ...

[illegible] الذي [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] باسم الإسلام ...

[illegible] ... [illegible] ...

هل [illegible] [illegible] يريد؟

[illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... أ [illegible]

[illegible] أم [illegible]

[illegible] ...؟

الحمد لله [illegible] حياة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

بعد أيام كثيرة لم ترتش نفسك هذا العمل

الظالم على العالم من ترسيخه ثقتنا بإرسال خطابك لي

بالمعنى الذي سبق أن ذكرته لك ...؟

هل تعلمت ماذا أنا مستقبله للأسف موقع الكبار

فقط ؟

فزرت المستشفيات وشاهدت المرضى رجال ونساء وأطفال.

التفاصيل .. بدون ضمير ... بدون مصلح يعمل

ينهي آلام الناس / الأطباء

الناس الذين يموتون ... لا يجدوا حتى

المال ليشتروه

صور تختفي في الشوارع ومن المنازل — [illegible]

أوساط تفتش الناس بالجملة — [illegible]

خرابة أطلال --- — [illegible]

سنين تعيش حتى هذا العناد في مستوى ضعيف

أما ليلة رواح لن تعوض صباحاً

يا سيدي ماذا نتيجة كل ذلك ؟

ما سر من يحدث كل ذلك ؟

صالح من هذا ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

كم من جيلنا من أنفسهم خلف الأزهر

إقبال بشبابه ورجولته وحياته ونفتقده بل

أين المناشئ لديهم ....؟

ماذا يفيدهم شهداؤك والأبطال في شطحة تتفجر

في جسد فلذة ... ماذا يفيدك مصدر كل

أب .. كل أم .. كل أخ

يمر قليلاً بالبال دون تفكير وردود تعصب

لكن هنا هل تعلم الضحايا من كل صاحب .. تعلم

أسماءهم . كل حدود ... هنا نحن الإرهاب بكل ما

تحمل هذه الكلمة من معنى مروع ......

هل الشهادة والوفاء بما تأييد لك في هذا العمل

الشنيع ... أو تظن أنه يطالب عليك بشكره ؟

هل البارئ بالإسلام والدين تقر أنك لا تتقي

شيء من هذا بل تقول تدل منه أن تؤكد أفعالك

الأدلة التي تدل معناه على ذلك ..... أو تعتقد

ربي أنك تتلذذ بما قتلنا وهذا في سبيل ما أبسط

الشعور مثل أي إنسان ... وإلا كيف يكون لك

هذا ... وكيف تفضي نفسك بالمبالغة في إقبال بشبابه

بسم الله الرحمن الرحيم



نائب القائد الأعلى

قد رفضت أي علاقات مع البشرية تماماً ... وأنا يبدو لي أنك

لأنك لم تعرفي بشكل ثابت شيئاً ...

ولا ما أريد منك وإن يبدو أن تفكر بعقلية من أجل

عزيز أو نظير ... ولا يجعل أن تعرفي شخصاً أو

شيئاً ينبغي يؤثر على حدس المواطنين ... إننا ومع

جانب أيضاً سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا

ومستقبله ... ضد أي محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة

من أي ذرة حقاً في خطابك للشعب أن الناس يقدرون الحقيقة

وتلك البيئة الخيّرة التي تتصدرها أنت ... والتي حققت للبلاد

على بعض الناس الذين تصيدهم شيء ذاته الإعلام لقد

متصل بالمناقشة ... وتقول أنت تريد أن تتزوج

إلى السعودية .. لماذا ... هل طلب الحريات ...

هل هي بلد الإسلام ... ؟ ما هذا يا كمال الحبيب والأخ

هيا للشباب ... إن هذا الله لم يرضى لنا بشراً ورأيت كل جهة

البشر وإن جلوسك بجانب الشعب لم يعطيك شيئاً

لن تدعي نفسك يا كمال ... جرد نفسك من أجل الإنسانية إنه

لا يكون مثلنا ومنها الأكبر بقيت هذه الأمم [illegible]

[illegible] بالمشاركة الشعبية ... سيدي لكم ولا تنفك [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

ثم بعد ذلك تخلص من تأثيره ويخطب أمام

الجمهور قبل [illegible] [illegible] نبأ الثورة بأكمله فوزنك

تصبح دائماً أخطائك ولكن [illegible] [illegible] وما أبعد

منبعه وأنت تعلم ذلك ومشاركتنا في أفكارنا ومن

قراراتنا ومن جميع الأحداث التي مرت بنا منذ يوليو

وتعلم جيداً كيف نفكر وكيف نتصرف....?

إن الذين تبعوا مع الحرب. ويتخذ هو المقصود

منها الآن [illegible] [illegible] وكأنه شكل [illegible] [illegible]

[illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ...

إن علمنا شيئاً عن [illegible] [illegible] والحب .. إلا

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لتقضي البلاد [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أخرى وربما الإنسانية

[illegible] [illegible] [illegible] الله . [illegible] ...?

هل هذا [illegible] الحرب ... وهل هذه هي [illegible]

التي [illegible] [illegible] ... أنا أقول كلا والله كلا

إن هذا هو الذي [illegible] بكل [illegible] البشرية والإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

يا أملي [illegible] أتذكرين يا أمال [illegible] هذا الشهر

مثل هذه الحياة [illegible] ... إنك [illegible] قلبي [illegible] ...

لتصبح أقرب [illegible] الأمل والشروق [illegible]

لكل شيء .... [illegible] ... [illegible]

وصل هنا [illegible] [illegible] ...

والسف [illegible] ....

لماذا أنت غائبة إذاً ...؟ أليس [illegible]

[illegible] ... [illegible] ... [illegible] وأنا

[illegible] ولست [illegible] ولقد [illegible] إنني [illegible] [illegible]

[illegible] أصاب [illegible] أحد أحد

هنا [illegible] الجديد ... وهنا ما [illegible]

[illegible] .. [illegible] ما تراه [illegible] ..

إنني يا أمال [illegible] أحداً ولقد [illegible]

إلى الله [illegible] ... [illegible] [illegible]

[illegible] مع [illegible] [illegible]

وتقنع بالحقائق [illegible] إننا لم [illegible] الناس [illegible]

إلى [illegible] [illegible] ... [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ...

قد تختلف في الرأي مع أحد أو تتعصب إلى
نفسك وتنكر ما عند غيرك ... وتتطرف في السلوك الصغير.
جانبًا ... وطبعًا أنت حر أن ما قد يجري
أو تلقيني من طرفه الحجر ... ولكن من الحق أن أكون
إليك ناصحًا بأمانة وصدق حتى تنتبه إلى الخطأ وتتجنبه
ربما تتذكر أنني كتبت لك الكثير وقبيل انتخابات نوفمبر
سببه وتشدد (وقد حدث) وكنت صريحًا معه
(وقد حدث أيضًا) ولم يحدث ضلال هذا القدر.
إنه إذا حدثت هذه الحوادث إنما تنبع من قناعة
بعينها وكنت أنت متطرفًا (وقد حدث أيضًا)
ربما تذكر التعاون مع الحزب الشيوعي بل والشيوعية أيضًا
أنك مستعدًا مع الإخوان المسلمين وكنت بالأمس متطرفًا
لجريدة وصحيفة للقاهرة أيام الانتخابات (وقد حدث أيضًا)!
فماذا تصبح إذن بعد ذلك ... هل تتحول هذا
التحول المفاجئ المتطرف أيضًا ... وهذا يصبح لك
شيء خطأ ولقد كنت أكتب هذا لكل صحفي منذ
البداية لم أتعمد مطلقًا ... فهذا صدق في ذلك!

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

ما الذي غيّب أفكارك [illegible] البعيد ...؟

ما الذي أخلّ توازنك إلى درجة حتى تستغيب أفكارك

هنا ... لقد تناقشنا معك أكثر من مرة في أفكارك

وتخاطرنا النجمي والبراهين ... وصدقني والله ما

وجدتك [illegible] إلا أنك [illegible] «[illegible]» منطقيًا

أو سليمًا ... وجدتك [illegible] غريبة

و [illegible] ... [illegible]

ما [illegible] ... [illegible] وقمت بالقدر

[illegible] هنا [illegible] [illegible] من [illegible]

[illegible] من [illegible] ... و[illegible] أنه

[illegible] من [illegible] ... ولا [illegible]

يصل بك [illegible] هذا الحد ... ولكني من الشواهد [illegible]

[illegible] ... [illegible] رأيك ورأيك

[illegible] الصابل وهذه [illegible]

[illegible] هذا [illegible] يا [illegible] ... وهذه [illegible]

[illegible] ... أهل

هنا [illegible] ... [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

لماذا قد تحاول أن تخادع نفسك وتخون

ضميرك ؟ ألا يكفيك ما تسبب لك ذلك وتمادى بك إلى

أقصى الحدود ... إن تخطيت وحاولت بالعبث بنفسك

صدقني قدرها لن يجدي أقرب إلى الصواب ولا تخلط

الأمور في ذهنك هذا الاختلاط الشنيع

لا تجعل هالات النفس تؤثر على تفكيرك ...

ولن تجعل الكلام من حولك يخدعك ... وخصوصاً

الكلام منه في تقرير ... ؟ لقد جاء طلباً للنفوذ

وطلباً للسلطة وطلباً للشهرة ... ونعتذر في ذلك

أمثلة كثيرة وواضحة ... أمثلة حية لم يعتم يا

... أذن من الكلام السيء ... ؟

إذا كنت صريحاً وطلبت مواجهة نفسك بصراحة

ووضوح ستجد أنك كنت غير ناجح في حق من

تمثل أمامك أقرب وأخلص الناس إليك ...

وأعود مرة أخرى وأقول كيف ستضطر أن

تحول الحب إلى ظل الدمار والخراب وأن تكون منهم

أنت بالحب أن تنجليا وتغيبا يا بسم الله ... لتوضيح

فيه ... تغيبا ما تشاوروا ... هل تنفع الحب ...

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] الأمل [illegible]

هل هذا هو [illegible] الحب ...؟ [illegible]؟

إنك [illegible]:

إنك الآن [illegible]

إنك الآن [illegible]

إنك الآن [illegible] ...

[illegible]

[illegible]

[illegible] ... [illegible]

وأنا [illegible] ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ...

[illegible]

[illegible] ... ولكن [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] أحد من [illegible]

[illegible]

[illegible]

إنني أخشى من قلبي الشاعري [illegible] أن [illegible]
[illegible] إنقلب [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] و [illegible]
[illegible]

كتبت إليك هذه لتعرف إلى أي حد تأثر صدري الذي
قد تكون كانت عنك في وسط فوضى الكتابة والحرب
وإني أكتب لك ما أعتقده من صدق والحب [illegible]
ولا تجمع منه لو في الصفحة التالية — ولكن لعل الله يجمع
ما تفرق ويهدي ويرتق الصدع إنه لا ينسى. فنديد ٩
[illegible]

أسرار الاستقالات

سجن الاستئناف ..

عـــزيزتى

ما اغرب ان أعيش فى زنزانة ، وارتب منها الحوار العجيب الذى يحدث بين الحكام ! هذا الحوار الذى يجرى فى الخفاء ، ولـــكن بفضل بعض تلاميذى استطعت أن أعيش فيه ، وكأننى ما زلت جالسا فى مكتبى فى أخبار اليوم . ما أعظم الفرق فى الزنزانة فى ليمان طره ، والزنزانة فى أخبار اليوم .لا فرق بين زنزانة السجن وزنزانة الصحافة ! هناك فى الصحافة كانت هناك قضبان وسلاسل وقيود ، وعيون متلصصة ورقابة صارمة وخطوات محسوبة .. هنا القضبان منظورة ، وهناك القضبان غير منظورة ! هنا محكوم على المسجون السياسى بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وهناك محكوم على الشعب المصرى بالعمى المؤبد ، فلا يرى الحقيقة . ومحكوم عليه بالصمم المؤبد فلا يسمع الحقيقة !

فى كلتا الزنزانتين أعرف الحقيقة ولا أستطيع أن أنشرها أو أقولهـــا !

ان المناقشة بين كمال الدين حسين وعبد الحكيم تؤيد رأيى فى أن الحكام عندما يجلسون فوق مقاعد السلطة لا يرون الحقيقة فاذا نزلوا منها رأوها كلهـــا !

كأن مقعد الحكم هو عصابة توضع على العيون .

والحقيقة التى يجب الاعتراف بها ان كمال الدين حسين بدأ يرى الحقيقة .. وفى أول الأمر لم يرها كلها ، وفى آخر الأمر لم يصدق عينيـــه !

لقد عشت الصراع كله بين عبد الناصر واعضاء مجلس الثورة ، وقد استطاع أن يأكلهم واحدا واحدا ، ولم يبق منهم سوى عبد الحكيم وقد حاول أن يأكله بعد انفصال سوريا ، ثم وجد أنه صعب الهضم بسبب موقف الجيش معه ، ولهذا اجل عملية اكله الى حين ..

وهذا هو نص خطاب كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر ، كما استطاعوا أن يهربوه لى فى السجن .

وفى هذا الخطاب يشير كمال الدين حسين الى المناقشة منذ الرئيس جمال عبد الناصر عندما اعترض كمال الدين حسين على الاشتراكية المتطرفة فساله عبد الناصر :

ـ أيهما أحسن عبود أم ستالين ؟

لقد عشت استقالات اعضاء مجلس الثورة كلها ..

وقد بدأ الصراع بعد خروج محمد نجيب ، وانفراد جمال عبد الناصر بالسلطة تدريجيا .

وكانت أول استقالة هى استقالة يوسف صديق فى فبراير سنة ١٩٥٣ .

وكانت ثانى استقالة هى استقالة صلاح سالم فى سنة ١٩٥٤ ، عندما فشل فى مهمته فى السودان ، واتهم بأنه المسئول عن ضياع السودان وفى سنة ١٩٥٤ خرج خالد محيى الدين من مجلس الثورة بسبب اتهامه بأنه يحرض سلاح الفرسان ضد الثورة .

وفى هذا العام نفسه قرر عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين الاستقالة احتجاجا على انفراد عبد الناصر بالسلطة ، والاتجاه الى الحكم الديكتاتورى .

وسويت الخلافات .. وانتهت أزمة الاستقالة .

ومرة أخرى فى ١٤ أبريل سنة ١٩٥٤ قدم بغدادى استقالته بسبب خلافه مع عبد الناصر ، فقد كان يعارض فى أول الأمر فى اقالة محمد نجيب ، وكان يعارض فى استئثار عبد الناصر بالسلطة ..

واستقال عبد اللطيف بغدادى من رياسة مجلس الأمة وكمال الدين حسين من عضوية مجلس الأمة لأن عبد الناصر أرغم المجلس على أن يسحب قراره برفت الأعضاء الذين قبلوا وظائف فى مديرية التحرير أثناء التحقيق فى التصرفات غير القانونية التى حدثت فيها .

ثم سويت الاستقالة .

واستقال زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت لأنه قال أمام بعض الوزراء « لازم نشيل عبد الناصر » وذهب بعضهم وأبلغ هذا الى عبد الناصر .

واستقال كمال الدين حسين من وزارة التربية والتعليم لأن عبد الناصر أراد فتح باب الانتساب لكليات الجامعة برغم معارضة أساتذة الجامعة .

واستقال عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين لأن الرئيس عبد الناصر لاحظ أن الصحف تتحدث عنهما كثيرا فوزع منشورا دوريا على الوزراء يعترض على الوزراء الذين يقومون بدعاية لأنفسهم .. وكان الذى يكتب عن بغدادى وكمال الدين حسين فى الصحف واحدا من الف مما يكتب عن عبد الناصر وحده !

وبعد الانفصال بين سوريا ومصر ، قرر عبد الناصر التخلص من عبد الحكيم ، واعتبره مسئولا عن الانفصال ، لأن مدير مكتبه فى سوريا عبد الكريم النحلاوى هو الذى قاد عملية الانفصال .

واتصل يومها عبد الناصر بكمال الدين حسين وطلب منه أن يتولى منصب القائد العام .

وقبل كمال الدين حسين على أن يتولى بغدادى الطيران !

وعرض عبد الناصر على بغدادى أن يتولى قيادة الطيران وكان يريد التخلص من الفريق صدقى محمود قائد الطيران بأى ثمن .

ولكن فى كل مرة يقترح نقله من منصبه يهدد عبد الحكيم بالاستقالة .

وهكذا ترين أن الحالة بين عبد الناصر وعبد الحكيم كانت سيئة ،

ولكن عبد الحكيم طيب القلب ، ولهذا كان يسهل دائما مصالحته .

وهو يبدو اليوم متحمسا جدا فى موقفه فى تأييد انفراد عبد الناصر بالسلطة .

وسوف يندم غدا .

وهذا نص رد كمال الدين حسين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ عبد الحكيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لم يكن فى نيتى بعد خطابى السابق أن أكتب لك ثانية .. فقد وعدتك الا ازعجك وكنت عند وعدى ولكن هناك نقطا خطيرة فى خطابك اشعر انها تحتاج الى ايضاح وأنا أحاول فى هذه السطور أن أوضح هذه النقط حتى لا يكون حكمك فيها مبنيا على معلومات أو استنتاج خطأ أو تصورات خطأ وارجو الا تحمل كلامى هذا أكثر من هذا المعنى .

١ ــ تقول ان الرسالة التى تلقيتها منى كانت بمثابة صدمة عنيفة نسفت فى نظرك جميع القيم والروابط التى تجمعنا ، وطبعا أنت حر فى وجهة نظرك من ناحية الروابط ولكنك لست حرا فى أن تبنى أحكامك على تصورات خاطئة .

٢ ــ تقول ان الرسالة التى تلقيتها وكأنها من كمال رسول الله (حاشا لله) الى عبد الحكيم كسرى أنو شروان وهذا خطأ فلم يقصد منها الا أن تكون لعبد الحكيم عامر الحاكم من كمال الدين حسين المواطن الحر بدون التمحك فى صداقات وأخوة .. وأنا لم أتخيل

لنفسى أن أدعى هذا الموقف وحاشانى أن أدعى ذلك .. ومن أنا بالنسبة لرسول الله حتى أدعى ذلك .. الفرد فى أمة مفـروض أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر له أن يقول للحاكم « اتق الله » وقد قالها واحد من المسلمين الى سيدنا عمر فما كان من عمر الا أن قال « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها » ولم يتصور الذى قالها فى وقتمن الأوقات كرسول الله ولم يخطر ببال عمر أنه متهم بالكفر والزندقة .. واستمر المسلمون يقولونها للخلفاء من بعد عمر ولم يجرؤ واحد منهم حتى معـاوية أن يبطل استعمالها حتى جاء واحد من أسرته فأبطل استعمالها .

٣ ـ أما عن التوقيت فقد أخبرتك فى مناسبة سابقة لى أننى كثيرا ما فكرت فى كتابة خطابات لجمال عبد الناصر ولكنى كنت أعود وأعدل عنها حتى لا يساء فهمها .. وربما وجدتم فى بعض مذكراتى أو النوت التى كنت أكتب فيها مسودات لهذه الخطابات التى لم ترسل ..

ومن الطبيعى أن يفيض الأمر بنفسي بعد ما علمته عن الاعـداد التى تعتقل من الناس الأبرياء والمجهول الذى يقذفون فيه والعذاب الذى يقاسونه والموت الذى يحولهم من آدميين أحياء مفروض أن يكونوا أحرارا الى مجرد أرقام مدفونة فى التراب .. ولم يتجرأ مخلوق أن يحدثكم بالحقيقة فاذا لم يوجد واحد فى بلد تعداده ٣٠ مليونا يمكن أن يقول لحاكميه اتقوا الله فقل على هذا البلد العفاء وقل لحاكميه الا تفرحوا بأن هذه حال بلدكم .

ومع ذلك فما مفهوم كلمة اتق الله هل هو رمى المخاطب بالزندقة والكفر .. لا أعتقد ذلك أبدا .. فهى عندما قيلت لعمر بن الخطاب من واحد من عامة المسلمين ، لم يخطر على بال من قالها أن يدعى أنه كرسول الله وكذلك لم يخطر ببال عمر أنه يطعنه بالكفر والزندقة ، وقلت فى نهاية الخطاب أن أمة المسلمين خير أمة أخرجت للنـاس أمرها الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وقـد قلت لك فى أول الخطاب لا خير فى اذا لم اقلهـا لك (والله يقـول أيضا ذلك) « لعن الذينكفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » صدق الله العظيم .

وتقوى الله هى مراعاة الله وخشيته ورعاية عدل الله .. ويقول الله فى ذلك « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون » أخشى يا عبد الحكيم أن تكون هناك عقدة نفسية من هذا الموضوع فأنت لو قرأت كتاب الله وعرفت معانيه لما تطرق الى ذهنك هذا التفكير .

٤ ــ بعد ذلك ذكرت موضوع المؤامرات والنسف والتدمير وقلت انه كان من الأجدر ان استنكرها بدلا من هذا الخطاب وسوف اقول لك حقيقة مشاعرى بلا مواربة فى هذا الموضوع :

اولا :

انا لا اريد الجريمة بطبعى ولا يمكن ان اقرها ولكن أرى أن يحاكم المجرم بمحاكمة عادلة ثم يأخذ جزاءه الرادع .

ثانيــا :

انه وخاصة بعد تجربتنا الغير موفقة فى موضوع الحرية لا أؤمن اطلاقا بأن أى نوع من الانقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدى الى الحرية، بل سيؤدي الى دكتاتورية أشد قطعا ، فاذا ارتكب باسم الدين كان أدهى وأمر .

ثالثــا :

ان جو المناقشة الحرة والمعارضة النزيهة اذا وجد فهو احسن مناخ يمكن أن تتم فيه التربية السياسية ويمكن أن يصلح فيه الحكم ويزيد الانتاج وهو بلا شك يفتح الطريق لمبادىء الحق أن تنتصر .

رابعــا :

ان المبالغات التى صاحبت هذا الموضوع مثل القنبلة اليدوية التى تنسف القناطر الخيرية ، تجعل المواطن الذى فقد ثقته فيما يذاع فى وسائل الاعلام المختلفة على لسان كثير من المسئولين بكثرة وما فيها من كذب .. تجعله يشك شكا كبيرا فى حقيقة هذا الموضوع ومـــداه .

خامسـا :

ان قسوة الاجراءات التى اتبعت مع الآلاف التى قبض عليها ظلما وعدوانا ولا يعرف مصيرها ، تجعل الناس فى جو الديكتاتورية الموجود يعتقدون انها فرصة للقضاء على كل اثر للمعارضة وزيادة تكميم الأفـواه .

سادسـا :

ان الشيوعيين الذين أخذوا يتريقون فى الجرائد بالكلام والصور على الاخوان المسلمين لم يبرئهم الناس من التشفى فى الاسـلام نفسه « واهى فرصة » .

٥ ــ أما بخصوص الكتب التى أعطيتها لبعض زوارى ، فانا فى مارس ١٩٦٥ أعطيت لعباس رضوان ولصلاح نصر على ما اظن كل واحد نسخة من كتاب سيد قطب وطبعا أعطيت لأمثالهم مثل هذه النسخ لأن ما فيها يعبر عن رأيى كما قلت ، ولم ولن فى يوم من الايام أتردد من المجابهة بهذا الرأى .

٦ ــ واخيرا فيجب أن أنبه أنه يجب التفريق بين الاسلام وبين أذى مخلوق يحاول التعبير عن رأيه .

٧ ــ جملة ثانية لم افهمها ابدا .. وان كنت تعنيها فلتجابهنى بصراحة ولا داعى للف والدوران .. انك تقول هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل اللا انسانى أو تعنى انه يجب عليـك استنكاره .

فأما من ناحية الاستنكار فقد أوضحت لك موقفى من ناحية اما عن تأييدى فهذا هو الافتراء بعينه .. من الذى قال ذلك .. من الذى يفهم ذلك .. والله اذا كان هذا اتهاما فأنا مستعد لمواجهـة هـذا الاتهام .. واذا كان خطأ فى الفهم فهو موضوع آخر .

انت تقول انت تؤيد فى خطابك الذى يدل على ذلك ، وتستطرد فتقول « أى ان معنى ذلك انك توافق على قتلنا وعلى اغتيـال

شعب .. » انت يا عبد الحكيم .. لست انا الذى اوافق على ذلك ؟
ومع ذلك فأى كلمة فى خطابى من الكلمات اعطتك هذا المعنى هذا جناية على الحقيقة وجناية على الكلمات ان نحمل اى معنى آخر عن الذى عنيته وهما قضية الحرية والعدل .. اما ان تفهم انى اؤيد النسف والتخريب والقتل .. الخ بهذه الكلمات .. فكلام غريب .. وغريب جدا ويمكن ان يعرض على ناس غير متوترى الأعصاب مثلا .. ولكى يقولوا رأيهم فيه أم انك يا عبد الحكيم تدخل معى فى مناقشة على طريقة عبود أحسن أو ستالين . ليس معنى انى غير موافق على ستالين انى اوافق على عبود .. وكذلك ليس معنى انى أقول لكم اتقوا الله انى موافق على التدمير والتخريب .

٨ — اما الحقيقة التى يعرفها الناس ، فانا لى راى وانت لك راى ، ولو كان هناك حرية فى البلد لأمكن أن تعرف الراى الصواب ، ولكن انت فى موقف الحاكم الذى لا يملك أحد الرد عليه ، فلك أن تعتقد ما شئت ولكن تذكر انى قلت لك فى مارس ١٩٦٥ انه يجب عليك معرفة راى الناس ما دمت مسئولا عن الناس .. وكان ذلك ردا على كلامك بانك لا تقابل أحدا ولا تتصل بأحد وطبعا لا يكون لك من سبيل الى معرفة الحقيقة الا عن طريق التقارير .. بالضبط كما كان يراد لنا أن نعرف الحقيقة عنك أنت شخصيا عن طريق التقارير .

٩ — اما عن موضوع رحيلى الى الخارج فانى كنت أعنى حقيقة الذهاب الى المدينة المنورة وليس معنى ذلك أن السعودية بلد الحرية المفقودة أو الاسلام الصحيح ولكن جو المدينة جو ملائم من الناحية الروحية ومع ذلك فانى لم اقصد ان أحدد غير هذا المعنى ولكنى أفضل اى بلد عربى أو اسلامى .

١٠ — ذكرت لى وطلبت منى الا أخدع نفسى وأن ارى الأمور على حقيقتها والا اكلمك عن القانون وعدم التحدث عن أشياء صغيرة .. فاذا كنت تعنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فاعلم يا عبد الحكيم أنه ليس موضوعا قانونيا وصغيرا ولكنه موضوع رئيسى لأنه هو موضوع الحرية التى تقهر .. اذ ان هذا القانون يسلب الناس أى معنى من معانى الحرية ويعطى لرئيس الجمهورية سلطة مطلقة لم يتمتع بها اى حاكم لهذا البلد منذ قرون .. المادة الرابعة

فيه تنص على انه لا يجوز الطعن فى قرار رئيس الجمهورية باى شكل من الأشكال أو أمام اى جهة كانت .. أى ليس هناك الا الله عز وجل هو الذى يطعن أمامه يوم القيامة ان شاء الله .. ان الموضوع ليس مجرد قانون عادي ولكنه ينسف أى كلام عن الدستور المزعوم أو الحرية كل الحرية للشعب أو خلافه من الشعارات .

١١ — وغريبت أيضا أن ترجع يا عبد الحكيم فتناقش الأعمال التى قيل أنهم سيرتكبونها .. أنت تتساءل ، هل هذه هى الحرية التى اعلنها الاسلام وتقول « كلا .. والف كلا .. بل هذا هو الكفر » وانا اقول أيضا من قال أن هذه هى الحرية ؟ ان هى الا عود الى المناقشة على طريقة « عبود أحسن والا ستالين » ومع ذلك فهذه فرصة أتوجه بها اليكم راجيا أن تذوقونا طعم هذه الحرية التى اعلنها الاسلام ما دمتم مؤمنين بالله واليوم الآخر اظن كلمة اتق الله فى الاسلام لا تواجه بمثل هذا الذى جابهتمونا به .. اسمع .. ان الله يقول :

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ويقول « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ويقول « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ويقول « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب » ويقول « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ويقول « وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون » .

ويقول : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم

ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئــك هم المفلحون » .

ويقول : « ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين » .

ويقول : « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعـد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » .

ويقول : « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .. » .

ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ممـا قضيت ويسلموا تسليما » .. طبعا الحديث وجه الى الرسول .

ويقول : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بمـا اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » .

ويقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

ويقول : « ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ، كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » وآيات كثيرة فى هذا المعنى أن نرجع أمورنا والحكم فيها الى الله ورسوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ..وأن ما بينى وبينكم احتكم فيه الى الله والى الرسول .

١٢. ــ وانى لا امنعك يا عبد الحكيم أن تعتب ولكنك تقول « انك

اصبت بصدمة حيث وجدت أن هذا أسلوب تفكيرى الجديد وان هذا ما يقره ضميرى وهذا ما أراه حقا » .. العجب كل العجب انـك تصورنى كيفما تريد ، وتصور أسلوب تفكيرى كما تريد .. هـل سألتنى عن شيء من ذلك .. لا أعتقـد أنى أوافق على الارهاب والتدمير والتخريب .. الخ والتى لا يدل عليها أى كلام قلته أو عمل قمت به .. ولكنها تهيؤات .. ولعبة عبود أحسن والا ستالين » .

١٣ ــ طلبت منى ان أهدأ نفسا وان أطرح المسائل الصغيرة وأنا لم أناقش مسائل صغيرة وبمنتهى الهدوء وصفاء النفس أناقشك.. وأنتم لا تنكرون على أنى لم أدخر وسعا للعملبتفانى فى كل ما أوكل الى من أمر .. أما أن جميع السلطات كانت فى يدى سياسـية وتنفيذية فهذا وهم .. اذا لم يكن لرئيس المجلس التنفيذىولا للمجلس نفسه أى سلطة لدرجة أثارت ترقية توفيق عبد الفتاح فى جلسـة من الجلسات زوبعة وكان هناك النظام المعقد للوزارة المركزية ولم يكن للمجلس التنفيذى أو رئيسه أى سلطة غير انه ممر تمـر عليه المواضيع . ومع ذلك ففى فترة الاتحاد القومى قد حاولت قدر ما أوتيت من جهد أن أخلق أحسن جو ملائم للناس جميعا من أسوان الى الاسكندرية ليعبروا عن آرائهم بمنتهى الحـرية والتى كانت لا تعجب كثيرا من الوزراء الذين كنت أحاول جاهدا أن يكونوا خداما مخلصين لهذا الشعب .. وأنت تعرف المجهود الذى بذل فى هذا السبيل .

١٤ ــ أما بالنسبة للقوانين الاشتراكية فأنا لا أنكر اشتراكى فيها ولا أنكر تحمسى لها ولا يمكن أن أكذب على نفسى فى ذلك .. ولـكن الحقيقة أيضا هل نفذت القوانين الاشتراكية كما صدرت ؟ .. أبدا . وهل كان المبدأ هو الملكية العامة لجميع وسائل الانتاج كما قيـل فى جلسة مارس ١٩٦٤ حيث قلت لـكم دينكم ولى دينى .. ثم أين قرارات اللجنـة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب الوطنية .. وأين التصريحات عن « الحرية كل الحرية للشعب » .. ؟

هل طبقت هذه التوصيات بالنسبة للعزل .. أبدا .. ثم المؤتمر الوطنى لقوى الشعب الوطنية أين التصريحات التى قيلت فيـه ؟ وأين قراراته .. الميثاق نعم .. ولكن أين تقرير الميثاق ؟ ؟ كلام

تافه وركيك كما يقول جمال عبد الناصر .. أنا أعلم أن للميثاق وجهين وجه ماركسى ووجه اسلامي .. اما الوجه الاسلامي فهذا الذي تقرر في تقرير الميثاق .. وأنت تعلم أن الناس كانوا يريدون تعديل الميثاق ولكن طلبنا منهم بناء على رأى جمال عبد الناصر عدم التعديل ولكن ما يريدون من تعديل يوضع في التقرير .. واقر جمال عبد الناصر التقرير .. وقرر المؤتمر أن يكون التقرير جزءا لا يتجزأ من الميثاق وله قوته نفسها .. أين هو تقرير الميثاق الآن ؟ لقد قال الشيوعيون الذين اشتركوا في لجنة تقرير الميثاق أن هذا التقرير ينسف الميثاق من وجهة نظرهم لأنه يتحدث عن نوع خاص من الاشتراكية بمفهوم خاص ويحذر من نوع آخر من الاشتراكية .. ويقول ان القوانين يجب أن تستمد من الشريعة وأن قيم المجتمع وثقافته يجب أن تبنى على إساس الدين .. الخ من الكثير الذى جاء في التقرير ..

وأنا قلت في مارس ١٩٦٤ أن الميثاق وتقريره أساس جيد للعمل .. ولكن اين الميثاق وأين تقريره .. بدون حرية .. كيف يمكن تطبيق الميثاق أو تقريره .. ؟ أين ضمانات الحرية المنصوص منها في المثاق وتقريره .. أين الدستور الذى كان مقررا أن يعمله الشعب في سنة ١٩٦٢ .. أين قانون الاتحاد الاشتراكى الذى عمله الشعب ؟ أين قانون الانتخاب الذى عمله مؤتمر الاتحاد الاشتراكي؟ أين المحكمة الدستورية العليا ؟ اين اى قانون محترم ؟ .. أين سيادة القانون ؟ .. واذا لم يكن كل ذلك موجودا فعن أى شيء نتحدث من الحرية ؟ .. وكيف يقال أن هذه موضوعات صغيرة ؟.

قرارات اللجنة التحضيرية نفذت كما يريد جمال عبد الناصر بالنسبة لموضوع العزل وهو موضوع هام بالنسبة للانتخابات وغيرها .. وقانون الاتحاد الاشتراكي عمله جمال عبد الناصر والدستور منحه جمال عبد الناصر للشعب وقانون الانتخاب عمله جمال عبد الناصر والقانون ١١٩ عمله جمال عبد الناصر .. وجمال عبد الناصر عمل ما يريد في كل هذا . .؟

فهل هذه هي الحريات السياسية والتنظيمات السياسية التى استقلت أنت بسببها مرة وقرأت أسباب استقالتك ؟ هل كنت تعني حينئذ هذه المسوخ المشوهة للحرية والديمقراطية »

١٥ ــ اما موضوع التفكير الذى تقول انه جديد .. فهذا كلام قيل لى فى مارس ١٩٦٤ وأنت لا يمكنك أن تنكر ولا جمال عبد الناصر يمكنه أن ينكر اتجاهنا الدينى الاسلامى والوطنى منذ تعارفنا على بعضنا وأنت تعرف الظروف التى جمعتنا بجمال عبد الناصر وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس فى حجرة مظلمة فى حى الصليبية مع المرحوم السندى وأنت تعلم كيف أننا اقنعنا الضباط سنة ١٩٥٤ حين قام الاخوان بحركتهم بأننا نسير فى طريق الاسلام ولكن ليس بالتعصب والشعارات وأننا سنعمل على تطبيق الاسلام وأنا لا أعلم أننا اتفقنا على غير ذلك وأنت تعلم أننا كثيرا ما تحدثنا ومعك بالذات عن الاشتراكية الاسلامية وقد قلت أنكم .. فكرتم مرة فى عمل حزب آخر يحمل شعار الاشتراكية الاسلامية .. وأنا حين وجدت أن الانحراف سيجرف تيار الثورة قلت أنه لا عاصم لنا الا الاسلام وهذا كلام الله الذى قال « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وانا كنت وما زلت أعتقد فى ذلك من قبل الثورة للآن .. ولكننا توهمنا انه يمكن أن نصل الى أهدافنا بطريقة غير صحيحة ولكننا يجب ان نواجه أنفسنا بالحقيقة .. والاسلام يعطينا الحرية .. والاسلام لا يعبد فيــه الا الله .. ولا نتخذ فيه من احد العبــاد الها آخر .

يخضع الحاكم والمحكوم لحكم الله .. لأن الحاكم عبد الله .. الله عادل وخبير بخلق الناس ويعلم طبائعهم وهو سبحانه فوق شبهة الهوى .. فالاسلام فوق شبهة الهوى والغرض ولذلك فتقوى الله واجبة الاتباع .. وهــذه بديهيات الدين .. وليس فى ذلك معنى التعصب ولا تحكم طوائف دينية معينة ولا أى شىء من هذا القبيل .. لأن الاسلام لكل فرد .. وكل فرد يمكنه أن يتصل بروحه مباشرة بالله بدون وصى ولا وسيط وليس المجال مجال محاضرة عن الاسلام .. ولكن الذى أقوله أن أفكارى ليست جديدة .. ولكن الانحراف هو الذى أصاب نفوسنا .. واجراءاتنا عندما نسينا الله الذى نصرنا فى كل خطوات كفاحنا فى ثورة ٢٣ يوليو وفى حرب السويس .. الله هو الذى نصرنا وليس الصاروخ الروسى .

١٦ ــ يا عبد الحكيم أنت الــذى تتهمنى بأن عقــلى يرفض أن يناقش .. من قال ذلك .. ؟ انا لم ارفض النقاش ولم أرفضه .. وانا لا اصر على راى ولا احاول أن اكون دكتاتورا .. ولكن هــذه التهمة وجهها لى جمال عبد الناصر فى مارس ١٩٦٤ وقد رددت عليه يومئذ بأن يسال الناس من اسوان الى الاسكندرية أيضا عن حقيقة ذلك فى مناقشاتنا الشعبية المختلفة أما أن تفرض على عقيدة معينة غير الاسلام .. فاذا لم اقبلها كنت دكتاتورا .. فأنا لا اقبلها طبعا وأنا احتكم الى الله وسنة رسول الله .. أما أن تتهمنى حين أتمسك بدينى بأننى دكتاتور فلك ولجمال عبد الناصر أن تقــولا ما تشاءون ما دام لكم أن تقرروا ما تشاءون .. أما اذا كانت هناك حرية رأى فليطرح ذلك على الناس لنرى من منا على صواب اليس هذا هو الشعب القائد والشعب المعلم .. الى آخره ..

اواقع أن جمال عبد الناصر يحاول بذلك دفاعا عن نفسه حسب نظرية الهجوم احسن وسيلة للدفاع فيتهمنى انى دكتاتور .. وجميع الناس يعلمون جيدا من هو الدكتاتور ..

١٧ ــ وتنصحنى يا عبد الحكيم وانا اشكر لك النصح .. أن أبحث عن عيوبى .. انا لا أدعى أن أصلح حالى أو أن أرد ما يمكن أن يكون فيها من توهم ..

اتهمتنى بأنى اجعل لكلام من حولى قدسية . وأنا لا أعرف من تقصد بهؤلاء الذين من حولى علاوة على انى لا اقدس كلام أحــد الا الله .. ثم تقول انهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسيطرة وطلبا للشهرة وانا لا أدرى عمن تتحدث .. وأنا أخبر كل من يزورنى أن اسمه يؤخذ وانصحه بعدم زيارتى حتى لا يصيبه مكروه .. وفعلا قد أصاب الكثير مكروه .. وأكون شاكرا أن تدلنى من هذه الأمثلة التى تتحدث عنها حتى أعــرف كيف تفكر أنت الآخر .. لا تتوهم يا عبد الحكيم انى لا أفكر جيدا أو لا أحلل جيدا أو انى لست صريحا مع نفسى .. على قدر طاقتى طبعا وفى حدود تصورى .. فمن هم يا ترى الذين تقول انى أتصور انهم أخلص الناس الى والذين تتصور أيضا انى آخذ كلامهم بقدسية .

١٨ — تقول يا عبد الحكيم كيف اتصور الحرية فى ظل الدماء والخراب واعود فاقول من الذى جعلك تتصور انى اتصور هذا .. ولا تظن انى مراوغ فى ذلك ولكنك تعلم انى لا أغش ولا أكذب .. وانا يقينا أرفض اى تآمر أو انقلاب أو تخريب أو اى شيء من هذا القبيل لأننى أعلم حقيقة ما لا يعلمه الناس الكثيرون .. ان الانبياء فقط هم المعصومون وان اى حفنة من المتآمرين مهما كانت الشعارات التى يرفعونها ستقيم دكتاتورية أعنف .. واشد الأمر أن تكون حربا اهلية لا قدر الله .

فكيف تخاطبنى بهذا الاعتقاد الخاطىء انك بذلك تظلم الحقيقة وتظلم تفكيرك وتظلمنى أيضا .. من يقول ان الحرية تأتى عن هذا الطريق .. كل تعليقاتك عن هذا الطريق فى حديثك لا محل لهـــا أصلا ما دامت مبنية على هذا الوهم الخاطىء .

١٩ — وتقول لى اتق الله وانا لا ارفض تقوى الله اطلاقا وأتمنى على الله أن يمنحنى تقـــواه وأن تطمئن نفسى بتقواه أما بالنسبة لشعب مصر وحياة الناس وأرزاقهم فانه كان من أسهل السهل على .. لولا مصلحتهم بعد الله ما كنت خرجت من الحكم وما كنت عارضت وما كنت تكلمت وكنت أكلت « عيش وبقلاوة كمان يا عبد الحكيم » .

٢٠ — أما الحقيقة المرة التى تتحدث عنها يا عبد الحكيم .. فانا لم أرها بعد الا من جانب آخر .. وانى لا ارى الأمور على حقيقتها .. فاذا كان لديك كلام آخر غير الذى اتهمتنى به باستنتاجك الخاطىء ظلما وعدوانا فأكون شاكرا لو تكرمت على به أما من ناحية انى اسد اذنى فانا لك آذان صاغية .. ومن ناحية هواى فانه ليس لى هوى ولا أريد شيئا لا جزاء ولا شكورا الا أن تحكموا الله والرسول فيما نختلف فيه ، وليس الغرض أو الهوى كلمة تقال أو اتهام يوجه ولكن هاتوا برهانكم .. والتاريخ يا عبد الحكيم زوره المزورون وقـــد زوره ســـتالين ٤ مرات وزوره خروشوف أكثر من مرة .. وهو أخيرا لا يكذب وأصدق تاريخ هو الذى يسجله الله لعباده .

فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه وأما من أوتى كتابه بشماله فيقـــول يا ليتنى لم أوت كتابيـــه » صدق الله العظيم .

وانا لم اتبن افكارا جديدة كما قال جمال عبد الناصر فى مارس عام ١٩٦٤ ولكن الحقيقة أننا اختلفنا ايديولوجيا كما قال أيضا .. انا احاول ان نرجع الى الأصل الذى بدانا منه وانتم تغريكم مظاهر جديدة وافكار جديدة وأيديولوجيات جديدة .. وانتم احرار وانا حـــر أيضا .

اما عن السلطات فانت تعلم انه حينما بدانا الحديث فى مارس ١٩٦٤ قلت اننى لا انوى الاشتراك فى الحكم وانت الذى الحيت على فى القبول وحين قبلت كان على اساس ولكن انهار الأساس قبـــل أن نبدأ اى عمل مع بعض فرفضت الاشتراك رفضا قاطعا .. وانت تعلم أنى قلت مرة أنا مستعد ان اعمل محافظا لسيناء أو أن أعمل مستشارا .. او اى عمل ما دام هناك اتفاق على المبادىء .. لكن أن اعمل بوجهين أو اقول خلاف ما أعتقد فهذا لا يمكن لأن طبعى يأبى الا أن أكون صادقا مع من اعمل معهم .. مخلصا لمن أعمـــل معهم واشعر طبعا انهم يبادلوننى نفس الصدق والاخلاص .. لا أن يحاكمونى محاكمة غيابية أو يقولوا على من ورائى ما لم يقل لك حتى الآن .. رغم كل ما حدث ورحم الله أمرءا عرف قدر نفســـه لا غرورا ولا افتتانا .. ولكن اشعر حقيقة بذنوب ما كان يجب أن اشترك فيها وأنى احاول أن أستغفر ربى لكى يكفر عن خطيئتى .

وطبيعى اننى لم آخذ نصحك بمعنى التهديد وعموما فحتى هذا لا يضيرنى شيئا .. ولله الأمر اولا وأخيرا .. والســـلام .

امضــــاء

كمــال الدين حســين

سجن الاستئناف

ينـــاير سنة ١٩٦٦

عزيزتى

تلقيت اخبارا غريبة من تلاميذى خارج السجن . كان كمال الدين حسين معتقلا فى استراحة مصلحة الآثار فى الهرم. التليفون مقطوع. الزيارات ممنوعة . المدافع مصوبة . أسلاك شائكة . حرس مدجج بالمدافع الرشاشة . كأنها قلعة حربية . شكا نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو مجلس الثورة الســـابق أن الاستراحة كلهـــا من البلاط . أولاده يرتعشون من البرد القارص . ينامون على مراتب فوق البلاط . لا يجدون ماء ساخنا . يضطرون الى تسخين المـــاء فوق وابور غاز . وطلب كمال الدين حسين نقله الى مكان آخر لأن صحة الأسرة تسوء فى هذا المكان . .

وصدر الأمر بنقله الى مكان آخر فى طريق مصر الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ، وهو مكان منعزل عن العالم . وذهب كمال الدين حسين وزوجته الى البيت الجديد . وكانت ساعة المغرب . .

وما كادت الزوجة ترى البيت حتى تراجعت وقالت :

ــ مستحيل أن أدخل هذا البيت !

ــ لمـــاذا ؟

ــ اننى اشعر لو دخلت هذا البيت ، باننى سأموت فيه !

وقال لها كمال الدين حسين بحزم :

ــ ادخلى ! لا اريد أن أعترض على ما يفعلونه بنا !

ودخلت الزوجة تجر أقدامها . .

ومرضت زوجة كمال الدين حسين . وساءت صحتها . وطلب كمال الدين حسين من الصاغ كمال المحمدى القائد المشرف على الدراسة بأن يطلب اذنا من السلطات العليا للسماح باحضار طبيب فورا لاسعاف زوجته .

وابلغ القائد الطلب فى الحال الى سلطات الدولة ..

ومضى يوم .. ويومان .. وثلاثة أيام .. وعشرة أيام ، ولم يصدر الاذن بدخول طبيب الى المعتقل لاسعاف زوجة عضو مجلس الثورة السابق ، ونائب رئيس الجمهورية السابق .

وصاح كمال الدين حسين :

— أنتم مسئولون عن موتها اذا لم تحضروا الطبيب !

وفى اليوم الحادى عشر صدر الاذن للدكتور رفاعى كامل بالذهاب الى المعتقل لعلاج زوجة كمال الدين حسين !

وكان الاذن متأخرا جدا — جاء الطبيب ليجد أن نسبة السكر ارتفعت الى ٤٠٠ فى المائة !

وأمر الطبيب الكبير باعطائها حقن انسولين ..

وجاءت الحقن من السلطات .. لم يسمح لاحد من أسرة كمال الدين حسين بأن يخرج لشراء الحقن المطلوبة !!

وما كادت زوجة كمال الدين حسين تأخذ الحقنة حتى أصيبت برعشة غريبة !!

وبعد يومين اسلمت الروح ..

واغرب من هذا كله أن أمرا صدر بأن لا يذهب أحد من كبار رجال الدولة لتعزية كمال الدين حسين فى وفاة زوجته !

ومع ذلك امتلأ ميدان التحرير بالوف المعزين .

واستمر السرادق المنصوب فى مدينة بنها ثلاثة أيام متوالية غاصا بوفود الاقاليم !

لم يطع الشعب الأوامر بعدم تقديم العزاء الى نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو مجلس قيادة الثورة السابق .

هـــذا هو الشعب المصرى ..

المحاكمة ...

سجن الاستئناف ..

اخى العزيز ..

لابد انه وصلت اليك انباء مهزلة المحاكمة . لقد رتبت المسرحيـة باخراج مثير . ودعت المخابرات الصحفيين لسماع تسجيلات بصوتى قالت أنها تحوى اعترافاتى ! ومن المضحك أن بعض الزملاء الذين لا يعرفون لغة أجنبية خرجوا بعد سماع الأشرطة وهم يؤكدون أننى اعترفت اعترافا كاملا ! وكلما شعر أصحاب المهزلة بأن الناس لا تصـدقهم مضوا فى اخـتراع الأكاذيب وتزييف الأدلـة وتأليف الاعترافات .

ومن الغريب ان الفريق الدجوى رئيس المحكمة قال للمحامين أن القضية ليس فيها شىء ! ولكن هذا لا يقدم ولا يؤخر ، لأن الدجوى ليس هو الذى يحكم . انه يتلقى الأوامر بالتليفون ، وينطق بهـا كالببغاء ! وعندما قيل لى فى المخابرات اثناء التحقيق أن الدجوى هو الذى سيرأس المحكمة تأكدت أنهم لم يجيئوا به ليحاكمنى ، وانما ليحكم على ! ولا انسى محادثات تليفونية كثـيرة دارت بينه وبينى اثناء توليه محاكمة صلاح الدين وزير الخارجية ، فقد كان يرجونى الاهتمام بنشر صوره ، وكان يحرص على أن يقول لى انه أخلص رجل لجمال عبد الناصر ، وانه اذا طلب اليه أن يلقى بنفسـه فى النار ، فلن يتردد ، وكان يقول لى هذا طبعا لأبلغه الى الرئيس عبد الناصر ، لأنه كان يعلم أن العلاقة بينى وبينه وطيدة ! وعندما أردت مرة أن أطمئن منه على الحكم فى قضية صلاح الدين ، وانا واثق انه برىء ، فوجئت به يقول لى يومهـا أنه واثق أيضـا أن صلاح الدين برىء ولكنه « عبد المأمور » ! وبعد ذلك حكم على محمد صلاح الدين « البرىء» بالأشغال الشاقة المؤبدة ! .

ولقد قيل لي أن غلطتي الوحيدة هي انني قلت ان الرئيس هو الذى كلفنى بالاتصال بأمريكا ، وأن هذا سر كان يجب أن احتفظ به ، حتى لو وقفت أمام المشنقة ! وقد رفضت أن أقتنع بهــذا المنطق الأعرج ، حتى وأنا اتلقى أشكالا والوانا من التعذيب . وقد تلقيت تهديدا قبل المحاكمة انني اذا فتحت فمي وتكلمت عن التعذيب فسوف يسمونني فى السجن ، ويخطفونك ويضعونك فى صندوق ويرسلونك الى مصر ! وانا لم أخف من كل هذا ، فان الموت أخف كثيرا مما تعرضت له . ولكنى أعرف أن لا جدوى من الكلام أمام الدجوى ، فقد صدر قانون خاص من أجلي ومن أجل جميع الذين عذبوا ، وقد نص هذا القانون الغريب على أنه لا يجوز الطعن فى اجراءات التحقيق فى هــذه القضايا بالذات ، وذلك حتى يمنــع المحامين من أن يثيروا موضوع التعذيب الوحشي الذى حدث فى هذه القضايا . وعندما وقفت أمام الدجوى رفضت أن أتكلم ، أو أدافع عن نفسي بكلمة واحدة . فقد علمت من هيكل أن المحاكمة ستكون سرية حتى لا يعرف الناس ما جرى فيها . ولو كان الذين ظلمونى يظنون أن المحاكمة تدينني لأسرعوا باذاعتها كاملة . ولكن ما كادت الجلسة تبدأ حتى طلب الادعاء جعل الجلسة سرية . وخرج عشرات الصحفيين الذين جاءوا من أنحاء العالم لمشاهدة محاكمة الصحفى الذى تجرأ وقال « لا »!

وأنا لم أقل « لا » للاشتراكية . ولم أقل « لا » لتأميم أخبـار اليوم . ولم أقل « لا » لأى عمل كبير من الأعمال التى حققتها الثورة من أجل الشعب . لقد قلت « لا » للدكتاتورية . « لا » للتعسف والارهاب . « لا » للمعتقلات والسجون ، « لا » للعــدوان على الحرية وحقوق الانسان . أنني أحد الذين اشتركوا فى بناء الهرم فمن غير المعقول أن أعمل على هدمه . ولكن هل أسـكت على الذين وضعوا فوق قمة الهرم صندوق زبالة يضعون فيه قاذوراتهم . أنني كنت أخاف على عبد الناصر ولا أخاف منــه . أخاف على الثورة ولا أخاف منها ، أخشى أن ينحرف مسارها وينهار الجبل فوق رؤوسنا جميعا ! فى الأوقات العادية لا يعتبر هذا العمل « خيانة وطنية » بل يعتبر « منتهى الاخلاص » ولكن يوم يتسلق الى قمــة الثورة الانتهازيون والافاقون ومجنونو السلطة تصبح كلمة « لا » الصديقة هي خنجر فى ظهر القيادة ! انهم لا يريدون أصـدقاء بل يريدون

عمـــلاء ! لا يريدّون شركاء وانما يريدّون تابعـــين . ولا يريدّون نصحاء ، وانمـــا يريدون حمـــلة مباخر يسجدون مع الساجدين ويركعون مع الراكعين ! .

ومن المضحك أن الادعاء وقفّ أثناء المحاكمة والتفت الى وقال :
ــ كيف تطلب قمحا من أمريكا ؟ ! مين قال لك يا مصطفى احنا عايزين قمح ؟ مصر ليست فى حاجة الى قمح من أمريكا .

ومن سخرية القدر انه فى هذا اليوم بالذات ظهر مقال محمـــد حسنين هيكل الأسبوعى وقال فيه بالحرف الواحد « انه ليس سرا أن ستة أرغفة : من عشرة مصنوعة من قمح المعونة الأمريكية »!.

ومن الطرائف أنه ظهر اثناء المحاكمة بجلاء أن شرائط التسجيلات ملفقة ، ومحذوف منها كلمات ، وقد كان التزييف واضحا حتى أن الادعاء لم يجرؤ على الدفاع عن سلامة هذه الأشرطة .

ومن أهم ما جاء على لســـان الادعاء أن مصطفى أمـــين ضلل المخابرات الأمريكية .

فقلت له ساخرا : وهل هذه جريمتى التى أحاكم من أجلها ؟

وترافع الدكتور محمد عبد الله المحامى مرافعة رائعة ، وترافع الأستاذ حمادة الناحل مرافعة ممتازة ، وبدأ مرافعته بأن هـــذه ليست أول مرة أترافع فيها عن مصطفى أمين ، فقد ترافعت عنـــه فى قضية اتهم فيها بالعيب فى الذات الملكية ، ثم فند الاتهام ونسفه نسفا . وترافع الأستاذ محمد عبد السلام المحامى المنتدب وقـــدم مذكرة قوية أعجب بها محمد عبد الله . وقد أثار المحامى المنتـــدب أن التسجيلات استخدمت فى ليلتين فى ندوة بنقابة الصحفيين بدعوة من رجال صلاح نصر . ومعنى ذلك أن الشريط الأصلى ليس موجودا فى المحكمة ، وكان المفروض أن يكون فى حرز . وقد بدأ على المحكمة الفزع ، وتجاهل الدجوى هذه الفضيحة ولم يرد عليهـــا . ومن المضحك أن رجال صـــلاح نصر ادعوا أمام الصحفيين أننى الذى توليت بنفسى ترجمة الأشرطة ، مع أنهم هم الذين لفقوها وترجموها!

وفى نهاية الجلسة طلبت ان اتكلم . ووقفت وقلت : اريد أن اقول كلمة وهى اننى مؤمن بالله ومؤمن ببراءتى ومؤمن ببلادى . وانا سعيد ان احاكم فى هذا البناء .. مجلس الثورة .. ففى أثناء عدوان عام ١٩٥٦ اختارنى الرئيس جمال عبد الناصر من بين الثمانية والعشرين مليونا من المصريين ، لاقوم بالدعاية فى أوربا وأمريكا لهذه المعركة . وان اتفاوض باسمه فى الجلاء . وكنا فى الغرفة التى فوق جلسة هذه المحاكمة . يومها قال لى الرئيس عبد الناصر احب أن انبهك انك ستركب أول طيارة تطير أثناء الضرب ، وانك قد تموت أثناء الرحلة .

قلت : ليكن ! ان عشرات الألوف يموتون الآن فى بورسعيد .

ومن سخرية القدر أن يقف الادعاء ، فى نفس هذه البناية ، ليطالب بعد تسع سنوات برأسى !

ومن سخرية القدر ان يراس هذه المحاكمة الفريق الدجوى الذى كان يحارب فى المعركة ، واسره اليهود وهو فى الجيش ، وصوروه فى تليفزيون أمريكا وهو يستسلم ويشكر اسرائيل ، وهاجموه وهاجموا الجيش المصرى معه واختارنى يومها الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا لأدافع عن الدجوى وعن بطولة الجيش المصرى فى ١٦٠ محطة اذاعة وتليفزيون فى أمريكا .

وأخيرا يبارك الله فى خطوات جمال عبد الناصر من أجل هذا الوطن ، حتى لو أدت هذه الخطوات الى أن يدوس على حريتى وحياتى !

ووجمت المحكمة . واصفر وجه الدجوى . ولم ينطق الادعاء بكلمة .. وبكى عدد من رجال الشرطة .

وكان المفروض أن تقول النيابة الكلمة الأخيرة ولكنها لم تتحرك .

وقال الدجوى بصوت هامس : انتهت المحاكمة !

* * *

وقال لى ضباط الشرطة الذين حضروا الجلسة السرية انهم واثقون ان البراءة مؤكدة مائة فى المائة ! اننا الآن نعرف القضية تماما .

وضحكت ساخرا وقلت لهم : ولكن أنتم لا تعرفون الدجوى !

ونسيت أن اقول لك أنه قبل بدء المحاكمة جاء الى السجن ضابط شرطة لينقلنى الى المحكمة فى سيارة لورى . وطلب الضابط من أحد جنود الشرطة الذين معه أن يأخذ « القيود الحديدية » معه ..ولم يكن الضابط يقصد أن يضع القيود الحديدية فى يدى ، وانما قصد أن يحملها الجندى وهو يمشى بجوارى .

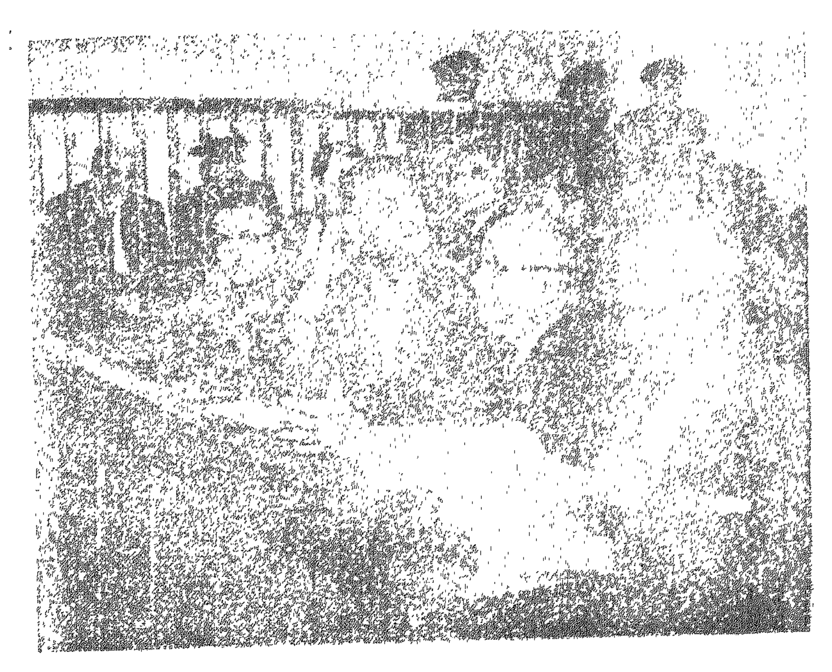
ولكن الجندى رفض باستنكار وقال : انت تحط الحديد فى يدى مصطفى أمين ؟ !

وقال لى الضباط أنه مضى عليه ٢٠ سنة فى الشرطة وان هذه أول مرة يرفض فيها عسكرى اطاعة الأوامر ووضع القيود فى يد متهم !

هذا هو الشعب !



الدجوى أسير الملك :
الفريق الدجوى رئيس المحكمة العسكرية يقسم على
القرآن أن يحكم بالعدل فى بداية المحاكمة !



القانون في اجازة .

المحامون علي حمادة الناهل ومحمد عبد الله ومحمد عبد السلام في اثناء المحاكمة كان من رأى محمد عبد الله أنه لو كان القاضي تلميذاً في السنة الأولى بكلية الحقوق يعرف ألف باء القانون لحكم بالبراءة !!



قلت للدكتور محمد عبد الله وحمادة الناحل
المحامين : أريد أن أثبت للمحكمة بان
المتهم برىء ، والقاضى هو المتهم !

كمال الدين حسين يتكلم !

سجن الاستئناف

عـزيزتى ••:

زار بعض تلاميذى السيد كمال الدين حسين بعد الافراج عنه فقال لهم بالحرف الواحد : خطاب « اتق الله . » الذى أرسلته لجمـال عبد الناصر كان احتجاجا صريحا ، وكلمة حق واجبة على كل مسلم ، ازاء اجراءات الارهاب والقمع والبطش على المواطنين الأبرياء . فقد عرفت ان كل مسجون سياسى يدخل السجن ـ ايا كان هـذا السجن ـ لا حرمة له ، حياته مستباحة ، شرفه مستباح ، دمه مستباح . كنت أسمع كل يوم الوانا غريبة من التعذيب التى تحدث للمعتقلين والمسجونين السياسيين . ولقد تأكد لى صحة ما كنت اسمعه . ان عمليات القهر والعدوان والغاء القانون واباحة التعذيب فاقت كل وصف . لقد اصبح الحاكم الها ، منذ صدر القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ . أعطى هذا القانون كل السلطات للحـاكم شخصيا . حق الاعتقال ، ومصادرة الأموال ، واقامة المحـاكم العسكرية بلا أية اعتراضات من أية جهة قضائية . وهذه هى المهزلة الكبرى ، أصبحت كل الجهات القضائية والتنفيذية ملغـاة أمام هذا القانون ، ابتداء من شيخ الحارة حتى رئيس محكمة النقض! ولذلك ، وبعد أن تأكدت بطرقى الخاصة وبصفة قاطعة من وقائع التعذيب الفظيعة التى لا يمكن أن توصف ، كنزع الأظافر ، والنفخ ، والقتل ، وهتك الاعراض ، والصلب ، الى آخر انواع التعـذيب التى لا يقرها دين ولا قانون ولا شرع ، بعد أن تأكدت أن الحـاكم اصبح الها ومنح لنفسه كل الاختصاصات وكل السلطات ، وبعـد أن منح لنفسه الحق الالهى ، كان واجبا على كمسلم ، وكمـواطن مصرى ، وكما يطالبنى الدين ، وكمواطن ساهم فى الاعداد والقيام

بثورة ٢٣ يوليو ان اقول له هذه الكلمة « اتق الله » .. حــرام عليــك ..

قلتها واصبحت مستريحا ، فلا خير فى اذا لم اقلها ، وقد قلتهــا له كتابة فى ذلك الخطاب « اتق الله » .

وقد اعتقلت ثلاثة شهور كاملة فى استراحة الهرم .. والغريب أن جمال عبد الناصر كان يسمي الاعتقال تحديد اقامة ، فهل تحديد الاقامة يكون باحاطة الاستراحة بمائة عسكرى من القوات المسلحة بالمدافع الرشاشة ، والأسلاك الشائكة ، واقامة الخنادق والدشم والسيارات المدرعة حول المبني الذى أعتقلت فيه . ومنع الزيارات ؟ هل هذه الاجراءات هى تحديد الاقامة !

وقبل القبض على جاء رجال مخابرات صلاح نصر وفتشوا بيتى ومكتبى ، كانوا يعتقدون اننى أخفى أسلحة أو وثائق ، أو أسماء لبعض الضباط ، ولكنهم لم يجدوا شيئا فاضطروا لأخذ مذكراتى التى كنت أكتبها عن الثورة .. ثورة ٢٣ يوليو .. ولم تكن مذكرات كاملة . كانت عبارة عن مسودات للمذكرات ، ولكن .. لقد اخذوها قبــل ان اتم كتابتها كاملة . كما أخذوا صورة الخطاب الذى أرســلته الى جمال عبد الناصر وقلت فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حســين

أنا لا احقد عليك .. ولكنى ارثى لحالك .

أنت الذى كنت تقول للناس ارفع راسك يا اخى ، فقد خفضت كل الرؤوس ..

كنت تقول للناس ان بناء المصانع سهل وبناء المدارس سهل وبناء المستشفيات سهل . ولكن الصعب هو بناء الرجال . لقد حطمت كل الرجال .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

ان الشيء الوحيد الذى اندم عليه فى حياتى هو اننى شاركت يوما فى صنعك انت .. صنع الصنم الأكبر .

كمال الدين حسين

وقال كمال الدين حسين لتلاميذى : انهم وهم يفتشون بيتى عبثوا بكل أمتعتى وآثاث البيت ، ولكنهم لم يأخذوا شيئا منها .. مزقوا بعضها فقط .. والحمد لله !

وقال كمال الدين حسين ، كتبت الى جمال عبد الناصر ٣ استقالات الأولى سنة ١٩٦٢ .

الثانية سنة ١٩٦٣ .

والثالثة والأخيرة كانت فى اغسطس سنة ١٩٦٣ .

ومضمون هذه الاستقالات كلها هو فى الحقيقة تحذير للحاكم من انفراده بالسلطات ، تحذير له من جمع كل السلطات فى يده . تحذير له من ضربه حقوق الشعب بعرض الحائط . تحذير له من التسلط على الناس ، من الاتجاه بالدولة الى حكمها حكما ديكتاتوريا مطلقا .

كنت اقول فى كل خطاب استقالة لا أستطيع أن أستمر فى السلطة التنفيذية وسط المسرحية الكاذبة المضللة عن الديمقراطية ، وكانت ديموقراطية مزيفة .

كنت أقول فى استقالاتى اننى لا أستطيع ان أواجه الشعب وأبرر له كيف أن ثورة ٢٣ يوليو وهى ثورة الحرية والديموقراطية والعدالة تنقلب تدريجيا ، وطبقا لمخطط مرسوم دقيق ، الى ثورة بطش وارهاب وديكتاتورية .. وتأكد ذلك فعلا بعد صدور القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ الذى أعطى للحاكم الحق الآلهى ! ولقد ضمنت خطاب آخر استقالة فى اغسطس سنة ١٩٦٣ قولى « انا لو بقيت سأفقد نفسى ، وأنا لا أريد أن أفقد نفسى ، ولا أظن أن من مصلحة وطنى أن أفقد نفسى » .

انتهى بالحرف الواحد ما قاله كمال الدين حسين .

في عربة حيوانات!

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

كان اول ما اهتممت به أن ابلغكم اننى سأنتقل الى سجن القناطر . القرار سرى وأحيط بكتمان شديد كأنه سر حربى ! ولكنى عرفته !

قلت لكم اننى محتاج لثلاث حقائب انقل فيها حوائجى . انقذتنى الحقائب الثلاث . اضطررت أن أربط بعض حاجاتى بدوبارة . عدت الى استعمال « البقجة » بعد غياب طويل .

مأمور السجن امر بمنع دخول الطعام أو خروجه يوم الانتقال من سجن الاستئناف الى سجن طره ، خشية أن يتسرب الى الأعداء نبأ انتقالنا ! الأعداء هنا هم الشعب المصرى طبعا !

الذى أدهشنى أن الحراس فى سجن الاستئناف ودعونى وهم يبكون بحرارة . وكذلك المسجونون . لم أتصور أنه من الممكن أن أصنع كل هذه الصداقات الحلوة بهذه السرعة وبهذه الكثرة ! السجن كالموسى يبرى المشاعر . يجعلها حامية حساسة مدببة ! كالأقلام الرصاص التى نبريها بالموسى ! العاطفة هنا تنمو فى داخل الزنزانة فى يوم أكثر مما تنمو فى عالم الحرية فى سنة .. صخب الحياة فى الخارج يميت المشاعر ويمزق الروابط ويضعف الصداقات علاقات المحنة تولد فى النار ، ولهذا تصقل ولهذا تعيش . لم أتصور أن زملائى المسجونين أحبونى الى هذه الدرجة كانوا يبكون كالأطفال، أنا لم أفعل من أجلهم أى شىء سوى اننى أحببتهم ، سوى اننى شعرت بهم . لم أستطع أن أتغلب على شعورى أمام هذه العواطف فامتلأت عيناى بالدموع .

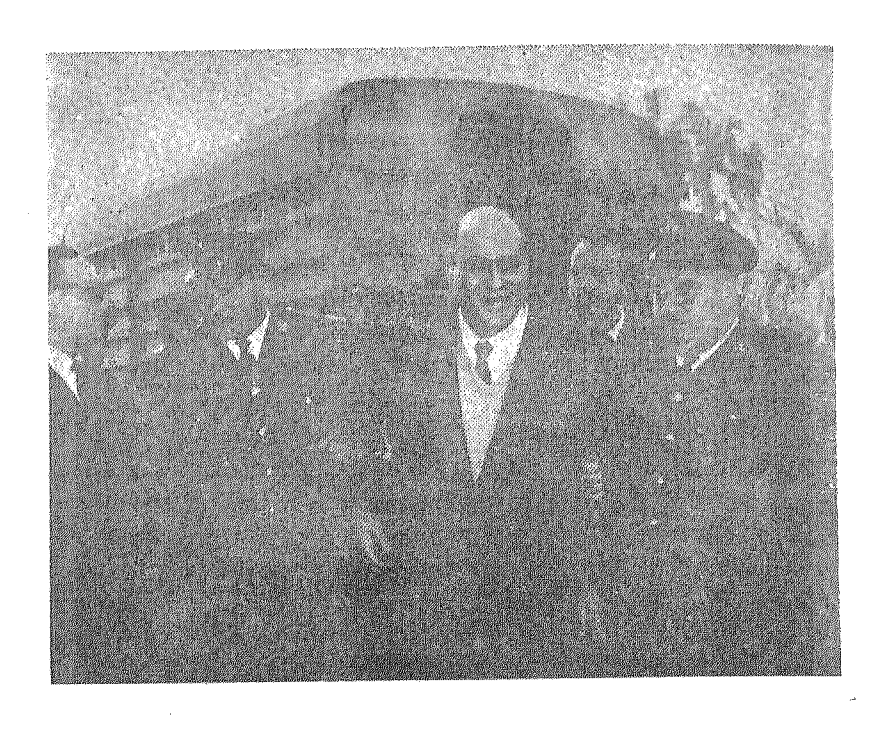
وكم كانت دهشتى عندما وضعونى أنا وزملائى المسجونين السياسيين ، فى سيارة لورى مفتوحة يحيط بها السلك من كل

جانب ، كالسيارة التى يحملون فيها الخراف الى السلخانة للذبح ، لم أصدق عينى . كأنهم يتعمدون احتقارنا . أو كأنهم يريدون أن يقولوا لنا انهم سيعرضوننا على الناس ، ولن يتحرك فرد واحد من أجلنا . منتهى الاحتقار لنا والثقة بالنفس منهم ! وعندما صعدت الى اللورى لم أجد فيه مكانا للجلوس . لم تكن فيه مقاعد . زملائى جلسوا على الأرض . وقررت أن أقف . ولكن سقف السيارة السلك كان منخفضا . فاضطررت أن أحنى رأسى من القاهرة الى القناطر . وقد فهمت أن المقصود من وضعى فى هذه السيارة أن يضطرونى الى احناء رأسى ! يا لهم من أطفال صغار !! ان الظالمين يتوهمون انهم يذلوننا عندما يضعوننا فى عربة نقل الحيوانات .

لم أشعر بأى اهانة . ان قدم الظالم فوق رأسى لا ترفعه وانما تنزل به الى الحضيض ! كان الناس يلمحوننى فى الشوارع فلا يصدقون عيونهم ! لم يتصوروا أن حكومتنا تعامل خصومها فى الرأى معاملة الحيوانات ! وفهمت من هذا التصرف شيئا جديدا . منذ سنوات كان الظالم يرتكب مثل هذه الحماقات سرا . أما اليوم فهو يتباهى بها ! انها خطوة كبيرة نحو النهاية ! عندما يكشف الطغيان عن وجهه سافرا ، ولا يتخفى ، ولا يخجل من نفسه . هذه الجرأة والاستهتار هى التى تضع النهاية .. هى أعراض السكتة القلبية التى يصاب بها فجأة الطغيان ! الحكومات عندما تظلم الأبرياء لا تظلم الأبرياء وحدهم ، انما هى تظلم نفسها ! وعندما تشنق الأبرياء انما هى تشنق نفسها ، أو على الأقل تعد المشنقة التى ستعلق عليها فى يوم قريب ! اننى الاحظ أن الطغاة الصغار لا يستحون . لا يخجلون من الجرائم التى ارتكبوها . أصيبوا بالعمى فلا يرون ما تفعل أيديهم : أصيبوا بالصمم فلا يسمعون صرخات المعذبين وصراخ المضروبين بالسياط ! معى هنا فى السجن متهم بسرقة ثلاثة جنيهات . يا للجريمة الكبرى ! أما الذى يسرق الملايين فهو مطلق السراح . أحيانا أشعر بأن العدالة مسجونة معى فى الزنزانة المجاورة لزنزانتى ! وأمامى زنزانة فيها « الحرية » .. وزنزانة ثالثة فيها « المروءة » ! ما أكثر الأشياء الجميلة المسجونة معنا .

سيجىء اليوم الذى سيطلق فيه سراحنا جميعا !

ولكن لابد أن تقع كارثة كبرى ليفتح الطغاة عيونهم وآذانهم وعقولهم !



ضابطان من قوات الامن يقودانني الى مجلس الثورة حيث عقدت محكمة الدجوى . مئات الجنود المسلحين يقفون فى الطريق من السجن الى المحكمة

سجن القناطر

أغسطس سنة ١٩٦٦

تمتعت بالرحلة من سجن الاستئناف الى سجن القناطر فى لورى. رحت أقنع نفسى بأننى استنشق هواء النيل الذى حرمت منه أكثر من عام ! ولكن يظهر اننى استنشقت هواء أكثر من اللازم ، ولهذا أصبت بانفلونزا حادة جدا . كان أكثر ما أسعدنى فى الطريق محاولات سكرتيرتى أن تلحق بسيارتها سيارة اللورى التى تحملنى ، ومقاومتها للحراس ، وعنادها ، واصرارها على المقاومة ، ثم رأيت كيف فقد الضابط الذى يحرسنا أعصابه وهدد بكسر سيارة السكرتيرة ! كان الضابط يخشى أن تخبرنا السكرتيرة بأخبار الدنيا الممنوعة عنا ! .. آه لو يعلمون اننى فى زنزانتى أعرف ما كنت أعرفه وأنا رئيس تحرير أخبار اليوم . فى الطريق مررنا بشارع الجلاء الذى كنت أمر فيه صباح كل يوم الى أخبار اليوم ، ومررت على كوبرى أبو العلا ، وتذكرت بيتى فى الزمالك ، وتذكرت طريق الكورنيش الذى كنت أقطعه ذهابا وايابا ، وكنت أمر به عندما أسافر الى الاسكندرية بالطريق الزراعى . وفى طريق القناطر تذكرت أنه نفس الطريق الذى كنت أقطعه بسيارتى مئات المرات عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر يستدعينى لمقابلته فى استراحته بالقناطر الخيرية . لم أقارن مطلقا بين سيارتى البويك وعربة الحيوانات التى ركبنا فيها . ولا بين زيارة رئيس الجمهورية فى القناطر الخيرية وزيارة سجن القناطر . بالعكس كنت مرحا . أضحك وأهزر . كانت روحى عالية جدا ، أدهشت زملائى الذين كانوا معى . وكنت أشعر بحزن للآلام التى تعرض لها زميلى المسجون الأميرلاى محمد يوسف ، فهو مريض بغضروف فى ظهره ، وكانت رحلته فى اللورى أشبه برحلة الموت !

وعندما كنا نسير فى شوارع القاهرة كنا نخالف اشارات المرور ، كانت سيارتى تعدو بسرعة مجنونة ، تكاد تصطدم بكل سيارة من شدة سرعتها . كنا نقع فوق بعضنا عندما يدوس السائق على الفرملة فجاة . كان الضابط يقول ان الوقت المحدد للرحلة نصف ساعة على الأكثر ، واذا لم نصل فى الموعد فستقوم الدنيا ولا تقعد . ولكن حدث عندما وصلنا أمام القناطر الخيرية أن وجدنا الهـويس مفتوحا ، واضطررنا أن نقف فى الشمس نصف ساعة ، وحـاول الضابط عبثا اقفال الهويس ، وتجمع الناس حولنا ، وراحوا يشيرون بأصابعهم الى ، ويحيوننى ! واصيب الحراس بالرعب ، وقال لى واحد منهم انهم سيحيلون الضابط والعساكر الى مجلس عسكرى، وطلب منى عسكرى أن أدير ظهرى للناس ، فأطعت وادرت ظهرى، واذا بالناس الواقفين فى الناحية الأخرى يحيوننى ! وانقذ الموقف انهم اقفلوا الهويس !

عندما وصلنا الى القناطر انشرح صدرى بمشاهدة الأشـجار والمزروعات الخضراء ، ولون جدران السجن البيضاء . كان سجن القناطر اشبه بالجنة اذا تسامحنا واطلقنا على سجن الاسـتئناف اسم « مقبرة » .

واستقبلنا بالتفتيش الدقيق . أهم شيء هنا أن الشمس تدخل الى فناء السجن . فى سجن الاستئناف كانت أشعة الشمس من الممنوعات . كانت زنزانتى فى الاستئناف تطل على غرفة تنفيذ الاعدام . وأحمد الله اننا نقلنا فى ذلك اليوم ، فقد كان من المقرر تنفيذ حكم الاعدام فى احد المسجونين ، ولم أكن أريد أن أشهد أكثر من تنفيذ حكم اعدام واحد .. وكانت الأخبار وصلتنى أن النية متجهة الى اعدام عـدد من الاخوان المسلمين . ان عملية تنفيذ الاعدام تهز أعصاب كل من فى السجن هزا عنيفا .. فما بالك اذا كان تنفيذ الاعدام سـيكون فى أبرياء ! ؟

قيل لى انه اختيرت لى أحسن زنزانة فى السجن . وهى فى الطابق الثانى رقم ١٤ . الغرفة أصغر كثيرا من زنزانتى فى سـجن الاستئناف . الحائط ليس مرتفعا وبدأت اجراء تعديلات فيهـا . اننى اجد لذة فى أن أصنع من النسيخ شربات . استعنت بمسجون

اسمه « كشكش » خبير فى الطهى والنظافة والدهان وتهـريب الممنوعات ، من النوع الذى يقال فيه « بتاع كله » !

من أهم المشاكل التى صادفتنى مشكلة الكهرباء . مفتاح الكهرباء موجود خارج الغرفة ، وليس قريبا من الباب ، كما كان الحـال فى سجن الاستئناف ، ولا استطيع أن امد يدى من خلال حـديد قضبان النافذة لأصل الى مفتاح الكهرباء ، ثم عرفت أن المسجونين هنا اخترعوا طريقة وهى ربط المفتاح بدوبارتين ، تشد دوبارة فتفتح النور ، وتشد الدوبارة الثانية فتطفىء النور ، وتعلمت هذه الطريقة المبتكرة الى أن هرب لى أحد المسجونين « كمتراية » . وانقذت الكمتراية الموقف تماما . ولم تحدث العقبات والصعوبات التى حدثت للكمتراية التى وضعتها فى زنزانة سجن الاستئناف .

كان السرير فى حالة سيئة . وكذلك المرتبة . البق اتخذ فى داخل المرتبة قواعد حربية ورفض الجلاء ! مكثت عدة ليال اقاوم العدو . مرة انتصر ومرات ينتصر هو . طلبت الاذن باحضار سرير ومرتبة من البيت . وعندئذ صدر الأمر بصرف مرتبة جديدة وسرير جديد . عيب المرتبة الجديدة انها نصف مساحة السرير . هكذا يصبح نصف جسمى معلقا فى الهواء . بالطول والعرض ايضا ! أمكن تدبير الموقف . قام المسجونون بتنجيد مرتبة جديدة .

واستطعت بعد بضعة أيام أن أذوق النوم ! من مزايا هـذا السجن انك تجد مسجونين من جميع الصناعات ! جزمجى وحداد وترزى ومنجد . وجزار وحانوتى أيضا !

أحضر لى المسجون كشكش جردل المـاء الذى كان يشرب منه فؤاد سراج الدين عندما كان مسجونا هنا ! . . واعتبرت حصولى على هذا الجردل تكريما خاصا !

كان أهم ما اسعدنى أن الكولونيا فى هذا السجن ليست ممنوعة . وكان هذا خبرا سارا جدا بالنسبة لى . فقد كانت زجاجة الكولونيا تلعب لعبة القط والفار مع مأمور سجن الاستئناف .

ووضعت لمبة الكهرباء فوق راسى ، ولقد كنت وضعتها كذلك فى زنزانتى فى سجن الاستئناف ، ولكن مأمور سجن الاستئناف قال ان اللائحة تقول ان اللمبة تكون فى وسطة الغرفة ، ونفذت الأمر ، ونتج عن ذلك ان عينى كانت تتعب من القراءة ، لأن النور كان بعيدا عنى . احمد الله وأمسك الخشب لأننى الآن سوف أستطيع أن اقرا كما اريد !

بقيت عدة أيام بغير كرسى . كانت سكرتيرتى احضرت لى مقعدا من القماش ، أردت أن أجلس عليه فلم يتحمل ، ووقعت على الأرض . ولكن جت سليمة صرفوا لى أخيرا كرسى خيزران وأحسست وأنا أجلس عليه لأول مرة كأننى أجلس على كرسى السلطان !

أحضرت لى السكرتيرة مائدة ، استعملها لتناول الطعام . استطعنا أن نهربها الى داخل السجن ! بقيت عدة أيام قبل ذلك أتناول الطعام فوق حقيبة ، واستعمل الحقيبة كمكتب . وكانت تقوم بهذه المهمة خير قيـــام .

نسيت أن اقول لك اننى عندما دخلت سجن القناطر قابلنى جميع المسجونين العاديين فى شبه مظاهرة ، وأقبلوا على يحيوننى ، وأصيب الحراس بالرعب وجاءوا يقولون لى « بيتنا سيخرب » . وصدرت الأوامر بمنع اختلاط المسجونين العاديين بالمســـجونين السياسيين ، ونقلوا جميع المسجونين العاديين من الطابق الذى نحن فيه . ولكن هذه الأوامر لم تمنع المسجونين فى دهاليز الأدوار الأخرى من أن يحيونى ويدعوا لى . ومع أن الترحيب الذى قوبلت به فى سجن الاستئناف أذهلنى ، الا أن الترحيب الذى رأيته هنا عشرة أضعاف ما حدث لى فى سجن الاستئناف .

ان كل مسجون لا صـــوت له يعتقـــد اننى صـــوته ! والذين لا يستطيعون الا أن يهمسوا يعتقدون اننى وحدى أستطيع أن أصرخ ! أحس بالذعر لانهم يتوهمون اننى أقوى ألف مرة من حقيقتى ! انهم لا يعلمون اننى أضعف منهم جميعـــا . كيف يستطيع المظلوم أن يرفـــع الظـــلم عن مظـــلومين مســـحوقين ؟ اننى لم أقـــل

لاحد اننى اهرب قصص المظالم الى خارج السجن ولكن العجيب انهم يشعرون بشعور خفى لا اعرف مصدره اننى أريد أن أساعد كل واحد منهم ! هل يوجد لاسلكى خفى بين القلوب يعرف به الناس من يحبهم دون أن يفتح فمه !

اننى أحيانا لا انام الليل . اسائل نفسى هل استطيع أن أساعد كل هؤلاء ؟ . أنا رجل بلا قلم . بلا عمل . بلا اسم . ماذا أستطيع أن افعل لمقاومة هذه المطارق الهائلة التى تنهال علينا كلنـــا ! المهمة المطلوبة منى لا يستطيع أن يقوم بها بشر . الله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل كل هذا . احساس غريب يقول لي أن الله معى. هذا الاحساس وحده هو الذى يجعلنى أغمض عينى وأنام !

الحكم على الأطفال بالجوع!

سـجن القنـاطر

حدثت ازمة فى اوائل أيام وصولنا الى سجن القناطر . ان كثيرين من المسجونين السياسيين لم يصلهم طعامهم من بيوتهم . اسر كثيرة لا تملك أجر الركوب فى الأتوبيس من القاهرة الى القناطر ! السجن ليس سجنا فقط . انه خراب بيوت أيضا . الحاكم لا يسجن خصمه وحده ، بل هو يحكم بالجوع على زوجته وأمه واطفاله . طعام السجن لا يؤكل . الكانتين كان مقفلا ولم يسمح لهم بشراء طعامهم من الكانتين . فى العهود الغابرة كانت الأحزاب تنفق على المسجونين السياسيين . كانت اللجان تؤلف لمساعدة أسر المسجونين أذكر كيف كنا ونحن أطفال نذهب مـع أم المصريين لزيارة اسر المسجونين والمنفيين فى بيوتهم . الآن مسـاعدة أسرة المسجون السياسى جريمة . خيانة عظمى ! معى فى السجن مسـجونون مطلوب الحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنهم ساعدوا أسرة مسجون سياسى كاد أطفاله يموتون من الجوع . من يصـدق أن المروءة فى هذا العصر اصبحت جريمة أشنع من السرقة والنصب والقتل ! كم سنة سوف يحتاج اليها هذا البلد ليسترد قيمه وتقاليده ومثله ! لا يزال بعضنا يقاوم . ما زلت أرى مروءة وشهامة وصداقة ترتكب فى الخفاء وكأنها جريمة خلقية !

وجدت أن الحل الوحيد لمقاومة الجوع الذى فرض على زملائى المسجونين بسبب اغلاق الكانتين أن استنجد بأصدقائى خارج السجن . وأمكن أن أوزع طعامى عليهم . استطعت أن أقسـمه على ١١ مسجونا سياسيا . كل واحد منهم نال نصيبا ضئيلا ! ما الذ الطعام القليل عندما يقسم على الكثيرين ! وما أردأ الطعام الكثير اذا انفرد به شخص واحد ! انتى أمضيت اسبوعين أوزع طعامى على زملائى ، واكتفى بعلبة سردين أو قطعة جبن .. كانت

اشهى من المآدب الكبرى التى حضرتها فى حياتى . كنا جميعا جوعى . ولكننا كنا سعداء بحلاوة المشاركة فى الجوع . رفقة السجن تجعلنا نقترب من بعضنا كثيرا . احساسنا بأننا نقاوم الظالم جائعين يسعدنا ، ويشبعنا !

لقد اصبحت المقاومة الوحيدة التى نستطيع ان نقاوم بها الظالم هى أن نعيش .

ولكن فى كل يوم يسقط واحد منا مريضا !

راقبوه.. احذروه!

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

لست أعرف من أين ابدا . انني اشعر كأن لدي أشياء كثيرة ارجو أن اقدمها . لا أعرف كيف أبدا القصة . ولأحاول ان ابدأ القصة من أولها .

عندما سمعت بنبأ القرار الذى صدر بنقل المسجونين السياسيين من سجن الاستئناف الى سجن القناطر ، كان أول شيء فكرت فيه هو انتم . كنت أحمل هم المشوار الطويل الذى ستقطعونه كل يوم من القاهرة الى القناطر . الطريق زراعى ملىء بالسيارات والأتوبيسات والدواب . وكان يزعجنى تصورى انكم سوف تقطعون هذه المسافة مرتين فى اليوم ، ثم عندما عرفت انكم اقترحتم بأن تكتفوا بالحضور الى السجن مرة واحدة فى اليوم تنفست الصعداء .

وكانت المسألة الثانية التى تشغل بالى هى خيبة أملكم . انكم عشتم شهورا على الأكاذيب التى كانت تقال لكم من أنه تقرر نقلى من السجن الى مستشفى خارجى . فاذا بكم ترون أن الذى تقرر هو نقلى من سجن قريب الى سجن بعيد ! وكانت المسألة الثالثة هى اننى اعتدت أن أكتب كثيرا ، وأنا فى سجن الاستئناف . وانتقالى الى سجن القناطر جعل المسألة صعبة جدا . الوجوه جديدة . الحراسة شديدة . المثل يقول « الغربال الجديد له شدة » وهكذا اشتدت الرقابة ! التعليمات الصارمة سبقتنا . راقبوه ! احذروه ! شددوا عليه الخناق . احيطوه بالجواسيس الذين يجيئون لنا بكل حركة يقوم بها أو بكل كلمة يقولها . اننى أخطو خطواتى بحذر شديد . خطوة واحدة فى الهواء قادرة على أن تقطع صلتى بالعالم

كله ! المطلوب الا اتصل باحد او يتصل بى احد . الا يعـــرف أحد انني مظلوم ! مهمتي الأولى أن اعرف العيون التى تراقبنى لأضـــع على هذه العيون عصابة سوداء .

المشكلة الرابعة والاخيرة التى تشغلنى اننى عرفت النـــاس فى سجن الاستئناف وعرفونى ، وسوف أحتاج الى وقت طويل حتى أكون صداقات جديدة . حبى للناس يجعل النـــاس الذين لا أعرفهم يحبوننى . أعطيهم قلبى فيعطوننى حياتهم !

كيف يستطيع رجل واحد ان يقاوم دولة ! رجل مقيد بالأغلال . لا يملك أى شيء سوى ايمانه . فصلونى من عملي دون انتظـــار الحكم . رفضوا أن يعطونى مليما واحدا ثمنا لدار أخبار اليـــوم . وضعونى تحت الحراسة . اقفلوا شقتى بالشمع الأحمر . قلمى قصفوه . لم يبق لى الا ايمانى بالله ، وحب الناس .. أشـــعر بهذا أننى قوى جدا . سأحاول أن أقاوم . لن أموت الا واقفا !

تهريب الخطابات

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

منذ وقت طويل لم أكتب اليكم . كأنها شهور طويلة . ان فى الكتابة الى الذين أحبهم راحة وسعادة . ولكنى لم أستطع أن أكتب . لم يكن عندى قلم أكتب به فى السجن الجديد . لم أجد مائدة فى زنزانتى أكتب عليها . وطلبت من الطبيب أن يصرح لى بمائدة نظرا لأن مرض النقرس يمنعني من أن أحنى ظهرى على الأرض وأنا أتناول الطعام . . وبقيت عدة أيام فى مفاوضات ومباحثات واتصالات حتى سمحوا لى بمائدة . وعندما وصلت المائدة مرضت ، ومنعنى مرضى من الكتابة .

وكانت مشكلتى الأولى هى كيف أضع فى السجن الجديد خطة لتهريب الخطابات . أن الشبكة التى كونتها فى سجن الاستئناف لم تنتقل معى الى سجن القناطر . كان لابد من تكوين شبكة جديدة . المهمة صعبة . كيف أستطيع أن أجد عددا من الرجال الذين يمكن الثقة بهم ، ولا يشوا بى الى ادارة السجن أو المباحث أو المخابرات ! ليس عندى ما أعطيه . لا مال ولا نفوذ ولا سلطات وهم عندهم كل شيء ! ليس معى الا الله . أومن بأن الله سوف يحمينى وأنا أؤلف الشبكة الجديدة التى سوف تهرب لى الخطابات هنـا !

وقد بدأت اختيار العضو الأول فى العصابة . انه رجل اعترف انه قتل ولم يقتل ! ولكنه كان يعمل فى خدمة عمدة فى أسيوط ، وقتل العمدة أحد خصومه ، ثم طلب من خادمه أن يفتديه ويعترف بأنه القاتل فى مقابل أن يعطيه فدانا ! وقبل ابراهيم هذه القسمة الظالمة .

وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لينجو القاتل الحقيقى . أحس ابراهيم اننى برىء مثله ، وقبل أن يتولى عملية التهريب الخطرة . انه لا يقرأ ولا يكتب ويتصور اننى أكتب تظلمات وشكاوى الى الجهات العليا ، لا خطابات العن فيها الظلم والظالمين ! اننى أحتاج لعشرة مثل ابراهيم . ولن تكون مهمة العثور عليهم صعبة . فما أكثر المظلومين فى بلادنا !

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتى

مرضت فجأة . كانت مفاجأة غريبة . كنت أسير فى فسحة الصباح . شعرت بأننى متعب . صعدت الى زنزانتى . أحسست بقشعريرة شديدة . وضعت الترمومتر فى فمى . درجة حرارتى هى ٤٠ درجة و ٨ خطوط . اشتدت الحالة بعد ذلك . أحضر زملائى مكمدات باردة . وضعوها فوق رأسى طول اليوم . عرفت اننى كنت أهذى ، وكنت أقول « بقى أنا ح أموت ؟ وده كلام ؟ يارب ؟ » واحمرت عيناى . شعرزملائى بفزع شديد . تناوبوا على تمريضى طوال الوقت . حضر الدكتور منير أعطانى أدوية عديدة لانزال الحرارة وحقن تراماليسين . لم تنجح الحقن الا فى أن تنزل الحرارة الى ٣٩ درجة ونصف !

لم أخف من الموت ! الذى رأيته فى غرف التعذيب أشد هولا من الموت . كنت أريد أن أعيش ولو يوما واحدا لأشهد مصرع الطغاة ! يوما واحدا يارب وأموت ! سأقاوم الموت بالايمان كما قاومت التعذيب جربت أن أصلى وأنا راقد فى فراشى . هل سينصفنى الله بعد أن أموت ؟ لا ، سيجعلنى أعيش لأرى مصرع الظالمين ! هل أنا أصلى أم هذا هو هذيان الحمى ! تمنيت فى هذه اللحظات أن أرى الله . ثم هدأت . احسست ان الله يرانى !.

جاءت خيرية وزينب لزيارتى يوم الخميس . كان من رأى الطبيب وأصدقائى الا أغادر الفراش وحرارتى فوق ٣٩ ، اقترحوا على أن

اطلب تأجيل الزيارة . رفضت . خشيت اذا عرفتا أنني مريض أن اثير فزعهما . تحاملت على نفسي . تجلدت . كنت في أشد الحاجة الى ان أشعر انهما بجانبي في هذه اللحظة . وفعلا اصبحت حالتي النفسية أحسن كثيرا . ولكن درجة الحرارة بقيت فوق ٣٩ درجة .

ثم حدثت مأساة . ممرض السجن اعطاني الحقنة خطأ . كان يعطيني حقنة الترامايسين في العرق ، ونزلت الحقنة تحت الجلد ، واذا بي اشعر بحريق يشتعل في ذراعي . وتورمت ذراعي . شعرت بعذاب وألم لا يطاق . احضروا مكمدات ساخنة وضعوها على ذراعي طوال اليوم . وهكذا كانوا يضعون فوق رأسي مكمدات الثلج ، وفوق ذراعي مكمدات ساخنة ! بعد يومين اختفى الورم ، ورفضت بعد ذلك أن يعطيني ممرض السجن أي حقنة ، وتولى ذلك زميلي عبد الغني النشرتي المرض المتهم بأنه سيكون وزير الصحة في انقلاب موهوم لفقته مخابرات صلاح نصر ! استمرت الحرارة غير عادية حوالي عشرة أيام . أصبحت في يوم الجمعة ١٢ أغسطس حرارة عادية للمرة الأولى .

ليس هناك اصعب من المرض في السجن . وخاصة انه في الساعة الخامسة مساء تقفل أبواب الزنزانة على المسجون ، ويترك المريض الى رحمة الله حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي . واذا حدث للمسجون المريض أزمات أو مضاعفات أو احتاج الى اسعاف ، كان الله في عونه ، ومع ذلك استطعت أن أمر بهذه الازمة بسلام . كان الطبيب ، وهو الدكتور منير يصعد الى زنزانتي في الطابق الثاني مرتين في اليوم ، وهو مريض بالأزمة القلبية . وجاء المأمور والضباط لزيارتي . كان اهتمام زملائي المسجونين بي غير عادي . المكمدات الحقيقية كانت محبة المسجونين لي ! تخصص زميلي المسجون العميد محمد يوسف في صنع شراب الليمون الذي كنت اتناوله باستمرار . تخصص زميلي أنور زعلوك المسجون المتهم بأنه سيكون محافظ الوادي الجديد في الانقلاب الملفق المزعوم في وضع المكمدات على رأسي . كانوا يساعدونني في ارتداء الملابس وخلعها ، وفي غسل وجهي . كنت موضع رعاية واهتمام الجميع .

انشغلت فى الأسابيع الأولى بترتيب حجرتى . هوايتى الكبرى أن أصنع من الفسيخ شربات . وأحول الزنزانة الضيقة الى شـــقة أنيقة . وأحول السجن الى أخبار اليوم ! وضعت الستائر على النافذة . علقتها على باب الزنزانة لأخفى الشقوق والبقع والخروم. جئت بجردل صغير وركبت له حنفية وضعت تحتها طبق بلاستيك . أصبح عندى للمرة الأولى حوض . كنت فى سجن الاستئناف اغسل يدى ووجهى فى جردل البول . هذا تقدم لو تعلمون عظيم ! علقت الستارة البلاستيك الجميلة البيضاء ذات الخطوط الزرقاء فوق الرفوف الخشبية ، استطاعت أن تخفى الرفوف ، وتخفى الطعام. وقسمت الزنزانة الصغيرة إلى غرفتين الغرفة الأولى غرفة نوم مع غرفة الطعام والغرفة الثانية غرفة أوفيس ومطبخ وحمام . كل غرفة عرضها متر فقط .. عز !! لم يبق أمامى الا أن أدهن زنزانتى بالزيت .. حتى أقطع الطريق على الحشرات . اننى أجد لذة فى أن أزين سلاسلى وقيودى . اننى لا العن الذين وضعوا القيــود ، اننى أرثى لهم . عندما انتهى من ترتيب زنزانتى سأبدأ فى المقاومة . سأكتب وأكتب ! كلماتى هى مدافعى وسوف أستمر أطلقهــا الى أن ينفد الرصاص الذى فى روحى ! اننى أضمد جراحى بالكتابة . لا أبكي على نفسى وانما أبكى على بلدى ! المهم أن أستطيع أن أنظم طريقة للاتصال بكم تجعل رسائلى تقفز فوق الأسوار بسرعة ! الشيء الذى يضايقنى انه كلما نظمت وسيلة الاتصال فى ســجن ، نقلونى الى سجن آخر . حياتى هنا تبدأ بأن أستيقظ الســاعة السادسة صباحا . أقرأ القرآن أبدأ بترتيب زنزانتى . أعد الملابس التى سأرتديها . أخرجها من حقيبة الملابس . وفى هذه اللحظة تبدأ الاذاعة . صوت الراديو هنا أجمل من صوت راديو ســـــجن الاستئناف . أسمع القرآن وحديث الصباح من سامية صادق ونشرة الأخبار والموسيقى . فى حوالى الساعة السابعة والنصف يفتح السجان باب زنزانتى ، وهو عادة يفتح زنزانتى قبل أى زنزانة أخرى لأنه قارىء قديم من أيام مجلة الاثنين ! أتوجه الى دورة المياه وأعود الى زنزانتى ، وأرتدى ملابسى ، وأنقل الثلج من الترموس الكبير الى الترامس الصغيرة . ثم أحمل كرسيا الى دهليز السجن ، وفيه نافذة كبيرة تطل على عدد من الأشجار وعلى سجن النساء ! لا أستطيع أن أرى أحدا فى سجن النساء . ولكن منظر الأشــجار جميل . كانت نافذة الدهليز فى سجن الاستئناف تطل على المكان

الذى تلقى فيه الزبالة ، وكان على يمينها المشنقة فى غرفة الاعدام !
المنظر هناك مقبض ، والمنظر هنا يرد الروح . اتمشى قليلا فى الدهليز .
عيبه انه ضيق . لا يتسع الا لمرور شخص واحد . يمتاز عن سجن
الاستئناف بأنه مفتوح من فوق ، يدخل فيه الهواء وتسطع الشمس
باستمرار . استطيع لأول مرة منذ شهور أن أستنشق هواء نظيفا
ومنعشا . كان الهواء فى سجن الاستئناف مزيجا من التراب ورائحة
الزبالة . هناك فرق كبير بين الهواء فى السجن والهواء فى الحرية !

فى الساعة التاسعة صباحا تبدأ الفسحة ، وهى فى حوش أوسع
عشر مرات من حوش الفسحة فى سجن الاستئناف الذى كان مليئا
بالمجارى والروائح الكريهة بينما ، وأنت تمشى ، تسمع صوت
الراديو تنبعث منه الالحان الجميلة ، أو تسمع موسيقى من فرقة
موسيقى المسجونين . وهى موسيقى بدائية ، ومع ذلك فالمسجونون
يصرون على أن أطلب الأدوار التى أحبها ليعزفوها لى أثناء الفسحة
التى تستمر نصف ساعة . عادة أسأل زملائى عن الأدوار التى
يريدونها فأطلبها . لا أريد أن يتحكم ذوقى فى أذواقهم . انهم يريدون
الألحان الراقصة ! الطير يرقص مذبوحا من الألم !! أعد لنفسى
مائدة الافطار . ما زلت فى انتظار سعيد فريحة ليصل معه تموين
مرضى السكر وأطعمة مرضى السكر . أمضى الصباح فى قراءة الصحف
العربية . الصحف الأجنبية أوفرها للمساء . زملائى من المسجونين
السياسيين يتضايقون من الساعة التى تقفل فيها باب الزنزانة ،
الا أنها تسعدنى . انها ايذان بلقائى الغرامى بقلمى ! أتناول غدائى
فى الساعة الثالثة ، وفى الساعة الرابعة ننزل الى الفسحة مرة
أخرى ، ونمكث بين نصف الساعة وثلاثة أرباع الساعة . ثم نصعد
الى الطابق الذى فيه زنزاناتنا ، ونجلس بجوار النافذة ، ونحن
نسمى هذه النافذة المعمورة ، اشارة الى بلاج المعمورة فى رمل
الأسكندرية ، وتحل الأشجار محل لابسات المايوهات الفاتنات !
فى الساعة السادسة تقفل أبواب الزنزانة . أخلع ملابسى . استلقى
على السرير واقرأ الى الساعة التاسعة . ثم أكتب ما أستطيع
أن أكتب وأنا اتلفت يمينا ويسارا . أنام عند منتصف الليل .
أشعر بأننى أنام هنا أحسن من سجن الاستئناف . الجو معتدل .
لهذا السبب اختفى « حمو » النيل من جسمى وقد لازمنى حوالى
شهر . وكان أطباء سجن الاستئناف ، غفر الله لهم ، يقولون

انه ارتكاريا ! انا أعتقد أن حكومتنا هى المصابة بأرتكاريا سياسية ! فى كل يوم تهرش باحثة عن مؤامرة موهومة ! التحقيقات والتلفيق والتزييف والتعذيب تجعل جسم الحكومة أحمر ! هذا الهـــرش المستمر يدل على أنها فى طريقها الى كارثة ! الحل فى راى الطب السياسى هو الحرية والديموقراطية والعدالة ! ولكن الأطباء عندنا يفضلون « الهرش » المستمر على الشفاء !

أنا أسعد من غيري !

سـجن القناطر

١٤ اغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتي

صحتي الآن جيدة . حرارتي أصبحت عادية . عـدت أتناول الطعام . لا أعرف كيف أشكركم على الأدوية . مكثت عدة ايام أعيش على عصير الليمون فقط . المرض مؤلم ولكنه أشد ايلاما في داخـل الزنزانة ! ليس في السجن دواء . أدويتكم خففت الأزمة . كنت اتناول الأدوية في موعدها . زملائي كانوا يتصورون أنني سوف أموت هنا . أنا كنت أريد أن أعيش . شعرت بأنني اذا استسلمت للموت فمعنى ذلك أنني أستسلم للطغيان ! قررت ان اعيش لأقاوم ! الذين وضعوني في السـجن توهموا أنهم وضـعوني في تابوت . أطمأنوا أنني لن أخرج حيا . أنني أعيش الآن صراعا بين العـدل والظلم ، بين الحقيقة والزيف ، بين الحرية والطغيان . أعرف أن معسكر المظلومين ضعيف جدا . ما قيمة المقيدين بالسلاسل والأغلال في معركة مع مطلقي السراح ؟ ما قيمـة الضعفاء المقهورين مـع أصحاب الجبروت والسلطان ؟ ما قيمـة البكم مع الذين يملكون الصحف ومحطات الاذاعة ؟ أنها معركة غير متكافئة . ولكني أؤمن أننا بالصمود سوف نستطيع أن نربح هذه المعركة . المهم الا نيأس ولا نستسلم . أنني هنا أحاول أن أرفع معنويات كل زميل من زملائي المسجونين السياسيين . أحاول أن أضيء شمعا في ظلامهم . أحاول أن أجد ثغرة في القبور التي تضمنا ليدخل منها الهواء والأمل . أننا نختنق هنا . ولكننا نتنفس بالأيمان . وسوف نعيش بالحب . الذي يؤلمني أنني أجـد أن الرسائل التي يتلقاها زملائي المسجونـين السياسيون تتناقص . الزيارات تقل .

ان التراب يغطى تدريجا علاقات حلوة ، وزيجات سعيدة ، وصداقات وطيدة ! ان شوقى يقول اننا فى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين ! والمسجونون السياسيون يخشون أن ينساهم الناس . لا احد يذكرهم . والصحف مغلوبة على أمرها . الرقيب لن يسمح بذكر اسم مسجون سياسى حتى فى صفحات الوفيات ! بل لقد حدث أن مات أحد أولاد عم مسجون سياسى معى ، فاذا بأهل الفقيد يحذفون من تلقاء انفسهم اسم قريبهم المسجون ، وكأنهم يتبراون منه ، أو يخشون أن يصاب افراد الأسرة بمكروه اذا عرفوا أن لهم قريبا مسجونا ! أنا لا ألوم الأسرة المذعورة ، وانما الوم الذين ملأوا البلاد بالخوف والارهاب ! زملاؤنا المسجونون السياسيون ممن لهم اقارب من ضباط الجيش ، فوجئوا بأنهم نقلوا من الجيش الى وظائف مدنية بلا ذنب سوى أنهم أقرباء مسجون سياسى ! تذكرت أن الدكتور أحمد ماهر كان مسجونا ومطلوب الحكم باعدامه ، فى الوقت الذى كان شقيقه على ماهر وزيرا للعدل ! وتذكرت أن اللواء نصار كان محكوما عليه بالسجن المؤبد فى انقلاب عسكرى وعين الرئيس جمال عبد الناصر شقيقه الدكتور نصار وزيراً للصحة . ماذا حدث ؟ ان السنوات الأخيرة شهدت تدهورا فى احترام العلاقات الانسانية .

. .

بعض زملائى هنا لا يزورهم أحد . أنا لا الومهم . الغائب عذره معه . الخائف عذره معه . الفقير عذره معه . قال لى أحد العمال المسجونين أننى اعرف اذا جاءت زوجتى من قنا لتزورنى ، فمعنى ذلك أن يبقى أولادى جائعين عدة أيام . أننى أفضل ان يأكلوا على أن تجىء زوجتى لتقف معى بضع دقائق ! ولكن بعض الناس لا يكلفون أنفسهم ان يرسلوا خطابا بطابع بريد بعشرة مليمات ! وهؤلاء أعذرهم أيضا . أن الدولة لا تعترف بالصداقة ولا بالقرابة . ان موظفا بوزارة المالية نقل من القاهرة لأنهم ضبطوا خطابا منه الى شقيقه المسجون فى السجن الحربى يسأله عن الصحة ! ان المسجونين السياسيين فى السجن الحربى مضى عليهم عام لم يتلقوا خلاله رسالة واحدة من اهلهم ، ولم يسمح لهم برسالة واحدة يكتبونها الى اهلهم ! ولو أن المسجونين السياسيين كانوا تابعين لجمعية الرفق بالحيوان ، لاحتجت الجمعية على هذه المعاملة السيئة !

اننى أسعد حالا من غيرى . لأننى لا اشعر مطلقا باننى وحدى . احس أننى معكم . لا تنهار قونى ولا أفارقكم . أسمع صوتكم . ارى لمعان عيونكم . استرجع صدى ضحكاتنا معا . أنا لا ارى خيـالات وأطيافا . ارى حقيقة جميلة أعيشها . لا يمكن ان يمحوها الزمن ، أو تقلل من روعتها الأيام . ليس هناك فى الحياة أجمل من أن يشعر الانسان بانه ليس وحده .. وأن هناك من يحبه . ان هذا الحب هو أعظم منحة يعطيها الله لعباده . انه يقوى الضعيف . ويسعد الشقى . ويملأ قلب اليائس بالأمل والرجاء . يحول الظلام الى نور . والدموع الى بسمات .. اننى أحس اننى أتلقى منكم رسائل حب كل يوم . رسالة الحب ليست فى حاجة الى ان تكتب بالحبر على الورق . اننى أرى هذه الرسالة فى « زرار » يثبت فى البيجاما . فى طبق أحبه . فى فنجان قهوة أشربه من يدكم . فى منـديل طويتموه بأصابعكم .. فى كيس وسادة . هذه الأشياء كلها تحكى وتتكلم . انها تقول شعرا ونثرا . تغنى أغانى حب وهوى وغرام . تحمل مناجاة وقبلات وأشواقا . ليست الكلمة وحدها هى التى تعبر عن حرارة الشوق . أن طبقا من الطعام أعدته امرأة لرجل تحبه قد يكون فيه من الحرارة أكثر مما فى خطاب غرام ! ان قميصا غسلته فتاة بيدها وكوته ، وطوته ، ولمسته أصابعها ، هو أجمل عواطف الدنيا . هذه الأصابع كتبت على القميص عبارات من الحب قـد تكون أبلغ من كل رسالة غرام .. فأنا أشعر بأننى فى زنزانتى رجل محظوظ لأننى اتلقى منكم عشرات الرسائل كل يوم . رسـائل اضعها على فمى كأنها قبلات ، أو أضعها على جسدى كأنها عناق . هذا الحب يسعدنى . يملأ وحدتى القاسية . يجعلنى اطل من نوافذ كثيرة على الحياة خارج السجن . يشعرنى بأننى قـريب منكم . الحب يلغى المسافات بل ويلغى الزمن ايضا . أنا لا اشعر بأننى بعيد عنكم . أن بينى وبين الزمالك ساعة بالسيارة . ومع ذلك اشعر بأنكم جميعا معى فى سجن القناطر . فى نفس المدينة . فى نفس الزنزانة . الأيام الطويلة لا تعنى شيئا . حبنا يختصرها الى دقائق . كلما صمدنا تهاوى الزمن . الحب الصحيح يهزم الزمن ويهزم المسافات .

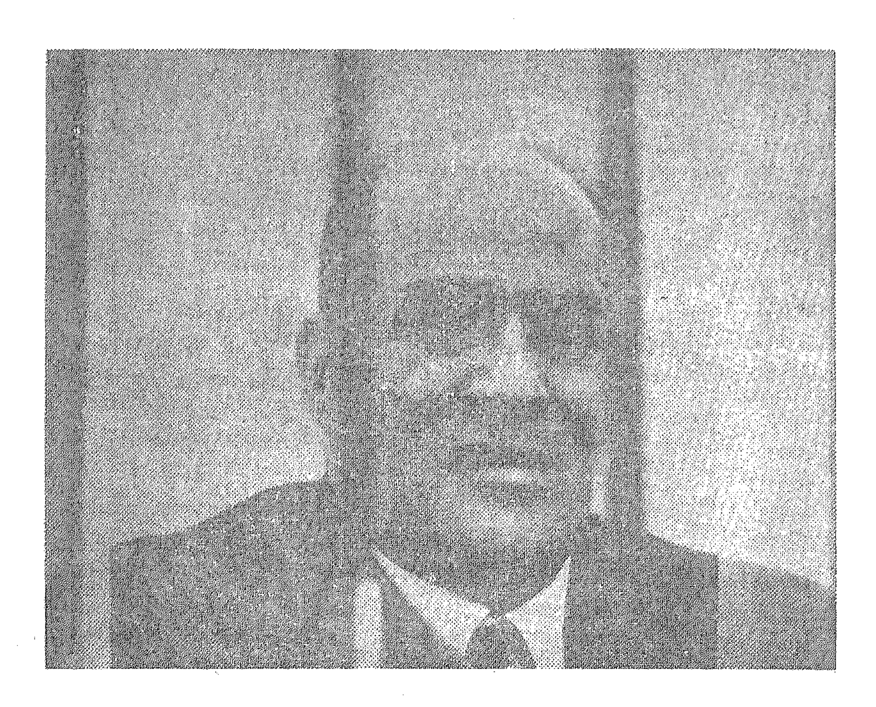
أنا أقدر الظروف التعسة المؤلمة التى تعيشونها ! انا أحسن منكم حالا . أنا دائما معكم فى بيوتكم وأعمالكم . وأنتم دائمـا معى فى

الزنزانة !! ايماني بالله يجعلني اثق بأن الله لن يتخلى عنـــا . الله وقف بجوارنا في أزمتنا ، ومد يده الينا في كل محنة صادفناها . انني رأيت الله كثيرا . احسست أنه بجواري دائما منذ أن دخلت السجن . يبدو أن الله لا يزور كثيرا الحكام في قصورهم ، ولكنـــه يزور دائما المظلومين في سجونهم وزنازينهم !

ما دام الله معنا ، فان من واجبنا إن نطمئن ، وأن نثق بأنه مهما طال الليل فلابد لشمس الحرية أن تشرق من جديد . بينما أكتب هذا الكلام كانت المطربة سعاد محمد تغني قصيدة « ابتهـــالات الى الله » ثم فجأة صاح المؤذن : الله أكبر ! الله أكبر .

تفاءلت بالأغنية ، بآذان المغرب ! .

الم اقل لك أن الله معي في الزنزانة ! ؟



وجلست بين قضبان قفص الاتهـــام أتفرج على مهزلة المحاكمة !

المصريون ليسوا متعاونين!

سـجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

عـزيزتى

أيامى الأولى فى هذا السجن صعبة ، بسبب عدم وجـود شبكة اتصالات عندما يدخل المسجون الى سجن جديد ، يمر بفترة تأديب ، فتغلق عليه ابواب الزنزانة ٢٣ ساعة ونصف ساعة كل يوم . ويحرم من الفسحة عدة أيام ، ويوضع تحت الرقابة المستمرة ، ولا يستمتع بأبسط انواع الامتيازات التى يستمتع بها المسجون « صـاحب البيت » ! كل طلب مرفوض لأنه مخالف للائحة . كل شىء ممنوع.لأن التعليمات مشددة بمعاملتنا معاملة كبار المجرمين والسفاكين وقطاع الطرق ! وقد تدهش اذا علمت أن القتلة وقطاع الطرق يعاملون فى السجون خيرا مائة مرة من المسجون السياسى ، فالقاتل عـدو المجتمع والمسجون السياسى عدو شخصى للحاكم — أو كما قال لى أحد الضباط هنا اذا هرب مسجون سفاح من هنا ينقل مدير السجن من منصبه ، أما اذا هرب مسجون سياسى من السجن فيفصـل المـدير وجميع الضباط وجميع الحـراس ان لم يوضعوا كلهم فى السجن ! وهكذا ترى أن الناس مقامات ! وفى العصور الغـابرة كان المسجون السياسى يتمتع بامتيازات . أذكر أنه عندما قبضت الحكومة فى عام ١٩٤١ على الفريق عزيز المصرى باشا ووضعته فى سجن قرة ميدان أن أصدر حسين سرى باشا رئيس الوزراء أمرا بأن يعطى المسجون عزيز المصرى عشرة جنيهات كل يوم لينفق منها على طعامه وملابسه ويخصص ضابط برتبة ملازم لخدمته ! وكان عزيز باشا يفطـر من جروبى ، ويتغدى من شبرد ويتعشى من سميراميس وأذكر انه عندما كان فؤاد سراج الدين وزيرا للداخلية

سمح لزميلى جلال الدين الحمامصي المعتقل فى معتقل الزيتون بالخروج لحضور حفلة قران شقيقه الأستاذ على الحمامصى ! وأذكر أن حكومة سعد زغلول سمحت للدكتور محمد حسين هيكل المسجون بتهمة اهانة رئيس الوزراء سعد زغلول بأن يستقبل يوميا محررى جريدة السياسة ليبلغهم تعليماته ويملى عليهم مقاله الافتتاحى الذى يهاجم فيه الحكومة ! .

ولقد قال لى ضباط السجن صراحة ان التعليمات التى لديهم هى « أن يطلعوا دين المسجونين السياسيين » وأنهم لا يفعلون ذلك خوفا من الله ، قلت لهم ان الأرض كروية ، ولا يقف العز عند باب واحد الى الأبد !

لقد حرمنا من الفسحة عدة ايام ، وحرمنا من أن يوجد كرسى فى زنزاناتنا عدة ايام ، وبدأت بعد ذلك تتحسن الأمور ، بدأنا نحاور التعليمات . وبدأنا أحيانا نحطم قرارا أصدره وزير الداخلية بسيجارة ! نعم قرار وزارى بسيجارة .. يا بلاش !

وشيئا فشيئا سوف تعود الحياة الى الحياة الطبيعية التى كنا نعيشها فى سجن الاستئناف .

تفرجت فى التليفزيون على مباراتين من مباريات كأس العالم فى كرة القدم من الأشياء الجميلة هنا اننى أسمع فى الصباح المبكر فى زنزانتى ، الكروان وهو يغنى « الملك لك .. لك لك ! » ان صوته يشرح القلب . فى سجن القبة كنت أسمع يوميا صوت البوم والغربان وأم قويق !

جارى فى الزنزانة اسمه أحمد . قبض عليه واتهموه بأنه من الاخوان المسلمين . قال انه فعلا كان من الاخوان المسلمين فى عام ١٩٥٤ ثم تاب وليعبر عن توبته الكاملة اشتغل تاجر خمور يبيع الويسكى والكونياك والشامبانيا والنبيذ ! ومضى عليه ١١ عاما وهو فى هذه التجارة التى يحرمها الدين الاسلامى !

ولم يقتنع ضباط التعذيب ، وقالوا له : انك مكثت ١١ سنة تتنكر تحت مهنة تاجر خمور ، وانك مجرم ومتآمر واخوان مسلمين !

وبدأ الضرب والصفع والتعذيب ..
وأصر أحمد على الانكار !

وفجاة أمر السفاح المحقق باحضار زوجة أحمد الى غرفة التعذيب وادخلها أحد الجنود !

وأمر السفاح الجندى بأن يجردها من ملابسها امامزوجها المكبل بالسلاسل والأغلال ..

ووقفت المراة المسكينة عارية ترتجف !

وأمر السفاح الجندى بأن يغتصب الزوجة العارية .

وهم الجندى باغتصاب الزوجة المسكينة ، وارتمى الزوج على الأرض وراح يقبل أقدام السفاح ويقول له :

ــ أعترف ، اعترف أننى قتلت جمال عبد الناصر !

قال السفاح :

ــ لم تقتله .. وانما تآمرت على قتله !

ــ نعم أعترف !

وأملى السفاح على أحمد اعترافا كاملا بمؤامرة ملفقة لا أساس لهــــا .. !

ووقع أحمد على الاعتراف .

وترك السفاح الزوجة ترتدى ملابسها !

ويقسم أحمد بأنه لم يفكر فى ارتكاب اى جريمة ، ولم يشتغل بالسياسة طوال ١١ سنة ، وكان مشغولا طوال هذه السنين يبيع الويسكى والكونياك والشامبانيا والنبيذ !

كان أحمد يروى لى قصته وهو يبكى .. كأنه لا يزال يرى زوجته عارية أمامه والجندى يحاول اغتصابها ..

وقال لى وهو يرتجف:

ــ سنموت وتموت مأساة ظلمنا معنا !

قلت له :

ــ لن نموت ! واذا متنا فسوف تزار رفاتنا فى القبور !

قال : الموتى لا يتكلمون !

قلت : ولكن الله يتكلم !

وصية إلى أخي

سجن القناطر

اخى العزيز

قد يكون هذا آخر خطاب اكتبه اليك قبل صدور الحكم .

ان عندى وصية لك . وهو ان تخلص ما دمت حيا لهذا الوطن ، ولا تجعل حزنك بسبب الظلم الذى أصابنى سببا فى أن تتوقف عن خدمة هذا البلد ، أو التفانى فى الجهاد من أجله .

اننى واثق ومتأكد أن وطنى ظلمنى ، دون أن يعرف انه ظلمنى ، لاننى مؤمن بعدل هذا الشعب . مؤمن بأنه لا يمكن ان يظلم أحدا اذا كان مؤمنا ببراءته . وكل ما هناك أن الذين يكرهون كلمة الحق ، حاولوا تشويهى أمام أهل بلدى ، فغلبت الشكوك التى أطلقوها على البراهين التى تؤكد اخلاصى وولائى لوطنى .

وانا لست آسفا على أننى سأسجن . ولكن أسفى على شىء واحد . هو حرمانى من شرف خدمة بلادى .

وتأكد انه سيجىء يوم يعرف فيه الشعب براءتى ، أنا واثق أن هذا اليوم سيجىء . ومما يثبت براءتى مع الأيام أن تكافح تحت راية هذا الوطن ، وتعمل تحت لوائه ، وتقبل هذه التضحية نداء له .

أنا مستعد لأن أقبل هذه التضحية راضيا اذا أنصف الذين ذبحونى الملايين . مستعد لأن أتحمل تقييد حريتى ، اذا كان ثمن ذلك تحرير هذا الشعب كله من العبودية . مستعد لأن أرضى بهذا الظلم اذا منحوا العدل لألوف المظلومين المقهورين المعذبين . لقد كنت فى كل

وقت مستعدا لأن اقدم حياتى من أجل تحقيق هدف واحد من هذه الأهداف .

وانا اعلم أنهم اختارونى لأكون راس الذئب الطائر فى قصة كليلة ودمنة . عندما أطاح المستبدون براس الذئب ليخيفوا ويرهبوا باقى سكان الغابة . ومع ذلك احس ان راسى ليس وحده الذى طار ! ان السيف أطاح برؤوس كثيرة ، وسيطيح فيما بعد برؤوس أكثر . واخشى أن تكون النتيجة أن يخاف الظالم ، بدل أن يخاف المظلوم ، وبدلا من أن يتوقف عن ظلمه ، يحاول أن يغطى المذابح القديمة بمذابح جديدة ! دم الأبرياء على أيدى الطغاة لا يغسله الا دم جديد !

انا قابل هذه التضحية ، ولست ساخطا على وطنى الذى حرمنى من ضمانات العدالة . ان وطنى معلق فى المشنقة ، فكيف يستطيع أن ينقذ بريئا فى زنزانة ؟

لو اعدمتنى بلادى فسأقف على المشنقة واهتف تحيا مصر ! ولو وضعنى وطنى فى السجون عشرات السنين ، فسأبقى مخلصا لوطنى الذى أحببته وأحبه ، وسوف أحبه . ولا استطيع ان اكرهه ابدا . اننى لو كرهته أكون قد كرهت نفسى . .

لسنا أول من أحب وشقى فى حبه !

العالم في زنزانة!

سجن القناطر

١٧ اغسطس سنة ١٩٦٦

صديقتي

لم اكتب لك منذ وقت طويل . كنت دائما اشعر بأنك فى حاجة الى ان اكتب لك كلمة ، ولو كلمة صغيرة ، لتطمئنك على حياتى الجديدة هنا . اننى أعلم ان انتقالى الى سجن القناطر صدمة لك ، وأنك كنت تتوقعين أن يكون شهر يوليو ، هو الشهر الذى سأخرج فيه من السجن ! واذكر فى شهر ابريل الماضى انك قلت لزينب أننى لا أنتظر شيئا قبل شهر يوليو . ويومها ظهر عليها الفزع وقالت يا سلام ! لسه لغاية يوليو ! وقد انتهى يوليو ، واغسطس فى طريقه الى الانتهاء . وسيجىء اكثر من يوليو واكثر من اغسطس وأنا فى قيودى . كل ما حدث اننى انتقلت من سجن الاستئناف الى سجن القناطر . ولم يكن هذا الانتقال صدمة لى . فأنا أعتبر حياتى محطات فى طريق الفجر . وكل الذى حدث أننى انتقلت من محطة الى محطة فى طريقى الى محطة الوصول . المهم الا يتوقف القطار . ان يتحرك باستمرار . لا أعرف كم تطول رحلة القطار . ولكنى أعرف أننا سنرى الفجر . ان الظلام الذى يعيش فيه هذا الشعب هو ظلام مؤقت . سنرى الفجر . وسنعيش ونضحك ونعمل . لقد كانت حياتى كلها سجنا . كنت أسجن نفسى فى مكتبى . وفى عملى . وفى المهنة التى اعطيتها حياتى . كنت أشبه بالمتصوف فى معبده . حرمت نفسى شبابى كله ، لأقيم صناعة عظيمة فى بلادى . كانت تمضى على سنوات لا ادخل دار سينما . ولم تكن عندى أجازة سنوية ! ولم تكن عندى اجازة أسبوعية . كان العمال والمحررون يتغيبون فى أجازات العيد وشم النسيم . وكنت انا وأخى نجلس فى هذه الأيام على مكاتبنا وحدنا . نعمل . ونشقى . وكأننا لسنا فى عيد . كنت أسجن نفسى

فى عملى باختيارى . انا الذى حكمت على نفسى بالسجن المؤبد فى العمل الصحفى . فكل الذى حدث اننى انتقلت من زنزانة الى زنزانة . كانت زنزانتى الأولى مكتبى فى أخبار اليوم . وزنزانتى الآن فى سجن القناطر . لم تتغير حياتى بين الزنزانتين . ما زلت اعبد بلدى كما كنت اعبدها . وما زلت أحب الصحافة واعشقها .

مازلت أحب الناس كما كنت أحبهم واكثر . الذين اساءوا الى اقلية ، واحد فى المليون . والذين أحسنوا الى هم ملايين . ما زلت احلم بأن أعيد صحافة بلادى لتكون كما كانت صحافة عالمية . أحلامى لم تتحطم . ايمانى بالله لم يتزلزل . لم يغيرنى السجن أبدا . لاأشعر بحقد او ضغينة على احد . لا أريد أن أنتقم من أحد . حتى من الذين ظلمونى . كل الذى اتمناه الا يظلموا غيرى كما ظلمونى . ربما لا يستطيع غيرى أن يتحمل العذاب الذى تحملته .

لا ازال أحب الناس كلهم . اتمنى لهم الخير . ارقب نجاحهم . اهلل لكل نصر تحققه بلادى . وكأنه من صنع يدى . انا لا أشعر اننى مسجون . نحن الذين نسجن أنفسنا . نقيم من أوهامنا حراسا على أنفسنا ، نضع من يأسنا سلاسل وحديدا نقيد به أيدينا واعناقنا . ما دامت روحى منطلقة ، وقلبى مؤمنا . فاننى أشعر بأن الزنزانة لم تسجن سوى جسدى . أما روحى فهى حرة . خيالى غير مقيد . أفكارى غير محبوسة . اعيش بينكم . أسمع حديثكم . ان دموعكم تسقط على خدى . جروحكم يدمى لها فؤادى . لست أعرف ماذا أفعل لأخفف عنكم عذابكم . كل ما أستطيع أن أفعله أن ارسم لكم صورة صادقة عن حياتى هنا وشعورى واحساسى .

اننى أحس أننى هنا فى اجازة . كنت احلم طوال حياتى بأجازة . اجازة خارج عملى . شاء القدر ان تجىء الاجازة بقرار جمهورى !! اننى اعيش ٢٤ ساعة كل يوم بلا عمل ، وبغير انتاج . خطر ببالى أن أستفيد من هذا الوقت الذى أمضيه هنا فأدرس اللغة الالمانية واللغة الروسية . كنت طول حياتى أتمنى أن أجيد خمس لغات . وكنت اشعر أن الصحفى العالمى يجب أن يجيد خمس لغات . حتى الآن لم أبدأ هذه الدراسة . كل ما أفعله هو ان اقرأ صحف العالم واقرأ بعض الكتب . اننى اقرأ يوميا ثمانى ساعات . اشعر بأن بقية

ساعات اليوم تضيع عبثا . وكلما قرأت شعرت بأنني ازددت جهلا . ان هناك الوف الكتب أريد أن اقرأها . انني أتابع ابواب الكتب الجديدة في الصحف والمجلات العالمية . أريد أن أطلع على كل فكر جديد في العالم . انني عندما أمسك جريدة عالمية اشعر بأنني خرجت من الزنزانة . كأنني أطوف في العالم . أمضي ساعة في فيتنام . وساعة في اندونيسيا . وساعة في الصين . وساعة في مشاكل السود والبيض . وساعة في أزمة حلف الأطلنطي . أتصور أنني عدت صحفيا عالميا من جديد ، وأصبحت أطير من عاصمة الى عاصمة ، اغطي الأزمات ، أدرس المشاكل ، وأحلل المواقف ، وازيح الستار عما يجري وراء الستار من أحداث .. كل هذا من داخل زنزانة ! .

ان زنزانتي اصبحت جميلة ! بعد التغييرات والتعديلات وعمليات النظافة التي قمت بها فيها أصبحت احبها . انها ليست مقبضة ، ولا حزينة ، ولا قاتمة . على العكس انها « شرحة » . صحيح انها ضيقة ، ولكنها تكفيني وزيادة . فيها كل ما احتاج اليه . كنت في الماضي ادعو الى حل أزمة المساكن باختراع شقة من غرفة واحدة ، تتحول الى صالون وغرفة طعام وغرفة نوم وغرفة مكتب ، وحمام ، وأوفيس ، ومطبخ . وقد حققت هذا الاختراع في الزنزانة . أصبحت اراها شقة واسعة ، السرير الذى أنام عليه جديد ونظيف ومريح . انني لا افتقد السرير الواسع في بيتي . أصبحت الآن انام على السرير الضيق دون أن اقع من على السرير ! ومشكلة الذباب أمكن حلها . وصوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم يصل الى بوضوح من ميكرفون اذاعة السجن . وهكذا أنام على انغام احبها ، وافتح عيني على تلاوة القرآن الكريم في الصباح . فيستريح قلبي ، وتطمئن نفسي ، واحس أن آيات الله هي بلسم يشفي كل جروح روحي .

احمد الله أن الماء المثلج أصبح الآن يصل الى ! ان الماء المثلج هو مشروبي الوحيد في الصيف والشتاء . جرعة الماء المثلج تسكرني وتملأني نشوة . كتبت مرة اقول ان كوبا من الماء المثلج في الصيف الذ من قبلة من أجمل امرأة في العالم ! فاذا كان الامر كذلك فانا اقبل يوميا عشر ملكات جمال ، لانني أشرب كل يوم عشرة أكواب من الماء المثلج !!

اذا امكن شراء ترموس احتياطى للثلج اكون شاكرا . اننى اشعر بفزع كل يوم ان يحدث لترموس فاتن حمامة مكروه ، ولا اجــد ترموس كبيرا للثلج . وهكذا احرم من تقبيل اجمل امراة فى العالم .

ويهمك ان تعرف شيئا عن الزنزانة التى اقيم الآن فيها . الجــزء السفلى منها مدهون باللون الأزرق ، والجزء الأعلى باللون الأبيض. ومن المصادفات الغريبة ان لون البطانية أزرق ، ولون الباب أزرق ، ولون النافذة ازرق ، وبذلتى المعلقة على الحائط زرقاء وأنا أحب اللون الأزرق واستريح له ، ففيه زرقة السماء ، وانا اشعر بأننى نائم فى السحاب !

رسالة سرية !

سجن الاستئناف

١٩ أغسطس سنة ١٩٦٦

عــزيزتى

انتقلت اليوم من سجن القناطر الى سجن الاستئناف

جاءتنى زيارة أمس بسجن القناطر . تلقيت فيها رسالة سرية بأن الرئيس صدق على الحكم وهو يقضى بالأشغال الشاقة المؤبدة . عدت من الزيارة ودخلت عنبر المسجونين السياسيين وانا اضحك ، التف حولى زملائى فرحين مهللين . تصوروا من ضحكى اننى علمت انه تقرر الحكم ببراءتى ! قلت لهم اننى علمت أنهم سيحكمون على بالأشغال الشاقة المؤبدة . وجموا وذهلوا . دهشوا أن اضحك بعد أن سمعت بالخبر الرهيب . أننى ضحكت لأننى أعلم أن الرواية لم تتم فصولا ! ليست هذه هى نهاية القصة ولكنها بدايتها . ثم جاءت الأنباء بأنه صدر قرار بنقلى وحدى من سجن القناطر الى سجن الاستئناف ، وذلك حتى اخــرج من هناك غدا لسماع الحــكم . أسرعت أجمع أمتعتى . وساعدنى زملائى فى عملية الربط والعزال . وضعونى فى سيارة لورى صغيرة راحت تنهب الأرض من القناطر الخيرية الى باب الخلق ! وجدت وجوها جديدة فى السجن ، ولكن صداقاتى القديمة لا تزال موجودة . أمضيت الوقت أجمع معلومات عن ليمان طره وليمان أبو زعبل . قيل لى أننى لن أنقل الى واحد من الليمانين الا بعد أسابيع من صدور الحكم . احساسى الشخصى أن الحكم على سيخرج بطريقة مسرحية . تلقيت رسالة من أحــد تلاميذى بأن المطلوب أن يحكم على فى زفة .. وتهاجمنى الصحف ، وتلعننى الاذاعة ، وتنشر مقالات مأجورة ضدى فى صحف العالم العربى ! لم أنزعج ! أننى لا أحب أن أموت « فطيس » ! كل هــذا

الاهتمام يدل على ان احدا لم يقتنع بادانتى ، وان كل هذه المجهودات تبذل لاقناع الناس بأننى مجرم ! لو كان الرأى العام هو المسجونين والسجانين والضباط ، فهذا يؤكد ان الرأى العام معى . انها معركة بين الحق والقوة . وقد تنتصر القوة فى المعارك الأولى ، ولكن النصر للحق فى المعركة الاخيرة ! اننى اشعر براحة غريبة بعد ان عرفت الحكم . معنى ذلك اننا وصلنا الى قمة المهزلة ! ان قمة الظلم فى رايى هى دائما بداية الطريق نحو العدل !

ان الله معى . وهو اقوى آلاف المرات من حكم الأشغال الشاقة المؤبـــدة ! .

محاكمة ...

سـجن الاستئناف

٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٦

كان اليوم موعد الحكم .. حملونى فى موكب عسكرى الى مجلس الثورة . الحراسة مشددة . الجنود المدججون بالسلاح يمـلأون الطرقات . رجال الشرطة السريون يقفون على الأرصفة لماذا يريدون اخفائى عن العيون .. لعلهم يظنون أنهم يرتكبون جريمة !

أحكام اعدام بالجملة . أحكام أشغال شاقة بالدستة ! هذا هو الفريق الدجوى قاضى آخر الزمن ! لم يجرؤ الدجوى على مواجهة المتهمين بالأحكام الظالمة التى أصدرها عليهم ، بل أرسل ضابطا صغيرا يتلو علينا الأحكام فى غرفة صغيرة فى مبنى مجلس الثورة واختفى القائد الهمام فى الاسكندرية !!

وكان الضابط يقـرأ الحكم من ورقة ، واستطعت أن أقـرأها بالمقلوب . قبل أن يتلو الحكم على ! ولم يتصور أحد أننى أعرف الحكم ربما قبل أن يعرفه الدجوى !

وعندما انتهى الضابط من تلاوة الحكم قلت بصوت جهورى :

ـــ أنا برىء .. وسوف يثبت التاريخ أننى برىء . اننى مؤمن بالله وببلادى ، وهذا الايمان هو الذى يؤكد لى أن الحق لابد أن يظهر فى يوم من الأيام ! اننى أعطيت بلادى فنى وفكرى وعمرى وأننى آسف أن هذا الحكم سيحرمنى أن أخدمها أكثر مما خدمتها . وأنا أعتقد أن هذا الحكم رصاصة خاطئة أطلقت أثناء المعركة وأصابت أحد جنود هذا الوطن وليبارك الله فى خطوات بلادى ، ولو داست فى طريقها على حريتى وحياتى . وقد دهش الحراس لقوة أعصابى.

ولأننى قابلت الحكم بهذه الشجاعة وبالايمان بأن براءتى لابد أن تظهر في يوم من الأيام !

وأخرجونى من الغرفة ، ليدخلوا حسين توفيق وزملاءه الذين حكم عليهم الدجوى بالاشغال الشاقة المؤبدة !

قال لى أحد الضباط هامسا أن الذين صدر الحكم ببراءتهم فى القضايا الأخرى لن يفرج عنهم . وأن أحكام البراءة هى أحكام مسرحية للرأى العام ، وأن المحكوم ببراءته سوف يوضع فى المعتقل!

حمدت الله على أنه لم يحكم ببراءتى !

عدت الى سجن الاستئناف . قال لى المأمور آسفا : ان الأوامر صدرت بأن اخلع ملابسى المدنية بعد صدور الحكم ، وأن أرتدى ملابس السجن . طيبت خاطره ، وقلت له انى أعتقد أن الملابس لا تهين الرجل ، وانما الرجل هو الذى يهين الملابس ! وانا لا يهمنى أن أرتدى ملابس السجن الزرقاء ، وانها عندى مثل بدلة التشريفة الموشاة بالذهب التى كان يرتديها الوزراء فى العهود الماضية !

ودهش الرجل لاننى أستقبل هذا التغيير الكبيرفى حياتى بكل هذه البساطة . قال لى أحد الضباط أنه صدر قرار بنقلى الى ليمان طره ، وأنه أحيط بسرية تامة وسينشر فى الصحف على أنه تقرر نقلى الى ليمان أبو زعبل حتى يضللوا الذين يريدون خطفى .. ضحكت لقلة عقل ولاة الأمور !

قال لى الضابط وهو حزين : ان أمرا قد صدر بأن يجردونى من السرير الذى أنام عليه ، لأنه يجب أن انام على الأرض بعد أن صدر الحكم بسجنى بالأشغال الشاقة المؤبدة ..

ونمت على الأرض نوما عميقا مستغرقا ، وكأننى كنت انام فى سرير وثير فى فندق جورج الخامس فى باريس !

فى الصباح جاء ضابط من ليمان طرة لاستلامى . تعمد أن يكون رذيلا معى . منعنى أن آخذ ملابسى الداخلية أو سجائرى أو مناديلى! تعمد أن يكون رذيلا وقليل الأدب معى . كان يختلف كل الاختلاف عن كل الضباط الذين رأيتهم فى سجن الاستئناف أو سجن القناطر . قررت أن أضبط أعصابى . تحملت وقاحته . قررت إلا أشكو منه لأحد خشية أن يرقوه الى رتبة اللواء !



هرب الدجوى !!
فى اللحظة التى وقف فيها المدعى العسكرى يتلو على الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة ، لم يجرؤ الدجوى على حضور الجلسة ليتلو الاحكام!



بعد سماع الحكم قلت للمدعى العسكرى . اننى برىء .
وسوف يثبت التاريخ أنى برىء

الليلة الأولى

سجن ليمان طره

٣١ اغسطس ١٩٦٦

ادخلونى الى عنبر « الايراد » ! زنزانة صغيرة جدا ! اقرب الى « الجب » منها الى الغرفة . لا نوافذ فيها . طاقة فى اعلى الزنزانة يدخل منها الهواء على استحياء . الشمس ممنوعة من الدخول . لا مقعد . لا كرسى . لا مائدة . لا سرير . نصف بطانية سوداء ممزقة !

اغلقوا الباب دون أن يكلمني احد . لم يحاول أن يخبرني احد عن التعليمات او النظام . فهمت أن المدير غير موجود ، ولهذا لا يجرؤ أحد على أن يتحدث معى ! ليس معى القرآن لأقرأ فيه . ولا جريدة ولا مجلة ولا كتاب . ولو كان معى كتاب ، فكيف كنت أستطيع أن اقرأ فى هذا الظلام الدامس . رأيت على جدران الزنزانة جيوشا جرارة من مختلف الحشرات . كلها تمشى فى طوابير منتظمة . ناموس . بق . صراصير . ذباب . أنواع من الحشرات لم أرها طوال حياتى ! أمضيت ساعة كاملة أراقبها ثم بدأت أضع خطة حربية لاعلان الحرب عليها . خلعت حذائى ، وبدأت أقتل الصراصير ، لم ألبث أن شعرت بتعب . توقفت وأنا أقول لنفسى : هذا عصر الصراصير !

سمعت اقداما تزحف على سطح الزنزانة . أطل مسجون براسه وقال لى : كل المسجونين بقلوبهم معك ! ماذا تريد .. ؟ كان أشبه بالجان فى قصة الف ليلة وليلة يقول : شبيك لبيك عبدك بين يديك !

قلت له : لا أريد شيئا .. أريد اخبارا !

قال : تريد جريدة الأخبار ؟

قلت : لا .. أريد أن اعلم هل سأبقى فى هذا « الجب » باستمرار ..

قال هامسا : انهم سيخلون لك طابقا باكمله فى عنبر واحد .. ان الأوامر صدر للمسجونين السياسيين بالا يكلمك احد ، وستكون وحدك فى هذا الطابق !

قلت : وهل عنبر واحد كويس ؟

قال : جنة بالنسبة للمكان الذى انت فيه الآن !

قلت : ومتى ساذهب الى الجنة ؟

قال ضاحكا : بعد ان تبقى بضعة ايام فى النار !

وانصرف المسجون بعد ان اصبح المخبر الأول فى أخبار اليوم الجديدة التى بدات انشئها فى ليمان طرة !

وبعد ان انصرف تذكرت اننى نسيت ان اطلب منه طعاما ! اننى لم أفطر ، فقد نسوا ان يقدموا لى افطارا ، ولم اتناول غدائى فقد نسوا ان يقدموا لى غدائى ، ولماتناول عشائى !

واحسست بالجوع .. وقلت لنفسى فلأعتبر اليوم الأول فى ليمان طره صياما . ولكن عصافير بطنى صرخت وولولت .. ! وحاولت ان اقاوم فعجزت واقبل الليل الموحش فازددت جوعا . وأخذت أدق الباب بيدى ، واقبل الحارس ، وقلت له : اريد طعاما .. ! فقال الحارس : ان الوقت متأخر وقد نسوا ان يضعوا اسمك فى قائمة الطعام .. فانتظر الى الصباح ..

قلت : اننى جائع !

واذا بالحارس يدخل لى من ثقب الباب قطع جبن رومى صغيرة ، واجزاء صغيرة من رغيف عيش افرنجى .

والتهمت الخبز والجبن ، وكأننى مدعو الى مأدبة ملكية !

لقد نظرت الى الكوة التى ادخل منها الحارس الخبز والجبن الرومى كأنها طاقة من السماء ..

وعرفت بعد ذلك أن الحارس أعطانى عشاءه .. كل عشائه !

وحزنت لأننى لم أستطع أن أرى وجهه . ولكننى سوف أعثر عليه . انى سأعيش طول حياتى مدينا لهـذا الرغيف الافرنجى وقطعة الجبن الرومى !

معركة مع الصراصير

سجن ليمـــان طـــره

٤ سبتمبر سنة ١٩٦٦

نقلوني الى عنبر واحد . عنبر المسجونين السياسيين . خصصوا الطابق الرابع كله لي وحدى ! أخلوا خمسين زنزانة من المسجونين حتى أكون وحدى فى الطابق كله ! المسجونون يخافون أن يتحدثوا الى . الضابط شومان ضابط العنبر قال للمسجونين السياسيين ان الأوامر تقضى بأنه اذا ضبط مسجون يتحدث معى ، يوضع فورا فى سجن التأديب ، ويحرم من جميع الامتيازات !

كدت انسى الكلام .. مضى اسبوعان لم اسمع كلمة من احد !

أنا اسلى وقتى بقتـــل الصراصير واحصائها ! أحاول أن اقنع نفسى بأن بلادى لن تحقق الخلاص الا اذا قضت على كل الصراصير فيها ! واتصور وأنا اقتل الصراصير على جدران الزنزانة أننى اقوم بمعركة سياسية !! فى احـــدى الليالى قتلت ١٦٤١ صرصارا من مختلف الأشكال والأحجام ، وبعضها أنواع أراها لأول مرة فى حياتى ، وفى ليلة أخرى قتلت ٨٩٢ صرصارا ، وفى ليلة ثالثة قتلت ١٠٤٣ صرصارا !

حاولت مقاومة الصراصير بمسح جدران الغرفة بالفنيك ، ولكن يبدو أن الصراصير هنا أقوى من الفنيك ! اكتشفت أن الزنزانات المغلقة تتكاثر فيها الصراصير ، تماما كما يحدث فى المجتمعـــات المغلقة ، ففيها تكثر الصراصير .. ! أننى أفتح النوافذ لتـــدخل الشمس والهواء !

مضى على فى الليمان ١٣ يوما . كل يوم أحسن من سابقه !

فى اليوم الأول جاءنى فى « جب » عنبر التأديب ثلاثة أطباء من

السجن ، كشفوا على كشفا دقيقا ، وجدوا آثار التعذيب ، كتبوا تقريرا قالوا فيه انني مريض بالسكر والنقرس والروماتيزم الحاد ، وفى حالة صحية سيئة ، تستوجب نقلي فورا الى مستشفى السجن لعلاجي والاشراف المستمر على صحتى المتدهورة !

قال مدير الليمان انه يجب أن يستأذن مدير المصلحة !

قال مدير مصلحة السجون انه يجب أن يستأذن نائب وزير الداخليـة .

قال نائب وزير الداخلية انه يجب أن يستأذن رئيس الوزراء .

قال رئيس الوزراء يجب استئذان الرياسة .

وقالت الرياسة « يوضع فى زنزانة عادية ، ويكتب على بابهـا ورقة « ملحق بالمستشفى » !!

وكان ان نقلت الى زنزانة صغيرة فى عنبر واحد ، وضعوا على بابها ورقة بيضاء مكتوبا عليها « ملحق بالمستشفى » !

وقال لى الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء المستشفى أن هذا سوف يصبح تقليدا . كل مسجون سياسى يمرض مرضـا خطـيرا سنلصق على باب زنزانتـه ورقة مكتوبا عليها « ملحق بالمستشفى » !! واصر الأطباء على أن أنام على سرير ، وسمحوا لى بفسحة ساعتين كل يوم وشربت ماء مثلجا مرتين خلال أسبوعين، ودخنت سجائرى كالمعتاد ، وارتديت بذلة بيضاء بصفتى مريضـا « ملحقا بالمستشفى » واصبحت أنام فى البذلة الزرقاء كأنها بيجاما ، وهذا تقدم لو تعلمون عظيم !

وطلبت التصريح لى بقراءة الجرائد اليومية والأجنبية . وأنـا غير مسموح لى حتى الآن بقراءة الصحف ، ولكنى نظمت عمليـة لتهريب صحف الصباح ، وقـراءة الصحف بالنسبة لصحفى مثلى كالهواء والماء . ولولا أننى أسمع الأخبار من اذاعة السجن لاختنقت.

زنزانتى هنـا أصغر من زنزانتى فى سجن الاستئناف أو سجن القناطر . فيها سرير أبيض عليه مرتبة ووسادة وبطانيتان . استعمل بشكير الحمام كغطاء . ليس فى الزنزانة شماعات . أضع حاجاتى

فى صندوق من الورق المقوى . عندى نافذة تطل على فناء السجن ، وهى نافذة ليست عالية . استطيع ان اطل منها دون حاجة الى ان اقف على كرسى ، ولا احتاج ان أتشعبط على حديد السرير لأطل على الهواء الطلق ، زنزانتى فى الطابق الرابع . استيقظ مع اذان الفجر . أرقد فى فراشى الى ان تشرق الشمس . هنا تبدأ معركتى اليومية مع الصراصير . ثم اسمع القرآن فى الاذاعة وحديث سامية صادق « صباح الخير » وبعض الأغانى .

فى الساعة الثامنة يفتح الحارس باب زنزانتى . كنت لا اتناول الافطار قبل الساعة الثانية عشرة ظهرا فى انتظار وصول الخبز الطازج من مخبز السجن . ومع الأيام تعلمت ان آكل الخبز البايت ! وأؤجل العيش الساخن الى الغـداء . وامشى فى ردهة السجن ذهابا وايابا أمام نافذة كبيرة تطل على النيل . منظر النيل هنـا جميل . الأشجار حوله وكأنها تعانقه . هذا منظر كنت محـروما منه فى سجن الاستئناف . وصوت الراديو هنا جميل وليس مزعجا كالاذاعة فى سجن الاستئناف . وهنا حلاق لبنانى يحلق لى ذقنى . والحلاقون مشهورون بكثرة الكلام ، ولكن ميزة حلاقى أنه أخرس ، ولهذا لا يتكلم ابدا !

والأيام الأولى فى السجن هى دائما أصعب الأيام . ولكن الله دبر كل شيء . أصبحت أيامى الصعبة محتملة كثيرا . وكل يوم تحدث لى معجزة . منذ دخولى السجن لم أشرب قهوة . صديق مجهول هرب لى قهوة ! وسأبدأ أشرب القهوة من اليوم . كنت أحمل هم مبلغ الجنيهات الخمسة التى صرحوا لى بها كل شهر . أنها لن تكفى لشراء طعامى وسجائرى وحاجاتى . ولكن الله كريم . النـاس الطيبون أجدهم فى كل مكان . ان كثيرين منهم يحدثوننى بالاشارة لأن الكلام ممنوع . أحيانا يقطع لى مسجون وردة من حديقة السجن ويقدمها لى ويهمس فى أذنى بخبر لا أعرفه .

ما زلت محروما من الكلام مع زملائى المسجونين . قيل لى ان هذا اجراء وقتى سوف يستمر بضعة أسابيع لأننى ما زلت تحت التجربة . وعندما اقارن بين حياتى فى الليمـان وحياتى فى سجن المخابرات او السجن الحربى أؤمن بأننى هنا فى الجنة فعلا !

ستقصنى هنا أخبار أخى على . فقد حرمت منها . تعودت كل ليلة قبل ان انام أن أوجه رسالة روحية ، وأتلقى منه ردا عليها من لندن. أننى أعتقد أن على لا يزال متفائلا ، ولا يزال واثقا من أن نور الفجر سيملأ حياتنا من جديد .

الواقع أن هذا الحكم ، والحملة الضارية التى شنوها على لم تزعزع ايمانى ببلدى ولا حبى لوطنى ، ولا ثقتى فى أن الحق لابد أن يظهر ، ولقد كنت مستعدا طول حياتى أن أقدم حياتى لوطنى .. أن كل ما قدمته الآن هو حريتى !!

في الطريق إلى المذبحة!

ليمـــان طـــره

عـــزيزتي

فى أحد أيام شهر يونيو سنة ١٩٥٧ كنت جالسا فى مكتبى فى أخبار اليوم عندما اتصـــل بى قسم الاستماع بأخبار اليوم وأخبرنى أن اذاعات العالم تذيع أنه حدثت مذبحة فى سجن ليمان طره ، وأن أكثر من عشرين مسجونا من الاخوان المسلمين قتلوا فى زنزاناتهم ، وان أكثر من خمسين منهم جرحوا ! واتصلت على الفور بوزارة الداخلية وسألت عن حقيقة الخبر ، فأكد لي مسئول كبير فى الوزارة ان الخبر كاذب ولا أساس له من الصحة . واتصلت برياسة الجمهورية وسألتهم عن حقيقة النبأ ، فأكدت لى الرياسة أنها أكذوبة استعمارية أطلقتها اذاعات الاستعمار ومقصود بهـــا تشويه سمعة مصر فى عيون العالم !

وصدقت هذا التكذيب الرسمى الى ان دخلت سجن الاستئناف واذا بأحد الحراس يعترف بأنه اشترك فى المذبحة ، وأن الأوامر التى كانت لديه بقتل جميع المسجونين السياسيين الموجودين فى الطـــابق الثالث فى العنبر رقم واحد بليمان طره ، وفى سجن القناطر قابلت عددا من الحراس الذين حملوا القتلى بعد المذبحة من العنبر الى مستشفى السجن ، وكان الخلاف الوحيد فى الرواية أن بعضهم قال ان عدد القتلى كان عشرين قتيلا ، والبعض الآخر قال أن عددهم كان واحدا وعشرين قتيلا !

وعندما نقلت الى ليمان طره لاحظت وانا اتفحص زنزانتى فى الطابق الرابع فى عنبر واحد ان جدران الزنزانة فيها عدد من الخروق، وسألت عن هذه الخروق فقيل لى انها رصاص مذبحة طرة !

وبدأت أحقق بنفسي في هذه المذبحة الخطيرة ، وسمعت شهودها الذين بقوا على قيد الحياة . .

ان القصة بدأت قبل أول يونيو سنة ١٩٥٧ ، وهو يوم المذبحة ، بزمن طويل ؛ بدأت هذه الفترة في اكتوبر عام ١٩٥٥ واستمرت حتى أول يونيو سنة ١٩٥٧ . كانت التعليمات قد سبقت وصول المسجونين السياسيين من الاخوان الى ليمان طره باستعمال أقسى طرق العنف معهم . ونفذت ادارة السجن أوامر الارهاب بدقة تامة . ولم يذق المسجونون السياسيون في تلك الفترة يوما واحدا من الراحة والهدوء . التفتيش مستمر . يدخل الضابط الزنزانة ويرمي محتوياتها في الخارج . يدوس بقدميه على الطعام . يتعمد اثارة المسجونين واهانتهم ومحاولة اذلالهم . أوامر بالاحتكاك المستمر بالاخوان المسجونين الذين يعملون في تكسير الأحجار في الجبل . كانوا يأمرونهم بالخروج الى الجبل بعد فتح الزنازين مباشرة . يمنعونهم أحيانا من دخول دورات المياه . أو يؤنبونهم ويحطمون معنوياتهم ويسخرون منهم قبل أن يسمحوا لهم بدخول دورات المياه. وكان مطلوبا من كل مسجون سياسي أن يكسر كمية معينة من الاحجار ، ويكومها ثم يفرغها في عربات السكك الحديدية ، وأي نقص في الكمية يعرض المسجون السياسي لدخول التأديب ، وارتداء الملابس الحمراء ، وفي هذه الحالة يطالبون بضعف المقطوعية المقررة من الاحجار ! ومن يعجز عن تكسير الكمية المقررة يتعرض للجلد !

وفي الجبل الشكوى ممنوعة . لا مراعاة لظروف سجين ضعيف أو مريض أو كبير في السن . وفي وقت من الأوقات بلغ عدد الاخوان الذين وضعوا في سجن التأديب اكثر من خمسين مسجونا ؛ كانوا يخرجون الى الجبل في الملابس الحمراء ويطالبون بمضاعفة كمية تكسير الاحجار !

وتعرض بعض المسجونين السياسيين لضربات الشمس في الحر الشديد . سقط عدد منهم مغمى عليه . رفض المسئولون احضار سيارة اسعاف . قالوا أن سيارات الاسعاف لا تحمل الكلاب ! تذمر المسجونون . نفخ الضابط في البوق يعلن «كبسة على الجبل» ونزل المسجونون السياسيون وهم محاصرون بالجند المسلح وفي

جو من التهديد والارهاب الى أن وصلوا الى الليمان . فى اليوم التالى قامت حملة من الحـــراس وهاجمت الزنازين وفتشتها ، وجردت المسجونين السياسيين من كل ما يملكون !

وصدر قرار بمنع المسجونين من الاخوان من تأدية صلاة الجمعة الجماعة . وحدث مرة أن ضبط المدير عددا من الاخوان يصلون العصر ، فى الدور الثالث ، فأمر بعقاب جميع المسجونين فى الدور الثالث . الذين يصلون . . والذين لا يصلون !

وكان المسئولون فى السجن يتلقون أوامر بالاعتداء المستمر على المسجونين من الاخوان ، وكانوا يفتعلون معهم المعارك ، وفى سنة ١٩٥٦ اتهموهم بأنهم تأخروا قليلا فى الخروج الى الجبل ، وقامت فرقة من الحراس بضربهم أمام العنبر ! وكادت تحدث مجزرة ، لولا أن اللواء حسن سيد أحمد مدير الليمان وصل فى هــذه اللحظة ، وأمر بسحب جنود الكتيبة والحراس وأقفال العنبر ، وأودع ١٢ من المسجونين السياسيين الذين أصيبوا فى الحادث فى سجن التأديب واستصدر أمرا بجلد بعضهم ٣٦ جلدة ، وضرب الآخرين ١٢ جلدة.

وفى أوائل عام ١٩٥٦ اشتدت المعاملة سوءا ، وصدرت أوامر بالاحتكاك بالمسجونين السياسيين من الاخوان أثناء الصلاة ، وفى أثنـــاء زيارة أهلهم ، وكان المسجونون السياسيون يضـــعون على رؤوسهم فى الجبل أثناء العمل أغطية للرأس ، شأنهم شأن باقى المسجونين ، فصدرت الأوامر بأن يستثنى المسجونون السياسيون من ارتداء أغطية الرأس ، حتى لا يقوا رؤوسهم من الشمس ! وفى أيام الجمع كان الحراس يفتحون أبواب الزنازين لكل المسجونين ، ما عدا المسجونين السياسيين . وعندما ذهب عدد من الاخوان الى الضابط المسئول يحتجون قال لهم « أنا ح أخلى حجراتكم كلها برك دم » !.

وبلغ تعنت المسئولين مع المسجونين السياسيين حدا يؤسف له. كانوا يحرمون عليهم استلام أى طعام أو مأكولات من أهلهم أثنـــاء الزيارة . كانت التعليمات الا تزيد مدة الزيارة على دقائق معدودة . وكان المسجونون اليهود المحكوم عليهم فى قضـــية فضيحة لافون

يقيمون معهم فى نفس العنبر . وكان يكسر قلب المسجون السياسى المصرى أن يرى الدولة تعامله معاملة المنبوذ ، بينما كان المسجون السياسى اليهودى يعامل فى الليمان باحترام واجلال ! وكان المضحك أن هؤلاء اليهود كان مباحا لهم الانتقال كما يشاءون فى أنحاء السجن . أما المسجون السياسى المصرى فكانت تقفل عليه الأبواب . وكانت الادوية تصل الى اليهود من الخارج . أما المسجون السياسى المصرى فكان اذا وجد العلاج لا يجد الدواء !

وفى اوائل عام ١٩٥٧ كانت ورش الليمان فى حاجة الى أيد عاملة . وفى هذه الحالة تخفض مدة تكسير الاحجار فى الجبل من ٢٦ شهرا الى ٢٤ شهرا لتوفير هذه الأيدى العاملة . ويمكن لكل مسجون أمضى ٢٤ شهرا فى الأشغال الشاقة فى الجبل أن يطلب « التخزين » اى النزول من الجبل . وتقدم عدد من المسجونين السياسيين الاخوان الذين أمضوا المدة يطلبون انهاء عملهم فى الجبل . واذا بخطاب رسمى يجىء برفض أن يستمتع المسجون من الاخوان بالحق الذى يتمتع به سائر المسجونين ، وأن يستمر عملهم فى كسر الأحجار فى الجبل حتى لو انتهت المدة .

وفجاة يجىء أمر بحلق شعور جميع المسجونين السياسيين ، ويجتثون شعورهم الى رقم زيرو !

وجرت عادة السجون والليمانات منذ عشرات السنين على أن تحترم ادارتها شهر رمضان فتوقف تفتيش الزنازين خلال شهر رمضان .. ! واذا بالأوامر تجىء بوقف تفتيش جميع المساجين ما عدا الاخوان .. !

وجىء لليمان بمدير جديد قيل انه هو الذى أمر بتعذيب المسجون السياسى الشيوعى شهدى بطرس حتى الموت .. وانه أختير لكى يفعل بالمسجونين السياسيين فى ليمان طره ما فعل بهم فى ليمان أبو زعبل .

اننى أسمع الآن تحذيرا بأن ابواب العنبر تفتح ، وانهم سيجيئون لتفتيش زنزانتى !

اتركك الآن وسوف أتم لك القصة فى الخطاب القادم »



الحرس يضع فى يدى القيد الحديدى ، بعد صدور الحكم ،
فى الليـورى الذى حملنى من المحـكمة الى السجن ..

مذبحة طرة!

سجن ليمان طره

اعود اليوم لاستئناف الحديث عن مذبحة طرة . كان ذلك فى يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٥٧ ، وحضر اهالى المسجونين السياسيين من اهل شبرا فى مجموعة واحدة لزيارة أولادهم . الزيارة من وراء السلك كاقفاص القرود بمعنى أنه يفصل بين الأهالى والمسجونين ستار من السلك السميك ، حتى لا يتصافحوا ، ولا يقبلوا بعضهم بعضا . هذه هى حقوق الآدميين . أما المسجون السياسى فى مصر فهو حيوان يجب أن يعامل معاملة الحيوانات . لا يصافح زوجته . لا يقبل أولاده . يفصله حاجز مزدوج عرضه نصف متر ، حتى لا يهمس ، وحتى تناقش المسائل العائلية علنا ! المسجون لا ينفرد بأسرته . كل عشرين مسجونا يدخلون معا الى القفص تختلط الأصوات . تضيع الكلمات . يستمر اللقاء دقائق معدودة . فى هذه اللحظات المكهربة التعسة دخل أحد الضباط وأمسك بالمسجون السياسى عبد الغفار السيد واتهمه بأنه استلم من أسرته بعض المأكولات من خلال ثقب مفتوح فى السلك ! يا للجريمة العظمى . القاتل مسموح له أن يتسلم من أهله طعاما أثناء الزيارة ، أما المسجون السياسى فمحرم عليه أن يستمتع بالحق الذى يستمتع به القاتل أو السفاح ! وذعرت النساء . وبكى الأطفال من صراخ الضابط فى المسجون السياسى الذى خالف التعليمات . وطلب المسجونون السياسيون من الضابط أن يؤجل شخطه ونطره ، وتوبيخه وتأنيبه حتى تنصرف الزوجات والأطفال ! واذا بالضابط يقرر معاقبة جميع المسجونين السياسيين بقطع الزيارة ، وحرمانهم منها ، لأن مسجونا سياسيا واحدا خالف التعليمات وتسلم طعاما من أهله ! وصاح الضابط فى المسجونين السياسيين أمام أمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم :

— والله العظيم لأحرقكم بجاز !

ودفع الحراس الاطفال والنساء بأيديهم الى خارج السجن وهم يبكون ويصرخون حزنا على اولادهم وآبائهم واخوانهم الذين أقسم الضابط أمامهم أن يسكب عليهم البترول ويحرقهم أحياء بالنار !

واجلسوا المسجونين السياسيين على الارض أمام عنبر التأديب ، وجاء ضابط كبير يقول لهم كل من تسلم من أهله لقمة عيش يجب أن يسلمها !

وسلم المسجونون السياسيون ما معهم من لحم أو فاكهة أو حلوى للحراس ! ومن سخرية القدر أن الحشيش والأفيون وزجاجات الخمر كانت تهرب الى داخل السجن للمسجونين العاديين ، ويحرم الطعام البسيط على المسجونين السياسيين !

وصدر امر بادخال ١٤ مسجونا من الاخوان فى غرف التأديب ، وقيدت ايديهم بالقيود الحديدية خلف ظهورهم .. وصدر الأمر بالقبض على الأهالى .. نعم القبض على النساء والأطفال .. وجروهم مقبوضا عليهم الى قسم المعادى . وحررت لهم محاضر بأنهم خالفوا التعليمات وهربوا طعاما الى ذويهم المسجونين السياسيين ! وأبقوهم مقبوضا عليهم حتى المساء ثم افرجوا عنهم بعد أن هددوهم بالسجن اذا عادوا واعطوا ذويهم من المسجونين السياسيين لقمة عيش !

وفى صباح اليوم التالى صدرت الأوامر بتجريد الأخوان المسلمين فى التأديب من ملابسهم ، وحلق شعورهم ، ثم دخل عليهم مأمور أول الليمان وقال لهم :

ــ احنا مبيتين لكم دقة ! ح نخليكم تمشوا على العجين ما تلخبطوهوش !

وفى نفس اليوم ، ٢٩ مايو سنة ١٩٥٧ استدعى مدير الليمان أطباء السجن وأمرهم باخراج جميع المرضى من المسجونين السياسيين الاخوان من الملاحظة الطبية .

والملاحظة الطبية هى أن يعامل المسجون معاملة المريض ، ويبقى تحت العلاج خارج مستشفى السجن ، وفى هذه الحالة لا يخرج الى الجبل يكسر الأحجار ، ويتناول طعاما صحيا .

واعترض الأطباء على هذا الأمر ، وقالوا ان المسجونين السياسيين الموضوعين تحت الملاحظة مرضى فعلا ، وخروجهم من الملاحظة الطبية خطر على حياتهم ! وقال لهم مدير الليمان أن هذه اوامر « من فوق » وأن أى طبيب لا ينفذ هذه التعليمات سيجد نفسه مسجونا فى احدى الزنزانات !

وقال الأطباء أن بعض المسجونين السياسيين المرضى قدموا من سجون أخرى للعلاج ..

وقال المدير أن الأمر يشمل الجميع .. المرضى وانصاف الموتى ! وأن الجميع يجب أن يكسروا الأحجار فى الجبل !

وشاع بين المسجونين السياسيين أن الغرض من ارغام المسجونين السياسيين على العمل فى الجبل برغم مرضهم وسوء حالاتهم الصحية ، ان الأوامر صدرت بقتلهم فى الجبل واتهامهم بأنهم حاولوا الهرب !

وقال لى بعض الحراس انه حدث فى أثناء القبض على أهالى المسجونين السياسيين ان حاول أحد الضباط أن يضع يده فى صدر احدى السيدات من أهالى المسجونين ، فثارت السيدة ، وكان هذا الحادث هو القشة التى قصمت ظهر البعير ! ولكن المسجونين السياسيين الذين كانوا موجودين فى ذلك اليوم قالوا أنهم لم يروا شيئا كهذا ، وأنه اذا كان وقع فيكون قد وقع اثناء نقل الأهالى المقبوض عليهم الى قسم المعادى .

ولكن هذا الجو المشحون المكهرب الملىء بالارهاب والاستفزاز والرغبة فى اذلال المسجونين السياسيين جعل أعصابهم متوترة ، ينتظرون بين لحظة وأخرى أن تنقض مطارق الانتقام فوق رؤوسهم! وجوه الضباط عابسة مكشرة . عيونهم مليئة بالشرر . الحراس يؤكدون للمسجونين السياسيين إن النيـة متجهة للتخلص منهم ! لماذا ؟ لأن واحد منهم تسلم طعاما من أهله أثناء الزيارة ؟ ! هذا غير معقول .. لابد أن هناك جريمة لا يعرفونها جعلت الأوامر تصدر بالتنكيل بهم ! كل شىء فى السجن يكشر فى وجوههم . حتى القضبان!

لقد قيل لهم صراحة بأنهم « أعداء الدولة » و « ذبحهم حلال » !!
ولم يصدقوا هذا التهديد . تصوروا أن أحد الضباط يهز أعصابهم . . .
ولكنهم فى اليوم التالى فوجئوا بأنه لم يكن تهديدا ، وانمـــا كان أحد أخبار الغــد . .

وفى صباح يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٥٧ فتح الحــراس أبواب الزنازين ، وطلبوا من المسجونين أن يــذهبوا الى طابور الجبل ، وهو الطابور الذى يسيرون فيه كل صباح فى حراسة الجنود المسلحين والكلاب البوليسية ليعملوا فى تكسير الأحجار . .

ورفض الاخوان الخروج . وأبلغوا ادارة الليمان أنهم يطلبون وكيل النيابة ، ليسجلوا أمامه أنهم يشعرون بأن الخطر يهدد حياتهم، وانه قيل لهم أن أوامر صدرت بذبحهم . وانهم غير ممتنعين عن العمل ويطلبون تحقيقا فيما أعلنه الضباط من نوايا عدائية نحوهم . .

وحضر مدير الليمان فثاروا عليه ملتمسهم ، فوعدهم بعرض الأمر على الجهات العليا ، وطلب منهم أن يدخلوا الى زنزاناتهم . ودخل المسجونون الى زنزاناتهم ، وقد اعتقدوا أن الأمر سينتهى فى هــدوء . .

وبعد حوالى ثلث ساعة بدأ فتح الزنازين زنزانة زنزانة ، وانزال المسجونين السياسيين الى الدور الأرضى ، وصفهم فى طوابير تحت حراسة مشددة وهمس المسجونون العاديون فى أذن المســجونين السياسيين انه تعد الآن فرقة من الكتيبة التى تقيم فى بناء مجــاور لليمان ، وان هذه الكتيبة تتسلح بالبنادق والعصى والجنازير ، وتعد للهجوم على السجن . .

ثم جاء مدير الليمان مرة اخرى وطلب من المسجونين السياسيين أن يعودوا الى زنزاناتهم ! فطلبوا منه أن يتركهم فى الحوش كباقى المسجونين العاديين ، ويستدعى النيابة . .

وانصرف مدير الليمان دون أن يلتزم بشىء .

وفى الساعة الواحدة ظهرا فوجىء المسجونون السياسيون بفرقة مسلحة من جنود الكتيبة وراوا جزءا من الفرقة يصطف فى الطابق الثانى ، ويصطف الجزء الثانى من الكتيبة فى الطابق الرابع .

وبذلك بقى المسجونون السياسيون من الاخوان محصورين في زنزاناتهم بالطابق الثالث ..

ووقف عدد من كبار الضباط أمام مدخل العنبر في الطابق الأول .. وصاح اللواء اسماعيل همت : اضرب !

وانهال الرصاص من كل ناحية على المسجونين السياسيين من الاخوان في الطابق الثالث .

بلا انذار !

بلا مقدمات !

ولم يكن يخطر ببال أحد من المسجونين السياسيين أن هذا ممكن أن يحدث ، حتى أن المسجون السياسي سعد شوقي كان يقف على كوبرى الطابق الثالث وسمع صوت الرصاص فقال : ان هذا ليس رصاصا حقيقيا ! انه فشنك !

وفجأة أصيب سعد شوقي بعدد من الرصاصات وسقط قتيلا .. قبل أن يعرف أن هذا رصاص حقيقي !

وأسرع المسجونون السياسيون ودخلوا الزنازين ، وأقفلوا أبوابها محتمين بها !

وصدرت الأوامر الى الجنود باطلاق الرصاص من خلال قضبان نوافذ الزنازين !

وسقط قتلى في داخل الزنازين ..

ثم صدر الأمر باقتحام عدد من جنود الكتيبة والحراس المخزن رقم ١٣٦ ، وان يجهزوا على من فيه بالشوم !

والمخزن عبارة عن غرفة كبيرة يسكنها عدد غير قليل من المسجونين السياسيين ولكن عناية الله منعت من تنفيذ هذا الأمر ، فقد انكسرت اكرة الباب ، وفشلوا في معالجتها ، وتركوا المخزن واقتحموا باقي الزنازين .

وفى الساعة الثانية ظهرا توقف اطلاق النار .. ونقل المصابون الى المستشفى وهم ينزفون دما !

وكان يقابلهم فى الطريق بعض الحراس فيأمرهم الضابط بأن يجهزوا عليهم .

ورأى الأطباء جثث القتلى والجرحى فذهلوا .. وقالوا ان الحالات خطيرة جدا ويجب نقلهم فورا الى مستشفى القصر العينى !

وقال مدير الليمان ان الأوامر أن يبقوا هنا !

والتف الأطباء حول المسجون السياسى عثمان حسن يحاولون انقاذه من جروحه الخطيرة !

ولكن معدات الانقاذ فى مستشفى السجن لم تكن كافية وأسلم الروح !

وصدرت أوامر بنقل الجثث الى خارج الزنازين ، وأن يرصوهم فى طرقات العنبر ، لايهام النيابة بأنهم قتلوا وهم فى حالة تمرد خارج الزنازين ! ولكن عندما جاءت النيابة وجدت الدماء على جدران الزنازين من الداخل مما يؤكد ان عملية القتل حدثت والمسجونون داخل زنازينهم !

ثم صدرت الأوامر بالقاء امتعة واطباق المسجونين على أرض الطابق الأول ، حتى يتوهم المحقق انه حدثت معركة استعمل فيها المسجونون السياسيون الأطباق ، واضطر الجنود الى الرد عليها بالرصاص !

أما القتلى الذين عرفت أسماؤهم حتى الآن فهم :

١ — احمد حامد على قرقر بكالوريوس تجارة . موظف بمصلحة التليفونات من دنديط مركز ميت غمر .

٢ — عبد الفتاح محمود عطا الله . ترزى من كفر دهب مركز قويسنا .

٣ ـــ على ابراهيم حمزة صاحب محل قمصان بحلوان من ميت بدر حلاوة مركز المحلة .

٤ ـــ محمد ابو الفتوح معوض . عامل مطبعة بهواش مركز منــوف .

٥ ـــ عثمان حسين عيد . صحفى خريج كلية دار العــلوم . قلعة الكبش . القاهرة .

٦ ـــ خيرى ابراهيم عطية . طالب أزهرى . الخليفة .

٧ ـــ عثمان عزت عثمان الشهير بعصمت . موظف بالجمارك . الســويس .

٨ ـــ عبد العزيز عبد الله الجندى . موظف بالسكة الحــديد . شــبرا .

٩ ـــ ابراهيم محمود ابو الدهب . مدرس . اسكندرية .

١٠ ـــ مصطفى حامد على . طالب . امبابة .

١١ ـــ محمود عبد الجواد العطار . ترزى . اسكندرية .

١٢ ـــ السيد على محمد . تاجر نحاس . اسكندرية .

١٣ ـــ السيد العزب صوان . عامل بشركة النسيج ـــ المحلة .

١٤ ـــ احمدى عبده متولى . بكالوريوس زراعة . شرقية .

١٥ ـــ الحاج رزق حسن اسماعيل . مزارع . قلين . كفر الشــيخ .

١٦ ـــ سعد الدين محمد شوقى . دبلوم تجارة . امبابة .

١٧ ـــ فهى نصر . طالب ثانوى . بهواش . محافظة المنوفية .

١٨ ـــ أنور مصطفى أحمد . مصر القديمة .

١٩ ـــ أحمد محمود الشناوى . العباسية .

٢٠ ـــ محمود محمد سليمان . مهندس بالســكة الحديد . من طمــا .

٢١ ـــ محمد قواره . الدقهلية .

* * *

وفى الخطاب القادم سأحدثك كيف موقب القتلى . وكوفىء القتلة !!

محاكمة القتيل .. ومكافأة القاتل

عـــزيزتى

صدرت الأوامر بمعاملة قتلى مذبحة طرة معاملة المحكوم عليهم بالاعدام . المحكوم عليه بالاعدام لا تشيع جنازته ولا يسمح لأسرته باقامة مأتم له ! .. استدعيت أسر الضحايا ، وتسلمت كل اسرة جثة ابنها . نبهت السلطات عليهم بأن تتم عملية الدفن سرا ، وأن اي اسرة تقيم مأتما لابنها ستتعرض لأشد أنواع العقاب .. صدرت الأوامر باعداد شهود الزور ليحلفوا اليمين بأن القتلى هم المعتدون ! وأنهم كانوا مسلحين بالأطباق ومعلبات الفاصوليا والبامية وغيرها من الأسلحة الفتاكة . وأن المدير الرحيم حاول أن يصرفهم بالحسنى والذوق وأبوا واستكبروا ، ولكنهم اعتدوا عليه بالقول والاشارة . وأن الجنود قتلوا ٢١ مسجونا سياســيا بالرصـــاص دفاعا عن النفس !

وصدرت الأوامر باخفاء انباء المذبحة ، واعتبارها من أسرار الدولة العليا التى لا يجوز الحديث عنها ، والاشارة لها من قريب أو من بعيـــد !

وكان معنى هذا القرار أن توارى المذبحة التراب مع جثث الشهداء الواحد والعشرين !

ولكن أوامر جديدة صدرت بالتحقيق مع الجرحى والمصابين الذين تجرأوا وبقوا على قيد الحياة !

وبدأ أغرب أنواع التحقيق . انه التحقيق مع الموتى !

وأراد المسجونون السياسيون المصابون بالرصاص أن يحكوا حكايتهم مع ادارة الليمان ، وكلما فتح واحد منهم فمه ليروى ما حدث اسكته أحد الضباط ، وقال أن الطبيب أمر بألا يتكلم لأن حالتـــه حرجة وتمنعه من الكلام ..

وحاول بعض الذين اطلقوا الرصاص أن يتكلموا باعتبارهم جرحى ! وارغم عدد من المسجونين على التوقيع على أقوال لم يدلوا بها ، في ظل الضغط والارهاب والتهديد .

ونصبت ادارة السجن كمينا فى طرقات الليمان للاخوان الذين تستدعيهم النيابة ، فاذا اقترب أحدهم من غرفة وكيل النيابة انهالوا عليه ضربا حتى يفقد النطق ، ثم حملوه الى وكيل النيابة وقالوا له أنه فى حالة صحية تمنعه من الكلام !

واعترف احد الضباط بانه صدرت الأوامر الى فرقة من الكتيبة للذهاب الى عنبر التأديب حيث يوجد باقى المسجونين السياسيين الجرحى : وكانت التعليمات بأن تجهز عليهم جميعا .. ثم تدخل أحد الضباط وأنقذ حياة الباقين على قيد الحياة !

وجاء موظف كبير من وزارة الداخلية وسأل مدير الليمان :

ــ كم عدد القتلى ؟

قال مدير الليمان .

ــ ٢١ قتيلا يا افندم .

قال الموظف الكبير :

ــ ٢١ فقط ! ان التعليمات هى ابادتهم جميعا !

وفى يوم الثلاثاء ٤ يونيو صدر الامر بترحيل باقى الأحياء من المسجونين السياسيين الى سجن القناطر ، وتم نقلهم فى الساعة الثالثة صباحا حتى لا يعرف أحد فى المدينة ماذا يجرى !

وكان المسجونون مربوطين فى جنازير من الحديد . وبعد فك الجنازير نقلوا فى دفعات الى الطابق الثانى ، وكانت كل دفعة تتكون من ثلاثة مسجونين . وصدر الأمر لكل دفعة بأن تجرى حول أسوار العنبر بينما تنهال عليهم السياط والعصى والاحزمة الجلدية من أيدى الحراس وقصدوا بهذا اقامة حفلة استقبال للمسجونين السياسيين لارهابهم ولادخال الرعب الى قلوبهم !

وعاش الاخوان ثلاثة شهور فيما يسمونه « التكديرة » . وعملية التكدير هذه هى مزيج من ضرب السياط والتعذيب والحرمان من البطاطين والأبراش ، ومنع المصاحف ، ومنع زيارات أهالى المسجونين ، ومنع ارسال خطابات لأسرهم أو تلقى خطابات ، ومنع شراء حاجاتهم من كانتين السجن ، وعدم قبول أمانات بإسمهم ..

وفى ذلك الوقت كان يمر عليهم ضابط بعريضة تحوى شكر ولاة الأمور على المعاملة الطيبة وتأييد الحكومة فى اعمالها الجليلة !

وفى أثناء عملية التكدير وقعت كارثة ، اذ تجرأ أحد الاخوان من المسجونين السياسيين وأذن لصلاة المغرب !

وقامت الدنيا وقعدت ! هذه جريمة كبرى ! هذه مخالفة للتعليمات ! هذا تحد لسلطات السجن .

وتحول السجن الى جحيم !

وكثرت الأمراض العصبية بين المسجونين السياسيين . أصيب المسجون معوض ابراهيم بانهيار عصبى. أصيب محمد الفاتح بانهيار عصبى . أصيب عبد الحليم شحاته بانهيار عصبى .

كاد يتحول عنبر المسجونين السياسيين بسجن القناطر الى مستشفى للأمراض العقلية !

وصدر الأمر بنقل ١٩ مسجونا سياسيا الى معتقل الواحات .

ثم صدر الأمر بنقل ١٠ مسجونين سياسيين آخرين الى سجن المحاريق !

وكانت جريمتهم انهم رفضوا أن يشكروا الحكومة على معاملتها الطيبة ، كما رفضوا أن يكتبوا تاييدا لها .

لأنها قتلت ٢١ منهم !

التعليمات السرية!!

سجن ليمان طرة

٥ سبتمبر سنة ١٩٦٦

ليس هناك فى الحياة أجمل من أن يشعر المسجون بأن هناك من يحبونه . ان الحب يخفف عذاب الوحدة وألم السجن . وأنا أحمد الله اننى أشعر بحب الناس . هذا الحب يملأ روحى ثقة وهناء وأملا . هذا الحب هو الشىء الوحيد الذى لا يمكنهم أن يؤمموه ، أو يضعوه تحت الحراسة ، أو يودعوه فى السجون والمعتقلات ! وأعتقد أن هذا الحب العظيم قادر على أن يفعل لنا شيئا فى المحنة التى نعيش فيها . اننى أعلم أن الصدمة تهد الجبال . ولكن ايمانى بالله يجعلنى واثقا بأننا سوف نصمد لهذه الصدمة الكبرى ، كما صمدنا لأهوال كثيرة فى الأربعة عشر شهرا الماضية . أنا أعرف ان ايمانى دخل فى امتحانات كثيرة . ولم أعد فى حاجة الى امتحان جديد ، ولكن يظهر ان الأقدار لا تصدق ان ايماننا يمكن أن يكون بهذه القوة وهذا الصمود . وجاءت لنا هذه الضربة الجديدة ، وسوف نتحملها كما احتملنا غيرها . ان الله معنا . لقد أعطانا هذا الايمان الكبير . وأعطانا حب الناس . وهو قادر على أن يعطينا الحرية ، التى نتمناها ، ونصلى لها ، ونعيش من أجلها ! وأنا لا أتصور أن الحرية لن تجىء لى وحدى . وسوف تجىء للبلد كله . سيجىء يوم تفتح فيه أبواب السجون والمعتقلات . سوف تفتح النوافذ كلها والأبواب كلها . سنخرج كلنا الى الهواء الطلق الى الحرية ! اننى لست أحلم . اننى مؤمن بأن هذا اليوم سيجىء . ومن الغريب أن يكتب هذه النبوءة محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، بعد أقل من أسبوعين من صدور الحكم . ولكن العجيب اننى أرى فى هذا الظلام الدامس شعاع الحرية ، وأسمع فى فرقعة سياط الظالمين بشير العدل يقول لنا انه قادم فى الطريق ..

الظلم الكثير يقرب ساعة الظالمين . وانا ارى حولى فى كل مكان جثث المظلومين تتكاثر وتزيد وتتضاعف ، واحس اننى ارى بشـــائر العـــدل !

شربت قهوة لذيذة امس واليوم . مضى على وقت طويل لم اذق القهوة . كنت وانا خارج السجن اشرب ١٧ فنجان قهوة فى اليوم . وكم حاول الأطباء دون جدوى اقناعي بالاقلال من شرب القهوة الى ان جئت الى هنا ، ويظهر اننى دخلت الليمـــان بنـــاء على طلب الأطبـــاء !

المسجونون هنا يسمعون اذاعة القاهرة وصوت العرب وهي تهاجمنى ليل نهار ! يقراون الصحف التى تخصص المقالات الطويلة لاثبات خيانتى . ولم يتأثر المسجونون بهذه الحملة الضارية ، بل ضاعفت من عطفهم على ، وحبهم لى ! ان مئات من الرسائل السرية تدس فى زنزانتى من مسجونين عاديين لا اعرفهم تقول لى « شـــد حيلك » ! و « لا يهمك » . ! « نحن لا نصدق ما يقولون عنـــك » « الرأى العام كله يؤمن ببراءتك » !

هذه الكلمات تهزنى من الأعماق . أحس في وحدتى اننى لست وحـــدى . اسمع فى هذه الأصوات صوت بلدى !

التقيت هنا بمسجون فلسطينى من غزة اسمه سامى الخطيب . ملتهب حماسا ووطنية . تهمته أنه قتل من أجل الشرف . ذهلت وانا أراه يعرض حياته للخطر من أجلى . فعل لى أشياء مستحيلة . نظم لى طريقة غريبة للاتصال بأصدقائى وأسرتى فى الخارج أسرع من التلغراف !

كنت احمل هم لقاء أولادى وأسرتى فى داخل السلك . انها طريقة للزيارة مهينة ومذلة ومؤلمة . وكنت أخشى من اثر هذه المقـــابلة على اعصاب اطفالى الصغار الذين رفضت حتى الآن أن يزورونى فى السجن . ولكن أطباء مستشفى السجن أخبرونى اليـــوم انهم طلبوا أن تكون زيارتى فى حديقـــة مستشفى السجن لأن حـــالة الروماتيزم التى عندى تمنعنى من الوقوف . ولكن .. ليس لى حق

الزيارة قبل مرور شهرين من دخول هذا السجن . وقد مر اليوم ١٥ يوما ، أى قطعت ربع المسافة ، ولعل الله يسرع بالثلاثة الأرباع الباقية حتى يحل موعد اللقاء !

كان يضايقنى أن الأوامر تقضي بأن اقرأ خطابات أسرتي وأولادى أمام الضابط ، ولا يبقى الخطاب فى يدى أكثر من عشر دقائق . جاء أمس ضابط طيب وسمح لى أن أحتفظ بخطاب أسرتى لمدة ٢٤ ساعة كاملة . فرحت جداً وعشت طول اليوم اقرأ الخطاب عشرات المرات ومئات المرات . أمضيت الليل والخطاب بين ذراعى !

ويظهر ان « الفتى لما يسعد تيجى له سهرتان فى ليلة » فقد صرحوا لى أمس بكرسي فى زنزانتي ، وينتظر أن أتسلم هذا الكرسى اليوم . وسوف يساعدنى كثيرا . أن الجلوس على الأسفلت مؤلم . وسوف أستطيع أن أستعمل هذا الكرسي كمائدة لتناول الطعام ، ولأضع عليه السجائر وطقطوقة السجائر ، وليكون مكتبا أكتب عليه خطاباتي .. ولكن لن يجلس على الكرسى أحد من الزائرين لأنه غير مصرح لأى مسجون أو حارس أو ضابط بدخول زنزانتي! وكل يوم يحمل لى تقدما جديدا . كل يوم اكتشف ثغرة جديدة فى الحصار الدقيق المضروب على . ان الفضل للناس الطيبين من المسجونين . اننى رجل ضعيف لا حول لى ولا قوة ولا نفوذ . محكوم على بالأشغال الشاقة المؤبدة . الصحف تقول عنى اننى جاسوس وخائن لوطنى . لا أملك سوى خمسة جنيهات فى الشهر . كل ما أملك موضوع تحت الحراسة . أخبار اليوم مؤممة . ومع ذلك أجد من المسجونين — كل المسجونين — تفانيا فى خدمتى وكأننى سأخرج من السجن غدا ! اننى أكاد أطلع على كل ورقة سرية تجيء من وزارة الداخلية الى السجن . أقرأ أحيانا التعليمات السرية قبل أن يقرأها مدير الليمان والضباط ، وأعرف أولا بأول كل التقارير وكل الاشارات وكل الأخبار ! المسجونون الذين يعملون فى المكاتب يتبرعون بنقل الأخبار الي . كل واحد منهم يريد أن يساعدنى أو يخدمنى أو يخفف عنى صدمة قيود جديدة !

أكل السجن لا يطاق . فجأة وجدت طاقة تفتح فى شراعة الزنزانة ويدخل منها طبق فيه بسلة وفراخ ولحم . وعشت يومين على هذا

الطبق اللذيذ . بعد ان امضيت اسبوعين لا اكل الا السردين والجبن ! وبعد يومين انفتحت الطاقة والقى احد الزملاء كميـــة من السجائر . صحيح ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولكنى رايتها وهى تمطر فراخا ولحما وسجائر ! تصورت فى اول الأمر اننى احلم . ولكن تكرر العملية وطعم الفراخ اقنعنى انها فراخ حقيقيـــة وبسلة حقيقية ! وعرفت بعد ذلك أن أسرة أحد المسجونين زارته ، وانها عرفت اننى مسجون معه فى نفس العنبر فأحضرت طعـــاما خاصا بى . الغريب اننى لا اعرف اسم هذا المسجون ، ولا شكله !

هذا هو الشعب المصرى .

اننى فى حاجة الى خمس عشرة خرطوشة سجائر والى معلبات خضار وعلب جبن وكلما كان حجم العلبة صغيرا انتهى فى اكلة واحدة كان ذلك يكفينى . فأنا لا اضمن استمرار تبرعات زملائى المسجونين . والمثل يقول « اذا كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله » ! لست فى حاجة الى علب سردين . ان عندى منها ما يكفينى لمدة الأشـــغال الشاقة المؤبدة وهى ٢٥ سنة !! أرجو أن يتذكر اخى أن يرســـل لى أطعمة السكر ، ومربى السكر .

ملحوظة : وصل الكرسى الآن ، وقد وضعت فوقه وســـادة ، واستعملته بصفة مكتب ، وهو أحسن كثيرا من الكتابة على كرسى التواليت ! وهأنذا احتفل بافتتاح الكرسى ، واول شىء افعله عليه هو أن اكتب لك هذا الخطاب .

والى اللقـــاء ..

مؤامرة الذبحة الصدرية!

سجن ليمان طره

١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٦

مضى على فى ليمان طرة ٢١ يوما . عادة الشهر الأول فى السجن الجديد هو أصعب الشهور . كذلك كان الحال فى سجن المخابرات ، وفى السجن الحربى ، وفى سجن الاستئناف وفى سجن القناطر . لقد امضيت هذه المدة أحاول أن أكيف نفسى للحياة الجديدة التى انتقلت اليها . مما يسعدنى أن المصاعب التى صادفتنى فى أول الأمر احاول أن اتغلب عليها تدريجا . أو اتعود عليها اذا لم استطع التغلب عليها . المسائل نسبية فى الحياة . بالأمس كنت استعد ٢٤ ساعة لأطير الى أوربا وأمريكا . الآن أستعد اسبوعا للانتقال من زنزانتى الى مستشفى السجن . هذه المائة متر تحتاج الى اجراءات وتصريح دخول وجواز مرور واذن من الضابط قائد العنبر، واذن من مدير الليمان وأذن من مدير المستشفى ، كل هذا لأمضى نصف ساعة فى المستشفى لتحليل بول السكر ! لقد اختاروا لى الشاويش ديهوم ليحرسنى . انه أكثر الحراس صرامة . يتبعنى كظلى . الويل لمن يحاول أن يقترب منى . كنت أتمشى فى حديقة العنبر ، وكان يمشى خلفى . وقال لى الشاويش ديهوم : « هيا نذهب الى التواليت » ! قلت له : ولكنى لا أريد أن اذهب الى التواليت ! قال الشاويش ديهوم : ولكنى أنا أريد أن أذهب ! قلت متعجبا : اذهب وحدك ! قال ديهوم : لا استطيع أن اذهب واتركك وحدك ! وتبعته صاغرا ، ووقفت معه الى أن انتهى من التواليت !

ولم اعرف ماذا افعل للتخلص من الشاويش ديهوم ! وخطر ببالى أن اقنعه بأنه مريض بالذبحة الصدرية ، وأن مرضه يقتضى أن يجلس ولا يتبعنى كظلى اثناء الفسحة . واتفقت مع احد الأطباء

على أن يؤكد له أنه مريض بالذبحة الصدرية .. واضطر الشاويش
دبهوم أن يجلس على كرسى وهكذا أصبحت لأول مرة أمشى فى حديقة
السجن دون أن يتبعنى ، ولكن مفاجأة حدثت بعد ذلك وهو أن
دبهوم ذهب الى مستشفى الجمهورية ليتأكد من الأمر ، واذا بالأطباء
يجمعون فعلا على أنه مريض بالذبحة الصدرية !! كيف حدث ذلك
لا أعرف ! هل عرف طبيب مستشفى الجمهورية عذابى على يد
الشاويش دبهوم فاشترك فى المؤامرة ، أم أنها مصادفة ..
ثم ان الله اراد أن يخفف عنى البلاء الذى أنا فيه .. لا أعرف !

اننى لا أسمع هنا الا اذاعة القاهرة . شعرت برغبة فى أن
أسمع اذاعات العالم لأعرف مالا يقال من اذاعة القاهرة . وجدت
أن تهريب راديو صغير داخل الزنزانة مخاطرة مع التفتيش المستمر
ليل نهار ! تعرفت الى المسجون زكريا عبد الستار . انه الذى يتولى
عملية الاذاعة فى السجن . اتفقت معه على أن يسمع اذاعات العالم
ويبلغنى شفويا كل يوم بأهم ما يسمع ! وهكذا استطعت أن أعرف
ما يجرى فى العالم .

ببعض الصبر ، وببعض التنظيم ، وبفضل حب واخلاص وتعاون
زملائى المسجونين سوف أنشىء « أخبار يوم » صغيرة داخل ليمان
طرة ، كما فعلت فى سجن الاستئناف ثم فى سجن القناطر .

بدأت اتصالات بالمعتقل . عدد المعتقلين يزيدون كل يوم . عشرات
الألوف من الشبان . موظفون . طلبة . أساتذة جامعة . عمال .
كل الفئات ممثلة فى المعتقل . كل واحد منهم له قصة ديست فيها
العدالة والحرية والانسانية بالأقدام !

انهم يظنون أن المعتقلات هى حصون تحمى الحاكم . أنا أراها
قبورا يدفن فيها الحكام . قيل لنا أن الناس خائفون . الكل فى
رعب . الأبرياء يؤخذون بالشبهات . أسر توضع تحت الحراسة
بلا ذنب ولا جريرة ! أسرة فى الاسكندرية وضعت تحت الحراسة
لأن ابنتها الطالبة فى كلية الطب بجامعة الاسكندرية رفضت أن
تتزوج من شقيق أحد الكبراء ولهذا السبب عوقبت الأسرة : نساؤها
وأطفالها ورجالها ووضعوا جميعا تحت الحراسة ! ما هى علاقة

أمن الدولة بزواج طالبة فى كلية الطب .. الغريب أن الذين يرتكبون هذه التصرفات يتصورون أن أحدا لن يجرؤ على الهمس بها . انهم كمموا كل الأفواه . نشروا الارهاب بين الجميع .. ولكن عيبهم انهم جهلاء لم يقرأوا التاريخ ولم يعرفوا أن كل هذا سوف يعرف وينشر فى يوم من الأيام !

اننى اعتقد أن نكبتنا الكبرى أن اكثر الذين يتولون أمورنا الآن جهلاء .. ان الدولة الآن اشبه بطائرة يقودها أشخاص لم يدرسوا الطيران ، ولهذا فلابد أن تقع الطائرة وتحدث كارثة ! هذه النبوءة ليست فى حاجة الى علم . أنها أشبه بواحد زائد واحد يساويان اثنين ! لا أستطيع ان أحمد الله اننى لست فى الطائرة ، لأن مصر كلها فى هذه الطائرة .. وهذه هى المصيبة المنتظرة !

استلمت اليوم بذلتى الجديدة . وهى بذلة بيضاء فصلها لى كمال الأبيض ، وهو مسجون معى وترزى من الطراز الأول . وأصبح الآن عندى ثلاث بدل . البدلة الجديدة ، وبذلة زرقاء أنام فيها وبذلة سلف . وهذا عز لم أحلم به فى أى يوم منذ أن دخلت الليمان. وبعد أن كنت أحمل هم السجائر ، استطعت فى خلال هذه الأسابيع أن اقللها وأتغلب على هذه الأزمة الطاحنة . وبعد أن تصورت أن الحياة مستحيلة بخمسة جنيهات فى الشهر ، وضع الله سره فى الجنيهات الخمسة وكفتنى حتى الآن ! وبعد أن كنت أتضايق من وضع الطعام فوق كرسى التواليت واستعمله بدل مائدة الطعام أصبح عندى كرسى خيزران فوقه وسادة . وبعد أن كنت لا أستطيع أن أشرب الماء لأن جردل الماء تقع فيه باستمرار كمية هائلة من الصراصير ، أصبح عندى أربع زمزميات بلاستيك للماء . صحيح أنها كلها سلف من زملائى المسجونين معى ، ولكنى بدأت أعود نفسى على الماء الفاتر ، ولا أشرب الماء المثلج الذى كنت أحبه الا فى الأعياد والمناسبات الرسمية . وبعد أن كانت الزنزانة تغلق ٢٣ ساعة كل يوم ، أصبحت تفتح ساعتين فى النهار . وبعد أن كنت أشكو من اننى لا أجد شيئا أقرؤه فوجئت بتلاميذى يهربون لى التايمز والأوبزيرفر والديلى تلجراف وتايم ونيوزويك والسانداى تيمس والصياد والأسبوع العربى وآخر ساعة .

وقيل لى اننى ما دمت احمل ماجستير فى العلوم السياسية من أمريكا فمعنى ذلك اننى احمل شهادة عليا ، والذين يحملون شهادة عليا نص لائحة السجون على أن يوضعوا فى الدرجة الأولى . وهى عادة تمنح أوتوماتيكا للحاصل على شهادة عليا ، وميزتها أن أصرف عشرة جنيهات فى الشهر بدلا من خمسة جنيهات .. وارسل مدير الليمان يستأذن مدير مصلحة السجون . وارسل مدير مصلحة السجون يستأذن وزير الداخلية . وارسل وزير الداخلية يستأذن رئيس الوزراء ، وارسل رئيس الوزراء يستأذن رئيس الجمهورية . كل ذلك من اجل زيادة المبلغ من خمسة جنيهات فى الشهر الى عشرة جنيهات فى الشهر !

ولا استبعد ان يدور الورق حول الكرة الأرضية قبل أن يعود الى الليمان ، بل لا استبعد أن يفتى أحد المستشارين فى رياسة الجمهورية بأن شهادة ماجستير من جامعة فى أمريكا تساوى شهادة الاعدادية فى مصر !

وقيل لى ايضا أن نومى على سرير ومرتبة هو قرار مؤقت . أصدره مدير المستشفى لمرضى وينفذه مدير الليمان على مسئوليته حتى يصل الاذن من الجهات العليا بأن أنام على السرير ، ولا فسوف أنام على البلاط ! ولهذا لم أطلب منكم أن تحضروا لى فى الزيارة ملاءة بيضاء . وكيسا للوسادة بعرض سرير مستشفى ، لأننى لا أعرف هل سابقى نائما على السرير والمرتبة أم انتقل الى البلاط الملكى !

وكذلك التصريح بالصحف والمجلات لم يصل بعد . أنا اقرأ الصحف « سرقة » ! واذا جاء التفتيش فجأة ألقيت بها من النافذة !

وهم يقولون أن التعليمات لن تتأخر كثيرا ، ولكن يبدو أن ولاة الأمور مشغولون بالمسائل الكبيرة ولا وقت عندهم للمسائل الصغيرة .

نسيت ان أخبركم اننى استدعيت للمثول فى يوم ٩ اكتوبر أمام محكمة الجنايات فى قضية مرفوعة على بصفتى رئيسا لتحرير

أخبار اليوم . فرحت بتقديمى الى محكمة الجنايات فهذه فرصة لأرى الدنيا ! وهم عادة يسمحون لأقارب المسجون بأن يقابلوه قبل الجلسة وبعدها . ويستطيع الأهل ان يعطوا المسجون سجائر ، وممكن ان تحضروا بعض الساندويتشات فقد تستمر الجلسة الى ما بعد الغداء . وهناك نظام بأن ينقل المسجون من الليمان الى سجن الاستئناف قبل الجلسة بيوم . ويبيت فى سجن الاستئناف ليلة او ليلتين . لا اعرف هل سيتبعون معى هذا النظام ، أم سينقلوننى من ليمان طره الى جلسة محكمة الجنايات مباشرة .

وفى بعض الأحيان افكر : ما ذنب الذين أحبهم فى كل هذا الشقاء ؟ لقد وعدت أحبائى واصدقائى وتلاميذى بالنعيم وأعطيتهم الجحيم . وعدتهم برحلات بين عواصم العالم وأعطيتهم زيارات لمختلف السجون! وعدتهم بالهناء وأعطيتهم الحرمان . وعدتهم بصحافة مثل ناطحات السحاب ، وتركتها لهم أكواخا وخرائب وقبور !!

أما انا فلم افقد شيئا كثيرا . شاء الله أن يعطينى حب الناس ليعوضنى عن كل ما فقدت ، ولست أعرف ماذا تكون حياتى من غير هذا الحب . ان الله قبل أن يقضي بالداء يدبر الدواء . وقبل أن يسمح لليد التى طعنتنى ان تحمل السكين ، خلق الأيدى التى تكون البلسم للجراح !

لو وقفت وحدى فى هذه الدنيا ، فلن اشعر بالوحدة . لأننى أحس بأن الناس بجانبى . لن اقع وهم الى جوارى . لن اسقط وانا مستند اليهم . لن اشعر باليأس والألم ، وأنا أشعر ان حبهم يحول ضعفي الى قوة . انا لم أتصور أن حب الناس يستطيع أن يفعل كل هذا فى رجل محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

اننى عشت حياتى كلها أعتمد على نفسى . ولكنى الآن اشعر اننى اعتمد على الناس جميعا . الضعفاء لا الأقوياء . المظلومين لا الظالمين . المسحوقين لا اصحاب النفوذ والسلطان لهذا يهمنى ان تكون أعصاب الذين يحبوننى قوية . مما يسعدنى أن اجدهم صامدين . يعاندون الأحداث التى كان يجب أن تحطمنا جميعا . ولكننا لن نتحطم . سوف نقاوم .

ان الذي صمدنا له حتى الآن هو شيء لا يتصوره العقل . كأن مطارق الدنيا كلها هوت فوق رؤوسنا ، تحاول أن تحطمها وتدكها ، ولكننا صمدنا لها ، وكأن المطارق هى التى تتحطم .. أما نحن فنزداد صمودا .

اطمئني على ! ان راسي ناشف ! ان المطارق لن تحطم رأسي ! رأسي سوف يحطم المطارق !



فى ظل المشنقة !
التقطت هذه الصورة وأنا أسمع المدعى يطلب
من محكمة الدجوى الحكم على بالاعدام !

دولة إلغاء ساعة !

سجن ليمان طره

١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٦

فرحت جدا عندما علمت ان الكولونيا غير ممنوعة فى اللبمان ! ان الأطباء نصحونى بأن امسح جلدى يوميا بالكولونيا بسبب كثرة البق والبراغيث والجرب ! وقد كانت الكولونيا ممنوعة فى سجن الاستئناف خشية ان يشربها المسجونون بدلا من الخمر !

لا اعرف ماذا يمكن ان تحضروه لى من طعام اثناء الزيارة ! كل ما يهمنى هو السجائر ! منذ أن عذبونى فى سجن المخابرات بمنع السجائر أو التحكم فى عدد السجائر التى اشربها اصبحت السجائر عندى عقدة . اخاف أن يجيء اليوم الذى لا اجد فيه سيجارة ادخنها ! السيجارة هنا مهمة . انها العملة الصعبة . التعامل المعترف به هو السجائر . انهم لا يقولون ان هذا الأمر يكلفك كذا قرشا ، بل يقولون لك انه يكلفك كذا علبة سجائر ! الماركات لا اهمية لها . سيجارة الكنت هنا مثل سيجارة البلمونت تماما ! قيل لى انه من الممكن ان تحضروا فى الزيارة أى عدد من السجائر . اننى استطعت ان ادبر لنفسى سجائر الشهر الأول . ولكنى أحمل هم سجائر الشهر الثانى . أعتقد أن الله مد يده الى فى الشهر الأول وهو اصعب الشهور ، ولهذا أتوقع انه لن يدم . والمفتش يقترح اللغى !

كنت احمل هم خبز السجن . مرض السكر جعلنى لا آكل الا الخبز الخاص بالسكر . وأنا لا أجده هنا . أمرى لله . اننى آكل العيش البلدى . انه يصل الى من الفرن ساخنا ، وهو لذيذ جدا ولكنه مضر جدا بمرضى السكر ! وآكل البيض المقلى بالزيت . هذه أول مرة فى حياتى آكل البيض بالزيت . كانوا يبيعون هنا الزبد فى ثلاجة الكانتين ، ولكن تعطلت الثلاجة قبل حضورى فالغوا بيع الزبد ! ان اصلاح

ثلاجة فى عالم الحرية مسألة بسيطة . ولكنها مسألة عويصة فى عالم القيود والسدود ! يجب اخطار المصلحة . والمصلحة ترسل مفتشا . والمفتش يقترح تأليف لجنة . ويصدر قرار بتأليف لجنة . وتجتمع اللجنة . وتطلب اللجنة بدل انتقال للوصول الى ليمان طره . وتنتقل اللجنة الى الليمان . وتقرر أن الثلاجة معطلة ! وهنا يصدر قرار بعمل تحقيق حول المسئول عن تعطيل الثلاجة . وهنا يقع الاختيار على مسجون فدائى يعترف بأنه المسئول عن تعطيل الثلاجة . فيتقرر اصلاحها على حسابه وتقسيط المبلغ من أجر المسجون اليومى وهو قرشان صاغ كل يوم ! ومعنى ذلك انه يجب أن يكون المسجون محكوما عليه بالسجن المؤبد حتى يستطيع أن يسدد ثمن اصلاح الثلاجة !

اننى أحب أن أذكر لكم ما يباع فى كانتين السجن . عندنا معلبات فيها مربى البرتقال والبلح والمشمش . وعندنا لحم بقرى فى المعلبات « لانشون » من صنع يوغوسلافيا وعندنا جبن ناستو . مشكلتى أن الجنيهات الخمسة لا تكفينى للطعام أو السجاير . أما أن أتوقف عن الأكل أو أتوقف عن التدخين . لموازنة الميزانية . أسهل أن أمتنع عن الأكل . اننى أمقت الاستعباد . ولكنى أشعر أن السيجارة تستعبدنى . ولم أشعر بذل هذا الاستعباد كما شعرت به وأنا فى سجن المخابرات أو السجن الحربى !

هرب لى أصدقائى مظروفا كبيرا فيه مجلة الاذاعة وروز اليوسف والمختار والهلال . ختم البريد يوم ٥ سبتمبر . استغرق وصول المظروف من الزمالك الى طره ستة أيام . لو كان اسمى على المظروف لوصل فى ستة أشهر ! تأخير البريد لا يهمنى . الذى يهمنى أن أجد ما أقرأ باستمرار .

أخبار المعتقلات والمعتقلين تهرب الى باستمرار . كل يوم اعتقالات جديدة . ضاقت المعتقلات فصدر أمر بانشاء معتقلات جديدة . أغلب المعتقلين لا يعرفون لماذا اعتقلوا ! لم توجه اليهم تهمة . لم يوجه اليهم سؤال ! المتهم مجرم حتى لو ثبتت براءته . كانت القاعدة فى البلاد الديمقراطية المتهم برىء حتى تثبت ادانته . الذين تحكم عليهم المحاكم الاستثنائية بالبراءة لا يفرج عنهم . يتقلون من سجن الى سجن . كل ما يحدث لهم أن ينقلوا من قائمة المسجونين الى

قائمة المعتقلين ، وهم دائما فى سجن ، والمعاملة واحدة ، والقيود واحدة . الذى أدهش له أن الذين وضعوا ميثاق الأمم المتحدة وحقوق الانسان لم يصروا على تأليف لجان تزور الدول وتبحث عن المسجونين الذين لم توجه لهم تهمة ، أو الذين لم يحاكموا أمام محكمة عادية ، أو الذين حرموا من ابسط قواعد القانون ، وتقدم الدولة التى داست على مبادىء العدالة الى محكمة العدل الدولية . ولقد علمت أن الدول الدكتاتورية عارضت فى ادراج مثل هذا النص فى قانون حقوق الانسان واعتبرته تدخلا فى الشئون الداخلية .

ان الطريق لمنع قيام طغاة ومستبدين وجزارين فى بلاد العالم هو تأليف محكمة عالمية لمحاكمتهم . لا فرق بين الدكتاتور وقاطع الطريق ، كل واحد منهم يعتدى على العدالة .. لو عرف الحكام انه توجد محكمة دولية سوف تحاسبهم على طغيانهم ، لما جرؤ كثير منهم على اقتراف ما ارتكبوه من مظالم !

انني الاحظ اننا دون أن ندرى نسير فى طريق ستالين . تأليه الفرد . الغاء الحريات . امتهان العدالة . الاعتقالات بالجملة . اتهام من نختلف معهم فى الرأى بأنهم جواسيس! ان خلفاء ستالين عندما ارادوا أن يتخلصوا من الزعيم بزيا وزير الداخلية قبضوا عليه واعدموه ، واذاعوا بعد اعدامه أنه حوكم واعترف بأنه جاسوس لأمريكا ! كذلك فعل هتلر مع بعض خصومه . اننا نمشى معصوبى الأعين فى طريق الطغيان . ولا يعرف الجهلاء الذين يطبلون ويزمرون لطريق « القوة » ان هذا الطريق يؤدى دائما الى الهاوية . ننسى أنهم اخرجوا جثة ستالين من قبره ولعنوه أمام التاريخ !

ان الضغط والارهاب والمحاكمات الاستثنائية والمعتقلات ليست طريق الأقوياء . إنها قصة سوء استعمال السلطة فى كل زمان ومكان . انها لعنة أصابت العالم الثالث عندما تصور أن طريق الاستبداد هو أقصر طريق بعد الاستقلال . عندما تصور بعض الزعماء أن الحرية هي حريتهم هم ، وليست حرية الشعب . وانه مباح للزعيم الوطنى أن يفعل ما يشاء بالشعب ما دام حرره من الاحتلال الأجنبى . وكأنه محكوم على كل شعب أن يضرب بكرباج الحاكم الأجنبى ، فاذا انتزع الكرباج من يد الأجنبى ، أمسك به الحاكم الوطنى ليلهب به ظهور الشعب . كأنه حكم علينا أن نضرب

بأيدى أعدائنا وبأيدينا . وأن نتخلص من قفص كبير يضمنا جميعا ، لنوضع فى اقفاص صغيرة تضم كل واحد منا على انفراد !

ان معسكرات الاعتقال والسجون التى انشأناها فى العالم الثالث أكبر من المصانع التى انشأناها ! لا اجد الا بلادا تعد على أصابع اليد فى أفريقيا وآسيا تتمتع شعوبها بحرية حقيقية . وسوف يستمر مد الاستبداد الى أن تحدث كوارث فى بلاد كثيرة اختارت النظام الديكتاتورى ، وبعد ذلك يبدأ المد الديموقراطى من جديد !

ومصر لن يتغير حالها بثورة ، وانما سوف يتغير حالها بكارثة .! وكثيرا ما نبهت الى هذه الحقيقة ، وكثيرا ما حذرت من أن الطريق الديكتاتورى يؤدى الى انتصارات وقتية ، والى هزائم دائمة ، وحتى الآن لم تصدق نبوءتى ! وقيل لى اننى أفكر بعقلية قديمة ! وان الموضة الآن هى الديكتاتورية !

فى مساء الجمعة ٩ سبتمبر أمضيت الليلة معك . أتحدث اليك . اناجيك . اعيش ذكرياتنا الجميلة معا . عشت فى تلك الذكريات الحلوة وقتا رائعا ، استعدت احاديثنا معا ساعة بساعة . سمعت صوتك . أحسست كأننا لا نزال نعيش فى أحلامنا الحلوة . أسعدتنى هذه الساعات . كان السجن صامتا . الاذاعة توقفت . النور انطفىء . ولكن حبك يتكلم ، ويضىء كل حياتى فى هذا الظلام الدامس .

احب أن تعلمى أننى جزء من هذا البلد . الذى أصابنى أصاب البلد كله . كل ما هناك اننى كنت فى الصف الأول فاصبت برصاصة . لن ينجو احد . كلنا سنصاب ، لأننا كلنا ضحايا . نحن ندفع ثمن غفلتنا . اننا لم نعرف كيف نحافظ على حرياتنا ، لو ان كل واحد منا غضب للظلم الذى أصاب جاره لما امتدت النار الى بيوتنا . اننى اتوقع أياما تعيسة لهذا البلد . اتوقع ظلما أكبر . ان الظالم لا يشبع من الظلم . انه يفتح شهية الظالم لظلم أكبر !

ومع ذلك فمازلت أؤمن بأن دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة ! هناك مثل صينى يقول :

« اجلس على حافة النهر . وسيجىء التيار يحمل لك جثة عدوك ! » . وأنا الآن جالس على حافة النهر .. ولكن فى زنزانة !

المعاملة الخاصة!

ليمـــان طـــره

اكتوبر سنة ١٩٦٦

أخى العـــزيز

اننى لم أكتب لك منذ وقت طويل . كأنها أجيال من التاريخ . نحن الذين كان لقاؤنا اليومى أهم لذات حياتنا . ولكن ما باليد حيلة .. عزائى هذه الرسالة الروحية التى نتبادلها كل يوم وكل لحظه . وهى رسائل تقلقنى حينا ، وتطمئننى حينا . وكنت على ثقة من ان اخبارى تصل اليك . ولكنى شعرت بانك تريد خطابا بخطى !

ان الحكم لم يكن مفاجأة لى . جاءنى من احد تلاميذى نص الحكم قبل صدوره بأيام . وعندما اخبرت زملائى المسجونين بالحكم نزل عليهم الخبر كالصاعقة . كانوا جميعا يتصورون أن الحكم هـو البراءة ، وكانوا قد قرأوا القضية ، وكانوا يراهنوننى على البراءة !

ولهذا عندما صدر الحكم بعد ذلك بيومين لم اهتز . وسمعته وانا ابتسم . وكنت اضحك بعد سماعى الحكم . وعلمت ان ولاة الامور اصدروا أمرا للصحف بالا ينشروا صورى وانا ابتسم ! وقد تعبت الصحف فى أن تحصل لى على صورة مكشرا . وكانوا التقطوا فيلما ظهرت فيه وانا اضحك بعد الحكم ، فصدر أمر بمنع عرض الفيلم فى التليفزيون ! والصورة التى نشرت فى الأهرام هى صورتى وانا أعلق على الحكم ، واقول اننى برىء ، واننى أعطيت وطنى فكرى وقلمى وحياتى ، ويسعدنى ان اقدم له حريتى ، واننى مؤمن بأن التاريخ سيحكم ببراءتى .

وكنت اضحك مع المصورين ، واقول لهم بعد الحكم « صوروا كويس » ! واشجعهم على ان يلتقطوا صورا جية !

واعدت مكبلا بالحديد الى سجن الاستئناف . وهناك خلعت ملابسي العادية والبسونى بدلة السجن الزرقاء .. كانت البدلة ضيقة جدا فبدوت فيها فى غصن البان . سحبوا السرير الذى كنت انام عليه وقالوا ان التعليمات أن انام على الأرض . ولكن طبيب السجن صرح لى بمرتبة لمدة اسبوع بسبب حالتى المرضية . كان السجن فى مأتم . المسجونون يتبادلون العزاء . كل واحد منهم يشعر بأن الحكم صدر عليه هو . وكنت أنا الذى اعزيهم ، واطيب خاطرهم ، وارفع روحهم المعنوية !!

وفى الصباح المبكر جاء الضابط نجاتى قائد كتيبة حرس طره ليصحبنى من سجن الاستئناف الى ليمان طره . ولم أكن تناولت افطارى بعد . فرفض أن ينتظر حتى أتناول افطارى ! وحمل الحرس حقائبى ووضعوها فى السيارة البوكسفورد التى ستنقلها ، واذا به يأمر بانزال حقائبى ، ويصدر امرا بأن أذهب كما انا ، بلا غيارات داخلية ولا سجائر ولا أدوية ولا حتى منديل ! ثم نزع ساعتى . ثم فتشنى تفتيشا ذاتيا فوجد مصحفا ، وفى داخله مذكرة طبيب سجن الاستئناف بتصريح لمدة اسبوع لمرضى . فرفض أن أصحب التصريح معى . ورفض أن أحمل المصحف . ثم وضع القيد الحديدى فى يدى. واذا بالقيد ضيق يكاد يكسر معصمى . وبحث عن قيود أخرى فلم يجد . أو على الأصح أدعى ضباط سجن الاستئناف ان ليس عندهم قيود . وعثر على قيود من التى توضع فى الأقدام ، ووضعها فى يدى . وكان كل من فى سجن الاستئناف من ضباط وجنود ومسجونين فى دهشة وذهول من هذه المعاملة التى ليس لها مثيل .. وهمس فى أذنى أحد الضباط : أعذره ! انه يريد أن يترقى على حسابك !

وتركته .. يترقى !!

ثم صحبنى فى البوكسفورد الى ليمان طره . وكانت هذه ثانى مرة أدخل فيها ليمان طره . كانت المرة الأولى قبل القبض على بشهور . عندما ذهبت لالقاء محاضرة بدعوة من وزير الداخلية ! يومها فرشوا لى الأرض بالرمل الاحمر . ووقف مدير مصلحة السجون ومدير الليمان وكبار الضباط فى استقبال امبراطورى ! واقاموا لى سرادقا فخما تكلف ٢٠٠ جنية وعرفت فيما بعد أنهم أخذوه من طعام المسجونين !

والمرة الثانية عندما دخلت مكبلا بالحديد ، ووضعوني في زنزانة الايراد وهي مخصصة لمعاقبة المسجونين الذين يخالفون النظام . الزنزانة بلا نوافذ . كأنها جب . جلست على الأرض بلا سجائر ولا أدوية ولا طعام جاء طبيب السجن وكشف على وقال ان حالتى الصحية سيئة ويجب نقلى الى مستشفى السجن فورا . ولكنهم رفضوا هذا الأمر وارسلوا طبيبا ثانيا ليكشف على وقال الطبيب الثانى بعد الكشف على كشفا دقيقا أن حالتى تستوجب نقلى الى المستشفى في الحال . ورفضوا قرار الطبيب الثانى وأوفدوا طبيبا ثالثا اصر بدوره على نقلى الى المستشفى ورفضوا رأيه هو الآخر ، وارسلوا لى لجنة طبية من ثلاثة اطباء قرروا نقلى فورا ! ولكن أمرهم هذا لم ينفذ أيضا .

في الساعة الثالثة صباحا شعرت بألم لا يطاق في عمودى الفقرى . لم أستطع ان اجلس ولا أن أرقد . وبقى هذا الألم في ظهرى أربعة اسابيع . ووقفت طول الوقت في الزنزانة على قدمى . وفى الساعة الرابعة تصادف أن كان يمر الأميرالاى عبد الله عمارة مدير الليمان . ونظر من ثقب الزنزانة فوجدنى واقفا على قدمى . فأمر بفتح الزنزانة . فسألنى لماذا لا اجلس او ارقد ؟ قلت اننى لا استطيع وأن الأسفلت سبب لى آلاما شديدة في العمود الفقرى ، فأمر بادخال كرسى الى الزنزانة أجلس عليه . وجلست على الكرسى حتى الصباح .

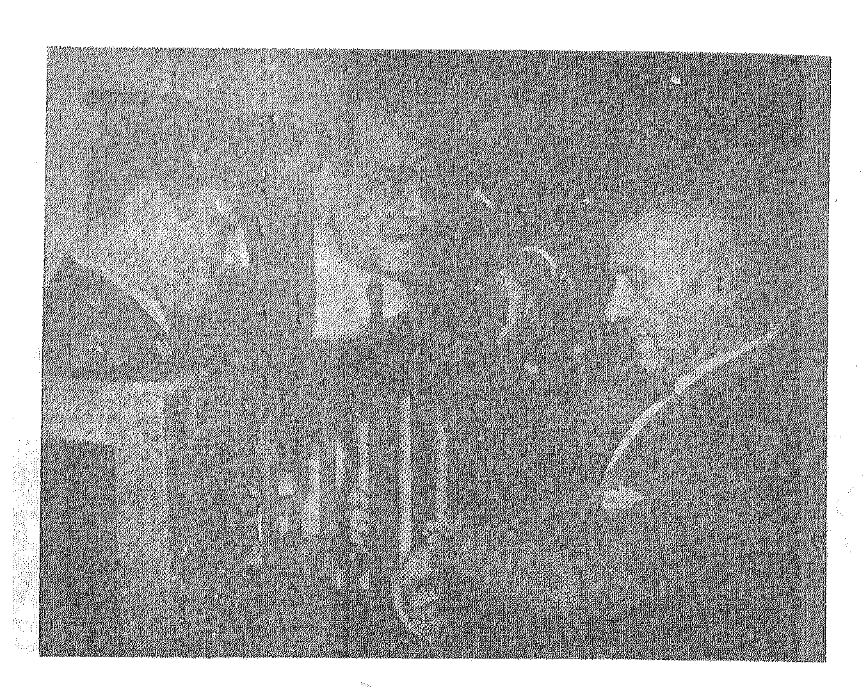
ان المسجونين السياسيين في دهشة من اصرار الحكومة على نقلى الى الليمان في اليوم التالى للحكم . عادة لا ينقلون المحكوم عليه الا بعد أربعة أسابيع أو خمسة ثم أنهم سمحوا لجميع المسجونين السياسيين باحضار ملابسهم واطعمتهم وأدويتهم .. ولكن أنا الوحيد الذى نلت امتياز هذه المعاملة السيئة !

الطعام الذى يقدم الى في السجن لا تأكله الكلاب ! ولكن الله لم يتخل عنى . في كل يوم تمتد يد مجهولة تحمل لى طعاما . ولهذا لم أمت من الجوع . أحد المسجونين خلع بدلته البيضاء واقرضها لى وبقى هو ببدلة زرقاء . مسجون ثان يصنع لى قهوة مصرية مدهشة . مسجون ثالث كان يحضر لى الصحف المنوعة . مسجون

رابع أرسل لى كمية من السجائر . وكثيرون غيرهم يعرضون انفسهم للعقاب ويخاطرون ويغامرون . كان أعجب ما هناك اننى لم اكن أعرف من اين جاءت هذه الأشياء . كأن الأرض انشقت وخرج منها هؤلاء الذين يقدمون لى كل ما أحتاج اليه .

سبق ان طلبت منك معلبات لأطعمة السكر . وعدنى سعيد فريحة أن يرسل لى معلبات .

أمس اكلت ربع فرخة من فاروق عبد القادر المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد . اليوم اكلت ربع فرخة أيضا من لبيب منولى . المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد أيضا ! ان الله يفرجها من حيث لا تنتظر طلبت من أسرتى أن تحضر لى ملابس فى الزيارة فى كيس كبير من التروكلين ، كما أوصانى زملائى المسجونون . أخذت الكيس وأعطيته لخياط السجن لعمل بذلة . علم مدير السجن بذلك ، فأمر بعد تسليم هذه البيجاما لأنها مصنوعة من الحرير ، والأوامر أن أرتدى الدمور ! ولكن كثيرين من المسجونين يرتدون التروكلين . نعم هؤلاء مسجونون عاديون قتلة أو سفاحون أو تجار مخدرات مسموح لهم بارتداء التروكلين .. أما أنت فمسجون سياسى لا ترتدى الا الدمور !



حماده الناحل : ان الدجوى يقول انه سيعطى لكل محام عشر دقائق للدفاع !

سجن ليمان طره

عزيزتى

لا أعرف هل ستلحقك هذه الرسالة قبل الزيارة أم لا .. ولكنى أردت أن أسجل فيها بأسرع ما يمكن الأشياء التى أرجو احضارها فى الزيارة ، وهى ترموس للثلج ، ومقص للأظافر ، وكوز بلاستيك ، وكمتراية للنور ، وملاسة لقلى البيض ، وشوكة ، والقلم الحبر ! عجيب أن يكون آخر ما أطلبه هو القلم الحبر . مع اننى أحتاج الى هذا القلم قبل الطعام والملابس ! ذلك اننى أخشى الا تستطيعى تهريبه أثناء الزيارة . اننى أكتب منذ أن دخلت الليمان بقلم سلف ! أول مرة فى حياتى أعيش على السلف . انه ذل ما بعده ذل . ولكنى مضطر فى الشهور الأولى من دخول السجن أن أقترض من زملائى المسجونين كل شىء . ان القاعدة فى السجن انه عندما يأتى مسجون جديد أن يهب زملاؤه لنجدته ، هذا يقرضه صابونة ! وآخر يقرضه علبة سجائر وثالث يقرضه فوطة ورابع يقرضه بذلة . وذلك حتى يدبر نفسه مع مرور الأيام . وأنا مدين لعشرات المسجونين . انهم فقراء وكرماء . محرومون من أبسط ضرورات الحياة ومع ذلك يغمروننى بفيض من الحب والحنان . اننى فى دهشة من أن خطاباتى لا تصلكم ! بدأ الفأر يلعب فى عبى . ولكنى أؤمن باخلاص الذين يهربون لى الخطابات . لابد أنهم يحتاطون لأنفسهم ويتخذون تدابير أمن لكيلا ينكشف أمرهم . أرجو أن أحصل فى الزيارة على احصاء بعدد الخطابات التى وصلت لكم . أنا أعرف انه اذا لم تلحقك هذه الرسالة فسوف تحضرين الأشياء التى طلبتها الآن مع ذلك ! فقد عودنى قلبك أن يشعر بما أريد قبل أن ينطق به لسانى . لقد نسيت أن أشكرك على طبق الباذنجان المسقعة الذى أحضرته فى الزيارة الأخيرة . ما ألذ المسقعة بعد أسبوعين من الفول المدمس !

الغريب إنني لم اطلب المصقعة . فوجئت بها لأنك تقرئين افكاري باستمرار عجيب . ونسيت أن اشكرك على السجائر البلمونت التي كنت في حاجة اليها فعلا . ان لاسلكي القلوب بين قلبك وقلبي يحيرني . انني لا اكاد افكر في شيء اطلبه منك حتى اجده امامي . كأنني ادعك خاتم سليمان . انني اشعر كل يوم بأن احبائي وأصدقائي وتلاميذي وقرائي بجانبي . في كل يوم يزدادون قربا مني . وكلما تصورت ان الارهاب والظروف القاسية والبطش ستمزق هذه الروابط الحلوة ، افاجأ بأن اهتمامهم بي وعطفهم علي يزداد ويتضاعف . لقد لاحظت قبل أن ادخل السجن أن الفراعنة الصغار كانوا يطاردون الصداقة والمروءة والشهامة والوفاء والحب باعتبارها من اعداء الثورة واعداء الاشتراكية واعداء النظام ! كانوا يرون خطرا عليهم في كل علاقة حلوة أو زمالة جميلة او صداقة متينة . كانوا يتوهمون ان لا حياة لهم الا في جو من الحقد والكراهية والغدر . واذا كانوا نجحوا في اقتلاع كل الأشجار ، فانهم لم يصلوا الى الجذور . الذى اراه في محنتي أنه ما يزال في البلد صداقة ومروءة وشهامة ووفاء وحب .. كل ما حدث أن الناس يفعلون ذلك سرا ، لأنهم يعرفون أنهم يرتكبون جريمة !

ان حرماني من الحرية طوال هذه المدة لا يساوي حرماني من حب الناس . انني افضل ان افقد حريتي ولا افقد هذا الحب . واذا كان القدر سلبني حريتي ، فانه ابقى حب الناس لي ، برغم كل حملات التشهير والكذب والافتراء ضدي . وهذا شيء احمد الله عليه واشكره وأقدره . ان خمسة عشر يوما كثيرا ما غيرت الناس . ولكن هذه الخمسة عشر شهرا القاسية المريرة لم تغيرهم . بل على العكس ربطتنا أكثر . وملأت قلوبنا بالحب والايمان أكثر وأكثر . وأنا لم اشعر بكل هذا الحب وانا خارج السجن . وكان لابد من قارعة حتى يخرج من قلوب الناس ما أخفوه من فضائل ! انا أعذر الخائفين في دنيا الرعب . أعذر الذين شتموني لأنني أعرف أنهم اما أن يجرحوني أو أن يموتوا من الجوع . وانني افضل ان يسيلوا دمي بأقلامهم على ان يموتوا هم وأولادهم من الجوع . انا لا الوم الذى شتمني . وانما الوم الذى اصدر الأمر لهم بأن يشتموني ويلعنوني وهو يعلم بأنني بريء !

اخشى ان يرفتوا مدير الليمان . لقد سمح لى بالتفرج على التليفزيون مرتين . من الساعة الثالثة بعد الظهر الى الخامسة شاهدت مباراة الترسانة والطيران . وفى المساء تفرجت على مباراة الزمالك والاسماعيلى . وبعد ذلك على فصل من مسرحية الريحانى . ولأول مرة منذ ١٥ شهرا سهرت خارج الزنزانة الى منتصف الليل . وقد كان هذا شيئا غريبا ومثيرا بالنسبة لى . ان ابواب الزنزانة كانت تغلق ٢٢ ساعة كل يوم ! ماذا حدث ؟ هل هى اوامر جديدة بتخفيض القيود ؟ من الذى اصدرها ؟ لا يمكن ان تكون اوامر « من فوق » ! انا أعرف أن الأوامر القاسية بتشديد المعاملة تجىء عادة من فوق ! قال لى أحد الضباط أن المدير اخذ هذا التصرف على مسئوليته بعد ان قال اطباء السجن بأن صحتى فى انهيار نتيجة اغلاق باب الزنزانة ٢٢ ساعة كل يوم ! آه لو عرف ولاة الأمور ان مدير الليمان شجاع ! المعروف أن الجبن هو سيد الأخلاق فى هذه الأيام ، والرجل الشجاع لا مكان له فى الطابور . ربنا يستر حتى لا يعلم ولاة الأمور بأننى تفرجت على التليفزيون مرتين فى يوم واحد ، واننى عوملت نفس معاملة القتلة واللصوص وتجار المخدرات !

لم يؤثر السجن لمدة خمسة عشر شهرا على ايمانى بالمستقبل . ان ايمانى صمد للأيام وسوف يهزم السنين . فات من الحكم سنة وربع .. باق ٢٣ سنة وثلاثة ارباع السنة ! بسيطة ! سوف أقاوم . سوف انتصر على الأزمات . لن أضيع فى الأحداث . لن يتطرق اليأس الى قلبى . لن يحطمنى القلق . على العكس سوف احطم القلق واليأس . اننى اقاوم كل هذا بالايمان . لا اتصور ان الأيام المقبلة سوف تكون أسوأ من الأيام الماضية . اننى اشعر بأننى شيدت عمارة ايمانى طوبة طوبة . وقد أصبحت الآن قلعة صامدة تتحطم عليها السهام ، وتتكسر الضربات . اننى اليوم اعيش فى زنزانة ضيقة . ايمانى بالله يجعلنى أرى الزنزانة تكبر وتتسع حتى تصبح قصرا من قصور الف ليلة . ان الزنزانة تتحول الى قصر لأن الله يقيم معى فيها ! اننى أعيش فى قصور الأيام القادمة . أيام حرية . أيام ربيع دائم . لا رعد فيه ولا عواصف . انا لا اعيش فى ضباب الوهم ، ولا اتوه فى ظلال التمنيات . ان ايمانى يضىء لى الطريق بالنور . المؤمن فى داخلى يرى ضوء الفجر . يكاد يلمسه بأصابعه .

اننى اشبه بحفنة من الرمال ترقب الريح لتحملها الى فوق ، لتنطلق بها الى أبعاد جديدة من الحرية . اننى لا اشعر اننى انخبط . اننى أسمع صوتا فى أعماقى يؤكد أن هذا الحال الذى يعيش فيه البلد لن يدوم . انه ضد المنطق . ضد الحسابات العلمية . قد يستمر شهورا أخرى . أو بضع سنوات . ولكن لن يستمر الى الابد والذين حكموا على بالأشغال الشاقة « المؤبدة » سيجدون لا يعرفون أن الأبد لا يملكه الا الله . لا يعرفون أن الحكم المطلق أشبه ببيت من ورق اللعب . لا تكاد تهب عليه الريح حتى ينهار ! اى انسان يعرف الف باء السياسة سوف يصل الى نتيجة مؤكدة بأن هذا الحال لا يمكن ان يستمر . مما يؤسف له أن المتعلمين لا يشتغلون الآن بالسياسة . انهم اما فى السجون . أو على الرف . أو ينتظرون قرارات بوضعهم فى السجون !

اننى مؤمن بأن هذا الشعب لا يمكن أن يدفن فى زنزانة . سيجىء اليوم الذى تحطم فيه السلاسل والقضبان وتفتح أبواب السجون والمعتقلات . هذا الايمان يسعدنى ، ويخفف عذاب الحرمان من الحرية ، ويجعل الصبر جبارا عملاقا ، يدوس فى طريقه اقسزام اليأس والقنوط . ان أحلامى للحرية لا حد لها . انها تكبر مع الضربات التى تنهال فوق رأسى ولا تتناقص ولا تنكمش . ان الغد مشرق . أخاذ متجدد . مريح وهنىء . مفروش بالورد الجميل . لا غيوم ولا برق . كأنه يقظة حلوة بعد كابوس مخيف . ان احلام الحرية ترقص أمامى من بعيد . اننى أسمع اقتراب اقدامها . ان صوت دبيبها يتجاوب مع خفقات قلبى . ان مرارة الواقع لا تنسى حلاوة الغد . كل يوم يجىء يقربنى من الحرية ولا يبعدنى عن الاستبداد . لا أرى شعب بلدى أبدا فى سلاسل دائمة . اننى أتوقع أن يجىء يوم يزف فيه الى الحرية . زفاف دائم وفرحة لا تنتهى . ان عقلى هو الحصان الذى أركبه حوافره لا تسعفنى ، وايمانى يجعل له أجنحة، يطير بها الى الحرية ! ان الذى بينى وبين حرية شعبنا هو وثيقة غير مكتوبة ، ولكنها أبقى على الأيام من كل ورق مكتوب . وثيقة حارة ، لا تبرد أبدا . لا يجف حبرها . لا تموت كلماتها . حروفها تنطق وتغنى وتصلى . وتملأ حياتى الباردة داخل الزنزانة ، دفئا وثقة وتصميما وأملا .

ان كل شيء حولى منكم . يحمل لمساتكم . فيه رائحتكم . يحدثنى عنكم ويذكرنى بكم . حتى الكوب الذى أشرب فيه . السيجاره التى ادخنها . ملاءه السرير التى انام عليها . الفوطة التى امسح بهـا وجهى . حتى ورق التواليت ! انتى القاكم فى كل جريده اقرؤها . فى كل كتاب امسك به . فى كل طعام اذوقه . انفاسكم معى فى كل شيء . معى فى الزنزانه . فى الطابور . فى المستشفى . فى الحـلم والبقظه . هذا يجعل ايامى الخالية مملوءة ، ولحظاتى الحزينـة القاسية والوحدة مليئة بالأمل .

ان الله معنـا !

ليمـان طـره

٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٦

عـزيزتى

يظهر أن صديقى سعيد فريحة تصور أن عنـدى فى الزنزانة فريجيدير وبوتاجاز ! لانه أرسل معلبات أطعمة تحتاج الى التسخين والتبريد ! ان حياتنا هنا بدائية . ويجب أن ترسل لنا الأطعمـة الخاصة بسكان الصحراء التى لا تحتاج الى تبريد أو تسخين !

علمت انه ممكن أن يكتب لى أخى مباشرة على عنوانى فى السجن. لا يوجد تقييد على عدد الخطابات التى أتلقاها فى السجن . الخطابات المحددة بخطابين فى الشهر هى التى أرسلها من السجن . وهكذا أستطيع أن أعرف أخبار على مرة كل أسبوع ، بدلا من عذاب انتظار شهر كامل حتى أعرف أخباره يوم الزيارة .

على الرغم من اننى محروم من التمتع بامتيازات المسجون العادى الا اننى أحمد الله على أن حيـاتى تحسنت عن الفترة الأولى فى الليمان . تنقصنى أشياء كثيرة بطبيعة الحال . مثلا الحياة مؤلمة بدون ساعة . وبدأت أعلم نفسى كيف تكون الحياة بدون ساعة ! فاذا سمعت القرآن فى اذاعة السجن فى الصباح بمعنى ذلك ان الساعة السادسة وخمس دقائق ، واذا سمعت صوت سامية صادق فى برنامج صباح الخير فمعنى ذلك أنها السابعة وخمس دقائق ! وهكذا أعرف الساعة من برنامج الاذاعة المنشور فى الصحف . فاذا توقفت الاذاعة عرفت الساعة بالاستنتاج . الا اذا وجدت أحـد الحراس ومعه ساعة ، وهذا أمر نادر جداً .

انهم يطفئون الانوار فى الساعة الثامنة مساء ، ثم أصبحوا يطفئونها فى الساعة التاسعة . أردت ان أعود نفسى على النـوم المبـكر والاستيقاظ المبكر . تعودت الآن ان اكتب واقرأ على نور الفجـر ، اقترضت شمعة وانتهت . أرجو أن ترسلى لى شمعة . وبذلك اوفر الكبريت الذى اشعله كلما أردت أن أعرف طريقى فى الظلام . الترموس الذى اهدته لى فاتن حمامه حل لى مشكلة التلج . اصبحت استطيع أن اتناول افطارى وغذائى فى الساعة التى اريدها . لا فى الساعة التى يجىء فيها الثلج . وأصبحت مستعدا للطـوارىء فى حالة عدم وصول ثلج فى احد الأيام . وأنا كما تعرفين أعتبر الثلج احدى لذات الحياة . والثلج عندى يعتبر هو الفارق بين الحضارة والتأخر ! وكانت مشكلة القهوة فى وقت من الأوقات مشكلة عويصة . قبل السجن كنت أشرب ١٧ فنجان قهوة كل يوم . الآن اكتفى بفنجان واحد تبرع به أحد الزملاء المسجونين ! أصبح البيض المقلى معقولا، بسبب طبق البيض الصاج . كان البيض يجىء دائما أشبه بالعجة أو الأومليت أو أى شىء آخر الا البيض المقلى . هربنـا الزبد الى داخل السجن ، ونجوت من طعم البيض بالزيت !

بدأت اشعر بالبرد داخل الزنزانة . النوافذ بلا زجاج ولا شيش! استطعت أن أركب شباكا من الورق المقوى فى احدى نوافذ زنزانتى . وسوف أحاول ان اركب شباكا آخر فى الناحية الأخرى فوق باب الزنزانة . لا يزال البرد يدخل من القضبان الحديدية . الوحـدة والسجن يزيدان برودة الزنزانة . المفروض أن يدخل النسيم العليل من الشباك المفتوح ، ولكن حرارة النسيم بدأت تنخفض واصبح كالرصاص ! حلت مشكلة الوسادة القاسية التى صرفوها لى . حولتها الى ثلاث وسادات . وسادة انام عليها . ووسادتان أضعهما بجوار جدار الزنزانة القاسى لأخفف من برودة الجدار !

كانت من مشاكلى الكبرى مشكلة الغسيل والمكوى . امى نسيت أن تعلمنى كيف اغسل الملابس واكويها . كان يجب أن اتعلم هاتين الصناعتين ما دمت قد قررت الاشتغال بالصحافة ! تعرفت بمسجون محكوم عليه بالأشغال الشاقة فى حادث قتل من اجل بقرة . ولكن لم يكن الغسيل يرضينى . حاولت أن اغسل ملابسى واكويهـا ، ففشلت فشلا ذريعا على الرغم من أن الدكتور محمد صلاح الدين

وزير الخارجية السابق الذى حكم عليه الدجوى بالأشغال الشاقة المؤبدة جعلوه يعمل مكوجيا داخل الليمان ! وجدت أخيرا مسجونا محكوما عليه بالقتل من أجل الثار يتولى غسل ملابسى . ووجدت مسجونا محكوما عليه بالمؤبد لأنه قتل حمانه يتولى مهمة المكوجى ! ادفع فى الغسيل علبة سجائر بلمونت ، وفى المكوى علبة سجائر بلومنت ، مسجون فلسطينى تبرع بأن يصنع لى البيض المقلى ويسخن لى الطعام . ومسجون اسمه محمد يحضر فى الصباح وينظف أرض الزنزانة ويغسلها ، ويغير الماء فى الجردل ، ويفرغ جردل البول ، ويغسل الأطباق ويكسر لوح الثلج ليدخل فى الترموس . وهكذا تحولت الزنزانة الى قصر ضيق فيه خدم وحشم وحاشية ! والذين يقومون بهذه المهام كلها هم من أصدقائى المسجونين الذين يعطفون على بسبب أمراضي وسنى ! آه لو علمت الحكومة بطيبة الناس معى ، لعلقوهم فى المشانق . ولكنى أحرص على الا يعرف كل مسجون ما يعمله الآخر ، لضمان السرية والكتمان ! اننى افضل أن أرتب فراشي وأعده بنفسى . وقد أصبح النوم فوق ملاءة ، والغطاء بملاءه وبطانية ، ووضع الرأس على كيس وسادة رفاهية رائعة كنت محروما منها أسابيع طويلة ! واستعمل ورق الجرائد على المائدة بدل المفرش ، واستعمل علب الكرتون بدل الدواليب والادراج ، وكلما اتطلع الى السجائر الكثيرة التى هربها اصدقائى لى أتذكر أيامى الأولى فى الليمان عندما كنت فى فزع من تصور الحياة بدون سجائر ، وكنت أحيانا اقطع السيجارة الواحدة الى نصفين لتكفينى .. وحدث فى أيام ان انتهت السجائر ورحت أبحث فى أرض الزنزانة عن أعقاب سجائر كنت ألقيها على الأرض ودستها بقدمى ، فأعود والتقطها من الأرض ، وأحاول اشعالها من جديد فقد أجد فيها نفسا أو نفسين ! شاء الله أن تنتهى هذه المحنة بفضلك وفضل أصدقائى كنت أشعر بخجل شديد عندما اقترض مقص الأظافر من زميل . أن أظافرى تتسخ بسرعة بسبب كثرة الصحف التى أتصفحها ورداءة الحبر ، ولكن الحمد لله نجحنا فى تهريب مقص أظافر ، وهو يعتبر فى الليمان من الأسلحة الفتاكة الممنوعة ، وأصبحت أستطيع أن أقص أظافرى . كما أشاء . ان بعض الناس يتصورون أن السجن هو فقط الحرمان من الحرية . انه الحرمان من أبسط ضرورات الحياة . إنه التحكم فى مأكلك وفى مشربك وفى قراءاتك وفى خطواتك . الحرية الوحيدة المباحة هى حرية الأحلام !

ان أخبار السجن الحربى تقول انهم يتحكمون الآن فى عبادة المسجونين وفى صلواتهم . انهم يمنعونهم من الاحتفاظ بالقرآن ! ولهذا أجد متعة فى مقاومة هذه التعليمات الصارمة . أشعر عندما أهرب خطابا اننى اتحدى الظالم . اشعر عندما اشرب فنجانا من القهوة اننى اتحدى الظالم . اشعر عندما اتحدث مع زميل لى اننى اتحدى الظالم واذا كانوا يقولون أن نوم الظالم عبادة ، فان تحدى الظالم فى رأيى هو عبادة ايضا . واذا كان الأمر كذلك فاننى اعبد الله ليل نهار ، لأننى أحاول أن أخالف الأوامر والتعليمات الظالمة بالليل والنهار ! اننى لم أرتكب اثما وحكموا على بالسجن المؤبد ، وهاأنذا الآن أرتكب يوميا جرائم مخالفة تعليمات وزير الداخلية ، كأننى اسحب من رصيد براءتى من بنوك الظالمين !

وكل ما آسف له الآن أن النور ينطفىء فى زنزانتى الساعة التاسعة مساء .. فلا اقرأ اكثر مما اقرأ ، ولا أكتب أكثر مما أكتب .. بدأت اكتب قصة مطولة ، وكتبت منها أربع صفحات . القصة عن حياتنا ونحن أطفال . وهذا يعود بى الى أيام طفولتى ، وأحاول أن استجمع الأحداث التى وقعت أيامها . لست أعرف ما الذى يجعلنى اذهب الى أيام طفولتى ؟ هل أنا أهرب من الحاضر . هل أريد أن اكتب عن الأيام التى كان يقتلنا فيها الانجليز ، ولا أريد أن اتحدث عن الأيام التى أصبح فيها المصريون يقتلون المصريين . هل يعز على أن انسب الى مصريين الجرائم التى رأيتها بعينى ترتكب ، والفظائع التى شاهدتها تحدث ، ورأيت أن أنسبها للاجنبى حتى لا الوث بها تاريخ ابناء وطنى ؟ أن تاريخ مصر يجب أن يكتب من الآخر ، ولكن قلبى لا يطاوعنى ، ولهذا أحاول ان أكتبه من الأول !

كنت اتصور اننى أستطيع أن أكتب هنا عشرات الكتب . حتى الآن لم انظم وقتى .

كنت احتج بعدم وجود مائدة اكتب عليها . الآن صرح لى الأطباء بمائدة . ثم أعتذر لنفسى بأن قلمى الحبر ليس معى . والآن لا حجة لى بعد ان هربت قلمى الحبر . لم يبق الا ان اطلب بلكنوت كبيرا ! حتى اخدع نفسى بأن ليس لدى الورق الكافى للكتابة . ان فى رأسى عشرات الموضوعات تصلح قصصا . فكرت فى أول الأمر أن اكتب قصصا قصيرة ، ولكنى رأيت ان وجودى فى السجن فرصة ذهبية .

لكتابة قصص طويلة . لان القصص الطويلة تعيش اكثر مما تعيش القصص القصيرة . ويمكن ان تتحول الى افلام فى يوم من الأيام .
ولقد فكرت ان أكتب تاريخ بلادى فى شكل قصص غرامية ، ليقرأها الجيل الجديد الذى يجهل تاريخ بلاده الحقيقى ، والذى صدرت الأوامر بتشويه تاريخه وتشويه رجاله وابطاله حتى يخلو تاريخ مصر من الرجال والأبطال . وستكون هذه القصص نوعا من المقاومة . منشورات ضد الظالمين . ردا على افتراءات مؤرخى السلطة على تاريخ مصر الحقيقى .

وفكرت ايضا فى ان اكتب قصة حياتى بصراحة كاملة . ولكن هذه القصة تحتاج الى مراجع ، ولا استطيع ان أكتبها معتمدا على الذاكرة وحدها . ان هذا يقتضى ان اتردد باستمرار على دار الكتب ، اوعلى مكتبة اخبار اليوم وعلى أرشيف أخبار اليوم وعلى مذكرات سعد زغلول ، وارجع الى الصحف والمجلات القديمة التى كتبت فيها .

انها احلام كبيرة والعمر قصير .. ومع ذلك فسوف أكتب واكتب واكتب ..

أريد ان اموت والقلم فى يدى !

تفرجت على تشييع جنازتي

سجن ليمان طره
٦ نوفمبر سنة ١٩٦٦

صديقتي العزيزة

قبل أن أسجن بسنوات ، كنت أحيانا أجلس وحدي أفكر في اللامعقول ! أفكر مثلا في أن أسافر الى بلد بعيد ، ثم أرتب حادثا ازعم أنه وقع لي ، وأنشر في الصحف ووكالات الأنباء انني قتلت في هذا الحادث ، وان جثتي اختفت في قاع المحيط .. ولم يبق سوى ملابسي وجواز سفري !

ثم اجلس في جزيرة مجهولة اتفرج على ما سوف يحدث بعد وفاتي . الذين سيبكون والذين يهللون . ماذا ستقول الصحف بعد وفاتي . ماذا سيفعل أصدقائي وقرائي .

ما هي القصص المختلفة والأقوال المخترعة التي سوف ينسبونها الي بعد وفاتي ؟ ويظهر أن أبواب السماء كانت مفتوحة وأنا يخطر برأسي هذا الخيال المجنون . وتحققت الفكرة مع فارق واحد ، وهو انني دفنت في قبر فعلا وأنا ما زلت على قيد الحياة ! واسمع أصوات الذين يقفون حول القبر وأتتبع مناقشاتهم . ولا يستطيع صوتي أن يخرج من القبر ليشترك في المناقشة . ولم أكن أتخيل أن أغلبية الناس العظمى هي من الناس الطيبين . انني أسمع من داخل قبري زفراتهم وتنهداتهم . ولا أستطيع أن أطل برأسي من تحت التراب لأشكرهم . ولا يوجد أحد من أهالي الفقيد يتقبل العزاء بالنيابة عن أسرة المرحوم ! ولست أنكر انني استمتع أحيانا بهذه التجربة الفريدة . ولكني اشعر بعذاب الذين تركتهم خارج القبر ، يتعذبون أكثر مني أنا الذي في داخل القبر .

اشعر احيانا بأننى مثل اهل الكهف الذين بقوا فى داخله ٣٠٠ سنة مع فارق واحد أن اهل الكهف كانوا ثلاثة أو اكثر ، وأنا اعيش وحدى فى سجن انفرادى . وليس معى كلب كأهل الكهف !! واكذب عليك اذا قلت اننى اشعر دائما بأننى وحدى داخل الكهف . اننى أحس فى كثير من الأوقات أن الذين يحبوننى معى داخــل هــذا الــكهف .

وهكذا لا أشعر بالوحدة ابدا . احساسى ببراءتى ، وايمـــانى بالخدمات التى قدمتها لبلدى يجعلنى لا أحس بتعاسة . لا أظن أن المسيح كان تعسا وهو مصلوب على الصليب . بل لعله كان سعيدا بأن مسئولية خلاص هذا العالم سوف يحملها عنه آخرون !

اننى اشعر بأننى خدمت بلادى وثورة بلادى وشعب بلادى بأكثر من جهدى ، وأكثر من عمـــرى ، وبكل ما فى من دم وفـــكر وعرق وأعصاب . وعندما أمسك بيدى الصحف والمجلات التى أصدرتهـــا أو اشتركت فى اصدارها ، أشعر بعزاء ان القلاع التى بنيتهـــا لا تزال قائمة فى مصر وفى خارج مصر .. وعندما أرى أسماء تلامبذى تحتل الصفحات الأولى من صحف بلادى والبلاد العربية أحس بهنائى وفخرى . وعندما أسمع أم كلثوم تغنى « مصر التى أحبها » أتذكر ان كلمات هذه الأغنية التى يرددها الملايين كتبتها نثرا لأم كلثـــوم وحولها أحمد رامى شعرا . وأن قصيدة سلوا قلبى أو رباعيـــات الخيام أو السودان أنا الذى أخترت لأم كلثوم ابياتها ، وأن قصيدة الهمزية اشتركت فى اختيار أبياتها ، وأنا الذى غيرت موسيقاها ، ووضعت مقطع دقات الدفوف فى بداية الأغنية وكان رياض السنباطى قد وضعها فى منتصفها . وأتذكر أن فكرة اغنية الســـد العـــالى التى لحنها كمال الطويل وعبد الحليم حـــافظ بدأت فى بيتى ، من أسطوانة أجنبية كانت عندى .

وهكذا ترين اننى كلما قرأت جريدة ، أو سمعت الراديو ، وجدت أن آثارى لا تزال على قيد الحياة لم تدفن معى . وهذا الشـــعور يسعدنى كثيرا .. الذين يموتون هم الذين تموت آثارهم . وهكذا ترين ان الذين وضعونى فى القبر عجزوا عن ان يسدوا منـــافذ النور . انى أرى نفسى فى مرايا الظلال .. ضباب الزمن لم يغطها ، ولم يخف صورتى تحت التراب .. تراب الزمن !

كانت حياتي مرجيحة . تعلو وتهبط . ترتفع وتنزل . ولم يكن يهمني الارتفاع او الهبوط ، كل الذي يهمني ان الارجوحة لا تزال تتحرك . وليس عندي الآن وقت لاتعذب واتالم واتوجع واحترق . انني اخصص وقتي لأقرا واكتب . لأتذكر واحلم . وبين ذكرياتي واحلامي امضي أغلب ايامي .

يقول مثل صيني « انك لا تستطيع أن تمنع طيور الهم والغم من ان تحلق فوق رأسك ، ولكن تستطيع على الاقل أن تمنعها من أن تعشش داخل دماغك » ! ولا استطيع أن انكر ان الهم والغم لم يحاولا أن يعششا في راسي او يستقرا في دماغي . .

ولكن روحي لم تستسلم . ان راسي مليء بالذكريات الحلوة والأحلام التي هي احلى من الذكريات . وهي تتحرك بسرعة شريط سينمائي في فيلم سريع ، ولهذا فان حركة راسي المستمرة تمنع طيور الغم واليأس ، وخفافيش الهم والظلام من أن تعشش فيه .

انني احيانا اسخر من المظالم . انني مثلا تفرجت على تشييع جنازتي . فقد ارادت الحكومة أن تجعل من الحكم على جنازة رسمية . اشتركت فيها الصحافة والاذاعة والتليفزيون . وكان المفروض أن ينشر نعيي في صفحة الوفيات ، ولكن الحكومة نبهت على الصحف أن تنشر النبأ بالعناوين العريضة على ثمانية اعمدة في الصفحة الأولى . وكان المفروض أن يكون المأتم ليلة واحدة ، ولكن المأتم استمر اربعين يوما . في كل يوم تكتب الصحف عني وتهاجمني وتلعنني وتشتمني ! وكذلك تعليقات محطة الاذاعة والتليفزيون . كل ذلك ليتأكد الناس انني مت ، ودفنت ، ولن أخرج من القبر الى الأبد !

ولكن الذين رسموا خطة الجنازة والدفن والمأتم ، نسوا أن الله قادر على أن يحيي الموتى . وقادر على أن يجيء في اى وقت بيوم قيامة جديد !

وانا اؤمن بأنه لابد ان تقوم القيامة في مصر ، واذا كان ظهور المسيح الدجال من عمليات الساعة ، فان الدجل الذي الاحظه

فى سياستنا وفى تصرفاتنا ، وفى عمليات الارهاب المستمرة ، وفى الاعتقالات ، وفى التلفيقات وفى حكم الفرد كل هذا من علامات الساعة التى تؤكد انه لابد ان يجىء يوم يخرج فيه الموتى من القبور التى حكم عليهم الدجوى ان يبقوا فيها الى الابد !

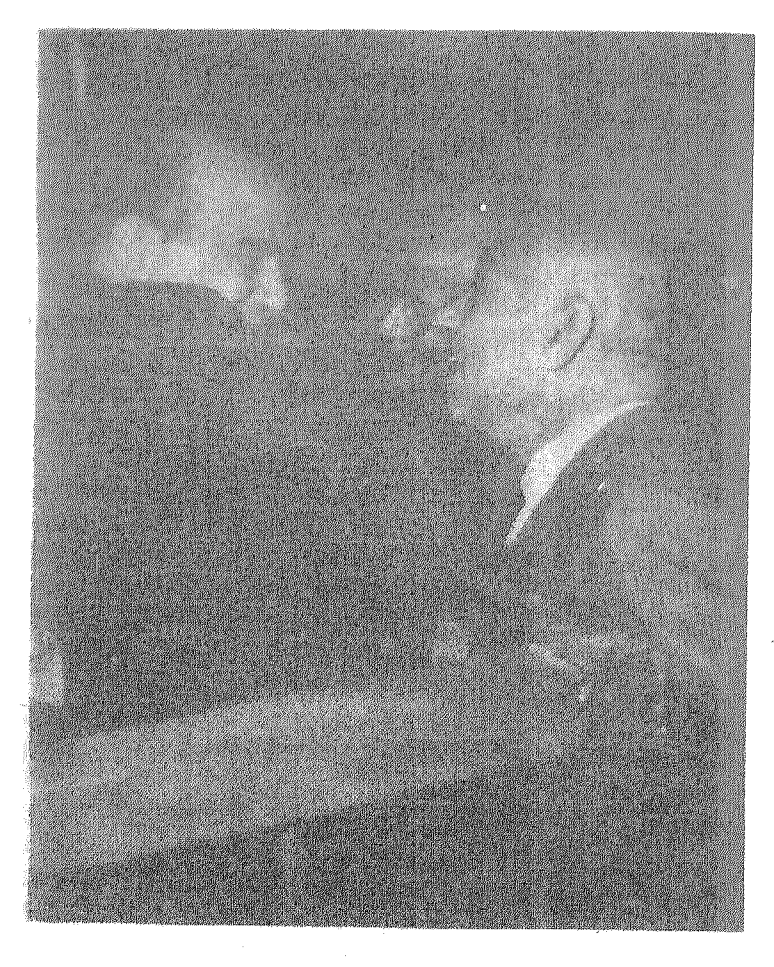
من الطرائف التى حدثت لى انهم يرسمون لوحات على جدران القبر الذى فيه زنازين المسجونين السياسيين . وطلب منى مأمور السجن ان افكر فى موضوعات لوحات صور يرسمها المسجونون على الجدران لتزينها !

قلت لهم : اننى لا اتصور ان المسجون يزين السلاسل التى تقيدونه بهـا !

واعتذرت عن تقديم افكار لتزيين القبر !

علقت على جدار زنزانتى مرآة صغيرة بحجم الكف . وهى مرآة حقيرة جدا ، ومع ذلك استطعت ان ارى فيها وجهى لاول مرة منذ شهور طويلة . لم اكن استطيع ان ارى وجهى الا فى نافذة غرفة الضابط . فهو الوحيد فى العنبر الذى يوجد زجاج فى نافذته .

عندما رايت وجهى فى المرآة اطمأننت .. اننى لم اتغير . ان الشعر الأبيض زاد فى راسى . لا ازال احتفظ بابتسامتى وحيويتى رغم الاهوال التى تعرضت لها . لا اظن ان المرآة تخدعنى . انا اشعر بأن قلبى لا يزال شابا . روحى مليئة بالحيوية . الأمل يملأ نفسى .. كل هذا من علامات الشباب .



سنقول للدجوى ان السفير المصرى فى أمريكا اختارنى للدفاع عن كرامه الجيش المصرى فى ٢٤٠ محطة اذاعة وتليفزيون أمريكى ، عندما ظهرت صور الدجوى فى التليفزيون — يستسلم وهو قائد غزة للجيش الاسرائيلى سنة ١٩٥٦ ويشكر الجيش الاسرائيلى على انسانيته !

الكرباج أساس الملك!

ليمان طره

نوفمبر سنة ١٩٦٦

صديقى العزيز ...

الساعة الآن قبل السادسة صباحا . لأول مرة اسمع صوت العصافير فى النافذة ، وكأنها تقول ى صباح الخير . لم اسمع صوت العصافير تغنى سوى صباح اليوم . لست أعرف هل هى تغنى أم تبكى ؟ تغنى لنا أم تبكى علينا ؟ قلبى يحدثنى بأنها تغنى . انها تحمل لى من خارج السجن كلاما واحلاما وامانىودعوات . ربما كانت تغنى كل صباح ولم التفت لغنائها سوى اليوم . اننى كنت فى سجن المخابرات أسمع فى الصباح صوت أم قويق . لست أعرف هل هى أم قويق حقيقة ، أم انهم يطلقون أصوات البوم كجزء من وسائل التعذيب . ما أعظم الفرق بين الغربان والعصافير . أو لعل هذا هو الفرق بين السجن الأول والسجن الأخير . انا أسمع صوت عربات النقل القادمة من حلوان ، او المتجهة الى حلوان . صوت ديك يصيح . دبيب اقدام تمشي . بدأت القاهرة تفتح عينيها وتستيقظ . ولكن السجن لا يزال نائمـا . اننى انتهز فرصة نوم السجن لأكتب اليك فى هذا الهدوء . ان لون الفجر يخترق الستارة المعلقة على النافذة . ضوء النهار لم يدخل بعد . ولهذا انا اكتب على ضوء شمعة . بعد لحظات سوف تمشى الأحذية الثقيلة فوق أرض السجن . معنى ذلك أن حراس الصباح وصلوا . فى كل لحظة نتوقع صوت المفتاح الكبير وهو يدخل فى ثقب الباب ، ويدخـل وراءه حارس ، وأحيانا ثلاثة حراس ، وأحيانا ثلاثة حراس وصول ، وأحيانا ثلاثة حراس وصول وضابط . يقلبون الزنزانة رأسا على عقب بحثـا عن ممنوعات . كل ما رتبته فى الليل يتلخبط فى النهار . كل شيء يقلبونه ويعبثون به . فى بعض الاحيان يجيء حراس مؤدبون يحرصون بقدر جهدهم على أن يعيدوا الملابس كما كانت بعد تفتيشها

آخرون يشبهون دخول الثور فى متحف الخزف . غيرهم أشبه بجيش الجراد عندما يهاجم حقلا من المزروعات . الممنوعات هى الشاى . ومنذ أن علمت أنه ممنوع أضربت عن شرب الشاى . والسكر وانا ليس عندى سكر لأننى مريض بالسكر . والحشيش وانا احمد الله على اننى لم أدخنه ابدا . ولكن أخطر الممنوعات هو الورق والقلم . وانا أخفيهما عند مسجون يبعد عنى ١٣ زنزانة . مسجون غير سياسى يجهل القراءة والكتابة ، ولهذا لا يهتم أحد بالبحث عنده عن ورق وقلم !

من الممنوعات أيضا الصور الجميلة فى الصحف والمجلات . فاذا رأى الضابط صورة لفتاة جميلة ترتدى المايوه فى صفحة كمال الملاخ بالأهرام قطع الصورة !

بدأ المسجونون يتجرأون ويدخلون زنزانتى . فى الزنزانة مقعد واحد . احيانا أجلس على السرير . ويجلس اثنان على طرف السرير . على المقعد يجلس مسجونان ، ثم يجلس البعض على السجادة المفروشة على الأرض . وهكذا تتحول الزنزانة التى عرضها متران وطولها ثلاثة أمتار الى « بيت الأمة » !

السجن فى بعض الأحيان يحبس الأفكار . فتصبح الأفكار متكررة كأيام السجن . تسمع الحكاية الواحدة عشرات المرات . المسجون ينسى انه قال لك حكايته فيعيد تلاوتها من جديد . أنا أحرص على أن أتكلم مع كل زميل من زملائى . أقسم وقتى عليهم جميعا . أصبحت احفظ كل قضية عن ظهر قلب . ما أكثر المظلومين هنا . ان أشنع ما يصيب أمة أن يضيع العدل فيها . كان العدل أساس الملك فأصبح الكرباج هو أساس الملك . كان الحاكم راعيا ثم أصبح جزارا . كان الأشراف يضعون المجرمين فى السجون ، وأصبح الآن المجرمون هم الذين يضعون الاشراف فى السجون ! كانوا يضربون المثل بعدالة القضاء المصرى . والآن يضربون المثل بظلم محكمة الدجوى ! كان القانون سيدا والحاكم خادما ، فأصبح الحاكم سيدا والقانون خادما ! القصص التى أسمعها هنا عن انتهاك العدالة والعبث بالقانون تذكرنى بقصص محاكم التفتيش .

اعتاد زوار المسجونين السياسيين أن يحملوا لهم أخبارا مع الأطعمة في الزيارة . أغلب الأخبار تقسم بالطلاق أن الفرج قريب . الأهالي يحاولون أن يكذبوا على أقاربهم المسجونين ليخففوا عنهم آلام السجن . من سوء حظي أنني بحكم مهنتي كصحفي أستطيع أن أفرق بين الخبر الصحيح وبين الاشاعة الكاذبة . ثم ان اتصالاتي مع تلاميذي خارج السجن تجعلني أعرف الأخبار الصحيحة أولا بأول . ان معلوماتي أن الحال ستسوء ، ولن تتحسن . الاتجاه الى بطش أكثر . لا توجد نية للافراج ولكن للتضييق . الحكام استعذبوا طعم الطغيان ، لأنه يسكرهم . ولكني لا أجرؤ أن أقول لزملائي المسجونين السياسيين الحقيقة المرة . انني أتركهم يعيشون في قصور أوهامهم . أشفق عليهم أن أخرجهم من القصور الباسمة لأعيدهم الى زنزاناتهم الكئيبة !

كثيرون من المسجونين الذين في داخل السجن أسعد حالا من أسرهم خارج السجن . ان متاعب الأسر المالية هي سبب تسعة أعشار شقاء المسجونين ، فعندما ينقطع دخل عائل الأسرة يحدث لها ما يحدثه سقوط قنبلة ذرية . في الزيارة تسمع أحاديث بين زوج وزوجته عن السوار التي رهنته . أو أنها حاولت أن تقترض خمسة جنيهات فلم تجد من يقرضها . ثم تجيء في المرة القادمة وتقول ان ربنا فرجها . ويسألها الزوج كيف فرجها . فتقول انه فرجها والسلام . وتحس من صوت الزوجة الذي اختلطت فيه الكلمات بالدموع ، انها بدأت ببيع السوار ، وانتهت ببيع مالا يباع !

وتسمع في الزيارة أسر المسجونين السياسيين وهي تتحدث عن أثاث البيت الذي باعته . في الزيارة الأولى باعت الدولاب ، وفي الثانية باعت الصالون وفي الثالثة باعت السرير ! ثم تسمع عن زوجة أحد المسجونين السياسيين التي كانت تعبد زوجها ترسل له تستأذنه في الطلاق لأن أولاده سيموتون من الجوع ! ان الدجوي حكم على كثير من الناس بالسجن . ولكنه حكم على أسر كثيرة بالاعدام ! وقد سمعت مسجونا سياسيا يقول : يا بخت سيد قطب الذي حكم عليه الدجوي بالاعدام !

ان مآسى اسر المسجونين السياسيين تصلح كل واحدة لتكون مأساة تمثل على المسرح .. وعندما يراها الناس لن يصدقوا ان فى مصر من يموت من الجوع . وان أم أحد المسجونين السياسيين ماتت لأنها لم تجد اجر الطبيب . وان زوجة مسجون سياسى آخر ماتت وهى تلد لأن الأسرة لم تجد فى البيت ريالا تدفعه للقابلة !

ومن العجيب ان الذين اصدروا هذه الأحكام القاسية لم يفكروا فى البيوت التى خربوها ، ولا الأطفال الذين شردوهم ، ولا الأسر التى دمروها !..

واذكر ان احد الكبراء قال لى ان عيب اسرة المسجون السياسى فلان الفلانى انها تحقد علينا !

وقعت فى يدى صحيفة امريكية بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٩٦٦ جاءت لأحد الزملاء وقد لفوا فيها حذاء ! قرأت فيها حكما هاما للمحكمة العليا فى امريكا ، وهو انه ليس من حق المحقق ارغام شخص على ان يشهد ضد نفسه ، وان هذا الحق الدستورى يبدأ منذ لحظة القبض على المتهم . وانه يجب على المحقق ان يبين للمتهم بوضوح ، وقبل التحقيق معه ، أن من حقه أن يسكت ، ويرفض الكلام . وأن يوضح له أن أى شىء سيقوله الآن قد يستعمل ضده فى المحكمة .. وأن ينبه رجل الشرطة المتهم عند القبض عليه أن من حقه أن يكون معه محام يحضر التحقيق ، فاذا لم تمكنه حالته المالية من توكيل محام ، فان على الدولة أن تدفع أجر المحامى . وانه اذا لم يتقدم المتهم اعترافه من تلقاء نفسه ، وبعد أن يعلم بحقه الدستورى فى الامتناع عن الاعتراف ، فان الاعتراف يصبح باطلا .

وعلى هذا الأساس حكمت المحكمة الأمريكية العليا بالغاء حكم الاعدام على قاتل اعترف بخط يده ، لأنه بقى خمسة أيام بدون محام .

وحكمت ايضا محكمة اخرى بالغاء حكم بالأشغال الشاقة مؤ

قاتل معترف بخط يده ، لأنه مكث ١٧ ساعة مقبوضا عليه ، دون أن يستطيع الاتصال بمحام أو بأحد من أقاربه !

وتذكرت كيف أنني مكثت فى سجن المخابرات الأيام الباقية من يوليو ، وكل أغسطس ، وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر ، بغير أن يسمحوا لى بالاتصال بمحام ، أو أن يعلم أحد من أقربائى أين أنا !

لو طبقت هـــذه القواعد الدستوريةفى بلادنا لمـــا بقى مسجون واحد فى السجون المصرية !

من الذى قتل
رئيس محكمة أمن الدولة

ليمـــان طــره
نوفمبر سنة ١٩٦٦

عـــزيزتى ..

سيجىء يوم تضاء فيه الأنوار . وتكشف الأسرار ، وتظهـــر الحقيقة ، ويختفى الزيف والبهتان : سيعرف الناس جرائم بذلت جهود جبارة لاخفاء معالمها . ولكنى مؤمن بأنه سيجىء يوم يزاح فيه الستار عن خفايا أسدل عليهـــا ستار الظلام . ولو عرف الظالمون أنه سيجىء يوم ينكشف فيه ظلمهم ، لترددوا ألف مرة قبل أن يرتكبوا ما ارتكبوه !

فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦١ عرفت القاهرة أن كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة انتحر ، بأن صعد الى سطح عمارة فى مصر الجديدة والقى بنفسه منها ومات على الأثر !

ودهش الناس أن ينتحر رئيس محكمة أمن الدولة ! ودهش أكثر الذين يعرفون كامل لطف الله،ويعرفون أنه رجل قوى الأعصاب. ثم دهشوا أكثر وأكثر عندما علموا أنه اختار ليوم انتحاره يوم نظر قضية مشهورة اسمها قضية المليونير فهوم المتهم برشوة الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة وعدد من كبار الموظفين ، وهى قضية ثارت حولها أقوال واشاعات . وكان كامل لطف الله سيرأس هذه المحاكمة ، وكان قبل ذلك يقول لأصدقائه أنها قضية هامة جداً ، وأنها من أكبر القضايا التى نظرها فى حياته ! وحرص على أن يدعو ابنته الوحيدة سميحة وزوجها الدكتور نبيل وديع من أسيوط خصيصا ليحضرا هذه المحاكمة الهامة ، فتحضر الابنـــة الوحيدة من أسيوط وتفاجأ بأن أباها انتحر !

وبدأت الصحف تتساءل هل انتحر رئيس محكمة أمن الدولة أم قتلوه ! وفجأة تدخلت الرقابة واكدت للصحف أن رئيس المحكمة انتحر ، وأنه ممنوع الاشارة الي مقتله ! وبعد أن كانت العناوين « مصرع رئيس محكمة أمن الدولة » أصبح انتحار رئيس محكمة أمن الدولة !

وقيل للصحف أنه ثبت من التحقيق أن كامل لطف الله كان على خلاف مع زوجته .. وأن هذا هو سبب انتحاره . .وظهر أن كامل لطف الله منفصل فعلا عن زوجته ، ولكن الانفصال حدث في عام ١٩٥٦ فهل معقول أن ينتحر انسان في عام ١٩٦١ بسبب خلاف وقع في عام ١٩٥٦ أي منذ ٥ سنوات ! ؟

قد يقال أن رئيس محكمة أمن الدولة كان مفتونا بزوجته ملكة الجمال ، وأنه رآها فجأة فتجدد الحب وانتحر . ولكن ظهر أن الزوجة لم تكن ملكة جمال ، بل كانت سيدة مفرطة في السمنة ، وكان ضغطها ٢٢٠ ، وكانت مريضة بالسكر وتصلب الشرايين وهبوط في القلب وترهل في الأعصاب ...

وكان كامل لطف الله في تلك الأيام سعيدا لأنه أصبح جدا للمرة الأولى في حياته .

واهتم شقيقه القاضي منير لطف الله — المستشار فيما بعد — بالحادث ، وبدأ يتولى تحقيقه ، وظهر أن كامل لطف الله يحتفظ دائما بمسدس ، فلماذا لم يطلق على رأسه المسدس ، بدلا من أن يلقى بنفسه من سطح عمارة الى أرض الشارع . ولاحظ القاضي أن طباخ رئيس محكمة أمن الدولة شهد شهادة غير حقيقية تؤكد أن كامل لطف الله انتحر ! ثم فوجيء بالطباخ يعترف بأنه تقاضى ٢٠٠ جنيه من شخص مجهول ليشهد هذه الشهادة !

وكان القاضي منير لطف الله يعلم أن شقيقه درس أوراق قضية فهوم دراسة دقيقة ووصل الى نتيجة : هي أن المجرمين الحقيقيين ليسوا في القضية ، وأن المتهمين في القضية هم الأبرياء ... ! وأن القضية تمس شخصيات كبيرة في الدولة ..

وكان المستشار كامل لطف الله يقيم فى نفس البيت الذى يقيم فيه خليل حسين عم الرئيس جمال عبد الناصر : وسمع عم الرئيس بما يقوله رئيس محكمة أمن الدولة . وذهب وأبلغ به الرئيس عبد الناصر .

وفوجىء رئيس محكمة أمن الدولة ذات يوم بدعوته لمقابلة الرئيس فى بيته بمنشية البكرى . على بعد خطوات من شقة رئيس محكمة أمن الدولة وسأله الرئيس : هل حقيقة أنك ترى أن الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة برىء . .

قال كامل لطف الله : أعلم أن سيادتك خطبت فى خطبة علنية واتهمته بأنه حرامى ، ولكن أوراق القضية تبين أنه برىء . . وضميرى كقاض يحتم على أن أظهر هذه الحقيقة .

قال الرئيس : افعل ما يمليه ضميرك .

قال كامل لطف الله : وأحب أن تعلم أن القضية ستجىء بأسماء كبيرة .

قال الرئيس : لو كان اسمى موجود فى القضية هاتنى !

قال كامل لطف الله : أن من قراءة الأوراق تدل على أن بعض الوزراء « حرامية » .

قال الرئيس : قل لى على أسمائهم وأنا سأقطع رقبتهم !

قال كامل لطف الله : لا أستطيع أن أحكم على أحد قبل أن أنتهى من نظر القضية وأسمع الدفاع والاتهام . .

وانصرف كامل لطف الله سعيدا بهذا اللقاء . .

ثم حدث بعد ذلك أن هوجمت شقة كامل لطف الله وسرقت منها

أوراق القضية ، وعليها ملاحظـات رئيس محكمة أمن الدولة بخط يده .

فمن هو صاحب المصلحة فى سرقة هذه الأوراق .. لا يمكن أن يكونوا المتهمين الذين قال عنهم رئيس محكمة أمن الدولة انهم أبرياء ..

لابد انهم أشخاص عرفوا أن القضية سوف تصل اليهم . ولابد انهم بعد ذلك عرفوا بأن يد العدالة ستصل اليهم ، ولهذا رأوا أن يتخلصوا من رئيس محكمة أمن الدولة بخطفه فى صباح المحاكمة ، والقائه من سطح العمارة !

ولاحظ الأطباء من أقارب كامل لطف الله ان تقرير الطبيب الشرعى مهلهل ، ولاحظوا أن الاسعاف لم يحضر فورا ، بل حضر بعد نصف ساعة .

وتردد بينهم أن كامل لطف الله مات بسم لا يترك أثرا ، وبعد أن تناول السم القوه من السطح !

وفجأة تلقى القاضى منير لطف الله رسالة بلا امضاء تقول له : « لا تتكلم ! والا فسوف يكون لك نفس المصير » .

وذهبت الطالبة سميحة كامل لطف الله الى عمها القاضى منير لطف الله تقول له : اننى قررت أن التحق بكلية الحقوق ، وأتخرج محامية ، وأطالب باعادة التحقيق فى مقتل أبى !

قال لها عمها هامسا : اسكتى ! لا تفتحى فمك . لقد جاءنى تهديد بألا اتكلم والا فسيكون لى نفس المصير !

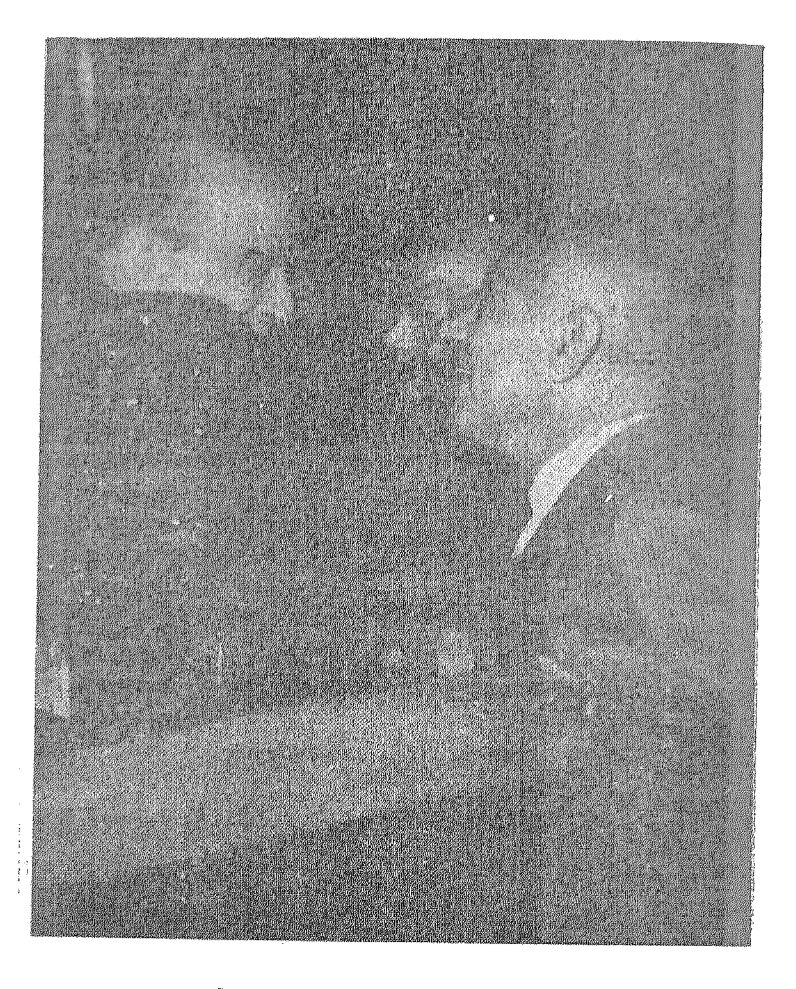
واطبقت الأسرة فمها رعبا !

وعرضت القضية على دائرة المستشار رياض رزق الله وبرأت الدكتور السمنى وزملاءه .

انني أعرف كامل لطف الله شخصيا . أعرفه وهو شاب . كان قاضيا في القاهرة ولفقت احدى الحكومات قضية ضد أخبار اليوم ، وارسلت مظاهرة تحاول تحطيمها ، ثم اتهمت عمال أخبار اليوم بأنهم هم الذين تجمهروا وقتلوا أحد المتظاهرين وقبضوا على ١٧ من عمال ومحرري أخبار اليوم ووضعوهم في السجن . عرضت المعارضة على القاضي الشاب كامل لطف الله . جاءه من يبلغه أن الملك يرغب في مد حبس المتهمين . رفض القاضي أن يخضع لأمر الملك وأفرج عن المتهمين . عوقب القاضي النزيه بنقله الى قنـا . نشرت القصة في أخبار اليوم . عاد كامل لطف الله بعد الثورة الى القاهرة . هذا القاضي الجريء ليس بالقاضي الذي يخاف ، انه رفض أن يخضع لأمر الملك ، وهو بالتالي لا يمكن أن يخضع لتدخل أي كبير في الدولة يريد أن يوقف سير العدالة !

سيجيء يوم تجتمع فيه الجمعية العمومية للمستشارين في هيئة جمعية غير عادية ، وتؤلف لجنة تحقيق ، لتعرف من الذي قتل رئيس محكمة أمن الدولة !

ان الحقيقة لا يمكن أن تموت !



حمادة الناطل يقول لمصطفى أمين : سوف اعارض فى أن تكون المحكمة سرية .. ولكن الاوامر صدرت للدجوى بان تكون المحاكمة سرية !

من الذى سرق خزانة سفارة الكويت؟

سجن ليمان طـره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

عــزيزتى ..

اؤمن ايمانا عجيبا بأنه سيجىء يوم ، قريب أو بعيد ، ستضاء فيه الانوار على هذا الظلام الدامس ، وتنكشف الحقائق ، كل الحقائق ، ويزاح الستار عن كثير من الخبايا التى يتصور أصحاب السلطان انها لن تعرف أبدا .

فى يوم ١٩ اكتوبر الماضى سرقت خزانة سفارة الكويت فى القاهرة وهى خزانة اعتادت السفارة أن تودع فيها مجوهرات الكويتيين الذين يسافرون الى الخارج ويضعون هــذه المجوهرات أمانة لدى السفارة .

وفيها كذلك « رزم » من أوراق البنكنوت ..

واستوقف النظر أن « رزم » أوراق البنكنوت تحولت الى رزم من أوراق النشاف الذى يستخدم فى تجفيف الحبر فى السفارة . ووضعت فى كل رزمة ورقتان ماليتان احداهما أسفل الرزمة والأخرى فوقها ، ليظن من يفتح الخزانة انها ورق بنكنوت !

ووضعت بدل قطع المجوهرات المسروقة مجوهرات مزيفة ، بنفس العدد والشكل والحجم ..

وابلغت السفارة اللواء أحمد مرتضى مدير أمن الجيزة وقامت الدنيا وقعدت . وانتقل محافظ الجيزة ورجال البوليس وشعبة البحث الجنائى ورجال النيابة .

وقيل لسفير الكويت فى القاهرة أن الدولة كلها تبحث عن اللصوص وسوف تسترد المجوهرات الثمينة والمبالغ الطائلة !

وكان أغرب ما حدث أن فى السفارة عدة خزائن لم يمسها أحد ، مما يدل على أن الذى فتح الخزانة يعرف أين توجد المجوهرات وأن الأوراق والمستندات الموجودة فى الخزانة المسروقة لم تمس.. مما يؤكد أن الغرض هــو سرقة المجوهرات وليس سرقة مستندات سياسية !

وفى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٦٦ صدرت جريدة الأهرام ، وفيها صفحة كاملة بعنوان « من الذى سرق خزانة سفارة الكويت ». سلطات الأمن لم تعثر على أى دليل يثبت أن أحدا اقتحم السفارة أو تسلل منها . اختفاء محتويات الخزانة فى نظر سلطات الأمن « سرقة محيرة » وليس حادثا غامضا وهذه هى الأسباب : أوراق النشاف التى وضعت مكان ٨ آلاف جنيه نقدا .. من نفس النوع المستعمل فى السفارة ! كيف يمكن أن يدخــل لص مرتين ليأخذ المجوهرات الحقيقية التى تقدر بعشرة آلاف جنيه ثم يعود ليضع مكانها مصوغات مزيفة » !

وحاول تحقيق « الأهرام » أن يثبت ويؤكد أن السرقة تمت من داخل السفارة وقالت بالحرف الواحد « أنه مما لا شك فيه أن السرقة من الداخل ، يعنى أن شخصا من داخل السفارة هو الذى ارتكب الجريمة أو على الأقل اشترك فى ارتكابها . يؤيد ذلك أن هناك ٧ خزائن أخرى فى السفارة ليست فيها نقود ، ولذلك فان اللص سرق هذه الخزانة بالذات ، وهو بدون شك يعرف أن هناك غيرها ولكن ليس فيهــا ما يسرق . يؤيد ذلك أيضــا ما ظهــر من حقيقة « النشاف » وأن الجريمة تمت فى وقت يعلم فيه السارق أن صاحب الخزانة سافر الى لندن .. وأنه حتى بعد أن عــاد — منذ شهرين — فانه يقضى فترة نقاهة فى منزله ولا يتردد على مكتبه . يعنى أن هناك وقتا لاعداد أوراق النشاف والمجوهرات المزيفة .. واتمام السرقة التى لن تنكشف الا بعد فترة يكون فيها السارق قد استرد أنفاسه وأعد أسلوب المراوغة .. أيضا كيف

يمكن لغريب أن يدخل من باب السفارة ، وهى حتى الساعة الثانية ظهرا خلية تشغى بموظفيها والمترددين عليها . وبعد الظهر حتى صباح اليوم التالى تغلق وبها خفير وعلى بابها حارس ؟ كيف يمكن الدخول « للمعاينة » ولاعداد النشاف والمجوهرات المزيفة ووضعها فى مكانها ثم الخروج بهدوء ؟ ان هذا لا يتأتى الا لشخص يعرف السفارة جيدا . ويعمل بها .. ويقف على كل ظروفها ..

وانتهى التحقيق باتهام موظفى وعمال السفارة وقال بالحرف الواحد « من الذى يعمل بالسفارة من غير الدبلوماسيين .. أى من السعاة ؟ انهم ١٧ ساعيا — مصريا — وسودانيا — ولهم رئيس » .

انتهى التحقيق الخطير المنشور فى الاهرام .

وجاءت الأنباء أن الدولة قبضت على جميع السعاة المصريين والسودانيين .. وأن جميع الكويتيين من موظفى السفارة وزوجاتهم تحت الرقابة الشديدة ، وكذلك تليفوناتهم لمعرفة السارق منهم !

ثم حدثت مفاجأة مذهلة ..

تلقيت رسالة مهربة من احد تلاميذى خارج السجن ، وهو شخص اثق كل الثقة بصدق معلوماته ان السعاة المساكين ابرياء ، وأن موظفى السفارة الكويتية ابرياء ، وأن اللصوص ايضا ابرياء وأن السرقة تمت بأمر شخصية كبيرة فى الدولة . وأن عددا من كبار موظفى الدولة اشتركوا فى عملية السرقة !

وأن الذى أمر بالسرقة هو صلاح نصر .. فقد جاءت أنباء تؤكد أن فى الخزانة مجوهرات ثمينة جدا لا تقدر بثمن !

وتمت السرقة تحت اشراف صلاح نصر .

وتسلم صلاح نصر المجوهرات والمبالغ المسروقة ، وقسم المجوهرات الثمينة الى ثلاثة أقسام متساوية : اعطى القسم الأول منها الى شخصية معروفة فى الدولة وأعطى القسم الثانى منها الى شخصية معروفة فى الدولة أيضا واحتفظ بالجزء الثالث من المجوهرات المسروقة فى خزانته !

وجاءتنى الأنباء بعد ذلك تؤكد هذه الرواية الخطيرة المذهلة التى لم يحدث لها مثيل فى أى بلد فى العالم !

اعرف أن بعض الدول سرقت مستندات هامة من سـفارات أجنبية !

ولكن هذه أول مرة فى التاريخ تسرق دولة مجوهرات من خزانة سفارة أجنبية !

ترى هل سيجىء يوم يكشف الشعب فيه هذه الحقيقة المذهلة المرعبـة .

وهل سيعرف الشعب حقيقة صلاح نصر والجرائم التى ارتكبها أو أمر بارتكابها ؟

وهل سيجىء يوم يجرى فيه تحقيق معه فى سرقة سفارة الكويت وأين ذهبت المجوهرات المسروقة !

هذا ما كان يمكن أن يحدث لولا الظلام الذى نعيش فيه ..

الحرية وحدها تضىء الأنوار ..

وفى الأنوار لا يمكن ارتكاب مثل هذه الجريمة الخطيرة التى لم يسبق لها مثيل !

أما المفاجأة الكبرى فهى أن كاتب التحقيق فى الأهرام الذى يحاول أن يضلل القراء ويخفى السارق الحقيقى هو مندوب جريدة الأهرام عند صلاح نصر !



في قفص الاتهام اسمع الدجوى
يتلو التهم الموجهة الى !

أصابعي.. تأكلني!

سجن ليمـــان طـــره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

قامت الدنيا وقعدت ! اتصل وزير الداخلية بمدير مصلحـــة السجون وقال انه وصلت اليـــه معلومات بأننى أعيش فى الليمان مرفها ومنعما ! الصيت ولا الغنى !!! واسرع كبار موظفى مصلحة السجون الى زنزانتى ليضبطوا الجريمة الفظيعة .. واكتشفوا اننى اعيش كأى مسجون اقل من العادى .. وان حياتى بسيطة جدا .. وكما قال مدير الليمان ان هناك الف مسجون فى الليمان يعيشون مثلى ! وقيل لى ان الذى اثار غيظ ولاة الأمور ان التقارير قالت اننى اضحك باستمرار فى السجن ! وان هذا الضحك دليل على اننى منعم ومرفه وأعيش كملك . ولو كنت أعيش ككلب كما نصت التعليمات لمـــا ضحكت ولمـــا ابتسمت ! وطلب منى بعض الضباط ان اتظاهر بالحزن والبكاء لأسعد الحكام ! وقلت لهم اننى لا اضحك وانما اسخر ! وسوف اقف على المشـــنقة وانا أسخر بالظالمين ، لأننى اعلم ان دورهم سيجىء بعدى !

وقيل انه لابد من عمل شىء حتى لا ينزل كلام سيادة الوزير الى الأرض . وبهذا منعوا أغلب الأطعمة التى احضرتها فى الزيارة . وسمعت انك بكيت . والذين رأوك تبكين تأثروا كثيرا ، وكانت قلوبهم تتقطع وهم يصفون لى حزنك وتعاستك . ولكنى لم أتضايق ابدا . اننى عودت نفسى الا اشكو من شىء ، ولا أحتج على شىء ، ولا اطالب بشىء .. اننى على استعداد أن اعيش على العيش الحاف ، ولو كان طعام السجن عبارة عن فول مدمس يوميا لمـــا ترددت فى ان آكله كل يوم . اننى أستطيع أن اعيش على أى طعام، واجد لذة ان اكيف نفسى فى أى وضع . واحمد الله على ان التحقيق

الدقيق الذى جرى اظهر اننى أعيش فى مستوى دون كثير من المسجونين . وقد فتشوا غرفتى عشرات المرات ، ولم يحدث مرة واحدة أن وجدوا فيها شيئا ممنوعا . ولقد سحبوا الصندوق الذى كنت أضع فيه ملابسى ، والآن أضع ملابسى داخل ورق الجرائد . وقد تضايقت فى أول الأمر ، ثم لم ألبث أن عودت نفسى على أن ورق الصحف يصلح أن يكون دولابا أنيقا ! وسحبوا المائدة والكرسى فجلست على الأرض . وسحبوا برنس الاستحمام، وتعودت أن أنشف نفسى بالفوطة . وعادوا يضيقون على الخناق ويمنعون المسجونين من التحدث معى . وكل هذا وغيره مسائل بسيطة جدا . الانسان فى بعض الأحيان يعتبر أشياء تافهة من ضرورات الحياة ، ولا يلبث بعد مدة أن يكتشف أنه يستطيع أن يستغنى عنها ، ويعيش بغيرها . وكل هذه الأشياء التى حرمت منها لا تساوى وصول خطاب من انسان أحبه !

ان وزير الداخلية لم يشقنى ! أحسست أننى أنا الذى ضايقته عندما لم يجدوا فى زنزانتى ممنوعات أو مخالفات ! استطعت أن أعرف نبأ حملة التفتيش قبل وصولها الى زنزانتى بنصف ساعة . اشترك كل زملائى المسجونين السياسيين فى عملية اخفاء الممنوعات .. انهم لم يكتفوا باخراج القلم والورق من زنزانتى ، بل أخفوه فى عنبر آخر !

وأمر الوزير بمنع دخول الثلج ! وبعلبة سجاير واحدة استطاع أحد الزملاء أن يلغى قرار الوزير ! كل ما هناك أن الثلج أصبح يصل الى الزميل فى زنزانته ، ويرسله لى الى زنزانتى ! وقد استمر حرمانى من الثلج عدة أيام . وعودت نفسى على شرب الماء العادى، وحمدت الله اننى وجدت ماء عاديا أشربه ، وتذكرت الأيام التى كنت لا أجد فيها نقطة ماء فى صيف يوليو وأغسطس ، ولا أجد ما أشربه سوى ماء التواليت !

ولم أتضايق من أن الوزير منع خبز السكر وطعام السكر ، ومن أوامره تجريد زنزانتى من كل شىء واساءة معاملتى لأكون عبرة لباقى المسجونين !! ولقد أمضيت خمسين عاما من حياتى أدخل أعظم القصور . وأقيم فى أفخم فنادق العالم . وأتناول طعامى فى أرقى

مطاعم الدنيا ، واستمتع بكل ما فى الحياة من جمال ، فلا يجوز أن احزن لاننى امضى بضع سنوات فى زنزانة على البلاط ! لقد تعلمت كثيرا فى هذه الزنزانة . واستفدت من كل يوم أمضيته فى السجن ، لاعرف الحياة كلها . كانت حياتى ناقصة قبل ان ادخل السجن . وطبعا لن يوافق اصدقائى على هذه الفلسفة . ولكنى مازلت مصمما على رايى من انه لابد أن هناك حكمة الهية لكل ما حدث لى . الله يعلم أننى برىء . قد يعلم الله أن البلد سيتعرض لكارثة فأخفانى فى هذا المجرور حتى لا تصيبنى قنابل غارات قادمة . ربما ابعدنى عن الحكم والحاكمين حتى لا أصاب فى مكانى بجانب القيادة أصابة مباشرة ! ربما أراد الله أن يحفظنى مما هو شر من السجن فوضعنى فى هذا المخبأ .. فى اثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت الغارات تنهال على باريس كان اهلها يفضلون الاختفاء فى مواسير المجارى !

اننى أعيش على معلبات السردين . السردين هو الشىء الوحيد المصرح بدخوله الآن . وقد فهمت من تأخير ارساله أنه غير موجود فى السوق ! اننى اتغدى فى بعض الأحيان « فول وبيض » .

هذه ثالث مرة اشهد فيها التليفزيون فى أسبوع واحد . وزير الداخلية نسى أن يمنع التليفزيون !! فى التليفزيون انسى اننى فى ليمان طره . اشاهد مباريات كرة القدم واتصور أننى فى الملعب . العب مع اللاعبين ، وأجرى معهم ، واسجل معهم الاهداف وتمضى الساعة والنصف فى مشاهدة المباراة كأنها دقيقة ونصف .

ارجو ان ترسل لى زجاجة حبر .. ان اصابعى تأكلنى .. ومعنى ذلك اننى أريد ان اكتب كثيرا !

سجن ليمان طره

٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٦

يا عزيزتي ..

هذه آخر رسالة اكتبها فى عام ١٩٦٦ ، من سخرية القدر انني كنت احلم بسنة ١٩٦٦ هذه ، وأتصور انها السنة التى سأستريح فيها من الاعباء الكثيرة التى كدت اسقط تحت اثقالها . . كنت أتصور انني ساحصل فيها على اجازة طويلة . انطلق فيها الى انحاء الدنيا ، بغير ان اشعر بمسئوليات ، ولا بضرورة موافاة الجريدة بأخبار ولا ضربات صحفية كل يوم . كنت أعتقد انها ستكون سنة الراحة من عذاب العمل اليومى . لقد حملت على كتفى مسئوليات فى سن مبكرة جدا . كنت نائب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف ، عندما كانت اكبر مجلة سياسية فى مصر ، وعمرى ١٧ سنة ! وهكذا لم يكن لى شباب . ولم تكن لى أجازات . وكان تصميمى أن أعتزل رياسة مجلس ادارة أخبار اليوم عندما أتم الخمسين . وكتبت فى أخبار اليوم معلنا اعتزامى على اعتزال العمل . وغضب الرئيس عبد الناصر . وقال لى كيف تعتزل العمل والبلاد تمر بظروف صعبة ، وكيف تنشر فى الصحف أنك قررت الاستقالة قبل أن اوافق على قبول الاستقالة . . وضحك يومها الرئيس وقال « أنا ليس عندى استقالات . . عندى اقالات فقط » ! ووافق الرئيس على أن أبقى فى العمل حتى بداية سنة ١٩٦٦ ولكنى فى سنة ١٩٦٦ كنت فى السجن !! وهكذا اصبحت سنة الراحة هى سنة الأشغال الشاقة ، وسنة الانطلاق هى سنة السجن ، وسنة الاحلام هى سنة الكابوس . كنت احلم بأن هذه السنة ستكون مفترق الطرق بين عملى كصحفى عربى وعملى كصحفى عالمى . كنت أتصور انني سأملأ صحف العالم

بتحقيقات صحفية عالمية ، فاطير الى عواصم الاحداث ، واذا المطافة ينتهي بي الى أن كل ما أكتب هو أخبار الزنزانة التي أقيم فيها !
ولا ادعي أن هذه السنة ضاعت من عمري . فقد تعلمت فيها أشياء كثيرة ، لم تعلمها لي الجامعات التي تخرجت فيها . ولا درجة الماجستير التي حصلت عليها . رأيت في السجن عالما جديدا . كان مجهولا لي . على الرغم من أنني توهمت أن عملي في الصحافة أكثر من ثلاثين سنة جعلني أعرف كل خبايا الحياة . ولكني أشبه برجل وضع في صاروخ ، وأطلقوه الى كوكب من كواكب الفضاء . واذا بي أكتشف عالما مختلفا . مخلوقات آدمية أخرى . لغة لم أعرفها تقاليد وعادات . فهو مجتمع قائم بذاته . له مساوئه ومزاياه . قوانينه ونظمه . أحلامه ومآسيه . ضحكاته ودموعه . ولا أزعم أن العام ونصف العام اللذين أمضيتهما في السجن جعلاني أعرف كل شيء عن أسرار هذا العالم الجديد ، فهو عالم واسع . يتوه فيه الباحث عالم تحت الأرض . قاع المدينة . ولو أنهم طلبوا مني اليوم أن اكتب كتابا عن حياة السجن لترددت . ما أعلمه أقل كثيرا مما يجب أن أتعلمه .

كانت متعتي في الحياة أن أزرع الأمل في قلوب اليائسين . كنت أرى القلوب اليائسة أشبه بالصحراء الجرداء . وأنا لا أحب الصحراء . سعادتي أن أراها تتحول الى حقول خضراء ومزارع يانعة . وكانت متعتي أن أقطع بسيارتي الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية ، وأحصي الكيلومترات التي تحولت من رمال الى حقول . من العدم الى الحياة . والناس عندي كالصحراوات . نعم انك تحتاج الى جهود جبارة لتحول الرمال الى أرض حدائق . ولكني كنت أجد متعة ولذة في أن أقوم بهذه العملية . أن أحول القانطين الى حالمين .. أن أحول اليائسين المسحوقين الى أشجار وأزهار وورود ! وأنا أعتقد أن في روحي مياها كثيرة من التفاؤل والايمان تكفي لأن تروي أراضي كثيرة جرداء . وكنت أخشى أن يسحق السجن تفاؤلي وايماني وصبري وحبي للناس . والواقع أن الذي حدث هو العكس تماما . تضاعف تفاؤلي . توطد ايماني . زاد صبري . كنت أحب الناس كثيرا وأصبحت أحبهم أكثر . كان بعض أصدقائي يتهمونني بالغفلة لأنني أقول دائما أن الأغلبية العظمى من الناس طيبون والأقلية المسحوقة شريرون . وانه لايجوز

الحكم على كل الناس بخطايا بضعة أفراد . وكان بعض أصدقائي يعتبرون رايي هذا سذاجة ويتهمونني بأنني احكم على الناس وانا جالس في برج عاجي . والمدة التي امضيتها في السجن لم تزعزع هذه العقيدة ، بل قوتها . مما يساعدني على الايمان بهذا الرأي انني اعطي دائما عذرا للطبيعة البشرية . دائما أعطي للناس أعذارا لانني اقدر ظروفهم . ليست كل المعادن قادرة على ان تحتمل نسبة واحدة من الحرارة . بعض الناس كالورق يحترقون اذا لمسهم عود ثقاب ، وآخرون كالذهب يتوهجون في النار ! انا مثلا اجد لذة في الاحتمال وفي الصمود . وغيري قد يجد نفس اللذة في الشكوى والأنين . ومن الطبيعي أن يجد كل مسجون في السجن أشياء تضايقه وتنكد عليه الحياة . ولكنني انظر الى الامور التي تضايقني نظرتي الى اشياء صغيرة بسيطة تافهة : لا تستحق الشكوى . الحرمان من الحرية في رايي اشبه بمرض السرطان . والمضايقات الأخرى اشبه بالصداع أو الزكام . ومن غير المعقول أن أحتمل آلام السرطان ، واشكو من متاعب الزكام !! بل على العكس ان متاعب الزكام تنسيني احيانا آلام مرض السرطان . انشغالي بحل مشاكلي الصغيرة ينسيني المشكلة الكبيرة . كان من مشاكلي الصغيرة مثلا انكم نسيتم في الزيارة السابقة احضار الصابون . وقرات في الصحف ازمة اختفاء الصابون فعذرتكم . وعندي الآن صابونة احافظ عليها، لتستطيع ان تتحمل الى موعد الزيارة القادمة ! ومع بساطة هذه المشكلة وتفاهتها الا انني اشغل نفسي بالاهتمام بها . فالف الصابونة بعناية في ورقة سولفان . واحسب المدة التي تستغرقها في الذوبان . وفي بعض الأحيان استعمل الصابون الملعون الذي يوزعه السجن . وبذلك اكسب لصابونة غسيل الوجه التي عندي بضعة ايام في عمرها القصير . فالصابون مثل الانسان يذوب من كثرة الاستعمال . وكل واحد منا « يرغي » !.

انا مثلا اسخر من متاعبي وافلسفها . وعندما تسخر من شيء يتضاءل امامك . يصغر وينكمش . اشياء كثيرة كانت تبدو لي في الماضي كأنها من ضرورات الحياة ، ثم وجدتني محروما منها. لا ألبث ان اشعر بأنني لست في حاجة اليها . كل شيء مادي أصبح لا قيمة له عندي في الزنزانة . يكفيني ما عندي من ايمان وعاطفة وصمود. هذه الأشياء كبرت في داخلي . لم تتضاءل . الخيال يحول الأشياء

الصغيرة الى اشياء ضخمة . الآن اتناول غدائى وعشائى معا في الساعة الخامسة . غدائى غالبا عبارة عن علبة سردين واحـــدة وعلبة خضار من كانتين السجن . فاصوليا أو بسلة . كنت فى أول الأمر افتح علبتى سردين ما دمت أكتفى بأكلة واحدة . ثم رأيت الاكتفاء بعلبة سردين واحدة من أجل الاقتصاد .

اهدانى مسجون مخدرات علبة « صوص هاينز » . وأهدانى مسجون آخر فى قضية اختلاس زجاجة كاتشاب ! اضع الصوص هاينز على السردين ، واضع الكاتشاب على الفاصوليا ، وبذلك تتحول المـــائدة المتواضعة الى مأدبة فاخرة ! ولم أكن أتصور فى يوم من الأيام انني أستطيع أن أعيش ٢٤ ساعة على علبة سردين ! ولم البث أن أحسست أنها تكفينى وزيادة . كل ما أحاوله الآن أن أجعل علب السردين التى عندى تكفينى حتى الزيارة القادمة . وفى بعض الأحيان اوفر الصوص الذى أهداه المسجون لى للمآدب الرسمية ! نعم .. فأنا أقيم لنفسى مرتين فى الأسبوع مأدبة رسمية ، فأضيف الى علبة السردين قطعة جبن أو برتقالة . وهنا أطلق على هـــذه الأكلة الفاخرة لقب الأكلة الامبراطورية . وآكلها بلذة وشهية ، وكأننى أتناول غدائى فى قصر فرساى على مائدة الملك لويس الرابع عشر !

قبل دخولى السجن كنت اتمنى أن الغى طعام العشاء من قائمـــة حياتى اليومية . فشلت محاولاتى المستمرة . الآن اشعر بسعادة لأن ضرورة الاقتصاد فى السجن جعلتنى أتعلم أن ألغى طعام العشاء! وكان يحدث فى الماضى أن أحس بالجوع أثنـــاء الليـــل فأقوم الى الفريجيدير وأتناول قطعة من الجبن أو شوكلاته السكر . ولـــكن الآن أكتفى بالافطار والغداء ، وأحسد نفسى عليهما ، واتذكر أن هناك فى العالم ملايين لا يجدون علبة السردين التى أفتحها !

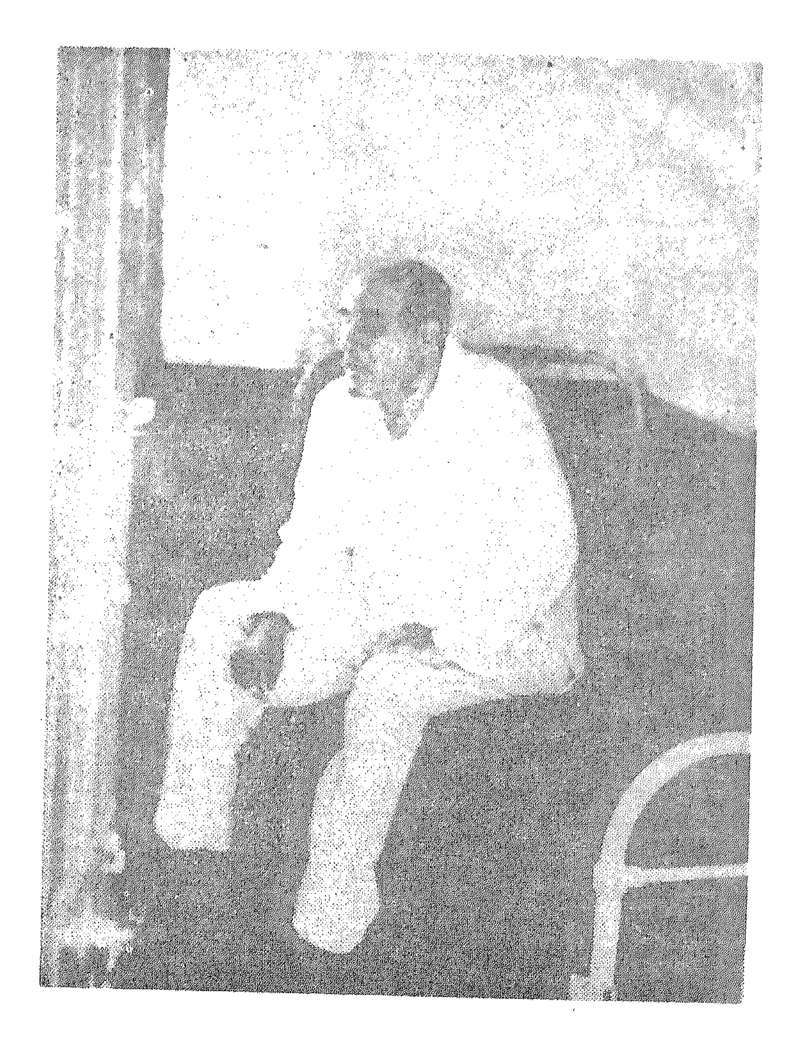
اول ينـــاير سنة ١٩٦٧

هذه اول كلمة اكتبها فى العام الجديد . هذاا الخطاب استغرقتة فى كتابته عامين ! بدأته فى سنة ١٩٦٦ وانتهيت منه فى سنة ١٩٦٧ ، وفى خلال هذه المدة اصبت ببرد شديد وبسعال حاد ، لأنهم خلعوا

الشباك الذى ركبته فى نافذتى بحجة انه مخالف للتعليمات ! امضيت ليلة لا اذوق النوم لحظة واحدة ، بسبب السعال المستمر . ولكنى اليوم أحسن ولله الحمد . امضيت ليلة راس السنة فى الفراش مع الحمى والأدوية والاسبرين والنوفالجين ، ولكن المرض لم يكن بالسوء الذى كان فى سجن القناطر الخيرية ، مع فارق واحد وهو اننى فى سجن القناطر كنت اجد زملائى حوالى ، يقومون بخدمتى ، ويضعون المكمدات على رأسى . أوامر الوزير الا يتصل بى أحد من المسجونين . ولهذا توليت تمريض نفسى بنفسى وأمرى الى الله . زارنى الطبيب وقال لى : لو كنت مسجونا عاديا لنقلتك فورا الى مستشفى السجن . أما وانت مسجون سياسى فلو فعلت لك أى شىء فسيضعوننى فى الزنزانة المجاورة !

من اسوأ الأمور أن يمرض الانسان فى السجن ، ولقد بذلت كل مجهودى لأحافظ على صحتى ، ولكن البرد ، والنوافذ المفتوحة كانت اقوى منى فصرعتنى !

الله معنـــا !



مصطفى أمين

التهمة الخطيرة !

سجن ليمان طره

٣ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتى ..

الشهر الماضي كان شهرا صعبا . ربما كان من اصعب الشهور التى مرت بى منذ ان دخلت الليمان . بعد ان كنت احسست ببعض الاستقرار وبالهدوء ، وبعد ان تصورت اننى رتبت حياتى هنا ، فوجئت بأن كل شيء تلخبط .. وفى عصور الظلام تقيد حرية الأشراف ، وتطلق حرية النصابين والأفاقين . وعندما تطفأ الأنوار يلزم الناس بيوتهم ، وينطلق قطاع الطرق واللصوص . وفى يوم من الأيام ستعرف مصر أن كثيرين من النصابين المحليين والعالميين انتهزوا فرصة الارهاب والسجون والمعتقلات والخوف العام ونصبوا على الدولة بملايين الجنيهات ! والحال فى السجن كما هو خارج السجن . انتهز أحد النصابين الأفاقين فرص الارهاب الموجود هنا وتقدم الى المسئولين بتقرير سرى ادعى أننى أعيش فى السجن فى ترف ونعيم ، بل أننى أعيش فى السجن خيرا مما كنت اعيش فى بيتى ، وأن الأطباء يجاملوننى ، والموظفين يهتمون بى ، والضباط يحسنون معاملتى ، والحراس يحيوننى التحية العسكرية . وأننى المدير الحقيقى للسجن !

وصدقت رياسة الجمهورية هذه الأكذوبة ، وانقلبت الدنيا راسا على عقب . واصبح مطلوبا من كل من يعمل فى السجن أن يثبت أنه يسيء معاملتى حتى يبقى فى وظيفته . وبدأ تحقيق مع الأطباء وثبت أنهم أبرياء من حسن المعاملة . وجرى تحقيق مع الضباط وتبين أنهم يعملون ليل نهار على أن ينكدوا على الحياة ! وجرى تحقيق مع الحراس فأقسموا أنهم جميعا الشاويش ديهوم ! وتقرر نقل مأمور

السجن عباس لبيب لأنه ثبت انه ابتسم فى وجهى ، وأنه كان فى يوم من الأيام محررا فى القسم الرياضى بأخبار اليوم ! واصبح حسن المعاملة تهمة ، يجب ن يدفعها الانسان ، ويتبرا منها كتهمة التعذيب فى العصور عبر الحره ! . . ثم جاء وزير الداخلية ، واهتم بأن يسأل عن معاملتى ، وترك الجميع يشعرون بأن المطلوب هو أن يجعلوا حياتى كالجحيم . . ووعده بعض كبار موظفى المصلحة أن يكونوا عند حسن ظنه !!

واصبح السجن يعيش فى هلع . خشية أن يوجه الى أى مسئول التهمة الخطـيرة ، وهى أنه يحسن معاملتى . أصبح الحراس يخشون التحـدث معى . ان المغضوب عليه من الدولة فى عصر الارهاب يتحول الى مريض بالجرب ، يخشى الأصحاء الاقتراب منـه .

ولكن بعد أيام سوف ينسى الحراس تعليمات وزير الداخلية ، وسوف اقنعهم بأن الوزير هو المصاب بالجرب !

وهذه الاتهامات الظالمة هى التى تجعلنى أتمرد على الأنظمـة واتعمد مخالفتها ، ولقد كنت الوحيد فى السجن الذى ينفـذ الأوامر والتعليمات . الذى يقبل اى شىء بلا اعتراض . الذى لا يشكو ولا يحتج . ومع أن التحقيقات التى جرت أثبتت بجلاء أن هـذه الاتهامات الظالمة لا أساس لها ، الا أن سياسة التنكيل استمرت ! اننى وجميع المسجونين السياسيين لا نأخذ حقنا ! لقد وصل خطاب سرى الى مدير الليمان يوم أن جئنا الى السجن يقول أن جميع المسجونين السياسيين أساءوا للوطن ، ولهذا يحرمون من جميع الامتيازات التى يتمتع بها القتلة واللصوص والسفاحون ! أن معنـا جواسيس اسرائيل محكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ! وهم يقيمون فى المستشفى الذى حرمت منه ، وتدخل لهم أطعمتهم كما يريدون ، ويتجولون فى أنحاء السجن بلا رقابة ولا حراسـة . ويتحدثون مع المساجين كما يشاءون . أن فيكتور وروبير وفيليب ، الاسرائيليين المحكوم عليهم فى قضية لافون ، يعاملون كأسياد . والمصريين من المسجونين السياسيين يعاملون كعبيد . ذلك لأن جريمة الاسرائيليين انهم أساءوا الى مصر ، وجريمة السياسيين

انهم اساءوا الى الحاكم . والخيانة العظمى فى بلادنا هى اغضاب الحاكم او معارضة الحاكم !

ان الذين ينيرون هذه الضجة والاكاذيب حولى هم اول من يعلم اننى مظلوم واننى برىء . وأننى لم اتصل بالحكومة الامريكية الا بأمر من رئيس الجمهورية شخصيا وبتكليف رسمى منه ، وأن كل اعمالاتى معها كان بعلم رئيس الجمهورية . وهذه هى الحقيقة التى عذبونى حتى لا اقولها فى التحقيقات ولكنهم فشلوا . اننى تحملت كل هذا ، بعد أن قدمت لبلدى ما قدمت من خدمات ، وما اعترف به رئيس الجمهورية أمام مجلس قيادة الثورة ، وانا احمل هذه المتاعب الصغيرة اليوم واعتبرها ضريبة يجب أن ادفعها لبلدى ثمنا لنجاحى . دفعت لبلدى قبل ذلك كل ما عندى من فكر وعلم ودم واعصاب وقلم ولسان . ولم يبق عندى سوى حريتى ، وشاء القدر ان اقدمها ايضا . انا واثق أنه سيجىء يوم تعلن الحقيقة كاملة . ويعرف الذين ظلمونى انهم حكموا على برىء ، وطعنوا رجلا بخناجر فى ظهره ، بينما هو يقدم لبلاده أعظم الخدمات . اشعر اليوم بأسى عندما أجد بلادى محرومة من القمح ، وقد مكثت سنوات عديدة أحصل عليه لبلادى بلا ثمن . وبذلت من اجل هذه المعونات جهدا قدره رئيس الجمهورية وأشاد به ، وتصورت أن ما فعلته لبلادى ولشعبها هو شىء لا يمكن أن ينكره الذين تنكروا لى . ولكن آخر خدمة الغز علقة كما تقول الحكم والامثال .. لقد كذبوا على رئيس الجمهورية وقالوا له اننى قلت للامريكان الا يعطونا قمحا . وكل الذين قرأوا أوراق القضية يؤكدون انه ليس موجودا فيها هذا الكلام الفارغ على رغم كل التزييف والتغيير والتبديل فى اشرطة التسجيل . لا أحد اليوم يجرؤ على أن يقول للرئيس الحقيقة !

ان السجن لا يعذبنى . وانما الذى يعذبنى أن بلادى تتعرض لحصار اقتصادى ، وأشعر فى زنزانتى بأننى عاجز أن افعل من أجلها كل ما فعلته من قبل . كل ما أتمناه أن تجد بلادى من يخدمها اكثر مما خدمتها .. بشرط الا يضعوه فى نهاية الأمر فى الليمان !

ولقد قيل لى أن خطئى الاكبر اننى لا اشكو ولا أحتج . لقد كان الرئيس يتوقع أن اكتب له خطابا أطلب العفو ، وهو متضايق لاننى

لم اكتب . انا ليس عندى ما اقوله لعبد الناصر ، لأن كل ما أريد أن اقوله لعبد الناصر يعرفه هو شخصيا أكثر من أى مصرى آخر . كان عبد الناصر يستطيع أن يختار لى تهمة أخرى أشرف من التهمة التى اختارتها لى مخابرات صلاح نصر .

ويعود اصدقائى ويقولون لى : اذا كنت لا تريد أن تطلب العفو ، فلماذا لا تكتب اليه تشكو من سوء معاملتك ! وهم يعتقدون أن الذى اثار هذا الجو ضدى اننى لا أشكو من شىء ، ولا أطالب بشىء، وان هذا الموقف يثير نحوى الريب والشكوك !!

اننى لم اتقدم بشكوى ضد الظلم الكبير الذى أصابنى ، فكيف أشكو من الظلم الصغير ؟ ! اننى لم أشك من التهمة المهينة الظالمة الكاذبة التى وجهت الى ، ولا من الطين الذى القوه على ، ولا من التراب الذى أهالوه على رأسى ، فكيف أشكو من متاعب صغيرة ؟ كيف أشكو اننى لا اجد طعاما آكله ، لأن طعام السجن لا يصلح لمرض السكر والنقرس الذى اصبت به ؟ فكيف اشكو لأنهم يغلقون باب زنزانتى ٢٣ ساعة كل يوم ؟ كيف أشكو اننى وقعت على قدمى ورأسى واصبت بأربعة جروح ، وبقيت أكثر من أسبوعين بلا علاج، لأننى ممنوع بأمر وزير الداخلية من الذهاب الى مستشفى السجن؟ كيف اشكو من أننى المسجون الوحيد الممنوع من التحدث الى أى مسجون آخر ؟ كيف اشكو من أننى اصبت ببرد شديد فى السجن لأننى حرمت من دخول بطانية من بيتى ، فى نفس الوقت الذى سمحوا فيه لبقية المسجونين بدخول بطانيات ؟

كل هذا هو ظلم صغير تافه ، بجوار الظلم الكبير الذى وقع على .. الذى احتمل العاصفة لا يجوز له أن يشكو من هبوب الرياح . الذى لم تغرقه الموجة العاتية لا يجوز أن يخاف من الغرق امام بعض رذاذ الأمطار ! لهذا انا مصمم على الا اشكو ولا أحتج ولا أسترحم . اننى تركت مصيرى لله وحده : اذا شاء أنقذنى ، واذا شاء أبقانى فى هذا الجحيم .. واذا مت فاننى اريد أن اموت واقفا ، لأننى ارفض ان اعيش راكعا ! واذا كان ثمن الحرية أن اقبل احذية الطغاة ، فاننى افضل زنزانة مع الكرامة ، على عرش مع الهوان !

ويجب الا تتصوروا اننى تعس فى حياتى هنا ، على العكس اشعر بان ضـــميرى مستريح . انهم يخجلون تواضعى بالاهميـــة التى يسبغونها على . يسعدنى انهم يضعون كل هذه الاهمية لمسجون ملقى فى زنزانة ، ويخلقون حولى كل هـــذه الأوهام . انهم مثلا يراقبون كل نسخة من جريدة « الأخبار » تصل باسمى ، متوهمين أن محررى اخبار اليوم يرسلون لى خطابات داخل الصحف . وعلى هذا يصلنى كل عدد من جريدة الأخبار ومكتوب عليه كلمة « مراقب » اى ان الرقيب فحص النسخة وتأكد ان ليس فيها خطابات سرية من المحررين ! ولابد انهم عرضوا النسخة على آلات خاصة ليعرفوا اذا كانت هناك رسائل مكتوبة فوقها بالحبر السرى ! آه لو علموا أن الرسائل تصل الى من تلاميذى تحت أنوفهم ، ولسنا بالسذاجة حتى نجعل رسائلنا داخل نسخ الأخبار !

ولو عرفوا الحقيقة لعرفوا اننى أطلب من تلاميذى الا يتصلوا بى ، لاننى لا اريد أن يتحمل واحد منهم اى متاعب من أجلى . اننى لا احافظ على أصدقائى فقط ، بل احافظ على السجان الذى يغلق على باب الزنزانة بالضبة والمفتاح . احافظ على الضابط الذى يشرف على تطبيق التعليمات الصارمة — لا أريد أن أكون سببا فى ضرر اى انسان من أجلى .

والغريب أن الذين يقومون الآن بعمليات فدائية من أجل تهريب الرسائل هم أشخاص لم أعرفهم من قبل !

انهم تلاميذ جدد جندتهم فى السجن !

ان مدرسة أخبار اليوم لها فروع فى كل مكان .. حتى فى الليمان !

خطة للهروب من السجن!

سجن ليمان طره

٢ يناير سنة ١٩٦٧

اختى العزيزة ..

اتبلك ، وارجو أن تكون السنة الجديدة سنة خير وبركة .

بدأ العام الجديد بتشديد المعاملة . ومنع ما كان مباحا . والعودة الى سياسة اغلاق الزنزانة ٢٣ ساعة كل يوم . ورفض المأكولات التى كانوا يصرحون بها فى الزيارة . الغريب أنهم يسمحون لجميع المسجونين العاديين بكل شىء . ما عدا المسجون السياسى !

وحدث ان ذهبت الى محكمة الجنايات لحضور قضية صحفية مرفوعة على اخبار اليوم عندما كنت رئيسا لمجلس ادارتها . واركبونى سيارة لورى تهتز بشدة وعنف اثناء سيرها . وقعت على الأرض . جرح وجهى وساقى . أصبت بجرحين فى ساقى . وجرح فى راسي وجرح فى أصبع يدي . ولكنى لم أحتج على وضعى فى هذه السيارة التى تشبه المرجيحة . لم تلتئم الجروح بعد بسبب مرض السكر الذى يطيل فى عمر الجروح . ولكن جروح الحياة وجروح السجن لابد أن تلتئم فى يوم من الأيام .

وفجعت عندما قيل لى أن الزيارة سوف تتم وراء السلك ، مع أن الطبيب أمر بأن تتم الزيارة فى المستشفى . وكنت أنوى أن أرفض الزيارة فى هذا الوضع المهين . واصر الطبيب على أن جروحى اثناء وقوعى فى السيارة اللورى تمنعنى من الوقوف اثناء الزيارة ، ولهذا تمت المقابلة فى غرفة الضابط على ألا تستمر اكثر من خمس دقائق !

ثم صدرت الاوامر بالا اذهب الى التليفزيون ، ولا اذهب الى المستشفى ، وباخلاء الطابق الذى أنا فيه مرة أخرى ، وخصص الطابق لخمسة مسجونين سياسيين . اثنان منهم مريضين بالسل ، وثالث مريض بالقلب ، ورابع مريض بالكلى وأنا ! ومنعوا اتصال اى مسجون سياسى أو غير سياسى بى . وأحضروا لى حارسا من أشد حراس السجن ، ويسمونه « قفل » لأنه لا يتفاهم مع أحد ، ولا يقبل مناقشة ،وهودكتاتور صغير يجد لذة فى أن يستبد بنا . ولكنى أحاول الا اصطدم به . ان الطبيب صرح لى بالمشى ساعة . ويحدث بعد ربع ساعة من ابتداء الفسحة أن يعلن الشاويش انتهاء الفسحة ، فلا أعترض ، وأطيعه طاعة عميـــاء ، وأجد لذة فى الخضوع لاستبداده . ان الطغاة الصغار ضعفاء فى داخلهم ، هم ديكور من الخارج وأصفار من الداخل . لا يتحملون ضربة واحدة . يخيفون الناس وهم أشد منهم رعبا . يسعدهم أن يضعوا أقدامهم فوق رقاب المظلومين فترتفع قامتهم . لقد رأيت فى خارج السجن كبراء ووزراء من أمثال هذا الشاويش . وهم فقاعات هوائيـــة الاصطدام بها يزيدها طغيانا ، ويفيدها عند الطغاة الكبار . هذا الشاويش وأمثاله يجب أن نتركهم للزمن حتى يدوسهم بالأقدام !

لقد جاء شعراوى جمعة وزير الداخلية لزيارتى فى الزنزانة ، وسألنى اذا كنت أريد شيئا فقلت « متشكر » وسألنى اذا كنت أشكو من شىء فقلت « متشكر » وعاد يكرر السؤال وعدت أقول متشكر ! ودهش الضباط اننى لم أطلب تحسين المعاملة . لم أطلب معاملتى معاملة القتلة واللصوص والسفاكين . والواقع أننى شعرت بأن شعراوى جمعة لا يملك أن يفعل لى شيئا ! اننى لا أريد أن أعطيه لذة الرفض ، أو أعطيه متعة اننى أطلب منه أو أرجوه !

وكنت بعيد النظر ، فقد ظهر أنه جاء الى زنزانتى ، لا ليسأل عن صحتى . وانما ليفتش عليها ، وليعرف هل أعيش فى ترف ، ثم وجد بنفسه أنه لا يوجـــد شىء مخالف ، واكتفى بأن طلب التشديد فى المعـــاملة .

ثم حدث ان أحد الحشاشين ابلغ المسئولين أن هناك مؤامرة لاختطافى من السجن ، وفوجئت بتشديد الحراسة على ، وبمدير الليمان يدخل زنزانتى فى الساعة الواحدة صباحا ، ليتأكد أن قضبان

الحديد فى زنزانتى سليمة ولم أنشرها بمنشار ! وفوجئت بحالة ذعر فى الليمان ، فى كل خطوة أخطوها ، وقد ضحكت كثيرا من هــذه الأوهام . ولابد أن هذه العاصفة سوف تهدأ بعد فترة من الوقت ..

ولكن هذه الأكذوبة أحدثت أثرها . فوجئت بعد أيام بأن زميلى المسجون عيد عبيد وهو ابن شيخ قبيلة كبيرة فى سيناء ، ومحكوم عليه بالسجن المؤبد فى قضية مخدرات . فوجئت به يقول لى أنه وضع خطة كاملة لتهريبى من السجن . وأن اشــاعة خطفى ، وتشديد الحراسة على ، هى الفرصة الذهبية لتنفيذ خطة الهروب.

وفوجئت به يقدم لى خطة متكاملة ، بالخرائط والرسوم ، وبعدد السيارات التى سوف تشترك فى عملية الهروب ، وكيف أعد مفتاحا لفتح أبواب زنزانتى وزنزانتــه ، وفتح باب العنبر ، وفتح باب السجن ، والسيارة التى سنهرب بها الى المعادى ، والطريق الذى سوف نسلكه الى البحر الأحمر ، وكيف سنعبر البحر ، والمكان الذى سنختبىء فيه فى سيناء . ثم كيف يمكن بعد ذلك الهروب الى اى بلد اسلامى أو أوربى يقبلنا كلاجئين .

درست الخطة فوجدتها خطة رائعــة . ولكن أذهلتنى دقــة التفاصيل ، وأنه لم يترك أى شيء للصدفة ..

وقال لى أن الخطة تتكلف حوالى خمسين ألف جنيه .

قلت له : اننى لا أملك مليما واحدا .

قال : انا وأصدقائى سندفع هذا المبلغ ولن تدفع قرشا !

قلت : وماذا يجعلك تقوم بكل هذه المخاطرة وكل هذه التضحية ؟

قال : ايمانى بأنك مظلوم .

قلت له : ان الخروج من السجن لا يهمنى ، وانما الذى يهمنى هو اثبات براءتى . لو هربت من السجن فاننى بذلك سأؤكد التهمة الظالمة التى يعلم الله أننى برىء منها . ان الذى يهمنى أن يقتنع الذين ظلمونى بأنهم ظلمونى . السجن نفسه لا يؤثر فى ، وانمــا

الذي يؤثر في هو الظلم . هو أن أقدم هذه الخدمات الضخمة لبلدي، طوال عمري ، ثم ينتهي بي الأمر الى ان تلصق بي هذه التهمة الظالمة . عزائي اليوم أن الأغلبية العظمى تعلم أنني برىء ، وكل ما أتمناه هو ان يعرف هذه الحقيقة الذين خدعوا بالتلفيق والأكاذيب ضـــدي .

قال لي شيخ العرب عيد عبيد : ان هروبك سيمكنك من الدفاع عن نفسك واثبات براءتك .

قلت : انني اطمع في أن اثبت براءتي وأنا مسجون .

وكان الصديق عيد متحمسا لتنفيذ الخطة . وقد عرض الفكرة على بعض اخوانه واعوانه خارج السجن فتحمسوا لها .. بل ان بعض الذين يعملون في داخل السجن أبدوا استعدادهم للاشتراك في الخطة ..

واغرب ما حدث أن الدولة هي التي أوحت لهم فكرة تهريبي ، فلولا الاحتياطات التي اتخذت لمنع خطفي من السجن ، لمـــا خطر ببال أحد ان يفكر في تدبير عملية الهرب .. وأعجب من هذا أن بعض الذين كلفتهم الدولة بالتشديد في مراقبتي ، كان أول من اقترح على عيد عبيد فكرة تهريبي .. وكان حماس عيد لي لاعتقاده أنه مظلوم ، وأن قبيلته أدت الى مصر في سيناء خدمات وطنية كبيرة ، وأنه جزاء هذه الخدمات لفقت له قضية تهريب مخدرات .

قال عيد : اذن سأهرب وحدي .

واقنعت عيد بأن يعدل هو الآخر عن الهرب ، ويحاول أن يثبت براءته من داخل الزنزانة ، وبدأنا معا نعد خطة اقناع المسئولين ببراءته ونحن داخل الأسوار !

وهكذا ترين أن الأزمات لا تجعلنا نركع على ركبنا . انها على العكس تزيد رغبتنا في التحدي والانتفاض . انني أستقبل الأزمات والمحن بابتسامة ، وما دامت هذه الابتسامة على شفتي فانني قادر على أن أحتمل اضعاف اضعاف ما أنا فيه .

كنت اتصور أن الذين وضعونى في السجن اكتفوا بالظلم الذى ادى الى دخولى السجن . ولكن يبدو انهم لا يكتفون بذلك . أيديهم تمتد الى داخل الزنزانة تحاول أن تضيق على الخنــاق . كنت اذهب يوميا الى مستشفى السجن لعمل تحليل للسكر ، ولعمل اشعة على العمود الفقرى ، وصدر أمر بالا اذهب الى المستشفى ، وان يجىء ممرض الى زنزانتى لتسلم البول ، وحمله الى المستشفى . وصدر أمر بالغاء العلاج بالاشعة . كل مسجون فى السجن من حقه ان يتكلم مع مسجون آخر ، ولكنى الوحيد الممنوع بأمر وزير الداخلية من ان اتحدث الى اى مسجون فى الليمان . وهذا هو الذى يجعلنى أجد لذة فى تحطيم أوامر الوزير ، واللف حول تعليماته ، والسخرية بقراراته . آه لو علموا أنه لولا تعنتهم فى التنكيل بى ، لمــا تفننت فى الهــزء بهم ومخالفة قراراتهم الالهيــة ! وهم يتصورون أنهم يقتلوننى باغلاق باب الزنزانة ٢٣ ساعة كل ٢٤ ساعة .

آه لو علموا أننى أنتهز هذه الساعات التى أنفرد فيها بنفسى ، لأقرأ ما منعونى من قراءته ، واكتب ما لا يتصورون أننى أكتبه . لولا الظلم والقهر والالم والضغط والارهاب لمــا كتبت أحسن ما كتبت فى حياتى !

معتقل سياسي عمره ١٤ سنة!

سجن ليمان طره

٤ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتى ..

رأيت سطور خطابك مليئة بالأسى ، لأنك رأيتنى يوم الزيارة أرتجف من البرد . خطابك ملأنى بالدفء . حرارته أشبه بجهاز تدفئة فى زنزانتى المثلجة ! جسمى كان يرتجف من الخارج . أما روحى فهى مليئة بحرارة الايمان . دمى يتجمد من برد السجن ، ولا يلبث أن يذوب ويسيل ، بفضل ما أشعر به من حب .. الشمس تشرق فى بلاد القطب الشمالى مرة كل ستة أشهر . وأنا أرى الشمس مرة كل شهر عندما يزورنى الذين احبهم . اراهم ، المسهم ، اتحدث اليهم . انا أحسن حظا من سكان القطب الشمالى !

عندما ارتعش من البرد فى الليمان القارص ، احاول أن أدفىء نفسى بالخيال والأفكار . أقول مثلا أخى على يقيم فى لندن الآن ، والبرد هناك لا يحتمل ، ولما كنا توأمين فيجب أن أشاركه البرد الذى يحس به وهو يمشى فى شوارع لندن التى يغطيها الجليد . صحيح أن الجليد فى شوارع انجلترا ، والثلج فى فراشى فى الزنزانة ، ولكن يمكن التجاوز عن عدم تطابق هذا التشبيه فى سبيل أن احس ببعض الدفء ! عندما يتضاعف احساسى بالبرد أصبر نفسى باننا الآن فى شهر يناير ، ولم يبق من شهور البرد سوى شهر واحد وهو شهر فبراير وينتهى البرد ، ويبدأ الربيع . صحيح اننى اغالط نفسى فى الحساب فنحن لا نزال فى أول يناير ، والربيع لا يجىء الا فى الأسبوع الأخير من مارس ، ومعنى هذا ان المسألة هى ثلاثة شهور من البرد لا شهر واحد ، ولكن أحس وأنا ارتعش من البرد

داخل الزنزانة القاسية أن مصلحتى أن الغى منطق الأرقام لأوهم نفسى بأننى فى طريقى الى الدفء أصبت فى المدة الأخيرة ببرد شديد ، وكان صوت سعالى يشبه زئير الأسد فى أول أفلام شركة مترو جولدوين .

وحدث أن كنت اشعل عود كبريت ، وعلى الرغم من انه مكتوب على العلبة « شركة النيل للكبريت . كبريت أمان » فقد انفجر عود الكبريت فى عينى ، ولكن الحمد لله لم تصب عينى ، وانما أصيب جفن عينى . وبالاضافة الى الجروح التى فى أصبعى وفى جبهتى ، وفى ذراعى أصبحت اشبه بمشوهى الحرب ، فاذا أضيف الى ذلك مرض السكر والنقرس والضغط والروماتيزم والعمود الفقرى فقد أصبحت أشبه بمستشفى عام !

اننى أقاوم كل هذه الأمراض ضاحكا ، ساخرا من نفسى ، فأنا اكره الشكوى ، ولا أحب أن أذهب الى الأطباء ، وقبل دخول السجن كان الأطباء هم الذين يجرون ورائى ، ولم اكن أنا الذى أجـرى وراءهم ، ومازلت أتبع هذه العادة ، ويظهر أننى ورثتها عن أجدادى من بقايا عصور الجاهلية ، وأنا أعلم أن وزير الداخلية لا يريد أن أذهب الى الأطباء فى مستشفى السجن ، خشية أن أعلم منهم مايجرى فى البلد . والمسكين لا يعرف أننى أعرف كل ما يجرى فى البلد وأنا جالس فى زنزانتى لا أتحرك . وحتى اذا أمكن منع الرسائل التى تهرب لى فسوف أعرف ما يجرى فى البلد . يكفى أن أحملق فى وجوه المسجونين السياسيين الذين يزيدون كل يوم لأعرف حقيقة ما يحدث فى مصر ! ان معتقـل طـره امتـلأ بالمسجونـين السياسـيين والمعتقلين السياسيين ، ولم يعد فيه موضع لقدم . رجال من كل نوع . نشاط معاد . وفديون . اخوان . شيوعيون . يمينيون . يساريون ، أساتذة جامعة . طلبة جامعة . أطبـاء . مدرسون . علماء . عمال . ان البعض يقول أن المسجونين السياسيين والمعتقلين وصلوا الى مائة ألف ، وأنا أقدرهم بأكثر من خمسين ألفا . ذات يوم رأى بعض كبار المحامين المعتقلين ولدا فى داخل المعتقل يبلغ من العمر ١٤ سنة ، وتصوروا أنه ابن أحد الضباط ، ولكنهم لاحظوه موجودا فى المعتقل فى الأيام التالية . وتقدموا منه بدافع من الفضول وسألوه :

ــ من أنت ؟

قال الولد : معتقل سياسى !

سأله المحامون فى ذهول : انت معتقل سياسى ؟

قال : نعم .

فسألوه : وكم عمرك ؟

قال : ١٤ سـنة !

قالوا فى دهشة : معتقل سياسى وعمرك ١٤ سنة .

قال الولد ببساطة : نعم .. وهذه هى المرة الثانية التى اعتقلونى فيها ! وقد مضى على فى المعتقل الآن ثلاث سنوات !

وقص عليهم الولد ، انه فى المرة الأولى كان عمره ٤ سنوات ، وكان يقيم مع أسرته فى حى شبرا ، وكان ذلك فى سنة ١٩٥٤ ، وجاءت الشرطة العسكرية تقبض على شقيقه وكان من الاخوان المسلمين ، ولم تجد الشقيق ، فقد هرب الى الصعيد . فما كان من ضابط الشرطة الا أن قبض على الطفل البالغ من العمر ٤ سنوات ، واودعه فى قسم الشرطة ، وقال انه سيفرج عنه عندما يظهر شقيقه الهارب . وبقى الطفل فى القسم يلاعبه الجنود والضباط شهرا كاملا الى أن عرف الشقيق الهارب ما يحدث لشقيقه الصغير ، فتقدم الى القسم وسلم نفسه ، وعندئذ فقط افرجوا عن الطفل وعـاد الى أهله .

وفى سنة ١٩٦٥ صدر قرار جمهورى بالقبض على جميع الاخوان الذين اعتقلوا سنة ١٩٥٤ .. وكان الطفل قد كبر وأصبح عمره ١٤ سنة .. وجاءت الشرطة وقبضت عليـه من جـديد وأودعته المعتقل !

وصمم اساتذة الجامعة المعتقلون على أن يعلموا هـذا الولد الصغير ، فكانوا يتناوبون على التدريس له ، حتى نال شهـادة الاعدادية بتفوق .

وكتب الأساتذة مذكرات الى ولاة الأمور بامضاء الولد يتظلمون من قرار اعادة اعتقاله ، ويروون ما حدث .. ولكن أحدا لم يقرأ ولم يهتم أن يقرأ .. لأن كل الذين فى المعتقلات والسجون مظلومون !!

شعرت بسعادة لا حد لها عندما قرأت اعلانات فيلم معبودة الجماهير ، وعرفت انهم أفرجوا أخيرا عن قصتى ، بعد أن سجنوها أكثر من عامين ، واشترطوا لعرضها أن يحذف اسمى من الفيلم كمؤلف الرواية . ان ولاة الأمور سذج حقيقة . ان قصتى نشرت مسلسلة فى مجلة المصور ، ونشرت بعد ذلك فى كتاب طبعته دار الهلال ونفدت طبعته فى أيام . والناس كلها تعرف أننى مؤلف القصة . وكل من يتفرج على الفيلم سيذكر أننى انا المؤلف . ان حذف اسمى هو اعلان عنى . لا أصدق أن فراعنة أقوياء لهم النفوذ والسلطان والهيل والهيلمان يخافون من مسجون مقيد فى الأغلال فى زنزانة ! انهم يخشون أن الناس سوف تذكرنى ، وهم يريدون أن ينسانى الناس ، وكلما تصرفوا هذه التصرفات الصبيانية سوف يتذكرنى الناس أكثر ! اشعر بهناء عندما يضربوننى كل يوم . لأن هذا دليل على اننى لازلت على قيد الحياة ..

وانا زاهد فى ذكر اسمى . كان اسمى يظهر فى الصفحات الأولى من صحف الشرق الأوسط منذ أكثر من ثلاثين سنة . وكثيرا ما كنت لا أوقع ما اكتب . أو أخترع امضاء أوقع به على ما اكتب . انا لا يهمنى أن يظهر ما اكتب تحت اسمى . كل ما يهمنى أن ينشر ما أكتب . هذه أكبر متعة أشعر بها . عندما كنت فى السادسة عشرة من عمرى كنت اشعر بسعادة لا حد لها عندما كان الناس يقرأون ما اكتب بلا امضاء ويؤكدون أن الكاتب هو التابعى او فكرى أباظة أو عبد العزيز البشرى . لقد مكثت من عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٣٨ أكتب بلا امضاء . الذى يحدث اليوم أننى عدت الى أيام طفولتى . أصبحت اشعر بنفس السعادة ونفس النشوة . وفى لحظة شقاوة تمنيت أن تصدر الحكومة أمرا للنقاد بأن يشتموا القصة ويهاجموها ، وبذلك يزداد الاقبال عليها !

انهم يقولون لى ان ايمانى الراسخ ، وضحكى الدائم يضايقان بعض ولاة الأمور وانهم يقولون « ما دام لا يزال يضحك فليبق

يضحك فى الليمان » ! اى المفروض ان ابكي لأستحق العطف . الراكعون على ركبهم لا يخيفون احدا ، وهم يقولون ان ارتفاع باب الخروج من السجن « واطى » فيجب ان احنى رأسي حتى اخرج ! ولا اعرف ماذا افعل .. ان الله خلقنى طويلا ، ولو ركعت على قدمى فسابقى اطول من المطلوب . المطلوب اقزام . او رجال يزحفون على بطونهم . او رجال بلا عمود فقرى .. كل هذه الشروط غير متوفرة . ولهذا اعتقد ان سجنى سيطول ، فاما ان يطيلوا ارتفاع الباب ، واما ان يقطعوا راسى لتستطيع قامتى ان تخرج من باب السجن !

وعلى كل حال انا مؤمن بأن الله معنا ، وانه لن يتخلى عنا ، وانا اعرف ان هذا الايمان الغريب يضايق الذين يريدون ان « يؤدبونى » . ولكن هذا الايمان يمتزج بـدمى . اننى اتصور انهم اذا وضعونى على المشنقة ولفوا الحبل حول رقبتى فسوف اقول : انا متفائل !

انا لا احسب عمرى بالسنوات التي اعيشها . اننى اعتبر أن التاريخ كله هو عمرى . حياتى كانت اطول من اللازم واعرض من اللازم . الاعمال التى قمت بها اكثر من عمرى . العواصف التى تعرضت لها ، واتعرض لها الآن ، وسوف أتعرض لها فى المستقبل لا تخيفنى . لا تشقينى بل تسعدنى . انها تؤكد أننى مازلت حيا ، واننى لم انته بعد . لو كنت انتهيت لما هبت هـذه العواصفة والزوابع . انا اشكر العواصف ولا الومها . أرحب بها ولا اهرب منهـا .

صوت العواصف فى اذنى اشبه بالطبول تعلن قدوم موكب الحرية!

أخبار على بلدى
من الزنزانة!

سجن ليمان طره

٢٠ يناير سنة ١٩٦٧

اخى العزيز ..

لم أكتب لك منذ وقت طويل . آخر خطاب كتبته لك منذ حوالى العام . فى كل لحظة اشعر بأن أصابعى تأكلنى ، لتكتب اليك كل يوم خطابا . ما باليد حيلة . تعليمات وزير الداخلية الا اكتب لك . ولهذا فسوف أحاول أن أهرب لك هذا الخطاب . شاء القدر أن يفترق التوأمان اللذان لم يفترقا أبدا . جمعنا الله فى بطن أمنا وعندما خرجنا من بطن أمنا كانت الدنيا بالنسبة لنا هى بطن أمنا . بقينا خمسين سنة ملتصقين أشبه بتوأمى سيام . ثم جاءت هذه العملية الجراحية لتفصل بيننا . عندما أجريت عملية مماثلة للتوأمين الملتصقين مات الاثنان على الأثر . شاء الله أن نعيش . ولعل الله يرتب لنا فى المستقبل أن ينهى هذه المحنة ونلتصق من جديد . فى بعض الأحيان أتصور أننى أحلم . غير معقول أنه مضى على فى السجن سنة ونصف . وأنه بعد ثلاثة شهور سيكون قد مضى على فراقنا عامان كاملان ! قرأت عن اللامعقول . كنت أسخر من قراءاتى . ولكن شاء القدر أن أعيش فيه . أهم ما يهمك هو حالتى النفسية . الواقع أنها عالية جدا . اكثر مما تتصور . اذا كان الحاضر ضدى فالمستقبل معنا . التاريخ سوف ينصفنا .

كنت أعيش قلقا على بلادى . كنت اخاف عليها . كنت أعتقد أن أى شىء يصيبها سوف يصيبنى . ان أول رصاصة ستطلق عليها سوف تقتلنى وتقتلك . لأننا كنا نحارب فى الصف الأول دائما . من الطبيعى أن الذين يحاربون فى الصفوف الأولى هم الذين يقتلون

أولا . حينا برصاص العدو . وحينا برصاص الذين يحاربون في الصفوف الخلفية . ومع ذلك فعندما أصابتنى الرصاصة لم أحقد على أحد . سواء أصابتنى عن قصد او عن غير قصد . اننى احببت بلادى واحببت كل من فيها، حتى الذين اصابونى برصاص دمدم !

كثيرا ما قلت للرئيس عبد الناصر اننى أخاف عليه من المعارك المتوالية . لا نكاد نخرج من معركة حتى ندخل معركة . كنت اقول له اعط البلد فرصة ليسترد أنفاسه قبل أن تدخله معركة جديدة . وكان يقول لى أنه يحب المعارك ، وعندما يلاحظ أن البلد هادىء ولا حركة فيه يفتعل معركة ليتحرك كل شىء .

وكنت أقول له أننا فى حاجة الى بضع سنوات لنبنى بلدنا من الداخل . لنرفع مستوى عمالنا وفلاحينا المطحونين المهزومين .. فكان يقول ضاحكا أن المعارك الخارجية الذ من المعارك الداخلية . الثانية نتائجها لا تظهر الا بعد عشرين سنة والأولى تظهر نتائجها فى اليوم التالى !

وكان عبد الناصر يتضايق أحيانا من اصرارى على أن ندرس كل خطوة قبل أن نخطوها ، فكان يسألنى : انت خايف ؟

وكنت اقول له : انا لست خائفا على نفسى أنا خائف على البلد .

ومع أننى فى السجن ،فاننى أعيش مع بلادى لحظة بلحظة .. كأننى لا ازال أشترك فى معاركها ، أتمنى لها النصر . اقلق عليها . أخشى عليها من الهزيمة . كل ما أشعر به هــو الأسف . اننى لا أستطيع أن أشارك فى معاركها ، لسبب خارج عن ارادتى . ان يدى مقيدتان بالسلاسل ، ولا تستطيعان أن تحملا مدفعا دفاعا عنهــا !

ومع ذلك فاننى أنتهز كل فرصة لاحذر من الخطوات الطائشة . أخشى على عبد الناصر من الذين يزينون له المغامرات ، وهم لايعرفون أن أعداءنا يتربصون بمصر ، وسوف ينتهزون أول فرصة لضربها . هذا الكلام قلته لهيكل فى كل مرة جاء لمقابلتى ليبلغه للرئيس . ولكن

هيكل هز كتفيه استخفافا . وهو يتصور اننا قادرون على أن نسحق اسرائيل والولايات المتحدة . ان الذى درس التاريخ يعلم أن ما أصاب هتلر وموسوليني كان نتيجة عدم حصولهما على معلومات حقيقية عن قوة أعدائهما . ان اتصالاتى طوال هذه السنين بالرئيس جعلتنى أعرف أن أجهزة معلوماته لا تقدم له الدقيقة ، وانما تقدم له مايسعده أن يقراه . فاذا اختار مثلا احد الأشخاص لمنصب كبير تنافست الأجهزة فى وصف الصدى الطيب لدى الرأى العام ، واذا غضب الرئيس على شخص ورفته من وظيفته انهالت التقارير على الرئيس تقول ان الشعب من الاسكندرية الى اسوان يلعن سنسفيل هذا الموظف المرتشى الجاهل الحقير !

حالتى الصحية جيدة . واجب السجين أن يحافظ على صحته باى ثمن . الويل له اذا مرض . مقاومة البرد كانت مسألة عويصة. كنت اتعرض للبرد فى شقتى بالزمالك وفيها تكييف ساخن وفوقى عشرات الألحفة والبطاطين.وزنزانتى اشبه بالثلاجة او الفريجدير. ومع أن البطاطين ليست كافية فقد تغلبت بقوة صمودى وايمانى على زمهرير الشتاء . ولم أفهم معنى كلمة زمهرير عندما كنت فى الاتحاد السوفيتى ، أو عندما كنت فى انجلترا والولايات المتحدة . ولكنى عرفته جيدا وانا فى زنزانتى في ليمان طره . أصبت بالبرد مرة واحدة ، من الغريب أن اصابتى كانت فى نفس موعد اصابتك بالبرد . من الطريف انه غير مسموح لنا بارتداء معاطف . ولا ارتداء بدل صوف . المسموح به ارتداء بدلة من الدمور الخفيف ، واخفى تحتها بول أوفر . فى الوقت نفسه أرى الحراس يرتدون بدلا من الصوف ومعاطف ثقيلة جدا ، ومع ذلك يرتعشون من البرد اكثر مما ارتعش ! تحديت البرد حتى الآن . هزمنى مرة واحدة . لم يبق من الشتاء القارص سوى شهر واحد . كلما تشرق الشمس فى الصباح اشعر بأننى ابتعد تدريجا عن الثلاجة . عندما كنت اشعر بقسوة البرد كنت أذكر زملائى المسجونين فى الطوابق الثلاثة التى تحتى ، وهم ينامون على الأسفلت وبعضهم اضطر أن يبيع البطانية ليشترى سجائر . وبعضهم اشعل النار فى البطانية ليتدفأ على حريقها . ومن الغريب أن فى السجن آلاف السراير . ولكنهما موضوعة فى المخازن . بل أن بعضها كسروه ، ليصنعوا منه درابزين يحيط بحدائق السجن الفسيحة لتزيين الحدائق . والنوم على السرير

فى السجن نعمة كبرى . لا يتمتع به الا المريض الذى على وشك الموت ! وفى كل اسبوع يجىء الطبيب ليكشف على المريض ليرى هل هو يستحق السرير الذى ينام عليه ! فاذا شعر الطبيب بأن المريض تحسن ، سحب منه السرير واعاده الى الأرض . وفى كل مرة يجىء فيها الطبيب ، كنت أخشى أن أكون شفيت من السكر والنقرس والعمود الفقرى والروماتيزم فأنام على الأرض . وهكذا ترى أن أمراضى كانت نعمة فى السجن وليست نقمة !

ومن الغريب انه كان فى سجن مصر سرير لكل مسجون ، ثم حدث ان حطم بعض المسجونين سرايرهم . فصدر قرار بمنع السراير !! ومن القواعد الموجودة فى السجن أن النعمة تخص والنقمة تعم . فاذا أخطأ مسجون واحد من مئات المسجونين الذين يقيمون فى عنبر واحد ، عوقب مئات المسجونين بذنب المسجون الواحد .

وحدث مرة ان كنا اكثر من مائة نشهد مباراة الكرة فى التليفزيون، وارتفع صوت احد المسجونين ، وعقابا له اخرجنا الضابط جميعا من غرفة التليفزيون ، ولم نكمل مشاهدة المباراة !

لست أعرف كيف أشكرك على اطعمة السكر . انك فى الواقع انقذتنى اكون شاكرا لو كررت شهريا ارسال هذه المعلبات . لقد ارسل لى الأخ سعيد فريحه معلبات فراخ بالكسكسى . وانا لم اذق الكسكسى طول حياتى ، واضطررت أن آكله وأمرى الى الله . اضطررت شهورا طويلة أن أعيش على السردين . ثم اختفى السردين فعشت على البيض المقلى واختفى البيض المقلى فعشت على الفول المدمس فى الصباح والظهر والعشاء !

من طبيعة السجن أن لا استقرار فيه . القلق هو الاستقرار . تعليمات اليوم تلغى غدا . وتعليمات الغد تلغى بعد غد . لقد حدث أن سمحوا لى بدخول طعام مرض السكر مرتين فى الشهر ، ثم الغوا هذا النظام . ثم أعادوه . ثم تقرر الا يدخل لى أى طعام . ثم تقرر الا يدخل لى سوى ثلاث معلبات مرتين كل شهر . وتصور مريضا يعيش على ست معلبات صغيرة فى الشهر ! ثم تغير النظام بعد أن احتج الأطباء . وقالوا ان معنى هذا القرار أن أموت من الجوع.

ثم قدم تقرير من أحد النصابين بأنني أعيش منعما فى السجن . وعلى الأثر صدر قرار بمنع أى طعام من ان يدخل لى فى السجن . ثم ظهر من تحقيق الشكوى أنها كاذبة فتقرر السماح لى بدخول بعض المعلبات ! وهكذا .. اننا كل يوم فى حال ولعل من نعمة الله انني لا اشكو ابدا من الملل ، لانني اتوقع فى كل لحظة شيئا جديدا مختلفا. ومع ذلك فانني لم اشعر بالجوع ابدا . كنت اجد دائما يدا كريمة تمتد لى من وراء القضبان تحمل طعاما شهيا ! كانت السماء أحيانا تمطر كباب حاتى وسمكا وفراخا .. وطعمية !

انني أحمد الله على انني احسن بكثير من ايامى الأولى . الفرق كبير بين النوم على الأسفلت والنوم على السرير . بين ايام كنت ادخن فيها نصف سيجارة ، وبين الآن وعندى ما يكفينى من السجائر بين ايام كنت لا اعرف اذا كنت ساجد ما آكله ام سأعيش طوال اليوم على الطوى ، وبين الآن وانا عندى معلبات كسكسى !

حاولت ان آكل طعام السجن فلم استطع . اكل السجن هو علقة يأكلها المسجون ثلاث مرات كل يوم . وقع فى يدى اليوم خطاب سرى أرسله كبير أطبـــاء السجن الى مدير المصلحة يقول فيـــه « قضت التعليمات بأن يقدم للمسجونين خضروات طازجة . وفى الشهور الأخيرة لم تقدم سوى فروع الفجل . فنرجو الامر بارسال خضروات حفظا لصحة المرضى ، وخاصة لضرورة وجود فيتامينات » .

تصور .. ان الوف المسجونين السياسيين وغير السياسيين مكثوا عدة شهور لا يأكلون الا فروع الفجل !!

أنظمة السجون فى حاجة إلى اعادة دراسة شـــاملة كاملة . من الأسف ان أكثر المثقفين فى مصر دخلوا السجون وخرجوا منها ، ولم يقدموا اية مقترحات لاصلاحها . فانا مثلا لا افهم لماذا يرفضون أن ينـــام المسجون على سرير ، أو على مرتبة . ولمـــاذا لا يسمحون بدخول البطاطين ؟ أو يسمحون ببيع البطاطين فى الكانتين ؟ ولا افهم لـــماذا يمنعون دخول الشاى . بينما الشـــاى المطبوخ يباع فى الكانتين ويقدم للمسجون باردا وبشكل ردىء ، بحيث يفضل المسجون أن يصنعه بنفسه ويشتريه من السوق السوداء . والفكرة من السجن

أن يتعلم المسجون كيف يحترم القانون ، والعكس هو الذى يحدث فهو يتعلم يوميا كيف يخالف القانون يخالف القانون ليجد غطاء . يخالف القانون ليأكل . يخالف القانون ليحصل على صابونة ليستحم . يخالف القانون ليكتب خطابا . يخالف القانون ليشرب فنجانا من الشاى . يخالف القانون ليضىء النور فى زنزانته .

كان من أكبر متاعبى أن النور ينطفىء فى الساعة التاسعة من مساء كل يوم . وأبقى فى فراشى مستيقظا فى الظلام الى ما بعد منتصف الليل وكنت أقع على وجهى فى طريقى الى جردل البول . ثم استعنت بشمعة ثم ظهر أن الشمعة ممنوعة .

وبعد مجهودات ومفاوضات ومباحثات وافق المدير على بقاء النور فى زنزانتى طول الليل باعتبار أن زنزانتى ملحقة بالمستشفى ، كما جاء فى الأمر الجمهورى ..

وهكذا أصبح لدى وقت أكبر للقراءة والكتابة . وحمدت الله على هذه النعمة . ولكن لا أكاد أحمد الله على نعمة حتى أفاجأ بأن هذه النعمة فى خطر . حدث اليوم أن استدعانى المأمور وقال أن وزير الداخلية تلقى تقريرا أننى أتلقى صحف العالم ، وأن الاتجاه ، الى منع الصحف اطلاقا عنى . ونزل على الخبر كالصاعقة . وأكتب اليك هذه السطور ولا أعرف ماذا سأفعل من غير صحف ، سأعود الى تهريب الصحف من جديد ،وسوف أعيش أيامى فى فزع خشية أن يضبطوا الجرائد والمجلات فى زنزانتى .

اننى أحيانا أتصور أن وزير الداخلية لا عمل له فى الحياة الا أن يتعقبنى داخل الزنزانة .

أن هناك تعليمات مشددة حول طريقة معاملتى بالذات . كل مرضى السكر فى المستشفى ما عداى . أنا لا أسير الا وخلفى شاويش وهو نظام متبع مع المحكوم عليهم بالاعدام فقط . المسجونون العاديون تدخل لهم الأطعمة أما أنا فلا .

المسجونون تدخل لهم البطاطين . وأحضرت لى زينب بطاطين من البيت فمنعوا دخولها . عندما أذهب الى المحكمة فى قضية صحفية

مرفوعة على أخبار اليوم ، يضعونني في سيارة ، يتقدمها موتوسيكل
ووراءها سيارة نجدة ، ثم سيارة فيها ضابط مباحث ومعه تليفون .

وعندما أصل الى المحكمة أجد في انتظاري تسعة ضـــباط .
يسمح لكل مسجون يـــذهب الى المحكمة بأن يجلس مع اسرته ،
يمنعون أسرتي وحدي من الحق الذي تتمتع به اسرة كل مسجون .

لا اعرف ما هو السبب في هذه « الامتيــازات » . انهم يحيطونني
بأهمية لا أستحقها .

لقد اعترف لي أحد كبار الضباط الذين كانوا في حراستي بانه في
حيرة ان الأوامر أن يخفوني عن الناس ، حتى ينسوني ، ويتصوروا
أنني مت .. وفي الوقت نفسه ينقلونني الى المحكمة في موكب
ويخصص ٤٠ جنديا و٩ ضباط لاستقبالي في المحكمة .

الرواية لم تتم فصولا !

ليمـــان طره
٢٤ فبراير ســـنة ١٩٦٧

يا عزيزتى ..

كنت أعارض فى حضور ابنتى رتيبة وابنتى صفية لتزورانى فى السجن . مضى على أكثر من عام وأنا أعارض فى حضورهما وانت تلحين وهما تلحان . كنت أشفق على الطفلتين الصغيرتين ان ترياني فى ملابس السجن . وكنت أشعر بوحشة شديدة لهما . وأقاوم خشية ان يؤثر هذا اللقــاء المؤلم على نفسيتهما . أنا أرى البهدلة التى يتعرض لهـــا أولاد وأطفال المسجونين الذين يزورون آباءهم فى السجن . لا أريد أن أرى سجانا يدفعهما بيده . أو أن تشهدا ضابطا وهو يتوقح على أمامهما .

كنت لا أريد أن أزيد تعاستهما . كنت أخشى أى عذاب جديد أو اهانة تلحقهما . ان ذلك سوف يزيدنى عذابا لم يكن من أحلامى أن أرزق أولادا . كنت أرى الأطفال قيودا تمنع الحركة وأنا أريد أن أعيش حرا . شـــعور الأبوة يولد الخوف والتردد . أحيانا يزداد حب الأب فيحوله الى جبـــان . كنت أحب ألا أفقد شجاعتى وجراتى كنت أرى أن حياتى فى الصحافة هى مغامرة كبرى ، لا يجوز أن أمشى فى النـــار وفى يدى طفل. كنت أشـــهد فى طفولتى الذين يذهبون الى المنـــافى والمشـــانق والسجون ، لا يخافون على أنفسهم . وانما يخـــافون على أطفالهم لا يبكون حياتهم وانمـــا يذرفون الدموع على الذين سيتركونهم وراءهم . أذكر حديثـــا جرى بين أم المصريين صفية زغلول فى ثورة ١٩١٩ مع احـــد الفدائيين القدامى ، فقد كان مكلفـــا بمهمة كبيرة ، وقبل أن يذهب الى المهمة جـــاء اليهـــا فى بيت الأمة يقبل يدهـــا ، وينـــال بركتهـــا . واذا بهـــا تسأله : هل لك أولاد ؟ فيقول : سبعة .

فتصيح أم المصريين : لا .. لن تذهب أنت . يجب أن نختار شابا ليس له أولاد !

يومها ارتعشت لما اسمع . وتصورت أن عدم وجود أطفال هو الفرق بين البطولة والجبن .

ولكن الأب الفدائى رفض أن يطيع أم المصريين ، وأصر على أن يؤدى بنفسه المهمة ، وذهب والقى القنبلة فى المكان المطلوب ، وقبض الانجليز عليه ، ونفذوا فى الفدائى حكم الاعدام ..

يومها أخذتنا أم المصريين معها ، وزرنا أرملة الفدائي وحولها أولادها السبعة ، فى بيتها البسيط المكون من غرفة واحدة فى شبرا .

وقالت صفية زغلول : سأكون أنا أب أولادكم السبعة .

لعل هذا الحديث ترك رواسب فى قلبى الطفل . عاشت هذه الرواسب معى تنبهنى الى أنه يجب الا انجب أطفالا . ولكن شاء القدر ان أنجب بنتين وأن أعرضهما لما كنت أخشاه على ابناء الاخرين وعشت أياما طويلة فى قلق . ارجو أن تتم زيارة البنات على خير ولا تترك فيهما أى عقد أو آلام . وكنت أخشى أن أضعف أمامهما بعد فراقنا الطويل وكنت أخاف أن تنهار البنتان أمامى . وهكذا أمضيت عدة ليال افكر فى هذا العذاب المنتظر . وكنت اقول لنفسى انك أنت التى وضعتنى أمام هذا الأمر الواقع . ولكن الله سلم .كانت البنتان فى منتهى الشجاعة . ولاحظت عند نهاية اللقاء أن دموعا بدأت تترقرق فى العيون ، فأدرت ظهرى وأسرعت فى الخروج من الغرفة .

نسيت أن اقول لك اننى ذهبت الى المحكمة . وتنزهت فى شوارع العاصمة ، كان معنا أحد المسجونين ، أمرنا بأن نذهب لنأخذه من محكمة فى ميدان التحرير ، وهكذا مررت فى ميدان الأوبرا وشارع شامبليون . ولم نجد المسجون فى ميدان التحرير . وانتظرنا نصف ساعة . ثم قيل لنا انه فى محكمة روض لفرج . ومررنا على شارع الجلاء . وخفق قلبى وانا أمر على دار أخبار اليوم ..

ورايت البناء الجديد لجريدة الاهرام . اسفت أن اخبار اليوم لم تنفذ مشروع البنـاء الضخم الجديد الذى اعددناه لهـا قبل تأميم الصحافة . واصطدمت سيارتنا بتاكسى بقرب المحطة واضطربت سيارات النجدة والحراسة . وتصوروا أن التاكسى جاء يخطفنى . وقبضوا على سـائق التاكسى المسكين . ووقفنـا بعض الوقت للتحقيق مع المجرم الاثيم سائق التاكسى ولسؤاله هل هو عضو فى العصابة التى ستخطفنى ! ووقفنا بعض الوقت والتف الناس حولنا . ثم استأنفنا السير الى محكمة روض الفرج ولم نجد المسجون . وعندما نمر من جديد على أخبار اليوم والاهرام واقرأ الفاتحـة للصحافة المصرية !

وفى كل مرة كانوا يأخذونى الى المحكمة ، كنت اتمنى أن يمروا بى تحت النفق الجديد فى كوبرى قصر النيل . وكنت لا استطيع أن أطلب من الضابط أن يمر بى فى هـذا النفق حتى لا يتوهم أن العصابة المزعومة تنتظرنى هناك لتخطفنى . ولم احدث أحدا عن هذه الامنية طوال ذهابى الى المحكمة وعودتى منها . وفجاة وجـدت السائق ينحرف بنا ، ويمر تحت نفق كوبرى قصر النيل . وهكذا يحقق الله لى الأمانى الصغيرة ؟ اننى اعتقد أنه سيحقق لى الامانى الكبيرة . هكذا عودنى الله .

تحسن الجو فجاة . لا أعرف السبب . قال لى الدكتور كمال قاسم مدير القسم الطبى انه صرح لى بثلاث معلبـات لطعام السكر من كل نوع فى الاسبوع . اصبح مسموحا لى بأن اتحدث مع المسجونين العـاديين وغير مسموح التحدث مع المسجونين السياسيين . الغيت معاملتى كما يعـامل المحكوم عليه بالاعدام ، ولم يعد يمشى ورائى شـاويش يتابعنى كظلى . كنت قد فضلت أن أبقى فى زنزانتى ١٤ يوما ورفضت مغادرتهـا ، احتجاجا على القرار ، بالا امشى فى ردهة السجن الا وحدى ، بعـد اخـلائه من جميع المسجونين . الجميع فى دهشـة من قوة اعصـابى . امسـكى الخشب .

لم اتبين اننى بقيت مدة طويلة فى السجن الا عندما نظرت الى نعل حذائى . أن نعلى زوجى الاحذية اللذين عندى ذابا من كثرة

المشى . سوف أحاول أن أركب لهما نعلين جديدين هنا ؛ اذا فشلت فسوف أطلب حذاءين سوداوين من المنزل ، وأن ترسلى الحذاءين لتركيب نعل كامل . لا نصف نعل فقط .

ان كل خطاب يصلنى منك ، أو من أصدقائى ، وأحبائى ، وتلاميذى هو أشبه بقصيدة حب . ليس فيهـا قواف ولا موازين . ولكن فيهـا عاطفة هى موسيقى الشعراء . أنا عندما أقرأ خطاباتكم أقرأها عدة مرات . كل مرة أجد أنهـا أشبه بخطاب جديد .

اننى لست فى حاجة الى كلمـات كثيرة لأعرف مشاعركم . كلمة واحدة بهـا من حرارة الحب ما يغنى عن خطاب طويل . وعندما تتحدثون عن شوقكم أرى فى هذه الحروف القليلة قصـة كبيرة فيها وصف الضنى والعذاب والشقاء والسـهد والحرمان والقلق الذى تعيش فيه أسرة كل مسجون سـياسي . خطاباتنا ليست اسلاكا تشدنا الى بعضنا . انما صور صغيرة للعنـاء الذى يعيش فيه الشعب . وعندما أطل على هذه الصور الصغيرة وأحدق فيهـا ، تكبر الكلمات ، وتنزف الحروف ، وتتداعى المعانى ، وتتحول الصورة الصـامتة الى صورة بالألوان لكل ما يجرى فى البلد من مظالم . صور ملونة . صور تتكلم وتبكى وتصرخ وتنوح . والذى يجرى بيننا ليس خطابات . انه حوار . لا ينتهى أبدا . هى قصة هذا الشعب يكتبها الأحرار والعبيد فى وقت واحد . يشترك فيهـا المقيدون بالسلاسل الحقيقية ، والمقيدون بسلاسل الخوف وأصفاد الارهاب !

اننى أشعر أحيانا بأننى أشبه ببطل مسرحية .. وانطلقت رصـاصة فى صدر بطل الرواية . وسقط على الأرض مضرجا بدمائه . ثم انسـدل السـتار . وتصور بطل الرواية أن المسرحية انتهت . ولكن الجمهور بقى جالسـا فى كراسيه ، لأنه واثق من أن الرواية لم تنته ، ولابد أن يفتح السـتار من جديد ..

وسيفتح السـتار من جديد ..

ان روايتى لم تتم فصولا !

رسالة سرية من مصطفى أمين

سجن ليمان طره

اول مارس سنة ١٩٦٧

اخى العزيز

امضيت معك وقتا رائعا . تلقيت فى عيد ميلادنا خمسة خطابات منك فى يوم واحد . كانت هذه اعظم هدية فى عيد ميلادى . لم اتخيلها ولم احلم بها .قرات خطابين منها فى يوم عيد الميلاد . الخطابات الثلاثة الاخرى سلمت لى بعد اربعة ايام . لم اتضايق من التأخير . من وقت طويل جدا لم تصلنى خطابات منك . كانت الأكلة دسمة بحيث لا يمكن ان احتملها كلها فى يوم واحد . عندما سلموا لى الخطابات الثلاثة الاخيرة فكرت ان « أمزمز » بها . اى اقرأ فى كل يوم خطابا واحدا . لم استطع ان اقاوم جوعى الشديد لأخبارك . التهمتها كلها فى ليلة واحدة . هكذا أمضيت وقتا طويلا معك . مشيت الشوارع معك . اكلت معك . ضحكت معك . عشت فى برجك العاجى معك . ومما يؤسف له انى محروم من لذة الكتابة اليك باستمرار . اننا افترقنا من قبل . كنا نتكاتب بانتظام . عندما كنت أنا فى القاهرة وانت فى الجامعة فى انجلترا كنت أجعلك تعيش حياتى ، وتجعلنى أعيش حياتك . كنت أصحبك الى الصحف والمجلات التى اعمل بها فى مصر ، وكنت تصحبنى الى الصحف التى تتردد عليها فى انجلترا ، والى الجامعة والى اجتماعات حزب العمال . وعندما كنت أدرس فى أمريكا وأنت تدرس فى انجلترا أو تعمل فى مجلة آخر ساعة فى مصر كنا نتكاتب كاننا نؤلف كتبا . وكانت كارثة الكوارث ان نتأخر فى كتابة الخطابات بسبب انشغالنا فى امتحانات الجامعة . اما الآن فقد مضى علينا حوالى العامين فى هذا الفراق المرير . لم نستطع ان نتبادل سوى بضعة سطور . عزاؤنا أن رابطة التوائم تجعلنا لسنا

فى حاجة الى خطابات لنسمع دقات قلوبنـا . هـذه الدقات اشبه بدقات تلغراف مورس الذى ينقل الحروف والكلمـات .

وهكذا نتبـادل يوميـا عدة خطابات روحية .

دهشت لانك تسالنى فى خطابك هل اعجبتنى معلبـات طعام مرض السكر ؟ كتبت عدة مرات لزينب ابدى اعجابى بهـاوشكرى عليهـا ، واطالب بالمزيد منهـا لو كانت هذه المعلبات موجودة منذ اول الأمر لوفرت على كثيرا من العذاب والجوع والفول اما طعامك الصحى فهو شىء آخر . انك عرفت ما انا فى حاجة اليه بالضبط . اخترت الحجم الصغير الذى اتمناه . وانا الآن اوفر فى هذا الطعام . فلا آكله بانتظام . حتى لا يجىء وقت تفرغ فيه فجاة ولهذا ابدل واغير فى الطعـام. مرة سردين . ومرة فول مدمس . ومرة طعمية . ومرة بيض . وانا افطر فى الصباح البيض باستمرار، يصرفون لى ثلاث مرات فى الاسبوع خمس بيضات . وذلك لاننى مريض بالسكر ومقرر للمريض بالسكر فراخ . وحيث أن الفرخة غير موجودة فيصرفون لى خمس بيضـات بدلا من الفرخة . بحكم أن الكتكوت يخرج من البيضة . .

وعندما احتاج الى بيض اشترى البيضة بسيجارة بلمونت . البلمونت هى العملة الصعبة المعترف بهـا فى السجن . انت تغسل الهدوم بالسجائر وتكوى الملابس بالسجائر ، وتدفع أجرة تنظيف الزنزانة بالسجائر ، وتفتح باب الزنزانة فى غير المواعيد المقررة بالسجائر ايضا . ومن المؤلم انك تجد بعض المسجونين المرضى يبيعون طعامهم مقـابل سيجارة . يفضل الواحـد منهم أن يحـرم نفسه من رغيف الخبز فى مقـابل سيجارة بلمونت . .

قبل دخولى السجن كنت اشرب الشـاى كل صباح . بعـد دخولى السجن امتنعت عن شرب الشاى . لم اشرب فنجانا واحـدا لأن الشاى ممنوع . واذا ضبط الشـاى عند مسجون وضعوه فى « جب » التاديب . وانا افضل ان اذهب الى التاديب من أجل خطاب اكتبه أو مقال اكتبه . لا من أجل فنجان شـاى !

انا استيقظ فى الصباح عند صلاة الفجر . أشهد شروق الشمس. اتخيل انه سيجيء يوم تشرق فيه شمس الحرية على مصر كلهـا . يومها سينتهى الظلام . سينتهى الخوف . لن يتكلم الناس وهم يهمسون . لن يلتفتوا حولهم قبل أن ينطقوا كلمة . سيعود الناس يطمئنون الى بعضهم البعض . ستعود الثقة بين النـاس . سيعود للقـانون احترامه . لن تبقى البنـادق موجهة الى صدور الشعب بل ستوجه الى العدو كل مرة تشرق الشمس تقول لى ان الحرية قادمة فى الطريق .

اننى أستمع الى الاذاعة من سماعة معلقة الى جانب زنزانتى. صوتها مزعج ترتطم الانغـام بالقضبان فتحول صوت المطربة نجاة الهامس الى صوت يشبه الرعد ، استمع الى القرآن وأحاديث دينيـة ، وعناوين الصحف ونشرة الأخبار . أحيـانا السجان المكلف بالراديو لا تعجبه عنـاوين الصحف ، فيغلق الاذاعة واحرم من سماع هذه العنـاوين ، أو نشرات الأخبـار ، احيانا تأخذ السجان نومة فينسى أن يفتح الاذاعة فلا نسمع القرآن .

عندى فى غرفتى تواليت عبارة عن قصرية خاصة بالمستشفيات. وذلك أن دورة المياه موجودة فى الطابق الأرضى وزنزانتى فى الطابق الرابع ومريض السكر يذهب كثيرا الى دورة المياه . وغير معقول ان أنزل أربعة طوابق ، ثم اصعدها كلمـا اردت أن أذهب الى دورة الميـاه . غير مصرح أن أبقى فى زنزانتى اية أطعمة أو معلبات كل معلبـاتى موجودة فى مخزن . يحدث أحيـانا أن أنسى قبل أن اغلق الزنزانة اننى محتاج لكبريت أو محتاج لسجائر ، وعندئذ أقع فى حيص بيص ..

رتبت حياتى هنـا . كيفت نفسى على ظروف السجن . أصبحت الأشياء الصغيرة تسعدنى . أشياء كانت تبدو لنـا تافهة فى عالم الحرية . وجود السيجارة التى أدخنها يسعدنى .

وجود ما آكله اليوم يسعدنى . وصول خطاب يجعلنى أسـعد رجل فى العـالم . فى كل يوم انتظر شيئا . انتظر خطابا . انتظر

تهريب خطاب الى خارج السجن . انتظر تهريب طعام الى داخل السجن . انتظر وصول لفة فيهـا صحف ومجلات . انتظر رسالة فيهـا اخبار عما يجرى فى البلد . وهكذا يطير اليوم فى الانتظار واللهفة ، والتوقع والترقب . كأننى اتمنى كل لحظة أغنية أم كلثوم « انا فى انتظارك » . فلا اشعر بالملل . لا احس بالضيق . ولا العن الزمن . ولا اتعجل الأحداث . .

أننى اتابع الأخبار ، التقطها . اجمعها . أناقشها. أعلق عليها. احاول ان أعرف أخبار الغد من ثنايا أخبار الأمس . أشعر بأننى ما زلت فى مكتبى بأخبار اليوم . لا تزال الأنباء تجىء لى من كل مكان . من أصدقائى من تلاميذى من الصحف والاذاعة . من أفواه الناس . لا اظن أننى فى عزلتى اكثر جهلا بأحداث بلادى من الذين يعيشون فى عواصم الأخبار . كثير من التنبؤات التى أحدث بهـا نفسي أو زملائى المسجونين السياسيين تحدث فعلاً بعد أسبوع أو أسبوعين . اشعر بسعادة عندما أجد أننى ما زلت أستطيع أن أستنتج الأحداث قبل وقوعها . وأننى لم افقد فى السجن ملكة التمييز السياسى أو التفكير الدولى .

ولكنى اتمنى ان اكون هذه المزة مخطئا فى تقديرى وفى نبوءاتي . أننى اشم رائحة كارثة فى طريقها الي بلدنا . كارثة سياسـيـة او كارثة عسكرية أو كارثة اقتصـادية لا أعرف . المهم أن بوصلة الأحداث تشير الى هذا . لا أعرف هل ولاة الأمور عندنا يشعرون بها ، أو يتنبهون اليها ، او يستعدون لها ؟ جو الارهاب يجعـل الشعب يفقد النطق ، ولكنه فى الوقت نفسه يجعل الحكام يفقدون الرؤيـة !

انتصاراتهم الوهمية على ضحاياهم تعميهم عن الهزائم الحقيقية التى يعيشون فيها . الدولة التى تقوم على الخوف لا تستطيع أن تصمد ، وانما تستطيع أن تركع . من تتبع تعليقات الاذاعة وما تكتبه الصحف الاحظ أن الحكام مخمورون بالسلطان . خبرتى أن السلطان كالخمر القليل منها قد ينعش . والكثير منها يذهب بالعقل ! هل معنى هذا أننى وحدى الذى ارى الحقيقة لأننى لا أشرب الخمر . أم أن هناك غيرى يرى الذى أراه ، ويخاف أن ينطق بالحقيقة ، وينبه الى الكارثة المنتظرة خشية أن يجد نفسه معى فى ليمان طره!

أرجو ان اكون مخطئا هذه المرة في تقديري السياسي ، وأن يكون جو الزنزانة الكئيب هو الذي لون فكري بهـذا اللون الأســود القاتم المتشائم .

انني اسمع صوت ام كلثوم باستمرار . عشرات الأغاني التي اسمعها لي معها قصص وذكريات ، أنا أسمع صوت أصدقائي في الاذاعة . صوت جميـع تلامذة أخبار اليوم . أصواتهم اخترقت الجدران والأسوار ووصلت الي في زنزانتي.أنا اسمع هذه الأصوات بطريقة تختلف عما يسمعه الناس . كل كلمة افهم معناها . ماذا وراءها . ماذا قال وماذا لم يقل !

استدعاني الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء السجن ، وقال لي بجفاء : اخلع جاكتتك ..

وخلعتها ..

قال لي بجفاء اكثر : أرقد على سرير الكشف .

ورقدت في ذهول ..

وأمسك سماعة الكشف ووضعها على صدري ، ومال برأسه على وقال هامسا :

ـــ عندي رسالة لك ..

قلت هامسا : ممن ؟

قال : من أم كلثوم . أنها تقول لك أسمع حفلتها الليلة في الراديو انها ستغني أغنية الاطلال . فيها بيتان موجهان اليك ؟

قلت : ما هما البيتان ؟

قال : لا أعرف ! انني قابلتها عند صديق لي ، وعندما عـرفت أنني طبيبك في السجن كلفتني أن أحمل لك هذه الرسالة السرية !

وعدت الي زنزانتي وانتظرت حتى جاءت حفلة ام كلثوم وبدأت أم كلثوم تغني أغنية الاطلال ..

وفى اول الأمر لم اجد شيئاً !

ثم وجدت البيتين ..

اعطنى حريتى ! اطلق يديا

اننى اعطيت .. ما استبقيت شيا

آه من قيدك ادمى معصمى

واحسست ان هذه الأبيات تمثل صورتى وافكارى

ولم تكن أم كلثوم فى حاجة الى رد .. لأن « الرد خالص » .

حارس الجنة.. في الليمان!

سجن ليمان طـــره

١٨ مارس سنة ١٩٦٧

عزيزتي

خفتت الأصوات . ثم سكتت . أغلقت أبواب الزنزانات . ملأ زنزانتي الصغيرة صمت رهيب . الساعة حوالي الرابعة بعـــد الظهر . لن تفتح أبواب زنزانتي الا صباح اليوم التالي . أي بعد حوالي ١٦ ساعة . هذه فرصتي اليومية لاخلو بنفسي . الاذاعة سكتت هي الاخرى . لا أسمع الا دبيب اقدام الحارس يروح ويجيء أمام الزنازين . ثم أسمع صوت مسجون من الدور الأرضي يصيح « المسجون فلان وفلان وفـــلان سيدخلون جهنم السوداء وجهنم الحمراء » و « فلان وفلان وفلان سيدخلون الجنة » ! في مثل هذه الساعة من كل يوم يعلن هذا المسجون قائمة بأسماء مسجونين سيدخلون الجنة ، ومسجونين سيدخلون النار . ويفـــرح الذين سيدخلون النعيم . ويحزن الذين سيدخلون الجحيم ! ومن الغريب ان هذا المسجون الذي جعل نفسه حارس الجنة يهودي اســـمه أوري محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ! والمسجون الذي يعطيه سيجارة يدخله الجنة ، والمسجون الذي لا يعطيه سيجارة يدخله النار . وهو ثمن زهيد جدا لدخول الجنة . ولكن في السجن يرتفع ثمن السيجارة وتشح ، ويفضل البعض منهم أن يدلخوا جهنم ومعهم سيجارة !

ولم يفكر أحد المسجونين في أن ينازع هذا المسجون اليهودي على لقب حارس الجنة ، وينتزع منه هذه التجارة . فقد سلموا أمرهم الى الله . ورضخوا لحكم هذا المسجون الذي استطاع بذكائه أن يقيم لنفسه تجارة رابحة بغير رأس مال !

ثم يبدأ صراخ المسجونين يطلبون من الحارس أن يضيء النور في الزنازين . بدأ الظلام يطل برأسه من القضبان . المسجونون يريدون ان يبدأوا في طهي طعامهم . لا أحد يرضى أن يأكل طعام السجن البارد الذي لا طعم له . كل مسجون يحاول أن يجعل طعامه ساخنا ومستساغا ، الطعام يوزع على المسجونين عند الظهر . الجو البارد يحول الفول المدمس الساخن أو الفول النابت ، أو الكرات المطبوخ أو فروع الفجل الى شيء من الدندرمة أو الايس كريم مخلوطة بالتراب . ومن هنا يواجه كل مسجون بمشكلة النار . النار ممنوعة . والطعام لا يمكن أن يؤكل باردا ، ويتمنى المسجون لو أن حارس جهنم أدخله الى النار فعلا حتى يستطيع أن يطهى طعامه أو يسخنه على لهيب النار . ولما كانت الحاجة أم الاختراع فقد حول بعض المساجين السياسيين المعلبات الفارغة الى « وابور جاز » يسمونه « التوتو » يضيفون اليه بعض خيوط الغزل ، ويسكبون فوقها قليلا من الغاز ، ثم يشعلون النار ، فاذا أمامهم فعلا وابور غاز أو بوتاجاز !! ولكن « التوتو » لا يحل مشكلتهم ، بل يبدأها . التوتو ممنوع . ومن يوم لآخر يهاجم الحراس الزنازين ، يصادرون كل « توتو » فيها ، أو كل علبة فارغة ممكن أن تتحول الى توتو . ويدوس الضابط بقدمه على التوتو حتى يتحطم تماما . ولا يكاد يخرج الضابط حتى يبدأ المسجون بصنع « توتو » جديد . والغاز يسرقه المسجونون من المطبخ . وللغاز بورصة مثل بورصة القطن أو بورصة الأوراق المالية وأسعار الغاز ترتفع وتنخفض طبقا لنجاح المسجونين أو فشلهم في سرقة الغاز من المطبخ ! وعندما لا يجد المسجون أمامه « التوتو » يشعل الصحف . ولقد اشتغلت بالصحافة سنوات طويلة . والقيت محاضرات ودروسا كثيرة عن فوائد الصحافة . ولكني لم أعرف من قبل أن المسجون يفضل الصحيفة ليحرقها على أن يقرأها . وهنا ازمة في ورق الصحف . ادارة السجن تسترد الآن الصحف بعد قراءتها من المسجونين لبيعها بالأقة . ويفعل بعض المسجونين شيئا غريبا عندما لا يجدون توتو . بعضهم يحرق البطاطين التي يتغطى بها في البرد ويستعملها بدلا من وابور الغاز . يفضلون أن يناموا وفي بطونهم طعاما ساخن ويرتعشون من البرد ، على أن يتغطوا بالبطاطين ويشعرون بالدفء وفي بطونهم طعام بارد . تستغرق مشكلة الطعام ساعات طويلة . من تفكير المسجون كل يوم : فماذا يأكل مشكلة . وكيف يطهى

طعامه مشكلة . وكيف يحصل على الغاز اللازم مشكلة . وكيف يخفى النار بحيث لا يتسرب الدخان من نافذة الزنزانة مشكلة المشاكل . وقد حللت لنفسى مشكلة الطعام ، وعودت نفسى على أن اتناول الطعام باردا . .

وبعد أن تسكت عملية الطهى ، وغسل الأطباق ، يسود السجن هدوء مميت ، وفجاة يخترق هذا الظلام صوت مسجون يصيح « عاوزين نروح يارب » ! ومع أنه صوت مسجون واحد ، الا أنه يرن فى الاذن كأنه صوت كل مسجون . ان مئات المسجونين يرددون هذا النداء فى سريرتهم . ولكن هذا الصوت وحده هو الذى ارتفع فى السكون ليعبر عن مشاعرهم كلهم . ويعود الصمت والسكون . وفجاة يرتفع صوت آخر فيه لوعة وحسرة وأسى وانكسار ويقول « أولادى وحشونى قوى ! » تهتز أسوار السجن التى لا قلب لها لهذا الأنين . وتحس أن فى كل قلب مأتما . ويعود الصمت رهيبا كئيبا . كأن كل من فى السجن يشيع جنازة . يمشى وراء نعش . وكأنه هو داخل النعش . هو الميت والمشيعون معا . . !

ويرتفع صوت مسجون ينادى أحد الحراس الواقفين فوق الأسوار لينادى الحارس المسئول عن الاذاعة أن يفتح الراديو لنسمع القرآن . ويدوى صوت ميكرفون السجن بالقرآن الكريم . ويعود الى زنزانات السجن هدوء مريح . وآيات القرآن أشبه بمناديل تجفف الدموع من العيون ، وتمسح الدم من جراح الأرواح . تلاوة القرآن تترك فى قلوبهم رهبة ومهابة وجلالا وهدوءا وراحة واطمئنانا . هى مكمدات توضع فوق جروحهم . مسكنات تخفف آلامهم . كثير من هؤلاء المسجونين لا يروا الله الا فى السجن . . ولد ايمانهم الحقيقى فى داخل الزنزانة . انهم لا يخادعون الله . انما يؤمنون بأن أحدا على الأرض لن يستطيع أن ينتزعهم مما هم فيه . يد واحدة هى التى تستطيع أن تفتح باب السجن . ليست يد القضاة ، ولا يد الحراس . وانما هى يد الله ، ومن هنا فانا أسمع اسم الله فى داخل الليمان أكثر مما أسمعه فى المسجد أو الكنيسة أو دور العبادة . الله هنا بلا علماء دين ولا قسس ولا وسطاء . بعض هؤلاء يسمعون القرآن ولا يفهمونه . ولكنهم يشعرون بأنهم يسمعون صوت الله . الخائفون منهم يطمئنون اليائسون يحلمون .

التعساء يرون شعاعا من النور في الظلام . انهم غرقى في بحر واسع لا ساحل له . ولكنهم يؤمنون بان هذه الآيات هي أطواق النجاة ، تحملهم الى شواطىء الامان . وقد لا تكون الشواطىء على الأرض ، وانما في السماء .

ومع ذلك فهي شواطىء على كل حال !

هناك مشكلة أخرى يواجهها المسجون هي مشكلة النوم . الوف المسجونين ينامون على الأرض . المريض هو المحظوظ الذى ينام فوق مرتبة ، والمريض جدا هو السعيد الذى ينام على سرير ومرتبة . عدد هؤلاء لا يتجاوز خمسة أو ستة اشخاص بين خمسة او ستة الاف مسجون ! هنا عدد قليل جدا يعد على أصابع اليد ينام على مرتبة فوق الاسفلت . عندما اشتد البرد في هذين اليومين جاءت قوة من الحرس الى العنبر الذى نقيم فيه ، سحبت المراتب من الذين ينامون فوق المراتب ، وتركتهم ينامون على الأسفلت . ثم جاء الممرض الى مستشفى العنبر الذى أقيم فيه وسحب المرتبة من تحت مريض التيفود ؛ وتركه نائما على السرير بغير مرتبة ! وهكذا أصبح الحديث في السجن كله عن المراتب . كأننا في أحد دواوين الحكومة حيث لا حديث بين الموظفين الا عن الدرجات والعلاوات . واصبحت مشكلة كل سجين كيف ينام في هذا البرد . كيف يجد بطانية يضعها تحته وبطانية يضعها فوقه . أو يضع البطانيتين فوقه وينام على الأسفلت ! من الغريب الا تثار هذه المشكلة الا عندما يشتد البرد القارس ، وبعد أن تحولت الزنزانات الى ثلاجات . وأغرب من هذا أن لدى ادارة السجن مراتب وسراير وبطاطين تكفى جميع المسجونين . ولكنها ملقاة في المخازن . بينما المسجونون ينامون على البلاط . وادارة السجن معذورة ، والأطباء معذورون ، فاللوائح والتعليمات تعتبر النوم على سرير حديد ترفا ما بعده ترف كالنوم في جناح ملكى في فندق شبرد أو هيلتون ! .

وعندما اشتد البرد منذ بضعة أسابيع جاءت قوة من الحرس وسحبت البطاطين الزائدة من المسجونين . وكان بعض المسجونين قد اشترى بطاطين زيادة ، بسعر علبة سجاير بلمونت للبطانية . وجمعوا البطاطين الزائدة ، ووضعت في المخزن ، ونام المسجونون

على الأسفلت وهم يرتعشون ... ثم بدأوا يبيعون البطاطين للمسجونين من جديد ! وكلما احتاج رئيس المرضين لمبلغ من المال طلب سحب البطاطين لتبدأ بعد ٢٤ ساعة عملية البيع والشراء !

ومن الطريف أن الأهرام والأخبار والجمهورية نشرت بالعناوين الكبيرة منذ شهور أن شعراوى جمعة وزير الداخلية زار ليمان طره وأمر بانه ابتداء من ذلك اليوم لن ينام مسجون واحد على الأرض . بل سينامون على سراير من الواح الخشب !

وصدق القراء الطيبون تصريح الوزير !

وقال لى أحد الضباط ساخرا :

ــ ستوزع البطاطين على المسجونين كما توزع الحريات على الشعب !

قلت : لست أفهم !

قال الضابط : الا يقال للشعب كل يوم أنك تتمتع بالحريات ولا يرى الشعب أى حرية .. هكذا يقول لكم الوزير سوف تتمتعون بسراير ، ولن تروا السراير !

وفعلا لم ير المسجونون السراير ! بل الذى حدث أنه فى اليوم التالى للتصريح الوزارى الخطير ، بدلا من أن توضع سراير الخشب، جاء الحراس وسحبوا البطاطين من المسجونين وناموا على الأسفلت !

وهكذا استمتعوا بالحريات !

المسجون هنا يدعو الله أن يصيبه بالمرض ليستريح من لعنة الأشغال الشاقة وكسر الأحجار فى الجبل ، أو ليجد مرتبة لينام عليها ، أو ليجد طعاما كافيا . أصبح بعض المسجونين يحاول أن يصاب بالسل ، وبعضهم يحاول أن يصاب بالجرب ، وآخرون يضعون أصابعهم تحت عجلات قطار السكة الحديد فى الجبل ، أو فى تروس بعض الآلات التى يعملون عليها ، ليعفوا من العمل الشاق فى كسر الأحجار .

وتنفق الدولة الوف الجنيهات فى علاج المسجونين المسلولين والمرضى ، مع انها لو صرفت لهم السراير والمراتب والبطاطين لوفرت مئات الآلوف من الجنيهات .

اخشى أن اكون اطلت عليك فى وصف الحياة فى السجن . اننى احرص دائما على أن تعرفوا صورة الجو الذى أعيش فيه . اننى ارى امامى وحولى كل لحظة صورا كئيبة للتعاسة والبؤس والذل والشقاء . قلبى لا يبكى على نفسى ، بل ابكى للاخرين وأتعذب لعذابهم ارتعش من البرد لأجلهم . اشعر كل يوم بأننى اجرمت فى حقهم عندما كنت مطلق السراح ، ولم أقم فى صحفى بحملات من اجـل اصلاح السجون . الله شاء أن أدخل السجن لأرى بعينى ، والمس بنفسى ما كان من المستحيل أن أصدقه أو أتصور أنه يحـدث فى القرن العشرين . أخشى أن يكون السجن هو صورة للمجتمع . وما يحدث هنا هو نفس ما يحدث فى المستشفيات العامة والمصحات والملاجىء . بل ربما فى القرى والريف . أننا فى هذه السنوات أطعمنـا الشعب كلاما . الوعـود كلام . والمشروعات كـلام . والاصلاحات كلام فى كلام !

وسوف نستيقظ ذات يوم ونكتشف أننا لم نخدع الشعب فقط .. بل أننا خدعنا أنفسنا ايضا !

سجن ليمان طره

١١ ابريل سنة ١٩٦٧

عـــزيزتى

اليوم عيد رأس السنة الهجرية ، احتفل السجن بهـذا اليوم المبارك احتفالا غريبا . صدرت الأوامر بالغاء فسحتنا اليومية فى فناء عنبر السجن لهذه المناسبة السعيدة ! المفروض فى الأعياد أن يمنح المسجون حرية اكبر ، ولكن قائد العنبر رأى أن يحول العيـد الى قيود أكثر ومضايقات أكثر . بعض الطغاة الصغار يحتفلون باذلال الضعفاء . انها عقدة العبيد الذين يصبحون طغاة صغارا . ويستمرون عبيدا لطغاة أكبر منهم .

أمضيت اليوم فى استقبال عدد من زملائى المسجونين الذين جاءوا الى زنزانتى لتهنئتى بالعيد متحدين التعليمات بأن زنزانتى منطقة حرام ممنوع الاقتراب منها . أمضينا الوقت نضحك ونتبادل الذكريات . سألنى احد المسجونين السياسيين اليائسين : هل لنا مستقبل ؟ قلت : نعم ! قال : والطغاة الصغار الذين يستبدون الآن هل لهم مستقبل ؟ قلت : لهم ماض ! قال : كيف ؟ قلت : المستقبل للحرية . قال : اننى أعتقد أنه لا مستقبل للحرية فى بلادنا . قلت : لابد أن تشرق شمس الحرية ! قال : متى ؟ قلت : بعد ثلاث سنين . بعد خمس سنين . بعد عشرسنين لا أعرف . قال سنكون قـد متنا جميعا فى زنازيننا . قلت : لن نموت قبل أن ندفن الذين ظلمونا ! قال : سأكتب هذه النبوءة عندى ! قلت اكتبها وسوف أكتبها انا أيضـــا . . !

ان مشكلة الطعام قد حلت . زملائى المسجونون يغمروننى بهدايا .

كل مسجون تزوره أسرته وتقدم له طعاما يصمم أن أشاركه فيه . فى هذا الأسبوع أكلت يوما فراخا ومحشى ، وفى يوم ثان فاسوليا باللحم ، وفى يوم ثالث فراخا . ومما يؤسف له أننى اتبع رجيمـــا حادا ، ولا أستطيع أن آكل الدسمة والنشويات والحلوى والأطعمة الفاخرة ، واحضر لى أحد المسجونين ملوخية واصر على أن اجلس معه وآكل منها . اعتذرت عن عدم أكلها لأننى لا آكلها أبدا .. اننى أكلتها وعمرى سبع سنوات وأصبت بمغص فلم أذقها بعد ذلك . دهش السجين وقال أننى أول آدمى اقابله فى حياته يرفض أن يأكل الملوخية ، وأن حماره هو الآخر يرفض أن يأكل الملوخية ، وهكذا وجدت زميلا لى لا يأكل الملوخية !! ومسجون آخر أحضر لى كبدة . وثالث أحضر لى لحمة راس . ورابع احضر لى « فطير مشلتت » . وقلت لهم أن مرضى بالنقرس يمنعنى من أكل هذه الأطعمة . وأكد لى أحد المسجونين أن لحمة الراس فيها من الفيتامينات والهرمونات والبنسلين أكثر مما هو موجود فى صيدلية مستشفى قصر العينى ! ويظهر أن صيدلية قصر العينى ليس فيها أدوية على الاطلاق !

المصرى كريم بطبعه . الفقير يسعده أن يقتسم معك رغيف العيش الواحد الذى يملكه . انه يشعرك بأنه يملأ بطنه عندما تملأ انت بطنك بطعامه . هذه النخوة والشهامة والكرم والمروءة التى بدأت تختفى بحكم الارهاب خارج السجن ، لا تزال موجودة بكثرة داخل السجن . الصداقة لا تزال موجودة . كتمان السر . الثقـــة . الشجاعة محبوسة معنا فى الزنازين . وبهذا نراها هنا بكثرة . كنا نسمع فى الماضى قصصا كالأساطير عن فروسية أجدادنا . عن جار يعرض نفسه للموت من أجل جاره . عن صديق يضـــع كل ثروته ضمانا لتجارة صديق ، وتضيع الثروة ولا يلوم الصـــديق . عن أسرة يموت عائلها فتجد العون يمتد اليها من كل يد فى القرية . هذه الأساطـــير لا تزال تعيش داخل السجن رغم العنت وسوء المعاملة وشظف العيش والاستبداد والقسوة ، وأنظمة السجون التى وضعها غلاة من المجرمين لتطبق على مجرمين أقل اجراما !

اننى أعيش فى السجن مـــع شخصيات غريبة . أجـــد متعة فى دراستها . المسجون الذى يتولى الآن تنظيف زنزانتى هو قاتل متهم بقتل خمسة أشخاص . وهو شخصية وديعة طيبة . فى منتهى

الرقة والدماثة . واعتقدت انه مظلوم . ولكنه أكد لى انه لم يقتل خمسة اشخاص . وانما قتل ستة ! وهو لا يعرف لماذا قتلهم . انه قتلهم لله ! رآهم يهينون فى الغيط صديقا له . الصديق ضعيف لم يستطع ان يرد الاهانة . كل ما فعله انه بكى وقال يا رب انتقم لى ! اعتقد صاحبنا القاتل ان النداء موجه له . اختبأ فى الذرة واطلق بندقيته على الخمسة فقتلهم جميعا . قبض على نصف القرية لأن أحدا لم يتصور ان فى امكان ولد صغير ان يقتل خمسة اشخاص دفعة واحدة . انكر الكل واعترف هو وحده . حكموا عليه بالاعدام، واستبدل حكم الاعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة لصغر سنه !

الذى يحمل لى البيض كل يوم هو شاب محكوم عليه بالمؤبد ،لأنه قتل احد اصدقائه ، وقطع جثته الى اجزاء صغيرة . الشاب يبدو وديعا . ليس فى ملامحه شىء من ملامح السفاح او سفاك الدماء الذى تحدث عنه العالم فرويد . وجهه أشبه بوجه طفل . كل اجرامه يظهر فى انه يجد لذة فى سرقة طعام المسجونين أو مغالطتهم فى الحساب ! لا أحد يجرؤ على ضبطه خشية ان يقتله ويقطع جثته الى أجزاء صغيرة .

المسجون الذى يمسح بلاط الردهة أمام زنزانتى كان مسجونا فى جريمة سرقة . وكان محكوما عليه بالسجن ثلاث سنوات . ثم لاحظ ان أحد الحراس يسىء معاملة المسجونين ويبطش بهم ويتعمد اذلالهم . ولم يصب هذا المسجون بشىء من هذا البطش والهوان ، ولكنه غضب من اجل مظلومين لا يعرفهم ، ولا يعرف أسماءهم ، فتقدم نحو الحارس وراح يطعنه بسكين حتى أسلم الروح ، وحكم على الشاب بالسجن المؤبد . ومن الطريف أنهم يسمونه فى السجن « أبو الأنوار » باسم الحارس الذى قتله !

وأتمشى فى ردهة السجن مع بعض المسجونين ، ومن بينهم عز الدين عبد القادر الذى أطلق الرصاص على الزعيم مصطفى النحاس ، لأنه وقع معاهدة سنة ١٩٣٦ وحكم عليه يومها بالسجن ثم صدر عفو عنه . وبعد ذلك سافر الى العراق واصدر كتابا ضد الحكم الحاضر ، ثم التقى فى المغرب بالرئيس جمال عبد الناصر فرحب به الرئيس ودعاه الى العودة الى مصر ، وصدق عز الدين

وعاد الى مصر ، فقبض عليه فى المطار ، وقدم الى المحاكمة وحكم عليه الدجوى بالمؤبد ، وهو حفيد الزعيم احمد عرابى . وكلما يرانى يضحك ويقول : من سخرية القدر أن يجتمع حفيد عرابى وحفيد سعد زغلول فى سجن واحد !

ومعى رجل مؤدب لطيف اسمه محمود مصطفى ، وهو من أعيان محافظة القليوبية . هدده أحد قطاع الطرق بالقتل ، فأطلق عليه الرصاص دفاعا عن النفس ، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات . وتحس أن هذا الرجل لا يستطيع أن يقتل فرخة . وتعجب أن يكون مثل هذا الرجل الوديع قاتــلا . وتسأله فيقول لك أنه شخصيا لا يعرف كيف حدث هذا . لا يصدق أنه قتل . لقد رفع البندقيــة ليهوش بها فانطلقت الرصاصة ! ان عددا غــير قليل من الذى اعترفوا بأنهم قتلوا يقولون انهم فعلوا ما فعلوه فى لحظة جنون . ربما لا تستمر أكثر من دقيقة واحدة . وبعدها يفيقون ليكتشفوا هول ما فعلوه . بعضهم لا يصدق أنه فعل ذلك . انهم ينصحون من يغضب بأن يعد من واحد الى عشرة قبل ان يطلق مسدســه أو بندقيته ، وهم يؤكدون أنه سوف يعدل عن القتل قبل أن يصــل الى عشرة ! ويبدو أن حياة كل واحد منا « ثانية » مجنونة ، يتوقف فيها العقل ، وسيىء الحظ هو الذى تطول لديه هذه « الثــانيــة المجنونة » لتصبح دقيقة ، وعندئذ تقع الكارثة !

وصلت الى نتيجة غريبة من أحاديثى مع المسجونين . الاغلبية الكبرى منهم من الناس الطيبين . وهم لا يقلون طيبة وخلقا ونبــلا عن أشخاص خارج السجن لم يرتكبوا جرائم . أو ارتكبوا جرائم ولم يضبطوا . أو ضبطوا ولم يحاكموا . الناس هنا صورة كاملة للمجتمع . أغلبيتهم أخيار . قليل منهم أشرار ، جرائمهم ليست جرائم أصيلة ، بعضهم أصيب بالجريمة كما يصاب الانسان بمرض طارىء المرض ليس مزمنا . فهو لا يبقى مجرما طول حياته .

فى الطابق الرابع الذى أقيم فيه خمسة من المسجونين السياسيين المرضى . وجعلوا هذا الطابق المستشفى السياسى حتى لا ينقلونا الى مستشفى السجن ونتمتع ببعض الحرية . جارى فى الزنزانة هو الأســتاذ حسن الهضيبى المرشد العــام للاخوان المسلمين

والمستشار السابق فى محكمة النقض والابرام . عمــره حوالى ٧٥ سنة . انهم صرفوا له بذلة سجن بيضاء حقيرة . منعوا عنه ادويته التى يعالج بها . مضى عليه عامان كاملان لم يسمح خلالهما لزوجته أو أولاده بزيارته . مضى عليه عامان ممنوع من أن يكتب لأسرته خطابا أو يتلقى منها خطابا . لم يسمحوا لأسرته بأن تحول له « امانات » فى السجن كما يسمحون للمسجونين القتلة واللصوص والسفاحين ! لا يملك مليما ليشترى صابونة ! لا يملك مليما ليشترى سيجارة ! يأكل طعــام السجن الذى ترفض أن تأكله الكلاب ، بلا شكوى ، وبلا تذمر ، بل يحمد الله على هذا الطعام اللذيذ !

بهرنى هــذا الرجل بصموده وايمانه وصبره . انــه اقوى من السلاسل والقيود . أصلب من قضبان الحديد فى زنزانته.لم يفقد أبدا ابتسامته . ولا نظرة السخرية بكل الطغيان الذى يراه حوله. ولا يسمحون له أن يذهب الى الطبيب رغم أمراضه المتعددة . ولا يسمحون له بأن يجىء بطبيب على حسابه . ان المسجونــين السياسيين لم يعاملوا فى أي عهد من العهود ، حتى فى عهـــد الاحتلال البريطانى ، بهذه المعاملة الوحشية . فى كليوم يتلقى السجن اوامر شفوية وتحريرية بالبطش بالمسجونين السياسيين ، وتضييق الخناق عليهم ، والامعان فى التنكيل بهم !

وقد كنت امضى اغلب وقتى مع المسجون حسن الهضيبى فى زنزانته ، فاذا اغلقوا علينا الزنازين التقينا فى نافذة الزنزانة واكملنا الحديث بين القضبان الحديدية .

والى جوارنا تاجر من السويس مريض بالملاريا ، وصاحب جراج مريض بالسل ، وعامل نسيج من المحلة تحطم عموده الفقرى من التعذيب ، وهو عبد الغفار الشنشتاوى ، العامل بالمحلة الكبرى . وبعد ذلك بزنزانتين المسجون السياسى محمد صدقى عبد العزيز ، وهو موظف بشركة اقطان ، عذبوه فى السجن الحربى بطريقة وحشية ، حتى حطموا عموده الفقرى ، وأصبح عاجزا عن الوقوف على قــدميه ، وعاجزا عن المشى ، ويحمله زملاؤه على مقعــد ، وينزلون به اربعة طوابق ليذهب الى دورة المياه ، ثم يحملونه بعد ذلك اربعة طوابق الى فراشه فى الزنزانة .

وبقربنا أيضا المسجون السياسى سامى سلام ، وهو موظف في الأوبرج ، ومريض بالتيفود ، وتهمته أنه كان مرشحا وزيرا للخارجية في انقلاب عسكرى بلا عسكر !!

ثم بعد ذلك خمسة وثلاثون زنزانة مغلقة . انني أمضي يومى كله مع هؤلاء المرضى . ومن سوء حظى انني لا أطيق أن أرى انسانا وهو يحقن بحقنة عادية ، حتى ولو كانت حقنة بنسلين . وشاء قدرى أن يكون كل جيرانى من هؤلاء المعذبين المرضى . رؤية هؤلاء في آلامهم تعذبنى أكثر من عذاب السجن ، ويتضاعف عذابى عندما أرى الاهمال المتعمد فى علاجهم أو العناية بهم . كثيرا ما سمعنا أن الرحمة فوق العدل . هنا لا نجد رحمة ولا عدلا . بل قسوة وظلم . عنت واستبداد . لو أن لجنة حقوق الانسان دخلت الليمان ورأت كيف يعامل المسجون السياسى لأغمى على أعضائهـا من هول ما يرون ؟

أشم رائحة شياط!!

سجن ليمان طره

٢٨ ابريل سنة ١٩٦٧

عـــزيزتى

كنت اليوم فى مستشفى السجن ودخل علينا الضابط محمد كمال الدين يقول :

ــ أنتم هنا والدنيا مقلوبة !

ــ ماذا حدث ؟

ــ وجدنا أن عدد المسجونين يزيد واحدا عن العدد الرسمى الموجود . صدرت الاوامر بأن يذهب كل مسجون فورا الى زنزانته ، ونغلق عليه بالضبة والمفتاح ، ونخلى جميع ردهات السجن من المسجونين ..

وهرولنا عائدين الى الزنازين ..

وراح الحراس ينفخون فى البورى علامة الخطر ! والحراس يجــرون فوق الأسوار حاملين بنادقهم ومدافعهم الرشاشـــة ثم يزومون بصوت غريب كالصوت الذى يصرخ به طرزان فى افــلام السينما . وقيل فى اذاعة السجن أن هناك « كبسة » .. ومعنى كبســة فى لغة السجن أن شيئا غير عادى قد حدث !

وبدأ الضباط يحصوننا واحدا واحدا داخل الزنازين المغلقة ، وبعد ساعتين فى هذا الجو الغريب المريب تبين أن العدد تمام ، وأن أحد الحراس أخطأ فى العدد وأضاف مسجونا . وبعد ذلك أعلنوا انتهاء « الكبسة » . ونفخ الحراس فى البورى معلنين أن كل شيء تمام . وتساءلت اذا كان كل هذا يحدث لو زاد عدد المسجونين ، فماذا يحدث لو نقص عددهم ، وهرب فعلا مسجون !

وفى أثناء عمليات العد والاحصاء راح المسجونين يتذمرون ، ويقولون أن أحد الناس هرب من خارج السجن الى داخل السجن. وأنه سيجيء يوم قريب يهرب الناس فيه من السجن الكبير الى السجن الصغير ! وبعض المسجونين بدأ يؤكد أن مصر كلها أصبحت ليمانا كبيرا . وأن المعاملة فى ليمان طره أحسن كثيرا من المعاملة فى الليمان الكبير .. وأننا فى داخل ليمان طره أكثر أمانا واطمئنانا ممن هم خارج الأسوار .. فالناس من خوف السجن فى سجن !

التقاليد هنا عندما يهرب مسجون واحد من داخل السجن أن يعاقب جميع المسجونين الذين لم يهربوا ! تحرق جميع ملابسهم الخارجية والداخلية ، ولا يبقى للمسجون سوى فيار واحد .تداس أطعمتهم بالأقدام . يحرمون من مشاهدة التليفزيون والسينما والمباريات الرياضية من أجل جريمة مسجون واحد يعاقب خمسة آلاف مسجون برىء . ولهذا فأنا أدعو الله ألا يجن أحد المسجونين ويهرب ، وعندئذ ستكون مصيبة المسجونين سوداء .

ثم رائحة « شياط » فى الجو السياسى المصرى . لا أعرف حتى الآن من أين يجيء هذا الشياط ؟ الأنباء تصلنى من مختلف المصادر تؤكد أن الطغيان مستتر ، والطغاة الصغار يزدادون جبروتا . فى كل بيت مسجون سياسى أو معتقل سياسى أو شهيد فى حرب اليمن . أو جريح أو موضوع تحت الحراسة . أو مرفوت من ظيفته، أو مهدد فى رزقه . انفتحت شهية الطغاة ، وهم فى كل يوم يريدون ضمانا أكثر . فى أول الأمركان يشبعهم أن يأكلوا ضحية كل يوم .. أصبحوا اليوم لا يكفيهم ألف ضحية . الشعب يعيش فى جو من الخوف . لا أحد آمنا على نفسه ولا على حريته ولا على رزقه . ألوف الناس يهاجرون الى الخارج . وأكثر منهم يحاولون الخروج ويفشلون . لو فتحت أبواب مصر الآن لفر أغلب المتعلمين فيها ..

انهم من جميع الفئات . من جميع الطبقات . فيهم عمال وفيهم اصحاب اعمال . كل يوم يتلقى أحد المسجونين هنا خطابا من شقيقه أو ابنه يقول انه يريد أن يهاجر . اكبر مصيبة يصاب بها الشعب أن يحس بأن لا مستقبل له ولا أمل له . المستقبل فقط لأصحاب النفوذ والسلطان . لأهل الثقة . ان اغلب اهل الثقة للأسف من الجهلاء وانصاف المتعلمين . وهم الآن الذين يديرون المصانع والمؤسسات والدوائر الحكومية ، وهذا سر الانهيار الذى أصاب كل شيء . والذى سوف يؤدى الى الكارثة الكبرى !

ان من حق الحاكم ان يزوج ابنته لمن يثق به ، ولكن ليس من حقه أن يسلم الدولة للجهلاء لا لشيء الا لأنه يثق بهم !

وقد اثبتت الأيام أن هؤلاء الجهلاء ليسوا أهل ثقة . ولو اجرينا تحقيقا واسعا عن حالة مصانعنا قبل أن يتولاها أهل الثقة وبعد أن تولاها أهل الثقة ، لعرفنا الفرق بين التقدم والخراب ، وبين الربح والافلاس !

وعندما يصبح كل « أهل ثقة » ذاتا مصونة لا تمس ، تختفي الحقائق ، ولا يجرؤ أحد على أن يشير الى الفساد الموجود فى كل ميدان .

ان أهل الثقة يحولون انتصارات هذا الشعب الى هزائم ، وأرباحه الى خسائر ، وأمجاده الى كوارث !

انني أقابل هنا يوميا مسجونين جاءوا من مختلف قطاعات الدولة، كل واحد منهم يحمل لى قصة عن الفساد والرشوة واستغلال النفوذ ، وكل القصص بمعنى واحد . ان الظلام المفروض على البلد هو الذى شجع اللصوص والمختلسين وتجار المال الحرام !

وانا اعتقد أن احدا لا يجرؤ على أن يبلغ الحاكم بما يراه ، لأنهم يتصورون أنه ستقطع رقابهم اذا فضحوا أهل الثقة ، كما قطعت رقاب آخرين ..

ان الخوف جعل هذا الشعب يطبق فمه مرغما ، يصمت فى وقت يجب فيه الكلام . يسكن فى عصر يستوجب الحركة . يغمض عينيه فى يوم يجب أن نفتح فيه جميعا عيوننا على ما سوف ينتظرنا !

ان الذى أخشاه أن الكارثة المنتظرة لن تصيب الذين ظلموا ، بل ستصيب مصر كلها !

يجب ان ندعو لمصر ..

فأنا ما زلت أشم رائحة « شياط » وأخشى أن شيئا ما يحترق !!

سجن ليمان طره

١٥ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

عندما يصل هذا الخطاب اليك ، يكون قد مر عامان كاملان على فراقى انا واخى . هذا هو الذى يسمونه غير المعقول . من كان يتصور أن يفترق التوأمان عامين كاملين ؟

لم افترق عنه طوال حياتى مثل هذه المدة . عندما كان يتلقى العلم فى انجلترا كان يحضر كل عام الى القاهرة لنمضى الصيف سويا . عندما كنت ادرس فى امريكا ويدرس هو فى انجلترا كنا نلتقى فى أوربا أو نلتقى فى مصر . فى أيام فراقنا كنا نتكاتب باستمرار . اكاد اعرف كل خطوة خطاها كل نكتة سمعها . كل شخص قابله . الآن مضى علينا عامان كاملان دون أن نتبادل سوى بضع كلمات . عذاب السجن ليس فى قيوده وقضبانه وزنزانته . انه فى حرماننا من الاشخاص الذين نحبهم . نحن لا نعيش فى قصور أو بيوت أو شقق . نحن نعيش فى لقاء من نحب . من غير هذه اللقاءات نكون اشبه بالذى يعيش فى العراء . اذكر آخر مرة انفردنا فيها معا . كان قلبى يحدثنى أنه فراق طويل جدا . كنا نتكلم همسا . لاننا كنا نعرف أنه توجد أجهزة تسجيل فى مكاتبنا وبيوتنا . قلت له اننى أحس ان أصحاب السلطان يدبرون لى شيئا . اذا ارسلوا اليك واستدعوك لا تحضر ! اذا عرضوا عليك خطابا بامضائى لتحضر لا تصدق ! سأكون تعرضت لضغط هائل حتى يرغمونى على أن اكتب اليك وادعوك الى الحضور . يومها كان لدى احساس غريب بأن الذين حول الرئيس يحملون سكاكين وخناجر يريدون أن يغمدوها فى ظهرى ، لقد كانوا يقولون ان ثلاثة فقط فى مصر لديهم رقم تليفون جمال عبد الناصر السرى بجوار فراش نومه

يستطيعون أن يوقظوه فى أى وقت ، وكان هــؤلاء الثلاثة هم عبد الحكيم عامر وسامى شرف وأنا . وكانوا يغبطوننى على هذا الشرف العظيم . ولم أشعر فى يوم من الايام أنه شرف عظيم . كنت اتصور أنها مسئولية عظيمة . وكنت أعتقد أن واجبى نحو بلدى وواجبى نحو جمال عبد الناصر أن ابصره بكل الاخطاء التى تحدث باسمه . ولم أشعر فى خلال فترة طويلة أن الرئيس يضيق بأن يسمع الحقيقة . وذات يوم فى أواخر سنة ١٩٦٤ قال لى سامى شرف : أن كل الذين حول الرئيس اتفقوا على الا يقولوا له أى كلام أو اى أخبار تضايقه ، وذلك لأنه فى حالة مرضية تجعل الأنبــاء السيئة تزيد حالته سوءا . قلت له : ان واجبى أن أخبر الرئيس بالاخطاء التى تحدث . قال : اذا سمعت اخطاء فاخبرنى انا بها ولا تخبر الرئيس . قلت : اننى أعتقد أن الرئيس أئتمننى على أن أقول له الحقيقة ، ولا استطيع اذا سألنى أن أخفى عنه الحقيقة.

وهذا الكلام لم يعجب الذين يريدون عزل الرئيس عن الحقيقة ، واقامة حصار حديدى حوله . ان الرئيس لا يقابل الا اشخاصا معدودين . ولا يتصل الا بأشخاص معدودين . ومن السهل أن يتفق هؤلاء فيما بينهم ويعدموا بريئا ، أو يسجنوا مظلوما ، أو يشوهوا حقيقة ، أو يدفعوا البــلد الى كارثة . ان الذين حول الرئيس يكرهون بعضهم بعضا . كل واحد منهم يريد أن يقطــع راس زميله . كل واحد منهم يريد أن يصل الى اذن الرئيس فوق جثة زميله . انهم يحولون الرياسة الى قصر يلدز : دسائس ومقالب ومؤامرات كما كان يقوم بها الاغوات والجوارى فى قصر السلطان عبد الحميد . ومن الذى سيدفع ثمن كل هذا ؟ مصر طبعا . اننى أعترف أن حالة الرئيس الصحية كانت سيئة ، ولكن اخفاء الحقيقة عنه ، حتى يصدم بها ذات يوم قد يقضى عليه . ولقد كان رأيى دائما الذى قلته للرئيس فى كل مناسبة أن العلاج الوحيد هو فتح جميع النوافذ ، وهو اطلاق الحريات ، وهو الغاء الرقابة على الصحف، وهو اعطاء مجلس الأمة حرية المناقشة والمعارضة ، وبذلك وحده تصل الحقيقة الى الرئيس بلا تشويه ولا تنميق ولا تزويق . اننى أعتقد أن التقارير التى تصل الى الرئيس من الاجهزة ليست نظارات معظمة يرى بها ما يجرى . انما هى عصابات سوداء يضعونهــا فوق عينيه لكى يحجبوا عنه الحقيقة ، كم من مرة اطلعنى الرئيس

على تقارير سرية وصلت من بعض الأجهزة وأذهلني ما فيهـا من كذب وجهل وتشويه للحقائق . وأذكر مرة أن الرئيس أطلعني على تقرير من أحد الأجهزة يقول ان احد السفراء العرب يجلس فى نادي الجزيره ويشتمه ويتكلم عنه بأسلوب لا يليق ! وكنت اعـلم أن هذا السفير غادر مصر منذ شهر ، وكان التقرير يؤكد ان الحادث وقع قبل ذلك بأيام قليلة . وطلبت من الرئيس ان يحقق هـذه الواقعة وظهر أن السفير فعلا غير موجود فى القاهرة ، وأن كل ذنبه أنه قبل سفره قال عن احد كبار معاوني الرئيس انه حمار ! وهكذا أصبح من يشتم أحدا من هؤلاء الآلهة الصغار كأنه شـتم رئيس الجمهورية !

انني افكر كثيرا فى اخي . أعرف انه مسجون مثلى . صحيح ان الزنزانة التي يعيش فيها فى لندن اكبر من الزنزانة التى اقيم فيها فى ليمان طره . اشعر بأن عذابه اكبر من عذابى ، ووحدته اضعاف وحدتى . وهمومه أكثر من همومي . أتصوره يمشي فى غرفتـه ذهابا وايابا ، يمشي وحده . فقد أعتدنا ان نقطع الغرفة معـا . نمشي معا . نفكر معا . أحيانا لا نتبادل الكلمات .

ولكننا نتناقش بغير صوت ! اتصوره وهو يحس بالعجز لانه لا يستطيع ان يفعل لي شيئا . يشعر بالمرارة لأنه لا يستطيع ان يحدثني . أو يسمع صوتى . انا لا اشعر هنا بهذا العجز وهذه المرارة .

انا أسمع صوته فى خيالى . اتحـدث فى اليه ذكرياتي واحلامي . أسمع انفاسه . أمسح دموعه . اقرأ فى عينيه كل خواطره . الله أعطى التوامين قوة غريبة . لا اشعر بعذاب هذا الفراق الحقيقى . أحس اننا دائما معا . لولا ذلك لتحطمت تماما . احساسى إننـا لم نفترق أبدا مع كل هذا البعد ، مع كل هذه المسافة ، هو الذى يعطيني قوة الاحتمال . الحب الذى بيننا هو القنطرة التى توصلني اليه باستمرار . هو الكوبرى الذى أعبر عليه بعد أن تحطمت كل الجسور . انني اقطع هذه المسافة الطويلة فى لحظـة . البحار والدول والمدن التى تفصلنا عجزت عن أن تبعدنا . لست محتاجا الى برقيات أو خطابات منه لأنني أراه بجوارى فى الليل والنهار .. الذين يقيمون فى غرفة واحدة ليسوا فى حاجة الى تبادل الخطابات .

كل مباراة كرة يحضرها فى لندن كأننى شاهدتها . كل برنامج فى التليفزيون يراه هناك ، استمتع به هنا ، كل كتاب يقرؤه كأننى قراته . الرابطة بين التوأمين المتشابهين غريبة . اشعر بأننى نصف محبوس ، ونصف مطلق السراح . نصف مقيد ، ونصف حر ، اقيم فى الزنزانة نصف اليوم . النصف الآخر من اليوم أمضيه فى شخصه هو . هذا شىء لذيذ فعلا . لا أظن أن مسجوننا سواى يستمتع بهذه المتعة . الله عندما أعطانى نعمة أن يكون لى توأم أعطانى شيئا كثيرا . أعطانى متعة الا أعيش حياة واحدة . أعيش حياتى وحياة أخى التوأم معا . أمضى فى السجن نصف الوقت . وأمضى فى الحرية النصف الآخر . وبقدر هنائى بهذا الشعور أحس بعذاب أخى . رحلة خيالى تختلف عن رحلة خياله . خيالى يحملنى دائما الى الحرية وخياله يحمله الى الزنزانة . استمتع بانطلاقه . ويتعذب بقيودى .. الله جعلنا متشابهين فى كل شىء : فى القامة . فى الملامح . فى الصوت . فى التفكير . وحتى فى مرض السكر ومرض النقرس . وأحمد الله على أنه لم يجعلنا متشابهين فى دخول السجن كان هذا سوف يشقينى كثيرا كان سيحرمنى أن أمضى نصف يومى خارج السجن . كنا نقول فى الماضى أنه عندما يدخل أحدنا السجن سيجىء الآخر لزيارته . ونتبادل المكان . دون أن يتبين الحراس الفرق . وكنا نضحك كثيرا لهذه الفكرة . اليوم نحن نحققها فعلا فى كل ساعة . وفى كل لحظة !

أنا فى الزنزانة لحظة ، وفى لندن اللحظة التالية ، وهو فى فندق ماى فير بلندن لحظة ، وفى زنزانة بسجن ليمان طره فى اللحظة التالية . هذا الشعور العجيب يخفف عنا آلام الفراق المرير . ثم ان ايماننا الذى لا حد له . وتفاؤلنا الذى لم يتزلزل فى أحلك الساعات وأقسى الأزمات .

أحيانا كنت الح على أخى فى أن يتناول دواءه بانتظام ، لأننى أعرف أن علاجه يشفينى . أصر على أن يستشير الأطباء الاخصائيين لأن هذه الاستشارة تجعلنى أطمئن على نفسى . أطلب منه أن يعنى بصحته لأننى أعرف أن كل ساعة يطول فيها عمره تطيل عمرى . الأمر الذى يعذبنى أننى أشعر بأنه يتعذب أضعاف عذابى . صحيح أننى فى سجن ، ولكن فوق أرض بلدى . هذه الأرض التى أحبها وأعشقها تدفئنى .

أسير فوقها وكأنني أطير في سماء أحلامي . هواؤها هو مجموع انفاس الذين أحبهم ويحبونني . أرى من نافذة زنزانتي نيلهـــا وخضرتها وأهلها فأنسى كل آلامي . أما هو فيعيش على أرض غريبة بعيدة . فيها صلابة الصخور وقسوة الأحجار . ليست فيها نعومة أرضنا التي تغوص فيها أقدامنا وكأنها تقبلها وتحتضنها . يحس حوله بعواطف مترجمة . ولا يحس بالعاطفة المصرية الأصيلة قيودي لا تضغط على يدي . وحريته في بلد غريب تضغط على عنقه وتكاد تخنقه . أعرف جيداً مبلغ شقائه ، لأنني أعرف كم نحب بــلادنا .

ميدان القتال .. في شقة

سجن ليمـــان طـــره

٣٠ مايو سنة ١٩٦٧

عـــزيزتي

امضي الوقت في سماع الأخبار من اذاعة السجن . نحن مقبلون على معركة . اتتبع باهتمام اخبار المعركة التي تخوضها بلادي . انني اتمنى ان تنتصر مصر باذن الله في هذه المعركة . على الرغم من كل ما فعله حكامنا بنا وبأنفسهم وبالبلد .

تعود بي دائما الذاكرة الى معركة عام ١٩٥٦ التي كان لي شرف الاشتراك فيها . قيودي اليوم تمنعني من ان اخوض معركة اليوم، ليس عندي الا ان أصلي لمصر داعيا لها بالنصر . اعتبر كل نصر لمصر هو نصر لي . كل هزيمة لها ستكون هزيمة لي .

وعندما يخوض الوطن معركة ، يجب علينا أن ننحي جانبـــا آلامنا الشخصية ، وننسى متاعبنا ، ولا نذكر سوى بلادنا ، كم تمنيت ان يسمح لي بالاشتراك في هذه المعركة بقلمي وفني وخبرتي وحياتي ، كما فعلت في كل معاركنا الماضية ، على أن أعود الى السجن بعد انتهاء المعركة ..

انظر حولي فأجد المسجونين السياسيين ، والمعتقلين السياسيين والموضوعين تحت الحراسة ، والمنبوذين السياسيين ، والمنفيين عن بلادهم ، والمطاردين في رزقهم ، وأتساءل هل يمكن أن يحارب بلد بنصف اهله . هل يمكن أن نحارب ونصفنا مسجون أو معتقل مكمم أو منكوب أو مدموغ بأنه عدو من أعداء الشعب . في كل بلاد العالم عندما تقرر دولة أن تحارب توحد صفوفها ، وتضمد جراحها،

وتجعل الشعب كله كتلة واحدة ، لا تمضى الوقت فى فرز الناس على الفرازة . هذا اشتراكى وهذا غير اشتراكى . الذين يحكمون لم يقرأوا التاريخ ، لم يعرفوا ان الاتحاد السوفيتى عندما حارب افرج عن المسجونين السياسيين . لا يعرفون أن نابليون عندما حارب أطلق سراح المسجونين العاديين .

- أحب الا تتألموا لأنهم فى هذا الوقت بالذات ، وفى وقت تحشد فيه الجيوش العربية لتستولى على اسرائيل ، تطلب رياسة الجمهورية اخراجى من شقتى . ان هذا الطلب المستبد لم يؤلمنى . ولكنه أذهلنى .

اننى قبلت تأميم أخبار اليوم ، وهى حياتى ، برضا ، هذا التصرف الغاشم لم يؤثر على نفسيتى أبدا . أنا دائما على استعداد لأن أقدم كل شىء لبلادى . الذين على استعداد لأن يجودوا لمصر بحياتهم لا يبخلون عليها بأرزاقهم وبيوتهم .

وكم كنت أتمنى لو أن ابنتى رتيبة وصفية فى سن الجندية ، لأطلب اليهما أن تحملا سلاحهما وتذهبا الى ميدان القتال . اننى أفضل أن تموت ابنتاى فى وطن حر على أن تعيشا فى بلد مستعبد .

ولقد فوجئت بعد أيام بمأمور الليمان يستدعينى على عجل لمقابلته . ويدفع الى بأوراق وقال لى : ان رياسة الجمهورية تطلب منك أن توقع هذا فورا ..

وقرأت ما فى الورق فاذا به عبارة عن تنازل عن شقتى وما فيها من أثاث ومفروشات !

قلت : كيف أتنازل عن شقتى وأنا أقيم فيها منذ ١٨ سنة أى منذ عام ١٩٤٧ وأدفع ايجارها باستمرار ؟

قال المأمور : هذه أوامر من رياسة الجمهورية ..

قلت : وماذا تريد أن تفعل رياسة الجمهورية بهذه الشقة .

قال المأمور : تريدها للمعركة !

قلت : وماذا تنفع هذه الشقة التى فى شارع صلاح الدين بالزمالك، للمعركة التى فى اسرائيل !

قال المأمور : لا تسأل اسئلة كثيرة .. وقع التنازل عن الشقة ،

قلت : لابد ان أعرف لماذا اتنازل ؟

قال : ان أحد كبار الضباط وهو يحمل لقب فريق ، أعجبته الشقة، واستأذن من الرئيس ليأخذها فاذن له !

قلت : ولكن الشقة مغلقة ومفتاحها معى . كيف دخل هذا الضابط الكبير شقتى وتفرج عليها واعجبته !

قال : انت تريد أن تحقق مع رياسة الجمهورية !

قلت : لا سمح الله .. ولكنى اريد أن أعرف .. فهذا بيتى !

قال المأمور : انك اذا رفضت التنازل عن شقتك فسوف تغضب رياسة الجمهورية !

قلت : وماذا تستطيع أن تفعل رياسة الجمهورية اكثر مما فعلوا بى ! انه محكوم على بالاشغال الشاقة المؤبدة ؟ .. ولا أظن انهم سيحكمون على بالاعدام لاننى رفضت التنازل عن شقتى !

قال المأمور : المسألة مستعجلة جدا ..

قلت : اعطنى الورقة

وناولنى الورقة وهو يتصور أننى سأوقع على التنازل ، ولكنى كتبت عليها . « اننى أرفض التنازل عن شقتى . اننى فى دهشة انه فى الوقت الذى اقرأ فيه فى الصحف أن الجيش المصرى يحتشد فى سيناء ليستولى على اسرائيل ، اجد أحد كبار ضباط الجيش المصرى يحتشد فى الزمالك ليستولى على شقتى ! وانه بدلا من أن يكون فى غرفة العمليات فى سيناء أجده فى غرف منزلى يعاينها ويعاين اثاثها » !

ووقعت على هذا الاقرار !

هذا التصرف جعل قلبي ينقبض . اذا كان هذا تصرف بعض كبار قوادنا اثناء المعركة فكيف نحارب المعركة ، وكيف نكسب المعركة ! اهتمام ضابط كبير ، بل اهتمام الدولة في هذه الساعات الخطيرة بالاستيلاء على شقة مظلوم دليل على عدم جدية المعركة !

أحسست انني استطيع ان أحكم على أشياء كثيرة من الورقة التي أرادوا مني ان اوقعها . في هـــذه الورقة قرأت تقريرا سريا عن حقيقة حالتنا واستعدادنا الحربي ، ما كنت لأستطيع أن أعرفها لو كنت حرا ، أو كنت أجلس في غرفة العمليات !

انني اعتقد ان الرئيس لا يمكن أن يعلم بهذا التصرف الحقير الصغير ! ولكن ما الذي يضمن أن الوفا مثل هذا التصرف تحدث الآن لمواطنين آخرين ، وان البعض أشاع في البلد جو الحرب ، لا ليحارب ، بل ليسرق وينهب ويستولي على شقق الآخرين !

ومع ذلك يجب الا تصرفنا هذه التصرفات عن واجبنا نحو بلادنا .

من واجب كل عربي أن يشارك في هذه المعركة بشيء . اي شيء . حتى ولو كان صغيرا .

ان مجموع الأشياء الصغيرة يصنع شيئا كبيرا . لم اشـــعر بعذاب السجن كما شعرت به في هذه الأيام . في أثنـــاء معركة بور سعيد كنت أشعر بأنني أقف في الصف الأول .

كم يحزنني أنني اقف الآن في الصف الأخير . احس ما يحس به الجندي القديم ، أن يرى بلاده في معركة ، وهو مقعد لا يستطيع أن يتحرك معها . وهو أبكم لا يستطيع أن يحمل ســـلاحه دفاعا عنها . ليس عندي سوى أن أدعو لمصر من كل قلبي ..

اعتقلني المأمور لأنني خفت على عقلي

سجن ليمان طره

٣١ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتي

حدث اليوم أن كنت جالسا مع بعض المسجونين غير السياسيين ، وسألني أحدهم عن رايي في الحرب ؟ فقلت له انني غير مطمئن لما اقرا عن حشد الجيش المصري في سيناء ، وانني اخشى ان تنتهز اسرائيل هذه الفرصة وتهزم جيوشنا . واننا اخترنا وقتا سيئا للحركة ، وان الرأي العام العالمي ضدنا ، وان المفروض قبل أن نتحرك عسكريا ، ان نكسب الجو الدولي سياسيا ، وليس من المصلحة أن نحارب في جو عدائي ..

وبعد ان انتهى الحديث بدقائق استدعاني مأمور الليمان الى مكتبه وسألني :

— هل صحيح انك قلت امام المسجونين ان الجيش المصري سينهزم !

قلت : نعم

قال : كيف تقول هذا ؟ الم تقرا الصحف التي تؤكد اننا سنستولي على اسرائيل في ثلاثة أيام ؟ الم تسمع الاذاعة التي تقول ان جيشنا هو اكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط ؟ الم تسمع أن أم كلثوم ستغني حفلتها القادمة في تل أبيب .

قلت : وهذا هو الذي جعلني اقول ان الجيش المصري سينهزم !

قال : انت جننت !

قلت : هذه هى معلوماتى . أن قيادة الجيش غـير قادرة على الحرب .

قال : لا تقل هذا الكلام لأحد ! اننى أخشى أن يبلغ الجهـات العليـا ..

قلت : انا أريد أن يبلغ الجهات العليا . أريد أن أقول اننى اتوقع فى هذه الظروف الهزيمة . وسوف أستمر أقول اننى ضد الحرب الى أن تبدأ الحرب ، وعندئذ سأؤيدها ، لأننى لا يمكن أن اقول رايى هذا ونحن نحارب . ولكن واجبى نحو بلادى أن انبهها الى الشرك الذى ستقع فيه ..

ونظر الرجل الى بدهشة ، وكأنه ينظر الى رجل فقد عقله !

وبعد ذلك عقد قائد العنبر اجتماعا للمسجونين السياسيين ، وخطب فيهم ، وقال انه يسكن على الكورنيش ، وهو يري أسـلحة وذخائر ومدافع لا أول لها ولا آخر ، وهى تمر قادمة من حلوان فى طريقها الى الجبهة ، وأن هذا يجعله واثقا من النصر !

وعجبت أن يحكم هذا الضابط على معركة فى اسرائيل ، وهو ينظر من نافذة بيته فى شارع الكورنيش . وفهمت أنه مكلف بأن يطمئننا .. ولكنه زادنى تشاؤما . واجتمعت بالأستاذ حسـن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين فى زنزانته ، وفوجئت به يقول لى انه هو الآخر يتوقع الهزيمة ، وأن الهزيمة مؤكدة . ومن معلوماته من كبـار ضباط الجيش أنهم يصـلحون للاستقبالات والتشريفات والجلوس فى المكاتب والسير وراء كبار رجال الدولة فى المواكب ، ولكنهم لا يصلحون لقيادة الجيش .

قلت له : اننى فكرت فى أن أكتب للرئيس عبد الناصر أقترح عليه أن يؤلف جبهة وطنية فى هذا الظرف العصيب . ان انجلترا الفت وزارة قومية من كل الأحزاب أثناء الحرب . ان الرئيس روزفلت فى أمريكا جاء باثنين من حزب المعارضة وجعل أحدهما وزيرا للحربية والثانى وزيرا للبحرية . الموقف الحاضر يقتضى ألا يستقل فرد واحد برأيه . يجب أن توحد كلمة الأمة قبل المعركة ..

قال الأستاذ الهضيبى : لن يقبل عبد الناصر اقتراحك ..

قلت : لماذا ؟

قال : لأنه يخشى اذا انتصر أن يلاسمه شريك فى هذا المجد ..

قلت : واذا انهزم ؟

قال : اذا انهزم فسنكون أنا وأنت والمسجونون فى السجون المسئولين عن هذه الهزيمة !

طابور النصر يوم ٥ يونيو

سجن ليمان طره

٦ يونيو سنة ١٩٦٧

عزيزتى :

فى صباح يوم ٥ يونيو لم تفتح أبواب الزنازين كالمعتاد . منعنا من الذهاب الى دورة المياه . صدرت الاوامر بمنع المسجونين من الذهاب الى الجبل لتكسير الأحجار كما يحدث كل يوم . أقفلت سماعات اذاعة الراديو فلم نسمع الأخبار كالمعتاد . جو غريب مريب ، قال لى احد الحراس من طاقة فى باب زنزانتى هامسا أن الحرب قد قامت . لم أفهم العلاقة بين اغلاق أبواب الزنازين علينا ومنعنا من الذهاب الى التواليت وبين قيام الحرب !

تعلقنا فى نوافذ الزنازين . ورحنا نسترق السمع للاشاعات والاستنتاجات . قال أحد المسجونين ان انقلابا قد حدث . وقال مسجون ثان ان عددا من المسجونين هربوا من عنبر أربعة . وقال مسجون ثالث أن تمردا حدث بين المسجونين فى طابور الجبل ، فتقرر منع جميع المسجونين من الخروج . لم أستطع أن أقول الحقيقة خشية أن يكون الحارس أسر الى بخبر كاذب !

بعد ثلاث ساعات حضر الرائد محمد كمال الدين أركان حرب الليمان وفتح زنزانتى وحدى . قال لى انه مكلف من مدير الليمان بأن يفتح زنزانتى وحدى ليبلغنى أن الحرب قد بدأت واننا اسقطنا حتى الآن ٧٨ طائرة اسرائيلية ، وأن قواتنا دخلت حدود اسرائيل وانها الان فى طريقها الى تل أبيب .

وسكت الرائد كمال الدين ، ونظر الى عينى ، وكأنه يقول لى : هل ما زلت تقول ان الجيش المصرى سينهزم ..

قلت له : لا أصدق كل هذه الأنباء .

قال الرائد : هذا بلاغ حربى اصدرته القيادة العـــامة للقوات المسلحة واذيع فى الاذاعة ..

قلت له : انا اعرف كيف تكتب البلاغات الرسمية ولهذا لا اصدق هــذه الأنباء ..

واغلق الرائد محمد كمال الدين باب الزنزانة آسفا حزينا لأننى لا ارى الحقيقة الواضحة كشروق الشـــمس ، وهى أن الجيش المصرى انتصر فعلا ، وانه فى طريقه الى تل ابيب .

غير اننى كنت قرات كثـــيرا فى التاريخ ، وبحكم عملى الصحفى الطويل اصبحت استطيع ان اشم رائحة الخبر ، وأفرق بين الخبر الصادق ، والخبر الذى لفقته الجهات الرسمية .

وكانت لى آراء عن الحالة فى الجيش تخالف رأى كثيرين من المســئولين وكنت لا أخفى هــذا الرأى فى أحاديثى مع الرئيس عبد الناصر ، الذى كان يقول لى دائما أن معلوماتى فى هذه الشأن غير دقيقة ، وان الحالة فى الجيش مطمئنة جدا ..

وكان من رايى اننا أعددنا قيادة عسكرية لتحكم ، ولم نعد قيادة لتحارب . واننا أعددنا الجيش ليحافظ على النظام لا ليحارب ! وانه كلما تلقى المسئولون تقريرا بأن أحد الضباط الشبان له شعبية فى الجيش ، أو انه محبوب من زملائه الضباط ابعـــد على الفور من الجيش ، وأن كثيرا من الضباط الذين درسوا فى الولايات المتحـــدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وأظهروا كفاءة فى عملهم العسكرى أبعدوا عن الجيش وعينوا سفراء ، أو وزراء ، أو وكلاء وزارات أو مديرى مصانع أو رؤساء مجالس شركات ! وانه جاء وقت جعلنا الجيش يعمل فى كل شىء الا فى المسائل الحربية ، فكلفناه ببناء السد العالى ، وكلفناه بادارة الاتوبيسات فى شوارع القاهرة ، وكلفناه بتنظيم مستشفى قصر العينى ، وكلفناه بشئون التموين ، وارسلنا وحدات من الجيش لتحاصر قرية كرداسة فى محافظـــة

الجيزة ، لأن الفلاحين رفضوا أن يسمحوا لبعض الجنود بالقبض على احـد الأهالى . وارسلنا وحـدات من الجيش الى كمشيش باعتبارها معركة حربية مع أسرة الفقى ! وهكذا ابعـدنا الجيش عن مهمتـه الحقيقية وهى الحـرب والاستعداد للحـرب .. وفى وقت من الأوقات نسى بعض قـواد الجيش ان العـدو هو اسرائيـل ، وانمـا اعتبروا العدو الأول هو الشعب المصرى ، فاشتركت الشرطة العسكرية فى عمليات وحشية فى اثناء تطبيق الحراسة ، وخرج من الجيش عدد من أحسن ضباطه لانهم اصهار أو اقارب أسر وضعت تحت الحراسـة ، أو لأنهم اقارب بعض المسجونين السياسيين أو المعتقلين السياسيين . وعاش الضابط المصرى فى جو من الارهاب والجاسوسية والتقـارير السرية ، واصبح كل ضابط قلقا على مستقبله وعلى حريته وعلى حياته . وقبض على عدد كبير من الضباط ، وزج بهم فى السجن الحربى وفى المخابرات ، بلا ذنب ولا جريرة ، سوى وشاية ، أو نكتة ، أو كلمة ، قالتها زوجة الضابط فى احدى الزيارات ! وعاش الجيش فى جو من الرعب والارهاب . ولم يتنبه المسئولون الى أن الخائفين لا يستطيعون أن يحاربوا ، وأن كل من يحارب يجب أن يتجه ببصره الى الأمام ، لا أن يلتفت حواليه وخلفه ليحمى نفسه من الذين يكتبون التقارير السرية عنه .

وجاء وقت لم يعد كبار الضباط مهتمين بالتدريب والتعليم والثقافة العسكرية ، بقدر اهتمامهم بارضاء رؤسائهم . فقد أصبحت الحظوة هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى المناصب العليا . وأصبحت قوة الشخصية والشجاعة والجرأة والزهد فى المناصب ، وعدم الركوع امام الرؤساء هى جرائم تستوجب الاحالة الى المعاش وأصبح اهتمام كثيرين من كبار الضباط موجها الى الخروج من الجيش لتولى مناصب السفراء والوزراء والمحافظين ورؤسـاء مجالس الادارات .. وتوهم القائمون بالأمر فينا أن الجيش ممكن أن يحكم وأن المدنيين يمكن أن يحاربوا ! فلا استطاع العسكريون أن يحكموا، ولا أستطاع المدنيون أن يحاربوا .

ولقد سألت مرة الرئيس جمال عبد الناصر عن السبب الذى يجعله يسند المناصب المدنية الكبرى الى العسكريين ، ويفضلهم على المدنيين .. فقال لى لأن المدنى عندما يتلقى الأمر يضيع الوقت

فى مناقشته . أما العسكرى فعندما آمره أن يدخل فى الجدار ، يدخل فى الجدار بدون مناقشة أو تردد !

قلت له : وماذا يستفيد البلد من دخول العسكريين فى الجدران ؟

قال الرئيس : نحن فى ثورة . والعسكريون قادرون على تنفيذ الأوامر بسرعة وبجراة وبغير مناقشة .. أما المدنى فهو بطبيعته متردد وبطىء . ونحن لا وقت عندنا للتردد والبطء !

والواقع أن الاندفاع لم يكن انطلاقا . والتسرع لم يكن سرعة .. فان كثيرا من أخطائنا كان من الممكن تلافيها لو درست وفحصت . ولو أن هذا الحشد العسكرى مثلا بحث ونوقش لتلافينا الكارثة . ولكن الذى حدث أن الرئيس أمر .. واستجاب القواد للاوامر بلا مناقشة ، ودخلوا فى الجدران !

ثم أن الجيش المصرى ارسل فى السنوات الأخيرة فى مهام غير حربية وانما فى مهام سياسية ، فقد أرسلنا قوات مظلات الى الكونغو ومعها تعليمات بأن تساند حكم الرئيس لومومبا .. وحاولنا ان ندير سياسة الكونغو وكانت الكارثة أن سقط حكم لومومبا ..

وأرسلنا الجيش المصرى الى الجزائر ، فى خلاف بين الجزائر والمغرب ، ولم يكن معقولا تكليف الجندى المصرى بقتل جنـدى عربى ، لخلاف بين حكومتين !

وارسـلنا الجيش المصرى الى العراق ليسـند حكم الرئيس عبد السـلام عارف وليست مهمة الجيش المصرى أن يتدخل فى الشؤون الداخلية لبلد عربى ، وخاصة أنه قيل أن الرئيس العراقى غير مطمئن للجيش العراقى ، ولهذا أرسلنا له الجيش المصرى . فكيف نضع الجيش المصرى فى موضع الرقيب على الجيش العراقى — وكيف نقبل أن يعرف شعب العراق اننا نسند الرئيس العراقى بحراب مصرية .

ثم كانت معركة اليمن . وقد تصورنا فى أول الأمر اننا نكسبها بمائة جندى من قوات المظلات . ثم ارتفع العدد الى الف . ثم عشرة

آلاف . ثم أغلب قوات الجيش المصرى .. وقيل لنا أن الغرض من هذه الحرب هو أن يتدرب الجيش المصرى على القتال استعدادا لحرب اسرائيل ، ثم ظهر أن طبيعة الحرب مع سكان اليمن : وطبيعة الأرض ، وطبيعة الجبال تختلف عن طبيعة أرض اسرائيل ، ولم تستفد مصر من هذه الحرب الا خسارة شبابها وخسارة ٤٠٠ مليون جنيه لو أنها أنفقتها على شعب مصر لعاش كل فرد فيها فى رخاء ، وأصبح لكل عامل فيها بيت ، وأصبح كل فلاح يملك قطعة أرض يزرعها !

ولقد كانت معلوماتى عن اهمال القيادة فى الجيش المصرى وعبثها تخالف المعلومات التى لدى الرئيس عبد الناصر .. وتخالف التصريحات الوهمية التى كانت الرقابة تصر على أن تنشرها الصحف بالعناوين الضخمة فى صفحتها الأولى . وتخالف المقالات التى كان الخبراء العسكريون يقولون فيها أننا أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط .

عندما دخل الرائد محمد كمال الدين الى زنزانتى ليبلغنى انباء الانتصارات الهائلة ، تذكرت على الفور يوما كان الأستاذ محمد فهمى السيد المستشار القانونى لرئيس الجمهورية يتعشى معى فى بيتى فى الاسكندرية ، وكان معنا الملحق العسكرى الأمريكى . وجرت مناقشة عن اسرائيل وتأييد أمريكا لاسرائيل ، وتصورها أنها القوة العسكرية التى يمكن أن تحمى مصالح الغرب فى المنطقة .

واذا بالملحق العسكرى الأمريكى يقول لنا بصراحة ان المعلومات الرسمية التى لديهم تؤكد ان الجيش الاسرئيلى قادر على هزيمة الجيش المصرى ، وأنه أقوى تدريبا على مختلف الأسلحة من الجيش المصرى . وان نسبة مستوى تدريب الطيران الاسرائيلى ٦٨٪ بينما نسبة الطيران المصرى ٣٤٪ وأن نسبة مستوى تدريب المدفعية الاسرائيلية ٥٧٪ بينما نسبة المدفعية المصرية ٤٦٪ . وأن نسبة تدريب الدبابات الاسرائيلية ٦٨٪ ونسبة مستوى تدريب الدبابات المصرية ٤١٪ ومضى يذكر مستوى النسب لباقى الأسلحة ويدلل على تفوق التدريب الاسرائيلى على التدريب المصرى .

وبعد خروج الملحق العسكرى الأمريكى أتفقت مع محمد فهمى السيد على أن هذه معلومات خطيرة جدا ويجب أن أبلغها لرئيس الجمهورية فورا . وتحمس المستشار القانونى لهذا . واتصلنا بالرئيس تليفونيا بعد منتصف الليل ، وطلبت مقابلته لأمر هام ، فحدد لى الموعد فى الساعة الأولى بعد ظهر اليوم التالى . وذهبت الى الرئيس فى منشية البكرى وأبلغته نص ماسمعناه فقال الرئيس: غريبة ! ان عندى تقارير من الخبراء الروس بعكس هذا . انهم يؤكدون ان الجيش المصرى أصبح أقوى جيوش الشرق الأوسط تدريبا وسلاحا . والخبراء اليوغوسلافيون يقولون نفس الشىء .

وقلت للرئيس : قد يكون الملحق الأمريكى قصد تهويشنا ، وقد تكون هذه المعلومات صحيحة .. فلماذا لا نحقق فيها . فاذا تأكدنا أنها معلومات صحيحة نعالج ما لدينا من أخطاء ، واذا كانت كلاما فارغا فهمنا أن أمريكا تريد ارهابنا وخداعنا بتصوير قوة غير حقيقية لاسرائيل .

وقال الرئيس : سوف استدعى عبد الحكيم ..

وقام الى التليفون وطلب أحد كبار القواد فى القيادة العامة ، وبعد نصف ساعة تقريبا وصل القائد الكبير ، وطلب منى الرئيس أن أروى للقائد ما سمعته .

ورويت للقائد ما حدث ..

وقال لى القائد فى هدوء : هل أنت وطنى ؟

قلت : نعم .

قال : اذن اذهب فوراً من هنا الى السفارة الأمريكية ، وقابل الملحق العسكرى الأمريكى ، وقل له (.....) كلمة نابية !

قلت : لا أستطيع أن أقول له هذا .

قال القائد : قل له أن فلانا يقول لك (.....) .

قلت : ولا أستطيع أن أقول له هذا باسمك ؟

قال : لمـــاذا ؟

قلت : أولا هو لم يطلب مني أن انقل اليك هذه المعلومات حتي اذهب اليه واقول له هذه الكلمة . ثانيا لا يوجد في اللغة الانجليزية هذه الشتيمة ! انهم يقولونها في أمريكا اللاتينية ولكن لا يقولونها في أمريكا . وهم في لبنان يشتمون الأخت ولا يشتمون الأم .

قال القائد المصري : أنت خائف .

قلت : أنا لست خائفا .. أنا أرى أن نبحث هـذه المعلومات ونتحقق هل هي حقيقة أم كذب .

قال القائد المصري : تعال غدا احضر المناورة العسكرية وسترى بنفســك .

قلت : أنا لا أفهم شيئا في الشئون العسكرية ، ولا استطيع أن احكم على تدريب الطيران أو المدفعية أو الدبابات .. ان هذا من اختصاص الخبراء العسكريين .

قال القـــائد المصري : الخبــراء العســـــكريون الروس واليوغوســلافيون والمصريون يؤكدون أن الجيش المصرى أقوى جيش في المنطقة وقادر على أن يضرب اسرائيل بسهولة . والملحق العسكري الحمار يقول غير هذا فهل نكذب جميع الخبراء ونصــدق الحمار !

وأحسست يومها بأن الرئيس عبد الناصر مقتنع كل الاقتناع بقوة الجيش المصري ، وبأن تقارير الخبراء صحيحة .

ترى أى التقارير هي الصحيحة وأيها هي الكاذبة !

أرجو أن أكون مخطئا في تقديري ، وهو اننا لم نخصص الجيش المصري للحرب وانما خصصناه للدفاع عن النظام ..

قبل الحرب بأيام نشرت الصحف أن اتحاد كرة القدم عقد اجتماعا لمدة ١٠ ساعات برياسة المشير عامر رئيس الاتحاد والقائد العام

للقـــوات المسلحة وبحضور الفـــريق عبد المحسن مرتجى رئيس النادى الأهلى وقائد الجيش والفريق سليمان عزت رئيس النادى الأوليمبى وقائد البحـــرية والفريق صدقى محمـــود رئيس نادى الطيران وقائد الطيران لبحث هل ينقل لاعب الكرة لمعى من نادى المنصورة الى النادى الأهلى ..

تصور قائد عـــام الجيش وقائد الجيش وقـــائد البحرية وقائد الطيران يجتمعون قبل المعركة بأيام لمدة ١٠ ساعات لا ليضعوا خطة المعركة ، وانما ليبحثوا فى نقل لاعب كرة من ناد الى ناد !

وبعد ذلك يسألوننى لمـــاذا نتوقع هزيمة الجيش المصرى .

لقاء مع الهزيمة !

سجن ليمان طره

يونيو سنة ١٩٦٧

عـزيزتى

فى اثناء الغارة الاسرائيلية مساء أمس أبلغ أحد الحراس الواقفين على السور انه رأى وهج سيجارة ينبعث من نافذة زنزانة من الناحية الأخرى للطابق الرابع الذى أقيم فيه .

والتعليمات هنا الا نشعل سجائر أثناء الغارات .

واشار الحارس الى نافذة ، وكانت نافذة الجاسوس الألمانى لوتز المحكوم عليه بالمؤبد لأنه سرق أسرار المطارات العسكرية وسلمها لاسرائيل .

واستنتج مأمور العنبر أن الجاسوس الاسرائيلى يعطى اشارات بالسيجارة لطائرات الأعداء . وصعد المأمور الى الطابق الذى فيه المسجونون السياسيون وقال انه سيجمع جميع المسجونين السياسيين ويضربهم بالرصاص .

ومع أن الحارس اعترف بعد ذلك فى التحقيق بأن ما ظنه سيجارة لم يكن الا وهج قنبلة من القنابل التى تطلقها المدافع المضادة للطائرات ، الا أن الأعصاب كانت مشدودة ، فصدر قرار بعقاب جميع المسجونين السياسيين الموجودين فى الطابع الرابع ، وانزالهم جميعا الى الطابق الأرضى فى العنبر الذى كان مخصصا لمرضى السل ، وبعد ذلك تحول الى ملحق لعنبر التأديب ..

وتحملت هذا العقاب برضا ،ولم اشك ، ولم أحتج ، ولم اعترض لأننى كنت اشعر بأننا فى معركة ، وان هذا أقل ما يمكن أن نتحمله أثناء الحرب من أجل بلادنا . ولم تهتز اعصابى لهذه المعاملة الظالمة ..

وكانت زنزانتى الجديدة فى الطابق الأرضى مترين فى مترين . الهواء لا يدخلها . واشعة الشمس لا تطرق بابها . نعيش فى ظلام دامس لأن الكهرباء منعت عنا . لم اكن أستطيع أن أقرأ ولا أكتب . لم أخرج للفسحة خارج الزنزانة . ضاعف من سوء حالتى ان الزنزانة التى وضعونى فيها مليئة بكميات هائلة من البق ، وطوابير ضخمة من النمل والناموس والصراصير والذباب . أمضيت الوقت أحارب الحشرات . وقد خسرت هذه الحرب . لا أكاد أقضى على طابور منها حتى يدخل من الشقوق طابور جديد . أمام الزنزانة ردهة ضيقة ، لا تكاد تمشى فيها خطوة حتى تسقط فوق الأتربة والمياه القذرة وبقايا الطعام من الأدوار العليا ، والكناسة ، والمعلبات الفاضية . كأنها قنابل تسقط فوق رؤسنا . كان هذا المكان أشبه بصندوق قمامة العنبر كله تلقى فيه قمامة العنبر ، فوق رؤوسنا .. الميزة الوحيدة ان دورة المياه فى نفس الطابق ، وكنت اضطر الى الاستحمام سبع وثمانى مرات فى اليوم بسبب شدة القذارة . بعد كل حمام بدقيقة كنت أشعر أننى فى حاجة الى حمام جديد .

كان المسجونون متحمسين اثناء اذاعة البلاغات الحربية .. كانوا يصفقون ويهللون ويرقصون ويزغردون عقب اذاعة كل بلاغ حربى فى الاذاعة . أما أنا فقد كنت أشعر من لهجة البلاغات الحماسية أنها مكتوبة فى المكاتب فى القاهرة وليس فى ميدان القتال . وكانت المبالغة فى وصف الانتصارات توحى لى بأنها تخفى هزائم كبيرة .. ولكن المسجونين العاديين فهموا البلاغات الحربية على أننا على أبواب تل أبيب . ولما جاء البلاغ الحربى يقول ان الجيش المصرى انسحب الى خط الدفاع الثالث غرب القناة صاح عدد من الضباط المحكوم عليهم فى قضايا المخدرات .. خلاص الكماشة انطبقت على الجيش الاسرائيلى .. وكانت زنزانتى مغلقة على ، وفهمت من هذا البلاغ الذى هللوا له أننا فقدنا سيناء كلها وخاصة أننى أعرف أنه لا يوجد شىء اسمه خط الدفاع الثالث ! وعرفت عندئذ

انها الهزيمة التى توقعتها ! أحسست أن مطرقة هائلة سقطت فوق رأسي . هرستني . حطمتنى . احسست ان قامتى قصرت فجأة . أصبحت قزما ، بل تصورت أن المصريين كلهم نضاءلوا وصغروا واصبحوا اقزاما . لم يعد فى البلد طويل واحد . الطويل انحنت قامته . أو ركع على قدميه . أو أصبح يزحف على الأرض . الشعور بالهزيمة هو شعور بالذل ، بالضعف بالهوان ، بالسقوط ، بالضآلة ، بالضعة . شعرت اننى خجلان من نفسي . لا أريد ان أرى وجه أحد أو يرانى أحد . حمدت الله على اننى فى السجن حتى لا أواجه الناس . اننى خجلان من اهل وطنى الذين مكثت سنوات طويلة انقل لهم تصريحات المسئولين عن قوة مصر واستعداد مصر وجيش مصر ..

وفى الصباح لم استطع أن أغادر زنزانتى . لأول مرة منذ دخلت السجن اهتزت أعصابى . وامتلأت عيناى بالدموع . أحسست بقلبى يتمزق . ماقضينا كل هذه السنوات فى تشييده وبنائه تهاوى وانهدم وتحطم فى بضع ساعات . الهزيمة عذبتنى أكثر من تعذيب صلاح نصر وحمزة البسيونى . اذلتنى . كسرت قلبى . أحسست اننى أصبحت اشلاء متناثرة . حاولت أن أجمع بعضها الى بعض فلم أستطع .

ودخل على زميلى المسجون السياسى انور زعلوك ومعه عدد من المسجونين فوجدونى أبكى بكاء حارا . فوجئوا لأنها اول مرة يروننى أبكى فيها . سألونى لماذا تبكى ؟ قلت : أبكى على بلدى . قالوا دهشين : ولكنك كنت الوحيد هنا الذى كنت تتوقع الهزيمة قبل أن تقع . قلت : ومع ذلك فوجئت بها . كنت أتمنى لو كنت مخطئا ، وكان الجميع على حق فى أوهامهم . كنت اتمنى أن أكون مخدوعا وحدى بدلا من أن تكون دولتى كلها مخدوعة . ثم اننى لم أتوقع أن تكون الهزيمة كبيرة الى هذا الحد ، ولا أن تكون سريعة . ان مصيبتنا كبيرة لأن العالم كله شمت فينا . كنا نبالغ فى قوتنا . خدعنا أنفسنا ولم نخدع عدونا . كذبنا على شعبنا بينما عرفت اسرائيل الحقيقة . ما حدث لنا هو واحد زائد واحد يساويان اثنين . نتيجة منطقية لتصرفاتنا . نحن كنا نحارب على الورق وننتصر على الورق . وصدقنا التقارير التى تخصصت فى التلفيق

فلفقت لنا اكاذيب عن ضعف أعدائنا كما كانت تلفق التهم والمؤامرات للأبرياء ! كان من رأيي دائما أن الارهاب لا يلد أسودا . أنه لا يلد الا الارانب . الحرية وحدها هي التي تلد الأسود التي تحارب وتنقض ولا تجرى في الصحراء كالفيران ! نحن الذين هزمنا أنفسنا قبل أن يهزمنا عدونا . قضينا على الكفايات وأبرزنا الأمعات . نسينا أن الذين يرتبون المواكب لا يصلحون لوضع خطط الحروب . قربنا الضعفاء ، وأبعدنا الاقوياء . جعلنا الذيول مكان الرؤوس ، والرؤوس في موضع الذيول ! جعلنا من أوهامنا حقائق ، ومن احلامنا وقائع ، ومن هذياننا فلسفة . ما حدث لنا كان لا يمكن أن يحدث لولا حكم الفرد وعبادة الفرد . لا يستطيع فرد واحد أن يحيط بكل شيء ويعرف كل شيء ويدير كل شيء . لو أن البلد فيه حكومة حقيقية من وزراء حقيقيين . لو أن الحكومة فيها برلمان يستطيع أن يعارض وينتقد . لو أن مصر فيها صحافة تستطيع أن تكشف عن الأخطاء والجرائم لأمكن تفادى كل ما حدث من كوارث ونكبات !

وفى بعض الأحيان كنت أصاب في جنوني بحالة غرور وأقول لنفسي لو كنت خارج الأسوار لما حدث كل ما حدث . انني أذكر كيف أنني في عام ١٩٥٥ أبلغت الرئيس عن موعد هجوم غادر دبرته اسرائيل وعن مكانه ، وعن عدد المهاجمين قبل أن يحدث هذا الهجوم بثمان وأربعين ساعة . يومها استعد جيشنا لهذا العدوان ، وضرب قوات اسرائيل المهاجمة ، وقال لى الرئيس يومها ان ما فعلته من اجل بلادك في هذه المناسبة يساوى فرقة حربية كاملة !

واذكر كيف أن أخى على أمين أبلغ الرئيس بالعدوان البريطاني قبل أن يحدث هذا العدوان بأسبوعين .

ان الذين وضعوني في السجن لم يكونوا يعرفون أنهم جردوا بلادنا من سلاح من أهم أسلحتها . انني أؤمن بأن ما حدث لنا هو أننا فوجئنا بالهجوم . لم نصدق أن اسرائيل ستهاجمنا . تصورنا انها تهوشنا . ان الذى يقرأ الديلي تلغراف قبل المعركة بأسبوعين يجد أن المراسل الحربي المعروف ويلسون ، المشهور باطلاعه الكبير ، قال ان اسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجأة وتدمرها ثم تبدأ الهجوم . أى صحفى يعرف من هو ويلسون ، ومبلغ اتصاله

بالمخابرات الاسرائيلية والفرنسية والبريطانية والأمريكية يستطيع ان يعرف بغير مجهود ان هذه اخبار حقيقية وليست استنتاجات !

قلت يوما لأطباء السجن وفي يدى الجريدة : لو كنت خارج السجن الآن لطلبت الرئيس فى التليفون وقلت له انتبه . ان اسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجاة !

قال الأطباء ساخرين : هل معقول ان تنشر خطة عسكرية سرية فى جريدة ؟ .

قلت : ان الذى يعرف الصحفى ويلسون يعرف انه قادر على هذا!

ويوم اغلقنا مضيق تيران قلت لزملائى ان اغلاق هذا المضيق معناه ان اسرائيل ستحارب . ان ميناء ايلات هى حياة اسرائيل ، واذا فقدت اسرائيل هذا الميناء فقدت اشياء كثيرة .

وعندما طلبنا سحب قوات الطوارىء الدولية ، توقعت أن تستجيب الأمم المتحدة لهذا الطلب على الفور، فاننا عندما اتفقنا على وضع هذه القوات ، ورفضت اسرائيل قبولها على أرضها،اشترطنا فى المباحثاتالتى اشتركت فيها أن من حقنا ان نطلب سحب هذه القوات فى اى وقت نشاء وقبل همرشولد يومها هذا الطلب .

كنت أحيانا اقول لنفسى أن الرئيس عبد الناصر لن يفتقدنى الا اذا حدث على مصر عدوان كالذى حدث فى عام ١٩٥٦ وعندئذ سوف يسترجع فى ذاكرته كل ما فعلته لبلادى عندما اختارنى للدعاية للمعركة وللاشتراك فى المفاوضة على جلاء القوات الانجليزية والفرنسية والاسرائيلية ! وكنت اقول لنفسى أنه غير معقول أن يحدث عدوان كالذى حدث .. وعندما كنت أشعر باقتراب الكارثة كنت أقول لنفسى لعل هناك خارج السجن ، حول الرئيس ، من يستطيع أن يفعل أحسن مما فعلت وفعل أخى . وكنت أصبر نفسى بأنه لابد أن يوجد شبان مصريون غيرى ، ربما أكفأ منى ومن أخى يفعلون خيرا مما فعلنا ، ويخدمون أكثر مما خدمنا . ولكن تفاؤلى لم يكن له أى نصيب من الحقيقة . يبدو أننا فوجئنا بكل شىء . وأن الأجهزة التى كانت تقول أنها تعرف كل ما يجرى بين الزوج فى مصر وزوجته فى غرفة النوم ، لم تكن تعرف تحركات القوات والمدافع والدبابات على حدود مصر !

ومع ذلك لم أيأس بعد . مصر خسرت معركة ولم تخسر الحرب كلها . نحن نستطيع أن نحول التقهقر الى نصر . مما يحز فى قلبى اننى فى زنزانتى لا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أصلى لبلادى !

يجب أن نجلس على الفور ونضع قائمة بأخطائنا كلها . نسجلها بشجاعة . وأن نتخلص من هذه الأخطاء فورا .

أول هذه الأخطاء هو الحكم المطلق . يجب أن تنتهى الدكتاتورية، ويشترك الشعب اشتراكا فعليا فى الحكم . يجب أن ينتهى الحكم العسكرى والحكم البوليسى. ان اسرائيل هزمتنا بحكومة ديمقراطية. ونحن انهزمنا بحكم ديكتاتورى !

يجب أن نغير القيادة العسكرية تغييرا تاما . نحن فى حاجة الى عسكريين محترفين لا الى عسكريين هواة . يجب أن يتولى القيادة خريجو الكليات العسكرية العليا الذين درسوا الفنون العسكرية فى الخارج لا الذين يكتبون التقارير ، ويقومون بتسلية كبار القواد ..

يجب أن ينسحب العسكريون من كل المناصب المدنية ، ويتخصصوا للحرب فقط .

يجب أن نغير سياستنا العربية . لا وحدة « بالعافية » . وانما الشعوب وحدها هى التى تقرر بملء ارادتها أى نوع من الارتباط تريده مع مصر .

نحن على استعداد لأن نقبل أى صيغة ترضاها أى دولة عربية . لا نريد أن نتحكم فى البلاد العربية ، ولا أن نحكمها ، ولا أن نضمها ، ولا أن نقودها .. نحن نريد قيادة جماعية للأمة العربية .

يجب تغيير وجوه الهزيمة .. الذين قادونا الى الهزيمة لا يصلحون لأن يقودونا الى النصر !

اننى أتوقع معارضة شديدة لأى تغيير .. المهزومون لن يعترفوا بالهزيمة . سوف يعتبرون النصر الحقيقى هو بقاؤهم فى مقاعد الحكم والسلطان !

كل مساحة سيناء لا تساوى شيئا بالنسبة لكرسى الحكم !

المصيبة الكبرى !

سجن ليمان طره

٢٦ يونيو سنة ١٩٦٧.

عزيزتى

نقلت مرة أخرى من الطابع السفلى الى الطابع الرابع . قيل لنا أن الحرب انتهت فلا مانع من اخراج المسجونين السياسيين من التأديب ! عدت استنشق الهواء النقى لأول مرة بعد ثلاثة أسابيع . أسوأ ما كان فى زنزانتى فى الطابق الأرضى أنها كانت بعيدة عن الراديو . بينما كنت فى الماضى اتمنى لو كنت بعيدا عن سماعة الاذاعة فقد كان صوتها يكاد يخرق أذنى . أما الآن — فى أثناء الحرب — كنت اتشعلق فى نافذة الزنزانة . أحاول أن أسمع صوت الاذاعة من بعيد وكأنه دبيب النمل .

كنت أتتبع الأخبار من لحظة الى لحظة . عدد من زملائى المسجونين السياسيين هربوا أجهزة راديو الى داخل الزنازين . أصبح كل واحد منهم متخصصا فى اذاعة معينة . بهذه الطريقة انشأنا داخل السجن قسم استماع كالذى انشأته فى أخبار اليوم .

اذاعة العالم تتحدث عن ضخامة حجم الهزيمة . لا تزال اذاعتنا تحاول أن تكذب على الناس . أطلقت الدولة عددا من الاشاعات الكاذبة لرفع الروح المعنوية . اشاعوا أن قطارا محملا بالأسرى الاسرائيليين وصل الى محطة القاهرة وفيه ألوف الأسرى .

فوجئت بأن عدد الأسرى الاسرائيليين الحقيقى كان ١١ أسيرا اسرائيليا مقابل عشرات الألوف من الأسرى المصريين . اشاعوا أن الشاذلى كان يقود لواء داخل اسرائيل وأنه استطاع أن يقتحم الجيوش الاسرائيلية فى سيناء ، ويصل الى القناة ومعه جنوده

واسلحته ودباباته والوف الأسرى الاسرائيليين . تبينت ان هـذه الاشاعة أيضا غير صحيحة . ما زلنا نكذب . لم نتعلم مما حـدث لنا ان كل ما جرى هو أننا عشنا نكذب سنوات طويلة حتى صدقنا انفسنا . لا أمل الا اذا بدأنا نتعلم أن نقول الحقيقة .

كان تشرشل يخطب فى أسوأ أيام هزائم بريطانيا ويواجه الشعب بالحقيقة ولهذا السبب انتصرت بريطانيا . أما الشعب الألمانى فقد عاش على أكاذيب جوبلز وزير الدعاية حتى وقعت الكارثة . من العجيب أن نتعلم من المهزوم ولا نتعلم من المنتصر !

قال لى الأستاذ الهضيبى أنه لا يمكن أن تنتصر مصر وفى سجونها الوف الأبرياء والمظلومين . وان ما حدث هو عقاب من الله للذين اشركوا بالله وعبدوا الفرد ، والذين جعلوا من الميثاق قرآنا !

سمعت الملك الحسن يقول فى الاذاعة أننا نسينا الله فنسينا الله !

لاحظت أن الهزيمة جعلت كثيرين خارج السجن يصلون . عدد كبير من المسجونين تلقوا خطابات من أولادهم الذين لم يصلوا من قبل يقولون انهم بدأوا يؤدون فرائض الصلاة .. العودة الى الايمان ظاهرة هامة تستحق التسجيل وخاصة اذا كانت بين الشباب .

وفى كل يوم ازداد يقينا بأن الذين أصابتهم الهزيمة هم الجنود والضباط الذين سيقوا الى المذبحة بغير اعداد . هم الشعب الذى سيدفع ثمن الأسلحة التى خسرناها مرة أخرى ، بعـد أن استولى الاسرائيليون على جميع أسلحتنا . هم الجيل الذى عاش فى خديعة كبرى ، وفتح عينه فجأة على هزيمة مروعة بعد أن عاش سنوات طويلة على أوهام وأكاذيب . وسوف يصاب هذا الشباب بردة ، فلا يثق بأحد ، ولا يحترم أحدا ولا يصدق أحدا . وسوف تقـال له بعد ذلك الحقيقة فيشك فيها ويسخر منها ولا يصدقها ! الهزيمة التى أصبنا بها ليست هزيمة جيش فقط ، انما هزيمة لأحلام هذا الشعب . وأنا مؤمن بأن فى استطاعة هذا الشعب أن يسترد روحه المعنوية اذا صارحناه بالحقائق ، واذا غيرنا أسلوب الحكم ، واذا فتحنا النوافذ وأضأنا الأنوار ، واذا عاملنا هذا الشعب كرجل كامل الأهلية ، لا طفل نضعه تحت الوصاية أو محجور عليه بواسـطة المجلس الحسبى ، باعتبار الحكومة هى القيمة على القصر والسفهاء والمجـانين .

وحتى الآن لم أر أى محاولة للسير فى الطريق الصحيح . الاذاعة تقول « خسرنا الأرض ولم نخسر النظام » ! بمعنى أن بقـــاء الحكومة الحاضرة أهم ألف مرة من ضياع سيناء وهى ثلث مساحة مصر ، وضياع كل هذا الشباب . وضياع كل هـــذه الأسلحة ، وضياع سمعتنا فى العالم .

هذه العقلية هى سبب نكبتنا . واذا استمرت فسوف تستمر النكبة واكبر دليل على أن لا شيء تغير فى عقلية الحكم ، أن وزير الداخلية أرسل خطابا سريا الى السجن يطلب فيه : أنه ابتـــداء من اليوم تكون زيارة أسرتى لى فى « السلك » أى لا تتم الزيارة فى غرفة الضابط ولا فى المستشفى بل فى غرفة أشبه بقفص القرود فى حديقة الحيوانات ، بحيث يفصلنى عن أولادى وأسرتى ســلك ســميك !

ولم افهم سبب هذا العقاب الا اذا كان وزير الداخلية يعتبرنى مسئولا عن هزيمة ٥ يونيو ! أو أنه تقرر نقل ميدان القتال من سيناء الى سجن ليمان طره ، فتوقفت الحرب مع الاسرائيليين وبدأت الحرب على المصريين !

ان الذى أصـــدر هذا القرار يعرف أننى مريض بالنقـــرس والروماتيزم والسكر ، ولا أستطيع الوقوف على قدمى أثناء الزيارة. ومع ذلك فأمرى الى الله ، وسوف أقابلكم فى السلك ، ومن رأيى الا يحضر الأولاد فى زيارة السلك لأن منظر السلك الذى يفصلنـــا سوف يحطم أعصاب الطفلتين .

ومما جعل الحالة تسوء أن ضـــابطا جديدا جاءنا فى العنبر . وللغربال الجديد شدة كمـــا يقولون . ولهذا يشتد فى معاملتنـــا باعتبارنا أسرى من الأعداء .. ! ولعل الاشاعة التى تقول ان لدى مصر ٥٠ الف أســـير من الأعداء مقصود بها عـــدد المسجونين السياسيين والمعتقلين السياسيين . فقد بلغ عدد هؤلاء فى ٥ يونيو اكثر من خمسين الفا ! أما الأسرى من اليهود فلم يزد عـــددهم على ١١ .. ويظهر أننا تخصصنا فى هزيمة المصريين ونسينا كيف نهزم الاسرائيليين ! .

اصبحت الحياة صعبة فى عنبر المسجونين السياسيين . كل شيء

أصبح صعبا . تعليمات جديدة بالا يزيد حجم الخطاب على صفحة واحدة . تفتيش دقيق مستمر للبحث عن الورق والقلم فى زنزانتى. عمليات خروج ودخول المسجونين من العنبر أصبحت غير سهلة . ان من عادتى كلما اشتد الحصار أن أتحدى هذا الحصار بمضاعفة الخطابات المهربة . أحسن وقت لمخالفة القوانين هو فترة الشدة والبطش والارهاب .

لا تتصوروا أن حياتى أصبحت لا تطاق . أبدا انني اعتدت أن أعود نفسى على أى نوع من أنواع الحياة . الحسن والسيىء . احتمل كل معاملة . لا تشغل رأسى هذه المسائل الصغيرة . انني أعيش فى دوامة الأحداث والأخبار . لا تهمنى الا أحوال بلادى . عندما كانت القنابل تدوى بشدة لم اشعر بخوف أثناء الغارات كنت افكر فيكم وفى الأولاد . الذى يضايقنى أن الصحف وأجهـزة الأعلام تحاول تضليل الناس ، وأفهامهم أن الجيش المصرى قادر على أن ينتقم لهذه الهزيمة بعد أيام . هذا التضليل يجب أن يتوقف . يجب أن نعد الشعب ليعرف أن المعركة طويلة . لأن الهزيمة كانت كبيرة .

سألنى مدير الليمان اليوم : كيف عرفت قبل قيام الحرب أن الجيش المصرى سيهزم ؟

قلت : لأننى أعرف أن القيادة غير صالحة ! وكنت أقول هـذا صراحة لجمال عبد الناصر .

سألنى : وهل غيرك يعرف هذا ؟
قلت : طبعا .
قال : ولمـاذا لم يقولوا لعبد الناصر ما قلته أنت له ؟
قلت : لانهم عرفوا ما جرى لى !
وهز مدير الليمان رأسه بأسى وقال :

ــ هل تعرف انه لا يوجد جندى مصرى واحد ولا بندقية مصرية واحدة من القناة الى القاهرة !

قلت : أعرف !
قال : هذه مصيبة !
قلت : المصيبة الأكبر اننا لا نزال نرتكب نفس الأخطاء !

بعد ٤ أشهر في الجحيم
تنسى أنك في الجحيم

سجن ليمان طــره

٢٧ يونيو سنة ١٩٦٧

أخي العزيز

وأخيرا ... « شرفت حبيب القلب بعد طول الغياب » . كما تقول الأغنية القديمة . وصل خطابك المتأخر جدا المؤرخ فى ٧ أبريل . وصل بعد شهرين وسبعة عشر يوما . هذا الخطاب الذى انتظرته طوال الشهور والأسابيع والأيام الماضية ، حتى يئست تماما من وصوله . فهمت أن الخطاب اختفى ولن أتسلمه ولن أعرف مافيه. أسلمت أمرى الى الله ، راضيا أن أفقد خطابا واحدا كل ثمـــانية خطابات . وهي نسبة محترمة لأى بريد عالمى ! كنت أريد أن أعرف ماذا فى هذا الخطاب بالذات حتى يتعثر فى الطريق . وينكفىء على وجهه . ولا يصل الى على الاطلاق . ثم قرأت الخطاب بالطول والعرض . ومن اليمين الى الشمال . ومن الشمال الى اليمين . ومن فوق الى تحت . ومن تحت الى فوق ، حتى أعرف سر تأخير الرقيب له ، فلم أجد فيه شيئا يستحق كل هذا التأخير الطويل . كل ما فيه انك تفكر فى السفر الى بيروت لتشرف على تجديد مجلة الصياد ، وتتحدث عن مساوىء الطبع فى مجلة حواء ، ووفاة هدية بركات ، واحتمال عودة جورج براون الى الحكم ، والجزء الثانى من مذكرات هارولـــد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا السابق ،

وتفكير صديقنا رمسيس نصيف أن يتزوج للمرة الثالثة .

وليس فى كل هذه الأخبار خبر يقلق الأمن العام أو يهدد سلامة الدولة ، ولابد أن الخطاب كان « مدشوتا » فى أحد الملفات !

لا تتصور سرورى بهذا الخطاب المفقود . أطمأننت الى أن كل خطاباتك تصل الى بسلامة الله . ومهما تأخرت فسوف تصل الخطابات فى يوم من الأيام . ولا داعى لتشاؤمى كلما تأخر خطاب من السلسلة . فاضرب أخماسا فى أسداس وأسداسا فى أخماس . وأخلق من الحبة قبة . ومن القبة حبة . وأحرق أعصابى . وأشغل مخى فى محاولة استنتاج أسباب تأخر خطاب معين ، وما يمكن أن يحويه مثل هذا الخطاب الضائع . عذرى أن لا عمل لى فى السجن الا التفكير . فى الماضى « كان القاضى يعمل قاضى » . أما الآن فهو يعمل « مفكر » يستنتج من كل كلمة ، ويستخرج من كل سطر ، واذا كان تقسيم الذرة يحدث انفجارا فى الكون ، فان تقسيم الكلمة يحدث انفجارا فى الدماغ !

مع نفس خطابك المؤرخ فى ١٧ ابريل وصل خطابك المؤرخ فى

٢ يونيو . الفرق بين الخطابين ٤٦ يوما . ومع ذلك وصلا فى يوم واحد .

يوم وصل خطاب منك هو عيد عندى . فى هذا اليوم لا افكر فى شىء . انسى كل همومى ومتاعبى ولا أذكر سوى هذا الخطاب .

كنت اريد أن اكتب الى الأخ سعيد فريحة أشكو ما أصاب قصتى المسلسلة من بهدلة ! لننى أشكو لطوب الأرض فعلا . لأن أحدا هنا لا يعرف أننى اكتب قصصا وأهربها الى بيروت ! لقد فوجئت بالقصة منشورة بشكل غريب . جزء من فصل أضيف الى فصل

آخر ! الذى اتصوره ان كل فصل من هذه القصة قائم بذاته تمـــاما كما يضيف سكرتير التحرير مثلا الى قصيدة من الشعر بيتـــا من بحر مختلف ، أو من قافية اخرى أو من وزن آخر او من قصيدة اخرى ! ربما ان فن غير المعقول دخل بدون علمى فى فن توضيب الصفحات . المفروض فى كتابة القصة المسلسلة ان يكون لخاتمـــة كل فصل رنين . اما وضع جزء من بداية الفصل الثانى فى نهايـــة الفصل الأول فهو أشبه بوضع جزء من اغنية ام كلثوم « هـــذه ليلتى » فى نهاية اغنية « الف ليلة » ! لم افهم بعد هذا الفن السريالى القصصى . لابد ان هناك حكمة غابت عن ذهنى . لو كانت القصة اصغر من الحيز المقرر فيمكن ان يوضع فيه مثلا اعلان عن مجلة الصياد أو عن ملحـــق الأنوار أو عن اى شىء . اللهم الا اذا كان الفصل الثانى طويلا جدا يعجز سكرتير التحرير ان يفعل شيئا سوى تقسيمـــه بين مختلف الفصول . كما يحـــدث مثلا ان تزدحم الطائرات ، ولا يجد أحدالركاب مكانا فى الطائرة ، فتقطع شركة الطيران الراكب الى ثلاثة اجزاء ، وتضع كل جزء فى طائرة . وهذه فكرة جهنمية اقترح بيعها لاحدى شركات الطيران !

وسررت كثيرا للنبأ الذى جاء فى خطابك الاخير بأن التجـــديد فى جريدة الأنوار ومجلة الصياد على الأبواب . بعض ابـــواب الصياد فى حاجة الى التجديد والى مادة حية . حتى صفحة الفن اختفت منها الأخبار واصبحت تنشر بحوثا عن الموسيقى لا تهم الا علماء الموسيقى . من رايى خلق باب المجتمع من جديد وتحويله الى مجتمع البلاد العربية . انه الآن عبارة عن اعلانات مجانية عن اشخاص لا يعرفهم أحد ، ولا يهمون احدا ! لا يزال من رايى التنويع والتجديد والابتكار المستمر . بعض الكتاب الذين احبهم واعجب بهم اصبحوا يكتبون كل اسبوع فى موضوع واحد . الكاتب الساحر الموهوب جورج جرداق يكتب كل اسبوع ان لبنان لا يساوى حذاء

قديما أو على حــد تعبيره « مردة صرماية قديمــة » ! والكاتب العبقرى سعيد عقل يكتب كل أسبوع أن لبنان هو اعظم بلد فى العالم .. الا يمكن ان يكتب جورج جرداق عن فردة حذاء اخرى ، أو يكتب سعيد عقل عن احدى الدول الصغرى كالاتحاد السوفيتى او الولايات المتحدة أو الصين مثلا !

ولا أوافق أن تنشر مقال سعيد فى مجلة الصياد فى نفس اليوم فى جريدة الانوار . ان هذا يضعف الصياد . المفروض أن تتميز الصياد بشىء نظرا لارتفاع ثمنها . يجب أن يجد القارىء فى مجلة الصياد مالا يجده فى اى صحيفةأخرى . شىء مختلف . المفروض ان مجلة الصياد تكون اخف دما من الانوار . وأكثر جرأة ، وأوسع فى دائرة اهتماماتها .

ولكن الذى الاحظه الآن أن « الانوار » أخف دما من الصياد وأكثر حيوية . ان من رايى توحيد الأسلوب فى مجلة الصياد . مدرسة سعيد فريحة الساخرة يجب أن يكون لها تلاميذ .مصيبتنا اليوم فى الصحافة هى أننا أصبنا بطاعون الفلسفة . كل من يكتب يريد ان يكون فيلسوفا . ومن شروط الفيلسوف فى رايهم الا يفهم احد ما يقول . أن يكتب وكانه يحاضر فى الجامعة . من حق الكاتب الصحفى أن يتفلسف مرة أو مرتين فى العام . من الخطأ أن تتحول المجلة الانتقادية الى كتاب فلسفة . القارىء لا يدفع ثمن الجريدة ليحضر حصــة فلسفة فى الجامعــة . اذا كان لابد من الفلسفة فخصصوا ملحق الانوار مثلا للفلسفة ، بينما تشتغل باقى الصحف والمجلات بالصحافة ! اريد مجلة الصياد فى كل بيت عربى . أن يجد فيها القارىء كل أحداث البلاد العربية : سياسة . فن . اقتصاد . رياضة . أخبار صحفية . المشروعات الجديدة . الاصلاحات . الاتجاهات الفكرية . المخترعون والعلماء من ابناء الأمة العربية .

الصفقات المالية الكبرى التى حدثت فى كل بلد عربى . هذا يقتضى شبكة من المراسلين . القارىء يريد تحقيقات صحفية من كل بلد عربى لا بلاغات رسمية منها . يوجد فى كل بلد عربى خريجون من الجامعات يسعدهم أن يقوموا بهذه المهمة .. كل شىء يتحرك الآن فى البلاد العربية ويجب أن يتحرك المحررون مع الأحداث ويجب أن يجد القارىء كل صفحة فى المجلة عن بلد مختلف ، ما عدا لبنان فيخصص له عدة صفحات . المهم أن يجد قارىء الكويت فى كل عدد شيئا عن الكويت ، وقارىء ليبيا شيئا عن ليبيا ، وقارىء السودان شيئا عن السودان . مفروض أن يضع مدير التحرير أمامه قائمة باسماء البلاد العربية كلها وامارات الخليج ، ويحرص على أن يكون فى كل عدد ولو سطر واحد من كل بلد من هذه البلاد. فاذا لم يجد خبرا عن بلد معين كلف محررا أو محررين بالحصول على اى معلومات هامة من هذا البلد . من رايى أن يحاول الكاريكاتير أن يفعل نفس الشىء ، دون أن يجرح هذا البلد ، فبعض هذه البلاد قد لا يفهم النكتة كما نفهمها . يجب أن يشعر كل قارىء أنه موجود على الخريطة . يجب أن تهتم الصياد بكل نجوم البلاد العربية من سياسيين وكتاب وصحفيين وفنانين واقتصاديين وعلماء وادباء وشعراء ، وأن تكتب عن الذين يصلون الى بيروت منهم . أن القارىء العربى يهمه أخبار الشاعر نزار قبانى أكثر مما يهمه أخبار فلان الوزير اللبنانى ونهمه أخبار أم كلثوم أهم من أخبار وزير زراعة لبنان !

نسيت أن أخبرك بأننى حتى الآن كتبت ثلاثة عشر فصلا من كتاب (من واحد الى عشرة) عن تاريخ السنوات العشر الأولى من حياتنا وذكرياتنا عن ثورة ١٩١٩ . فهو تاريخ الثورة من خلال تاريخ اسرة . وكتابة التاريخ فى الزنزانة مرهقة جدا . أرجو أن أنتهى من كتابة هذا الكتاب فى خلال شهر يوليو . وأبدأ فى شهر

اغسطس فى كتابة قصة جديدة . وسررت انك تقرأ الفصول الأولى من كتاب واحد الى عشرة فى نفس الوقت الذى أكمل فيه هـذا الكتاب . ويهمنى أن اسمع ملاحظاتك عما قرأت . أننى تعودت على التضييقات الجديدة فى السجن . بعد أن نمكث أربعة اشهر فى الجحيم ننسى أنه الجحيم . أحمد الله على انه أعطانى حتى الآن قدرة عجيبة على الرضا بكل الوان الحياة . اعود نفسى على كل شىء . كنت فى الماضى لا أطيق الجبن البلدى . الآن اصبحت أحبه. اغمسه فى الماء حتى يخرج منه الملح الكثير . اذوقه بعد ذلك فاذا به فى طعم القشدة ! يبدو ان كل شىء اذا غمسناه فى الماء يتحول الى طعم القشدة ، والماء اشبه بالزمن فهو قادر على ان يضيع طعم مرارة الملح من شفاهنا !

الناس هنا يعيشون فى جو التفاؤل . كأنهم يقرأون خطاباتـك المتفائـلة !

كلما اقتربت أعياد ٢٣ يوليو بدأت تخرج اشاعات عن قـرب العفو عن المسجونين السياسيين ، كل سجين يزوره أهله يحملون له مع الطعام أنباء سارة عن أن العفو قريب . مضى على سنوات أعيش فى هذا الجو اللذيذ كلما اقبل شهر يوليو . ان أمانى المسجون اذا لم تتحقق فهو يعيش عليها بضعة أيام فى عالم الأحلام .

وهذا أيضا هو موسم التنقلات بين ضباط السجن . الاشاعات تنقل ضباطا وتجىء بضباط آخرين . كل مسجون يكره ضابطـا يشيع أنه سينتقل . العادة دائمـا هى نقل الضـباط المحبوبين وابقاء الضباط المكروهين ! وهكذا بينما يكون الناس مشغولين بمن سيكون رئيس وزراء فرنسا الجديد يكون المسجونين فى عنبر واحد مشغولين باسم الضابط الذى سيعين قائدا على عنبرهم !

واذا كانت المدن الكبرى تشغل نفسها بمشكلة المـرور ، فان السجون مشغولة بمشكلة المرور ايضا . المرور هو زيارة احد كبـار الموظفين او المفتش أو الضباط للسجن . وعندما يقال لنا أن «هناك مرور » ينشغل كل واحد منا بتنظيف زنزانته . واخفاء الممنوعات الموجودة فيها ، بحيث اذا جاء الزائر وجد كل واحد منا على البلاط « تنفيذا للتعليمات » ! فيطمئن ان كل شيء على ما يرام . وعندما يعلن نبأ المرور يصاب كل انسان فى السجن بمغص . وكلما كبرت شخصية المسئول كبر المغص . ويجيء المرور أحيانا .وأحيانا لا يجيء . بمعنى أن المفتش يدخل السجن ويجلس فى غرفة المديـر ويشرب قهوة وليمون ويأخذ اثنين كيلو صابون ويوقع على رقة انه زار جميع الزنزانات وجميع المرافق ووجد كل شيء تمام ! وهكذا يظهر أنه مرور كاذب ، كالحمل الكاذب ، فتظهر كل أعراض المرور ما عدا المرور نفسه !

واحتفالا بالزائر الكريم ، تغلق أبواب الزنزانات على المساجين، ولا تفتح لهم الا بعد أن ينتهى المرور ويخرج المفتش من باب الليمان، وقد يحدث ان يستمر المرور اربع ساعات فتضيع منا فرصـــة الفسحة ، وتغلق الزنزانة ٢٤ ساعة فى اليوم . يحدث كل هذا لأن مفتشا جاء ليراجع دفتر الصادر والوارد فى احد المكاتب .

وعندما يخرج الزائر نتنفس الصعداء ، وتفتح أبواب الزنازين ، وترى عددا كبيرا من المسجونين يعدون ويتدافعون الى دورات الميـــاه .

وفى الختام أضــمك الى صدرى واقبلك والى اللقـــاء القريب باذن الله .

اليد التي تقبض على أعناقنا

سجن ليمان طره

٢٨ يونيو ١٩٦٧

عزيزتي

اننى لم أصدق أن هذه الهزيمة قد حدثت . كنت استيقظ من النوم فى الصباح واتصور ان ما حدث هو كابوس مخيف وقع اثناء نومى . وعند الصباح اكتشف انه الحقيقة ولم يكن كابوسا . تكرر لى هذا الشعور عدة أيام . الشيء الذى يجعلنى أكاد افقد عقلى أنه كان فى امكاننا ان نتفادى كل هذا . حماقتنا هى التى ادت الى هزيمتنا . البطش الداخلى أعمانا فسقطنا فى الفخ الخارجى . المعلقون الأجانب فضحونا . قرأت فى بعض الصحف الفرنسية بحثا يقترح كاتبه أن يعرض الشعب العربى على طبيب نفسانى . الذى يمزقنى اننى أرى الشماتة فى عيون العالم . هددنا وتوعدنا ثم تحطمنا فى ساعات . تظاهرنا باننا عمالقة واثبتنا اننا اقزام . بالغنا فى قوتنا لتبالغ المعركة فى هزيمتنا . الطريق الوحيد للنجاة أن نعترف باخطائنا ، ولكننى الاحظ فى كل ما تكتبه صحفنا اننا نتهم كل انسان الا المتهم الأول : وهو الديكتاتورية فى رايى . هو الطغيان . هو حكم الفرد . هو انتهاك القانون . هو اعطاء العدالة اجازة . هو القضاء على الحريات . هو الرقابة على الصحافة . هو

الحراسة الغاشمة . هو السجون والمعتقلات . هو أجهزة الارهاب. هو الكذب على الشعب وتضليله . هو الشعارات الملفقة . هو الجملة الكبيرة التى تحمل معانى صغيرة ، هو الجهل . هو الغرور . هو تقديس الفرد . هذا فى رأيى هو المتهم الأول فى الهزيمة ، ومن المظلوم تجاهل هذا المتهم والبحث عن متهمين صغار !

ان المحاولة تبذل الآن لنسيان ٥ يونيو وتمجيد ٩ و ١٠ يونيو . مطلوب أن يضيع أنين الشعب من الهزيمة المنكرة فى ضوضاء الزغاريد بعدول الرئيس عن تنحيه . الذى يقرأ صحفنا ويسمع اذاعاتنا يتصور اننا خضنا فى يومى ٦ و ١٠ يونيو معركة حربية جديدة ، واستردننا سيناء وغزة والجولان والضفة الغربية . واعدنا عشرات الوف الشهداء الى قيد الحياة ، ومسحنا الهزيمة . ان الذى اخشاه هو أنهم يحاولون أن يجعلوا من الكفن علما . ومن العار شرفا . ومن المأتم عيدا . ان لهجة الأعلام هى أن بقاء الحكم فى ايدى الحكام هو المنى والرجاء ، وأن ضياع الأرض هو مسألة تافهة لا قيمة لها .

ان النكت التى خرجت من أفواه الشعب ، وملأت كل مكان كأنها الغازات الخانقة ، هى رد الشعب على هذه المحاولات . أننى اعتقد أن الرئيس عبد الناصر فى حاجة الى من يقولون له الحقيقة أكثر من اى وقت مضى . ولكن كيف تصل الحقيقة والكل خائف .

اننى فوجئت ببعض الناس يحمدون الله على أننا هزمنا . يقولون انه لو اننا انتصرنا لطغى حكامنا أكثر مما طغوا ، وبغوا أكثر مما بغوا ، وجعلوا هذا الشعب يضع على وجهه « الطرح » وهو يمشى فى الشوارع ! وهو شعور مخز حقيقة . ولكنه يدل على اثر البطش والطغيان فى نفوس الناس . ومن رأيى أن طاقة النجاة هى الديموقراطية وهى الحرية . يجب أن يغير عبد الناصر طريقة

حكمه . يبعد على الفور الطغاة الصغار والفراعنة الصغار الذين اذاقوا الشعب عـــذاب الهون . يجب أن يفتح ابواب المعتقـــلات والسجون . يجب أن يوقف الحراسة ومصادرة أموال الناس . يجب أن يعود القضاء العادى وينتهى القضاء العسكرى . يجب ان نطلق حرية الصحافة . يجب أن تجرى انتخابات حرة لبرلمان جديد يكون من حق النواب أن يتكلموا ويناقشوا ويعارضوا . انا اؤمن بان الاغلال والأصفاد والسلاسل التى قيدوا بها الشعب هى السبب فى الهزيمـــة .

الكمامة التى وضعت على كل فم حتى لا يتكلم . العصابة السوداء التى وضعت فوق كل عين حتى لا ترى الأخطاء . الاصابع التى وضعت فى كل اذن حتى لا تسمع الحقائق . السلاسل التى قيدت بها حركتنا . كل هذا كان لحساب اسرائيل لا لحساب مصر . اسرائيل استفادت من قيودنا ، وانتصرت بسبب قيودنا ! كيف يمكن أن ينتصر شعب فى معركة حربية ، وكل فرد فيه فقد النطق وفقد الرؤية وفقد السمع وفقد الحركة . لا احد آمن على نفسه ولا على اسرته ولا على عمله ... لكى نقضى على الهزيمة يجب ان نقضى على أسباب الهزيمة ، والا فسوف تصبح هذه الهزيمة ابدية ! الذين يقولون اننا سنحارب بعد شهر أو شهرين يضحكون على الشـــعب ويضحكون على انفسهم . لن نستطيع الحرب قبل أن نقضى على الارهاب فى بلدنا ، يجب أن نتحرر 'ولا فى بلادنا لنستطيع أن نحرر كل شبر من أرض بلادنا .

الخائفون لا يحاربون . الأيدى المقيدة بالأغلال مشغولة بقيودها لا تســـتطيع حمل البنـــادق والمدافع . المربوطون بالسلاســـل لا يستطيعون أن يتقدموا فى ميدان القتال ! طريق الحرية الوحيد

هو طريق النصر . لقد جربنا طريق الاستبداد فوصلنا الى الهزيمة . فلنجرب طريق الحرية !

فى سنة ١٩٥٦ استطعنا بجهود جبارة أن نحول الهزيمة الى نصر والتقهقر الى انطلاق . كسبنا المعركة بالدعاية التى قمنا بها فى جميع أنحاء العالم . بالجهود الدبلوماسية المضنية .

الموقف الآن يختلف . هزيمتنا أمام بريطانيا وفرنسا — وهما دولتان من الدول الكبرى — كانت شرفا . وهزيمتنا أمام اسرائيل أصغر دول العالم عار . فى ١٩٥٦ لم تكن قد وقعت كل المظالم التى وقعت اليوم . فى ١٩٥٦ دخلنا المعركة كدولة صغيرة تقاوم عدوان دولتين كبيرتين ، وفى هذه المرة دخلنا الحرب كعملاق يتحدى قزما . وهذا جعلنا نفقد عواطف العالم . اننى لم أيأس أبدا . اننى فى هذه الساعات الحالكة السواد أرى شعاعا من النور . الله لن يتخلى عن مصر اذا لم تتخل مصر عن الله . الايمان بالله يصنع المعجزات . المهم أن نضىء الأنوار لنرى طريقنا . أن نفتح عيوننا لنرى أخطاءنا . كان الحكام فى الماضى يعتبرون الكلام جريمة .. أنا أرى اليوم أن الصمت جريمة . يجب أن يقول الشعب رأيه . ويجب أن ينزل الحكام على رأى الشعب .

لم أكتب فى هذه المدة لأخى ولا لأولادى ولا لأصدقائى . أنت تعرفين أن الكتابة اليكم تسعدنى تخفف عنى عذاب السجن ووحدته . طوال مدة الحرب لم أستطع أن أكتب خطابا شخصيا . كنت مشغولا عنكم . مشغولا بمصر كلها . كان كل جندى يموت هو ابنى وأخى وصديقى . كل قنبلة تسقط كأنها سقطت فوق رأسى كأنها هدمت بيتى ودمرت حياتى . خبرتى جعلتنى للأسف أشعر بالكارثة قبل أن تقع . عندما بدأت المعركة كنت أخفى قلقى عن

الناس جميعــا . أتركهم فى حشيش تفاؤلهم وأفيون أوهامهم حتى لا أفسد عليهم أحلامهم الجميلة .

لم يكفهم ما نحن فيه من هم وحزن وفجيعة . الأوامر تتوالى من وزير الداخلية بتشديد المعاملة على المسجونين السياســيين . « احنا فى ايه وانتم فى ايه » ؟!!

الخطابات تتأخر . الطعام الصحى يمنع من جديد . الخــروج والدخول فى العنبر يصبحان أصعب من الدخول الى الجنــة ومن الخروج من النار . واننى أتصور أن هذه الفترة مؤقتة . وانه كبت « الهزيمة » عند المسئولين . فشلوا فى هزيمة العدو ... فبــدأوا يحاولون هزيمة المصريين ... المسجونين !

شعرت بسعادة بأن أخى قام بجهود فى لندن من أجل شرح قضية مصر فى أثناء الأزمة . مهما حدث لنا فان حياتنا وجهودنا وخبرتنا هى ملك لبلادنا . نضع كل ما نملك فى خدمتها فى كل المحن والخطوب والأزمات .

الحياة فى الزنزانة ليست راكدة . اننى لا أبقى فيها بفكرى سوى لحظات قليلة كل يوم . افكارى دائما خارج الزنزانة . أتتبع أخبار الاذاعة وتعليقاتها حرفا بحــرف . أعيش مع مصر فى كل خطوة تخطوها . كنت أمضى الســاعات فى مكتبى أبحث عن عنــوانات للصفحة الأولى . الآن أسمع مانشيتات كل دقيقة . الأحداث تمشى بسرية رهيبة . وأنا أجرى والهث خلفها حتى استطيع أن الحق بها واحللها وادرسها . كم أشعر بأسى وأنا أتتبع خبرا هاما ، وفجأة تقطع اذاعة السجن فى نصف الخبر لتطلب من الشاويشية الحضور الى المطبخ لاستلام غداء المساجين !

امضى الوقت فى قراءة القــرآن الكريم . كثــيرا ما كنت اقول لتلاميذى فى قسم الصحافة بكلية الآداب ان القرآن فيه أعظم ما وصل اليه الفن الصحفى الحديث . فى امكانك أن تقــرأ القرآن الكريم وكانك تقرأ أعظم جريدة يومية فى العالم . فيه حكمة اليوم . وخبر اليوم وخبر الغد . فيه أنباء الماضى والحاضر والمستقبل . فيه جدة وفيه اثارة . فيه الغاز وحلول للمشاكل . فيه حوادث وقضايا . فيه أنباء خارجية وداخلية !

اننى اهرب من حزنى على بلادى الى القرآن . الناس يعيشون فى جو من الكآبة وخيبة الأمل واليأس . كأنهم يشيعون جنــازة لا تنتهى . سيمر وقت طويل قبــل أن تعود للناس ابتســاماتها وضحكاتها . هموم بلادى تشغلنى . كأننى احمل على رأسى وحدى همها . كأننى أنا الذى سأدفع وحدى فاتورة آلامها وخسائرها . حاولت كثــيرا أن أقنع نفسى بأن وجودى فى الســجن يعفينى من مسئولية حمل همومها . لم أستطع . أشعر بأننى جزء من بلدى . بل جزء كبير منها . أحيانا أقول لنفسى انه لابد من حكمة الهية من وجودى فى السجن . ربما لو كنت الآن خارج السجن لمــا ذقت ساعة واحدة من النوم . ولمــا عرفت الراحة لحظة واحدة ولأصبت بالذبحة الصدرية . كأن الله عرف كل ما كان سيصيبنى من غارات الأحداث وقنابلها فوضعنى فى هذا المخبأ ، كنت فى أول الأمر اتصور أن الله ادخلنى السجن لأرى بعينى المظالم والظلم والتعذيب ، الذى لم اكن لأصدقه لو سمعته ، لولا أننى رأيته بعينى ، وذقته بجسدى — والآن اتصور أن حكمة دخول السجن ايضا ان الله يعلم اننى طالما انذرت وحذرت مما سيحدث . وان أحدا لن يصدق اننى أنذرت وحذرت ونصحت ، وكنت سأتحمل مسئولية الهزيمة ، وأدفع ثمن جريمة لم أرتكبها . بل قاومتها وحاربتها . اذكر اننى واخى أصبنا معا بمرض السكر عقب الجهد الذى بذلنــاه فى معركة العدوان

عام ١٩٥٦ . ماذا كان يصيبنا لو كنا فى مكاننا فى هذه الأيام . انني أحمد الله على كل شيء . وقد كنت أقول انه لابد من حكمة الهيئة وضعتني فى السجن ؟ !

لا تزال حريتي بعيدة . خصوم الحرية أقوياء . أنصار الحرية ضعفاء . شعوري أن حزب الظلام سوف ينتصر على حزب النور في هذه الفترة . وسوف يستمر الاستبداد بل سوف يشتد . وهذا بخلاف جميع الآراء التى حولى التى تعتقد أن الاتجاه هو الى الحرية والديموقراطية . الأستاذ الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين من هذا الرأى ايضا . وهو ان الايام القادمة ستكون أشد سوادا ! مع كل هذا لم افقد الأمل فى الحرية . ارى ان الفجر سيجيء بعد الظلام . سوف نقترب ببطء من أحلامنا ، من ابتساماتنا ، من ضحكاتنا . أؤمن بأن الله معنا . كل شيء وقع لى يزيدنى ايمانا بالله وثقة به . سررت ان رفض التنازل عن الشقة جعلهم يضطرون الى تسليمنا الشقة ، بعد أن اقفلوها منذ القبض على الى الآن . اشعر بأننى سأعود اليها فى يوم من الايام ونستأنف احلامنا . الله اراد بما أصابنا ان يزيدنى ايمانا . أن يعرفنى بصورة واضحة قيمة الحرية . اننى أتصور أن متاعبى قد تزداد فى الأيام المقبلة . هذا ليس علامة سيئة . بل علامة طيبة . اشتداد الظلام معناه اقتراب الفجر . أنا لست متفائلا جدا مثل أخى على . أنا واقعى أكثر منه . أعرف أن الظلام سيطول . وبرغم كل ما حولى من اسباب التشاؤم واليأس والقنوط فان قلبى يملؤه التفاؤل والثقة بالمستقبل باذن الله . لقد وصلنا الى الحضيض . لا يمكن أن نهبط الى اكثر مما وصلنا اليه . كل حركة بعد ذلك ستكون الى فوق . لا تتضايقى اذا اشتدت الضغوط والقيود . اذا كانت مقابلتنا القادمة فى السلك . اذا وجدت متاعب فى ارسال طعام السكر اذا وجدت عقبات فى الحصول على الزيارة الخاصة ، اذا تأخرت الخطابات اذا انقطعت الأخبار ،

كل هذه متاعب مؤقتة . المسجون هنـــا طبقا للائحة السجون لا يقيم وحده . يقيم القلق معه . يتولى حراسته . ومع ذلك فاننى اشعر بأن اليـــد التى تقبض على عنقى بشـــدة لابد أن تتعب من الضغط عليه ، مع الأيام ستتراخى . اننى أشعر بأن ايمانى معى فى زنزانتى ، يضاعف قوتى وصمودى وصبرى .

وصلت الكهرباء الى زنزانتى بعد أن عشت عدة أسابيع فى ظلام دامس . عادوا يهربون لى الثلج . أشرب الآن ماء مثلجا . نعمة من الله أرجو أن تدوم ..

مجلس الـوزراء فى
زنازين السجن الحربى

ليمـــان طره

يونيو ١٩٦٧.

عـــزيزتى

آلاف الشباب المصرى يموت على ارض اليمن . مليون جنيه مصرى تنفقه مصر يوميا فى القتال فى حرب اليمن لتحرير الشعب اليمنى . نحرم انفسنا من القوت الضرورى فى سبيل عملية التحرير هـــذه .

ولكن انظرى ماذا فعلنا بشعب اليمن . رسائل هربت لى من السجن الحربى من زعماء اليمن تروى قصصا عجيبة ..

فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٦٦ دعى عدد من زعماء ثورة اليمن لمقابلة المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد العام للقوات المسلحة .

وجاءت سيارات فخمة ضخمة تحمل زعماء اليمن وكبار وزرائه الى المقابلة الهامة . وانطلقت السيارات الى صحراء مدينة نصر .. ووجد زعماء ثورة اليمن انفسهم فى زنازين السجن الحربى . فى الزنزانة رقم واحد السيد أحمد محمد نعمان عضو المجلس الجمهورى ورئيس وزراء اليمن الســـابق . فى الزنزانة رقم ٢ الفريق حسن العمرى القائد العام للقوات المسلحة وعضو المجس الجمهورى

ورئيس الوزراء السابق . في الزنزانة رقم ٣ حسن مكي رئيس الوزراء السابق ونائب رئيس الوزراء بعد ذلك . في الزنزانه رقم ٤ العقيد حسن المسوري سفير اليمن في القاهرة ورئيس هيئة أركان الحرب سابقا . في الزنزانة رقم ٥ العقيد ابراهيم الحمدي نائب القائد العام وقتئذ ورئيس مجلس القيادة فيما بعد . وفي الزنزانة رقم ٦ أحمد عبده سعيد وزير الدولة . في الزنزانة رقم ٧ محمد الحجي وزير العـدل في الزنزانة رقم ٨ محسن السري رئيس مجلس ادارة البنك اليمني . في الزنزانة رقم ٩ يحيى المتوكل وزير الداخلية. في الزنزانة رقم ١٠ درهم أبو لحـوم عضـو مجلس القيـادة . في الزنزانة رقم ١١ محمد أبو لحوم عضـو مجلس الثـورة . في الزنزانة رقم ١٢ أمين عبد الواسع نعمان وزير الزراعة ومحافظ صنعاء السابق .

مجلس وزراء بأكمله في زنازين السجن الحربي بالقاهرة ! وهؤلاء زعماء ثورة اليمن التي مات الوف من شبابنا دفاعا عنها !

ولم يكن السجن لمدة يوم او اسبوع او شهر (ملحوظة افرج عنهم في يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٦٧ اي بعد عام وشهرين اي ٢٨٧ يوما) .

ومعاملة زعمـاء ثورة اليمن ووزرائها كمعاملة المسـجونين في السجن الحربي سواء بسـواء . الزنزانة تغلق عليهم طوال ٢٤ ساعة . لا تفتح الا ليذهبوا الى دورة المياه . يدقون على ابواب الزنازين ليذهبوا الى دورات المياه . فيشخط الحارس في الوزراء ورؤساء الوزارات . ويقول لهم ان هذا لا يتم الا بعد الحصول على أمر الفريق حمزة البسيوني مدير السجن الحربي !

وكان رئيس الوزراء العجوز احمد محمد نعمان يصرخ من وراء باب الزنزانة وهو فى حالة ضيق ، وحارس السجن يشخط فيه ويقول له « لسه » !

وكان الرئيس النعمان يصرخ ويقول :

ــ فى عهد الامام كنا نطالب بحرية « القول » ، والان نحن نطالب بحرية « البــول » .

مكث الرؤساء ستة شهور لا يرون أولادهم أو زوجاتهم ! ولم يسمح لهم بقراءة الكتب ، ولا بكتاب واحد ، حتى القرآن الكريم .

وحفر الرئيس نعمان على جدران زنزانة السجن الحربى قصيدة تقــول :

فى ظلام السجون أحيا وحيدا	بين أحــلام يقظة ومنــام ..
بين جدران غرفة ذات بــاب	محــكم الغلق أيمــا احــكام
لا ترى العين وجه حر كريم	أو صــديق أو عابر للسلام
لا أرى الشمس،أو أحس بدفء	من لظاها يدب فى الأجســام
لا أرى الجو ، أو اشم هــواء	غير جو المرحاض والحمام !!

لماذا منع الرقيب حيثيات التعذيب؟

ايمــان طره

عــزيزتى

لاحظت أن الرقيب منع نشر حيثيات حكم محكمة أمن الدولة عن اسباب براءة الذين اعترفوا تحت التعذيب فى قضية كمشيش وقد جاء فى الحيثيات :

« كان الأقدمون يرون أن الاعتراف سيد الأدلة حتى لو صدر نتيجة التعذيب او الاكراه . وفى التشريعات الانجلو سكسونية تبــدأ الدعوى بسؤال المتهم هل هو معترف « مذنب » من عدمه ، فان أقر بانه مذنب أصبحت ادانته مفروغا منها وما على القاضى الا تطبيق العقوبة عليه . »

وهكذا انتشر نظام التعذيب بطريقة وحشية فى القرن الثانى عشر وفى القرون الوسطى . فكان المحققون يلجأون للتعذيب لحمل المتهم على الاعتراف ، اذ كان الاعتــراف هو الشــغل الشاغل للمحققين . بل أن المتهم ، وبعد الحكم عليه بالاعدام وقبل تنفيــذ الحكم ، كانوا يعذبونه للحصول على ادلة جــديدة . وحيث انه سرعان ما اتضح ان معظم الاعترافات لم تكن لتمثل الا الكذب ارضاء للمحققين ، سواء أبديت بالرضا أو بالاكراه ، كالاعترافات الهستيرية أو الكاذبة التى أخذت بالتنويم المغناطيسى ، أو نتيجــة

اعطاء أقراص مخدرة ، أو باستعمال وسائل خداعية أو احتيالية .

ولقد هاجم الفلاسفة والكتاب استعمال هذه الوسائل الوحشية من التعذيب فى التحقيق . نادى بذلك مونتسكيو وبيكاريا ، وقالوا أن التعذيب يؤدى دائما الى اعترافات يترتب عليها ادانة الأبرياء

اعدام البرىء استنادا الى اعترافه !

« وضربوا الأمثلة بقصة (كامبو) التى تدل على مدى التمسك بالاعتراف ، من أن القاضى رأى بعينيه جريمة قتل وان الجانى فر هاربا ، ثم جاء خباز فوجد جراب الخنجر ملقى على الأرض ، فأخذه ، فضبطه البوليس معه ، فاتهموه بالقتل مع انه برىء ، وبواسطة التعذيب اعترف بقتل لم يرتكبه ، ثم جىء به أمام القاضى كامبو الذى شاهد الجريمة من نافذته ، ورأى الجانى الحقيقى ، وشاهد الخباز يلتقط الجراب ، ويعرف أنه لم يقتل ، ولكنه قضى باعدامه اخذا بالاعتراف نتيجة التعذيب !

« لهذا وبعد تطور الزمن اشترطت التشريعات الحديثة فى عموميتها ومعها احكام الفقه والقضاء ، سواء المصرى أو المقارن ، على انه يشترط للاخذ بالاعتراف أن يكون واضحا ، لا لبس فيه ولا غموض ، وأن يصدر من متهم متمتع بالتمييز فعلا ، فلا يعتد باعتراف مجنون أو سكران أو مخدر أو منوم مغناطيسيا ، أو تحت تأثير تحليل نفسانى ، أو نتيجة عقاقير ، أو نتيجة أجهزة لكشف الاختيار ، فيجب أن يكون الاعتراف حرا طليقا . أما الاعتراف الذى يجىء نتيجة اكراه مادى أو أدبى فانه يبطل تماما ، وتبطل كافة الأدلة التى اكتنفته والتى احاطت به بطلانا مطلقا ، ويستوجب براءة كل من لحاط به هذا الاكراه .

انواع من الاكراه الذى يبطل الاعتراف

« والاكراه المـــادى يتمثل فى التعذيب ، أو الضرب ، أو هجوم الكلب البوليسى على المتهم ليمزق ملابسه . ومن طريف ما تقضى به فى فرنســـا أن استمرار استجواب المتهم أربعين ســـاعة فيه حرمان له من النوم والراحة ، وهو نوع من الاكراه والتعذيب . وفى قضية أخرى استبعد اعتراف المتهمة بعد أن ثبت أنه جـــاء بعـــد حرمانهـــا من الطعام . والاكراه الادبى يتمثل فى التهـــديد بالايذاء ، أو بالوعـــد ، أو بالوعيـــد ، أو بافشـــاء أسرار عائلية ، أو بالاعتداء على قريب . ففى جميع تلك الحالات وأمثالها يبطل الاعتراف ، لأنه لم يصدر عن طوع واختيار ، وانما بالقوة والاكراه والاجبـــار .

التعذيب جناية عقوبتها الأشغال الشـــاقة

ولذلك أعتبر تعذيب المتهم لحمله على الاعتراف جريمة استنكرتها معظم التشريعات ، ويعاقب مرتكبها بأشـــد العقوبات ، وهى فى تشريعنا العقـــابى جناية يعاقب عليها بالمـــادة ١٢٦ بالأشـــغال الشـــاقة أو السجن حتى عشر ســـنوات ، أما اذا مات المجنى عليه فالعقوبة هى عقوبة القتل .

آثار الاعتراف الباطلة فى نظر القانون الدولى

لذلك فقد انتهت الآراء فى القانون المقارن الى وجوب استبعاد الاعتراف من عداد الأدلة ، فجاء فى قرارات المؤتمر الدولى السادس لقانون العقوبات فى روما عام ١٩٥٣ أن الاعتراف لا يعد من الأدلة القانونية . وجاء فى قرار المؤتمر الدولى للعلوم الجنـــائية فى سان

بتسبرج أن التعذيب يجب معاقبة مرتكبه ، وأن الاعتراف وحده لا يكفى فى تسبيب الحكم بالادانة . وهذا سار فى القانون الفرنسى ، وانتهوا الى أن الاعتراف يجوز العدول عنه دائما .

وقد اوصت لجنة حقوق الانسان بهيئة الأمم المتحدة على انه لا يجوز ان يخضع اى شخص مقبوض عليه أو محبوس لأى اكراه مادى أو معنوى ، أو لغش أوحيلة أو لتنويم مغناطيسى أو لمحاليل مخدرة أو اى مواد تشوش حريته فى التصرف . وكل دليل يحصل بالطرق السالفة يعتبر غير مقبول ، وأن أى اعتراف لا يعتد به الا اذا تم فى حضور محامين أو أمام القاضى .

وجوب استدعاء محامى المتهم وقت الاستجواب

وانه ازاء تلك الحملات الشديدة من الفقهاء واحكام القضاء ، فانه يجب أخذ الاعتراف بالحيطة والحذر — حرصت التشريعات على وضع ضمانات لاستجواب المتهمين ، فأوجب تشريعنا الجنائى فى المادة ١٢٤ على أنه لا يجوز استجواب المتهم فى الجنايات الا بحضور محام اذا تمسك المتهم بحضوره ، وذلك لضمان عدم التأثير على المتهم عند استجوابه ، أو عدم ايقاعه فى الخطأ . أما اذا حصل أى اكراه عليه فان اعترافه يبطل بطلانا مطلقا .

ومن النظام العام مهما كان قدر هذا الاكراه من الضآلة . ومن ثم فيجب استبعاد الاعتراف ، وما اكتنفه به من ادلة أخرى . والا كان الحكم باطلا . على أن بطلان الاعتراف يستتبع كنتيجة حتمية ، طبقا للمادة ٣٣٦ اجراءات جنائية ، بطلان سائر الأدلة المستمدة منه أو المترتبة عليه ، كالارشاد عن السلاح ، أو الأرشاد عن متهمين آخرين .

تلكم هى أحكام القانون التى تعصم حريات الناس ولا تستبيحها، وتعاقب بالشدة كل من سولت له نفسه العبث بهـا ، او الاستهانة بأمرها. ومؤداها أن أى اكراه تستشفه المحكمة باديا فى اعتراف احد المتهمين فانها تسارع باستبعاد هذا الاعتراف وما ارتبط به من ادلة اخرى ، بل ترى ان هذا الاكراه جناية يعاقب عليها القـانون ، وتنزل حكمها فى الدعوى ، وعقوبتها هى الأشغال الشـاقة او السجن من ثلاث سنوات الى عشر سنوات ، او عقوبة القتل ، ان مات المتهم نتيجة التعذيب . بل ويجوز طلب اعادة النظر اذا صدر حكم نهائى على المتهم فى الدعوى نتيجة هذا التعذيب ، واستنادا الى شهادة من قاموا بتعذيبه ، او اذا ظهر بعـد الحكم ان اعترافه المتهم كان وليد الاكراه أو كان وهو معترف فاقد الشعور .

وحيث انه بانزال تلك المبـادىء على الدعوى الحالية وما ثبت فيهـا من وقائع تعذيب الى اعتراف متهمين بارتكاب الحادث ، واستلامهم أسلحة من المدعى عليهم ، وبالتحريض ، حالة كون أحدهم كان معتقلا فى الطور ، ويستحيل مقارفته هذا الحادث فان المحكمة تستبعد بلا أدنى شك أو تردد كافة الاعترافات كدليل فى الدعوى ، سواء ما لحق المتهمين او الشهود ، مكتفية بما انتهت اليه تحقيقاتها فى الجلسة .

هذا هو نص حيثيـات محكمة أمن الدولة العليـا فى قضية كمشيش .. فلماذا منع الرقيب نشرها فى الصحف ؟

السبب انه لو طبقت هذه القاعدة القانونية ، لخرج جميع المسجونين السياسيين من السجون !

ما من واحد منهم سمحوا له بأن يجيء بمحام يحضر التحقيق ! كل واحد منهم تعرض للاكراه المـــادي والمعنوي . وكل واحد منهم ضرب أو عذب أو هجم عليه الكلب البوليسي ، ومزق ملابسه ، أو نهش لحمه ، كل واحد منا منع من النوم ومن الراحة والطعام والمـــاء عدة أيام . كل واحد منا هددوه واعتدوا على أقاربه . بعضنا احضروا زوجاتهم وخلعوا ملابسهن وطلبوا من الحراس أن يغتصبوهن أمام أزواجهن ! عشرات منا قتلوا مثل محمد الفيومي الذي قتلوه في السجن الحربي ودفنوه في صحراء مدينة نصر . أحدنا عذبوه في السجن الحربي حتى اغمي عليه ، وظنوا انه مات ، وحملوه مع اربع جثث لمتهمين سياسيين آخرين دفنوهم في صحراء مدينة نصر ، وفي الصباح استيقظ السجين السياسي من أغمائه ، ونفض عنه الرمال وازاح الجثتين المدفونتين فوقه ، وخرج الى النور يبحث عن الحياة ، فما كاد الحارس يراه حتى فزع وراح يعدو وهو يصرخ « عفريت ! عفريت ! عفريت » !

أحدنا ضربوه حتى فقد النطق . وظنوا انه ميت . فابلغوا نيابة أمن الدولة بأنه مات بالكوليرا . فأمرت النيابة كتابة بحرق جثته خوفا من العدوى . . ثم ظهر أنه لا يزال حيا فارسلوه الى المعتقل ، ولكنه بقي ميتا رسميا ، فحرموه من معاش والده لأنه مات ، وفصلوه من كلية الطب لأنه مات ، وبقي معتقلا في المعتقل وميتـــا في الأوراق الرسمية في وقت واحد !

روى لي جاري في الليمان انور زعلوك صاحب جريدة الحقائق كيف أن زبانية صلاح نصر ضربوه بالأيدي والعصي ، وداسوا عليه بالأقدام ، وجزدوه من ملابسه حتى أصبح عاريا تماما كما ولدته أمه ، وعلقوه في كلبش من الحديد من القدمين كالذبيحة ، وتركوه

بلا أكل ولا شرب ، وادخلوا آلة حادة فى شرجه ، وبداوا ينفخون بطنه ، وهو يتلوى من الألم والعذاب ، واغمى عليه ، وافاق فوجد نفسه فى بركة من الدماء ، ثم قاموا بخلع أظافر أصابعه ، وهددوه باحضار زوجته واخواته وبناته .

وروى لى زميلى المسجون السياسى عادل سليمان المحـرر بالجمهورية انهم شدوه من جهازه التناسلى بعد ربطه بخيط نايلون ، ووضعوا على راسه آنية من معدن سلطوا عليها الكهرباء واحس فى داخله بالاف الاهتزازات وهو يصرخ كالمجنون ، وانهم انهالوا عليه بالضرب والصفع والركل وحرموه من شرب المـاء واطفأوا السجائر المشتعلة فى جسـمه واطلقوا عليه الكلاب البوليسـية المتوحشة وعلقوه من ذراعيه وساقيه ووضع الحارس حذاءه فى فمه وعندما اغمى عليه غمسوا راسه فى قصرية تواليت افرنجى وكووا جسده بالنـار والمسامير الملتهبة والأسياخ .

وروى لى عدلى ابادير الموظف بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والمحكوم عليه بالسجن ١٠ سنوات فى قضية سياسية ملفقة انهم خلعوا ملابسـه ، وتولوا كى ظهره باسياخ من الحـديد فى اماكن متفرقة ، ثم صبوا ماء باردا على اماكن الكى ، وانهالوا عليه ضربا بالكرابيج ، وكسروا سنتين فى فمه .

وقال لى المسجون السياسى محمد عبد الغنى النشرتى أنهم جردوه من ملابسه وضربوه بالسياط والأسياخ والعصى ، وعلقوه من ساقيه الى أعلى وكووا القضيب والخصيتين بالنار بواسطة جسم ملتهب ، ثم غرسوا دبابيس ملتهبة فى ظهره ثم خلعوا أظافره .

وذكر لى المسجون السياسى شفيق اندراوس وكيل بنك اسكندرية فرع الموسكى انهم جردوه من ملابسه ، ووضعوا سلكا كهربائيا

على جسمه ومرروا عليه تيارا كهربائيا فكان يصرخ ويقفز الى أعلى ، فينهالون عليه بالضرب والركل ، واحضروا جهازا أشبه بالخرطوم وادخلوه في فتحة الشرج ، ونفخوا بطنه بالهواء ، وشعر بالام فظيعة ، وأحس أن مصارينه تتمزق ، وانتفخ بطنه ، ووقف احد الحراس على بطنه المنتفخ وامروه أن يضع حذاءه في فمه ، ثم حرقوا ظهره بالنار بقضيب من الحديد الملتهب .

هل سيجيء يوم يعاقب فيه بالقانون الذين داسوا بأقدامهم على القانون ، الذين أهدروا كرامة الانسان المصرى ، الذين استباحوا حريات الناس ، الذين عبثوا بالعدالة ، واستهانوا بكرامة الرجال !

ان منع الرقيب نشر حيثيات المحكمة عن التعذيب في قضية كمشيش معناه أن التعذيب لا يزال أساس الملك وليس العدل هو أساس الملك !

من يعلم .. أن الله قادر على كل شيء ! قد نتبادل الأمكنة ويجلس في الأقفاص التى يحبسوننا فيها الذين ظلمونا والذين عذبونا ، والذين تصوروا انهم الآلهة الذين في أيديهم حق الحياة أو الموت !

ان الله أكبر من كل الظالمين !

القتل بغير محكمة !

ايمـــان طره

عزيزتى

تذكرين اننى فى خطابى الى الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى كتبته له من سجن الاستئناف فى أول ديسمبر سنة ١٩٦٥ اننى قلت له بالحرف الواحد « وهددونى بأن صلاح نصر سيقتلنى بالسم ، وقالوا ان لديه سما لا يمكن أن يكتشفه اى طبيب شرعى فى العالم » .

وجاءت تحقيقات النيابة فى حادث مصرع عبد الحكيم عامر بالسم تؤيد بعد سنتين كل ما قلته فى خطابى للرئيس عن السم الذى يستعمله صلاح نصر والذى قتل به الملك فاروق !

ان أحد تلاميذى أطلع على تحقيق النائب العام محمد عبد السلام فى حادث السم ، وارسل نص مذكرة وضعها النائب العام عن هذا الحادث ، وهى مذكرة مكتوب عليها « سرى للغاية » وقد استطعنا الحصول عليها .

« لمناسبة قيام الصلة بين سم الاكونيتين الذى انتحر به المشير عامر وادارة المخابرات العامة ، تطرق التحقيق الى بحث مصدر حصول هذه الادارة على السموم ، ومقـــدار كمياتهـــا ، وأوجه استعمالها .

وقد توليت بنفسى تحقيق هذا الجانب ، وتبين من الاطلاع على سجلات الادارة انه فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٣ استوردت الادارة من خارج البلاد ، دون تحديد مصدر معين ، خمسة جرامات من مادة ديجتوكسين Digitoxine وخمسة جرامات من مادة اكونيتين Aconitine وكلتاهما مادة سامة ، وتتميز الثانية بأنها سريعة الذوبان فى الماء ، وفيها مرارة بسيطة لا يشعر بها الانسان ، اذا تناولها مع الماكولات ، أو المشروبات ، وبخاصة أنواع العصير ، وان بضعة مليجرامات منهـا تكفى غالبا لاحداث الموت .

ونظرا لاحتمال تطاير بعضها ، أو التصاقه بالورق ، فان ٢٥ مليجراما تكون قدرا مضمونا لاحداث الوفاة .

واثبت فى السجلات انه فى يوم ٩ من ابريل سنة ١٩٦٧ سلم ٦٠٠ مليجرام من كل من المادتين الى « وجيه » ، والمقصود بهذا الاسم السيد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب السيد صلاح نصر ، وقد قسم هذا القدر الى ستة أجزاء ، كل جزء ١٠٠ مليجرام ، وضعت فى العبوات المعدة لتثبيت الريتالين فى الورق المفضض . وقد سبق القول بأن واحدة من هذه الورقات المفضضة ، تبين أنها تكمل تماما الورقة التى وجدت على جسد المشير ، ووضح فى الصور الشمسية التى اخذها الطبيب الشرعى ان أجزاء الحروف المكتوبة فى كل من الورقتين يكمل بعضها بعضا تماما .

وتبين من التحقيق أنه يوجد بادارة المخابرات العـامة قسم للسموم ، يرأسه الكيميائى مختار احمد ذكرى ، وأن هذا القسم يتبع ادارة البحوث التى يرأسها السيد محمد حلمى القاضى .

وانه فى يوم ٩ من أبريل سنة ١٩٦٧ اتصل وجيه عبد الله مدير مكتب صلاح نصر بمحمد حلمى القاضى رئيس ادارة البحوث ،

وكلفه أن يرسل الى صلاح نصر ، بناء على أمره ، جانبا مما لديه من سموم . فأبلغ هذا الأمر الى مختـــار احمد ذكرى ، فوضع فى الفجوات الخاصة بحبات الريتالين ٦٠٠ مليجرام من كل من مادتى الديجتوكسين والاكونيتين ، مقسمة الى مقادير متساوية ، تقدر كل منها ١٠٠ مليجرام ، وسلمها مختار ذكرى فى اليوم التالى ، الى وجيه عبد الله ، ومعها ورقة بالتعليمات المتضمنة خواصها وكيفية استعمالها ، على النحو السابق ، وسلمها وجيه بدوره الى مدير ادارة المخابرات (صلاح نصر) .

وقد قرر السيد صلاح محمد نصر فى التحقيق أنه طلب حقيقة، ولكن فى تاريخ لا يذكره ، مادة سيانور أو سيانيد البوتاسيوم ، وأنه تسلم بالفعل مادة سامة ، وكان يظن انها احدى هاتين المادتين ، وأنه وضعها فى مكتبه ، وظلت فيه بحالتها ، الى أن مرض يوم ١٣ من يوليو سنة ١٩٦٧ ، وانتقل من مكتبه فى ٢٢ منه ، الى احدى الاستراحات ، ولم يعد الى مكتبه الى أن أعفى من منصبه فى ٢٦ من أغسطس .

ومن المحقق فى هذا الصدد الاشارة الى أن الاكونيتين الذى وجد على جسد المشير يزيد على ١٥٠ مليجراما ، ولا يعرف مصير باقى الـ ٦٠٠ مليجرام التي سلمت الى صلاح نصر .

ولكن لماذا تحتفظ ادارة المخابرات العامة بهذه السموم . ولماذا يوجد بها قسم خاص بالســموم بالذات . وفى أى غرض كانت تستعمل هذه السموم ؟

ان أقوال رجال المخابرات العامة لا تدع مجالا لأى شك فى أن هذه السموم اعدت واستعملت بالفعل للقتل .

فقد قرر مختار أحمد ذكرى رئيس قسم السموم انه كان يعمل في هذا القسم منذ سنة ١٩٥٩ ، وأن سمى الديجيتوكسين والاكونيتين استحضرا في سنة ١٩٦٣ من الخارج . وغالبا من المانيا او سويسرا ، وانهما « لايستخدمان الا كسم قاتل » . أما التحاليل وغيرها من البحوث العلمية فان ادارة المخابرات كانت تستعمل فيها سموما من انواع أخـــرى . وقال في موضـــع آخـــر « احنـــا محضرين السموم دى لا لأغراض علمية ، وانما لهدف القتل لمصلحة الدولة » وعاد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب صلاح نصر فقرر « ان هذه السموم تستعمل في اغراض لمصلحة الدولة ، وبأوامر دائما من مستويات الدولة » ، « ان السموم هـــذه وسيلة ضمن وسائل أخرى ، مما يمكن استعماله للتخلص ممن تقتضي مصلحة الدولة التخلص منـــه » .

وقرر محمد حلمى القاضى مدير ادارة البحوث أن وجيه عبد الله طلب منه بناء على امر المدير (صلاح نصر) « سما سريع المفعول » وأن هذه السموم تستخدم لأغراض المخابرات ، وقد تسلم لأى مندوب للقيام بعملية لمصلحة أمن الدولة ، وقد تستخدم ضد العملاء في الداخل أو في الخارج .

« أما السيد صلاح محمد نصر فقد وردت عبارته في هذا الخصوص بالصيغ الآتيـــة :

« انني لا يمكنني أن أدلى الآن بأسماء السموم ، وأين استعملت ؟ واعترف بانه أنشأ قسما للسموم منذ سنين طويلة ، والغرض منه عمل تجارب على انواع السموم التي قد تستخدم ضد الخونة من أعداء البلاد ، وان ذكر أى أسرار أو اسماء الذين استعملت ضدهم

هذه السموم قد يضر المصلحة العليـا للدولة أو يمس كثيراً من المسئولين » .

واعترف « انى طلبت سموما كثيرة للاغراض التى ذكرتها » .

واعترف بالحرف الواحد فى التحقيق « اننى طلبت سموما كثيرة « للاغراض التى ذكرتها . وطلبت كميه من سيانور البوتاسيوم او سيانيد البوتاسيوم لاعمال لا استطيع ان افصح عنها .

وقال صلاح نصر بالحرف الواحد انه كان يعد هذه السموم ، ويسلمها بنفسه لبعض العمليات ، وكان يسلمها بنفسه للذين يقومون بسم الذين تقرر قتلهم .

ولما سئل صلاح نصر عن السبب فى انه لم يسلم المادة السامة التى ضبطت فى مكتبه قال : « العميل كان مسافر سويسرا وكنت غير مطمئن اليه » .

وقال : ان ذكر تفاصيل هذه العمليات قد يكشف عن اسرار خطيره !

وهكذا يهربون لى داخل السجن وثائق تثبت اجرام الذين ظلمونى! لو كنت خارج السجن لما استطعت ان احصل على مثل هذه الوثيقة !

ولكن الله يفعل من أجل المظلومين ما لا يخطر على بالهم !

وهنا تذكرت وانا اقرأ هذه الاعترافات كيف دسوا السم للدكتور انور المفتى الطبيب الخاص للرئيس جمال عبد الناصر .



هل سيجىء يوم يؤلف فيه مجلس الامة لجنة برلمانية للتحقيق وتسأل صلاح نصر من هم الذين قتلهم .. وكيف يجوز قتل انسان بغير محاكمة وبغير حكم ، ان الله وحده هو الذى يحيى ويميت ، فمن الذى أعطى الفرد سلطة الاله !

اننى مؤمن بأنه سيجىء يوم يكشف الله فيه عن كل هـذه الجرائم مهما احيطت بالسرية والكتمان !



تهريب صحف / وتحرير الجرائد داخل الزنزانة

ليمــان طـــره

٢١ يوليو سنة ١٩٦٦

عـــزيزتى

اننى العب الآن مع السلطة لعبة القط والفار ! انا الفار طبعا ! انهم يحاصروننى بالعيون والأرصـــاد . يتبعون خطواتى . قال الرئيس للمشير « انا اعرف مصطفى جيدا . انه لا يمكن أن يسكت ابدا .. لابد أن يفعل شيئا ! » .

ويظهر أن هذا الراى قاله الرئيس امام وزير الداخلية ، لأن الرقابة اشتدت على ، وهم يتصورون أن معنى كلمة « انه لابد أن يفعل شـــيئا » أن معنى ذلك اننى ســـاحاول الهرب ! وهكذا يحاولون حصار جسمى ! وهذا من حسن حظى ، فانا لا اريد أن اهرب ، كل ما احاوله هو أن اهرب افكارى وآرائى ! ما قيمة أن اكون فى السجن أو خارج السجن اذا كانت افكارى محبوسة !

ولهذا فقد استفدت من اشاعة استعدادى للهرب . انها الدخان الأبيض الذى يخفى خلفه تحركات افكارى ورســـائلى وقصصى ومقالاتى وكتبى !

وذات مساء دق جرس التليفون فى غرفة نوم العميد عبد الله عمارة مدير منطقة سجن ليمان طره . وكانت الساعة الثانية عشرة بعـد منتصف الليل .

وهب مدير السجون مذعورا من نومه . .

وصاح مدير مصلحة السجون فى هلع : أين مصطفى أمين ؟

وأجاب مدير السجن فى دهشة : انه موجود فى زنزانته بالسجن .

قال مدير المصلحة فى حزم : لا . . انه غير موجود فى السجن . لقد وصل الى وزير الداخلية الآن تقرير خطير موثوق به يؤكد أن مصطفى أمين شوهد من دقائق فى شارع ٢٦ يوليو . . قم من فراشك وافتح السجن واذهب وتأكد بنفسك .

وقفز مدير الليمان من فراشـه فى رعب ، وارتدى ملابسه العسكرية فى ثوان ، وانطلق الى ليمان طرة الذى يبعد عن بيته بحوالى عشرة أمتار ، هى عرض الشارع فقط . وكان باب السجن الذى يبعد ٣٠٠ متر مغلقا ومختوما بالشمع الأحمر ، ففض المدير الختم ، ودخل السجن ، ووصل الى العنبر رقم واحد ، وهو عنبر المسجونين السياسيين ومعهم عدد من المسجونين العاديين ، وصعد الى الطابق الرابع ، واتجه الى الزنزانة رقم ٩٨ ، ونظر المدير من نظارة الزنزانة فرآنى نائما فى فراشى أغط فى النوم .

ولم يرد المدير أن يوقظنى حتى لا تعرف فضيحة التقارير الكاذبة التى تصل الى وزير الداخلية !

وعاد مدير الليمان الى بيته وطلب مدير مصلحة السجون تليفونيا وقال له :

ـ انني نظرت من نظارة الزنزانة ، ووجدت مصطفى أمين نائما مغطى ببطانية .

وساله مدير المصلحة فزعا : هل كلمته ؟

قال مدير الليمان : لا .

وعاد مدير مصلحة السجون يساله فى ذعر : ولم نكشف وجهه ؟

قال مدير الليمان : لا .

قال مدير المصلحة فزعا : وهل دخلت الزنزانة ؟

واجاب مدير الليمان : لم افتح الزنزانه ، وانما اكتفيت بالنظر داخل الزنزانة ، ووجدته مغطى بالبطانية .

فقال مدير المصلحة غاضبا : اذن الخبر الذى عند سيادة وزير الداخلية صحيح .

ان مصطفى امين خدعكم . الذى رأيته ليس مصطفى امين هو عدد من الوسادات مغطى بالبطانية فقد شوهد فعلا فى شـــارع ٢٦ يوليو .

اجاب مدير الليمان فى دهشـة : مستحيل ! انني رايت البطانية ترتفع وتنخفض ، وهذا يدل على ان هنـــاك انفاسا تتحرك لا وسادات !

قال المدير الذكى : لابد انه اتفق مع مسجون آخر ليحل مكانه . او انه خدر احد الحراس ووضعه تحت البطانية .. هل احصيت عدد المسجونين ؟ هل احصيت عدد الحراس ولم نجد واحدا منهم

قد نقص ؟ اذهب مرة اخرى ، وافتح السجن ، وارفع البطانية ، وتأكد أن الذى تحتها هو مصطفى أمين بلحمه وعظامه . ان وزير الداخلية يؤكد أن مصطفى أمين قد هرب واننا نائمون !

وعاد العميد عبد الله عمارة مدير الليمان مرة اخرى الى السجن، وفتح عنبر واحد ، وصعد الى الطابق الرابع ، وفتح باب الزنزانة رقم ٩٨ ورفع البطانية ، ورآنى نائما ، آكل أرزا مع الملائكة !

وعاد مدير السجن الى بيته ، واتصل تليفونيا بمدير مصلحة السجون وأبلغه بشرى العثور على تحت البطانية .

وأبلغ مدير المصلحة البشرى الى وزير الداخلية .

ونام وزير الداخلية ، ونام نائب وزير الداخلية ، ونام كبار موظفى الداخلية ونام مدير مصلحة السجون !

وتصورت أن وزير الداخلية لن يصدق بعد ذلك التقارير السرية التى تصل اليه . ولكن بعد ذلك بشهور دق جرس التليفون فى غرفة نوم العميد عبد الله عمارة . وكانت الساعة الرابعة صباحا .

وصاح مدير السجون فى صوت مرتجف : اصح من نومك ! ان مصطفى امين يستعد الآن للهرب . وصلتنا معلومات مؤكدة بانه قام بنشر قضبان زنزانته ، وانه يستعد للهرب . وزير الداخلية علم أن طائرة ستهبط فى حوش الليمان ، وانها أعدت خصيصا للهرب به الى خارج مصر ..

قال العميد عبد الله عمارة : هذا كلام حشاشين .

قال مدير مصلحة السجون غاضبا : هذا كلام وزير الداخلية ..

ان معلوماته مؤكدة ووصلت اليه من داخل السجن ، ومطلوب منك ان تمسك مصطفى أمين وهو يهرب !

واسرع العميد عبد الله عمارة الى زنزانتى، وايقظنى من النوم ، وراح يشد فى قضبان الزنزانة ، ويمتحن بابها ، ويبحث فى كل مكان عن المنشار الذى هربته لأنشر به القضبان الحديدية !

ووجد مدير السجن أن القضبان الحديدية مثبتة بالأسمنت المسلح .. وانه لا يوجد فى الزنزانة او فى الزنازين المجاورة اسلحة ولا منشار !

وعاد مدير السجن الى فراشه بعد ان طمأن مدير مصلحة السجون ، الذى طمأن وزير الداخلية الذى طمأن وزير الحربية حتى يلغى الأمر الذى أصدره بأن تهب الطائرات لمطاردة الطائرة التى خطفتنى !

وذات يوم جاء لوزير الداخلية تقرير سرى بأننى أخفى فى زنزانتى جهازا سريا متصلا بالخارج .

وقامت قوة من مباحث مصلحة السجون وهاجمت زنزانتى فلم تجد الجهاز المزعوم ! وكان العقيد زكى وهبه مأمور العنبر قد اكد لهم ان هذا كلام فارغ فأكدوا انها معلومات موثوق بها جدا !

وفى ظل هذا الرعب والفزع والأنباء الكاذبة استطعت ان أكتب الوف الخطابات ، وبعض القصص ، وبعض الكتب ، وان اتلقى يوميا عددا من الخطابات فيها كل ما يهمنى أن أعرفه وما لا ينشر فى الصحف وما يشطبه الرقيب !

وخطر ببالى خاطر غريب .. ان جميع الاستحكامات والاحتياطات وضعت لمقاومة هروبى من داخل السجن الى خارج الأسوار .

لماذا لا افعل العكس ، واهرب رجلا من خارج السجن الى داخل زنزانتى !

اننى استطعت أن اكون من زملائى المسجونين نظاما يشبه نظام اخبار اليوم ، نظاما يفعل المستحيلات ، فلماذا لا أستعين بهذا الجهاز فى تهريب انسان الى داخل السجن !

واستعدت ذكرياتى .. تذكرت أن الانجليز أقاموا فى عام ١٩٤٢ معتقلا فى ضاحية الزيتون ، وأحاطوه بحراسة شديدة ، ووضعوا فى هذا المعتقل عددا من السياسيين من خصوم الانجليز وخصوم الوزارة القائمة فى تلك الأيام .

وكان بين المسجونين السياسيين فى هذا المعتقل أنور السادات والشيخ الباقورى وجلال الحمامصى ومحمد صبيح وموسى صبرى .

وخطر ببالى ان اهرب نفسى الى داخل المعتقل . واشتركت مع جلال الحمامصى فى وضع خطة الهروب .

وذات ليلة ، وفى اثناء عملية تغيير الحرس ، استطعت أن ادخل سرا الى المعتقل ، وأمضى وقتا طويلا مع المعتقلين السياسيين . وكنت فى تلك الأيام رئيسا لتحرير مجلة الاثنين ، ورئيسا لقسم الاخبار فى جريدة الأهرام .

ونجحت الخطة . وكررت المحاولة للمرة الثانية ونجحت أيضا .. فلماذا لا أكرر المحاولة فى ليمان طره .

وخطر ببالى ان اهرب الى زنزانتى محررا من تلاميذى فى أخبار اليوم ومصورا من تلاميذى . اننى كتبت الوف الخطابات أصف الزنزانة وحياتى فى الزنزانة . وكم من المرات قلت فى دروسى الصحفية ان التحقيق الصحفى يبقى ناقصا اذا خلا من الصور . فلماذا لا تلتقط صور لزنزانتى ولى فى ملابس السجن .

واخترت تلميذى رأفت بطرس المحرر بأخبار اليوم ، واخترت احمد عبد العزيز المصور بأخبار اليوم .

وتم وضع ترتيب مرورهما خلال كردونات متعددة من الحراس تبدأ من باب الليمان الى أن تصل الى زنزانتى فى الطابق الرابع من عنبر واحد !

وتم التقاط عشرات من الصور ..

وانصرف المحرر والمصور دون أن يشعر بهما أحد .

ثم بدأ يلعب فى عبى الفار ! انهما حصلا على نصر صحفى عالمى ، ماذا يحدث لو استبدت بهما شهوة النصر الصحفى فنشرا هذه الصور فى الصحف خارج مصر ! ان احمد عبد العزيز قال انه لو نشر هذه الصور فى صحف العالم لباعها بعشرة آلاف جنيه .

لو حدث ذلك لافتضح الجهاز السرى الذى يعمل داخل السجن وخارجه ، والذى استطاع ان يهرب الوف الخطابات وعددا من القصص وبعض الكتب السياسية . واتفقت مع صديقين غير معروفين ، من خارج السجن ، وتنكرا فى زى ضباط المباحث العامة. وذهبا الى دار أخبار اليوم وقابلا المصور احمد عبد العزيز وانتزعا منه الأفلام ، واثارا الفزع فى قسم التصوير وقالا : لو ان احدا فتح

فمه وذكر ما حدث فسوف يجد نفسه مسجونا مع مصطفى أمين في زنزانة واحدة .

وصدق مصور أخبار اليوم هذا التهديد واطبق فمه ولم يقل كلمة واحدة عما حدث .

ثم وقعت في مشكلة .. اين أخفى هذا الفيلم الخطير ! ؟ وقررت أن أخفيه داخل السجن .. انه المكان الأمين الوحيد الذى لا تصل اليه حملات التفتيش ! !

ودفناه في مكان مجهول في حديقة العنبر .. وسوف يبقى مدفونا هنا .. الى أن يخرج معى الى الحرية !

في يوم من الأيام لابد أن تشرق الحرية .. ولابد ان تخرج اشياء كثيرة مدفونة تحت للتراب .. احد هذه الأشياء هذا الفيلم .. والشيء الثانى المدفون هو الحقيقة .. والشيء الثالث هو .. انا !!

كلنا سنخرج من القبور !

بأمر الله !

فى هذا الكتاب

صفحة

صفحة

كتب المؤلفة

امريكا الضاحكة ــ حياة طالب مصرى مفلس فى امريكا .
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ . الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣.
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ (نفدت) .

فاطمــــه
مثلتها بالسينما أم كلثوم وأنور وجدى سنة ١٩٤٧ .

عمالقة واقــزام
ساسة مصر وسياسة مصر قبل الثورة سنة ١٩٥١ (نفدت).

ليالى فاروق (جزءان) سنة ١٩٥٤ (نفدت) .
قصة حياة الملك السابق

معبودة الجماهير سنة ١٩٦١ (نفدت) .
مثلها بالسينما عبد الحليم حافظ وشادية

صاحبة الجلالة فى الزنزانة الطبعة الأولى ســـنة ١٩٧٤ . الطبعة
الثانية سنة ١٩٧٤ ــ الطبعة الثالثة ١٩٧٥
الصراع بين الصحافة والطغيان .

سنة أولى سجن
الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤
الطبعـــة الثانية ديسمبر ١٩٧٤.
الطبعة الثالثة ينـــاير ١٩٧٥
الطبعـــة الرابعة فبراير ١٩٧٥
الطبعـــة الخامسة مـــايو ١٩٧٥

الكتاب الممنوع (جزءان) الطبعة الأولى ســـنة ١٩٧٤ . الطبعة
الثانية سنة ١٩٧٥ أسرار ثورة ١٩١٩

سنة أولى حب يناير ١٩٧٥.
لا تحت الطبع
ست الحســـن تحت الطبع
من واحد الى عشرة تحت الطبع

مطابع الأهـــرام التجــارية

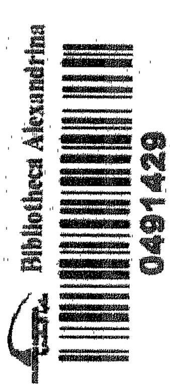
رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٥ / ٤٣١٦

الذين وضعوا مصطفى امين فى السجن ، واغلقوا عليه باب الزنزانة ، تصوروا انهم لوثوه وقيدوه وكمموه وأخرسوه الى الأبد ، تصوروا أنهم دفنوه حيا فى قبر محكم ، وهالوا عليه التراب . والموتى لا يتكلمون ! ..

ولكن أصدقاء مصطفى أمين وتلاميذه خارج السجن ، وزملاؤه المسجونون السياسيون استطاعوا أن يجعلوه داخل الزنزانة أكثر اطلاعا عما يجرى فى البلد مما كان وهو رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم ! كانوا يهربون له الانباء والأسرار والوثائق عما يجرى فى الدولة . وهكذا كان يتابع يوميا الجرائم التى ترتكب والحقوق التى تغتصب والحريات التى تداس بالأقدام . كان هناك تنظيما تحت الأرض يهرب الى مصطفى كل يوم الرسائل الممنوعة والأنباء الممنوعة . وكان مصطفى يهرب لهم كل يوم رسائل عما يجرى فى داخل القبر الذى يعيش فيه .

وفى خطابات مصطفى أمين السرية كل ما كان يجرى فوق الأرض وتحت الأرض . الصراع على السلطة . الخلافات بين القادة . قصص الارهاب والطغيان . دموع المسحوقين وضحكاتهم . المذابح التى كانت تجرى وراء الاسوار . كانت مهمته ان يهرب الى خارج السجن قصة كل مظلوم داخل الاسوار . كان يعتقد أن كل مظلوم هو مصطفى أمين ، وان مصطفى أمين هو كل مظلوم .

انها ليست قصة رجل واحد ، بل قصة كل مظلوم فى مصر . ماذا يحدث عندما يكون القانون فى أجازة . عندما تطفىء الانوار ويسود الظلام . عندما توضع الحقيقة فى الزنزانة ويحكم عليها بالسجن المؤبد . الرجال والنساء الذين كانوا يقومون بعمليات التهريب متحدين حراسة مشددة ورقابة رهيبة وعيون متلصصة وجو من الخوف والرعب ، كانوا يعرضون حياتهم وحرياتهم للخطر ، ولكنهم كانوا يقومون بعملية فدائية هى اخراج الحقيقة من الظلام الى النور ، من السجن الى الحرية ...



كتاب سنة أولى سجن طبع خمس مرات فى عام واحد .
سبتمبر ١٩٧٤ الطبعة الثانية فى ديسمبر ١٩٧٤ الطبعة الثالثة
الطبعة الرابعة فى فبراير ١٩٧٥ الطبعة الخامسة فى مايو ١٩٧٥
انه سجل أكبر رقم قياسى فى توزيع الكتاب السياسى فى الشرق
وهذا هو سنة ثانية سجن ..
وبعد كتاب ((سنة ثانية سجن)) سيصدر كتاب سنة ثالثة سجن !

مطابع الاهرام التجارية


٥٠

مصطفى أمين

سنة ثالثة سجن

الطبعة الثالثة ١٩٨٩

الناشر ـ المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
القاهرة : ٢ شارع شريف ت : ٣٩٣٤١٢٧
الاسكندرية : ٧ شارع نوبار ت : ٤٨٢٦٦٠٢

مصطفى أمين

سنة ثالثة سجن

المكتب المصري الحديث

الهزيمة .. فى سنة أولى !

هذه سنة ثالثة سجن ، بدأت عقب الأيام التالية للهزيمة ، اعصاب الحكام مشدودة . أرواحهم محطمة . شعاراتهم ممزقة وملقاة فى صحراء سيناء مع الجثث المشوهة والاسلحة المبعثرة . البطش يشتد داخل السجن ، كأن الحكام المهزومين لم يستطيعوا ان يهزموا عدوهم الحقيقى فاستداروا إلى خصومهم يقهرونهم وينتصرون عليهم بلا معركة . ويعتبرون المسجونين السياسيين أسرى . . أسروهم فى لا حرب ، ويعتبرون زنازينهم قلاعا استولوا عليها بلا معارك :

كل شبح يحسبونه رجلا ، وكل صفقة باب يتوهمونها فرقعة قنبلة . وكل همسة مسجون يسمعونها زئير أسد ، وكل كلمة حق يخافون أن تكون مقدمة مؤامرة لقلب نظام الحكم . تشعر وأنت داخل السجن بأن كل شىء خائف يهتز . الأوامر تجىء كل يوم إلى السجن بأن يزيد قبضته على المسجونين السياسيين . يراقب خطواتهم . يستمع إلى همساتهم . يفتش جيوبهم . يقلق منامهم . أوامر متوالية تحض على العنف والشدة والبطش والقمع وهذه دائما هى لغة الخائفين لا لغة الواثقين .

هذا الرعب يظهر بجلاء فى منعهم للزيارات الا من السلك . فى تأخيرهم لتسليمنا خطاباتنا ، فى تلكئهم فى الموافقة على ارسال خطابات لأهلنا . فى منعهم السجائر والأطعمة . كأن علبة السجائر هى منشورات تحرض على الثورة ، وكأن طعام المسجونين هو قنابل وديناميت !

واطاعة الأوامر الظالمة هى نوع من رياضة النفس ، وامتحان لقدرة المرء على الاحتمال . وكلما وجد المسجون السياسى نفسه قادرا على احتمال ما لا يحتمل

شعر بسعادة غريبة . فليست القوة أن يصرخ الانسان عندما يشعر بمطرقة تنهال على رأسه ، وانما القوة ان يحتمل الضربة ولا يكف عن الابتسام . وعندما يصبح الانسان قادرا على أن يحتمل الضربة الضخمة تصبح الضربات التالية نوعا من الدعابة والهزار ! وفى هذه السنة كثرت الضربات فوق رؤوسنا ولم تكن ضربات قاتلة لان المطارق كانت فى أيد مهزوزة خائفة مهزومة . الهزيمة البشعة ، وما حدث للطغاة الصغار من شلة المشير عبد الحكيم عامر جعل بقايا الفراعين الصغار تضرب وهى خائفة . . تبطش وهى ترتعش رعبا ، ترتدى أثواب الجبابرة وتطل من داخلها الفئران !

هذه الرسائل كتبتها وهربتها فى السنة الاولى للهزيمة ، وقد تميزت هذه السنة بأن الحكام بدأوا يمشون فى طريق الضعف والهزال ، والشعب يمشى فى طريق الشجاعة . أصبح الناس أكثر جرأة مما كانوا وأقل خوفا وهلعا . سقط الديكور الذى كان يغطى خرائب الحكم ولا يظهر إلا الألوان الزاهية البراقة . أصبحنا لأول مرة نسمع الجنود والضباط ينتقدون الحكام علنا ، يهاجمونهم ، يسخرون منهم ، ينقلون إلينا النكت والنوادر التى تقال عنهم ، يهملون فى تنفيذ الاوامر الصارمة اليومية التى كانت تطالب بالبطش بنا وتنكيد الحياة علينا !

ولقد زاد عدد الذين يشاركوننى فى تهريب هذه الرسائل ، إلى خارج السجن ، ثم إلى خارج الحدود فتسلم إلى على أمين فى لندن . . وتضاعف عدد الذين يتشجعون ويحملون إلى رسائل من جميع أنحاء العالم ، ويقتحمون الحصار المفروض . .

وكنا نلعب مع حراسنا كل يوم لعبة عسكر وحرامية !
ولا أعرف من كانوا العسكر ومن كانوا الحرامية .
كل الذى أعرفه انهم لم يمسكوا خطابا واحدا !

مصطفى أمين

عبد الناصر ساعة الهزيمة

ليمان طرة ٢٤ يوليو سنة ١٩٦٧

ياعزيزتى . .

أن أصدقائى وتلاميذى خارج السجن يريدون أن أشعر وأنا فى زنزانتى أننى مازلت فى مكتب رئيس تحرير أخبار اليوم . أعرف كل ما يجرى من أحداث وأسرار . وهم يتبارون فى تهريب الرسائل لى عما يدور وراء الكواليس ، وكأنهم يبحثون عن خبطات صحفية تنشر فى صدر الصفحة الأولى فى مانشيتات !

وللأسف فاننى لا استطيع ان أنشر كل ما يصلنى ، فأنا الآن القارىء الوحيد !

كتب لى أحد أصدقائى يقول : قابلت السيد عبد اللطيف بغدادى فترة طويلة . قال لى أنه لما أحس أن أزمة سحب البوليس الدولى من شرم الشيخ واحتلالها سوف يؤدى إلى حرب ، كتب مع حسن إبراهيم مذكرة « تقدير موقف » ارسلها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، وحذره من عواقب اشتراك الجيش المصرى فى معركة مع اسرائيل ، واقترح عليه ان تتحرك بعض قوات الطيران وحدها دون باقى الجيش . وأبدى الاثنان استعدادهما لوضع نفسيهما تحت تصرف القوات المسلحة أو فى أى مكان يعتقد عبد الناصر أنهما يستطيعان فيه خدمة بلدهما .

وحدث ان قابل الدكتور عبد الرحمن البزاز ، السياسى العراقى الكبير ، بعد ذلك الرئيس عبد الناصر ، فأشاد الرئيس أمامه بموقف بغدادى وحسن إبراهيم ، وشكا من أن كمال الدين حسين لم يبد أى استعداد للمساهمة فى المعركة .

وذهب الدكتور عبد الرحمن البزار إلى كمال الدين حسين ، وروى له حديثه

مع عبد الناصر ، فكتب كمال الدين حسين خطابا إلى عبد الناصر يرجو فيه إعادته إلى الجيش ، واسناد أى عمل له حتى يساهم فى المعركة .

واستدعى عبد الناصر الثلاثة . .

ولاحظ بغدادى أن عبد الناصر يتطلع طويلا إلى رأسه فسأله :

ـ لماذا تتطلع إلى رأسى ؟ هل أدهشك المشيب الذى علاه ؟

قال عبد الناصر : نعم . .

قال بغدادى : عجزنا .

قال عبد الناصر : أنا لسه ما عجزتش .

قال بغدادى : أنا أصلى « خرع » زى ايدن (وكان هذا هو الوصف الذى أطلقه عبد الناصر على أيدن رئيس الوزارء البريطانية فى عدوان ١٩٥٦) .

وضحك عبد الناصر طويلا ، وشكرهم على موقفهم ، وقال أنه لم يدهش لهذا الموقف ، لأنه يعرف وطنيتهم وحبهم لبلادهم .

وهنا سأله بغدادى : أحب أن أعرف ما هى معلوماتك عن دخول اسرائيل الحرب ؟

فقال عبد الناصر : المعلومات المؤكدة التى عندنا هى أن اسرائيل لا تفكر فى الهجوم ، وانها لا تستطيعه قبل ٨ أشهر على الاقل .

وسأل بغدادى : وما هو موقف روسيا ؟

قال عبد الناصر : أن شمس بدران وزير الحربية عاد منذ يومين من موسكو ، وقد أكد له الروس انهم سيؤيدوننا على طول الخط ، ولو أدى ذلك قيام الحرب العالمية الثالثة .

واستطرد السيد عبد اللطيف بغدادى يقول :

ـ ثم بدأت المعركة فى ٥ يونيو .

وكنت مع الرئيس عبد الناصر فى مركز القيادة ، وابلغنا عبد الحكيم عامر ان اسرائيل حطمت كل الطائرات المصرية .

والتفت إلى عبد الناصر وقلت له :

ـ وما هو موقف الروس اليوم ؟

فأجاب عبد الناصر : انهم فى فزع من أمريكا ! ولا يريدون ان يقوموا بأى عمل يعرضهم للاشتباك مع الامريكان .

وقلت لعبد الناصر : ولكنهم قالوا لشمس بدران أنهم سيؤيدوننا على طول الخط ، حتى ولو أدى ذلك إلى قيام الحرب العالمية الثالثة .
وسكت عبد الناصر ولم يرد .

وهنا سألت الرئيس عبد الناصر : ولماذا لم يرسل الروس لنا طائرات بدل الطائرات التى فقدناها ؟

قال عبد الناصر : قالوا إنهم يخشون من الاسطول السادس ولذلك لا يستطيعون ارسال الطائرات إلى مصر . واقترحوا أن يسلموها لنا فى يوغسلافيا ، بشرط أن يوافق تيتو ، فأبرقنا إلى تيتو الذى وافق على هبوط الطائرات فى بلاده . واستدعى السفيرين المصرى والروسى فى بلغراد معا وأبلغهما هذا القرار . . ولكن روسيا عادت وخافت وقالت انها تريد أن تسلمنا الطائرات فى الجزائر ! ومعنى ذلك أننا لن نستلم الطائرات إلا بعد أشهر .

وقال بغدادى : انه من الممكن ان ترسل روسيا إلى مصر الطائرات الحربية داخل طائرات اليوشان ، وأن كل طائرة اليوشان تتسع لأربع طائرات ميج .

فسأل عبد الناصر : وكم يستغرق تركيب كل طائرة ؟

فأجاب بغدادى : ٨ ساعات . وإذا أرسلوا لنا عشر طائرات اليوشان محملة بالطائرات كل يوم فسيصبح عندنا ٤٠ طائرة كل يوم و ٤٠٠ طائرة فى ظرف عشرة أيام . . أننا نستطيع بهذه الطائرات أن نقلب المعركة على رأس اسرائيل .

فأجاب عبد الناصر : ان الروس يرتعشون من الامريكان .

وذكر لى بغدادى بالحرف الواحد :
- بعد ان تأكدت الهزيمة لاحظت ان عبد الحكيم عامر كان يتطلع بكراهية وحقد نحو عبد الناصر . وكانت نظراته تقول له : أنت الذى أوصلتنا إلى هذه الكارثة !

وبقى عبد الناصر فى مركز القيادة فترة طويلة ، ومع ذلك لم ينتقل اليه عبد الحكيم عامر مرة واحدة ، تظاهر طول الوقت بأنه مشغول . كان يتلقى تليفونيا أنباء الهزيمة ولا يهتم بابلاغها إلى الرئيس عبد الناصر الذى كان يجلس معه فى الغرفة .

وكان عبد الناصر يضطر إلى سؤال الضباط الموجودين حول عبد الحكيم عامر عن آخر الاخبار .

وحدث ان سمع عبد الناصر ان الجنود المصريين فقدوا كل بنادقهم فى المعركة ولم يبق عند الجيش المصرى سوى ٢٥٠٠ بندقية . .

فسأله بغدادى : ولماذا لم نطلب بنادق من الروس ؟

وأجاب زكريا محيى الدين : الروس أرسلوا لنا سفينة عليها ٦٠ ألف بندقية ، ولكنها راسيه خارج ميناء الاسكندرية وترفض أن تدخل الميناء خشية أن تضربها الطائرات .

وكان اليأس يملأ وجه عبد الناصر فى هذه اللحظات .

وفجأة وقف وقال : ليس لنا مكان هنا . . لقد ضاع كل شيء . فقد الجيش كل شيء . تعال نخرج !

وخرجنا من مركز القيادة ، ولم يتحرك عبد الحكيم من مكانه لوداعنـا . .

وقال عبد الناصر وهو يودع بغدادى :

ـ مفيش فايده . . فقد الجيش المصرى كل أسلحته !

* * *

وقال عبد اللطيف بغدادى :

ـ انى سألت عبد الناصر أيام كنا معا فى مركز القيادة لماذا لم نوافق على وقف القتال فى يوم ٥ يونيو كما اقترح مجلس الأمن . وعدت بعد يوم ووافقت ، وافقت بدون قيد ولا شرط .

فأجاب عبد الناصر : فى يوم ٥ يونيو تلقيت معلومات ان الجيش المصرى يجمع قواته ،وأنه لم ينهزم . ولكن بعد ٢٤ ساعة علمت ان هذه المعلومات كاذبة وأن الجيش المصرى فقد كل أسلحته فوافقت على اقتراح وقف القتال .

وذكر عبد الناصر ان محمود رياض وزير الخارجية اتصل تليفونيا يوم ٥ يونيو بالسفير محمد القونى مندوب مصر فى الأمم المتحدة ، وقال له أن الجيش المصرى مسيطر على الموقف ، وأمره بأن يرفض وقف القتال . وأعد السفير محمد القونى خطابه على اساس تعليمات وزير الخارجية ، وقبل ان يلقى خطابه بنصف ساعة اتصل به محمود رياض تليفونيا من القاهرة للمرة الثانية وطلب منه ان يوافق على وقف القتال !

ولما أبلغ القونى هذه المحادثة إلى رؤساء الوفود العربية فى الامم المتحدة ثاروا ، وقالوا ان محمود رياض دسيسة ، وطلبوا من السفير القونى ان يتصل بالرئيس شخصيا بالتليفون ليسأله هل هو موافق على وقف القتال .

وطلب القونى الرئيس عبد الناصر فى التليفون .
ورد عليه سامى شرف

وقال السفير القونى أنه يريد ان يتحدث مع الرئيس عبد الناصر شخصيا ليسأله : هل هو موافق على وقف القتال ؟
فسأله سامى شرف : ماذا قال لك محمود رياض ؟
أجاب القونى : قال لى أن أعلن موافقة مصر على وقف القتال .
قال سامى شرف : نفذ تعليمات محمود رياض !
ولما سمع رؤساء الوفود العربية بهذه المحادثة التليفونية اغرقوا فى البكاء !

هل يعيش الحب فى الزنزانة ؟

ليمان طرة فى ٢٨ يوليو ١٩٦٧ .

عزيزتى . .

عرفت هنا مسجونا أسمه فرحات . قص على قصته العجيبة . انه محكوم عليه بأنه قاتل وهو لم يقتل أحدا ! ان المثل الذى يقول « ياما فى السجن مظاليم » هو حقيقة واقعة أكثر مما هو مثل شعبى ولنبدأ القصة من أولها . .

كان أبو على يعمل خفيرا لزراعة أحد الاعيان . وكان يملك فدانا واحدا ، يزرعه فى وقت فراغه بمساعدة ابنه عويس . واختلف عويس مع جيرانه فى الأرض على الرى . وحاول الحاج موسى جاره فى الأرض ان يشتريها من عويس ، لكى يتخلص منه . ولكى يستطيع ان يقطع الماء على من يشاء من الفلاحين دون حسيب أو رقيب . ولكن عويس كان شابا مفتول الذراعين . جريئا فى الحق . لا يخاف الاقوياء . كان يحب الارض ويرفض أن يبيع حبه لمخلوق . . وكان يجد متعة فى تحدى الظالمين . وطالما قال له أبوه أبو على « وإحنا ما لنا ياعويس » . وكان عويس يرد قائلا : « وما قيمة الحياة ياأبى إذا لم ندافع عن المظلومين » .

وكان أهل القرية يعجبون بشجاعة عويس وبطولته ، ويشيدون بفروسيته ، ويحمدون الله أن ظهر من بينهم شاب يقاوم طغيان الحاج موسى واستبداده .

وتضاعفت مرارة الحاج موسى عندما تقدم إلى الشيخ عليوه مأذون القرية يطلب يد ابنته شلبية ، وليجعلها الزوجة الرابعة إلى جانب زوجاته الثلاث . وأبت شلبية ان تتزوج ، وقالت انها تحب الشاب عويس بطل القرية ، ولا ترضى بزوج سواه . . وألح المأذون على ابنته شلبية أن تتزوج الحاج موسى ، وتساءل كيف ترفض ابنته هذا الشرف الرفيع . كيف ترفض الزواج من الحاج موسى

صاحب الجبروت فى القرية ، والذى يخافه الفلاحون ويحسبون له ألف حساب . كيف ترفض رجلا يملك عشرين فدانا من أجل أبن خفير يملك هو وأسرته كلها فدانا واحدا ! وهددها بقطع رقبتها فقالت شلبية أنها تفضل الموت على أن تتزوج الحاج موسى الجبار !

وجن جنون الحاج موسى . كيف تجرؤ هذه الابنة العاقة على مخالفة أبيها ؟ كيف تهزأ القرية بالعريس المرفوض الذي كان يعتقد ان كل فلاحة فى القرية تحلم به وتتمناه ؟ وعندما عرف ان الشاب عويس هو العقبة التى فى طريقه قرر أن يزيل هذه العقبة من الطريق . ودبر مؤامرة مع معاونيه لقتل البطل الشاب . ورفض ان يقتله أحد معاونيه ، فصمم ان يقتله بيده ليشفى غليله من دم خصمه العنيد ، وأختبأ الحاج موسى فى زراعات الذرة وانتظر حتى مر عويس وأطلق عليه ثلاث رصاصات وسقط عويس قتيلا .

وخرج شهود يدعون أنهم رأوا القاتل بعيونهم التى سيأكلها الدود ، ويقسمون أن القاتل هو الشاب فرحات ، زميل عويس وصديقه الحميم ، وأحد الذين كان يعتمد عليهم عويس فى صراعه مع الحاج موسى وعصابته من الاشرار !

وجاءت الشرطة والنيابة ، واكتشفت ان البندقية التى قتلت عويس مدفونة فى أرض حديقة فرحات . الادلة كاملة . عشرة شهود رأوا القاتل . سلاح الجريمة موجود . كل شيء يؤكد ان القاتل فرحات . .

ولكن الأب ابو على لم يصدق ان القاتل فرحات . كان يعرف القاتل . كان واثقا ان الحاج موسى هو الذى قتل ابنه الحبيب . انه يذكر ان الحاج موسى هدد ابنه ونصحه ان يترك القرية كلها « والا فلن يحصل طيب » وسفر عويس من تهديد الحاج موسى وقال له أن ورائى رجالاً ها هو ذا أخرجه من الحياة كلها ، تخلص منه لينفرد بالأرض وبشلبية !

وتشجع الاب ابو على ، وذهب إلى عمدة القرية وقال له انه يتهم الحاج موسى بقتل ابنه . وسخر منه العمدة وطرده !

وذهب إلى ضابط النقطة وقدم إليه البلاغ ، فهاج فيه الضابط وقال له : لقد شكرني الحكمدار لانني أمسكت بالقاتل ، فكيف تجيء الآن لكي تنسف خطاب شكر سيادة الحكمدار ؟ !

ولجأ الاب إلى وكيل النيابة ، فاستدعى الحاج موسى ، الذى احضر شهودا يقسمون على المصحف بأنه كان فى قرية أخرى عندما وقعت الجناية ، وأقسم شهود آخرون بان الحاج موسى امتلأت عيناه بالدموع عندما سمع بمصرع عويس !

وأصر الاب على ان القاتل الحقيقى هو الحاج موسى . .

وبدأ التحقيق من جديد . . وإذا بالاب يفاجأ بان الشاب فرحات صديق ابنه الحميم قد اعترف بأنه القاتل ! وانه قتله لانه كان ينافسه على حب شلبية ! ولم يكن الاب يصدق هذا الاعتراف . .

وجاءوا له بفرحات امامه فإذا به يقول فى مواجهته انه فعلا قتل عويس . لأنه نافسه على قلب شلبية

ولكن قلب الأب لم يصدق هذا الاعتراف الصريح . قلبه يحدثه ان فرحات برىء ، شلبية نفسها قالت له ان فرحات كاذب ، وأنه على العكس كان يبارك هذا الحب ويؤيده ويشجعه ويتستر عليه .

وتصور الاب ان أهل القرية الذين طالما وقف إلى جوارهم عويس ودافع عن حقوقهم سوف يقفون معه ضد القاتل الحقيقى .

ولكنه فوجىء بهم جميعا يتخلون عنه . . لقد غربت شمس عويس . . لم يعد فى استطاعته ان يهب لنجدتهم . . ان يحارب معاركهم . ان يمنع الحاج موسى من أن يقطع عنهم المياه . انهم عادوا كما كانوا قبل ظهور عويس . يرهبون الحاج موسى . يخشون طغيانه . يرتعدون من جبروته . وهم بينهم وبين أنفسهم يرفضون ان يعترفوا بأنهم جبناء يخافون من بطش الحاج عويس ، وإنما يوهمون

أنفسهم ان الحاج موسى مظلوم ، وأن الأب أبو على مجنون . . ان الكارثة هى التى جعلت الاب يفقد عقله ، وهو لهذا يريد أن يبرىء القاتل الحقيقى فرحات ، ويتهم الحاج موسى البرىء الطيب الذى حج الى بيت الله الحرام !

وأصبح ابو على يتطلع فى وجوه أهل القرية فى دهشة وذهول !

هل يمكن ان يكون هؤلاء الذين كان يراهم كل يوم فى جامع القرية يؤدون الصلاة ، ويتجهون بعيونهم الخائفة إلى الله ، ماذا جرى لهم ؛ كيف نسوا الله فجأة ! إن الحى أبقى لهم من الميت . الظالم الحى أنفع من المظلوم تحت التراب : ولكن كيف يتبدل الناس بين يوم وليلة ؟ كيف تحولهم القوة إلى عبيد ، ويحولهم الخوف إلى شهود زور ؟ كان ابنه عويس يتباهى بأن وراءه رجالا . أين هم هؤلاء الرجال . لم يبق فى القرية من الرجال سوى شلبية ، انها وحدها هى التى لا تزال تصرخ وتقول ان الحاج موسى هو القاتل !

القرية كلها تخلت عنه . لم يعد أحد يصدقه . كل القرية نسيت ما فعله عويس من أجلها بل انهم بدأوا يؤلفون عنه القصص والاقاويل والاشاعات . بدأوا يقولون ان عويس لم يكن بطلا . انه لم ينتصر للفلاحين الضعفاء . ان المسألة كلها كانت خناقة غرامية على حب شلبية أجمل فتيات القرية ! إن الحاج موسى هو البطل الحقيقى . . هو الذى اعترض على أن يغرى عويس شلبية . ان الحاج موسى كان يدافع عن عرض كل امرأة فى القرية ضد عويس لص الاعراض .

وذهبت شلبية إلى بيت ابو على تبكى وتنتحب . أن أباها يرفض ان تقيم مأتما للرجل الذى أحبته . يرفض ان تزور قبره كل يوم . وهى فى فجيعتها تلوم هى الاخرى حبيبها عويس وتقول :

ـ لو أن عويس ترك الحاج موسى يعتدى على باقى الفلاحين ، ويقطع عنهم المياه ، ويسرق مواشيهم ، وينهب محصولاتهم ، لبقى حيا مثل باقى الفلاحين ! لو أنه أغمض عينيه لنال حقه وأكثر من حقه ، ولكنه فتح عينيه ، وجعل كل

فلاحى القرية يفتحون عيونهم . . وماذا كسبنا الآن من فتح عيونهم .

انه ما كاد يموت حتى عادت القرية تغمض عيونها من جديد ! حتى هذه التضحية ذهبت هباء ! ليته أغلق عينيه وعاش !

ولم يهتم أحد بما تقوله شلبية . القرية أصرت على أن هذا كلام مجانين . شهود الزور أنفسهم تصوروا أنهم شهود حق . ألم يعترف فرحات انه القاتل . حتى الذين خبأوا البندقية فى أرض فرحات أصبحوا مع تكرار ترديد الاكذوبة ينسون انهم شركاء القاتل الحقيقى . . فعندما يمشى موكب الضلال فى زفة ، تتوارى الحقيقة خجلا ، وتخفى وجهها ، كأنها أصبحت فضيحة . الاكذوبة عندما تركب حصانا ، وتتقدمها الطبول والمزامير ، تركع الحقيقة أمامها ، لانها تتحول الى أسيرة ، إلى عبد رقيق ، جارية لا قوة لها ولا سلطان . ينكرها الذين يعرفونها ، كما تنكر الاغنياء لأقاربهم المعدمين .
وعرضت القضية على محكمة الجنايات . وتقدم شهود الزور يدلون بأقوالهم ، واقترب الأب أبو على من القفص وهمس فى أذن المتهم فرحات : لماذا اعترفت كذبا ؟ وتلفت فرحات حواليه ، وقال بصوت مرتعش : ضربونى فى المركز ، وقالوا لى يجب أن تعترف بأنك القاتل ، والا فسوف تفسد خطاب الشكر الذى ارسله سعادة الحكمدار إلى حضرة الضابط .

واقتحم ابو على القفص وعانق فرحات وهو يصرخ بأعلى صوته :

ـ فرحات مظلوم . والله مظلوم . القاتل هو . . . .

وقبل ان ينطق باسم القاتل أطبق عليه رجال الشرطة ، وصاح أهل القرية الذين يملأون قاعة المحكمة :

ـ مجنون . . . مجنون ! هل رأيتم قبل الآن أبا يعانق قاتل ابنه الوحيد ؟ القاتل الذى قتل ابنه من أجل شلبية !

وصاح رئيس المحكمة : اخرجوا هذا المجنون من قاعة الجلسة .

وأصدرت المحكمة حكمها على فرحات بالسجن المؤبد مع الاشغال الشاقة .

وعاد أبو على إلى القرية يتعثر فى دموعه . عاد يكلم نفسه .
أطفال القرية يزفونه فى أزقتها : المجنون أهه . المجنون أهه .
أليس المجانين يحدثون أنفسهم ، الا يمشون ذاهلين مثله .
يتخبطون فى سيرهم مثله . من يعلم .. لعل مستشفى الأمراض العقلية ملىء بألوف مثله . ظلموا كما ظلم وأغلقت فى وجوههم كل أبواب العدالة كما حدث له .. ودخل بيته وهو يلطم وجهه وفزعت زوجته مبروكة لمنظر زوجها وسألته ما به :

قال لها : ابنى عويس ... مات .

قالت : نعم مات من تسعة شهور .

قال : لا إنه مات اليوم فقط .. اليوم رأيته قتيلا فى المحكمة .. الذى قتله قتله امامى فى ساحة المحكمة .. كل هذه الشهور لم أشعر أنه مات . كنت اعتقد انه سيعيش ما عاشت العدالة . عندما تمسك العدالة بالمجرم الحقيقى سوف اشعر ان ابنى لم يمت . المبادىء التى حارب من أجلها لم تمت . ولكن اليوم فقط عندما حكمت المحكمة بالسجن على البرىء وتركت القاتل حرا رأيت ابنى شهيدا ، ورأيت العدالة قتيلا أمامه .

وجلس ابو على على الأرض . دفن رأسه بين يديه . أشعل سيجارة . راح يتفرج على حلقات الدخان . ان حياة ابنه عويس مثل هذا الدخان ، طارت . لم يبق منها أى شىء . حتى قصص البطولة تطايرت فى الهواء ..

ووقف على قدميه كأنه اعتزم أمرا . اتجه إلى بندقيته المعلقة فى الحائط .. تقدم نحوها .. لمسها . ثم تردد وسحب يده ، وفتح المصحف وراح يقرأ بعض الصفحات ، ثم قام وصلى صلاة المغرب .

وجلس على الأرض من جديد ، ودفن رأسه بين يديه . ثم سمع دق

الطبول ، وأصوات الفلاحين ينشدون من بعيد :

البنت السمرة . . شلبية

الحلوة ام عيون عسلية

قمورة . . . وخفة . . . وغندورة !

والقلب ما حبش غير هيه !

وتذكر ابو على ان اليوم هو يوم زفاف حبيبة ابنه شلبية إلى قاتل ابنه عويس ! ان جرائم الحاج موسى لا تنتهى . لا يكفيه انه قضى على ابنه عويس . لم يكفه أنه قضى على صديق ابنه فرحات . ولكنه الليلة يرتكب جريمة قتل اخرى . قتل شلبية . . . انه يعرف أن شلبية لا تزال تحب ابنه عويس . . حتى بعد ان دفنه فى التراب . اننا أحيانا نشعر أن الموتى أحياء ، والأحياء موتى .

ويجز أبو على على شفتيه ويتساءل : ولكن لماذا لم تقاوم شلبية أكثر مما قاومت ؟ لماذا لم تصر على الرفض . فى الماضى نجحت فى المقاومة لان عويس كان بجانبها . كان الدرع الذى يحميها . كان السلاح الذى تشهره . كان عمودها الفقرى ولكنها أصبحت بغير درع وبغير عمود فقرى . كانت قلعة يصعب اقتحامها لان عويس كان سور القلعة وأبوابها . والآن هى بغير سور ولا أبواب . اننا نستطيع ان نصمد فى المحن إذا وجدنا قلبا نستند إليه ، أو حبا نركن إليه . ولكن يوم نفقد الحب ويضيع منا الحب نتهاوى ويسهل كسرنا . الذين لا عمود فقرى لهم يمشون منحنين لانهم لا يستطيعون أن يصلبوا قامتهم ، أو يرفعوا رؤوسهم .

نعم لقد قاومت شلبية ولكنها قاومت وحيدة فركعت ، ثم انكفأت على وجهها ، ثم داستها قوة أبيها الذى كان يعرف جيدا ان الحاج موسى هو القاتل ، وكان يخشى لو صمدت ابنته ان يقتلها ويقتله معها . ومن هنا لم يرحم دموعها .

فضل أن يدفنها حية فى منزل الحاج موسى مع زوجاته الثلاث ، على أن يدفنها جثة فى إحدى مقابر القرية . .

وعاد ابو على يتساءل : ولكن أين أهل القرية الذين أحبوا عويس ، وأحبهم عويس ؟ هل انشقت الارض وابتلعتهم ؟ اين كان الذين يشجعون عويس وهو يقاوم ، ويهنئونه وهو ينتصر ويشيدون به كلما استطاع أن يوصل إليهم المياه بعد ان قطعها عنهم الحاج موسى ؟ كيف مشوا فى زفة القاتل ، وتركوا جنازة القتيل ؟ كيف زغردوا فى فرح الظالم ولم يبكوا فى مأتم المظلوم ؟ صدقت شلبية . لو أن ابنه لم يحارب من أجل هؤلاء المظلومين لكان الآن هو العريس . ولكان الأب أبو على يستقبل المهنئين ووزع عليهم أكواب الشربات ؟ هل كان يجب على عويس ان يسكت . أن يترك زراعة مئات الفلاحين تموت من أجل ان يعيش هو؟ هل كان يجب على عويس أن يسد أذنيه بالامس فلا يسمع أنين المظلومين ، ليسمع فى يوم ما زغاريد فرحه هو؟ هل كان يجب على عويس ـ لكى يعيش ـ أن يموت ضميره ؟ ولكن كيف ينسى أهل القرية كل ما فعله عويس ؟ انهم يذكرون الجبناء الذين لم يدخلوا المعركة ، وينسون الشهداء الذين ماتوا من أجلهم . المجد للذين بقوا والعار للذين ذهبوا ! . .

ولكن لماذا يلوم أهل القرية لانهم لم يفعلوا شيئا ؟ ماذا فعل هو؟ وتطلع ابو على إلى بندقيته المعلقة إلى الحائط ، وكأنه يتحدث إليها . ثم اتجه إليها وضمها إلى صدره وكأنه يعانقها ومشى فى خطوات بطيئة فى الظلام إلى الفرح . . . وأصوات الدفوف والزغاريد تمزق اذنيه .

وتعالت أصوات الدفوف . وارتفعت أصوات الزغاريد ، وفهم أبو على انها لحظة الدخلة وقد اعتاد الفلاحون ان يرفعوا أصواتهم بالزغاريد فى هذه اللحظة ليخفوا صراخ العروس لحظة إزالة بكارتها !

ولكنه لم ير منديل البكارة تلوح به أم العروس . . بل رأى شلبية وهى تحمل سكينا كبيرا تلوح به . والدم يتساقط من السكين . . وما كادت ترى ابو على

حتى ارتمت فى صدره وهى تقول :

ـ موش أنا اللى قتلته ياعم ابو على . . . دى البلد هى اللى قتلته ! . . .

وعرف أبو على ان شلبية أرادت ان تغسل عار القرية ، التى لم تتحرك لتثأر للشاب الذى دافع عنها ، فقررت ان تتحرك هى نيابة عن القرية . . . واغمدت فى صدره السكين فى اللحظة التى أراد أن يدخل بها ! قتلته وهو يترنح من السكر ومن نشوة الانتصار . . .

وحكمت المحكمة بالسجن المؤبد على شلبية ، وأودعت فى سجن القناطر . .

وانتهى المسجون فرحات من رواية القصة الغريبة ثم قال لى :

ـ انا سيفرج عنى . بعد ١٤ سنة ، وشلبية سيفرج عنها بعد ١٥ سنة طبقا للعفو عن المسجون المحكوم عليه بالمؤبد بعد ١٥ سنة

ثم نظر إلى وفى عينيه توسل غريب .

ـ أريد منك خدمة : أريد ان تكتب باسمى خطابا إلى شلبية تعرض عليها الزواج ، بعد أن يفرج عنها بعد ١٥ سنة .

قلت : اذن كان صحيحا إنك كنت تحبها ؟

قال : ابدا . . انى احببتها الآن بعد أن أعادت إلى قريتنا شرفها وكتبت الخطاب الذى طلبه فرحات ، ووقع عليه ببصمته لانه لا يعرف القراءة والكتابة . .

ودهشت بعد أسبوعين عندما جاء فرحات إلى زنزانتى متهللا وقدم لى ورقة مكتوبا فيها ما يأتى :

« سأنتظرك ١٥ سنة »

الامضاء : شلبية

ترى هل سيعيش الحب فى الزنزانة ١٥ سنة ؟

لست ادرى !

فاطمة رشدى فى السجن !

ليمان طرة فى ٢ أغسطس سنة ١٩٦٧

عزيزتى

اخشى ما أخشاه أن تجىء خطاباتى إليك كليالى الشتاء ولكنى أعرف قيمة خطابى لكم ، لاننى أعرف قيمة خطاباتكم لى .

لو رأيت عيون المسجونين وهم يستقبلون المسجون الذى يوزع الخطابات ، كأنه ملاك نزل عليهم من السماء . كل مسجون يسرع إليه ، ويسأله هل يحمل له خطابات جديدة ؟ سحنة المسجون السائل تنقلب من السعادة إلى البؤس ، ومن الأمل إلى اليأس ، مع كل كلمة تخرج من فم هذا الملاك الذى يحمل خطابات المسجونين . وهذا المسجون لا يشبه الملائكة . ليس له أجنحتها . وليس فيه ملامحها . انه مسجون محكوم عليه بتهمة القتل ، ومع ذلك فالخطابات التى يحملها تحوله فى عيون المسجونين إلى ملاك جاء من السماء ! انه يحمل فى يده عواطف الزوجات ودموع أمهات وأشواق أبناء ولوعة عاشقات . والمسجون ينتظر من أهله أن يقولوا له أشياء كثيرة لا يقولونها ومع ذلك يسعد بهذه التحيات الساذجة . يقرأ أسماء اولاده وكأنه يقبلهم . ويلتهم تحيات زوجته وكأنه يعانقها . ويحس من سلامات معارفه وأهله أنهم يزورونه ويتحدث اليهم .

بعض الخطابات أشبه بالتلغرافات ، ولكن المسجون يقرأها كأنها . مجلدات يقرأ فيها كلمات لم تكتب ، ويفهم عبارات لم تدون ، ويتصور أشياء لم تخطر على بال الكاتب العمومى الذى كتب لأهله الخطاب ! هذه الخطابات حوار . وكثيرا ما يكون هذا الحوار من طرف واحد ، لان المسجون لا يستطيع ان يكتب إلا مرتين كل شهر . انهم أحيانا يحدثونه عن أشياء نسيها . أو ينسون أن يجيبوا على أسئلة سألها . وعندما يكتب المسجون خطابا يتمنى أن يطير هذا الخطاب إلى أعزائه بجناحين ، فهو يتتبع خطواته وخطوات الخطاب . هل وقع عليه

الضابط ؟ هل خرج من العنبر ؟ هل خرج من البريد ؟ هل خرج من الليمان ؟ انهم يشعرون ان الخطاب هو ولد من أولادهم يخشون عليه من زحام الطريق . يخافون ان يدوسه أوتوبيس . يجزعون ان يتوه ويضل العنوان . ومن هنا فإن بعضهم يكتب خطاباته مسجلة حتى يضمن وصولها إلى أهله . وبعضهم لا يملك ثمن طوابع بريد الخطاب المسجل ، ويبيع طعامه ، أو يحرم نفسه من شراء طعام يشتهيه ليشترى طوابع كافية ، يضعها على الخطاب المسجل أو الخطاب بعلم الوصول .

وبعض ضباط السجن قساة القلوب غلاظ الاكباد يتعمدون تأخير إمضاء الخطابات أياما وأحيانا أسابيع بحجة أنهم مشغولون فيها هو أهم ، أو يقولون إنهم وضعوا نظاما ألا يوقعوا الخطابات الا فى يوم ١٥ ويوم ٣٠ كل شهر ، فإذا كتب المسجون خطابا فى أول الشهر بقى الخطاب مسجونا فى مكتب الضابط إلى يوم ١٥ فى الشهر !

وبين المسجونين فريق المنتظرين . هؤلاء الذين ينتظرون بغير جدوى وصول خطابات أحبائهم . يسألون عن الخطابات فى الصباح والظهر ، فى الأيام العادية وفى الاجازات والاعياد ، ولكن الخطابات لا تجىء . وترى فى عيونهم الحسرة . انهم جوعى الى خطاب . إلى كلمة . إلى شىء يربطهم بالحياة . أعرف واحدا منهم كان يكتب لنفسه خطابات وهمية ، يعرضها على زملائه مفاخرا مباهيا ، يحاول ان يخدعهم ان له أهلا يسألون عنه ويهتمون به ويتشوقون إليه . وزملاؤه يعرفون من خط الخطابات أنها بخطه هو ، ولكنهم يشفقون عليه ان يخرجوه من الجنة الموهومة إلى جهنم الحقيقة . . جهنم النسيان .

انتهز ضابط انسان فرصة مبيته أمس فى الليمان وسمح للمسجونين فى العنبر ان يتفرجوا على التليفزيون . كان يعرض فيلما قديما منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، واسمه الصراط المستقيم بطلته فاطمة رشدى ويوسف وهبى . بدت فيه الطرابيش التى اختفت ، وموضات الفساتين التى تغيرت ، والدنيا التى تبدلت . ولاحظت أن المتفرجين من المسجونين الشباب كانوا يسخرون من فاطمة

رشدى ، ويهزأون من تمثيلها ، ويضحكون من دموعها ، وكثيرون منهم راح يسأل من هى فاطمة رشدى ؟

ولم يعرف هؤلاء ، انهم قبل أن يولدوا ، كانت هذه المرأة التى يسخرون منها هى ممثلة المسرح الأولى فى الشرق . كانت الجماهير تهتف لها فى الشوارع وكأنها أحد الزعماء السياسيين ! كانت تدخل العواصم العربية فى مواكب الغزاه الفاتحين . كانت فتاة أحلامنا ونحن تلاميذ .

أذكر أننى وأخى كنا نصدر ، وعمرنا ١٤ سنة ، مجلة اسمها « التلميذ » وكانت فاطمة رشدى هى فتاة الغلاف فى كل عدد من أعداد المجلة ! وكانت تقيم للطلبة حفلات نهارية بأسعار مخفضة . وأطلقت عليها أنا اسم « صديقة الطلبة » وأعجبها الاسم فكانت تضعه تحت اعلانات مسرحها التى كانت تغطى جدران كل الشوارع . ورأت فاطمة المجد والشهرة ، ورأت الغنى الباذخ والفقر المدقع . وكانت فى وقت من الاوقات تنزل فى الجناح الملكى فى فندق جورج سانك فى باريس ، ثم جاءت أيام كانت تعيش فى غرفة فى بدروم وتعجز ستة أشهر عن دفع ايجارها الزهيد . كانت صاحبة أكبر فرقة مسرحية فى مصر . وكانت تدفع عشرات الألوف من الجنيهات مرتبات لأكبر الممثلين والممثلات ثم أصبحت تعمل ممثلة مع فرق تلاميذ المدارس وتتقاضى خمسين قرشا فى الليلة . هاجمها يوما ناقد مسرحى هجوما ظالما ، وخلعت حذاءها وضربته فى شارع عماد الدين . ووقفت كل صحف مصر ومجلاتها ضدها ، تهاجمها وتلعنها وتسخر منها ، ولكنها انتصرت عليها كلها . وكان مسرحها يمتلىء بالمتفرجين ، وكأنهم يردون على الصحف التى كانت تلعنها كل يوم !

وذات مرة اهداها أحد أصحاب الملايين سوارا ثمنه ألف جنيه ذهبا ، ورفضت ان تضع السوار فى يدها ، وفضلت أن تبيعه وتنفق ثمنه على مسرحها ، ليستمتع جمهورها بمسرحيات ممتازة . ضحت بكل شىء من أجل الفن حتى سعادتها الشخصية حتى اسرتها داست عليها ، حتى حبها . وأذكر انها قالت لى مرة انها تفكر فى الانتحار ونصحتها ألا تنتحر ، وأن تعيش وتقاوم . واستمعت

فاطمة لنصيحتى وعاشت . . ولعلها الآن تلعننى ، لو أنها ماتت فى تلك الايام لشيعت فى جنازة رسمية ، لمشى مئات الألوف وراء جثمانها . لاشترك فى الموكب الكبراء والوزراء . . . ولنشر نعيها بالعناوين الضخمة فى الصفحة الاولى . وعندما ستموت اليوم لن تجد ثمن الكفن . ولن تجد القبر الذى تدفن فيه .

وسيحمل نعشها فاعل خير ، فى موكب ليس فيه سوى النعش . وسيتساءل المارة من هى المرحومة ؟ وسيقول قائل هى فاطمة رشدى . ويستغرب الكثيرون ويسألون من هى فاطمة رشدى ؟

هكذا كانت أفكارى وأنا أشهد الفيلم فى التليفزيون ، كنت اتفرج على رواية أخرى لم يشهدها الذين يجلسون معى ، وكنت أرى خاتمة للقصة قد لا يراها سواى !

من سوء حظ النجوم انهم لا يعرفون الموعد المناسب لاسدال الستار !

زئير الصامتين

٨ أغسطس سنة ١٩٦٧

عزيزى

أنت ساخط . . وزملاؤك الصحفيون ساخطون .

فى حياتى اليومية فى السجن أسمع زملائى المسجونين الساخطين على الحياة الذين طلقتهم زوجاتهم ، والذين تنكر لهم أقاربهم ، والذين نسيهم أصدقاؤهم . كل واحد من هؤلاء يمسك فى يده ميكروسكوبا يضخم له عذر من أحبهم فى يوم من الأيام . مثل هؤلاء أحاول أن أقنعهم بوجهة نظرى فى الحياة . لا يجوز أن نحكم على كل الناس بجريمة فرد واحد . أنا أومن ان الاغلبية العظمى للناس طيبون ، ولا يجوز أن يحكم الواحد منا على ملايين البشر لان عشرة أشخاص أساءوا اليه . تماما كأن تركب طائرة إلى ستوكهلم عاصمة السويد ، وتنزل فى بيت أسرة زنجية ، ثم تعود إلى القاهرة متصورا ان كل أهل السويد من الزنوج !

تجربتى مع الحياة أكدت لى أن الارض مليئة بالناس الطيبين . رأيتهم فى كل مكان ، وفى كل مستوى ، وفى كل بلد . الذين أحسنوا إلى أضعاف الذين أساءوا إلى . حتى الذين اساءوا إلى أحاول أن أجد لهم المبررات والاعذار .

ليس معنى اننى بذرت بذرة ولم تنبت أن أترك الأرض كلها صحراء ولا أزرع فيها شيئا . أننى أحيانا أبذر بذرة فى أرض ، فتخرج الثمرة في مكان آخر غير مكان البذرة الذى زرعتها فيه , لولا إيمانى بأن الخير فى الاغلبية الساحقة للناس لكرهت الحياة . ولكنى أحب الحياة لاننى أحب الناس ، كل الناس ، بمزاياهم وعيوبهم . وعندما يسىء إنسان إلى لا ألومه . بل أحاول أن أعرف سر ما فعل ،

أحاول أن أفلسف الاساءة . ثم أتذكر انني مدين إلى ألوف لم أعرفهم ، ولم أخدمهم . المثل يقول « أعمل الخير وارمه فى البحر » وهو مثل جميل . الخير لن يغطس ابدا فى البحر ولن يغوص فى الاعماق . أنه مثل قطعة الفلين يعوم . إذا غرق الواحد منا فى بحر الزمن . فسوف يجد قطعة من هذا الفلين يتعلق بها . قد لا تكون قطعة الفلين التى ألقاها هو فى البحر . لعلها قطعة فلين ألقاها شخص آخر . لم يجدها عندما سبح فى البحر وبحث عنها فى نفس المكان الذى رماها فيه ! حبى للناس يجعلنى أحس أننى لست محروما من شيء . نعم حرمت من أسرتى الصغيرة ، وعوضنى الله فجعل كل المسجونين حولى ، هم أسرتى الصغيرة ، أمنحها حبى وأهتمامى . أفرح لفرحها وأشقى لشقائها . وليس مهما أن أتقاضى من الناس حبا يساوى الحب الذى أعطيه لهم ، فالحب ليس تجارة ، تأخذ ثمن ما تدفع . إنما الحب عاطفة لذتها أن تعطى .

وفى بعض الاحيان أتصور أننى أطلب من بعض الناس أكثر مما يستطيعون أو يتخيلون ، ذلك أن الله أعطانى حبا عظيما هو حب الناس ، وهو شيء قد أكون استمتعت به وحدى ، ربما أضعاف ما تمتع به الذين لم يعرفوا حلاوة حب الناس كما ذقتها ، ولم يلمسوا وفاء الشعب كما لمسته . وعندئذ أعذر من لا يعرفون قيمة الحب . . كيف تطلب من الذى لم يذق طعم الخوخ أن يصف حلاوته ، ومن لم ير شكله أن يصف جماله ! كل واحد منا أمسك فى يده وردة وجرحه شوكها . بعضنا نسى الشوك ولم ينس جمال الوردة وعبيرها . وبعضنا نسى كل شيء عن الوردة ولم يذكر سوى الدم الذى سال من أصابعه !

ويبدو ان نظرتى إلى الحياة تختلف عن نظرة كثير من الناس . بعض الناس يتصور اننا محكوم علينا جميعا بالاعدام ، ولا نعرف موعد تنفيذ الحكم . وأرى أنه من الخطأ ان تنظر إلى الدنيا هذه النظرة المتشائمة . الحياة جميلة جدا . ونحن نصنع حياتنا بأيدينا ، وإيماننا وحده هو الذى يجعل حياتنا جنة . . فاذا لم نعرف الله عرفنا الجحيم .

تقول لى فى خطابك أنك وتلاميذى تعيشون فى ظلام . ليل ليس له نهار .

سجن بغير باب . حياة بلا أمل . تكتبون كآلات الكتابة يدق عليكم الحاكم بأصابعه . فتتحرك حروفكم وتكتب ما يريد أنا متفق معكم فى أن هذا أسوأ ما يحدث لكتاب وصحفيين عندما يتحولون من حملة أقلام إلى حملة مباخر ، ومن قادة رأى إلى قادة مظاهرات تهتف بحياة الحاكم فوق صفحات الصحف . ولكنى لا أحاسبكم وإنما أحاسب الذين وضعوا السلاسل التى فى أيديكم . لا ألوم ألسنتكم البكماء وانما ألوم الذى قطعها . لا استنكر أيديكم المرفوعة استسلاما فى الهواء ، وإنما استنكر المسدسات التى يصوبها الطغاة على رؤوسكم .

أنا أعرف أن أعصابكم مرهقة ، فان الدوامة التى تعيشون فيها قادرة على أن تتلف أقوى الاعصاب . أعرف ان كل شيء قاحل حولكم . وأنكم تعيشون فى صحراء قفراء ليس فيها واحة واحدة من الحرية . وأن كل ما يقال غير ذلك هو سراب لخداع السذج وأطفال الصحافة . ولكنى مؤمن أن الله لن يتخلى عنكم . انى اشتريت ورقة يانصيب هى المستقبل ! . . الجائزة الاولى فى هذا اليانصيب هى الحرية الكاملة ! قد لا تكسب « البريمو » . . ولكنى مؤمن أننا لابد ان نكسب بعض الحرية ، ثم نكسب بعد ذلك كل الحرية ! المهم ألا تيأس ولا تتصور ان صراخ الطغاة هو زئير الاسود ، وانما هى أضوات الذئاب فى الغابة ! لا تصدق أن الاستبداد كسب معركته الاخيرة ، فهذه الحرب سوف تستمر ، بين خصوم الحرية وأنصارها ، إلى أن ترتفع اعلام الحرية وتنكس اعلام الاستبداد . إيمانى هذا لا يتزعزع . لا يستطيع ان يحطمه السجن ولا الوحدة ولا سوء المعاملة ولا النهار الحزين ، ولا الليل المليء بالهموم . أنا أعرفكم . انكم تشعرون جميعا فى أخبار اليوم كأنكم لا تقيمون فى أى مكان . كأنكم واقفون فى محطة تنتظرون قطارا لا يجيء . تسائلون انفسكم هل أنتم تقفون فى محطة الانتظار أم هى محطة الوصول . تنظرون حولكم فتجدون أن كل شيء كئيب . مظلم . معتم . الاقلام فى أيديكم قيود ، الصحف فى أعينكم جثث ، الأعمدة مشانق تعلق فيها الكلمات . الاخبار نشرات العلاقات العامة فى كل وزارة . الآراء هى رأى الحاكم وحده بلا شريك . المانشيتات هى اسمه يتكرر فى كل صباح كأنه واجب مفروض على كل من يشترى جريدة . الصور كلها

لرجل واحد هو الذى يبتسم ويفكر ويقف ويجلس ، ويسافر ويجىء .

هذا يحدث دائما فى كل بلد تذهب فيه صحافة الشعب وتجىء صحافة الحاكم .

انني على ثقة أن أزمة الصحافة مؤقته . هذه القيود تزعجنا ولكنها لن تقتلنا : ستبقى أصابعنا تأكلنا لنحمل الاقلام التى تتحول فى يوم من الأيام إلى مشاعل للحرية . ايماننا بالغد لا يجوز أن يضعف ابدا . الصحافة لابد ان تبعث حية . لو قطعوا لسانها فسوف يولد لها ألف لسان . يجب ان نشعر جميعا اننا أقوى من الازمات أقوى من المحن . أقوى من قيودنا وأغلالنا . ثقتى بكم تجعلنى أعتقد أنكم قادرون على أن تمشوا فوق الشوك . لقد مشيتم فى السنوات الاخيرة فوق النار . النار جعلت جلودكم أكثر احتمالا . . المشى فوق الشوك أصبح أسهل كثيرا !

اكتبوا بأقلامكم « المقصوفة » . . . اذا انتزعوا منك الاقلام فاكتبوا بأصابعكم . . لو قطعوا أصابعكم فألقوا بالنكت ! لو انتزعوا ألسنتكم فاخرجوا صامتين . . ربما يكون الصمت أعلى صوتا من الزئير !

لابد أن تنتصر الحرية !

إذا لم تستطع ان تكتب الآن فى السياسة فاكتب فى الجريمة !

كم من الجرائم ترتكب فى السياسية الآن !

اذا لم تستطع ان تكتب عن الجرائم اكتب قصصا للأطفال !

قد يفعل الاطفال فى الغد ما عجز عنه الرجال بالامس !

على بلاج ليمان طره !

في ١٢ أغسطس سنة ١٩٦٧

صديقي . . .

لا أشعر في هذه الايام برغبة في الكتابة . الحبر جف في قلمي . روحي أصابها الصدأ . كأنني كنت أسبح في البحر . وواجهت العواصف والانواء ، وأنا لا أكف عن السباحة . ثم فجأة توقفت . هل تجمدت يداى فلا تتحركان ؟ هل شعرت أنني اقتربت من الشاطيء فتركت جسمي للتيار يحمله معه ؟ لست أدري . هل أفرغت كل ما عندى ولم يعد لدى ما أقوله . على العكس ، ففى قلبي ورأسي وروحي أشياء كثيرة ، أكثر مما قلتها ، أريد أن أقولها ، ولا أعرف لماذا لا أقولها . لماذا لا أمسك القلم وأكتب . القلم كان دائما حبيبي . كان حضن « الأم » في نفسي . كلما شعرت بضيق أو فرح أسرعت إلى هذا الحضن أدفن فيه رأسي . الآن لا أفعل ذلك . ربما لان الطفل قد كبر وشاخ . ولكن لم أشعر بعد بالكبر والشيخوخة . المحن والآلام جددت شباب روحي . أعيش في السجن شبابي المبكر الذى حرمت منه . حياة ليس فيها مسئولية ولا كفاح شاق . ولا عرق مستمر . أجازة طويلة . طويلة جدا . روحي أشبه بجسد متسلق على شاطيء الزمن . أرقب مياه البحر وأمواجه في استرخاء . استمتع بالشمس وهي تسبح في البحر وتغرق فيه . بذلة السجن في المايوه الذى أرتديه وأنا أرقد على الشاطيء ! عشت طول حياتي في العواصف . في البحار الهائجة الغاضبة . كنت أشبه بقبطان باخرة كبيرة . كبيرة جدا . تسع ملايين الركاب . كنت أشعر طول عمرى كأنني المسئول الوحيد عن هذه الباخرة . كل عطل فيها . كل ثقب . وهكذا لم استطع ان أنام أو استريح أو أهدأ . كل حياتي كانت قلقا . لا أخرج من عاصفة إلا لأدخل في عاصفة أخرى . ثم هأنذا الآن راقد على البلاج . بلاج ليمان طره . . أرقب البواخر وهي تمشي أمامي ، وتختفي وتغيب . كرهت البطالة طول حياتي . لم استمتع يوما بمقعد المتفرج . كنت اتمنى أن أموت فوق

سفينتى ، أو أغرق معها . ولكن الظروف شاءت أن أجد نفسى مسترخيا على رمال بلاج الزمن ، مثلى مثل ألوف الكسالى الذين يمضون أجازاتهم راقدين على رمال بلاج المعمورة والمنتزة .

أرقد على البلاج وأرى بلدى يغرق !

وأنا مقيد بالسلاسل لا استطيع أن اشترك فى انقاذها !

التقيت هذا الاسبوع بأولادى . لقاء السلك حطم أعصابنا . بكاء ابنتى هزنى . تماسكت حتى لا أبكى معها . خرجت سريعا من الغرفة . احسست بأن أولادى يشعرون بالهوان لان الأوامر جاءت بأن تتم زيارة المسجونين السياسيين من وراء السلك شأن القتلة واللصوص ! الذين يضربوننا بالسياط لا يعرفون كم تؤلمنا . لعلهم يتصورون انهم يربتون بسياطهم على ظهورنا ! آثرت ان ألا أكتب اليك حتى تهدأ نفسى ويخف عذابى . الذين عاشوا طول حياتهم فى حب وحنان وفى دنيا من الرحمة والعاطفة يرتعشون فى جو أوامر الحكام الصارمة التى لا قلب لها . ما أصعب الانتقال من دفء الانسانية اللذيذ إلى برودة الوحشية القاتلة ! هل يجىء يوم يذوق فيه هؤلاء القساة معنى السجن وقسوة الزنزانة وعذاب لقاء الاولاد فى الليمان ؟

الحياة فى السجن ليست فترة للتكفير ، بل هى فترة للتفكير . لا عمل لنا إلا أن نفكر . خلايا عقولنا تتحرك بين القضبان أسرع مما تتحرك فى الحياة العادية . دوى الحياة خارج السجن يجعل خلايا عقولنا تبطىء ، ننشغل بأمور الدنيا وحركتها السريعة حولنا . والذين يمشون على أقدامهم يفكرون أكثر من الذين يركبون سيارة . والذين يركبون سيارة يفكرون أكثر من الذين يركبون طائرة . والذين يركبون صاروخا لا يفكرون الا فى الصاروخ . ونحن فى السجن لا نمشى ، وانما نتوقف والزمن يمر أمامنا . وأحداث الزمن لا تجرى بسرعتها العادية ، فهى عندما تمر أمامنا تبطىء . تتعثر . تتمهل . كأنها موكب المسجونين المقيدين بالسلاسل يمشى فى طابور . ويتوقف المسجون أمامنا لنفتشه .

لنتحسس كل جزء فى جسده . لنعرف ما يخفيه . ذكرياتنا تمشى أمامنا كهذه الطوابير . طوابير لا تنتهى . تذهب وتجيء . ومن هنا لا- ننسى الاحداث . لانها تمر أمامنا عدة مرات . عرفنا اسماءها . عرفنا وجوهها . عرفنا ما تخفيه من ممنوعات فى طيات اسرارها . كلما حاولت أن أنسى زادت حدة ذاكرتى . أشياء كثيرة فى حياتى كنت نسيتها ، فإذا بها تعود . بكل تفاصيلها وكل دقائقها . كل كلمة قيلت . كل لفتة . كل ابتسامة . كل دمعة . كل حركة . كل لحظة صمت . لم تعد الحياة تحسب بالسنين . أصبحت تحسب بالأيام ، ثم بالساعات ثم بالدقائق ثم بالثوانى . كل كلمة تقود إلى كلمة أمور تافهة لم أتصور أننى اتذكرها . تفاصيل طواها الزمن . أحاديث عابرة . كل هذا أصبح يتوقف أمامى . كما يحدث فى السينما عندما يثبتون صورة فى الفيلم بلا حراك . فيترك لى هذا فرصة أكبر لاتبين أشياء لم أتبينها وحياتى تنطلق بسرعة الصاروخ .

الجعان يحلم بسوق العيش ، والمحروم من الحرية يحلم بحريات لا حدود لها . مصيبتى أنه لا يعيش فى داخلى شخص واحد كباقى الناس . فى داخلى اشخاص كثيرون : الصحفى والمسجون والكاتب والسياسى والفنان . كل واحد من هؤلاء له شخصية ، وله تاريخ حياة ، وله ماض وحاضر ومستقبل . وله أفكار وأحلام . وهم يتناقشون ويتعاركون داخل روحى . . يختلفون باستمرار ، ولكنهم يعيشون معا . أسمع أصواتهم كأن كل واحد منهم يريد أن يربحنى لنفسه ، ولكنى مقسم بينهم جميعا . تائه . حائر . عزائى أنهم جميعا يحبون شيئا واحدا هو الحرية .

عندما تمر أمامى ذكريات حياتى أتصور أننى أشبه بامرأة فى استعراض أزياء . عارضات الازياء يمشين أمامها . كل شيء فيهن جذاب وجميل ورائع . كل ثوب أنيق وفتان . وهى حائرة أى فستان تختار . تتمنى لو استطاعت ان تأخذ الاثواب كلها .

وهكذا أنا لا أعرف ما أريد أن اخذ من ذكريات أيامى وليالى وما أدع . اريدها كلها . بكل ما فيها من ألوان وأشكال وأنواع . أثواب الصباح وبعد

الظهر والسهرة ! الاثواب الطويلة والقصيرة . المغلقة والمفتوحة . المايوه وفستان السواريه .

كل ذكرياتى فى حياة الحرية حلوة حتى دموعى . ليالى القلق ، والارق والسهاد ! ما أحلى طعم الاشياء التى كانت توجعنى فى الحرية ، وما أمر الأشياء التى أصبحت تسعدنى فى زنزانتى !

ذكرياتى فى الحرية تبدو أحيانا كالبلسم يشفى جراحى ، وتبدو أحيانا كالخنجر يغمد فى صدرى . . ولكن طعنة الخنجر تبدو لذيذة رائعة مثيرة . هذه الذكريات تقاوم الوحدة والسجن والموت . هى نوافذ اطل منها على الماضى وأطل منها على المستقبل . وهى قوى خفية تمنحنى قدرة على المقاومة والصمود أمام المحن . اننى لا أنوء بما احمل من ذكريات الماضى . هذه الذكريات لا تجعلنى اسقط تحت ثقلها وضخامتها ، بل انطلق إلى احلام المستقبل .

اخيرا صرحت لى مصلحة السجون اليوم بقراءة جريدة مصرية واحدة ومجلة أسبوعية واحدة . وقد كان منع الصحف عن المسجونين السياسيين عقب الهزيمة كارثة ما بعدها كارثة . . وكانت عملية تهريب الصحف إلى داخل السجن اشبه بتهريب الحشيش والافيون .

بينى وبينك . . أن الصحف المصرية فى هذه الأيام هى حشيش وهى أفيون . ولا أعرف متى « نفوق » ؟

جحيم التعذيب

ليمان طرة فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٦٧

عزيزتى . . .

كنت أول مسجون رأى الاستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين ، عندما أتوا به إلى عنبر واحد بليمان طرة . رأيته فى غرفة ضابط العنبر يرتدى بذلته العادية ، ثم طلب منه الضابط أن يخلع بذلته العادية ليرتدى ملابس السجن . لم يعترض الهضيبى . لم يطلب اخلاء الغرفة من المسجونين . خلع ملابسه ببساطة . وأرتدى ملابس السجن . كانت بذلة السجن كبيرة عليه . كانت ممزقة قذرة . ولم يتأفف الهضيبى ولم يحتج . نزعوا منه الساعة وقلم الحبر والمصحف ! وكنت أنا المسجون السياسى الوحيد الذى يعرفه الهضيبى من قبل ، فقد حقق معى وهو رئيس نيابة الاستئناف فى بلاغ قدمته الحكومة ضدى فى عام ١٩٣٩ وكانت التهمة عجيبة وهى أننى هاجمت هتلر والحكم النازى ، ومن سخرية القدر أن الحكومة أعلنت على هتلر الحرب بعد ذلك بشهور ! . . وكان الهضيبى يفيض رقة وأدبا وهو يحقق معى ، وكان يبتسم ساخرا من التهمة ، وقال لى أن الحكومة أمرت بالتحقيق لان سفير ألمانيا احتج وإنها أرادت ارضاءه بالتحقيق !

وكان من الطبيعى ان اتصل به فى زنزانته التى كانت تبعد عن زنزانتى فى الطابق الرابع بزنزانتين . وكانت التعليمات مشددة بألا أكلمه ولا يكلمنى . وألا اقترب منه ولا يقترب منى . وكنا نستطيع دائما ان نلتقى سرا فى غفلة من ضابط العنبر ومن الحراس .

ورفض وزير الداخلية أن يضع الهضيبى فى مستشفى السجن . على الرغم من أنه فى السبعين من عمره ، وأنه مريض بعدة أمراض ، ورفضوا أن يصرفوا له مرتبة . فنام على البلاط ، واعطوه بطانيتين ممزقتين قذرتين وتعاون المسجونون

السياسيون فاشتروا له بطانيتين نظيفتين !

وفوجئت بقرار من وزير الداخلية يمنع تحويل أمانات باسمه ، فلائحة السجون تسمح بأن تحول الاسرة خمسة جنيهات أو عشرة جنيهات شهريا للقاتل أو اللص أو تاجر المخدرات ليشترى ما يحتاج إليه من سجائر ومأكولات . . ولكن الهضيبى المستشار السابق بمحكمة النقض والابرام لم يسمحوا له بمليم واحد !

وتعاون المسجونون السياسيون واشتروا للهضيبى صابونة ليستحم بها ! واشتروا له بعض علب سجائر بلمونت ليدخن ، وليدفع أجر النوبتجى الذى حمل له جردل البول من الطابق الرابع إلى دورة المياه فى الطابق الاول . وكان الهضيبى يريد أن يحمل بنفسه جردل البول ، ولكننا أشفقنا عليه وعلى صحته من هذا الهوان .

وكانت المأساة الكبرى أن جميع المحكوم عليهم من الاخوان المسلمين وفى قضية حسين توفيق ممنوعون من كتابة خطابات إلى أسرهم أو تلقى خطابات من أسرهم ، وممنوعون من زيارتهم . . ومكثوا ثلاث سنوات لا يعرفون عن أسرهم أى شىء !

وكان الهضيبى مهتما بأن يسأل عن اسرة كل مسجون من الاخوان المسلمين ولم يكن يسأل عن أسرته هو . . .

وسألته لماذا لا تحاول ان تتصل بأسرتك ؟

فقال : أنا آخر واحد . . .

ورتبت مع اصدقائى خارج السجن الاتصال مع السيدة الفاضلة زوجة الهضيبى بواسطة احدى كريماته الدكتورة سعاد الهضيبى

وكانت المهمة صعبة . . فقد كان بيت الهضيبى مراقبا ، وتليفونه مراقبا . وكل فرد من أفراد أسرته تحت الرقابة الشديدة .

ومع ذلك استطعنا أن نقيم شبكة اتصالات سرية مستمرة ، واستطاع الهضيبى أن يرسل رسائل مستمرة إلى زوجته ويتلقى أنباءها باستمرار ، ويحصل على ما يحتاج إليه من أدوية وبعض الملابس الداخلية ، فقد كانت ملابس السجن الداخلية التى صرفت له ممزقة وخشنة كملابس المتسولين !

وقال لى الهضيبى أن أسرته كلها كانت فى السجن ، ولم يكن يضيق بأن أولاده أحمد أسامه الهضيبى المهندس ومحمد مأمون الهضيبى المستشار بمحكمة الاستئناف واسماعيل حسن الهضيبى المحامى وابن عمه محمد سليمان الهضيبى وأولاد شقيقه أمين الهضيبى ونجيب الهضيبى فى السجن ، ولكنه كان يضيق بأنهم وضعوا زوجته فى زنزانة فى السجن الحربى ، ووضعوا فى زنزانة ثانية السيدة خالدة الهضيبى والسيدة علية الهضيبى . وكانت عليه عند القبض عليها فى أيام حملها الاخيرة . ولم يهتموا بذلك ، ولكن عندما اقترب الوضع حاروا هل يتركونها تلد فى الزنزانة ولم يجدوا فى السجن الحربى مكانا لولادة النساء ، وخافوا من الفضيحة لو نقلوها لتضع فى مستشفى عسكرى ، وعندئذ افرجوا عنها . . .

وذكر لى الهضيبى انه تقرر القبض على الطيار يحيى حسين ، وتسرب إليه الخبر ، فاستقل طائرة وهرب إلى السودان ، وعندما جاءوا ليقبضوا عليه لم يجدوه ، فقبضوا على زوجته السيدة غادة عمار ، وطلبت هى عند القبض عليها أن تأخذ معها طفلتها الرضيع التى كان عمرها خمسة أشهر لتتم رضاعتها فى السجن ، ورفضوا ووضعوها فى زنزانة بالسجن الحربى رهينة إلى أن يسلم زوجها نفسه ! وقال انهم قبضوا على شقيقته بهية الهضيبى حرم الحاج محمد سليمان الهضيبى وهى فلاحة ريفية وقبضوا على زوجها وابنها . وذكر الهضيبى انهم قبضوا على الحاجة زينب الغزالى ، وهى فى الستين من عمرها وأنهم مشوا بها فى ساحة السجن الحربى بين المسجونين من الاخوان المسلمين الذى كانوا معلقين كالذبائح ، وأنها خاضت فى جثث المسجونين السياسيين ، وفى أشلائهم الممزقة والتى كانت مفروشة على رمال السجن الحربى ! وأنها كانت تسمع صراخهم وتقول لهم : صبرا ياأبنائى أن موعدكم الجنة . . صبرا آل ياسر ان موعدكم الجنة .

وذكر الاستاذ المرشد أنهم ضربوا زينب الغزالى وأهانوها ووضعوها فى زنزانة مظلمة مع أكثر من عشرة كلاب .

وروى بعض حراس السجن الحربى للمرشد ان اللواء حمزة البسيونى قائد السجن الحربى أمر أحد الحراس بأن يدخل زنزانة الحاجة زينب الغزالى ويغتصبها ، وصدع السجان بالامر ودخل الزنزانة وحاول ان ينفذ الامر فصرخت فيه الحاجة زينب :

- انا مثل أمك !

وعندئذ تراجع السجان ، وذهب إلى اللواء البسيونى واخبره أنه رأى امرأة فى السبعين من عمرها ، ولما صرخت فيه « أنا مثل أمك » لم يقو على تنفيذ الامر ، وعندئذ أمر اللواء حمزة البسيونى بقطع جهاز السجان التناسلى . . وتولى أحد أطباء السجن تنفيذ هذا العقاب الذى لا مثيل له فى العالم !

وكان الاستاذ الهضيبى يروى هذه القصة وهو يبكى !

وقص على الاستاذ الهضيبى ان بين نزيلات السجن الحربى عروسا قبض عليها بعد أن مضى على زفافها ثلاثة أيام . . وهذه السيدة هى عروس سيد نزيلى العواضة من كرداسة ولها قصة عجيبة ، فقد ذهب البوليس الحربى إلى قرية كرداسة بمحافظة الجيزة ليقبض على سيد نزيلى العواضة من شبان الاخوان المسلمين ، ولم يجدوه ، ووجدوا عروسه فقبضوا عليها ، وصرخت وولولت ! . . ولم يجدوه ، وسمع الأهالى صوت صراخها فتصوروا أن عصابة جاءت تخطفها ، وأجتمعت القرية كلها رجالا ونساء وضربوا ضابط الشرطة العسكرية وجنوده فولوا هاربين . وفى اليوم التالى جاءت فرقة من الجيش برياسة الفريق أول محمد فوزى والجنود بملابس الميدان والمدافع وحاصروا القرية وقبضوا على جميع من فيها من نساء ورجال ونقلوهم الى السجن الحربى ، وأوقفوهم فى ساحة السجن الحربى ، وامروا كل زوجة بأن تركب فوق زوجها وتبصق على وجهه . ومن ترفض ينهالون عليها بالسياط . ثم راحوا يضربون الرجال بالسياط أمام زوجاتهم وبناتهم وأمهاتهم . واستمر هذا التعذيب اليومى أكثر من شهر ! ثم

حلقوا « فردة » حاجب من عين كل رجل فى كرداسة وتركوا الحاجب الآخر .
وحلقوا « فردة » شنب من الناحية الأخرى . وتركوا فردة الشنب الآخر .
وأطلقوا اسم امرأة على كل رجل فى القرية وضربوا بالسياط كل رجل لا يجيب اذا نودى باسم امرأة !

وبين العرائس المقبوض عليهن فى السجن الحربى حميدة قطب وقد تمت خطبتها وهى مسجونة لمسجون معنا فى الليمان من الاخوان المسلمين . وعروس زميلى المسجون معنا فى الليمان الطيار محمد ضياء الطوبجى . وجميع سيدات أسرة سيد قطب والسيدة أم أحمد وهى فى الثمانين من عمرها .

واحضروا عبدالحميد البورديني وطلبوا منه أن يعترف بأنه عضو فى المؤامرة فلم يعترف ، فقبضوا على زوجته وابنته وعذبوهما أمامه حتى يعترف ولم يعترف .

وأمروا الزوجة بأن تمسك السوط وتضرب زوجها . . فرفضت . . فانهالوا على عبد الحميد بالسياط أمام زوجته حتى أسلم الروح .

وروى بعض اخوان محافظة الدقهلية للاستاذ الهضيبى قصة مأذون قرية البيضا الشيخ محمد عبد المقصود العزبى الذى بلغ من العمر فوق السبعين عاما ، وكيف قبضوا عليه هو وأولاده الاربعة وزوج ابنته . . وبدأوا يضربون الاولاد أمام أبيهم ويعذبونهم فلم يعترف . .

وقبضوا على ابنته وجاءوا بها إلى السجن الحربى . .

وقال له أحد ضباط التعذيب :

ـ سأستمتع الليلة بابنتك الكبرى !

وقال الضابط الثانى : لا . . أنا الذى سأبدأ !

وقال الثالث : أنا دورى بعدكما . .

وقال الرابع : أنا سأستمتع بالصغرى .

وصرخ المأذون : انني مستعد أن أوقع لكم على كل ما تريدون .

وكانت الابنة الصغرى المقبوض عليها عمرها ١٣ سنة !

وكان المنظر فى السجن الحربى يفتت الاكباد . شبان من خريجى الجامعات لا يستطيعون السير على اقدامهم من شدة الضرب فيزحفون على بطونهم . رجال يتوكأون على آخرين . مقعدون يحملهم زملاؤهم إلى دورات المياه . وجوه مشوهة ومخضبة بالدم . . كأنهم مئات من الجرحى والقتلى والاشلاء بعد معركة حربية رهيبة .

وروى بعض الاخوان للاستاذ الهضيبى كيف أمروهم بأن يلعقوا أسفلت السجن الحربى بألسنتهم . . وينظفوه بلعابهم لانه لا توجد مياه للنظافة فى السجن .

واضطروا أن يخضعوا - وبينهم أستاذ فى الجامعة - لهذا الهوان !

وفقد بعض المسجونين السياسيين عقولهم . وأصيب آخرون بانهيار عصبى . . والسعداء منهم أصيبوا بالشلل أو بالصمم أو بالعمى .

وكان كثيرون من المسجونين يذهبون الى رئيس النيابة الذى يحقق معهم محمولين فوق نقالات .

وقال الاستاذ الهضيبى أنه يعتقد ان كل هذه الجرائم سوف تتكشف فى يوم ما على الرغم من أن المسئولين فى السجن الحربى يقولون لكل مسجون يخرج من السجن سوف نذبحك اذا فتحت فمك وتكلمت عن التعذيب .

وقال أنه يعتقد أنه سيجيء يوم تنتصر فيه العدالة . ويصدر أمر بالتنقيب فى الجبل بجوار مدينة نصر عن جثث عشرات من المسجونين السياسيين ماتوا أثناء التعذيب ، وأعلنت الحكومة أنهم هربوا من السجن .

وقال لى انه كقاض يؤمن بأن هذه القضايا لا يمكن ان تسقط بالتقادم . .

وسوف يجىء يوم تتكلم فيه أشلاء الضحايا المدفونة فى الصحراء اذا لم يتكلم الشهود الذين رأوا هذه الجرائم .

وقال الاستاذ المرشد ان شابا اسمه محمد الفيومى كان من حرس الرئيس عبد الناصر ، وكان من الاخوان المسلمين ، وكان احد أبطال الرماية . .

وأنه اتهم كذبا بأنه سيقتل عبد الناصر . بينما كان الفيومى على بعد أمتار قليلة من عبد الناصر لمدة أربع سنوات كاملة ، ولو كان يريد قتله لقتله بسهولة وأراد البوليس الحزبى أن يرغمه على الاعتراف بأنه كان سيقتل عبد الناصر . .

وأصر الشاب على أن هذا كذب . . وقال انه من الاخوان المسلمين فعلا ، ولو كان الاخوان طلبوا منه أن يقتل عبد الناصر لقتله ، ولكن احدا منهم لم يطلب ذلك . . واستمر التعذيب والضرب بالسياط والتعليق ، والضرب بالاحذية حتى اسلم محمد الفيومى الروح ، ولفوه ببطانية ووضعوه فى سيارة ودفنوه فى صحراء مدينة نصر وأعلنوا أنه هرب من السجن الحربى .

ومن الطريف انهم قدموه الى الدجوى وهو ميت فحكم عليه بالسجن ١٥ سنة وهو ميت !

وروى الاخوان قصة محمد منيب عبد العزيز امين مكتبة كلية العلوم بجامعة اسيوط . لقد ضبط الشرطة العسكرية عنده خطابا فيه جملة « خذ بالك من الكتاكيت » !

وأصر المحققون الاذكياء على أن المقصود بالكتاكيت هم أعضاء الجهاز السرى فى أسيوط .

وطلبوا من منيب ان يذكر لهم اسماء الكتاكيت .

وحاول منيب أن يثبت لهم أنه يربى فى بيته كتاكيت فعلا ولم يصدقوه واستمروا يضربونه إلى ان أسلم الروح ، ولفوه فى بطانية وحملوه فى سيارة بوكس فورد إلى صحراء مدينة نصر ، ودفنوه فى رمال الجبال .

انني اشك كثيرا فى أن الشعب يعرف واحدا من ألف من هذه الحقائق البشعة .

كل الاشاعات وكل المبالغات لم يخطر ببالها ان بعض المصريين يفعلون بالمصريين كل ما فعلوه . .

وأنا أعتقد أنه لو كانت الصحافة حرة لعرف الناس كل شيء ولظهر ما أسدلوا عليه ستار الصمت .

بل لو أنه كانت هناك حرية صحافة لما جرؤ احد على أن يرتكب واحدا من ألف من هذه الجرائم .

ولكنى متفق مع الاستاذ الهضيبى فى أن الحقيقة لا يمكن أن تضيع ، وأن الظلام لن يستمر الى الابد ، وسوف يجىء يوم يعرف الناس فيه بعض ما جهلوه . . ان لم يعرفوا كل ما جهلوه !

صديقى القاتل

٣٠ أغسطس سنة ١٩٦٧

عزيزتى . . .

صدر أمر وزير الداخلية بألا أقابل أولادى وأسرتى فى مكتب الضابط كما جرت العادة ، وإنما تتم المقابلة من خلال السلك ! فأقف فى غرفة تشبه قفص القرود فى حديقة الحيوانات ، وتقف أسرتى بعيدة عنى نصف متر ويفصلنا عن بعضنا سلك غليظ .

وصدرت هذه التعليمات المشددة بعد هزيمة ٥ يونيو . كأنهم يعاقبوننا نحن عن الهزيمة التى أرتكبوها هم .

اننى سعدت بزيارة أولادى ، بالرغم من أننى لم ألمسهم بسبب السلك الغليظ . لم أضع شفتى على خدودهم بسبب السلك الغليظ لم أتبين أصواتهم بسبب بعد المسافة . ولكنى أحسست بهم تحت جلدى . لم أشعر اننى فى قفص فى حديقة الحيوانات . لم أجد فارقا بين الوقوف فى هذا المكان الضيق الخانق ، وبين الجلوس معهم فى فوتيل ضخم فى شقتى فى الزمالك . كنت اشعر أننى استرخى وأنا واقف . الضوضاء التى حولى لم أسمعها . الاسلاك لم تفصلنا . لم أكن أراها . نحن الذين نضع الاسلاك بيننا وبين الناس . ان هذه الأسلاك من أوهامنا وليست من الحديد . اننى رأيتها أشبه بخيوط وهمية مثل خط الاستواء .

لقد فقدت اليوم محمدا أحد زملائى فى العنبر . .

انه مسجون لا يقرأ ولا يكتب . هو فلاح . فيه شهامة الفلاح المصرى ورجولته . أنه من أكثر الذين عرفتهم أمانة واخلاصا . .

انه قاتل وهو صديقى .

ولقد اخترته لاخفى عنده الورق والقلم لانى ممنوع من الورق والقلم .

ووثقت به لانه مظلوم ، وقد اخترته لانني حرصت على أن تكون العصابة التى الفتها هنا لتهريب الخطابات من المظلومين ، المظلوم له قضية ، وهو عندما يدافع عن مظلوم آخر يشعر أنه يدافع عن نفسه . .

ولهذا فليس من السهل ان نشترى مظلوما ، أو أن يخون مظلوم زميله المظلوم .

وقصة محمد عجيبة . . .

كان يعمل خفيرا فى احدى العزب ، ثم قتل بعض الناس ابنه الشاب وقبض على القاتل ، ثم ظهر أنه صاحب نفوذ وسلطان فى القرية ، ولم يجرؤ أحد فى القرية على أن يشهد ضده فبرأت المحكمة القاتل . .

وفى كل ليلة كانت زوجة محمد تقول له : انتقم من الذى قتل ابنك . اقتله كما قتل ابنك .

وكان يهدىء ثورتها ويقول لها أن الله هو المنتقم .

وفى كل ليلة كانت الام الثكلى تحرض محمد على أن ينتقم لابنه . . وهو يرفض ويطلب منها ان تهدأ أو تنام . . .

وذات ليلة لم تنم الأم . قامت من فراشها فى منتصف الليل ، وأخذت بندقية محمد وخرجت من البيت .

وسمع محمد وهو فى فراشه دوى طلق نارى ، ثم رأى باب بيته يفتح وتدخل زوجته حاملة بندقيته ، وبعد دقائق سمع أصواتا تدق على باب بيته وتصيح : القاتل دخل إلى هذا البيت . . اننا رأيناه وهو يدخل حاملا بندقية . . .

وفتح محمد الباب وهو يحمل بندقيته وقال :

ـ أنا القاتل . .

ولم يكن هو القاتل . أنما أراد ان يترك الأم لترعى باقى أولاده وتربيهم .

وحكمت عليه محكمة الجنايات بالسجن ١٠ سنوات . قبلها راضيا سعيدا . . .

وهذا هو السبب الذى جعلنى اختار محمدا ليكون المخبأ الذى أخفى فيه أوراقى ، ولا يخطر ببال أحد أن يبحث فى زنزانته عن أوراق لانه لا يقرأ ولا يكتب .

وقد خرج من السجن فى العفو لمناسبة انقضاء نصف العقوبة ، وبقدر أسفى على فراقه كان فرحى بالافراج عنه . لقد كان يعيش يحسب كل ساعة باقية للأفراج عنه ، وعندما تأخر قرار الافراج كاد يفقد عقله . كان لا يأكل ولا يشرب ولا ينام . تحول إلى شبح يائس .

ومن الطريف أن كل مسجون نوبتجى يعمل معى يفرج عنه ! حدث هذا لأربعة نوبتجية فى سجن الاستئناف ، ولاثنين فى سجن القناطر ، وسابعهم فى سجن ليمان طره . . ولو استمرت هذه القاعدة مطردة فسوف اطلب من كل مسجون نوبتجى يعمل معى عدة علب سجائر فى مقابل عمله عندى !

انى امضى اغلب وقتى فى الزنزانة . انى استريح الى صمتها , , الجدران صامته . إن الصمت يطل من كل مكان حتى من النافذة المفتوحة . الصمت له رائحة غريبة . انها تشبه احيانا رائحة الموت ، وتشبه أحيانا رائحة الحياة . ولكن مع ذلك استريح فى هذا الصمت . انى فى صمتى هذا اسمع صوت دوى الدنيا . ان السكون الذى اعيش فيه لا يجعلنى انسى ان الدنيا تسير بسرعة هائلة . سرعة تجعلنى ادوخ فى بعض الاحيان ، وأنا أحاول أن أتابع الاحداث وهى تمضى متلاحقة . وفى هذا الصمت أسمع حياتى تتكلم . ان الاشياء الضخمة فيها لا تثيرنى ، والاحداث الهائلة فيها لا تهزنى . ان تاج الصحافة الذى كان فوق جبينى كان ثقيلا على رأسى . وضربات المطارق على جبهتى لم تجعلنى اترنح . انتصاراتى لم تبهرنى . وهزائمى لم ترعبنى . ان أشياء صغيرة كانت تسعدنى وتشقينى . كانت تفرحنى ابتسامة استطيع ان ارسمها على شفاه

محرومة . كانت تعذبنى دمعة لا استطيع ان أمسحها من عين مظلوم ، لم أنس أبدا يدا امتدت إلى بالخير . وأنسى كل يد امتدت نحوى بالاساءة . اننى دائما اجد اعذارا للناس . واذا لم اجد لهم اعذارا اختلقت لهم الاعذار والمبررات ! ولا أشعر فى وحدتى داخل الزنزانة أننى منبوذ . ان متاعبى وآلامى لا تدخل معى إلى الزنزانة . انها لم تسجنى وانما انا الذى اسجنها خارج زنزانتى . أتجول بعينى أحيانا داخل الزنزانة فأجد أن كل ما فيها يتنهد . الكرسى يتنهد . الترموس يتنهد . كوب الماء يتنهد ويخيل لى أن السرير الذى يحتوينى يتنهد أيضا . وأتطلع إلى السرير الحديدى الأبيض ، وأحاول أن أترجم تنهداته . أحاول أن أجعل سريرى يحدثنى عن الذين ناموا فيه قبلى . كم ظالما منهم وكم مظلوماً ؟ كم بريئا وكم مجرما ؟ كم مريضا وكم متمارضا ؟ كم عاش منهم وكم مات ؟ كم ناموا ملء أجفانهم وكم بقيت عيونهم سهرانة لا تنـام كم أغمضوا عيونهم ليحلموا وكم فتحوها وتخيلوا الاحلام ؟ كم عدد الذين ارتعشوا من البرد القارص وكم الذين عرقوا فى الصيف اللعين ؟

من حسن الحظ ان السرير ليس له لسان ، فسوف تكون كارثة لو كانت كل السراير لها ألسنة تحكى وتتكلم وتذيع الاسرار . ان سريرى هو أقرب صديق لى فى السجن اننى أعيش معه أضعاف ما أعيش مع أى صديق آخر .

أننى أنام فيه ، واستعمله كمقعد ، واستعمله كسرير ، واستعمله كمائدة طعام ، واستعمله كمكتب ، فأننى اقرأ فيه الكتب المهربة والرسائل المهربة والصحف والمجلات المهربة . وهذا السرير أشبه ببساط الريح . انه يحملنى الى أنحاء العالم . وأشعر أحيانا أنه تعب معى . ان من عادتى ان اتعب الذين أحبهم واستريح اليهم . أنا مثلا فى بيتى توجد عشرات المقاعد . ولكن مقعدا واحدا فى غرفة المكتب كنت استريح فيه . كنت أشعر انه أحن على من أى مقعد آخر . كان فى مسنديه الخشبيين وفى وسادته القطنية عواطف وحنان وحب اكثر من أى مقعد آخر فى البيت كله .

والناس اشبه بالمقاعد والأسرة . فنحن لا نجلس فى اجمل مقعد ولا فى أغلى

مقعد ولكننا نحب المقعد الذى نستريح فيه .

بعض الناس اشبه بالأم فى لعبة الاستغماية التى كنا نلعبها ونحن أطفال . عندما كنا نعدو إلى مكان الأم يتوقف الاطفال الذين يحاولون امساكنا عن اللحاق بنا . ان هذا هو مكان الامان . عندما نصل إليه يذهب الخوف .

وأنا أشعر أن أصدقائى وتلاميذى هم الأم التى أجد فيها الامان . . هم المقعد الذى يريحنى ، وأنجعص فيه ، وأمد ساقى واسترخى .

ولكن هذا المقعد اصبح بعيدا عنى . لا استطيع ان المسه . الا أننى مع ذلك أحس براحة لان هذا المقعد موجود . لم يؤمم . لم يوضع تحت الحراسة . لم يدخل السجن . أشعر أن روحى تجلس فيه ، تنجعص ، تستريح ، تشعر أنها فى أمان .

وأحيانا أحس اننى لا أزال ألعب الاستغماية ، لا أزال اجرى والظلم يجرى خلفى ، ومع ذلك أشعر باطمئنان إلى أن الام موجودة . الغريب أننى كثيرا ما أشعر ان هذه الأم ليست اصدقائى وحدهم ولا تلاميذى وحدهم . . بل الشعب كله .

وأحس ان هذا المقعد المريح الكبير سوف يحتوينى فى يوم من الايام وسوف يحميني .

وفى أحيان اخرى احس اننا نلعب لعبة عسكر وحرامية وان التغيير الوحيد هو ان الحرامية هم الذين يجرون وراء العسكر . وان اللصوص هم الذين يطاردون الاشراف . وانه سيجىء يوم يعتبرون كل رجل شريف خارجا على النظام ، كما اعتبروا قبل ذلك كل رجل يؤدى الصلوات الخمس بانتظام متآمرا لقلب نظام الحكم !

الهضيبى مع الكلاب
فى زنزانة واحدة

ليمان طره أول سبتمبر ١٩٦٧

عزيزتى . . .

فى حوالى الساعة الثامنة صباحا يفتح السجان باب زنزانتى . انها مغلقة الباب منذ الساعة الرابعة مساء أمس . أخرج اتمشىٔ بعض الوقت إلى أن يتم اعداد افطارى . وهو مكون عادة من البيض والجبن والعيش الناشف . وقد عودت نفسى على عيش السجن . كان من أكبر الازمات التى صادفتنى منع الثلج عنى . مع الوقت عودت نفسى على الماء الفاتر . كنت أتصور أن الحياة مستحيلة من غير ماء مثلج ، ثم اكتشفت انه بعد أن تحرم من الحرية تستطيع أن تحرم من أى طعام أو شراب دون أن تشعر بضيق . بعد الافطار أعود إلى التمشى مع المسجونين العاديين .

كان قد صدر أمر لا أختلط ولا أتحدث مع أى مسجون . وألا أغادر الطابق الرابع . وبقيت أسبوعين فى داخل زنزانتى لا أخرج منها . ومع ذلك لم أشك ولم أحتج ولم أتذمر ثم صدر أمر وزير الداخلية بأن أمشى مع المسجونين العاديين ولا أمشى مع المسجونين السياسيين .

وصدر أمر آخر بناء على الحاح الاطباء بأن أذهب يوميا لعمل تحليل البول ، وعمل أشعة على العمود الفقرى مرتين فى الأسبوع . وكانت هذه الرحلة اليومية تريحنى كثيرا . ثم صدر الامر بألا أذهب إلى المستشفى سوى ثلاث مرات فى الاسبوع . ثم صدر الامر بأن أذهب مرتين فقط . ثم أصدر وزير الداخلية أمرا بألا أذهب إلى المستشفى على الاطلاق . ثم احتج الاطباء وقالوا أنه كان يجب على وزير الداخلية ان يصدر قرارا وزاريا بشفائى من أمراضى قبل أن يصدر قرارا بمنعى من الذهاب إلى مستشفى السجن . وتردد ان الصحف الاجنبية

ستكتب عن هذا القرار العجيب ، وعندئذ صدر أمر وزير الدخلية بأن أذهب إلى مستشفى السجن كل يوم .

وأخرج من المستشفى وأعود إلى العنبر ، ولا أتضايق من صعودى درجات سلم الطوابق الاربعة ، رغم مرضى بالنقرس والروماتيزم ، فانني أذكر في كل مرة ، كيف كنا نصعد معا سلالم أخبار اليوم إلى الطابق التاسع . ثم يغلق باب زنزانتى عند الظهر لمدة ساعتين ويسمون هذه الفترة التمام . وفى هذه الفترة اقرأ ما عندى من كتب مهربة أو صحف مهربة ، ثم يفتح باب الزنزانة فأعود إلى التمشى أمامها إلى أن يجىء موعد فسحة العصر فأنزل إلى فناء العنبر لأتمشى نصف ساعة ، إلى أن تحين الساعة الرابعة بعد الظهر فأعود إلى الزنزانة ، وتقفل أبوابها ، وعندئذ أتناول غدائى الذى هو عشائى فى نفس الوقت . وكم تمنيت فى الماضى أن ألغى طعام العشاء حتى يخف وزنى ، وكنت قبل دخولى السجن أفشل فى هذه المحاولة . ونجحت فى الغاء العشاء وأنا فى السجن تطبيقا لمبدأ ضرورة الاستفادة من الكوارث .

وعندما انتهى من غدائى ارقد فى فراشى واستمع لاذاعة السجن فاسمع بعض الموسيقى والتعليق على مباريات الكرة . ونشرة الاخبار والتعليق السياسى . وأنا أهتم بالتعليق السياسى لانني أعلم ان الرئيس عبد الناصر هو الذى يكتبه بنفسه ، إذ يضع خطوطه العريضة . وطبعا أشعر بضيق بسبب قرار وزير الداخلية بمنع الصحف والمجلات العربية والاجنبية عنى ، ولهذا ألجأ إلى عملية التهريب المضنية ، وعملية إخفاء هذه الممنوعات الخطيرة حتى لا يضبطوها أثناء التفتيش اليومى . . ومع ذلك لا يمر الوقت بسرعة . وكنت أمضى بعض الوقت فى إعادة قراءة خطاباتكم . ولكن صدرت تعليمات ألا احتفظ الا بخطاب واحد فى زنزانتى وسوف أسلم أسرق الخطابات التى عندى . لانني أعتبرها خطابات تاريخية ، وسوف أعود إليها فى يوم من الأيام . وأننى أطلب منكم أن ترتبوها وتنظموها بحيث يطلع عليها المؤرخون . فانها تشرح فترة خطيرة فى تاريخ مصر . إعتقد ان مئات الكتب سوف تؤلف عنها . ولا أعتقد ان كثيرين يجرؤون على أن يكتبوا مذكرات صريحة عنها . وعندما أضطر

إلى تمزيق خطاب من خطابات تلاميذى وأصدقائى أشعر كأننى أمزق قطعة من قلبى . ولقد فكرت أن أكتب قصة جارى المسجون فى زنزانة بجوارى الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين . وهى قصة شائقة لا أظن أن أحدا يعرفها .

قال لى :

عندما كنت طالبا فى مدرسة الحقوق كنت أعيش وحدى فى مدينة القاهرة . كان ذلك فى أوائل القرن الحالى . وكنت أبحث عن بيت أسكنه ، ولكنى كنت أضطر أن أعزل من كل شقة أسكنها ، لان ساكنات البيت كن يطاردننى ! وكنت شابا مؤمنا عفيفا أخشى الله . ومضيت إلى حى السيدة زينب أبحث عن شقة خالية فى بيت ليس فيه نساء . وكنت أمر على حارة اسمها حارة الشيخ سليم . ولا أدخلها . لاننى لم أتصور أن فيها شققا خالية . وفجأة رأيت رجلا على ناصية حارة الشيخ سليم فسألت : هل توجد هنا شقق خالية ؟

فقال الرجل : نعم يوجد هنا شيخ طيب مؤمن مدرس عنده شقه فاضية .

وذهبت إلى هناك . وطرقت الباب ، ففتحت لى فتاة الباب ، فاستغفرت الله وقررت أن أعود أدراجى . وأحرجت من نظرتها البريئة فقلت : هل عندكم شقة خالية ؟ قالت : نعم .

فقلت : ومن هو صاحب البيت . قالت : أنا . . .

وأردت أن اتراجع ، ولكن رفعت عينى واكتشفت أن البنت صغيرة ولا خوف من الفتنة منها .

ثم أقبل والدها الشيخ ، واستأجرت منه سلاملك البيت . وإذا بى اكتشف اننى أحببت هذه الفتاة الصغيرة من أول نظرة ولكن لم أقابلها ، ولم أكلمها . ومكثت ست سنوات أسكن فى هذا البيت ، وأنا سعيد بأننى بقرب هذه الفتاة

التى لم أكن ألمحها إلا طيفا .

وكان يعجبنى فى هذه الفتاة انها تصلى ، وأمها تصلى ، ووالدها يصلى . وكنت أنا ضد سفور المرأة .

ثم حدث أن أصدر قاسم أمين كتابه الذى يدعو فيه إلى السفور . ولم أقرأ هذا الكتاب .

وإنما قرأت الاتهامات التى انصبت على قاسم أمين فى الصحف وتحمست ضد الكتاب وضد السفور .

وأقيمت مناظرة فى مدرسة الحقوق على السفور . ووقفت أنا فى المناظرة اعارض السفور بعنف .

وبعد ذلك سألنى أحد زملائى الطلبة : هل قرأت كتاب قاسم أمين . . . ؟

فقلت : لا . . .

فنصحنى أن أقرأ الكتاب ، وقرأته وذهلت ، ووجدت أنه ليس فى كتاب قاسم أمين أى خروج عن الشرع ولا عن الدين .

ثم سافرت إلى بلدى ، وإذا بأخى يقول لى أن فلانة بنت صاحب البيت الذى تقيم فيه فى القاهرة قد تقدم لخطبتها الدكتور محجوب ثابت .

فانزعجت ، وأسرعت اتقدم إلى خطبتها ، وقبل والدها . وتمت الخطبة ، وكان أول ما فكرت فيه أن أرسل لها كتاب قاسم أمين لتقرأ فيه .

ثم أصدر قاسم أمين كتابه الثانى « المرأة الجديدة » فأهديته لها ، وأهديت لها كتاب التربية الاستقلالية الذى ترجمه عبد العزيز محمد .

واستمرت خطبتنا ست سنوات ، لا أراها ولا ترانى ، ثم حصلت على الليسانس وتزوجتها .

وفى يوم الزفاف لاحظت انها وضعت على وجهها قليلا من البودرة .

فقلت لها : ليس هذا هو الوجه الذى أحببته .

فذعرت . . فقلت لها : اننى أحببت وجهك كما خلقه الله .

فأسرعت وغسلت وجهها ، ولم تضع بودرة أو مساحيق على وجهها منذ ذلك اليوم .

وقبل أن أدخل بها دعوتها أن نصلى معا شكرا على هذا الزواج .

وعادة يبدأ العروسان ليلة زفافهما بالقبلات ، ولكنها بدآها بالصلاة .

وقال لى الاستاذ الهضيبى انه وهو طالب دخل الجمعية السرية التى تألفت سنة ١٩١٠ للاغتيالات ، وأقسم اليمين الخاصة بعضويته للجمعية ، ثم قتل إبراهيم الوردانى رئيس الوزراء بطرس غالى باشا . وقبض على عدد من أعضاء الجمعية وتفرق أعضاؤها . وترك حسن الهضيبى الأعمال السياسية ، وتفرغ للمحاماة ، وأختار أن يكون محاميا فى مدينة سوهاج .

وعاد الهضيبى يقول لى :

ـ كان من رأيى أن تكشف زوجتى عن وجهها ، ولكن زوجتى قالت لى أنها مؤمنة بالسفور ولكنها لا تستطيع أن تسفر وحدها عن وجهها . .

وقامت ثورة ١٩١٩ وإذا بالصحف تنشر أن سعد زغلول كان فى أحد الاجتماعات الشعبية ورأى ابنة الشيخ على يوسف وعلى وجهها الحجاب ، فمد سعد يده ونزع الحجاب . .

واعتبر المصريون ان هذا أمر من زعيم الثورة بنزع حجاب المرأة ، وعندئذ نزعت زوجتى حجابها . .

وروى لى الهضيبى التعذيب الذى تعرض له فى السجن الحربى عام ١٩٦٥ :

ـ وضعونى فى زنزانة فى السجن الحربى . وكانوا يعلمون أننى رجل يصلى ويخشى النجاسة ، فوضعوا معى فى الزنزانة ١٥ كلبا ، وأمضيت فى هذه الزنزانة ستة أيام ، وكانت الكلاب تقفز فوقى ، وتشد ملابسى ، وتتبول على رأسى ، وترمى قاذوراتها على بذلتى . وكانت الكلاب تتشاجر فيما بينها . كان عدد الكلاب الاناث أقل من عدد الكلاب الذكور ، فكانت الكلاب الذكور تتشاجر على الانثى وتتضارب ، ثم يخطف أقوى الكلاب الكلبة التى اختارها ، يحدث كل ذلك وأنا أصلى !

وفى أول الأمر كنت أشعر بالذعر من هذه الكلاب ، ثم أسلمت أمرى إلى الله وتركتها تفعل بى ما تشاء ، وأنا منزو فى ركن الزنزانة وكانت الكلاب تشاركنى فى الطعام الذى يقدمونه لى ، وأنتظر حتى تشبع ، ثم أتقدم لآكل بقايا الكلاب !

وبعد ستة أيام جاء جندى وصحبنى إلى وكيل النيابة المحقق .

وأشار وكيل النيابة إلى كرسى أمامه وقال :

ـ تفضل أجلس .

فاعتذرت وقلت له : أخشى أن يتسخ الكرسى .

فدهش وكيل النيابة وقال : لماذا ؟

قلت له : لان الكلاب تركت كل قاذوراتها على ملابسى .

وأمر وكيل النيابة بإرسالى إلى الحمام ، وذهبت إلى الحمام لأستحم ، وارتديت ملابس أخرى ثم بدأ التحقيق . .

ورفض وكيل النيابة أن يسجل فى التحقيق ما قاله حسن الهضيبى عن التعذيب الذى تعرض له وعن الخمسة عشر كلبا التى تعيش معه فى زنزانة واحدة .

واستطرد الهضيبى يقول :

ـ بعد التحقيق أعادونى إلى زنزانتى فوجدت فيها ثمانية كلاب فقط وتصورت أن وكيل النيابة طلب تحسين معاملتى فأنقصوا عدد الكلاب من خمسة عشر كلبا إلى ثمانية فقط ، ثم سألت أحد الحراس عن الكلاب السبعة الاخرى التى شاركتنى الزنزانة فقال لى أنهم قبضوا على مسجون سياسى آخر واحتاجوا إلى الكلاب السبعة لتشاركه زنزانته .

وذات يوم أقبل على أحد الحراس وقال لى :

ـ ياابن الشرموطة !

وانتفضت فى زنزانتى وكأن عقربا لدغتنى ، وقلت للحارس

ـ حرام عليك . . ان أمى رحمها الله كانت سيدة طيبة . . . واقتحم حارس آخر الباب ، وفى يده كرباج يلوح به وقال :

ـ قل أن أمك شرموطة . . والا فسأضربك بالكرباج إلى أن تموت .

وفجأة خيل إلى أننى أرى طيف أمى يخرج لى من جدار الزنزانة وسمعت صوتها يقول لى :

ـ قل لهم ياحسن انى شرموطة . . ولا تدعه يقتلك .

قلت والدموع فى عينى وأنا أنظر إلى الكرباج :

ـ نعم . . نعم كانت أمى شرموطة .

وقهقه الجندى وأغلق باب الزنزانة .

وبقيت أنظر إلى الكلاب الثمانية وأنظر إلى نفسى وأتساءل : هل كان هذا هو صوت أمى فعلا ، أم أن هذا هو صوت الفزع والرعب ؟ هل كان أشرف لى أن

أموت بالكرباج على أن أنطق بهذه الكلمة بفمي .

وأحسست بعد ذلك أن عدد الكلاب فى الزنزانة لم يعد ثمانية فقط ، انما أصبحت تسعة وأنا هو الكلب التاسع .

وحاولت أن أبكى فلم أجد دموعا فى عينى . حاولت أن أصرخ فلم يخرج صوتى . ولم أجد ما أفعله سوى أن أقوم وأصلى . .

وطلبت من الله أن يغفر لى الكلمة النابية التى نطقت بها . ويظهر أنه كان يبدو على التعاسة والعذاب والهم والألم ، لان الكلاب وقفت تنظر إلى فى دهشة . لأول مرة صمتت الكلاب عن نباحها وعوائها وشجارها ، ووقفت تنظر إلى فى اشفاق . .

وانتهى الهضيبى من رواية ما حدث له والدموع تملأ عينيه .

ولم أجد ما أقوله له سوى أنه عندما تغيب العدالة والحرية والديموقراطية عن بلد يصبح كل أهلها كالكلاب .

حتى ولو كان أحد هؤلاء رئيس جماعة كبيرة كالاخوان المسلمين وكان قبل ذلك مستشارا بمحكمة النقض والابرام .

قال باسما لأول مرة :

ـ يعامل عندئذ كأنه أكبر الكلاب .

السر الذى أخفاه المرشد العام

ليمان طره فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتى . . .

أمضيت وقتا طويلا مع الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين وجارى فى الزنزانة . وتحدث عن رأيه فى الاغتيال السياسى ، فقال أنه من حق الشعب عندما يحتله جيش أجنبى أن يقاومه بالرصاص . ولكنه لا يوافق على أن يقتل الناس خصومهم فى الرأى .

وروى لى أنه دخل الأزهر ومكث فيه سنة واحدة ولم يستفد شيئا . ثم دخل مدرسة باب الشعرية الابتدائية ، ثم مدرسة الخديوية الثانوية ، وكان فى أول الأمر تلميذا منْطويا على نفسه ، يتفرج على الأحداث ، ولا يشترك فيها .

وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا التحق بمدرسة الحقوق الخديوية ، وقد سميت كذلك نسبة إلى الخديو عباس . وذات يوم اتصل به زميله الطالب أمين صدقى وحدثه عن دخوله جمعية سرية تعمل ضد الانجليز . ورحب بأن يدخل الجمعية ، وأقسم على القرآن والمسدس ألا يفشى أسرارها لاى مخلوق . وكانت هذه الجمعية تنقسم إلى عدة خلايا . وكانت الخلايا لا تعرف بعضها . وكانت الخلية السرية مؤلفة من خمسة أشخاص : رئيس وأربعة أعضاء . وكان زملاء الهضيبى فى الخلية الطالب حسن مختار رسمى الذى أصبح فيما بعد وكيلا لوزارة المالية ورئيسا لمجلس ادارة شركة غزل المحلة . والطالب مغازى البرقوقى الذى أصبح بعد ذلك قاضيا ونائبا وفديا ووكيلا لمجلس النواب ، وأمين صدقى الذى أصبح بعد ذلك محاميا وحصل على دكتوراه فى الحقوق ، والطالب عبد الخالق عطيه الذى أصبح وكيلا لمجلس النواب . وكان الزعيم محمد فريد هو رئيس الجمعية السرية .

وكان كل عضو من أعضاء الجمعية السرية مكلفا بأن يجند عضوا آخر . وكان لحسن الهضيبى زميل فى الفصل يأتمنه ويثق به ، فعرض عليه ان ينضم للجمعية السرية ، فوافق بعد ان سأل عن غرضها ، فقال له الهضيبى أن غرضها قتل الانجليز وعملاء الانجليز . ورحب الصديق بالفكرة . ولكنه فى اليوم التالى عاد يقول أنه رأى نفسه فى المنام فى الليلة السابقة يخنق أخته ففزع ، ولهذا فهو عدل عن الانضمام إلى الجمعية السرية ، وأسقط فى يد الهضيبى ، وأسرع إلى رئيس خليته يبلغه ما حدث ، وأسرع رئيس الخلية إلى قيادة الجمعية يبلغها بما جرى . وعقدت القيادة محكمة لمحاكمة حسن الهضيبى . أخذوه إلى شقة فى بيت مهجور ، فى حى سحيق ، وأدخلوه غرفة مظلمة . وجلس ثلاثة شبان إلى مائدة فوقها قرآن ومسدس ، وكان الشبان الثلاثة يخفون وجوههم بأقنعة سوداء . وبدأ القضاة السريون يحاكمون حسن الهضيبى يوجهون له اسئلة ويجيب عليها . ثم أصدروا حكمهم بأنهم تبينوا من التحقيق الذى أجروه ان حسن الهضيبى لم يفش لصاحبه سر الجمعية وأنهم لو كانوا شعروا من المحاكمة بأنه أفشى أسرارها لقتلوه على الفور رميا بالرصاص . وأنهم لهذا يصدرون عليه حكم البراءة .

وتنفس الهضيبى الصعداء ، وكان من حسن حظه أن زميله كان كتوما . فلم يفش سر صاحبه لاحد ، ولكن الهضيبى تعلم من هذا درسا لم ينسه طوال حياته ، أن يكون حذرا ، وأن يكون كتوما . . . .

وذات يوم أصدرت قيادة الجمعية أمرا إلى الخلية السرية بأن تستعد للقيام بعملية هامة ، وهى الهجوم على قسم شرطة السيدة زينب ، والاستيلاء على كل ما فيه من أسلحة . وتسليمها إلى قيادة الجمعية .

وعقدت الخلية السرية اجتماعا وضعت فيه خطة الهجوم على قسم الشرطة ، ووزعت على أفرادها الادوار التى سيقوم بها كل واحد منهم . وذهب أعضاء الخلية وعاينوا مكان القسم . وأختاروا الوقت الملائم للهجوم ، وهى الساعة التى عرفوا فيها أن عدد الجنود فى القسم يقل إلى حده الادنى . وتحددت ساعة

وقالت لهم قيادة الجمعية إنها عملية إنتحارية قد يموتون فيها جميعا .

وعاد الهضيبى ليلتها إلى بيته فى حارة سليم بالسيدة زينب ، وأحرق كل أوراقه ، وبدأ يصلى استعدادا لكى يموت شهيدا ، وألقى نظرة على ابنة صاحب البيت التى كان يحبها ، وكان يريد أن يتزوجها ، وكانت نظرة طويلة ، لانها كانت فى شعوره النظرة الأخيرة ، ثم أغلق نافذة السلاملك الذى كان يقيم فيه ، وعاد يصلى لله وللوطن من جديد .

وعند منتصف الليـــل دق الباب . وتصور الهضيبى ان المؤامرة انكشفت ، وأن البوليس جاء ليقبض عليه ، وتقدم إلى الباب يفتحه ، وإذا بأحد زملائه أعضاء الخلية السرية يبلغه أن قيادة الجمعية قررت تأجيل العملية الانتحارية ، وسأل عن السبب فقيل له أنه ليس من حقه ان يسأل عن السبب . وسأل عن موعد التنفيذ القادم ، فقال صاحبه ان الأوامر ستصدر فى الوقت المناسب .

وبعد ذلك أطلق إبراهيم الوردانى الرصاص على بطرس باشا غالى رئيس الوزراء لانه اتفق مع الانجليز على الحكم الثنائى فى السودان وأراد تجديد اتفاقية قناة السويس .

وسقط رئيس الوزراء قتيلا . وقبض على عدد من أعضاء الجمعية . . وعرف الهضيبى عندئذ أن جمعيته هى التى اغتالت بطرس غالى . فهل كانت الفكرة فى أول الامر هى مهاجمة قسم السيدة زينب والاستيلاء على أسلحته ليستعملها أعضاء الجمعية فى هجوم جماعى على مجلس الوزراء يقتلون فيه رئيس الوزراء . ثم رأى إبراهيم الوردانى أن يقوم بهذه العملية وحده بغير شركاء . وأن يقتل رئيس الوزراء عند خروجه من رياسة مجلس الوزراء وحده بدل عشرة أشخاص كان المفروض ان يقوموا معا بهذه العملية . ان حسن الهضيبى لم يعرف هذا السر أبدا . كل ما يعرفه ان أحد أعضاء جمعيته قتل رئيس الوزراء ، وأن العملية الانتحارية التى كان مكلفا بها لم تتم .

ولم يقبض البوليس على حسن الهضيبى بين عشرات من أعضاء الجمعية الذين قبض عليهم للاشتباه . ولم يتطرق الشك إلى أحد أن هذا التلميذ المنزوى الطيب المطيع هو عضو فى الجمعية السرية التى أمر الانجليز بالقبض على جميع أعضائها .

وانفرط عقد الجمعية . ولم يعرف الهضيبى كيف انفرطت ولماذا انفرطت ولكنه عرف أن خليته لم تعد تتلقى أوامر أو تعليمات .

ثم حدث ان حكمت المحكمة بالسجن لمدة ستة أشهر على الزعيم محمد فريد لأنه كتب مقالا هاجم فيه الخديو والانجليز . وهرب محمد فريد إلى أوربا . وأختلف رأى الشبان فى قرار الزعيم الوطنى . كان من رأى فريق أنه بعد أن قيدت الصحافة عقب مصرع بطرس غالى . وبعد أن بدأت مطاردة الوطنيين . أصبح مجال العمل ضيقا أمام محمد فريد . فهو سوف يكون فى أوربا مطلق اليدين يهاجم الاحتلال البريطانى والخديو كما يشاء ويقلب العالم ضد الاحتلال والفساد فى مصر . وفريق آخر كان يرى ان واجب محمد فريد كان يقضى عليه ان يدخل السجن ، ولا يتخلى عن مكانه داخل المعركة ، وأن يبقى ليقاوم ويؤلب الشعب على الاحتلال . وكان الهضيبى يؤيد هذا الرأى الاخير . . . فقد شعر أن الجيش أصبح بلا قائد ، وأن العلم الذى كان يجمعهم اختفى فجأة ، وزاد فى إيمانه أنه رأى أفراد خليته السرية حيارى تائهين . ثم لم يلبث أن رآهم تفرقوا . لا يجتمعون ، ولا يتناقشون ، كأن محمد فريد عندما خرج من مصر أخذ مع حقائبه روح مصر !

وفى سنة ١٩١٤ أعلن الانجليز الحماية على مصر . وخلعوا الخديو عباس حلمى وأعلنوا الأمير حسين كامل سلطانا على مصر .

وشعر الهضيبى كأن خنجرا أغمد فى ظهره . ثم ما لبث أن أحس بخنجر أكبر يغمد فى قلبه . أعلن الانجليز الحماية على مصر ، ولم يتحرك أحد من المصريين . لم تقم مظاهرة واحدة . لم يلق حجر واحد على الجنود الانجليز الذين

ساروا فى موكب من قشلاق قصر النيل الى قصر عابدين يزفون السلطان الجديد إلى عرش مصر ، على أسنة حراب الاحتلال . .

وأسرع الهضيبى الى زملائه اعضاء الخلية السرية ، واذا بالفجيعة تمزق قلوبهم . العمل الوحيد الذى قام به بعض المتحمسين منهم أن وضعوا فى عنقهم أربطة سوداء ! . . كانت الكرافتة السوداء هى العلم الوحيد الذى رفعوه . شعر الشباب المصرى فى تلك الايام المريرة بالشقاء والذل والخزى والعار . أحسوا أن شرف كل واحد منهم لطخ بالوحل والطين . أحذية الجيش البريطانى داست على رؤوسهم جميعا . أحسوا أكثر بالحاجة الى القائد . راحوا يقولون : لو كان محمد فريد موجودا فى مصر لعرف كيف ينظم المقاومة ، وكيف يرد على صفعة الاحتلال . وأوقف أمين الرافعى اصدار جريدته فضل أن يحطم قلمه على أن ينشر فى جريدته نبأ ان مصر أصبحت تحت الحماية البريطانية . . . أما جريدة المقطم التى كان يصدرها الدكاترة فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس ، فقد أصدرت ملحقا بعناوين ضخمة فى الصفحة الاولى « بشرى للأمة المصرية . أعلان الحماية البريطانية على مصر » !

وكان هذا العنوان المخزى أشبه بكفن وضعت فيه جريدة المقطم جثة الشباب الوطنى فى مصر . ولكن شباب مصر دفن ولم يمت . الصدمة المفاجئة جعلته يتسمر فى مكانه بلا حراك . واختفاء محمد فريد من مصر كان أشبه باختفاء المنارة التى كانت تضىء للسفن الهائمة فى أثناء العاصفة .

وأعلن السلطان الجديد تغيير اسم مدرسة الحقوق الخديوية إلى اسم مدرسة الحقوق السلطانية .

وأذاع قصر عابدين أن عظمة السلطان قرر أن يشرف مدرسة الحقوق السلطانية بزيارته .

وكان بناء مدرسة الحقوق مجاورا لقصر عابدين . وتحدد يوم الزيارة . .

وفرشت ممرات المدرسة بالرمل الاحمر . ورفعت الاعلام استعدادا لمقدم السلطان .

وفى يوم الزيارة تلقى طلبة مدرسة الحقوق بطاقة مطبوعة بأن فلانا الطالب بالمدرسة توفى إلى رحمة الله وستشيع جنازته من منزله رقم ١١ شارع المناخ فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وعلى جميع طلبة مدرسة الحقوق الاشتراك فى تشييع الجنازة .

وكانت الساعة الحادية عشرة هى الموعد المحدد لزيارة السلطان .

وكان العنوان المكتوب فى البطاقة هو عنوان محل جروبى فى شارع عدلى الآن .

وترك الطلبة المدرسة ، وذهبوا لتشييع الجنازة الوهمية . وفى جروبى تناولوا الجاتوه والحلوى على روح الفقيد المزعوم !

ودخل السلطان حسين الى المدرسة فلم يجد فيها طالبا واحدا .

وجن جنون السلطان . هاج وماج وثار . وعرف أن طلبة اكبر مدرسة عالية فى مصر فى ذلك الحين ارادوا أن يلطموا السلطان لطمة علنية عقابا له على توليه عرش مصر فى ظل الحماية البريطانية .

وقام السلطان ولم يقعد ، وقام الانجليز ولم يقعدوا ، وقامت الحكومة ولم تقعد . هذه ثورة ضد السلطان وضد الانجليز وضد الحكومة . وقبض على عدد كبير من طلبة مدرسة الحقوق ، وقبض على صاحب المطبعة الذى طبع بطاقة الدعوة لحضور الجنازة .

وعرض النائب العام على صاحب المطبعة كل طلبة مدرسة الحقوق ليتعرف على الطالب الذى طبع بطاقة الجنازة .

ولم يتعرف صاحب المطبعة على واحد منهم ، وقال ان الشخص الذى جاء لطبع البطاقة كان اكبر عمرا من هؤلاء الطلبة .

وهنا عرضت النيابة اساتذة مدرسة الحقوق على صاحب المطبعة . فقال ان المجرم الاثيم ليس واحدا منهم .

والواقع ان المجرم الاثيم لم يكن طالبا ولا مدرسا فى مدرسة الحقوق وانما كان عربجيا ! . . كان العربجى الذى يقود العربية الحانطور التى تملكها اسرة الطالب فؤاد حمدى . وتحمله كل يوم الى المدرسة .

ولم يخطر ببال النائب العام أن يعرض على صاحب المطبعة جميع العربجية الذين يحملون طلبة الحقوق الى المدرسة .

وأصدرت الحكومة قرارا بفصل عدد من طلبة الحقوق نهائيا ، وعدد آخر لمدة عامين ، وعدد ثالث لمدة سنة واحدة .

وكان حسن الهضيبى أحد الذين فصلوا لمدة سنة واحدة . .

وحاول الطلبة ان يتظلموا فوجدوا أن كل الأبواب مغلقة فى وجوههم . لا أحد يجرؤ على أن يتوسط لهم والسلطان ثائر ، والانجليز حانقون ، والحكومة غاضبة . . ثم سمع الهضيبى من زملائه المفصولين أن سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية التى عطلها الانجليز يتعاطف معهم . وذهب مع بعض زملائه وقابلوه ، فإذا به يهنئهم لانهم أعادوا الاعتبار للشعب المصرى عندما لطمه السلطان ! واذا به يقول أنه سيبذل كل ما يستطيع لرفع الظلم عنه ، وأنه لا يملك أى سلطة ، ولكنه يعتبر نفسه ممثل الشعب الذى انتزعت سلطاته باعلان الحماية . ودهش الهضيبى لان رجلا فى الستين من عمره يتكلم بلغة الشباب . . وبعد خروجه من بيت سعد زغلول قال لزميل له :

ـ هذا الرجل يستطيع أن يقود مصر بدلا من محمد فريد .

قال له زميله :

ـ مستحيل . . مستحيل

وبعد أربع سنوات قامت ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول . وصدقت نبوءة الهضيبى .

وكان طلبة الحقوق المفصولون هم أول الذين مشوا وراء سعد زغلول وأشعلوا الثورة .

***

وروى لى الهضيبى سرا خطيرا وهو أن عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز السرى للاخوان المسلمين زاره فى بيته بعد قيام الثورة بفترة غير قصيرة ، وأخبره ان الرئيس جمال عبد الناصر استدعاه إلى بيته فى منشية البكرى ، وطلب منه أن يسافر إلى ايطاليا ، ومعه عدد من زملائه ويقتلوا الملك فاروق .

وأنه أعطاه الاسلحة اللازمة والمبلغ الكافى لمصاريف الاقامة والسفر .

فقال عبد الرحمن السندى : لا استطيع ان اقوم بهذه المهمة قبل أن استأذن المرشد العام .

فقال الرئيس عبد الناصر : يمكنك ان تستأذنه كما تشاء .
واستطرد الاستاذ الهضيبى وقال لى :

ـ قلت لعبد الرحمن السندى بالحرف الواحد : لا تقتله ! انك اذا قتلته فكأنك قتلت مسلما بلا جريمة . افهم ان نقاتل اعداءنا ونحن فى معركة . اما أن نقتلهم بعد ان استسلموا فهذا ضد الشرع والدين , والملك فاروق استسلم للثورة , , وتنازل عن العرش . وترك البلاد ، ولم يعد خطرا على مصر فلماذا تقتلونه الآن . . أنا أرفض الموافقة على جريمة قتل .

وذهب السندى وابلغ حديثى الى عبدالناصر ، واعاد له الاسلحة والفلوس .

لماذا إنتحر عبد الحكيم عامر ؟

١٧ سبتمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتى . . .

كم كنت اتمنى لو كنت بجانبى فى هذه الأيام لنشهد الأحداث معا ، وأسمع تعليقاتك وملاحظاتك ، القدر شاء أن يعيش الصحفى الأول فى مصر بعيدا عن أحداث مصر المتلاحقة التى تبدو أشبه بشريط سينمائى وبسرعة فائقة تجعل المشاهدين يلهثون وكأنهم يعدون وراء الاحداث بسرعة الصاروخ . انى أتصور نفسى لو كنت خارج السجن فى هذ الأيام . . لو كنت جالسا فى مكتبى في أخبار اليوم . كان من المؤكد أن أصاب بالذبحة الصدرية . كنت سأبقى فى مكتبى وآكل فى مكتبى وأعيش فى مكتبى . حتى أسقط مغشيا على . ويظهر أن الله شاء أن يحرم بلادى التعسة من فكرى ورأيى وجهودى ، ولهذا وضعنى فى هذا المخبأ . ربما شاء القدر ان يضعنى فى ثلاجة حتى لا أصاب بالعفونة . .

انى فى دهشة من انتحار المشير عبد الحكيم عامر . إذا كان لم ينتحر بسبب هزيمة ٥ يونيو ، فكيف ينتحر لان الرئيس أراد ان يجعله نائب رئيس الجمهورية . ولا يجعله قائدا عاما للقوات المسلحة ؟ وكم مرة اختلف المشير والرئيس فلم يفكر عبد الحكيم فى الانتحار؟ ان المنشور فى الصحف عن الانتحار يثير الريب والشكوك . وقد سمعت أن الرقابة كانت تتدخل فى كل سطر فى حادث الانتحار ، وتشطب سطورا وتضيف سطورا. وسمعت أن بعض فقرات من تقرير النائب العام عن الحادث قد شطبت ,, لقد لاحظت فى السنوات الاخيرة خلافات عديدة بين المشير والرئيس . ولاحظت ان عبد الحكيم كان يضيق باستئثار الرئيس بكل السلطات . . كان فى أول الامر متحمسا لجمع السلطات فى يد عبد الناصر ، متصورا انها عندما تكون فى يد عبد الناصر تكون فى يد عبد الحكيم . وعندما شعر عبد الحكيم أن عبد الناصر

استعمله فقط ليسلب السلطات من باقى زملائه ويستأثر هو وحده بها ضاق بهذا الوضع . ولاحظت فى اجتماعاتى بعبد الناصر انه يهاجم كل الذين حول عبد الحكيم فيما عدا شمس بدران .

وكان يقول دائما ان عبد الحكيم تحت سيطرة الذين يقيمون له الليالى الحمراء ! وليس صحيحا ان عبد الناصر فوجىء بأن عبد الحكيم متزوج من برلنتى عبد الحميد ، فالمؤكد أنه كان يعرف بقصة هذا الحب من أوله ، ويعرف من عبد الحكيم نفسه انه قرران يتزوج من برلنتى ولم يعترض عبد الناصر ، وقد كنت اشك فى وقت من الأوقات ان عبد الناصر سكت عن هذه العلاقة حتى يغرق عبد الحكيم ، وحتى تسوء سمعته ، وعندئذ يسهل التخلص منه .

ولقد لاحظت ان الدولة هى التى سربت إلى صحف الخارج قصة زواج عبد الحكيم العرفى ، وقصة الطفل عمرو الذى رزق به عبد الحكيم من برلنتى ، واعترف به عبد الحكيم . والمقصود من هدا النشر هو القضاء على سمعة عبد الحكيم ، بحيث ينشغل الناس بغرامياته وينسون كيف مات ولماذا مات ؟ . . وأنا أتصور أنه بالقضاء على عبد الحكيم تم القضاء على كل أعوانه وانصاره فى الجيش ، فالذين كانوا يحبونه أحبوه لعلاقات شخصية معه ، وليس لارتباطهم بمبادىء معينة . . . ولا أتصور أن الاظلام التام الذى أحيط به حادث المشير سوف يستمر إلى الابد ، بل ان التاريخ كثيرا ما حدثنا عن أحداث مماثلة احيطت بالكتمان واسدلت عليها الاستار ، ثم جاءت الايام وازاحت التراب عن الاسرار المدفونة تحت الارض .

ولا أتصور انه سيخلف احد عبد الحكيم فى صداقة عبد الناصر ، بل لا أصدق ان أحدا من الذين حول عبد الناصر سيرث نفوذ عبد الحكيم . ستبقى دائما مسافة كبيرة بين عبد الناصر وبين من حوله ، وسوف يعاملهم كأتباع لا أصدقاء . وستتضاعف وحدته ويزداد انعزاله عن الناس ، وسوف يصبح من المستحيل تقديم النصح له . ولهذا فانى اختلف مع الذين يقولون ان خلاص عبد الناصر من عبد الحكيم سوف يخلصه من الطابع العسكرى ، وسيجعله

يتجه الى الديموقراطية والحريات . على العكس ، أن حكايته مع عبد الحكيم ستضاعف من شكوكه فى الناس . وسيزداد اعتماده على أجهزة المخابرات والمباحث ، وسيزداد اعتمادا على الجيش كقوة تحافظ على الآمن أكثر من اعتماده عليه كقوة تحارب خارج الحدود .

ومن الغريب أنه فى يوم انتحار المشير صدرت أوامر غريبة من وزارة الداخلية الى السجن . هى انقاص عدد السجاير التى أتسلمها ! ويظهر أن الذى أصدر هذا الامر كان فاضيا جدا فى هذا اليوم فلم يجد شيئا يفعله سوى اصدار هذا الامر الغريب .

وهكذا فى الوقت الذى يتوهم فيه السذج ان الفرج قريب تصدر الاوامر بتضييق النطاق حولى . كأننى المسئول عن انتحار المشير . ولم اهتم بهذا القرار فقد كنت مشغولا بتحليل الاحداث السياسية الكبرى التى تجرى الآن على البلاد . ولقد عودت نفسى من زمن على ان تصدر كل يوم قرارات متناقضة بشأنى . فمرة يتقرر منع الطعام ، ومرة يتقرر منع السجائر ، ومرة يتقرر منع الصحف ، ومرة يتقرر منع الرسائل ، ومرارا يتقرر أن تكون مقابلاتى مع أسرتى من خلال السلك الذى يشبه قفص القرود .

وكل هذه القرارات لم تهز أعصابى . ولم تشغلنى عن متابعة الاحداث التى تأخذ كل وقتى . .

اننى اذكر ان عبد الناصر كان يهاجم باستمرار امامى الفريق سليمان عزت قائد البحرية والفريق صدقى محمود قائد الطيران ، ويقول « انهما لا ينفعان » وأنه تعب فى اقناع عبد الحكيم باخراجهما من منصبيهما ، ولكن عبد الحكيم متمسك بهما . وكان عبد الناصر يضيق بالشلة التى حول عبد الحكيم . ويغار من أن الضباط يحبون المشير أكثر منه وكان ينسب هذا إلى أن « سيف المعز مع عبد الناصر ، ومال المعز مع عبد الحكيم » أى أن الضباط يرهبونه هو لانه يقطع الرؤوس ، بينما يحبون عبد الحكيم لانه يغدق عليهم مال الدولة بغير حساب .

وقد لاحظت ان الذين حول عبد الحكيم يحبونه . ولكن الذين حول عبد الناصر يخافونه . الذى بجوار عبد الناصر كان مستعدا ان يفعل نفس الشيء مع أى رجل آخر يعطيه نفس السلطة ونفس النفوذ ونفس السلطان . وسوف ينقلب على عبد الناصر اذا وجد من يعطيه سلطة اكبر ، وسوف ينقلب مع عبد الناصر اذا وجد ان السلطة اقل . والذين كانوا مع عبد الحكيم يحبونه لكرمه ولطيبة قلبه ولصراحته ، وهم مطمئنون إلى أنه لن يقدر عليهم ، أو لن يتآمر ضدهم ، أو لن يغضب عليهم لسبب تافه . ولكن القول بأن سبب الخلاف هو الديمقراطية وحماس عبد الحكيم لها وتمسك عبد الناصر بالدكتاتورية ، هذا القول أشك فيه كثيرا . ان عبد الحكيم كان يطالب بالديمقراطية كلما اختلف مع عبد الناصر ، فاذا تعانقا وتصالحا . عاد وتحمس للدكتاتورية ، ونسى مطالبته بالديموقراطية ، إنه مثلا كتب خطابا لعبد الناصر يطالب بالديمقراطية ، ومع ذلك قبل أن يكون رئيسا للجنة الاقطاع بعد ذلك بأربع سنوات ، وأصدر كثيرا من القرارات الاستبدادية التى لا تستند إلى دستور أو قانون ، وقد كان دائما يعتبر القانون شيئا ضد الثورة ، وان الثائر الحقيقى هو الذى يدوس على كل قانون ، حتى لو كان هو الذى وضع هذا القانون .

ولا أتصور ان وفاة عبد الحكيم سوف تجعل عبد الناصر يحتضن الديموقراطية حتى يسلب من عبد الحكيم أنه هو نصير الديموقراطية الوحيد . .

عبد الناصر بطبيعته الآن لا يستطيع ان يحكم حكما ديموقراطيا . لقد كان فى أول الثورة متحمسا حماسا كبيرا للحكم الديموقراطى وكان زملاؤه يقولون أن هذا « حماس تكتيكى » الغرض منه هو التخلص من الاحزاب الموجودة ومن الدستور القائم . . وكان المفروض ان يكون مجلس الثورة هو الذى حل محل البرلمان ، ولكنه لم يطق مجلس الثورة وحله . . . ثم أدى الانفصال إلى تأليف مجلس الرياسة ، ولم يطق عبد الناصر مناقشات مجلس الرياسة وحل المجلس بعد أن جعله كمية مهملة !

وفى أواخر هذه السنوات لم يكن يطيق مجلس الوزراء ولا مناقشات

الوزراء . . وقد كان فى أول الامر صبورا على المناقشة ولكنه بعد مرضه أصبح يثور على الذى يعارضه .

وقد حدث مرة ان قلت له أن بعض الوزراء يشكون من انهم يعينون فى الوزارة ، ويبقون فيها سنوات ويخرجون منها ، دون ان يقابلوا عبد الناصر ! . . وقال عبد الناصر أنه لا وقت عنده لمقابلة الوزراء . فقلت له أنه من الممكن ان يعقد مجلس الوزراء مرة كل اسبوع . قال : هذا كثير . . . سوف اعقده مرة كل اسبوعين .

وفعلا بدأ يعقد مجلس الوزراء مرة كل اسبوعين . . . وبعد اسابيع قليلة توقفت الاجتماعات ، وقال لى عبد الناصر ان الوزراء يضيعون وقته بكلامهم الفارغ !

واليوم يعودون الى الكلام عن عقد مجلس الوزراء من جديد ويظهر ان هذا كان نتيجة السخط العام بأن ما حدث لمصر من هزيمة هو نتيجة الحكم الفردى ، وأن الرئيس لا يستشير الوزراء . . . وهذا اتجاه طيب وأرجو ان يستمر . . .

ولقد كان عبد الناصر يروى دائما حكاية مشهورة فى تاريخ الرئيس ابراهام لنكولن رئيس جمهورية الولايات المتحدة . . وهى أنه عقد مجلس الوزراء برياسته ، وعرض على المجلس اقتراحا . وجرى التصويت على الاقتراح .

فاذا تسعة وزراء ضد الاقتراح . والرئيس لنكولن وحده مع الاقتراح وعندئذ قال الرئيس :

ـ اذن وافق مجلس الوزراء على الاقتراح !

وكان هذا هو السبب الوحيد لاعجاب الرئيس عبد الناصر بالرئيس لنكولن !

ان فى رإيى انه اذا كان عبد الحكيم عامر انتحر فسبب ذلك هو خيبة أمله فى

عبد الناصر ، لانه ادخله الحرب وهو يؤكد له ان اسرائيل لن تحارب ، وأنه أراد ان يجعله كبش الفداء ليحمله وحده مسئولية الهزيمة .

أما اذا كان عبد الحكيم لم ينتحر ، فسيكون سبب مصرعه هو خيبة امل عبد الناصر فيه . لقد تعود عبد الناصر فى الخلافات الماضية أنه ما يكاد يجتمع بعبد الحكيم بعد الخلاف حتى ينهار عبد الحكيم متأثرا بحبه لعبد الناصر ويغرق فى الدموع ، ويتبادلان القبلات ، ولكن فى المرة الاخيرة وجد عبد الحكيم صلبا ، لا يقبل أنصاف الحلول ، لم يغرق فى الدموع . . . وعندئذ وجد الذين حول عبد الناصر أن عبد الحكيم قد تغير ، وأصبح من الممكن أن يكون خطرا ، وأن برلنتى عبد الحميد غيرته وجعلته واسع المطامع ولهذا رأوا ضرورة التخلص منه . .

وعلى كل فسيبقى مصرع عبد الحكيم لغزا الى سنوات طويلة .

شوربة من هيلتون

٧ أكتوبر ١٩٦٧

عزيزتى . . .

من الحوادث الطريفة التى وقعت لنا ان أحد زملائنا المسجونين السياسيين لم يعجبه الطعام الذى يطهيه لنا مطبخ الليمان ، وأفهمنا أنه « اسطى باشا » وأنه خبير فى صنع أفخر المأكولات ، وأنه اذا اتيح له فرصة العمل فى مطبخ الليمان فسيقدم لنا أشهى أنواع الطعام . . .

وتحمسنا للفكرة ، واستطعنا أن نقنع الضابط المشرف على المطبخ بتشغيله فى المطبخ .

ووعدنا بأن يصنع لنا شوربة كالتى يقدمها فندق هيلتون للزبائن .

واحضر الزميل حلة كبيرة جدا وضع فيها فول مدمس ، ثم وضع فوقه شوربة عدس ، ثم وجد بقدونس فى حديقة الليمان فاقتلعه ووضعه كما هو فى الحلة ، ووجد كرات مع أحد المسجونين فوضعه فيها ، ثم وضع فلفل وشطة ، وصرف السجن جبنة بيضاء فوضعها فوقها . .

وحدث أن كان أحد المسجونين يمر أمام المطبخ . وتوقف وخلع حذاءه فاذا بالحذاء يقفز ويسقط فى الحلة . .

وتقدم المسجون نحو زميلنا الطباخ الماهر وقال له :

ـ أسف ان حذائى وقع فى الحلة !

ومد الطباخ يده داخل الحلة ثم اخرج حذاء المسجون وسأل المسجون :

ـ هل هذا حذاؤك ؟

فقال المسجون : لا .. موشى دى .

وظهر ان عددا من الاحذية سقط قبل ذلك فى الحلة .

وقال المسجونون السياسيون ان السبب فى كثرة الاحذية هو كثرة المسجونين الذين ذاقوا هذه الشوربة العجيبة ، أو أنهم أرادوا أن يعبروا عن رأيهم فى الشوربة فألقوا عليها الاحذية .

وبينى وبينك كانت هذه الشوربة ألذ من الشوربة التى اعتاد الليمان ان يقدمها لنا ! !

تدبير انقلاب عسكرى فى السجن ؟

١٠ اكتوبر سنة ١٩٦٧

عزيزتى . . .

استيقظت من النوم فوجدت فى داخل زنزانتى اثنين من ضباط المباحث وثمانية من المخبرين يملأون زنزانتى الصغيرة . فتحوا الباب بهدوء أثناء نومى ، ودخلوا على أطراف أصابعهم . ودهشت وأبديت أسفى أن الزنزانة صغيرة ولا يستطيع العشرة أن يتحركوا فيها ، وخرج ضابط وستة مخبرين ، وبقى ضابط ومخبران . وراحوا يفتشون كل مليمتر فى الزنزانة . يقرأون كل خطاب . يبهدلون الملابس . يضعون أيديهم فى جيوب بدلة السجن ، يتحسسون قماش البدلة خشية أن أكون أخفى فى ثناياها ورقة ، يفتحون زجاجات الدواء ويفرغون الحبوب التى فيها . وبعد ذلك فتشونى شخصيا . فتشوا ملابسى الداخلية . ثم فتشوا كل مكان فى جسمى قالت الصحف ان المشير عبد الحكيم عامر كان يخفى فيه السموم . ثم فتشوا الشبشب الذى فى قدمى . وبدأوا يدقون الجدار بأيديهم بحثا عن مخابىء سرية قد أكون صنعتها لأخفى فيها الممنوعات . ثم انبطحوا على بلاط الزنزانة يبحثون عن مخابىء تحت البلاط . ثم مدوا أيديهم بين قضبان نافذة الزنزانة يبحثون عن مخبأ فى الجدار الخارجى . وبان عليهم الذهول لانهم لم يجدوا شيئا .

وأرسلوا يستنجدون بالضابط الآخر الواقف أمام الزنزانة فدخل وبدأ يفتش من جديد ، ويتفنن فى البحث عن أمكنة لاجراء التفتيش وكان مهتما اهتماما خاصا بجردل البول ! وفى الوقت نفسه وقف عدد من المخبرين تحت نافذة زنزانتى فى فناء السجن حتى لا أرمى من النافذة شيئا , , واكتشفت أنهم يبحثون عندى عن جهاز ارسال وديناميت ومنشورات . وضحكت كثيرا وأنا أرى خيبة الأمل فوق وجوههم . وكان فريق آخر مؤلف من ضابطين و ٢٥ مخبرا يفتشون

باقى زنازين المسجونين السياسيين . حتى لا أكون قد خبأت المفرقعات والقنابل عند أحد زملائى من المسجونين السياسيين .

وأخبرنى الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين أنهم مكثوا ساعة يفتشون زنزانته ، ويقلبونها رأسا على عقب ، وأنه علم من أحد الضباط الذين فتشوه أن لدى المخابرات تحريات تقول انه وأنا نعد من داخل السجن انقلابا مسلحا ضد الحكومة ، وأننا نخفى داخل السجن الاسلحة التى سوف يستعملها المسجونون السياسيون عندما ينقضون على السجن ، ويقبضون على الحراس والضباط ، وينطلقون للاستيلاء على الحكم . وان لدى جهاز ارسال اتصل به بقوات عسكرية فى الثكنات المحيطة بالليمان ، وأن الاتفاق تم بين الهضيبى وبينهم على اخفاء الذخائر داخل ليمان طرة لتكون بعيدة عن أى شك . وضحك الهضيبى وقال أنه يعتقد أن المسئول الذى أجرى هذه التحريات لابد انه اكثر من تدخين الحشيش حتى وصل إلى كل هذه النتائج والاقتراحات .

ومن الغريب أننى فى الليلة السابقة تلقيت هدية من أحد أصدقائى عبارة عن جهاز راديو ، ورفضت ان أتسلمه ، لان الراديوهات ممنوعة فى الليمان ، وأهديته الى مسجون غير سياسى .

***

أفكر احيانا فى شقتى فى الزمالك . أحن اليها وأنا أسترجع ذكرياتى فيها . الذكريات هى السيقان الخشبية التى نستعين بها على المشى عندما يحولنا الزمن الى مقعدين . ولكن هذه السيقان الخشبية تتحول أحيانا الى اطراف صناعية حقيقية كالتى استطاع الجراحون اخيرا تركيبها فى الجسم ، فجعلوا المقعدين يتحركون ويقفزون ويجرون . فى هذه الشقة نبضات قلبى . اننى اعشق الحجر . اتصور ان هذه الاحجار الجامدة الصماء ليست جامدة ولا صماء . فيها بقايا أنفاس . بقايا زفرات . بقايا أنين . بقايا ضحكات .

لقد عشت فى هذه الشقة منذ عام ١٩٤٩ أى ١٨ سنة أدفع ايجارها بانتظام

وأرادوا أن يطردونى منها ويرغمونى على التنازل عنها فى اثناء المعركة ليقيم فيها ضابط برتبة فريق ! حتى لو أخذوا منى هذه الشقة فاننى سوف أسكنها بذكرياتى . . لا أحد يستطيع ان يستولى بقرار جمهورى على ذكريات انسان !

انى أحب الارض لاننى اتخيل انه مشت فوقها اقدام عشاق وحالمين . . اعشق الزهر لاننى اتصور ان فى رائحته أنفاس محبين . لا أنظر للأشياء بظواهرها ، وإنما بما هو خلفها . أرضية الصورة هى التى تصنع جمالها . الظلال الباهتة فيها هى التى تبرز روعتها احيانا اطل من نافذة عنبر السجن المطلة على شارع الكورنيش . فأرى غلائل السحب الرقيقة تحاول ان تخفى جمال السماء ، كما كان يحاول اليشمك الابيض فى أيام جداتنا ان يخفى وجه حسناء فاتنة الجمال . أنا لا أتطلع الى اليشمك ، ولا أتسمر أمام الحجاب ، بل تقفز عيناى لارى الجمال المختفى خلفه . فقد أرى التراب فوق بعض البيوت الجرداء ، ولكن الغبار لا يستوقف نظرى . أرى تحت الغبار جمال الناس الطيبين الذين يعيشون فى هذه الاطلال والاكواخ . قد ألقى نظرة على شجرة جافة ورقها شاحب أصفر ، فروعها ذابلة فلا يقذى عينى ان الخريف جردها من ورقها الاخضر الجميل ، ولكن بصرى يمتد إلى الربيع فلا أرى الا الشجرة وهى مورقة مزهرة جميلة مخضرة .

وعندما التقى بملكة جمال فى شيخوختها ، كنت لا أرى التجاعيد فى وجهها وانما ارى شبابها قبل أن يذهب ، ونضارتها قبل أن تذبل . السنون لا تقف بينى وبين الجمال . أنا لا أحب ما أراه ، وانما ما أبصر . ولست أعرف هل هذه هى خاصة بى وحدى ، أم أن كل الناس مثلى ؟ من حسن حظى ان بصيرتى أقوى من بصرى . وكلما ضعفت عيناى قويت بصيرتى . ولهذا فان الشوارع الكئيبة المعتمة المهجورة تذكرنى بميادين الحياة المشرقة الباسمة . كأننى اسمع من بعيد أجراس الحياة تدق بعنف وأنا جالس فى زنزانة الصمت . الوحدة القاتلة تنقلنى إلى الحياة خارج الجدران بضوضائها ورنينها ، بسرعتها وبطئها ، بصرخاتها وضجيجها ، بدويها المروع وصمتها المخيف . فى هذا كله اسمع صدى انغام

حلوة والحان عذبة كلمات رقيقة وهمسات ناعمة تسكبها ذكرياتى واحلامى . فى اذنى .

وعندما انظر حولى وأرى بلادى لا أرى حاضرها التعس وانما أشهد مستقبلها المشرق . لا تفجعنى خرائبها وإنما تثيرنى أحلامى بما سوف يقوم فيها من عمارات ومشروعات ومصانع . فى رأيى ان مصر سيكون لها أكبر مستقبل فى هذه المنطقة كلها ، والذى تسمعونه الآن ليس أنين الحاضر ، بقدر ما هو مخاض المستقبل .

انى أمضى وقتى فى سماع اذاعة السجن وتتبع أنباء المعركة الذى تريد ان تقوله الاذاعة والصحافة للناس انه لن تمضى أيام حتى نكون قد اعلنا الحرب من جديد ، وحولنا الهزيمة إلى نصر .

وقد كنت أتمنى أن نكون تعلمنا من الهزيمة ألا نعود إلى الكذب وخداع أنفسنا .

ويبدو أننا مصممون على أن نرتكب كل الاخطاء . . لاننا نعيد أنفسنا . . ونعيد كل شىء فينا . . حتى أخطاءنا .

المعركة سوف تطول . . سوف تستمر سنوات . ويجب ان يعد الشعب لذلك . ويجب ان يعلم انه لن ينتصر الا اذا فكوا قيوده أولا . . الحرية هى الخطوة الأولى للنصر . .

ايمانى لا يتزعزع بأن مصر سوف تنتصر باذن الله . هذه المعركة هى معركتنا كلنا لانها معركة مصيرنا وحياتنا وأحلام شعبنا . وفى هذه الظروف يجب أن ينسى كل فرد فينا آلامه الشخصية ولا يذكر الا مصلحة وطنه . أننى كما قلت لك أفضل أن أعيش سجينا فى بلد منتصر ، على أن أعيش طليقا فى بلد مهزوم .

التعذيب مستمر

٩ نوفمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتى . . .

لا أعرف هل أكتب لكم أكثر من اللازم ؟ هل أرهقكم بالاكثار من الكتابة ؟ قلت لكم قبل الآن أننى أجد لذة فى الكتابة إلى الذين يحبوننى . . كلما وجدت نفسى وحدى أشعر أننى فى حاجة إلى أن أمسك بقلمى وأكتب إلى كل الناس . أن أكتب طويلا . ولا أنتهى من الكتابة أبدا . لعل السبب فى ذلك أننى تعودت طول حياتى أن أكتب إلى الملايين . أحدثها . أناجيها . أفتح لها قلبى . ربما لاننى أحس ان الذين يحبوننى يشعرون أنهم فى وحدة . الحياة فى ظل إنعدام الحرية هى وحدة مريرة . الخوف والصمت أشبه بجدار الزنزانة . ربما أشعر أننى ألعب لعبة استغماية مع الحياة ، أصدقائى هم الأم أخفى فى حجرها رأسى فلا يمسكنى من يحاولون إمساكى وإخراجى من اللعبة .

الكتابة فى السجن ليست أمرا سهلا . تحتاج إلى مجهود شاق واحتياطات للوقاية من الضبط ومع ذلك أجد هناء فى هذا المجهود . ولذة فى هذه المحاولات . المسجون الذى يضبطونه يكتب أكثر من خطابين فى الاسبوع يضعونه فى التأديب . والتأديب زنزانة ليس لها نافذة كالزنزانة التى وضعونى فيها عندما دخلت الليمان . ينام المسجون على الأرض . لا سرير ولا مرتبة . يرتدى بدلة زرقاء أما واسعة جداً يهرهر فيها ، وأما ضيقة جدا يختنق فيها . يأكل من طعام السجن الملعون . يمنع من تدخين السجائر . لا يفتح باب الزنزانة إلا خمس دقائق فى اليوم ليذهب إلى دورة المياة ومع ذلك فاننى أغامر وأكتب وأكتب ، وأجد فى تهريب رسائلى إلى الخارج ، واستقبال الرسائل المهربة إلى داخل السجن متعة تحدى هذه الانظمة الظالمة ! وبهذا التهريب تصل خطاباتى لكم بسرعة ، وتصلنى خطاباتكم بسرعة الصاروخ . . .

وقد يهمكم أن تعرفوا كيف تصل خطابات أسرتى التى تصل بالطريق الرسمى . تذهب أولا إلى مكتب أركان حرب السجن ، وبعد أن يفتحها ويقرأها يرسلها إلى مكتب بريد الليمان ، وبعد ذلك ترسل إلى ضابط العنبر ، وبعد أن يقرأها يوقع عليها ، ثم يرسلها مع المسجون النوبتجى الذى يعمل فى مكتبه . وهو رجل فى السبعين من عمره . قصير القامه . أسمر الوجه . له لحية بيضاء . يحمل دفترا . وعندما يصل إلى خطاب يقفز المسجون ساعى البريد درجات السلم أربعا فى أربع ، وكأنه يحمل إلى بشرى الافراج . وفى يوم الاحد الماضى عندما أحضر خطاب ابنتى الذى فيه أن بعض الصحف فى الخارج نشرت أنباء الافراج عنى كان يرقص ، وكانت لحيته ترقص معه . وذكر لى أن ضابط العنبر قال أن نبوءته قد صدقت . فقد قال له أن مصطفى أمين سيفرج عنه ، وهذا الخطاب يؤيد ذلك . وأخذ ساعى البريد المسجون يصرخ بأعلى صوته معلنا نبأ الافراج ، والتف حوله زملائى المسجونون السياسيون يريدون أن أقرأ الخطاب عليهم . كل مسجون منهم يتوهم أن معنى الافراج عنى هو الافراج عنهم جميعا .

أنا الذى سوف افتح لهم باب السجن ! وهم يدعون لى وكأنهم يدعون لأنفسهم بالأفراج . ولقد رويت لهم ما فى الخطاب ، ولولا الفضيحة التى سببها لى ساعى البريد لما قلت شيئا . فأنا لا أريد أن يبنوا قصورا فى الهواء . وفى هذه الأيام تتوافر الاشاعات بشدة عن قرب الافراج عنى . وقد قال لى مدير السجن أن العادة جرت ألا يسجن المسجون السياسى أكثر من عامين ، ثم يفرج عنه . هكذا حدث لابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء السابق ، ولفؤاد سراج الدين وزير الداخلية السابق ، ولمحمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق ، ولعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية السابق ، ولرشاد مهنا الوصى السابق على العرش ، ولغيرهم وغيرهم من الضباط الذين اتهموا بتدبير مؤامرات وحكم عليهم الفريق الدجوى بالاشغال الشاقة المؤبدة .

قلت له لقد توسطت لدى الرئيس عبد الناصر عن الافراج عن بعض

هؤلاء ، وتوسط المشير عبد الحكيم عامر للافراج عن أكثرهم وأنا الآن فى السجن ، والمشير فى القبر ، والذين حول الرئيس الآن من رأيهم وضع نصف الشعب المصرى فى السجن ، لا الافراج عن المسجونين السياسيين .

وقال لى مدير السجن أن من رأيه أن أكتب خطابا للرئيس اذكر له أمراضى وأطلب منه الافراج عنى .

فقلت له اننى عندما كنت على صلة وطيدة بالرئيس لاحظت انه لا يتأثر بخطابات الشكوى من المسجونين ، وهو يعرضها على زواره ، ليروا كيف أن فلانا الذى كان يبدو بطلا خارج السجن تحول الى أرنب داخل السجن . .

وحدث مرة أن سمعت أن اللواء محمد نجيب أرسل خطابا من معتقله إلى الرئيس عبد الناصر . . فانتهزت فرصة مقابلتى للرئيس وسألته عن فحوى هذا الخطاب . . وفوجئت بالرئيس يقول لى : أنا لم أقرأ هذا الخطاب .

قلت : ولكنى سمعت ان محمد نجيب أرسله لك منذ أسبوعين .

قال عبد الناصر : نعم وصلنى الخطاب منذ أسبوعين ، ولكنى لم أفتحه ، وتركته مغلقا كما هو فى مكتبى .

وعندما رأى الرئيس دهشتى ، قام من مكانه واتجه إلى مكتبه ، وفتحه وأخرج الخطاب مغلقا ، وقد كتب على الغلاف من : اللواء أركان حرب محمد نجيب . . .

وفض الرئيس الخطاب فإذا به من محمد نجيب عن ظلم تعرض له أحد أولاده . .

وطوى الرئيس خطاب محمد نجيب وإنتقل إلى موضوع آخر . وقلت لمدير السجن : فإذا كان هذا مصير خطاب رئيس الجمهورية السابق فما بالك بمصير خطابى . انى أكتب لجمال عبد الناصر عن رأى سياسى ، وعن استعدادى

لأخوض معه معركة ، ولكنى لا أكتب له أبدا أطالب بالافراج عنى . .

وأنا فى رأيى أن اشاعات الافراج عنى اشاعات ليس لها اساس . . وأنها جزء من حملة مرتبة ، مقصودا بها حقن الناس بكلورفورم من الأمل ، لكيلا يشعروا بآلام الهزيمة وجروحها . . فيقال للناس سنفرج عن المسجونين السياسيين ؛ ولا يفرج عنهم . ويقال لهم سنلغى المعتقلات ثم تبقى المعتقلات . ويقال لهم ستعود الحريات ويبقى الارهاب . . والمقصود أن يتحمل عبد الحكيم عامر وشلته وزر كل الكبت وكل المساوىء التى يشكو منها الشعب . ان المشير فى القبر وصلاح نصر فى السجن وشمس بدران فى السجن وحمزة البسيونى فى السجن ، ومع ذلك تجىء لى الاخبار من السجن الحربى أن التعذيب لا يزال مستمرا .

ولا أتصور ان المشير أصدر قرارا من قبره بتعذيب أصدقائه الضباط الذين اتهموا فى مؤامرته !

تنظيم حملة صحفية
من داخل السجن

١٠ نوفمبر ١٩٦٧

عزيزتى . . .

أشعر بخجل من نفسى ، وأصدقائى وتلاميذى ينهالون على بخطابات من خارج السجن . . ان معى فى السجن عشرات من المسجونين السياسيين حرموا منذ أكثر من عامين من أن يكتبوا خطابا واحدا أو يتسلموا من أهلهم خطابا واحدا . حرموا من أن يشربوا سيجارة . حرموا من أن يقابلوا أولادهم وزوجاتهم وأمهاتهم . لا يعرفون هل أولادهم أحياء أو أموات ، مرضى أو أصحاء فى عالم الحرية أو فى غياهب السجون . ان ما أتحمله من عذاب فى سجنى أقل كثيرا مما يتحمله غيرى ، وأحمد الله على ما أنا فيه إذا ما قارنته بأيام سجن المخابرات فى شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٦٥ . عندما كنت لا أعرف هل أصدقائى وأحبائى وأعضاء أسرتى فى السجن أم مطلقو السراح ! هل أخى موجود فى الخارج أم خطفوه ووضعوه فى صندوق وأرسلوه إلى القاهرة ؟ لا أتلقى خطابا ولا أقرأ جريدة أو كتابا . حتى المصحف الشريف حرمت منه . ثم أقارن بين حياتى الآن وحياتى فى أيامى الأولى فى ليمان طره . كيف أمضيت أيامى الأولى لا أجد طعاما آكله . ولا سيجارة أدخنها . أيام كنت أنام على الأرض ، والروماتيزم الملعون يفترس مفاصلى ، والبرد يلدغ سلسلتى الفقرية مثل لدغات الثعبان . أيام كنت لا استطيع أن أقرأ جريدة واذا وقعت فى يدى خبأتها داخل ملابسى كقطعة من الحشيش ، ثم أستيقظ عند الفجر وأمزقها أربا أربا ، لكى أخفى معالمها . حتى لا يجىء الشاويش ويضبطها معى كأنها قنبلة ذرية أخفيها ، أيام كنت أمضى ليالى أقتل الصراصير فى زنزانتى ، وأتصور أن كل حشرة منها واحد من الذين ظلمونى ، وأن حذائى هو السلاح الوحيد الذى بقى معى لأعبر به عن رأيى ! أيام كنت لا أملك ورقة ولا قلما ولا مظروفا

ولا ورقة بوستة . أيام كنت أعيش أسابيع ببدلة زرقاء ممزقة ، لا أملك سواها ، أخرج بها ، وأنام فيها . أيام كانت تعليمات الدولة بأن أعامل فى السجن مثل وباء الكوليرا . ممنوع على أى انسان ان يقترب منى ، أو يتحدث إلى . أيام كان يهدد كل مسجون بأنه إذا حيانى من بعيد بأنه سوف يسجن فى التأديب أو سوف يجلد أو سوف ينزل به أشد أنواع العقوبات . أيام أخلوا كل الطابق الذى أقيم فيه من جميع المسجونين ، وبقيت فيه وحدى مع خمسين زنزانة خالية . أيام كان ممنوعا على أى مسجون أن يقترب من الزنزانة التى أنا فيها أو يمر أمامها ، وإذا نزلت إلى فناء السجن لأتمشى فيه ، أخلى الفناء من مئات المسجونين ، ومن الحراس لامشى وحيدا منفردا منبوذا لا يرانى احد ، ولا أرى أحدا ، ولا يكلمنى إنسان ولا أكلم إنسانا . كانت هذه أياما مريرة شاقة قاسية كريهة مؤلمة . وكانت الليالى أشد مرارة وشقاء وقسوة وكراهية وبؤسا وفظاعة . مرت على هذه الأيام الملعونة وكنت أحرص على ألا أكتب لكم شيئا عنها ، حتى لا أزيد من عذابكم وآلامكم ولا أضاعف شقاءكم وأحزانكم . ومع ذلك لم أفتح فمى مرة واحدة بالشكوى ولا بالاعتراض ولا بالاسترحام . اننى لا أجيد الكلمات الراكعة . كنت واثقا ان اليد التى تضرب سوف تتعب من الضرب . وأحمد الله أن ايمانى بالله كان يشتد مع اشتداد الاذى . وكان يتضاعف مع العذاب . كلما زادوا فى ايلامى زدت فى صمودى . ما أبعد الفرق بين حياتى الأولى فى غرف التعذيب وحياتى فى زنزانة ليمان طره . انها كالفرق بين الجحيم والجنة ، اليوم يفتشون زنزانتى كل صباح وكل مساء . وأنا لا أشكو من ذلك بل أننى أدعو الشاويش بنفسى ليفتش الزنزانة إذا نسى أن يفتشها . أصدقائى من المسجونين العاديين يخفون الممنوعات فى زنازينهم أو فى أماكن أخرى لا تخطر على البال . بعض أوراقى مدفونة تحت الارض ، وبعضها مخبوء فى مكاتب الضباط دون علمهم ! أما زنزانتى فليس فيها أى شيء ممنوع سواى . اننى مدين لذكرياتى الحلوة التى استطاعت ان تمحو حاضرى المرير . الانفاس الحارة للذين يحبوننى كانت تدفئنى فى برودة الزنزانة . لم تكن زنزانتى هنا هى زنزانة العذاب أبدا ، بل كانت قصر الشوق دائما . لم تكن قبرا لى كما أرادوها ، بل كانت خزانة لاحلامى .

انني أشعر بسرور اليوم لانني استطعت وأنا فى زنزانتى ان اثير مسألة بعض المظلومين . قانون المخدرات الذى صدر عام ١٩٥٢ قضى بالحكم على أى حامل للمخدرات بالاشغال الشاقة المؤبدة وفى ظل هذا القانون حكم على الألوف بالسجن المؤبد ، بينما صدر قانون آخر سنة ١٩٦٠ هبط بالعقوبة من الاشغال الشاقة المؤبدة إلى الاشغال الشاقة المؤقتة . وحاول المسجونون أن يطلبوا تطبيق القاعدة القانونية بأن المحكوم عليه يستفيد من صدور قانون جديد يهبط بالعقوبة القاسية إلى العقوبة الأخف . ولم يسمع لهم أحد ولم يهتم بهم أحد . وبرغم أنه لم يعد لى حول ولا طول ، وبرغم انني لا استطيع ان اطلب من صحفى واحد ان يكتب عن هذا الظلم ، فقد استطعت ان أجعل الصحف تكتب عنه . ونظمت حملة واسعة من داخل السجن ، وأمطرت الوزراء والنواب والصحفيين بخطابات تطالبهم بأن يتحركوا وينفذوا القانون . ونجحت فى أن أجعل تلميذى رأفت بطرس المحرر بأخبار اليوم يكتب عن هذا الظلم تحقيقا رائعا نشرته آخر ساعة . واستطعت من زنزانتى أن أجعل هذا الموضوع موضوع الساعة ، وكانت النتيجة أن صرح وزير العدل للصحف أنه سيبحث حالة هؤلاء المظلومين . وتلقيت اليوم أنباء مؤكدة بأنه سيفرج عن كثيرين منهم نتيجة هذه الحملة الصحفية . كانت لذتى الكبرى فى عالم الحرية أن أرفع الظلم عن المظلومين ، أو أن أمنع الظلم عنهم . لم أتصور أبدا أن الله سوف يعطينى الفرصة لأفعل نفس الشيء وأنا مقيد فى زنزانتى . هذا شيء أسعدنى كثيرا . شعرت أن يدى لا تزال تستطيع أن تتحرك ، وتمتد لانقاذ المظلومين ، حتى وهذه اليد مقيدة بالسلاسل والاغلال . وإذا تم ما أرجوه وأفرج عن هؤلاء الألوف فسوف تنفتح بيوت أغلقت ، وتعود الروح إلى ألوف الاسر المشردة ، وسوف أكون نجحت فى إسعاد ألوف من الأمهات والزوجات والأبناء والبنات . ان عندى عشرات من هذه القضايا . أتمنى لو استطيع وأنا هنا فى زنزانتى أن أرفع الظلم عن أصحابها . ناس لا أعرفهم ولا يعرفوننى . ولكن يجمعنا ان كل واحد منا مظلوم . هذا الاشتراك فى الظلم يجعل بيننا نوعا من الصداقة والزمالة والأخوة . والمهم اننى استطعت أن أفعل كل هذا فى صمت وهدوء . وكان يهمنى أن أحمى أصدقائى

الذين ساعدونى خارج السجن فلا يعرف أحد أنهم إستجابوا لرغبتى وقاموا بهذه الحملة الممتازة . فلو عرفت الحقيقة لامتلأت المعتقلات بعدد من الصحفيين والمحررين . لذتى أن أرى الوجوه الحزينة اليائسة يعلوها الأمل من جديد . اسعاد الناس هوايتى . وسجنى لا يجعلنى أمارس هذه الهواية كما أتمنى وأريد . ولكنى أحاول أن أفعل شيئا فى حدودى الضيقة .

لدينا بعض المسجونين تسعدهم سيجارة . نعم سيجارة واحدة ! أحد المسجونين جاءنى اليوم يرجونى بألا القى أعقاب سجائرى فى الزبالة ، فهو يحتاج إليها ليجمعها ويصنع من مجموعها سيجارة يدخنها بشراهة . هذه السيجارة تعنى لبعض الناس رغيف عيش زيادة ، وتعنى لدى آخرين أن ينجو من ضرب شاويش شرس . وتعنى لدى بعضهم أن يأخذ حقه من الفول المدمس . ومن العجيب ان وزير الدخلية أعطى تعليمات بألا تكون عندى سجاير كافية خشية أن أعطى سيجارة لمسجون . ياهم من مغفلين . السيجارة لا تشترى مسجونا ، وانما تستطيع شراء الناس بأن تحبهم . إننى أمشى فى السجن وأبذر بذور الأمل فى اليائسين . أملأ صدر المقهورين بالاحلام . أحاول أن أجفف دموع المعذبين المهزومين بمناديل من مشاعر إنسانية ومشاركة بالاحساس . أضمد جراح المخنوقين المذبوحين بابتسامات مشجعة . أحاول دائما أن أكون ساحرا أجد تعاويذ وأحجبة مسحورة لكل داء . ولست أزعم انى أنجح دائما ، ولكننى أقول إننى أحاول دائما . تسعدنى المحاولة ويشقينى الفشل . ومن الغريب أننى أحاول أن أسعد الذين لا أعرفهم وأنجح ، وأفشل فى أن أساعد زملائى المسجونين السياسيين الذين معى فى نفس القبر . كل ترياق أرسله اليهم لا يشفيهم من لدغة ثعبان السجن . كأنها وصفات دجال لا أدوية طبيب . انى أعلم أن عذابهم لن ينتهى الا بالافراج عنهم . فهل أستطيع وأنا هنا فى زنزانتى أن أقوم بحملة للمطالبة بالافرج عن المسجونين السياسيين كما نجحت فى الافراج عن المحكوم عليهم بالمؤبد فى قضايا المخدرات ؟

ان الصحف المصرية تحت رقابة شديدة . فى كل دار صحفية رقيب يقرأ كل

شيء ويراجع كل شيء . الارهاب يملأ صدور الصحفيين الذين ذاقوا التشرد والجوع والفصل والنقل من الجريدة إلى مصانع الاحذية ومصانع السردين . لم يبق صحفي كبير في مصر لم يذق طعم البطش والارهاب والجبروت إلا اذا قبل أن يكون حذاء في قدم الحاكم يدوس به على الابرياء !

وعندما اتطلع في وجوه زملائي المسجونين السياسيين اقرأ عذابهم . أقرأ عذاب زوجاتهم وأمهاتهم وأولادهم . أفكر في الاجزاء التي بقيت من كل واحد منهم خارج السجن ، في أقارب لهم يعيشون في زنزانات وهمية ، ولكنها أشد قسوة من الزنزانات الحقيقية . أحيانا أحاول أن اخدع نفسي وأقول لهم ان هذا العذاب لن يطول . قطعنا أغلب طريق العذاب ، ولم يبق إلا بضع خطوات إلى نهاية الطريق ولكن نفسي لا تنخدع . أنا أعرف أن الظلم سيطول بطول عمر حكم الظالمين . ومع ذلك أرى أنه لابد أن تجيء نهاية الظلم والظالمين .

تعلقي بالأمل هو نوع من المقاومة . مقاومتي الوحيدة ، أقاوم اليأس ، أقاوم الانهيار . وأعتقد أن الله هو الذي جعلني أنجح في هذه المقاومة ، لم أسقط تحت الضربات التي إنهالت على رأسي . لم أركع تحت وطأة السياط النفسية التي أدمت روحي والسياط الجسدية التي نزفت دمي . ان صمودي هو صلاة أؤديها . لم تكن صلاة واحدة مرة في اليوم . بل صلاة مستمرة متواصلة . عندما انظر ورائي أجزع لطول الطريق الذي اجتزته ، لضخامة الاهوال التي مرت بي . ويزيد في جزعي انني لم أكن وحدي . معي في السجن ألوف المظلومين إنهالت على رؤوسهم كل الضربات وكل الطعنات .

هل استطيع وأنا في السجن أن أنظم حملة في صحف العالم والصحف العربية للمطالبة بالافراج عن المسجونين المصريين والمعتقلين المصريين . .

ولو ضبطوني فسيقولون انها خيانة وطنية . . طبعا هي خيانة وطنية أن تطالب بالعدل في دولة الظلم ، وأن تنادي بالحرية وأنت في زنزانة !

لا يهمنى ما يصيبنى . . ولكن الذى يهمنى أن أعرف هل هذه الحملة سوف تفيد المسجونين السياسيين أم تضرهم ؟

سألت الاستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين معى فى الزنزانة المجاورة عن رأيه فى أثر هذه الحملة .

فقال باسما :

ـ رأيى أنه سيصدر أمر بعدها بقتل جميع المسجونين السياسيين ودفنهم سرا فى الصحراء ، وبعد ذلك يصدر بلاغ رسمى بأنه لا يوجد فى مصر مسجون سياسى واحد !

الخطاب المضبوط !

١١ نوفمبر سنة ١٩٦٧

عزيزتى . . .
اليوم عيد ميلاد أخبار اليوم . . اليوم مرت ٢٣ سنة على انشائها .

واحتفلت أنا بعيد أخبار اليوم . . بطريقة غريبه لم تخطر على بال . صدرت الأوامر بإغلاق جميع الزنزانات علينا . لا نخرج منها أبدا إلا لمدة نصف ساعة . قرار ثان بأن يمنع جميع المسجونين السياسيين من التحدث مع بعضهم البعض . قرار ثالث بأن يمنع أى مسجون من التحدث معى أو أن أتحدث إلى أى مسجون . قرار رابع بنقل مأمور العنبر . قرار خامس بنقل شاويش العنبر . ودهشت لهذه التعليمات الجديدة التى تشبه تماما المعاملة القاسية التى عوملت بها فى أول دخولى الليمان . وأحسست أننى المقصود بها وأن شيئا ما قد حدث . ثم فوجئت « بكبسة » عدد من الضباط والحراس يقتحمون زنزانتى ويفتشونها ، ويقلبون كل شىء فيها . وتضاعفت دهشتى عندما علمت أن السبب فى اصدار هذه التعليمات المشددة أن الدولة ضبطت خطابا أرسلته أنا إلى إحدى الجهات !

واستدعانى مدير الليمان وسألنى إذا كنت هربت خطابات . .

وتماسكت وقلت اننى أكتب خطابات إلى أسرتى بالطريق الرسمى .

وتركنى المدير فى مكتب مأمور السجن ، ليتحدث فى التليفون مع المسئولين الذين كانوا ينتظرون نتيجة التحقيق . .

والتف حولى ضباط السجن ليسألونى ألم ترسل خطابات تهاجم الحكومة ؟ وكانوا يتصورون أنه لا بد أننى كتبت شيئا خطيرا أدى إلى أن تقوم الدنيا وتقعد !

واستدعيت مرة أخرى لمكتب مدير الليمان وقال لى : أن الخطاب الذى كتبته

موجود تحت يدى ، وهو الآن فى درج مكتبى .

وإنخلع قلبى .. معنى ذلك أن طريقة تهريب الخطابات قد أنكشفت ولكنى تجلدت ولم أقل شيئا ، ومضى مدير الليمان يقول :

ـ سوف أواجهك بالخطاب الذى كتبته بخط يدك . .

وفتح المدير درج مكتبه ، وأخرج مظروفا صغيرا وقال لى : أليس هذا واحدا من الخطابات التى ترسلها ؟

ونظرت إلى المظروف فإذا به ليس من المظاريف التى استعملها اطلاقا ، وتمالكت نفسى ولم تبد على الفرحة بالنجاة وقلت : هذا ليس خطابى .

وفتح المدير الخطاب ، فقلت له : وهذا ليس خطى .

فقال المدير : أكتب كلمة « صحافة » .

فقلت له : لا . . . سأكتب لك سطرا كاملا من الخطاب ، حتى نعرف أن هذا ليس خطى . . .

وكتبت سطرا ، وبينما أنا أقفل السطر ، قرأت الخطاب كله ، فإذا به مطالبة صحف أخبار اليوم بالاهتمام بمشكلة المحكوم عليهم فى قضايا المخدرات طبقا للقانون القديم ، وشكر مجلة « آخر ساعة » على اهتمامها بالموضوع .

وقارن المدير خطى بخط الخطاب ، فوجد أنه ليس خطى على الاطلاق ولا يشبهه !

والحقيقة أن الخطاب كان منى فعلا إلى بعض تلاميذى فى « أخبار اليوم » ولكنى حرصت ألا أكتبه إليهم بخطى ولا بإمضائى حرصا عليهم . . . وحدث أن كان الضابط أركان حرب السجن يزور رأفت بطرس المحرر بمجلة آخر ساعة فى مكتبه بدار أخبار اليوم ورأى الضابط على مكتب المحرر هذا الخطاب ، فاعتقد أنه بخطى ، وسرق الخطاب ووضعه فى جيبه ، وقدمه للمسئولين باعتباره خليفة شارلوك هولمز الذى وفق إلى اكتشاف السر الخطير .

وهذا الضابط شارلوك هولمز كان مشهورا بالتجسس على المسجونين ، ومعرفة ما يقولون ويفعلون ، وكان يتولى جلدهم بنفسه فى سجن التأديب . . وكان يجند بعض المسجونين للتجسس علينا ومعرفة أخبار المسجونين السياسيين ، ووجدنا أن خير ما نفعله ان نجند جواسيسه أنفسهم ضده ! . . وأن نجعل مكتب أركان حرب الليمان نفسه هو المخبأ الذى نضع فيه الممنوعات .

وشعرنا عندئذ اننا رددنا التحية بأحسن منها . .

اننا نمشى بحذر داخل الليمان ، نقدم قدما ونؤخر أخرى ، نتلفت وراءنا لاننا نعلم اننا تحت رقابة صارمة ، المخابرات لها عيون ، والمباحث لها عيون ، ومباحث المصلحة لها عيون ، وإدارة السجن لها عيون ، وأى غلطة يمكن ان تكشف عن جهاز التهريب كله . داخل السجن وخارج السجن . هذا الجهاز من الاصدقاء المجهولين يمنحنى حرية الحركة وأنا مقيد فى الاغلال . يجعلنى استطيع أن أجعل صوت المظلومين داخل الزنزانات يخترق الاسوار وينفذ من الحصار المضروب . والذين وضعونا فى هذه القيود ودفنونا تحت التراب يتصورون انهم كتموا أنفاسنا وقطعوا ألسنتنا وداسوا بأقدامهم على أعناقنا . وسوف تتضاعف وحشيتهم إذا اكتشفوا أن أصواتنا تخرج من القبر ، وأن رسائل أصدقائنا تدخل إلى القبر بانتظام ، وأن كل ما يحدث لنا من تعذيب وتنكيل يصل إلى الناس ، والفضل فى نجاحنا حتى الآن لا يعود إلى كفاية التنظيم الذى اخترته ولا إلى عبقرية الخطة التى وضعتها . انه تنظيم بسيط وخطة ساذجة وانما الله هو الذى يتستر علينا . هو الذى يعمى عيون الجستابو فلا يرانا . . ومن سخرية القدر أننا استطعنا أن نصل إلى المسجونين الذين رضوا لأنفسهم أن يكونوا « جستابو » علينا ، وأصبحنا نقرأ التقارير السرية المكتوبة ضدنا ، بل تمادى بعض زملائنا من المسجونين السياسيين وأصبح يملى على هؤلاء الجستابو بعض كلمات تقريرهم ، ويضع فيها ما يضلل الذين بعثوا بهذه العيون تتعقب خطواتنا ، والغريب ان هذه العيون قبلت ان تخدم الله والشيطان فى وقت واحد ! تقبض من خصوم البشرية ثمن الاكاذيب ، وتعطينا الحقائق مجانا ! لا

يوجد شرف ولا ذمة ولا ضمير بين الذين يتعاملون بأسلحة الغدر والوقيعة !

اننا نعيش كل يوم مع الخطر فى زنزانة واحدة .

ولكن الله معنا .

الحاكم له الحاضر
والله له المستقبل

أول ديسمبر سنة ١٩٦٧

صديقى العزيز

لا تتوهم أن صورتى فى سجنى هى صورة الرجل الضجر بحياته ، الملىء بالهموم ، الذى يعيش حياة كئيبة حزينة فى وحدة مطلقة . أبدا بل أنا أحاول أن أصنع حياتى فى السجن بيدى .

ذكرياتى وأحلامى أشبه بأنابيب الألوان ، وخيالى أشبه بالريشة . أنا أمسك الريشة وأغمسها فى الألوان ، ثم أبدأ فى تلوين واقعى . أضيف اليه ألوانا بهيجة من الماضى والمستقبل ، وظلالا باهتة من الحاضر ، حتى تجىء الصورة أقرب إلى صورة موكب فرح منها إلى موكب جنازة .

خيالى هو إيمانى . ليس أوهاما وإنما هو عقيدة . كلما زاد ايمانى بالله ارتفعت فوق مستوى واقعى . كأننى اركب طائرة نفاثة ، وكلما ارتفعت تضاءلت الآلام على الارض . اننا نتصور آلامنا ونحن على الارض كأنها ناطحات سحاب فإذا ارتفع ايماننا فوقها صغرت وتضاءلت حتى أصبحت فى حجم علبة الكبريت .

اننى لم أنتج فى خلال هذه العام كل ما أريد من قصص وكتب . الرقابة الصارمة والحذر الشديد لا يعطينى الفرصة لاكتب كل ساعات الليل والنهار . رأسى أشبه بمكتبة فيها عشرات من الكتب والقصص . لا ينقصها الا أن تدون على الورق . الذى يحدث لى هو نوع من التخزين . أخزن الافكار فى رأسى . أرتبها فوق بعضها البعض وعندما تنتهى فترة الظلام سوف أكتب ، وأكتب . أنا لا أنام وإنما أحلم . لا أسكت وإنما أفكر . لا أضحك من الناس وإنما أسخر مما نحن فيه ! إذا صمتت شفتاى عقلى يدوى . لا أتصور أن السجن أنهى حياتى بل

أومن أنه بدأها ! أنا اليوم أشبه بعطلة نهاية الاسبوع ثم بعد ذلك أبدأ يوم السبت فى حياتى الادبية والصحفية . أصبحت أرى أن دخول الكاتب أو الفنان إلى السجن ضرورة كدخول الجامعة . بعد إن بقيت فى السجن هذه المدة الطويلة أصبحت اعتقد اننى فى الماضى قمت برحلات عديدة فى أنحاء العالم ولم أر شيئا . الدنيا الحقيقية هى هنا بين الجدران العالية ، وراء هذه الأسوار والقضبان . هنا يرى الواحد منا ألوانا وأشكالا من الناس . نحن أشبه بمرضى فى مستشفى . بعضنا لا علاج له ، وبعضنا شفاؤه أكيد ، وبعضنا لم يستطع المرض أن يشوه جماله الداخلى . وبعضنا مشوه . فينا كاملون وناقصون . ملائكة وحيوانات . مظلومون وظالمون . أقوياء وضعفاء . طغاة ومسحوقون . مع ذلك لا أشعر بالاشمئزاز هنا عندما أرى شيئا كئيبا . أشعر بالشفقة . أنا أحبهم جميعا . بما فيهم من نقائص وفضائل ، من مزايا وعيوب . قبل ذلك كانت مثل هذه المناظر تصيبنى بالغثيان الداخلى ، بشىء من القرف . الآن لم أعد أقرف من شىء . اننى هبطت إلى أعماق الحياة ، وفى هذا العمق السحيق وجدت نبلا وخلقا وفضلا وإنسانية . ليس ضروريا ان يكون وراء كل بدلة زرقاء مجرم بطبعه ، بل كثيرا ما يكون وراء هذه البدلة الحقيرة انسان طيب لا يختلف عن الذين يرتدون ملابسهم الكاملة الانيقة . وجدت السجن مليئا بالناس الطيبين . الاشرار فيهم أقلية . وهم أشرار بالسمات ، وأنا شخصيا لم أجد حتى الآن شريرا حقيقيا . أنا من طبعى أعذر الناس . أعطى أعذارا للطبيعة البشرية . تجربتى أن ليس كل من حمل فى يده كتاب الصلوات قديسا ، وليس كل من حمل على ظهره صليبا مسيحيا ، وليس كل من حمل خنجرا مجرما . أقضى وقتى فى محاولة درس الناس . قراءة الناس لا تقل متعة عن قراءة الكتب ، وكلما تعمقت فى أعذارهم وجدت أشياء جميلة لا تبدو على ملامحهم . بعض الذين تضحك شفاههم تنتحب قلوبهم . بعض الذين تبدو على ملامحهم القسوة والعنف تجد فى أعماقهم طفلا بريئا !

الجحيم هو الآخرون فى رأى الفيلسوف الفرنسى سارتر . ولكن الجحيم فى رأيى هو أنفسنا . نحن نعذب أنفسنا ونحرقها بتصور السوء فى الآخرين ، بينما

الذى نراه هو القشرة الخارجية ، وبشيء من الصبر والفهم نجد نفوساً طيبة خيرة بريئة ، وذلك عندما ننزع هذه القشرة بغير أن نؤلم صاحبها أو نسيل دمه . هذه النفوس التى خدعنا مظهرها الخارجى المنفر هى ضحية ظروفها . وكل واحد من هؤلاء المسجونين القساة العتاة الذين أرى فى وجوههم الشراسة يحمل قتيلا فى داخله ، وعندما يغادر الواحد منهم السجن يستيقظ الميت الذى فى داخله ، ويغادر مكانه ويتحول إلى رجل عادى بعد أن تخلص من الحمل الثقيل الذى فى أعماقه . والقتيل هو حريته . ولهذا يبدو فى بعض الاحوال وكأنه يعيش مع رجل ميت . ما أقسى الحياة مع ميت فى زنزانة واحدة ، ولكن اقسى منها الحياة مع ميت داخل جسم واحد . ومن هنا نحن نخطىء اذا تصورنا ان المسجون هو الجثة الميتة فى داخله ، وليس الانسان الذى يحمل الجثة .

أخشى أن أكون أخذتك معى إلى أغوار السجن وأبقيتك فيه طويلا . الآن أعود إليك . العودة إلى الحديث مع أصدقائى تنسينى أننى فى السجن . كنت أرتعش من البرد قبل أن أكتب إليك . ولكن ما كدت أسطر أولى كلماتى إليك حتى أحسست بالدفء ينساب إلى . التفكير فى أصدقائى وأحبائى هو جهاز تدفئه لا يفسد أبدا . الصداقة الحلوة تكمل الحواس الخمس ! ما قيمة النطق اذا لم استطع التحدث الى صديق . ما قيمة السمع إذا لم أسمع صوت محب ! ما قيمة اللمس اذا لم ألمس يده . ما قيمة الذوق اذا لم أذق طعم حلاوة الحياة ونقتسمها معا . ان ذكرياتى مع أصدقائى وأحبائى هى راقصات يرقصن حولى ويغنين لى . هذه الذكريات بألوانها وأشكالها وأنغامها وألحانها ، ومرحها . وخبرتها تكون سيمفونية رائعة فيها مزيج من موسيقى باخ وموسيقى الجازباند المجنون . ماضينا ليس بعيدا عنا . أنه قريب منا . لانه يعيش فينا . لم يكن الماضى أياما ذهبت ، وإنما هو أيام لا تموت . . باقية ما بقينا . لانها حياتنا وأحلامنا . ذكرياتى مع أصدقائى أشبه ببيك آب فيه ١٤ أسطوانة ، له أزرار سحرية ، لا أكاد أضغط على زر حتى تدور مائة أسطوانة فى كل أسطوانة ، وعندما استعيد سماع هذه الأغانى أطرب ، كأننى أسمعها لأول مرة ، وهذا شأن الموسيقى الخالدة . كلما مضى عليها الزمن تضاعفت عذوبتها . . وبدت

حلاوتها ، وظهر جمالها . حياتى مع أصدقائى وتلاميذى هى مجموعة ضخمة من الموسيقى الرفيعة والموسيقى الخفيفة . كثير منها اسطوانات جيدة وقليل جدا منها اسطوانات مشروخة ! .

اننى أعود نفسى على الحياة فى الزنزانة . أصبحت الحياة فى الجحيم عادية . كل ما نتمناه الا ينقلونا إلى جحيم أشد سعيرا . لا أريد أن أشعر أننى محروم من شىء . لا أريد أن أبدو صغيرا أمام رغباتى . من رأيى أنه عندما يفقد الانسان حريته تتضاءل كل الضروريات بعد ذلك . تبدو تافهة لا قيمة لها . أنا فى زنزانتى بايمانى أبدو أقوى من السجان الذى يراقبنى . أقوى من الحاكم الذى وضعنى فى السجن . أنا مطمئن وهو خائف . أنا باق وهو ذاهب . الزلزال عندما يقع لن يطيح بى إلى الحضيض فقد وضعونى فى الحضيض ، ولكن الزلزال إذا وقع فسيهز عرشه ويهوى به من حالق : الوقت على الارض أكثر ثباتا من الذى يتبوأ قمة الهرم !

أحمد الله أن السجن لم يؤثر حتى الآن على روحى . . ولا على قلبى ولا على إيمانى . . ولا على صمودى ، ولا على أعصابى ، وهذا مكسب عظيم . مادام قلبى مؤمنا فلن أشعر بضعف ومادامت روحى عالية فلن أجزع أمام الظلم الحاكم له الحاضر . . والله له المستقبل .

حفلة رأس السنة فى السجن !

٣ يناير سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

. . . أما أنا فقد أمضيت ليلة رأس السنة فى زنزانتى . هذا هو ثالث عام أستقبله فى عالم السدود والقيود . لم أطفىء الأنوار ، فقد كانت الأنوار منطفئة . ولم أرتد بدلة السهرة ، فقد كنت ألف جسمى بالبطاطين من شدة البرد . فى منتصف الليل لم يكن فى قدرتى أن أطفىء النور أو أضيئه ، ولهذا أكتفيت بأن أفتح عينى وأغمضهما ! كانت صلواتى إلى السماء هى حفلتى الساهرة .

حفلة ليس فيها موسيقى ولا رقص ولا صخب ولا ضوضاء . حفلة صامته . مرت أمامى عيون الذين أحبهم فى موكب كبير . راحت الاحلام تتراقص والامانى تتمايل ، والذكريات تتعانق على أنغام لا وجود لها . أدب اللامعقول لم يتخيل حفلة عيد رأس السنة التى أقمتها فى زنزانتى . كنت المدعو الوحيد فيها . الزحام كان شديدا . الأفكار حشرت فى رأسى كما ينحشر الراقصون والراقصات فى حفلات رأس السنة الصاخبة المرحة . أفكارى تكشف عن صدرها وظهرها وساقها كما تفعل النساء والفاتنات فى سهرات الأعياد فى الخارج . رأسى كان أشبه بحلبة رقص . فيها ضحك وصراخ . فيها اذرع تتشابك وصدور تتعانق ، وأقدام تدق على الارض بشدة . فيها صفير مزامير ، وفرقعة سدادات زجاجات الشامبانيا . فيها بالونات تطير وبالونات تسقط . فيها صخب وضوضاء . . . كانت بعض أفكارى تضع أقنعة على عيونها كما يفعلون فى حفلات الكرنفال . ومن حقك أن ترفع الاقنعة عن بعض أفكارى لترى ما وراء الاقنعة السوداء .

كنا نحتفل أنا وأنت برأس السنة بطريقتنا الخاصة ، كنت أجلس معك فى مكتبك ، أو تجلس معى فى مكتبى . وندون براجمنا للسنة القادمة ، وللعشر

السنوات المقبلة . وكان الله كريما معنا واستطعنا دائما ان نحقق كل سطر تمنيناه ودوناه فى مفكرتنا فى أول صفحة من صفحاتنا ، وكنا ننتقل طول السنة من تنفيذ فكرة إلى تنفيذ فكرة أخرى . كما يتنقل الراقص الرشيق من ذراعى فاتنة إلى ذراعى فاتنة أخرى على أنغام كل لحن جديد . .

هل استطيع أن أجلس اليوم وأدون فى مفكرتى مشروعاتى للعام الجديد ؟

لا أظن ان تقدمى فى السن هو الذى يجعل أحلامى تمشى كالعجائز متوكئة على عكازين .

أحلامى لا تزال شابة . تريد ان ترقص ، وتقفز ، وتثب ، وتعدو . ولكن قيود السجن تجعل هذه الاحلام تحرك خطواتها على غير أنغام . فتجىء الخطوات متعثرة وكأنها تمشى فى جنازة لا ترقص فى حفلة رأس السنة . ما أشبه أفكارى الليلة بالعجائز الذين يجلسون حول حلبة الرقص ، يضعون نظاراتهم فى أيديهم ، ويحملقون لان الروماتيزم يمنعهم ان يدخلوا إلى الحلبة المجنونة ، ويرقصون فى عنف مع الراقصين المرحين المملوئين حيوية ونضارة وشبابا .

لا أريد ان اتعبك طويلا معى فى حفلة رأس السنة الجديدة . الزنزانة ليست واسعة لكى تتسع لأفكارى وأفكارك . ربما تدوس أفكارى على أفكارك ، كما تدوس قدم الراقص الغشيم على قدم زميلته فى زحام الرقص لسهرة العام الجديد .

أدسم صلاة لى فى رأس السنة أننى أقمت فى قلبى صلاة شكر . نعم شكرت الله لانه فعل لى أشياء كثيرة جميلة رائعة كانت أجمل من كل أحلامى وأروع من كل خيالى . كان يوم من أيام حياتى من قبل أن أدخل السجن حفلة رأس السنة عطانى الله كثيراً . . جداً . أكثر مما طلبت ، وأضعاف ما تمنيت ، ليلة القدر تجىء للناس مرة كل عام ، وكانت تجىء لنا كل يوم ، وأحيانا كل ساعة . حتى العمل الشاق المضنى جعله الله عملا لذيذا . طعم العرق فيه مثل طعم الشهد . صوت الآلات فيه كألحان السيمفونيات . . اذا كان الله قد شاء أن أفقد حريتى

فقد ضاعف ايمانى . أخذ القليل واعطى الكثير . . حرمنى ترف الحياة وغمرنى بترف الصبر والصمود والايمان .

كلما قرأت عن البرد فى أوربا فكرت فيك . موجة البرد فى السجن كانت شديدة فى هذا العام ، فكيف بما فى لندن . اننى أتصورك مسجونا فى غرفتك فى لندن ، لا تستطيع أن تفارقها . وأتصور نور الكهرباء مضاء فيها بالليل والنهار لاختفاء الشمس .

ولكن أرجو ان تشرق الشمس من جديد . . لابد أنها ستشرق وستعود إلى مشاهدة مباريات الكرة فى انجلترا من جديد . اننى منذ مدة طويلة لم أشهد مباراة كرة . الغينا موسم الكرة بسبب ظروف العدوان . وألغت الحكومة مشاهدة المساجين للتليفزيون عقابا للمسجونين على هزيمتهم فى ٥ يونيو . . نعم نحن الذين هزمتنا اسرائيل لا حكومتنا !

أرجو ان تتحقق آمال بلادنا وينصرها الله ، وعندئذ ستعود الحياة الطبيعية . . وعودة الحياة الطبيعية فى رأى بعض الناس هنا هى الافراج عن المسجونين السياسيين واغلاق المعتقلات ، وفى رأى آخرين هى السماح للمسجونين السياسيين بالتفرج على التليفزيون !

سمعت ان أم كلثوم استقبلت استقبالا هائلا فى باريس . أسعدنى نجاحها كثيرا . اسعدنى اكثر ما بدته من بطولة أثناء المحنة ، وكيف انها قامت بدور المواطنة الاولى بجدارة واستحقاق .

لا أكاد اخرج من زنزانتى . البرد الشديد يجعلنى افضل البقاء فى الزنزانة .

حياتى الآن فى داخل زنزانتى . وبالرغم من أننى فى الجهة القبلية الا أننى لا استطيع ان افتح الا نصف النافذة بسبب الريح الشديدة . أحاول أن أهرب من الزكام اللعين . استطاع مرة واحدة أن يمسك بخناقى ، وبقيت أعانى حوالى الاسبوعين . استطعت أن أنجو منه فى فترة البرد الشديدة التى جعلتنى اتصور أننى فى سيبيريا !

حدثت فى السجن هذا الاسبوع مأساة أحزنتنى . معنا فى العنبر مسجون سياسى له سبعة أولاد ، أصغرهم اسمه خالد . وهو يحب ولده هذا حبا لم أر مثله كثيرا . كان يكتب كل خطاباته إلى أسرته باسم خالد الصغير . وقابلته أسرته فلاحظ أن ابنه خالد ليس بينهم ، وسأل عنه ، فقيل له أنه مشغول باستذكار دروسه .

فسأل الأب لماذا لم يعد خالد يكتب له . وأجاب أولاده أنهم نصحوا خالد بأن يتفرغ لدروسه ويترك لهم مهمة الكتابة . ثم جاءت زيارة الشهر الثانى فلم يجد خالد بين الزائرين . فسأل عنه ، فقالوا له أن خالد لايزال مشغولا فى دروسه .

فثار الأب وقال : انني أكتب إلى خالد باستمرار فكيف لا يرد على .

قال الأولاد : ان لدى خالد عذرا يمنعه من الكتابة .

وصرخ الأب غاضبا : لا يوجد سبب فى الدنيا يمنع ابنى خالد من الرد على خطاباتى منذ ستة أشهر ، ولا يحضر لزيارتى منذ ستة أشهر . .

وأجهش الأبناء بالبكاء وقالوا له أن خالد مات منذ ستة أشهر ، وأنه لهذا لم يستطع الرد على خطابات أبيه ، وأن الأولاد اتفقوا على اخفاء الخبر عن أبيهم لأنه مريض بالذبحة الصدرية . ولكن أم خالد وأولادها لم يستطيعوا أن يتحملوا هذا العذاب أكثر مما تحملوه . كان كل خطاب يرسله الأب إلى البيت باسم خالد يجعل البيت يتحول إلى مأتم وكأنه لم يمت إلا ساعة وصول هذا الخطاب ، وكان سؤال الأب فى كل زيارة عن خالد أشبه بطعنة سكين تغمد فى قلوبهم .

وأمضيت وقتا طويلا أواسى هذا الأب المفجوع المنكوب ، وكنت طوال وقت مواساتى له أسائل نفسى ترى كم هى عدد الأخبار السيئة التى يخفيها عنى الذين يحبوننى ؟ أى الأمرين أرحم أن أسمع الأخبار المؤلمة عند وقوعها ، أو أن أبقى جاهلا بها ؟ من الغريب أنه كلما تأخر خطاب أعيش فى قلق وهم وعذاب .

الزنزانة هى خير مكان يفرخ فيه التشاؤم ويبيض . جوها المقبض . جدرانها

الجرداء . قضبانها القاسية . بابها المغلق . كلها أشبه بأقفال ضخمة وأبواب مسدودة تمنع التفاؤل من الدخول اليها ، أكثر مما هى قضبان تمنع المسجون من الخروج منها !

أشعر أن خطاباتى هى سمك لبن تمر هندى . أذكر أيام كنت أكتب سلسلة عن أسرار ثورة ١٩١٩ أن حصلت على الخطابات التى كان يرسلها شفيق منصور أحد أبطال الثورة ، من منفاه فى جزيرة مالطة إلى أسرته فى القاهرة .

وفرحت بهذه الثروة التاريخية . وتصورت أننى سأجد فيها وصفا رائعا لحياة المصريين المنفيين . ماذا قال سعد زغلول عندما عرف أن الشعب ثار من الاسكندرية إلى أسوان احتجاجا على الانجليز ؟ ماذا قال حمد الباسل باشا عندما علم أن فرسان الفيوم ركبوا خيولهم وحاولوا الزحف على القاهرة . ماذا قال محمد محمود باشا عندما عرف أن أهالى الصعيد تصدوا لقطار بريطانى مسلح وقتلوا كل الضباط الانجليز الذين كانوا فيه وأخذوا كل ما به من أسلحة وذخائر ؟ ما هو الحديث الذى جرى بين الشبان الذين نفاهم الانجليز إلى مالطة سنة ١٩١٤ ولم يتحرك أحد ، وبين الساسة الكبار الذين نفوهم سنة ١٩١٩ فاهتزت مصر من أقصاها إلى أقصاها .

وإذا بى أفاجأ بأن الخطابات كلها بصيغة واحدة وبمعنى واحد . « أرسلوا لى الشيك بحيث يصل فى أول الشهر » . « أرسلوا لى جوارب ثقيلة وفنلات ثقيلة فالبرد شديد » . « لا تنسوا تحويل أماناتى بحيث تصل فى أول الشهر » .

« أرجوكم الاهتمام بارسال الشيك بانتظام » . « البرد شديد فلا تنسوا الفنلات الصوف » .

وعندئذ شعرت بخيبة أمل شديده أن يتحدث الزعيم المسجون عن مسائل تافهه مثل الفلوس والفانلات والجوارب ولا يتحدث عن حياة الزعماء فى المنفى .

وأعتقد أن المؤرخون سيصابون بخيبة أمل أيضأا عندما يجدون خطاباتى مليئه بالحديث عن المسائل الدنيويه مثل علبة الفليت ودواء الصراصير وأدوية السكر

والشبشب الذى أريده ! وبعد أن دخلت السجن عذرت شفيق منصور وفهمت لماذا تضيق الحياه فى السجن وتضيق حتى تصبح هذه المسائل التافهه مسأله هامه يتحدث عنها فى خطابات قد تكون فى يوم من الأيام خطابات تاريخيه . . . فيبحث مثلاً عن رأى السجين فى المعركه الأخيره بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبيه فلا يجد إلا وصف المعركه التى وقعت فى الزنزانه بينه وبين الذباب والناموس والصراصير .

وكل سنه وأنت طيب . . . . . ومصر طيبه .

من الذى يدق الباب
الحرية .. أم الكرباج ؟

١٢ يناير سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

لا أعرف كيف أشكرك على الانتظام فى الكتابة الى . اننى فى المدة الأخيرة لم أكتب اليك كما كنت أحب أن أكتب . ولكنك لم تجازنى على عدم انتظامى فكنت تكتب لى بانتظام . وأنت لا تتصور قيمة الخطاب للمسجون . انه زيارة غير منتظرة . لقاء سعيد فى أيام محنة . زهرة فى عالم الشوك . نسمة هواء لمخنوق . كوبرى بين الحياة والعدم . عندما أعيش فترة بغير خطابات أحس كأن كل شىء انقطع بينى وبين العالم . هذا هو الخيط الرفيع الذى يربطنى به . قد يكون خيطا وهميا ولكنى أشعر أنه شىء أتعلق به . ولا أغطس فى بحار الأوهام .

بين ما يربطنى بالحياة « الاذاعة » ! عندما يغلق باب السجن فى الساعة الرابعة بعد الظهر يدخل الظلام إلى الزنزانة . وأبقى جالسا فى فراشى أنتظر موعد اضاءة الأنوار لأستطيع أن أقرأ فى جريدة ، أو مجلة أو كتاب . وفى بعض الأحيان يطول انتظارى ساعتين أو ثلاثا إلى أن يجىء النور . وفى أحيان يشفق السجان النوبتجى ويضىء النور بعد ساعة ونصف ساعة . وفى خلال هذه المدة أقبع فى فراشى . أفكر وأتذكر وأتخيل . ثم تجىء الاذاعة فتخفف وحدتى . لقد أصبحت أعرف أسماء المذيعين والمذيعات كما أعرف جدول الضرب ! وأستطيع أن أعرف الساعة من مواعيد البرامج الأساسية . فإذا سمعت القرآن فى المساء فمعنى ذلك أن الساعة الثامنة ، وإذا سمعته فى الصباح فمعنى ذلك اننا فى الساعة السادسة صباحا . ما أشق الحياة بغير ساعة ! لقد أردت أن أصنع لنفسى مزولة على طريقة القدماء ، فأعرف الساعة من قياس آشعة الشمس ، ولكن هذه الساعة تخوننى كثيرا ، فان تقلب الجو يجعل ساعتى تتأخر ساعة أو تتقدم

ساعتين . ومن هنا أصبحت الطريقة الوحيدة لمعرفة الساعة أن أتابع ساعة راديو السجن . ويحدث أحيانا أن ينسى السجان النوبتجى فتح الراديو فأتصور أن الساعة هى الخامسة صباحا بينما هى فى الواقع الثامنة صباحا . ولقد حدث مرة أن استيقظت من النوم على أننى فى الصباح ، ثم اكتشفت بعد ذلك أننى لا أزال فى منتصف الليل .

والاذاعة تجعلنى أعيش مع أصدقائى ومعارفى وتلاميذى . وربما أكون المسجون الوحيد فى العالم الذى يسمع صوت أصدقائه فى الاذاعة باستمرار .

اننى أسمع صوت أنيس منصور باستمرار . أصبح القاسم المشترك فى جميع البرامج وفى برنامج المرأة وفى برنامج الأدب وفى برنامج الفن وفى برنامج القصص . . حتى أصبحت أدهش اننى لا أسمعه فى برامج الأطفال . وسمعت صوت سعيد فريحة وهو يتحدث فى الاذاعة عن المرأة ويتغنى بها وبجمالها وسحرها وعظمتها حتى خشيت أن تكون امرأة ما ضربته « مقلب » ! وأسمع باستمرار صوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وشادية . ومن وقت لآخر صوت موسى صبرى وكمال الطويل واحمد رجب وكمال الملاخ وجليل البندارى . وكأننا نتعشى معا عندى فى ليالى الأربعاء والسبت من كل أسبوع أو نتغدى على مائدتك يوم السبت . ويحدث أحيانا أن يجىء سجان نوبتجى له مزاج فنى خاص فيفتح الاذاعة إذا غنى فريد الأطرش ويغلقها إذا غنى عبد الوهاب . أو يفتح الاذاعة فى حديث الأطفال ويغلقها فى نشرة الأخبار !

اننى أمضى وقتى فى قراءة الصحف الأجنبية . أتابع التجديدات المستمرة فى جريدة التيمس ، وأعتقد أنه إذا استمر التجديد فانها ستصل إلى المليون نسخة فى خلال هذا العام ، مع أننى علمت أن هدفهم هو الوصول إلى نصف المليون . وأجد التيمس أحسن ألف مرة من الديلى تلجراف ترتيبا وتبويبا واخراجا وصحافة . ومضت على مدة طويلة لم أقرأ الديلى اكسبريس ولا الديلى ميل ولا نيوز أوف ذاورلد وغيرها من الصحف الشعبية . ولا تعجبنى جريدة « الاوبزرفر » فى الوقت الحاضر ، ولكن تعجبنى جريدة « السانداى تيمس » انها

تنطلق كالصاروخ . الاوبزرفر تحاول أن تكسب عقول القراء ، والسانداى تيمس تحاول أن تكسب العقول والقلوب . انني أجد فى بعض الأحيان مواضيع ممتازة فى جريدة « الاوبزرفر » ، ولكن أرى فى كل عدد من السانداى تيمس صحافة وحيوية واندفاعا إلى الأمام . . ولهذا فانني أتوقع أن تكسب السانداى تيمس السباق .

وقد رأيت التجديدات الجديدة فى جريدة « الأخبار » فلم تعجبني . انها عودة بالصحافة إلى القرن التاسع عشر . الذى ينقص صحفنا هو الحرية . ومهما فعلنا فيها وهى مكممة فهو أشبه بواضع زهور جميلة على جثة ميت ! صحافة مصر لن تعود إلى الحياة إلا إذا عادت إلى الحرية . عندما زارنى هيكل قال لى أنه حقق فى بناء الأهرام الجديد أحلام على أمين . والواقع أننى لاحظت أن كل مشروعاتنا فى مبنى « أخبار اليوم » الجديد نقلها هيكل إلى مبنى الأهرام الجديد . وفى رأيى أن هيكل بنى هرما كبيرا ليدفن فيه الصحافة ! فصحافة مصر ليست فى حاجة إلى بناء جديدة وانما فى حاجة إلى حياة جديد . . إلى حرية جديدة !

ولكن هيكل يتصور أن الصحافة المصرية فى حاجة إلى طوب أكثر مما هى فى حاجة إلى حرية ! وقال هيكل أنه سينقل إلى مبنى الأهرام الجديد فى مارس .

كتبت لى ابنتى رتيبة أنك أرسلت لها حذاء « بوت » أسود . وقالت أن « البوت » ـ وهو يظهر لأول مرة فى مصر ـ سبب لها مشاكل كثيرة ، فأينما ذهبت أوقفها الناس وسألوها من أين أتيت به . . حتى وسط الشارع . ولاشك أنه يسرك كعم « محافظ » أن تعرف أن الناس لا تنظر إلى وجه ابنة أخيك وانما تنظر إلى حذائها !

إن الأخبار السارة التى تتوقعها فى رسائلك ، وفى رسائل أصدقائى وتلاميذى عن قرب الافراج عنى لا أصدقها ، انني لا أتوقع أن أخرج من هنا إلا إذا شممت رائحة الحرية . وما أشمه حتى الآن هو رائحة الاستبداد . لا أصدق أن العدل يمكن أن يخصنى وحدى بينما الظلم يشمل كل الناس . لا أتصور أن اليد التى أغلقت باب الزنزانة يمكن أن تفتحها . لا أتصور أنه فى امكان انسان

واحد أن يقوم بدور « عشماوى » الذى ينفذ حكم الاعدام والطبيب المولد فى وقت واحد . . ومع ذلك فان هذه الأنباء المتواترة تجعلنى ألغى عقلى وأعيش فى قلق . كلما سمعت فى الليل صلصلة المفاتيح فى يد الشاويش تصورت أنه جاء ليفتح باب زنزانتى ويفرج عنى . وأنصت بشدة ، ويخفق قلبى ولكن أقدام الشاويش لا تلبث أن تغيب ، وصوت صلصلة المفاتيح يموت فى هدوء الظلام .
ولست أعرف هل أنا أخدع نفسى ، أم الأنباء تخدعنى . ان فى كل خطاب من خطاباتك رائحة التفاؤل ، أكاد أشمها فى كل صفحة ، وفى كل سطر . وأحاول أن أعرف مبعث هذا التفاؤل فلا أجد . ان ذكائى لم يدخل معى إلى السجن . يبدو أننى تركته مع ما تركته خارج السجن . أحيانا أتصور أن تفاؤلكم هو نوع من المخدر ليستطيع المريض أن يتحمل عملية السجن . ولكن لا أكاد أفيق من هذا المخدر ، حتى يجىء كلوروفورم جديد . ان كل شىء حولى متفائل ، ولكنى أشبه بالأطرش فى الزفة . وبعض زملائى هنا يتصورون أننى أخفى خبر الافراج عنهم ، والله يعلم أنهم يعرفون أكثر مما أعرف . وفى بعض الأحيان أتشبه بجحا الذى قال للاولاد أن هناك فرحا فى شارع آخر ، فجروا اليه ، وإذا به يجرى معهم ! وعلى كل حال فالجرى إلى الأفراح لذيذ ، حتى إذا لم يكن هناك فرح على الاطلاق . ومع ذلك أجد نفسى دون أن أدرى أعيش فى جو التفاؤل ، وأتصور أننى تركت جحيم السجن إلى جنة الحرية . وهكذا أحيا فى حلم وردى وأكاد أنسى باب الزنزانة المغلق ، وقضبان النوافذ الحديدية وزئير الأبواب الضخمة وهى تقصف . ما أقدر الانسان : أنه يستطيع أن يحول الآهات إلى أنغام ، والأنين إلى زغاريد ، ويلون اللون الأسود بألوان الصباح البهيج . اننا نهرب من واقعنا إلى أحلامنا . ان هذه الأحلام هى مخابىء ، تحمينا من القنابل الذرية والهيدروجينية . وأن أوهامنا تصبح أكسير الحياة ونحن ننسى عندما نشربها ونسكر منها أننا نحن الذين صنعناها . أنا مثلا أشفق على زملائى المسجونين هنا أن أكشف لهم عن تشاؤمى ، وأتظاهر بأننى أسير معهم فى موكب التفاؤل ! أنا أخفى عنهم أننى أعرف عبد الناصر أكثر كثيرا مما يعرفه الكثيرون . أعرف أنه سريع جدا فى الأمر بالقبض على الناس ، وبطىء جدا فى الأمر

بالافراج عن الناس . أنه يتصور أن القبض علامة القوة والعفو والافراج علامة الضعف والهزال !

وكم حاورته وناقشته فى الافراج عن بعض الناس ، فإذا به يقول أنه يخشى إذا أفرج عن هذا الشخص أن يقول الناس انه خضع لضغط ، أو أنه يخشى شيئا . . أما إذا ملأ السجون بالناس فهذا سوف يقوى صورة الحكم فى أذهان الناس .

لاحظت كثيرا أنه يفضل أن يبدو مرهوبا ، على أن يبدو محبوبا . كثيرا ما قال لى أن الشعب لا يحترم إلا الحاكم القوى ، ويستهين بالحاكم الطيب . .

وأذكر أنه استدعانى عقب انفصال سوريا وسألنى عن رأيى فيما يجب أن نفعله .

قلت له أن من رأيى أن يمنح الشعب المصرى الحرية والديمقراطية وحرية الصحافة . وأن هذه الأشياء لا يمكن أن تمنحها حكومة الانقلاب فى سوريا للشعب السورى ، فإذا رأى الشعب السورى بعد الانفصال أن الشعب المصرى أصبح يحكم حكما ديمقراطيا ثار على حكم الانفصال ، وطالب بالديمقراطية ، واقتلع حكم الانفصال الديكتاتورى . وقلت له أن من رأيى الافراج عن المسجونين السياسيين والغاء المعتقلات . . فقال لى الرئيس غريبة ! أننى قابلت قبلك عشرة من رجالى وكلهم أشاروا على بأن ألجأ إلى العنف فى مصر . . وأخرج الرئيس عبد الناصر من درج مكتبه تقريرا من المخابرات بأن شابين من عائلة البدراوى وسراج الدين شربا فى نادى الجزيرة نخب انفصال سوريا . . وقال انه قرر القبض على جميع أفراد أسرة البدراوى وسراج الدين وجميع رجال الوفد والأحزاب القديمة .

قلت له أنه ليس من رأيى أن يأخذ الكبار بذنب الصغار !

قال : إذا لم ألجأ إلى العنف فسوف يفكر بعض المصريين فى عمل انقلاب

كالذى حدث فى سوريا . . ولابد أن أضرب بشدة حتى يدخل كل هؤلاء إلى الشقوق .

وتركنى الرئيس عبد الناصر نصف ساعة أدافع عن رأيى بأننا نربح بالحرية أكثر مما نربح بالاستبداد . .

ولم يقاطعنى ، حتى شعرت أنه اقتنع بكلامى .

وانصرفت من بيته إلى مكتبى فى أخبار اليوم .

وعند منتصف الليل اتصل بى محررو أخبار اليوم يقولون لى أنه تم القبض على عدد كبير من أفراد أسرة البدراوى وسراج الدين ومن الوفديين ومن أعضاء الأحزاب القديمة . وعندئذ تأكدت أن عبد الناصر من السهل اقناعه بالقبض على الناس ومن الصعب اقناعه بالافراج عنهم .

وهذا يجعلنى لا أصدق الاشاعات التى تؤكد أن تغييرا سيحدث فى أسلوب الحكم ، وأن أغصان الزيتون سترتفع بدلا من السياط !

انى أفهم تماما عقلية الذين حول الرئيس ، وأتصور أنهم يقولون له الآن : لو كنا شنقنا ألف مصرى لما حدثت هزيمة ٥ يونيو !

هؤلاء لا يمكن أن ينصحوا بالافراج عن المسجونين السياسيين أو يطالبوا بالغاء المعتقلات .

انهم سينصحون بالشدة كما نصحوا بعد انفصال سوريا .

العدالة تدخل الزنزانة !

٣٠ يناير سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

زارنى هيكل . سألنى رأيى فيما يجب أن يفعل الرئيس جمال عبد الناصر بعد الهزيمة وبعد انتحار المشير عبد الحكيم عامر .

قلت أن من رأيى أن يفتح صفحة جديدة . أن يعوض الشعب عن هزيمته العسكرية بانتصار داخلى . أن يعلن انتهاء حكم الفرد وبداية حكم الشعب . أن يحل مجلس الأمة ويجرى انتخابات حرة . أن يسمح بعودة الأحزاب وأن يسمح بقيام معارضة فان البلد تعتقد أن ماجرى لنا سببه انعدام الديمقراطية والشورى .

وأن يفرج عن المسجونين السياسيين والمعتقلين ويصفى المعتقلات ويلغى الحراسات ، ويضمد جراح الناس .. ويلغى الرقابة على الصحف . وابتسم هيكل ، وشعرت أن كلامى لم يعجبه ، وأن ماأطلبه هو « انقلاب » .. بينما المطلوب هو « اصلاح » فقط !

وفهمت أن الاتجاه هو إعطاء الشعب حرية بالقطارة .. وأن هناك من يرى أن الحل هو الاتجاه إلى العنف أكثر .. ودهشت أن أصحاب الآراء التى أدت إلى الكارثة التى نحن فيها لايزالون موجودين ، وأنهم لم يتعظوا من الدرس القاسى ، وأنهم يريدون أن يداووها بالتى كانت هى الداء .

وفهمت من هيكل أن الاتجاه كذلك هو أن تقتصر قضية صلاح نصر على اشتراكه فى انقلاب المشير عامر ضد الرئيس عبد الناصر ، وفى انحراف المخابرات فى شأن مئات الألوف من الجنيهات التى أنفقها من مال الدولة على الغانيات والعشيقات ، وعلى لياليه الحمراء ، وعلى بعثرته أموال الشعب لكى

يعيش هو وعصابته كما كان يعيش هارون الرشيد فى قصة ألف ليلة وليلة ، وقال أن الرأى متجه الى أن يحاكم شمس بدران عن جريمة محاولة القيام بانقلاب فى وقت يحتل فيه العدو أرض الوطن .

وقلت لهيكل أنه يجب أن يحاكم صلاح نصر وشمس بدران وحمزة البسيونى عن جرائم التعذيب ، وأن هذه الجرائم ضد الشعب وضد الانسانية وضد العدالة ، وهى فى رأيى أخطر من صرف الأموال على الغانيات ، أو محاولة القيام بانقلاب . . أن الشعب يهمه أن تظهر الثورة براءتها من هذه الجرائم ، وخاصة أن صلاح نصر وشمس بدران يقولان فى السجن أن كل مافعلاه انما فعلاه بأوامر من الرئيس جمال عبد الناصر . بل أن حمزة البسيونى المعتقل الآن فى سجن القلعة يقول لزملائه المسجونين أنه كان ينفذ الأوامر

وقلت له تأكد ياهيكل أن التاريخ سوف يسجل جرائم التعذيب ، وقال هيكل أن المسئولين يرون أن أثارة قضايا التعذيب سوف تسىء الى العهد ، وأنه يكفى الاقتصار على قضية تعذيب الدكتور الشرقاوى . وذكر أنه لايعتقد أنه سيصدر فيها حكم ، وأن بعض المسئولين هاجموه لانه نشر فى الأهرام تفاصيل تعذيب الدكتور الشرقاوى .

وعدت وقلت له أن من رأيى أن تفتح قضايا التعذيب كلها . ولم يوافقنى هيكل على رأيى ، وفهمت منه أن هناك من يعارض بشدة فى التحقيق فى أى قضية تعذيب .

وذكر لى هيكل أن الرئيس كان قد قرر الافراج عنى فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ ولكن نكسة ٥ يونيو اضطرته لتأجيل اصدار هذا القرار . ولكن هذا القرار جاهز ومؤكد .

ولم أعلق على هذا النبأ ولم أصدقه وعدت أطالبه بأن يبلغ الرئيس رأيى بأنه لابد من التحقيق فى قضايا التعذيب .

ووعدنى بأن يبلغ رأيى للرئيس . .

وعلى أى حال سواء قبلوا رأيى أو رفضوه . . فاننى مؤمن بأن الصباح لابد أن يجىء ، وسوف تفتح الصحف ذات يوم فتجد عناوين ضخمة بالخط العريض تقول : « التحقيق فى قضايا التعذيب » .

ويومها سنرفع عيوننا إلى السماء شاكرين الله الذى يظهر الحق ، حتى ولو حاول خصوم الحق أن يخفوه فى التراب .

لقد قلت لهيكل أننى أعتقد أن الرئيس جمال عبد الناصر والثورة والبلد كلها سوف تستفيد كثيرا من كشف الحقائق . وأومن أنه اذا عرفت الحقيقة كلها ، واذا اتخذت اجراءات فعالة لرفع الظلم عن الذين ظلموا ، واذا اتخذت اجراءات صارمة لكيلا تتكرر هذه الجرائم ، فإن بلادنا سوف تخرج من هذه الهزيمة منتصرة ومرفوعة الرأس ، وسوف نستطيع يومها تنقية الثوب الأبيض من البقع السوداء . .

ولكن هيكل فيما يبدو لم يكن مقتنعا بهذا الرأى .

* * *

ان زنزانتى تغلق على الآن ١٨ ساعة كل يوم . لايسمح لنا بالفسحة . جاءت أوامر من الوزارة بالتشديد على المسجونين السياسيين لمناسبة ٥ يونيو . أصبحوا يفتشون زنزانتى بإستمرار يراقبوننى باستمرار . خطاباتى تفتش ، ويحاولون أن يقرأوا مابين السطور . . أننى لم أشك ولم أعترض ، بينما أنا أكتب هذه السطور اليك دخل مقبل شاكر رئيس نيابة حلوان فى جولته الشهرية التى يقوم بها لتفقد السجن ، ومعه الضابط هانى الغنام .

وفوجئت به يسألنى : هل لديك شكوى ؟

قلت : نعم . أننى موضوع فى زنزانة مكتوب عليها ملحق مستشفى

السجن ، ومع ذلك تغلق على الزنزانة ١٨ ساعة كل يوم . وهأنتذا ترى أن الوقت الوحيد الذى تظهر فيه الشمس فى هذا المكان هو الوقت الذى يغلقون فيه باب زنزانتى وأنا مريض بالروماتيزم وفى حاجة الى بعض الشمس . وفى الزنزانة التى بجوارى الاستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين والمستشار السابق بمحكمة النقض والابرام ، وعمره ٧٦ سنة ، وهو مريض جدا ، والمفروض أن نوضع فى مستشفى السجن . ولكن صلاح نصر عندما كان مديرا للمخابرات العامة أمر بأن نوضع فى زنازين يكتب عليها « ملحق بالمستشفى » .

وسألنى رئيس النيابة مقبل شاكر : هل عذبت ؟

قلت : نعم . تعذيبا لايخطر لك على بال . وكل الذين معى فى هذا الطابق عذبوا مثلى وأكثر منى . .

ورويت له ماتعرضت له من تعذيب .

قال رئيس النيابة : أننى مستعد أن أثبت هذا فى تقريرى .

قلت : أننى طلبت من محامى تقديم بلاغ الى النائب العام .

قال : اننى سأحضر بعد شهر ، ويمكنك فى أى وقت تطلبنى لأسمع أقوالك فى التعذيب .

هذا أول مرة تدخل فيها العدالة إلى زنزانتى !

البحث عن الأخبار فى باب حظك اليوم !

أول فبراير سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

انتظامك فى الكتابة يسعدنى فى زنزانتى . صحيح أن الخطابات تتأخر . ان ماتكتبه فى يناير أقرؤه في فبراير إلا أن هذا التأخير لايقلل من أهمية خطاباتك لى . حروف خطاباتك هى أنفاسك التى تدفىء روحى . كلماتها هى الموسيقى التى أسمعها . ورقها هو شخصك الذى ألمسه بيدى . أنا مسرور أنك أصبحت تكتب بيدك بدلا من الآلة الكاتبة . أصبحت الحروف مقروءة . لم أعد فى حاجة إلى أنتظار شروق الشمس حتى أتبين الكلمات على ضوء شعاعها . الذى ينقصك الأن أن تكتب سطرا وتترك سطرا . وخاصة أن الكثيرين يقرأون خطاباتك ويحسن أن تشفق على عيونهم . اللهم إلا إذا كنت تريد أن يزيد الاقبال على أطباء العيون وبائعى النظارات ! ستدهش اذا علمت أنهم قبل أن يسلموا الخطاب إلى يطبعون منه ١٧ نسخة ، ويرسلون نسخة من خطابك إلى الرئيس عبد الناصر ونسخة إلى سامى شرف ونسخة إلى مدير المخابرات ونسخة إلى مدير المباحث ونسخة إلى وزير الأعلام ونسخة إلى هيكل والى وإلى ١١ موظفا كبيرا . . وأنا أقرأ خطابك بعد أن يقرأه هؤلاء جميعا . خطابك المؤرخ ٢١ ديسمبر وصلنى فى ١٤ يناير . ومع ذلك فقد كان جديدا . أشبه برغيف ساخن خرج مباشرة من الفرن . ولهذا التهمته التهاما . لاتتضايق من تأخير خطاباتى لك . أن عملية تهريبها من هنا عملية شاقة مضنية . فلا تتضايق إذا هنأتك بعيد الفطر فوصلت إليك التهنئة فى عيد الأضحى . أو إذا أرسلت لك تهنئة بعيد ميلادنا فى ٢١ فبراير فوصلت إليك فى عيد المسيح فى ٢٥ ديسمبر ! .

أهم أخبارى أن موسم البرد قد أنتهى والحمد لله . والبرد عدو لدود لساكنى الزنازين .

المهندس الذى بنى ليمان طره لم يقصد أن يبنى سجنا ، وأنما قصد أن يبنى أكبر ثلاجة فى العالم ! أو أن الفكرة أن المسجون يجب أن يرتعش أمام السجان ، ولهذا فان البرد يجب أن يجعله يرتعش باستمرار . وعندما ينتهى موسم البرد القارس يبدأ موسم الذباب والناموس وكل أنواع الحشرات ، وهكذا لانودع مصيبة حتى نستقبل كارثة .

لاتزال خطاباتك مليئة بالتفاؤل عن قرب الافراج عنى . وأخشى أن يكون أنفك الصحفى معتمدا على ماقاله لى هيكل أمام سعيد فريحة عندما زارنى فى الليمان . كان ذلك يوم ١٧ ديسمبر وقد مر الأن شهران . قال هيكل لى يومها « أقسم بشرفى أن الرئيس سيفرج عنك فى خلال ثلاثة شهور . . » وها نحن دخلنا الشهر الثالث . . وأقول لنفسى أن صاحب هذا الوعد نفسه قال لى وأنا مسجون فى سجن الاستئناف « الريس طلب منى أن أؤكد لك أنك لن تدخل السجن يوما واحدا ، وأنك ستنتقل إلى مستشفى خاص هو مستشفى الكاتب » . . وقال هيكل أنه تحدث مع الدكتور عبد الله الكاتب شخصيا فى هذا الموضوع . وأن الدكتور الكاتب رحب وقال أنه سيخصص جناحا فى مستشفاه لى . وبدلا من أن أدخل مستشفى الكاتب دخلت ليمان طره . وفى ليمان طره زارنى عقب دخولى مباشرة وقال لى « الريس طلب منى أن أبلغك أنك لن تبقى فى الليمان سوى شهر واحد وبعد ذلك سيفرج عنك » وقد مضى على فى الليمان سنة وسبعة شهور ! .

ولا أعرف ماذا يقصد هيكل بهذه الأخبار الكاذبة ؟ هل هو الذى يكذب ؟ أم أن الروس وأصدقاء الروس هم الذين يضغطون لمنع قرار الافراج ؟ هل المقصود هز أعصابى وتحطيمها فيرفعونى الى سماء التفاؤل ثم يهبطوا بى الى حضيض الواقع . .

وهل هذا نوع من التعذيب ؟

والمسجونون يقرأون الصحف ، يبحثون فيها عن أخبار الافراج ، فاذا لم

يجدوا شيئا فى السطور بحثوا بين السطور ، فاذا لم يجدوا شيئا بين السطور بحثوا بين الحروف ، فإذا لم يجدوا هذا راحوا يستنتجون الفرج من أى خبر . فلما قرأوا أنه أفرج عن المسجونين السياسيين فى العراق تصوروا أن هذا لابد أن يحدث فى مصر . واذا قرأوا أن مجلس الوزراء سيجتمع فى الغد تخيلوا أنه سيبحث مسألة الافراجات . واذا لم يروا شيئا فى الصحيفة سوى أن لجنة الزراعة فى مجلس الأمة اجتمعت توهموا أنه لابد أنها ستبحث مسألتهم لأن أغلب المسجونين من الفلاحين أو أبناء الفلاحين !

وأجد نفسى فى موقف سيىء . فأنا لاأستطيع أن أجعلهم يهدمون القصور التى بنوها فى الهواء ليعودوا الى سكنى الزنازين ، ولا أستطيع أن أتركهم معلقين فى الهواء ، فيسقطوا من أوهامهم الى هاوية الحقيقة ، فأتركهم يعيشون فى خداع النفس راجيا أن تتحقق الأحلام .

ومن الغريب أن بعضهم يقرأ بأهتمام بختى فى باب البخت فى جريدة الأهرام . . وبعض السذج منهم يتصور أن « تلميذى المخلص ! » هيكل يكتب لى يوميا تحت بختى الأخبار التى تهمنى . . فإذا جاء يوم قال بختى « موضوع هام يحققه لك صديق مخلص » استنتجوا من ذلك أن موضوعى تحت البحث وأنه سيتم قريبا ! واذا قرأوا أنتظر أخبارا سارة ، فرحوا وهللوا وأعتقدوا أن الافراجات أصبحت على الأبواب . وإذا قال البخت « عقاب فى طريقك . . أصبر » وجموا ، وأصفرت وجوههم ، ووضعوا رؤوسهم منكسة بين أيديهم ، واستنتجوا أن هناك عقبات فى طريق الأفراج .

***

التعساء يبحثون دائما عن ثغرة فى الظلام يدخل منها شعاع الشمس .

فإذا لم يجدوا الثغرة ، أغمضوا عيونهم ، وتوهموا أن الليل قد أنتهى وطلع النهار .

الفرق بينى وبينهم أننى أعرف أن النهار لابد أن يطلع ، ولكن ليس فى باب « حظك اليوم » المنشور فى الصحف والمجلات .

ربما تجده فى صفحة الوفيات !

مجلس الأمة فى الليمان

١٥ فبراير سنة ١٩٦٨

عزيزتى . .

قيل لنا أن عددا من أعضاء مجلس الأمة ، ومعهم وزير العدل ووزير الداخلية ، سيزوررون ليمان طره . صدرت الأوامر بأن تدهن الجدران . فرشوا الأرض بالرمل الأحمر . وزعوا على كل مسجون بدلة جديدة وقميصا وطاقية . أسرعوا يحضرون سراير لمرضى المستشفى فى الدور الرابع فى عنبر واحد ، بعد أن بحت أصواتهم سنوات من طلب « مرتبة » بلا مجيب ، فقد كان هؤلاء المسجونون السياسيون المرضى ينامون على البلاط ! لم يصرف للمسجونين نصيبهم فى الكانتين ، وذلك حتى يجيىء أعضاء مجلس الأمة فيجدوا رفوف الكانتين مليئة بالبضائع ! أوقف توزيع خطابات المسجونين لأن المشرفين على توزيع البريد كانوا مشغولين فى عملية التنظيف والتجديد . أصبح كل شيء يلمع فى الليمان . من الخارج فقط طبعا ! .

بروفات لغرفة مسرح العرائس المكونة من المسجونين ، والتى سيقال كذبا للنواب بأن المسجونين يستمتعون بها باستمرار ، مع أن الحقيقة أن مسجونا سياسيا واحدا لم يشهد هذه العرائس مرة واحدة .

بروفات بالليل والنهار لفرقة الموسيقى التى ستعزف للنواب ، سوف يقال للنواب كذبا أنها تشنف آذان المسجونين باستمرار ، مع أن المسجونين المساكين لايسمعون بأستمرار الا صوت الضرب والصراخ والأنين يتعالى من عنبر التأديب . أوامر مشددة بأن ينظف المسجونون الزنازين والأحواش والممرات لأن العقلية البوليسية تعتقد أن الدولة مهتمة بالنظافة المظهرية أما الوساخة من الداخل فهى مسألة لاتستحق الأهتمام .

فرح المسجونون جميعا بالزيارة . تصور مسجونو المخدرات أن اللجنة البرلمانية

جاءت تسمع شكواهم . تصور المسجونون السياسيون أن اللجنة جاءت لتحقق قضايا التعذيب . تصور الفلسطينيون المسجونون أن اللجنة جاءت لتصدر العفو عنهم . بعد أن فقدوا بيوتهم فى الحرب سنة ١٩٤٨ ثم سنة ١٩٥٦ ثم فى سنة ١٩٦٧ .

تصور عساكر الليمان أن اللجنة جاءت لتحقق فى تفاهة مرتباتهم ، فان مرتب الواحد منهم ١٤ جنيها فى الشهر وعنده سبعة أو ثمانية أولاد . تصورت مصلحة السجون أن النواب جاءوا ليشاهدوا البط الذى يربيه الليمان ، والصابون الذى يصنعه السجن . وتصور المسجونون الذين يقومون بكسر الأحجار فى الجبل أن النواب جاءوا ليلغوا هذا النوع من الأشغال الشاقة الذى لم يعد له مثيل فى سجون العالم المتمدين ، بعد أن نشرت الصحف منذ عشر سنوات أن هذا العمل غير الانسانى ألغى من عقوبة الأشغال الشاقة ، ثم تبينت بعد دخولى السجن أنه ألغى على صفحات الصحف فقط ! وتصور المسجونون الذين ينامون على الأرض بأن النواب سيأمرون بأن يناموا على سرير ، أو على مرتبة على أقل تقدير ! وترددت أشاعات بين المسجونين ، أشاعة تقول أن اللجنة التى ستزور السجن هى لجنة تقصى الحقائق ، وأنها جاءت لتعرف ايرادات مزرعة البط فى الليمان . وأشاعة تقول أنها لجنة الدفاع عن الحريات وأنها ستبحث جرائم صلاح نصر وشمس بدران فى التلفيق والتعذيب ، وأشاعة تقول أنها لجنة الداخلية ، وأنها جاءت لترى مايجب اختصاره من ميزانية السجون . وأشاعة أخيرة تقول أنها لجنة العدل ، وأن كل عضو سيجىء ليأخذ مجانا خمسة كيلو صابون وبطتين !

ثم قيل أن النواب لن يقابلوا أحدا من المسجونين . وأذاع مدير الليمان فى أذاعة السجن أمرا للمسجونين بألا يقدموا للنواب أى شكوى ، لأنهم « مالهمش دعوى » وأنه مستعد أن يتسلم أى شكوى . .

ومر الضباط على المسجونين السياسيين يقولون لهم أن الأوامر صدرت بمنع أى صوت يرتفع أثناء زيارة اللجنة . . وهاج المسجونون فقيل لهم أن الادارة

ستختار ستة من المسجونين يقابلون اللجنة بالنيابة عن المسجونين ، ثم قيل أن مصلحة السجون لم توافق على هذه الفكرة ، وأن الوزارة أمرت بألا يقابلوا أحدا .

وكنت على ثقة بأن اللجنة لن تقابل أحدا . وضعوا على المسجونين حصارا كاملا . ووضعوا برنامجا يجعل النواب لايرون أى مسجون سياسى .

وجاء يوم الأربعاء الماضى ، وهو يوم الزيارة ، ومشى كل شيء بنظام عسكرى دقيق ثم حدث أن أصيب جارى الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للأخوان المسلمين بنزيف حاد فى الصباح .

ووقع الجميع فى ورطة . أن الرجل نزف فى الوقت غير المناسب . ألم يجد وقتا ينزف فيه الا يوم الزيارة الميمونة ؟

وقرر الأطباء ضرورة نقله على نقالة الى مستشفى السجن لاجراء الاسعافات اللازمة فورا .

لكن ما العمل اذا رأى النواب حسن الهضيبى فوق نقالة ؟ سيعرفون أن رجلا فى السادسة والسبعين من عمره وضع فى زنزانة عادية يغلق عليه بابها ١٨ ساعة كل يوم ، ورفض وزير الداخلية وضعه فى مستشفى السجن على الرغم من أمراضه العديدة حتى حدث له ماحدث .

وزادت حيرتهم . لو تركوه فى زنزانته فقد يموت فى أثناء الزيارة وتصبح فضيحة وسيقال يومها أن الهضيبى مات بسبب انشغال ادارة السجن فى استقبال النواب .

وأصر الأطباء على ضرورة نقله فورا . . وتم نقله فوق نقالة بسرعة مذهلة وغطوه بملاءة بيضاء حتى لايراه النواب إذا تصادف وصولهم فجأة أثناء عملية النقل . ووضعوه فى غرفة بعيدة فى الطابق الثانى من المستشفى وألغوا زيارة النواب للطابق الثانى كله .

ثم وصل النواب ، وصحبهم وكيل وزارة الداخلية وكبار موظفيها ومدير مصلحة السجون ، وذهبوا إلى المستشفى ، وتفرجوا على الدور الأرضي واتخذت الاحتياطيات لكيلا يصل نائب إلى الطابق الثانى . وهكذا لم ير أحد الهضيبى المذبوح وهو ينزف دما .

وتنفس المسئولون الصعداء .

ثم دخلوا عنبر التأديب ، ولكنهم لم يدخلوا عنبر الايراد ، لقد كان فيه ١٨٦ مسجونا سياسيا من الذين عذبوا وضربوا بالسياط ونهشتهم الكلاب فى السجن الحربى على أيدى شمس بدران وحمزة البسيونى . كان كل ثمانية منهم ينامون فى زنزانة مساحتها متران فى ثلاثة أمتار ! مضى على كل واحد منهم ثلاث سنوات لم ير أولاده أو زوجته أو أمه لأنهم محرمون من الزيارة ، ومحرومون من تلقى الرسائل أو من كتابة الرسائل ، ومحرومون من الحق الذى يستمتع به القاتل وهو يشترى حاجاته من الكانتين فى حدود خمسة جنيهات !

وكانت وزارة الداخلية فى اليوم السابق للزيارة أرسلت اللوريات الى السجن لنقل ٨٦ مسجونا سياسيا الى سجن القناطر ، خشية أن يصر نائب فضولى على دخول عنبرهم فلا يرى فضيحة علبة السردين التى هى زنازينهم ، ويرى آثار التعذيب البشعة ! ولكن من حسن حظ المسئولين فى السجن أنه لم يكن بين النواب نائب فضولى واحد يصر على دخول عنبر الايراد .

وعاد المسئولون يتنفسون الصعداء . بعد أن اجتازت اللجنة بسلام هذه المنطقة الشائكة المليئة بالألغام .

ثم اتجهوا إلى عنبر واحد ، حيث يوجد المسجونون السياسيون فى الطابق الرابع ، وأنا معهم ، وأسرع الضباط والحراس يدخلوننا الزنازين ، ويغلقونها بالمفاتيح حتى لانرى أحدا ولا يرانا أحد .

ودخل النواب الى حوش الطابق الأول ، وتطلعوا الى الأبواب المغلقة ثم

أداروا ظهورهم ، وهنا صاح معتوه من سجن المخدرات :

ـ « عايز بطيخ » .

وأمر مدير مصلحة السجون أن يفتح له باب الزنزانة ، وأن ينزل لمقابلة النواب وأعطاه أحد النواب خمسة جنيهات ، فدعا للبرلمان بطول البقاء !
ومال أحد كبار موظفى الداخلية على النواب وقال لهم « كل المسجونين كهذا المسجون » .

وفهم النواب أن كل المسجونين يطلبون بطيخا ، ولا أحد منهم يريد حرية أو عدالة أو تحقيقا فى جرائم التعذيب .

وخرج النواب من البوابة الحديدية لعنبر واحد وتنفس مدير مصلحة السجون الصعداء ، وقال : الحمد لله خرجنا من عنبر واحد بسلام فقد كان من رأى المسئولين جميعا أن عنبرنا هذا هو العنبر المفروش بالألغام ، ولكن لم ينفجر أى لغم والحمد لله .

وخرج النواب الخمسة والعشرون ، ولم يقابلوا مسجونا سياسيا واحدا من ضحايا صلاح نصر أو حمزة البسيونى أو شمس بدران .

ثم ذهب أعضاء مجلس الأمة إلى مزرعة البط ، وكانت الأوامر قد صدرت قبل ذلك بيوم بمعاملة البط معاملة المسجونين ، ولهذا أبقى المشرفون البط داخل حظائره ٢٤ ساعة بغير طعام ، وبغير فسحة ، وما كاد النواب يصلون الى مزرعة البط حتى فتحت أبواب الحظائر ، فخرج البط يقفز ويرقص فى منظر رائع ، ولم يتصور النواب المتفرجون أن هذا الرقص والقفز هو نتيجة الجوع والحبس الطويل ، وأبدوا أعجابهم بأن بط ليمان طرة تعلم كيف يرقص الباليه !

ثم تفرجوا على مسرح العرائس ، وعزفت لهم الموسيقى أعذب الألحان ، وفى وسط هذه الزفة تقدم أحد المسجونين الى النائبة كريمة العروسى وقال لها : مصطفى أمين محبوس فى الطابق الرابع فى عنبر واحد .

ففتحت كريمة فمها فى ذهول وقالت : موش معقول !

أن المسكينة هى الأخرى كانت تصدق الاشاعة التى تؤكد أنه تم الافراج عنى من زمن طويل ، وتقدمت كريمة الى بعض الضباط وقالت : أريد أن أرى مصطفى أمين .

وبهت الضباط . وأصرت كريمة . وقالوا لها أنه يجب أن نستأذن المدير .

وأذن المدير . وأراد الضباط أن تتم المقابلة فى مكتب المدير .

وأصرت كريمة على أن تذهب الى فى زنزانتى . وقال لها أحد الضباط ، أصل عنبر واحد ملىء بالوحوش والقتلة والسفاكين وهذا خطر على حياتك ومايصحش . وأصرت كريمة . قال الضابط : ولكن مصطفى أمين فى الطابق الرابع ، وستتعبين من صعود السلالم .

قالت كريمة : أنا مستعدة أن أصعد إليه فى الطابق العاشر .

وجاءت كريمة العروسى الى زنزانتى . قلت لها أننى فى دهشة أن يجىء ٢٥ عضوا من مجلس الأمة ليتفرجوا على البط ، بينما لايقابلون المسجونين السياسيين الذين عذبهم صلاح نصر وشمس بدران وحمزة البسيونى .

ورويت لها بعض التعذيب الذى تعرضت له ، وآثاره على جسدى . فاقشعر بدنها ، وامتلأت عيناها بالدموع . ثم أحضرت لها مسجونا سياسيا آخر كووه بالنار ، ولا تزال آثار الحرق فى كل جسمه . ومسجونا ثانيا حطموا جمجمته . ومسجونا ثالثا نزعوا أظافره . وأدخلتها زنزانة مسجون حطم شمس بدران عموده الفقرى فأصبح عاجزا عن الوقوف على قدميه ، ومسجونا آخر أصيب بالشلل نتيجة التعذيب الوحشى ، فأصبحنا نحمله على كرسى ليذهب الى دورة المياه . .

وقالت كريمة أنها لن تسكت على هذا ستذهب الى مجلس الأمة وتطالب

بإعادة التحقيق فى كل القضايا التى لفقها صلاح نصر ، وفى المذابح التى حدثت فى السجن الحربى وباقى السجون . .

واعتبر المسجونون السياسيون دخول كريمة العروسى إلى العنبر ومشاهدتها ضحايا جرائم التعذيب أنتصارا ضخما على الذين أرادوا أن تكون زيارة الخمسة والعشرين نائبا عبارة عن زيارة البط وراح المسجونون يرقصون من الفرح لهذا الذى أستطاعوا أن يحققوه !

ولكن ماحدث بعد ذلك كان لايخطر على بال . .

عادت كريمة العروسى إلى غرفة مدير الليمان . . فوجدت أعضاء مجلس الأمة جالسين يشربون الشربات ، وتقدم منها أحد الضباط الكبار وقدم لها كوبا من الشربات وهو يقول :

ـ هذا شربات مصنوع فى الليمان .

ـ ودفعت كريمة العروسى كوب الشربات بيدها وهى تصرخ :

ـ شربات ؟ أنا بعد الكلام اللى سمعته من مصطفى أمين ، وشوفته بعينى لازم أشرب سم .

ثم التفتت نحو أعضاء مجلس الأمة وصاحت فيهم :

ـ سيبوا الشربات . وتعالوا شوفوا مصطفى أمين . وأسمعوا بآذانكم . . وشوفوا بعيونكم .

وانتفض النواب . . رموا أكواب الشربات من أيديهم . أسرعوا يعدون كالمجانين إلى عنبر واحد ، والضباط ، ووكيل الداخلية ومدير مصلحة السجون وكبار موظفى الداخلية وضباط المباحث يهرولون وراءهم !

وصعدوا درجات سلالم الطوابق الأربعة وهم يلهثون .

وسرى النبأ كالكهرباء داخل السجن ، قام السجن كله على قدم وساق .

المسجونون وقفوا متعلقين بقضبان زنازينهم يشاهدون وكيل الداخلية يجرى ، ومدير مصلحة السجون يعدو . الحراس فى ذهول وهم يرون هذا الموكب الذى كان يمشى منذ دقائق فى تؤدة وجلال ووقار ، وقد تحول فجأة إلى سباق فى العدو . الضباط يمسحون عرقهم بمناديلهم فى شهر فبراير البارد .

الكل فى دهشة وذهول . ماذا حدث ؟ ماذا جرى ؟ ما الذى أعاد كل هؤلاء إلى عنبر واحد بعد أن أنتهت زيارة العنبر : صدرت الأوامر بدخول جميع المسجونين الى زنازينهم . رفض المسجونون الدخول . كان الضباط يأمرون الحراس بأدخال المسجونين الى زنازينهم ويغلقون عليهم الأبواب ، ولكن الحراس وقفوا كالأصنام . تسمروا فى أماكنهم . كأنهم فقدوا حاسة سماع الأوامر والتعليمات عندما رأوا الرعب فى عيون مدير المصلحة وكبار موظفى الداخلية . أوامر المصلحة ماتت فى الدوى الكبير . تعليمات مدير الليمان ماتت على شفتيه . خرج كل شىء من أيدى المسئولين فى الليمان .

كأن المسجونين قاموا بانقلاب داخل السجن ، وتحول المسجونون إلى سجانين وأصبح الضباط والحراس هم المذنبين . كان هذا الموكب الذى كان يعدو الى زنزانتى داس فى طريقه كل شىء . داس على النظام الموضوع . داس على الترتيبات العسكرية الدقيقة التى أرادت أن يمشى النواب فى طابور دون أن يتجهوا الى اليمين أو اليسار . داس على مظاهر الاحتفال الرائع . فى لحظات لم يعد أى شىء يلمع فى السجن . الجدران التى كانت تتوهج بسبب الطلاء الجديد بهتت فجأة ، شحبت ، أصفر وجهها من الرعب . الرمل الأحمر أصفر هو الأخر ، أو لعله أسود من الخجل والكسوف . بينما عنبر واحد الذى كان فى سكون المقابر من دقائق ، ترمى فيه الدبوس فتسمع رنينه ، عادت اليه الحياة .

وأراد النواب أن يدخلوا زنزانتى الضيقة . ولاحظت أن عددهم كبير . فهى لاتتسع إلا لنائب واحد أو ثلاثة نواب محشورين ، ويبقى الأخرون خارج

الزنزانة لايسمعون ماأقول . .

قلت لهم : ان زنزانتى لاتكفيكم جميعا ! سأقابلكم فى الردهة أمام الزنزانة لتسمعوا كلكم ماأقول . .

واصطفوا جميعا حولى ، ووراءهم وكيل الداخلية ومدير مصلحة السجون ، ومدير الليمان ، وكبار ضباط المصلحة ، وضباط المباحث ، وضباط السجن ، وعدد من الحراس بينما تعلق المسجونون بقضبان نوافذهم ، واحتشدوا فى الممرات يتطلعون فى ذهول .

وتكلمت بصوت عال جهورى ، كان يدوى فى العنبر كله ، حتى أن المسجونين فى الطابق الأرضى كانوا يسمعون ماأقوله فى الطابق الرابع . .

قلت لهم :

ـ أننى كنت نائبا فى البرلمان لمدة خمس سنوات وأنا أعرف مايستطيع البرلمان أن يفعله لمصلحة الشعب . . ولقد دهشت عندما جاء ٢٥ نائبا من أعضاء مجلس الأمة الى ليمان طره ، ليتفرجوا على البط ، وليشهدوا مسرح العرائس ، ثم لايدخلوا زنازين المسجونين السياسيين , ان فى كل زنزانة هنا مذبوحا . أريد أن تدخلوا كل زنزانة لتروا ضحايا تعذيب صلاح نصر وحمزة البسيونى وشمس بدران . أحب أن تسمعوا بآذانكم وتروا بعيونكم آثار التعذيب . كل واحد منا عذبوه تعذيبا وحشيا . هدد بهتك عرض زوجته أو خطيبته أو بناته . خلعوا ملابسنا حتى أصبحنا عرايا كما ولدتنا أمهاتنا . صلبونا على الجدران ، ضربونا ضربا مبرحا حتى يغمى علينا .
كانوا ينزعون بأظافرهم شعر العانة . كانوا يربطون جهازنا التناسلى بسلك كهربائى ويجذبوننا منه ، ويلفون بنا ويدورون فى غرف التعذيب .

أنا حدث لى كل هذا . هددونى بالاعتداء على عرض سكرتيرتى وبناتى أمامى . كانوا يديرون أشرطة فيها أصوات أطفال تصرخ وهم يضربون

بالسياط . كانوا يمنعوننى من النوم عدة أيام . يمنعون عنى الماء فى أشد أيام شهر يوليو وشهر أغسطس حرارة عدة أيام . كانوا يتركوننا بلا طعام . وأخذونى إلى السجن الحربى صلبونى . أطلق على حمزة البسيونى الكلاب البوليسية الهائجة تهاجمنى وتنهشنى !

أنا لاأريد أن أتكلم عن نفسى . أنا أستطيع أن أدافع عن نفسى . أنما فى هذه الزنازين ألوف لايستطيعون الكلام ، لايستطيعون أن يفتحوا أفواههم ، لايستطيعون أن يرفعوا أصواتهم . أن واجبكم أن تفتحوا كل زنزانة . سترون فى كل زنزانة مذبوحا ، ذبحه صلاح نصر وحمزة البسيونى وشمس بدران . سترون بأعينكم آثار الضرب والتعذيب آثار الحرق ونزع الأظافر . ستسمعون بآذانكم القصص البشعة عن التعذيب والتلفيق والظلم والأرهاب .

قال مدير الليمان : دى حاجة غريبة . هذه أول مرة يشكو فيها الأستاذ مصطفى أمين . أنا هنا منذ عامين ، ولم أسمعه يشكو مرة واحدة !

ثم التفت مدير الليمان نحوى وقال :

ـ ألم أطلب اليك أن تشكو ؟

قلت : أنا لاأشكو لضباط . لقد جاء وزير الداخلية إلى زنزانتى وسألنى الوزير : هل عندى أى شكوى ؟ فقلت له : لا . . متشكر . . أنا لاأشكو .

قال مدير الليمان : نعم حدث هذا أمامى .

قلت : ولكن الآن أتكلم أمام نواب الأمة . أنتم ممثلو الشعب . أننى أضع فى رقبتكم هذه المسئولية . أنا شخصيا عشت حياتى . أنما الذى يهمنى حياة وشرف وحرية وكرامة وآدمية ثلاثين مليونا . أنكم إذا سكتم سيظهر فى كل يوم صلاح نصر جديد . . وستوضعون أنتم فى هذه الزنازين . تنتهك أعراض زوجاتكم وبناتكم . سيهدد شرفكم . ستلفق لكم التهم والأكاذيب . سترغمون على الاعترافات الكاذبة . . ستضربون بالسياط .

والأهم من هذا نحن نستطيع أن نتكلم . أن نصرخ . أن نفضح ماجرى فينا . ولكن هناك غيرنا ، هؤلاء الذين دفنهم المجرمون في السجن الحربي وسجن صلاح نصر . أن الموتى لايتكلمون ! لقد كنت أتصور أنه بدلا من أن تزوروا البط أن تنتقل لجنة برلمانية منكم إلى السجن الحربي وتبحث عن الجثث المدفونة هناك . كنت أتصور أنكم ستذهبون الى مقر صلاح نصر وتضبطون آلات التعذيب التي أشتريت بآلاف الجنيهات من دم هذا الشعب المسكين . هل يستطيع هؤلاء المدفونون فى السجن الحربى أن يتكلموا ؟ وأن يشكوا ؟ ولمن يتكلمون ولمن يشكون ؟ .

أن التاريخ سوف يثبت أن صلاح نصر وعصابته والذين ظلموا هم سبب الهزيمة ، هم الذين وضعوا العصابة على العيَون فلا ترى ، ووضعوا الكمامات على الافواه فلا تتكلم ، ووضعوا الأصابع فى الآذان فلا تسمع . أن التاريخ سوف يثبت أن سبب الهزيمة هو الكبت والارهاب وحكم الفرد والتعذيب والتلفيق وأشاعة الخوف والرعب بين الناس ! المقيدون بالسلاسل لايمكن أن يكسبوا حربا !

أننى فى دهشة أن يحاكم صلاح نصر لأنه خان الحكم ، ولايحاكم لأنه خان الشعب ! دهشت أن تكون جريمته أنه تآمر على الدولة ، ولا تكون جريمته أنه قتل الألوف وعذب الألوف ونشر الارهاب بين الشعب كله . . يجب أن يحاكم صلاح نصر على جرائمه الحقيقية . أما أنه برىء فيجب أن يخرج من السجن ، وأما أنه مجرم ملفق معذب . فيجب أن يخرج كل هؤلاء الذين ظلمهم أو عذبهم !

وهنا قال أحد النواب : لماذا لم يتقدم الذين أصابهم التعذيب بشكاوى ؟

قلت : شكوا . . كتبوا شكاوى وأحيلت شكاواهم نمد صلاح نصر الى صلاح نصر ، والى تلاميذ صلاح نصر ! ومن سخرية القدر أن صلاح نصر فى السجن الآن . ولكن الأوامر التى أصدرها لاتزال تنفذ علينا . كان السياسيون

المرضى يوضعون فى الماضى فى المستشفى ، فأمر صلاح نصر بأن يوضع المرضى فى الزنازين . وتغلق عليهم الأبواب ١٨ ساعة كل يوم .

فسأل أحد النواب : مارأيك فى أنظمة السجن ؟

قلت : أنها قوانين وتعليمات أصدرها مجرمون ، وينفذها شرفاء أننى أقترح أن يوفد مجلس الأمة لجنة تجىء إلى السجون ، وتقابل كل مسجون ، وترى الناس والمذابح والجرائم التى صنعها صلاح نصر وزبانيته وشمس بدران وحمزة البسيونى ضد الأبرياء . . أنا أرفض أن تكتفوا بكلامى . أنا أطلب إليكم أن تفتحوا كل زنزانة . أن تدخلوا الى كل مذبوح . أن تسمعوا بآذانكم أنين المعذبين والمصلوبين ، وتروا بأعينكم آثار التعذيب على أجسادهم .

وأنتهيت من كلمتى . وانتشر النواب . دخلوا كل زنزانة . اقشعرت أبدانهم مما سمعوا . امتلأت عيونهم بالدموع لما رأوا . كانوا يمشون مترنحين ، ذاهلين كأنهم يمشون فى جنازات لاتنتهى ، فقد كان فى كل زنزانة نعش ميت .

وكانوا يصرون على فتح باب كل زنزانة . حدث أن وجدوا بابا مغلقا فطالبوا بفتحه .

قال الضابط : هذا مخزن .

فصاح فيه أحد النواب بغضب :

- أفتح ! فقد تجد هنا مذبوحا آخر تخفونه !

ووقف معى بعض النواب ، وتحدثت معهم فى كل شىء .

تحدثت معهم عن المحكوم عليهم بالمؤبد فى قضايا المخدرات ، وقلت لهم أنه من العار أن تنشر كل صحفنا بيانا بأمضاء النائب العام . وبشهادة الطب الشرعى ، يقول أن النائب الأول لرئيس الجمهورية والنائب العام للقوات

المسلحة كان يمضغ الأفيون ، ولا يسأل أحد عن مصدر هذه المخدرات . بينما اذا ضبطت الشرطة فقيرا ومعه قطعة أفيون أو حشيش يحكم عليه بالسجن المؤبد ، والعار الأكبر أن كثيرا من أحكام المؤبد هذه بتوقيع النائب الأول لرئيس الجمهورية نفسه . أن فى السجون آلافا من هؤلاء .

وتحدثت معهم عن الفلسطينيين المحكوم عليهم . وقلت لهم : ماهو شعور الفلسطينيين الذين فى السجن عندما يرون الجاسوس الاسرائيلى لوتز ، الذى أعطى لاسرائيل كل أسرار مطاراتنا قبل العدوان ، وهو يعفى عنه ويخرج من السجن بقرار جمهورى ؟ ماهو شعور الفلسطينيين وهم يرون المسجونين اليهود من عصابة لافون يعفى عنهم بقرار جمهورى وهم يعرفون أن هؤلاء اليهود كانوا من المخابرات الاسرائيلية وكانت مهمتهم القاء قنابل على الابنية الامريكية فى القاهرة لايقاع الخلاف بين مصر وأمريكا . ماذا يقول الفلسطينيون وهم يشهدون هذا التسامح مع الاسرائيليين ، وهذا التشدد مع الفلسطينيين الذين أصبحوا لاجئين ثلاث مرات عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ؟ .

وتحدثت مع النواب عن حالة حراس السجن . كيف أن الواحد منهم يتقاضى حوالى عشرة جنيهات وعنده خمسة أو ستة أطفال . والصحف تقول أن جميع المواطنين والعمال يعملون سبع ساعات فى اليوم ، وهؤلاء الحراس يعملون ١٢ ساعة ، ولا يعطون أجرا على زيادة ساعات العمل . وقلت لهم أن فى ميزانية السجن ٨٠ ألف جنيه لطعام الحراس ، ولو وزعت عليهم نقودا ، لاصاب كل واحد منهم جنيهان فى الشهر أو ثلاثة جنيهات .

قلت لهم أن السجون فى البلاد المتمدينة التى يوضع فيها أعتى المجرمين تسمح بالزيارة لأسر المسجونين كل يوم من أيام الأسبوع ومن حق المسجون أن يبقى مع أسرته سبع ساعات فى الزيارة ، بينما المسجون هنا يزوره أهله مرة كل شهر ، وتستمر الزيارة بضع دقائق ، ويفصل سلك غليظ بين المسجون وأسرته ، وكأن المسجون فى قفص القرود فى حديقة الحيوان . وفى سجون الخارج كل مسجون فى غرفته راديو وينفقون فى سجن « سنج سنج » فى أمريكا على طعام كل

مسجون خمسة دولارات فى اليوم ويتقاضى المسجون حوالى دولارين . وسألنى أحد النواب لماذا لاأشكو المخابرات . . أننى لو نبهت لخطر مخابرات صلاح نصر من قبل كنت جعلت البلاد تتفادى كوارث كثيرة . .

قلت : اننى كتبت كل شيء للرئيس جمال عبد الناصر ، وأتصور أن عبد الناصر محاصر ولا تصله الحقيقة !

قالوا : لماذا لم تكتب الى غيره ؟

قلت : لمن أشكو المخابرات ؟ أشكوها لرئيس الوزراء وقتئذ ؟ لقد كان زكريا محيى الدين مدير المخابرات الأسبق ؟ أشكوها للأمين الأول للاتحاد الأشتراكى ؟ لقد كان على صبرى مدير المخابرات السابق ؟ أشكوها لوزير الداخلية ؟ أنه شعراوى جمعة وكيل المخابرات السابق ؟ أشكوها لوزير الحربية ؟ أنه أمين هويدى وكيل المخابرات السابق ؟ أشكوها لوزير الشباب ؟ أنه طلعت خيرى وكيل المخابرات السابق ؟ أشكوها لمساعد أمين الأتحاد الأشتراكى فى الوجه القبلى حيث أملك خمسة أفدنة ؟ أنه عباس رضوان الصديق الصدوق وكاتم أسرار صلاح نصر مدير المخابرات السابق ؟ أذهب الى بنها وأشكوها للمحافظ ؟ أن محافظة القليوبية هو كمال أبو الفتوح وكيل المخابرات السابق ! أترك بنها وأذهب إلى شبين الكوم ؟ أن محافظ المنوفية هو ابراهيم بغدادى الضابط السابق بالمخابرات ؟ أترك شبين الكوم وأذهب إلى بور سعيد ؟ أن محافظ بورسعيد هو فؤاد طولان وكيل المخابرات السابق . . أن المخابرات كالاخطبوط لها أرجل وأيد وعيون فى كل مكان .

قالوا : أذن هم أكبر قوة فى البلد !

قلت : هناك قوة أكبر هى الله . . وسوف تثبت الأيام أنه قادر أن يفعل بصلاح نصر مالا يخطر لاحد على بال !

وكان كبار موظفى وزارة الداخلية والسجون ينظرون إلى ساعاتهم بأستمرار ، أن النواب بقوا معنا أكثر من ساعة . وكانوا يتعجلون النواب ، والنواب

يرفضون مغادرة الزنازين . كان الضباط يحاولون أنهاء الزيارة ، ولكن النواب كانوا مصرين على البقاء .

وياظت المأدبة الفخمة التى كانت معدة للنواب . الأطعمة الساخنة بردت الحلوى الفاخرة ساحت . أكثر النواب لم يستطيعوا أن يأكلوا شيئا . أن ماروواه من أهوال وماسمعوه من مخاز سد نفسهم عن الطعام .

وكان موقف مدير الليمان عبد الله عماره وجميع ضباط السجن ممتازا . . تركونا نتكلم . لم يمنعوا أى مسجون سياسى من أن يقول كل مايريد . كانوا يصحبون النواب الى كل زنزانة . ورأيت الدموع فى عيونهم عندما تحدثت عما أصابنى من تعذيب ، وكانوا سعداء لأننى لم أشك من أى شىء عن داخل السجن . كانت كل الشكاوى عما أصابنا فى سجن صلاح نصر والسجن الحربى .

وكان بين النواب سيد جلال ، وهو الأن فى السبعين من عمره . وما أن رآنى حتى عانقنى وقبلنى وبكى وهو يقول :

ـ أن الأطباء منعونى من أن أصعد السلالم . ولكنى عندما علمت أنك فى الدور الرابع قررت أن أصعد ، حتى لو أصبت بذبحة صدرية جديدة .

وقبل أن ينصرف النواب صافحونى . وقالوا لى أننا نشكرك لانك ساعدتنا على أن نعرف واجبنا .

وأنتهت الزيارة . .

كان كل من فى السجن سعيدا .

الضباط سعداء لان أحدا لم يشك منهم ، بل على العكس أثنينا عليهم الحراس سعداء لأننا تحدثنا عن مطالبهم .

المسجونون العاديون سعداء لأنهم وجدوا من يرفع صوتهم .

المسجونون السياسيون سعداء لأنهم أخرجُوا كل ماكان محبوسا فى قلوبهم وشجعهم كلامى على أن يقولوا كل ماتحملوه من عذاب .

وفى اليوم التالى كان السجن فى عيد . كان كل المسجونين فرحين مبتهجين لان صوتا ارتفع يعبر عن أنينهم ، وعذابهم ، وآلامهم وصرخاتهم المحبوسة ودموعهم المكتومة ، وحزنهم المدفون . .

وقال لى الكثيرون منهم : نشكرك . . أنك جعلتنا ننام الليل كله ، ولأول مرة منذ عدة سنوات .

أننى لم أفتح لهم باب السجن ، وأنما فتحت لهم باب الأمل .

لم أضمد جراحهم ، وأنما تركت تأوهاوتهم تخرج من أفواههم المكممة . . لم أرفع الظلم عنهم ، ولكنى مكنت كل واحد منهم أن يصرخ ويقول أنا مظلوم !

وأنا أيضا نمت نوما سعيدا عميقا .

لاننى قلت كل مافى قلبى !

كنا سعداء لان خمسة وعشرين رجلا وامرأة سمعوا صراخنا .

ترى . . هل يجىء اليوم الذى سوف تسمع فيه الملايين صراخنا ؟ نعم ! سيحدث هذا بإذن الله ! .

كل نائب يفتح فمه عن التعذيب سيفصل من مجلس الأمة !

١٨ فبراير سنة ١٩٦٨

عزيزتى

كان زملائى فى السجن يتوقعون نتائج باهرة لزيارة النواب للليمان ! أما أنا فلم أتوقع شيئا من مجلس الأمة ، المجلس الذى رقص بعض نوابه « عشرة بلدى » عندما عدل الرئيس جمال عبد الناصر عن استقالته ، بعد خمسة أيام فقط من هزيمة ٥ يونيو - المجلس الذى أعطى للرئيس تفويضا على بياض . المجلس الذى لم يجرؤ على تأليف لجنة تحقيق فى أسباب الهزيمة المروعة . كان كل مايهمنى هو الرأى العام . أن يخرج النواب من عندنا ، ويرووا للناس ماسمعوه عن بشاعة التعذيب . . وبذلك نهزم مؤامرة الصمت عن التعذيب التى فرضت علينا !

وفعلا صدق ظنى . خرج النواب من عندنا متحمسين ومصممين على اثارة مسألة التعذيب فى مجلس الأمة ، وتقديم أسئلة واستجوابات والمطالبة بالأفراج عن المسجونين السياسيين . واذا بالأوامر تصدر اليهم تقول لهم « هس » ! لاتفتحوا أفواهكم . وكتب لى تلاميذى يقولون أن النواب كانت لديهم الشجاعة على أن يرووا لزملائهم ما رأوه . وأن الأجهزة تحركت على الفور . وأن بعض النواب هددوا بالفصل من الاتحاد الأشتراكى ومن عضوية مجلس الأمة اذا أثاروا مسألة التعذيب . .

وقيل لهم أن التعذيب سياسة عليا وليس من حق أحد أن يتحدث عنه ! وصمت النواب وخرسوا وعرفوا أن مهمتهم هى التصفيق الحاد !

ولكنى لاايأس من هذا الظلام الدامس . ان الله يحل كل المشاكل وماكنت

أراه دائما بلا حل تمتد يد الله وتحله بأحسن مما كنت أتمنى وأتصور . لقد كنت جالسا أستعرض حياتى . تذكرت وأنا طفل صغير اننى كنت أعيش وسط أسرة تعيسة وحيدة بنفى رب الاسرة سعد زغلول . كانت كل الانباء التى تجيىء لنا سيئة كنا نتوقع موته فى منفاه فى جزيرة سيشل بسبب شيخوخته وأمراضه العديدة وسوء معاملته . ثم أشرقت الشمس ، وعاد سعد من منفاه ، واستقبلته مصر بما لم تستقبل به أحدا فى التاريخ . وعندما كان عمرنا ١٤ سنة قمنا بمظاهرة ضد دكتاتورية محمد محمود وقبض على وعلى أخى ، وفصلنا من مدرسة الأوقاف ، وضاقت الدنيا فى عيوننا وتصورنا أننا سنمضى حياتنا بلا تعليم ، ثم أشرقت الشمس وانتصر الشعب ، وسقطت دكتاتورية محمد محمود وعدنا الى المدارس . . وكان عمرنا ١٦ سنة وبعد شهور الغى الملك فؤاد واسماعيل صدقى دستور الشعب وأغلق البرلمان ، فنظمت أنا وأخى اضرابا فى جميع المدارس الثانوية وقدنا مظاهرة عنيفة تهتف بسقوط الملك وسقوط رئيس الوزراء . وقبض علينا . وصدر قرار مجلس الوزراء برفتنا من جميع مدارس مصر وحرماننا من جميع الأمتحانات . وتصورنا أننا سنعيش جهلاء لانحمل شهادة عليا . ثم أشرقت الشمس وحصل أخى على بكالوريوس فى الهندسة من انجلترا وحصلت على ماجستير فى العلوم السياسية من الولايات المتحدة . ثم حدث وأنا أعيش مع والدى وهو وزير مفوض فى أمريكا أن غضب عليه الملك فاروق وأحاله إلى الاستيداع وتصورت أنها نهاية الدنيا ، ولم البث أن أتممت دراستى . وكان رفت ابى خيرا علينا . وأشرقت الشمس وأصبحت رئيسا لتحرير آخر ساعة وعاد أبى الى عمله . وحدث أن كتبت مقالا فى سنة ١٩٤٠ أغضب على ماهر رئيس الوزراء فرفت أبى من وظيفته ، وشعرت أنها كارثة نزلت علينا من السماء ، وأنها ستعرضنا للجوع وعملى الصحفى مهدد بسبب الرقابة الصحفية . ولم ألبث أن أصبحت رئيسا لتحرير مجلة الأثنين ، وأصبح ايرادى ضعف ايراد رئيس وزراء مصر وأضعاف ما كان يقبضه أبى من الدولة وقتئذ . ثم غضب رئيس الوزراء مصطفى النحاس على لاننى كنت أعارضه فى مجلة الاثنين ، واحال ابى للمعاش للمرة الثالثة .

ثم أشرقت الشمس وأصدرت « أخبار اليوم » مع أخى . . وهكذا كانت حياتى سلسلة أزمات وكوارث ومتاعب ولكن الله دائما كان يحول المصيبة الى خير ، والكارثة الى نعمة . لهذا أؤمن بالله عن يقين ، وعن عقيدة وعن تجربة . ولقد رأيت الله كثيرا . . وأحسست بيده تشتدنى اذا تعثرت . وترفعنى اذا وقعت ، وتنقذنى اذا هوت على رأسى مطارق الحياة . وكل مانتعرض له ليس جديدا على أسرتنا . فى سنة ١٩١٩ أصدر القائد العام البريطانى قرارا بمصادرة أموال أبى . ووجدنا الناس الطيبين الذين يساعدوننا حتى رفعت الحماية البريطانية وألغيت المصادرات .

وفى سنة ١٩٦٥ صدر قرار بوضعى أنا وابنتى وعلى وزوجته وأبنتيه تحت الحراسة .

وسوف تلغى هذه الحراسة عندما ترفع الحماية الروسية عن مصر بإذن الله .

أن كل مايصيبنى لايفقدنى أيمانى ببلدى ، بل يزيدنى تمسكا بها ، وحبا لها ، ويضاعف ايمانى بالله .

أنا الأن فى الشهر الواحد والثلاثين فى السجن . أتممت السنتين ونصف السنة فى ٢١ يناير . . وأنا أعرف ماذا تعنى هذه المدة الطويلة للذين يحبوننى من عذاب وشقاء وحرمان . ولقد احتملت نصيبى من هذا كله برضاء . ولكن الذى لااحتمله هو نصيبكم انتم من هذا الشقاء . هذا الشعور يجعل قلبى يدمى . لولا آلام الذين يحبوننى لما شعرت بأى فرق بين وجودى فى السجن ووجودى خارج السجن . الذى يحز فى نفسى أنكم تتعذبون أكثر مما أتعذب . وتشقون أكثر مما أشقى . أننى أقلق باستمرار عليكم أتتبع أخباركم . وعندما تصلنى كلمة منكم أعيش معها وبها . أحاول أن أجعل الكلمة الصامتة تنطق وتتكلم وتحكى وترد على ألوف الأسئلة وتسمعنى آلاف التفصيلات .

أن حياتى مليئة بالذين يحبوننى والذين أحبهم ، بناس لم أعرفهم ولكنهم يتصلون بى ويكتبون الى . أننى لاأشكو السماء لانها تركتنى فى هذا السجن ، بل

أشكرها لهذا الحب الذى أعطته لى . لاأشعر هنا بشقاء ولا قسوة ولا حرمان . فان الذين حولى يغمروننى بالعطف والحب والحنان . لا أحس بالاختفاء داخل القضبان ، بل أجد روحى منطلقة الى الملايين التى أحبها وتحبنى . الى الفقراء . الى التعساء . إلى المظلومين الذين أولونى ثقتهم . عندما أحس البرد وتعجز البطاطين عن أن تمنع جسدى من القشعريرة أفكر فى حب الناس فأشعر بالدفء .

أننى فى السجن لست وحدى أبدا !

أرسلت بلاغا إلى النائب العام فاختفى من مكتبه وظهر فى النيابة العسكرية

١٩ مارس سنة ١٩٦٨

عزيزتى . .

حدثت فى هذا الأسبوع أشياء عجيبة .

وصل إلى السجن أخطار من النائب العام أن أذهب الى رئيس النيابة فى دار القضاء العالى فى يوم الخميس ١٤ مارس لادلى بأقوالى فى بلاغ النائب العام . . وفى نفس الوقت وصلت إشارة مستعجلة تأمر بإلغاء ذهابى بناء على أمر وكيل الداخلية .

وتكرر هذا الحادث الغريب عدة مرَات . النائب العام يستدعينى للتحقيق ووزير الداخلية يأمر بعدم تنفيذ طلب النائب العام .

ولم أعرف سبب هذا الموقف الغريب العجيب المريب . لم أعرف الأسباب فى أن الحكومة لاتريد أن أدلى بأقوالى فى التعذيب وترفض أمر النائب العام الا سببا واحدا وهو أن الحكومة تريد أن تتستر على ماجرى لى ، ولا تريد أن يعرف الناس الجرائم البشعة التى حدثت ضدى .

ثم حدث أمس أن حضر الى السجن الرائد أحمد فهمى رئيس النيابة العسكرية وسمع بلاغ الاستاذ حسن الهضيبى عن التعذيب ، ثم استدعانى لسماع أقوالى . وذهبت إلى رئيس النيابة العسكرية ، فوجدته جالسا فى غرفة بمستشفى السجن يسمع أقوال الأستاذ حسن الهضيبى .

وطلب منى رئيس النيابة العسكرية أن أنتظر فى غرفة كبير الأطباء الى أن يستدعينى ثم أرسل يستدعينى . ولكن حراس السجن قالوا لى أن مدير الليمان أمر بألا أذهب للادلاء بأقوالى قبل أن أقابل مدير الليمان أولا ! .

وحرت هل أنفذ أمر رئيس النيابة العسكرية أم أمر مدير الليمان .

ولكنى كمسجون رأيت أن من الاسلم أن أنفذ أوامر مدير الليمان .

وذهبت إلى مدير الليمان ، فقال لى أنه لايستطيع أن يسمح لى بالادلاء بأقوالى قبل استئذان وزير الداخلية .

وتركنى مدير الليمان فى مكتبه ، وذهب إلى مكتب آخر ليتصل بمدير مصلحة السجون ، الذى سيتصل بوكيل وزير الداخلية ، الذى سيتصل بوزير الداخلية !

وقال لى الضباط أن مدير الليمان فى حيرة لان لديه أوامر مشددة من وكيل الداخلية بألا أدلى بأقوالى فى التعذيب .

فماذا يفعل الأن ؟

وقام مدير الليمان باتصالاته . ثم عاد وسمح لى بالذهاب الى رئيس النيابة العسكرية فى المستشفى للادلاء بأقوالى .

وحمدت الله أن الأزمة قد حلت . .

وعندما قابلت رئيس النيابة العسكرية لاحظت أنه يحقق فى البلاغ الذى قدمته الى النائب العام فى ٢١ فبراير سنة ١٩٦٨ .

وقلت له أننى لم أقدم بلاغا للنيابة العسكرية ، وأنما قدمت البلاغ للنائب العام وأن جميع زملائى المسجونين السياسيين الذين قدموا بلاغات عن التعذيب الى النائب العام سئلوا أمام النيابة العامة فى دار القضاء العالى ، فلماذا تسألوننى

أنا أمام النيابة العسكرية . . وأنا لست من القوات العسكرية ؟ !
وأكتشفت ان النائب العام ليس هو الذى حول بلاغى إلى النيابة العسكرية وأكتشفت أن وزير الداخلية والمخابرات العامة هم الذين منعوا ذهابى إلى النيابة العامة ، وأكتشفت فوق هذا أن بلاغى انتزع من مكتب النائب العام ، وارسلته المباحث العامة إلى النيابة العسكرية لتمنع النائب العام من التحقيق .

ودهشت لهذا التصرف الغريب ، ولم أفهم الغرض منه . اللهم الا إذا قصدوا أن يكون سماع أقوال الهضيبى وأقوالى - دون جميع المسجونين - فى أضيق نطاق . ولهذا تولته النيابة العسكرية ، حتى لايخرج شيء عن تعذيبنا الى الناس ، ويعرفه القضاة ووكلاء النيابة . أو أن الأمر أخطر من هذا . وهو أن الدولة ترغب في التستر على جرائم تعذيبنا وأنها وجدت أنها قادرة أن تسيطر بسلطاتها على القضاء العسكرى ، بينما هى غير قادرة على السيطرة على القضاء المدنى ، وهى تستطيع أن تأمر الدجوى مثلا كرئيس للمحكمة العسكرية بأن يحكم بأنه لايوجد تعذيب . بينما هى لاتستطيع أن تفعل ذلك مع المستشارين المدنيين .

ومع ذلك أدليت بأقوالى عن كل ماتعرضت له من تعذيب ، وسجل رئيس النيابة العسكرية أقوالى كاملة . وسجلت فى المحضر نص الخطاب الذى أرسلته الى الرئيس جمال عبد الناصر فى ديسمبر سنة ١٩٦٥ من سجن الاستئناف وذكرت فيه كل ماتعرضت له من تعذيب وهوان . كما ذكرت أننى أرسلت صورة من الخطاب إلى أم كلثوم وفائق السمرائى سفير العراق السابق فى القاهرة وسعيد فريحه صاحب دار الصياد ، لأنهم لايتولون مناصب قد يصل إليها بطش وارهاب صلاح نصر . وإن أم كلثوم قرأت الخطاب وبكت ، وأن فائق السمرائى قرأ الخطاب وذهل ولم يصدق عينيه ، وأن سعيد فريحة قرأ الخطاب وفزع . . وأرسل لى سعيد فريحة رسالة يقول فيها أن من رأيهم جميعا ألا يصل هذا الخطاب إلى الرئيس ، لأنه لو وصل إليه ، فسوف يعلم به صلاح نصر ، وسيقتلك صلاح نصر فى السجن . إن صلاح نصر كالأخطبوط فى الدولة ، واذا

أستطاع أن يفعل بك كل هذا من قبل فهو قادر على أن يفعل بك أضعاف هذا الأن .

وطلبت أن يسأل رئيس النيابة العسكرية هؤلاء الثلاثة .

وطلب منى رئيس النيابة العسكرية خلع ملابسى ، وقال لى أنه درس الطب الشرعى . . فخلعت . . وسجل وجود آثار فى جسمى ناتجة عن التعذيب رغم مرور حوالى ثلاث سنوات .

وقلت له أننى أطلب أن أعرض على الطبيب الشرعى ليثبت الاصابات وقال أنه لايستطيع أن يأمر بإرسالى إلى الطبيب الشرعى ، ولكنه يجب أن يستأذن أولا .

وسألنى لماذا لم أخبر رئيس نيابة أمن الدولة بالتعذيب ؟

قلت له أن صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة كان جزءا من جهاز مخابرات صلاح نصر ، بدليل أنه لم يحقق معى مرة واحدة خارج بناء المخابرات ، وبدليل أنه لم ينفرد بى أبدا ، بل كان يحضر ثلاثة من ضباط المخابرات معى داخل غرفة التحقيق ، وبدليل أنه تركنى مسجونا أربعة شهور فى سجن المخابرات مع أنه ليس سجنا عموميا ، وبدليل أنه رأى بعينيه كل جرائم التعذيب مع المتهمين السياسيين الآخرين ولم يسجل فى محضره كلمة عنها .

وسألنى لماذا لم أتكلم فى محكمة الدجوى عن التعذيب .

فقلت له أردت أن أتكلم فى المحكمة عن التعذيب ، ولكن محامى الدكتور محمد عبد الله نصحنى بألا أتحدث عن التعذيب ، لأن الدجوى لايحب اثارة مسألة التعذيب ، وقلت أننى لما وجدتنى لاأستطيع أن أتحدث عن التعذيب فى المحكمة رفضت أن أفتح فمى أثناء المحاكمة ، ولهذا خلت المحاكمة من أى أقوال لى الا فى نهاية الجلسة ، عندما وقفت والقيت كلمة قلت فيها انى برىء وسوف يثبت التاريخ براءتى !

وسألنى : هل جاءت لجنة وكشفت عليك لترى التعذيب ؟

فقلت : لم يحدث . .

وختم رئيس النيابة العسكرية المحضر بقوله « تم المحضر الساعة كذا . . وقررنا الانتقال إلى ديوان الوزارة لعرض نتيجة التحقيق » .

وأستمر التحقيق حوالى ثلاث ساعات .

ولقد كنت أفضل أن يكون التحقيق فى النيابة العامة ، وأن كان المحقق العسكرى أظهر روحا كلها عدل وأنصاف ونزاهة وشجاعة وقال أن هذا محضر تاريخى .

وقال لى أن كل التعليمات التى عنده أن يسمع أقوال الهضيبى وأقوالى ولايطلع أحدا على التحقيق ، وأن يرفعه الى وزير الحربية .

وعدت إلى زنزانتى وقابلت الهضيبى وقلت له أن نزع التحقيق من النائب العام وتحويله إلى النيابة العسكرية يؤكد لى أن مايقال من أن النية اتجهت إلى العودة الى العدالة والديمقراطية وسيادة القانون هو كلام فارغ . وأننى أعتقد أن المقصود من التحقيقات ليس البحث عن الحقيقة وانما امتصاص سخط الشعب ، ولن يمر وقت طويل حتى تعود الديكتاتورية كما كانت قبل الهزيمة .

وقال لى الأستاذ الهضيبى : أنا لاأنتظر خيرا من هؤلاء القوم . أننى لم أسمع أن طاغية أصبح رحيما ، وأن ظالما أصبح عادلا ، وأن الشياطين يصبحون فجأة ملائكة ! إنهم لو مضوا فى تحقيقات التعذيب فسوف يحاكمون أنفسهم وسوف يحكمون على أنفسهم .

فهل تتصور أن الضمائر التى ماتت ممكن أن تعود الى الحياة ! أنا أعتقد أن كل هذا الذى يقال عن الاتجاه الى تحسين الأحوال هو مسرحية يراد بها الهاء الشعب عن الهزيمة . فى كل بلاد الدنيا عندما تنهزم دولة يستقيل حكامها على الفور .

هذا حدث فى كل صفحات التاريخ ولكننا هنا نعتبر فقد ثلث مساحة بلدنا نكسة ، ونعتبر بقاء حكامنا المسئولين عن الهزيمة فى مناصبهم أنتصارا .

قلت : ومن الذى ينقذ البلد مما هى فيه ؟

قال الأستاذ الهضيبى : ان ماوصلنا إليه هو أسوأ مما يستطيع أى واحد منا أن ينقذه . . أن الله وحده هو الذى يستطيع أن ينقذنا مما نحن فيه .

الافراج عن عيد الأم !

ليمان طره فى ٢٦ مارس سنة ١٩٦٨ .

أخى العزيز . .

اقبلك وأشكرك على خطابك المؤرخ فى ١٨ فبراير فقد وصلنى اليوم . أى أنه قطع المسافة من لندن إلى القاهرة فى ٣٧ يوما . وهو رقم قياسى فى السرعة ويظهر أن الخطاب جاء ماشيا على قدميه ! أو أنه تلكأ فى عواصم العالم ، وأمضى فى كل مدينة جميلة يوما أو يومين حتى وصل بسلامة الله إلى ليمان طره . المهم أن الخطاب وصل . وهذا شيء يجب أن نشكر الله عليه . فالمهم أن أعيش معك فى هذه الخطابات وأنا أشعر وأنا أحتضنها أننى أحتضنك . خطاباتك تذكرنى بقطارات السكة الضيقة فى ريف بلادنا فى الزمن القديم . عندما كان سائق القطار يتوقف بالركاب فى الطريق ليشرب كازوره ، أو يترك القطار واقفا ليزور حماته ، ثم يمر القطار على جماعة يتناولون افطارهم فيقولون له « بسم الله » فيوقف السائق القطار ، وينزل ليشارك الداعين الطعام ، ثم يوقف القطار ليشترك فى تشييع جنازة أحد المعارف ، ثم يرى فلاحة جميلة تحمل البلاص على رأسها فيهدىء سرعة القطار ويغازلها ، فاذا أبدت تفاهما أوقف القطار ولطع الركاب حتى ينتهى موعد الغرام ! وكان الفلاحون الركاب يقبلون أيديهم وجها وظهرا ويحمدون الله على وصول القطار بالسلامة فى نهاية المطاف . أما إذا كان أحد الركاب عصبيا ، وأحتج على سائق القطار لهذه « اللكاعة » فانه يوقف القطار ، ويقسم بالطلاق أنه لن يتحرك من مكانه ، وينزل الركاب ويحضرون مأذون القرية ليفتى فتوى تسمح للسائق باستئناف مسيرة القطار دون أن يقع يمين الطلاق وعلى كل فان خطابك كان يعدو بسرعة الصاروخ اذا قورن بخطاب ابنتى رتيبة المؤرخ يوم ٢٨ فبراير فوصلنى يوم ٢٦ مارس . أى أنه قطع المسافة بين الزمالك وطرة فى ٢٧ يوما ! ولابد أنه جاء راكبا سيارة أوتوبيس ، وكان ملطوعا على المحطة ، وسيارات الأتوبيس لاتتوقف له لانها كاملة العدد .

ويظهر أن أزمة المواصلات فى القاهرة أصبحت أزمة خانقة . فقد سمعت فى الاذاعة أغنية للمطرب الشعبى محمد عبد المطلب يشكو فيها من الصعوبات التى يلاقيها فى حبه وهواه ويقول : « حبيبى ساكن فى السيدة وأنا ساكن فى الحسين » ! فاذا كان المطرب محمد عبد المطلب لايستطيع أن ينتقل من الحسين الى السيدة زينب ليصل الى حبيبته فلابد أن أزمة المواصلات أزمة خطيرة فعلا : وهذا شىء يؤسف له . لانه يدل على أن العلم تقدم كثيرا عن الحب ، فبينما العلماء يحاولون الأن الوصول إلى القمر وينجحون ، فان محمد عبد المطلب يحاول أن يصل من حى الحسين إلى حى السيدة زينب ليرى حبيبته ، فلا يجد مكانا يتعلق به على سلم الأوتوبيس !

أنا متفائل من المستقبل . نحن عندما نرى الظلام حولنا لانلعن الظلام ، وانما نضىء شمعة . واذا انطفأت الشمعة اشعلنا عود ثقاب وتصورنا أنه شمعة ، واذا احترق عود ثقابنا الأخير أغمضنا عيوننا وتصورنا أن الشمس ساطعة . وهكذا لانرى الظلام أبدا . أننا إذا وقفنا على حبل المشنقة فلن نفقد الأمل . سوف نأمل بأن حبل المشنقة الذى يحيط بأعناقنا سوف ينقطع ، أو يموت الجلاد بالسكتة القلبية ، ولا أتصور أننا سنفقد تفاؤلنا عندما نسلم الروح ، سوف نأمل أن يجىء الدكتور الجراح المشهور برنارد بقلب آخر حى ، ويضعه مكان قلبنا الذى توقف ، فيعود قلبنا يدق من جديد ! وأعتقد أن تفاؤلنا العجيب يغيظ الناس العاديين الذين لايفهمون مدرسة التفاؤل التى أنت أستاذها ! أنهم عندما يرون رجلا على فراش الموت يجلسون يبحثون تفاصيل الجنازة ويعدون النعى الذى سينشر فى الصحف . أما نحن فاننا نذهب ونحجز له تذكرة فى حفلة غناء أم كلثوم ، اننا دائما حتى آخر لحظة نتصور أن الله قد يصنع المعجزة وينقذه ، ولهذا فنحن نشترى له التذكرة خشية ألا يجد له مكانا فى الحفلة الشهرية لام كلثوم ! وعندما نرى صديقا عزيزا داسته سيارة ، لانلطم خدودنا كما يفعل غيرنا فى مثل هذه الظروف . وانما نلطم وجهه بايدينا وندلك قلبه ، محاولين أن نعيد اليه الحياة !

الناس العاديون يعيشون حياتهم وهم يتصورون أنهم يشيعون جنازة . ومشيعو الجنازة يفكرون طوال سيرها فى أنه سيجىء يوم يكونون فيه داخل النعش بدل الفقيد .

أما نحن فاننا نتصور أننا نعيش فى فرح كبير ، وأنه سيجىء يوم نكون فيه فى الكوشه بجوار العروس . . والعروس هنا هى الحرية ! وفى بعض الأحوال نبدو أشبه بالمجانين ، ولكننا نجد هناء فى هذا الجنون . أننى فى الماضى عندما كنت أطل من مكتبى فى دار أخبار اليوم على خرابة ، لاأرى الخرابة البشعة وأنما أرى العمارة الشاهقة التى يمكن أن تقام مكانها . وعندما أرى هنا مسجونا سيئا احاول أن أجد فيه أشياء طيبة لاتراها العين المجردة . أن زنزانتى تطل على دورة المياه فى عنبر ٢ ، وعندما أطل من نافذتى لاأرى التواليتات وأقذارها ، وأنما أرى بضع أشجار جميلة قائمة بجوارها . وعندما أقابل مسجونا أعور ، لاأنظر الى عينه العمياء، وأنما أتطلع الى عينه الصحيحة .

ولهذا أنا لاأرى بلادى المهزومة المفلسة المقيدة بالاغلال فى الوقت الحاضر ، وأنما أرى المستقبل ، أومن أنه سيجىء يوم تنتصر فيه بلادى ، وتسدد ديونها ، وتحطم قيودها ، وتستمتع بالحرية والديموقراطية ! . . وهكذا أنا أرى فى جنازة مصر مولدها الجديد !

* * *

امضيت يوم ٢١ مارس معك . لقد عاد عيد الأم . اننى أعيش اليوم انتصارنا . لقد صدر فى العام الماضى قرار بإلغاء عيد الأم ، حتى ينسانا الناس ، وأطلقوا عليه عيد الأسرة . وإذا بخطابات الاحتجاج تنهال على رئيس الجمهورية من مئات الألوف من الأمهات فى مصر وخارج مصر . واضطر الرئيس ان يأمر باعادة احتفالات عيد الأم كما كانت . . وهكذا أنتصرت وأنا فى زنزانتى وأنت فى منفاك على قرار ظالم . وتصورت سعادتك وأنت تمسك الصحف ، وفيها أخبار الاحتفالات بعيد الأم ، الذى كان لك ولى فضل ادخاله فى بلادنا . ولقد

حدثت لخبطة نتيجة الهرولة فى تنفيذ قرار رئيس الجمهورية باعادة عيد الأم المغضوب عليه ، بعض المذيعين لم يعرفوا بأمر القرار . فتحدثوا عن عيد الأسرة ، ولكن الغالبية تحدثت عن عيد الأم . ولقد قيل للمسجونين أنه لمناسبة عيد الأم يمكنهم أن يكتبوا خطابا ثالثا فوق الخطابين المقررين كل شهر ، وأعتقد أنه سيجىء يوم تفتح فيه السجون يوم عيد الأم لدخول الأمهات لتمضية اليوم كله مع أبنائهن المسجونين ، وأعتقد أنه سيجىء يوم آخر يسمحون فيه للمسجون حسن السير والسلوك أن يخرج يوم عيد الأم من السجن يمضيه مع أمه . وكنت أتمنى أن أضع زهرة على قبر أمى . وشعرت بأسى أن يبقى قبر أمى يوم عيد الأم عاريا من الزهور . فبفضلها هى عرفنا قيمة الأم ، وجعلنا لها عيدا فى بلادنا وكل بلد عربى . أننى على كل حال أغمضت عينىّ وتذكرت أمى ، وإذا لم أستطع أن أذهب اليها ، فقد أحسست أنها جاءت الى . وأمضت معى اليوم فى الزنزانة . عشت بخيالى معها فى أحلام الصبا ، استعدت أيامنا الحلوة ، ضحكاتنا ، حنانها ، وعندما نمت شعرت بيدها ، وهى تمسك الغطاء وتغطينى . أننا أحيانا نعود أطفالا . نشعر كأن ذراع أمنا تمتد إلينا من وراء الغيب ، تساعدنا على السير فوق أشواك الحياة .

تلقيت اليوم الخطاب الذى كتبته فى لندن بمناسبة عيد ميلادك ، عشت معك تلك السهرة . شعرت كأن الشمعتين الفضيتين اللتين تلقيتهما فى عيد ميلادك تضيئان ظلامى . تفرجت معك على الراقصات الاسبانيات فى فندق سافوى . شاهدت ألاعيب الحاوى العجيب . فى بعض الأحيان نحتاج إلى حاو فى حياتنا ، حاو يحول حياتنا الفارغة إلى حياة مزدحمة كما كانت حياتنا ونحن نعمل فى « أخبار اليوم » . حاو يحول زنزانة السجن إلى فندق سافوى . حاو يحول دموعنا الى ضحكات . وكثيرا ما لانجد حواة ولا سحرة يقومون بهذه الأعاجيب ، فنجعل من أنفسنا الحواة التى تسلينا . ونجعل خيالنا يخدعنا ، ويقرأ بصوت عال ماهو مكتوب فى ورقة مطوية . أتصور أحيانا أننا نغضب على أنفسنا . اذا لم نجد من ينصب علينا ! ولكن الغريب أننى لاأشعر أبدا أننى أخدع نفسى بأيمانى العجيب بالغد ، بأحساسى العميق ان الغد فيه قوة قاهرة

سوف تسحق الحاضر بكل مافيه من عنفوان . سوف يحطم الغد السلاسل التى تقيدنى فى زنزانتى . سوف يكسر الاغلال التى تمنعنى اليوم من الحركة . سوف تجعلنى أقوى كثيرا من الذين يبطشون بى اليوم . أننى لاأعتمد على رجل معين يفتح لى أبواب السجن . أى رجل فى مصر أو خارجها أضعف من أن يحطم اقفال السجن . أنما أنا أعتمد على حركة التاريخ . أؤمن ان غدا سيكون كالاعصار يقتلع من أمامه كل مايتوهم البعض الأن أنه كالقلعة لايمكن اقتحامها ، أو كالجبل لايمكن اقتلاعه . أعصار الغد سوف يحول كثيرا من العمالقة الى أقزام . وسيجعل كثيرا من القرارات التى تبدو مقدسة اليوم خرقا بالية تسح بها الأقدام ، وسيجعل كثيرا من الشعارات والاعلام المرفوعة كفنا تلف به جثة الحاضر وهو يوارى التراب . وهكذا فأنا عندما أبيع الأمل والتفاؤل للناس ، أبيع بضاعة أعتقد أنها ستكون موجودة غدا أبيع فى الظلام أشعة الشمس لاننى واثق انها ستشرق فى الصباح . وبعض الناس يتصورون أننى أخدعهم وأنصب عليهم ، بينما أنا عندما أزرع التفاؤل فى قلوب الناس أحصد ابتسامتهم . أجنى السعادة التى أراها فى بريق عيونهم ، بعد أن زرعت فى صحراء نفوسهم بذرة تفاؤلى وأيمانى بالغد ! .

وعندما أسمعك تتحدث عن التفاؤل أتذكر أغنية شريفة فاضل التى تقول « على مين ؟ على مين ؟ ح تبيع الميه فى حارة السقايين ؟ » أو شيئا من هذا القبيل . . أنك أشبه بمن يجىء يزاحم بائعا متجولا فى شارع ، ويحاول أن يبيع نفس البضائع لنفس الزبائن . صحيح أن بضاعتك ملفوفة بورق مفضض ، وبورق سولفان ، أما أنا فإننى ألف بضاعتى بالورق الموجود الوحيد عندى فى الليمان وهو ورق جرائد أو ورق تواليت ! العجيب أنى وأنا أبيع نفس بضاعتك أقبل عليها بلذة ونهم ، وأنا أجد لذة وأنا أضع أسنانى فى تفاحة تفاؤلك وكأننى أقبلها ! .

ولهذا لاتتصور أننى لست متفائلا بشأن البلد . أنا متفائل جدا بمستقبل الحرية ، ومتشائم جدا أن الاستبداد هو الذى سيفتح لى ولغيرى أبواب

السجن ! أنتم تحلمون بشمعة تضيء فى الظلام . وأنا أحلم بشمس تشرق على البلد كله . الشمعة الواحدة قد تضيء زنزانتى ولكن ستبقى مصر كلها فى ظلام . وما فائدة أن أخرج من سجنٍ كبير ؟ ما لذة أن تكون مساحة زنزانتى هى مساحة أرض مصر كلها ؟ وأى قيمة لحرية أنالها اذا كانت حرية بالقطارة ! إن حرية بالقطاعى معناها استبداد بالجملة . الحرية التى تعطى كمنحة يمكن استردادها . أن الحرية التى يحدثون عنها هى أن أخرج من السجن ولا أفتح فمى ! وهذه هى العبودية الكاملة ! أنا فى السجن لاأخاف من أن أدخلَ السجن لاننى أعيش فيه ! أنا هنا أقول كل ماأريد أن أقوله دون أن أتلفت حولى فى ذعر . . أن هذا أكثر حرية من أن أخرج من السجن وأعيش خائفا أن يعيدونى إليه ! الناس من خوف السجن فى سجن ! أنهم يريدون أن يخرج جزء من جسمى من السجن وتبقى يدى مقبوضا عليها لاأكتب . ويبقى لسانى معتقلا لا ينطق . ويبقى عقلى مجمدا لايتحرك ولا يفكر .

وهذا أشر من السجن وأقسى على نفسى من الزنزانة !

أننى أرفض حرية بالقطارة ! أرفض حرية لشخصى . أريد حرية كاملة ، حرية لبلادى وعندئذ سيصبح كل العبيد أحرارا ! .

كيف طبقوا بيان ٣٠ مارس فى الليمان

٣ أبريل سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

كان الجو فى السجن جو تشاؤم . . توقف استدعاء المسجونين السياسيين الذين قدموا بلاغات للنائب العام ضد تعذيب صلاح نصر وشمس بدران لهم . شاع فى السجن أن أمرا صدر بوقف أرسال المسجونين السياسيين إلى النيابة للادلاء بأقوالهم فى شأن التعذيب . .

ولكن اذا لم تكن هناك نية للتحقيق فى قضايا التعذيب فلماذا حققت النيابة فى قضايا التعذيب ، ولماذا أحالت بعضهم الى الطبيب الشرعى ، ولماذا سمحت للصحف أن تتحدث عن التعذيب ؟

انى قرأت بيان ٣٠ مارس وتشاءمت ! أنه مكتوب بأسلوب هيكل . وقد ذكرنى بالقرار الذى أصدره مجلس الثورة فى سنة ١٩٥٤ بعودة الضباط الى ثكناتهم وعودة الأحزاب وحرية الصحافة . . وقد ظهر أن المقصود به أن الرئيس جمال عبد الناصر أراد أن يمتص السخط ، وبعد أيام ألغى القرار ، وبدأت الدكتاتورية تكشف عن أنيابها !

انى أتصور أن كل ماهو مكتوب فى بيان ٣٠ مارس هو وعود لن تنفذ . وبالونات منفوخة بالهواء ، وعبارات مطاطة يمكن تفسيرها بألف تفسير وتفسير ، وأذكر كلمة قالها لى جمال عبد الناصر . . « أنا لاأحب أن أحبس نفسى فى كلمات جامدة . لابد أن يكون فى الكلمات ثغرات ليكون لى دائما حرية الحركة »

. . وأنا أحسب أن بيان ٣٠ مارس يسمح للرئيس بحرية الحركة كما يشاء فالبلد يريد تغييرا ، وهو يقدم له تغييرا فى بعض الوجوه ، وتغييرا فى بعض

الشعارات ، ولكن روح الحكم واحدة . ولهذا فأنا أتوقع أن تبقى المعتقلات مع الافراج عن عدد محدود من المعتقلين السياسيين . ويبقى المسجونون السياسيون فى سجونهم مع أغلاق الزنازين ١٧ ساعة بدلا من ١٨ ساعة ، وأتوقع أن تخفف الرقابة على الصحف مؤقتا ، ثم تشتد بعد ذلك وتصبح أعنف مما كانت ! وأتصور أن الحراسة سوف تستمر مع زيادة ما يصرف للموضوعين تحت الحراسة جنيهين أو ثلاثة جنيهات ! .

هذا هو التغيير المنتظر . . سوف يكتبون على زجاجات « السم » « ماء زمزم » ويقولون لنا اشربوا ! .

أننى أتصور أن سبب تغيير وزير العدل وتعيين وزير جديد هو أن الوزير القديم سمح بالتحقيق فى قضايا التعذيب دون أن يستأذن ! .

ولقد حدث فى هذا الأسبوع أن أحيل اثنان من المسجونين السياسيين الى الطبيب الشرعى ، وإستدعى مسجون سياسى ثالث لسماع أقواله فى بلاغ تعذيب ، ثم حدث أن زار السجن مقبل شاكر رئيس نيابة حلوان فى زيارته الشهرية لتفقد السجن ، وفتح باب زنزانتى ، وسألنى اذا كان لدى أى شكوى ؟ فقلت : ماذا جرى لبلاغى الى النائب العام . أننى أرسلت بلاغا للنائب العام وليس لرئيس النيابة العسكرية ، فإذا ببلاغى يصل إلى النيابة العسكرية بدلا من النائب العام ! وأكد لى رئيس نيابة حلوان أن بلاغى وصل الى النائب العام وأنه أمر بالتحقيق فيه ولا يعرف كيف وصل الى النيابة العسكرية !

وتركنى مقبل شاكر وذهب إلى مدير السجن وسأله كيف لم يبلغنى بوصول بلاغى الى النائب العام .

وقال مدير السجن أن أمرا من الداخلية صدر بأن « يكتموا عليه » حتى تجىء الموافقة من فوق !

وطبعا لم تجىء الموافقة من فوق !

والسجن يعيش فى جو مضطرب . فقد قيل لى أن وزارة الداخلية طلبت لفت نظر الحراس إلى أنها لاحظت أنهم يعاملون المسجونين معاملة حسنة ، وأن هذه المعاملة الحسنة أسقطت هيبة الادارة ، وأنه يجب تفتيش المسجونين باستمرار حتى يعيش المسجون فى قلق ولا يفكر فى الهروب ! ان حياة المسجون فى قلق مستمر تعرضه لانهيار عصبى ، وربما إلى الجنون ، ولا أظن أن سياسة مصلحة السجون هى تحويل السجون إلى مستشفى العباسية أو السراى الصفراء !

ثم صدر أمر بهدم الرفوف الخشبية التى يضع عليها المسجون حاجاته فى الزنزانة ، وقضى الأمر بوضع كل شىء على البلاط ! ورأى أحد الضباط صورة رسمها أحد المسجونين على الجدار لابو زيد الهلالى والزير سالم فأمر بهدم الجدار وجمع كل ما فى الزنازين وحرقها أمام العنبر ، ولم يترك لكل مسجون إلا بطانيتين وبرش . ان دخول الحراس إلى زنزانة مسجون وعبثهم بما فيها ، وتحطيم كل ما فيها ، يتعس المسجون تعاسة لا حد لها . والمهم أن المسجون القادر سوف يحصل خلال أيام على كل ما تحطم ، وسوف يشتريه بسجائر ، وبعضهم سوف يحرم نفسه من القوت ، لكى يحصل على البطانية الزائدة التى سحبوها منه . وينتج عن ذلك أن تسوء تغذية السجناء ويمرضوا بالسل ، وتنفق الدولة ألوف الجنيهات على علاجهم ، ويخرجوا من السجون وهم محطمون مرضى ، تعساء حانقون ، لقد رأيت المسجونين اليوم بعد المذبحة التى حدثت لهم وكأنهم يسيرون فى جنازة كبيرة ، كل واحد فيهم هو النعش وهو المشيعون ! .

وقيل للضباط أنهم يفرجون المسجونين على التليفزيون بغير اذن وطلبوا أن يكون فتح التليفزيون بأمر المدير ، ومعنى هذا أن كثيرين من الضباط لن يجرؤوا على فتح التليفزيون ، وسيحرم المسجونون من متعتهم الوحيدة .

وجاءت تعليمات من مصلحة السجون بعدم ادخال أطعمة للسجون فى الزيارة الشهرية العادية ، وأن يدخل الطعام للمسجون مرتين كل عام ! وإذا تصورت نوع الطعام القذر الحقير الذى يقدم للمسجون ، وعرفت أن المسجون يعيش شهرا كاملا فى انتظار الزيارة العادية ليحصل على بعض الطعام الذى

يعيش عليه ثلاثين يوما ، فتصور ما أحدثته هذه الأوامر الجديدة فى نفوس هؤلاء المنبوذين المعذبين التعساء !

هذه هى طريقة تطبيق بيان ٣٠ مارس فى ليمان طره .

كان الله فى عون باقى الشعب المسكين .

انى أشعر بعذاب لا حد له ، عندما أرى حولى الأفواه الجائعة والبطون الخاوية ، والأجسام الهزيلة ، والنفوس المحطمة ، والاشباح العليلة . انى لا أجد طعما للطعام ، وفى الزنزانة التى بجوارى جائع لا يجد الطعام .

كنت قد وضعت لنفسي قاعدة هنا ألا أشكو من شيء ، ولا أعترض على شيء ولا أطالب بشيء ، وأن أعطى مثلا للمقاومة السلبية . وكنت أتصور أن المسجونين يخطئون بالشكوى ، وأنهم لو وقفوا سلبيين فسيرغمون الطغاة على تحسين معاملتهم . ولكن يظهر أننى كنت مخطئا . يظهر أن هناك من لا يسمع إلا إذا صرخت فى وجهه ، ومن لا يرى إلا إذا وضعت أصبعك فى عينيه . ان الحياة فى سجوننا تحتاج إلى ثورة . ولكن الثورة يجب أن تقتلع الظالمين خارج السجن ، فان كل أوامر الظلم تجيء من خارج السجن . اننا نعلم المسجونين كيف يكونون مجرمين وحاقدين وساخطين . اننا نحول البريء إلى مجرم ، والمجرم العادى إلى معتاد للاجرام ، والمحكوم عليه فى جريمة ضرب إلى قاتل . ان سجوننا مدارس لتخريج كبار المجرمين . ولوائح السجون هى برامج الدراسة ، ومنفذو اللائحة هم أساتذة فن الاجرام ! انى عندما أقرأ معاملة المسجونين فى السجون الأجنبية فى البلاد الديمقراطية أذهل . الذى أخشاه أن يكون هذا ليس هو حال المسجونين فى السجون فقط ، أخشى أن يكون الرؤساء يعاملون العمال فى المصانع هكذا ، أو أن المديرين يعاملون الموظفين فى الادارات معاملة العبيد . هذه القسوة والوحشية وانعدام الانسانية لا يمكن أن تكون مقصورة على السجون وحدها . لابد أنها تمتد إلى كل مكان . ان السوط لا يختار الظهور التى يلهبها ولا الامكنة التى يضربها . أنه يصيب بلذعته كل

جزء من هذا الشعب . بعضنا يصرخ . وبعضنا لا يجرؤ على الصراخ . وغيرنا يهتف بحياة الضاربين !

الأجنبى الذى يزور بلادنا يعجب بالديكور ، لا يتصور أنها مناظر مرسومة على الورق ، تخفى حقائق بشعة . لا أحد يفكر فى أن يرى ما خلف المناظر المسرحية المصنوعة المزوقة بأزهى الألوان ، لولا أعصار هزيمة ٥ يونيو لما سقطت بعض هذه المناظر ، ولما رأى الشعب الأهوال التى خلفها .

ان الذى يزور السجن مثلا يتفرج على فرقة موسيقى تعزف أعذب الألحان ، وسوف يدهش إذا عرف الحقيقة وهى أن المسجونين لا يصرح لهم بأن يسمعوا هذه الموسيقى إلا إذا جاء زائر إلى السجن ! الزائر سوف يشهد مسرحا للعرائس ، ثم لن يصدق أن هذا المسرح لا يتفرج عليه المسجون ولا مرة واحدة فى السنة . أنه مقام ليتفرج عليه الزائرون فقط لا غير ! الزائر سوف يرى حدائق غناء ، وأحواشا واسعة ، وسوف يغمى عليه إذا اكتشف أن المسجونين محرم عليهم أن يضعوا أقدامهم فى هذه الحدائق ، أو أن يسيروا فى هذه الأحواش ! الزائر سوف يجد ممرات السجن وقد وضعوا حولها درابزين أنيقا من الحديد . . سوف يفجع عندما يعرف أن هذا الدرابزين هو سراير المسجونين ، وأنها نزعت منهم لتزين بها ممرات السجن ، بينما ألوف المسجونين ينامون على البلاط !

أنا أتصور أن هذا هو حالنا خارج السجن . اشتراكية من نوع خاص تجعل الشعب يتضور جوعا ، وحفنة من أثرياء الاشتراكية يعيشون حياة أصحاب الملايين . حرية من نوع خاص تجعل الشعب مكمما والصحافة مقيدة ومجلس الشعب ممنوعا من الكلام ، بينما الحكام وحدهم لهم حرية الكلام !

عدالة من نوع خاص تجعل المجرمين يجلسون فى مقاعد القضاة وتضع الأبرياء فى قفص الاتهام . أعياد نصر نحتفل بها ونعطل دور الحكومة والمدارس والمصانع ، بينما ثلث أرض الوطن يحتله جيش أصغر دولة فى العالم .

استقلال من نوع خاص . السفير الروسى يتدخل فى تعيين الوزراء . الخبراء

التراب والطين ، ولكنه لا يشبه أبدا الشاى ! ويحاول المسجون أن يحصل على شاى يصنعه لنفسه . وهنا الطامة الكبرى . إذا ضبطوا المسجون ومعه الشاى فهذه جريمة كبرى ، وإذا ضبطوا المسجون ومعه « التاوتاو » وهو وابور غاز اخترعه المسجونون فهذه جريمة أكبر ، ولكن المسجون لا يستغنى عن « التاوتاو » فهو لا يستطيع أن يأكل طعامه باردا ، ولا يستطيع أن يشرب الشاى دون أن يغليه . وفى كل أسبوع يهاجم الحراس الزنازين ويصادرون « التاوتاو » ويحطمونه بأقدامهم . وبعد ذلك بدقائق يحصل المسحون على « تاوتاو » جديد . والذى يدفع ثمن هذه الحماقة هو الدولة ، فان التاوتاو من الصفيح الموجود فى مخازن وورش السجن ، وهكذا تتكلف الدولة آلاف الجنيهات كل شهر ، لأن اللوائح الغبية تمنع وجود تاوتاو ، ولأن المفروض أن المسجون يجب أن يأكل طعامه باردا ويشرب اللبن وكأنه الدندرمة !

حضر إلى عنبرنا فى ليمان طره مسجون سياسى جديد انه الدكتور محمد حلمى عفيفى الطبيب بالاسكندرية . وهو محكوم عليه بالسجن عشر سنوات . وتهمته الاشتراك مع ضباط فى مؤامرة لقلب نظام الحكم .

وسألته كيف قلب نظام الحكم ؟

فقال ان كل ما حدث أنه انتقد قيادة الجيش الموضوعة فى السجن الآن !

قال أحد الزملاء : لابد أن يفرجوا عنك الآن بعد أن أصبحوا يقولون عنهم الآن ما كنت تقوله عنهم بالامس !

قلت ضاحكا : من حق الحكام فقط أن ينتقدوا بعضهم . . أما نحن الرعايا فليس من حقنا أن ننتقد أحدا ! ولهذا فأنا لا أعتقد أنهم سيفرجون عن الدكتور حلمى عفيفى ، لان معنى الافراج عنه أن حكامنا أخطأوا فى سجنه ، وحكامنا ـ لا سمح الله ـ لا يخطئون أبدا. ولا يغلطون أبدا !

وروى لى الدكتور حلمى عفيفى أنهم أرغموه فى السجن الحربى على أن

يأكل لحم قدمه الذى نهشوه بالسياط ! وخلع حذاءه فرأيت آثار التعذيب البشع .

وقال الدكتور حلمى أن المعاملة فى السجن الحربى أصبحت معقولة بعد طرد حمزة البسيونى مدير السجن السابق وسجنه ، وأن باب الزنزانة يبقى مفتوحا حتى الساعة الحادية عشرة مساء ، بينما باب الزنزانة عندنا فى ليمان طره يغلق فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وذكر أنه يسمح للمسجونين بالاحتفاظ بنقود معهم ، ويحضر كل يوم جندى ويسأل المسجون عما يطلبه من مأكولات ويشتريه له من السوق ، وكل مسجون يحتفظ فى زنزانته براديو ترانزستور وسخان كهربائى ، هذا شىء محرم عندنا فى الليمان . والمسجون فى السجن الحربى يزوره الآن أهله مرة فى الاسبوع أو مرتين ، والزيارة تستمر حوالى الساعتين .

وكان قد قيل لنا فى تبرير المعاملة القاسية التى يلقاها المسجونون السياسيون فى ليمان طره أن وزير الداخلية مهتم باساءة معاملتنا اهتماما خاصا وأنه يقول دائما لمساعديه « المسجون السياسى هو أخطر مجرم فى الدولة ويجب معاملته بكل شدة وقسوة وحزم » .

وقد حدث أن شكا المسجونون السياسيون فى الطابق الذى أنا فيه والذى يسمونه « ملحق مستشفى السجن » ـ شكوا من أن أبواب الزنزانة تغلق عليهم ٢٠ ساعة كل يوم . وهذا شىء لا مثيل له فى أى مستشفى فى العالم حتى مستشفى الأمراض العقلية .

وقال لى مقبل شاكر رئيس النيابة أنه أبلغ شكواهم إلى النائب العام ، وأن النائب العام اتصل بمدير مصلحة السجون فقال له المدير أن هذه أوامر الوزير شخصيا !

وقال النائب العام أنه سيتصل بشعراوى جمعة وزير الداخلية فى هذا الشأن . .

وطبعا رفض شعراوى جمعة أن يلغى قراره أو يعدله ، لأنه يتصور أنه سيبقى طول حياته وزيرا للداخلية يأمر وينهى ، ويستبد بالناس كما يهوى ويريد !

ولكنه لا يعرف أن الدنيا تدور . وانها أشبه بصينية لونابارك تقف فوقها اليوم ، وتطيح بك غدا !

وهكذا ينفذون بيان ٣٠ مارس فى ليمان طره .

السبق الصحفى الأخير !

٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

عندما يصلك هذا الخطاب يكون قد مضى على فراقنا ثلاث سنوات كاملة ! نحن الذين كنا لا نفترق أبدا . وإذا افترقنا كنا على لقاء مستمر بالتليفونات والبرقيات والرسائل . اننى لا أعرف كيف استطعنا أن نحتمل هذا الفراق الطويل ! كيف استطعنا أن نعيش مع هذا العذاب القاتل . ان الله أعطانا من الصبر ومن الاحتمال ومن الصمود ، ما جعلنا نستقبل هذه المحنة بايمان عجيب . اننى مازلت أذكر يوم ودعتك آخر مرة فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٥ . عندما أدرت ظهرك فى طريقك الى لطائرة . أحسست كأن الدنيا كلها أدارت ظهرها لى . كان حولى عشرات من أصدقائنا وزملائنا ، ولكننى أحسست فى تلك اللحظة أننى وحدى فى الحياة . كأن سكينا قطعت ما بينى وبين الغد ، كأن جدارا ثقيلا سقط وفرق بينى وبين الهواء والنور كأن عصا سحرية شقت الأرض وأقامت بينى وبينك بحرا واسعاً ، فأصبحت أنا فى عالم وأنت فى عالم آخر . يومها ذهلت لما أصابنى . لقد كان الاتفاق بيننا أننا سنلتقى بعد أسابيع . لقد حرصت أنت على أن تطلب الحضور إلى القاهرة عدة مرات فى كل عام حتى لا يطول فراقنا . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى نفترق فيها .

اننا سافرنا مئات المرات . ولكن هذه كانت المرة الأولى التى أحسست فيها بهذا الشعور العجيب . كأننى كنت أقرأ الغيب . كان الاحساس العجيب الذى يجمع التوأمين جعلنى أشعر بأن هذا الفراق سيكون مختلفا عن أى فراق آخر . وعندما كتبت وصفا لسفرك ، كان الذين يقرأون هذا الوصف يبكون . كانوا يقولون أنه أحسن ما كتبت فى حياتى . حتى الآن لا يزال الناس يذكرون الكلمة التى كتبتها فى وداعك ، ويحفظون بعض كلماتها ، يرددون أغلب عباراتها ،

كأنها أغنية فى وصف فراق حبيب ، كأنها قصيدة شاعر يرثى فيها نفسه . اننى بعد هذه السنوات الثلاث أتصور اننى قمت بآخر سبق صحفى لى ، كأننى رثيت نفسي قبل أن أموت ، كتبت وصف جنازتى قبل أن أدخل النعش . كنت فى أوقات كثيرة ، وأنا جالس فى مكتبى ، أشعر برغبة فى أن أقوم بسبق صحفى . أن أعد وصف موتى قبل أن أموت . أن أكتب عناوين الخبر . حتى أوفر على المحررين مهمة البحث فى عنوان ، أن أكتب كلمة تلقى فى حفلة التأبين ، فأكون أول ميت يتحدث إلى الناس من قبره . وكثيرا من هذه الأوراق مزقتها ، وبقى بعضها فى مكتبى ، ولكننى عندما كتبت الكلمة التى وصفت بها فراقنا كنت أشعر فعلا أننى وأنت سنفترق ، سنفترق لمدة طويلة جدا .

ان خطاباتك تخفف كثيرا عذاب الفراق . انها تسعدنى . لو كان الأمر بيدى لقرأتها كل يوم وكل ساعة ، ولكن التعليمات تقضى بأن أعيدها بعد قراءتها . ولهذا عندما أكتب اليك لا أستطيع أن أرد عليها خطابا خطابا ، لانها لا تكون معى عندما أبدأ فى الكتابة اليك . ولكنى أفرح بالخطاب عندما يطول ، وأحزن عندما ينتهى ، فاننى أتمنى لو كان الخطاب مكونا من ألف صفحة ، فاننى أجد لذة فى أن أعيش معك كل دقيقة من حياتك ، أن أجلس مع أصدقائك ، أن أقرأ فى كل كتاب تقرأ فيه ، أن أشهد معك برامج التليفزيون ومباريات الكرة . واننى أشعر كأن هذه الخطابات هى شريط وهمى يصلنى بك . وعندما تتأخر الخطابات أتصور أننا نتحدث بغير كلام ونتخاطب بغير صوت . ان بين قلبى وقلبك خطا تليفونيا مستمرا ، يبقى مفتوحا طول الليل والنهار . لا تحسب فيه المحادثات بالدقائق ، وانما الأحاديث متصلة دائما . أكاد أسمع فيها نبضات قلبك ، وخلجات نفسك ، وأكاد أقرأ الأفكار التى فى رأسك . وأكذب عليك إذا قلت لك أن هذه الاتصالات الروحية تسعدنى . انها تعذبنى لاننى أحس منها بعذابك ولوعتك وشقائك . لقد كان من أحلامى أن أدفن معك فى قبر واحد . كنت لا أريد أن أنفصل عنك حتى الموت . ولكن القدر شاء أن يفصلنا فى الحياة ، نحن الذين كنا نأبى أن يفصلنا الموت ، ان عملية تقسيمنا كانت أشبه بتقسيم الذرة . فان الانفجار حطم حياتى وحطم حياتك ، وحطم أحلامنا التى

كانت الدنيا لا تسعها . أنه أشه بعملية فصل التوأمين السياسيين اللذين ما كاد يفصلها مشرط جراح حتى مات الاثنان معاً .

وفى بعض الأوقات أشعر أننى مت ، وأنه لم يبق منا الا الأرواح ، وأن أرواحنا هى التى تتخاطب وتتناجى ، فان فراقنا جعل كل واحد منا حائرا ، تائها ، محطما . أنها تجربة لم يتعرض لها توأمان من قبلنا . أن يموتا وهما على قيد الحياة . أن يدفنا ولاتزال أنفاسهما تتردد . والذى نفعله الأن أشبه بعملية استحضار الأرواح . نستخرج من الغيب أشباحا ، ونتصور أننا نسمع أصواتا ، ونفهم كلماتها !

أننى عندما أكتب إليك أشعر كاننى أكتب الى كل انسان أحبه . أكتب من الأخرة الى الدنيا ، من العدم الى الحياة ، من الظلام إلى النور . ولست أظن أن أهل الدنيا يستطيبون حديث الأخرة ، عالمنا في السجن هو عالم تحت الأرض ، جمود وخمود . جثث من الأحلام ، وجماجم من الأمانى ، وعظام داس عليها الزمن . نحن لانرى الاشجار فوق الأرض ، والنسيم يهز الأشجار وكأنها تغنى . بل نحن نرى جذورها وهى تغوص تحت الأرض وكأنها تدفن أو تبكى . أن رسائل المحبين تصبح زهورا توضع على القبور ، وعندما يموت الانسان يزين قبره كله بالورود ، ثم تنقص أعداد الورود والزهور مع الأيام ، وتتضاءل حتى تصبح زهرة واحدة ، ثم تجف الزهرة الواحدة ، فيبقى القبر عاريا ! ألا تذكر عندما كانت تذهب أمى الى مدافننا ، فترى عدة قبور عارية نسيها الاحياء ، فتضع بيدها وردة على كل قبر منسى . ان المسجونين مثل هذه القبور . انى أرى لهفتهم وخيبة آمالهم وشحوبهم عندما يجىء من يحمل البريد ، فيوزع خمسة خطابات أو ستة على مائة مسجون . أننى أراهم أشبه بهذه القبور العارية فى مدفن أسرتنا بالامام الشافعى ! كم تمنيت فى تلك اللحظات أن أكتب إلى كل مسجون محروم خطابا ، أن أختلق له حبيبة ، اذا لم تكن له حبيبة تحبه ، أن أصنع له من الوهم صديقا اذا كان فقد كل أصدقائه وخلانه ، أن أخترع له أسرة إذا كانت أسرته تنكرت له ، ولكن لاأستطيع أن أفعل ذلك ، لانه مصرح

لى أن أكتب خطابين اثنين كل شهر ، أننى أشعر بعذاب الأخرين . كان دموعهم تسقط على وجهى . كان نارهم تحرقنى . كان آلامهم تشقينى . أننى أضيع فى ضياعهم ، وأجوع فى حرمانهم ، وأموت بين قبور أحلامهم ، كم أتمنى أن يكون في قلبى نيل من الحب ، حتى أستطيع أن أروى به كل العطاش . كم أتمنى أن يكون لدى أضعاف ماعندى من الصبر . لاوزعه على اليائسين القانطين . كم أتمنى أن أقتسم أحلامى مع الذين ينامون في كابوس ويستيقظون فى كابوس ، لايرون فى بسمة الغد الا قهقهة ساخرة بهم وبأحلامهم ! كل هؤلاء العرايا في حاجة لأن نغطيهم ببطانية من الامل . كل هؤلاء التائهين فى حاجة إلى ايمان بالغد ينقذهم من حيرتهم . كل هذه الاشباح المحطمة فى حاجة الى الحب ، يحيى مواتهم ، ويضيء ظلامهم ، ويفتح طريق الرجاء أمام عيونهم .

ان ايمانى بالله يجعلني أطير فى الخيال ولا أهوى إلى الحقيقة . أننى لاأسأم الخيال مهما بدا وهما . كانت على حياتنا أوهام ، فحولناها الى حقائق . ولم نيأس أبدا من رحمة الله إذا تخلت عنا الدنيا عدونا وراءها . اذا لم تعد الينا . اذا تنكر لنا الحظ لم نغضب عليه ونلعنه . وانما لحقنا به وقدمنا أنفسنا إليه . اذا أساء صديق لنا لانحاسبه حساب الملكين ، بل نخلق له الاعذار والمبررات ونحاول أن نلوم أنفسنا على الاساءة التى أصابتنا . أن هذا الايمان هو الذى أبقى الربيع حيا فى خريفنا ، هو الذى ملأ حياتنا بالخير والحب والجمال . . وكل ماأرجوه من الله أن يبقى لنا هذا الايمان الى آخر يوم من أيام عمرنا .

انى أشكرك كثيرا على نصائحك بشأن العناية بصحتى . ولكنى متضايق لان وزنى زاد ، برغم أن الأطباء يرون تخفيض هذا الوزن ، بسبب مرض السكر ، وأننى أفكر في أن أزاول أى رياضة ، حتى يعود وزنى الى ماكان عليه ، وقد كنت سعيدا جدا بنقص وزنى ، وذلك تطبيقا لمبدأ ضرورة الاستفادة من الكوارث ، ولكن حتى هذه الفائدة لم أستطع أن أحافظ عليها . أن سبب زيادة وزنى هو عدم الحركة . أننى أسير ساعات طويلة على قدمى فى داخل الزنزانة ، أو أمام الممشى ، ولكن يبدو أن هذه الرياضة ليست كافية .

وفى الختام أقبلك ، وأقول لك كل ثلاث سنوات وأنت طيب . .

والى اللقاء . .

خطابات المسجونين

١٠ مايو سنة ١٩٦٨

عزيزتى

السجين يفرح بكل خطاب يتلقاه . أرقب وجه الواحد منهم عندما يتلقى خطابا وقبل أن يفتحه تتغير قسمات وجهه من الحزن الى الهناء . وترتعش يداه وهو يفض الرسالة . وتلمع عيناه وهو يقرأها . أعجب أن بضع كلمات وبضعة سطور تصنع في روح المسجون كل هذا التغيير . . الكلمة البسيطة تتحول فى أذن المسجون الى أغنية . النثر يصبح شعرا . . العبارات تنقلب إلى موسيقى وألحان . الورقة تتحـول إلى امرأة ترقص وتمرح ، تضحك وتبكى ، تعود به الى بيته وتجمعه بأولاده . الورقة الصغيرة تكبر بين أصابع المسجون كأنها كتاب كثير الصفحات . السطر الواحد يصبح صفحة . اللفظ العادى يجد فيه المسجون بلاغة لايحس بها الذين لم يعرفوا السجن ولم يذوقوه . المسجون فى وحدته يضرب بسياط غير منظورة . لانراها وانما نحس بآلامها وهى تلهب أرواحنا . وتجىء هذه الخطابات لتمسح الجروح ، وكأن القدر الذى بيده هذا الكرباج يتوقف عن ضرباته والمسجون يقرأ خطاباته . المسجون فى وحدته أشبه بالمقعد المربوط فى مقاعد المعوقين . وتجىء هذه الخطابات وتفك إساره ، وتوقفه على قدميه ، وتروى روحه الذابلة بماء سحرى فتعيد اليها الحياة والجمال بضعة أيام . . ثم ينضب الماء السحرى بعد أيام وتعود القيود والذبول . . أغانى الهجر وشعر البعاد والفراق يصبح لها فى أذن المسجون معان غير التى كانت لها وهو يعيش فى جنة الحرية . تماما كمنظر رغيف العيش . أنه يعنى فى نظر الجائع شيئا مختلفا عما يعنى فى نظر الشبعان .

وأنا أجد راحة فى كتابة الرسائل وتهريبها خارج السجن . الرسالة التى أكتبها تفك بعض سلاسلى وقيودى . تحول الأهة الخرساء الى صرخة مسموعة أحسب أن أفواهنا المستغيثة لايسمع أحد صوتها الا اذا كتبناها . أفكارنا المشلولة لاتتحرك الا على الورق . . انا عندما أكتب الى أصدقائى أشعر أننى أزرع أحلاما يحصدونها بخيالهم . أننى أتنفس فيهم . عندما لاأكتب أحس أننى مكتوم الانفاس . . أختنق وأموت !

أقسى الألام هى التى نكبتها ولانطلقها . فأناأحس في كل رسالة أننى أقول « آه » . أحيانا أحاول أن أكتم الأهة في نفسى حتى لاأزعج من يحبوننى وأحيانا أجد الالم قاسيا مبرحا فلا أستطيع إلا أن أقول آه ! وأنا عندما أتلفت حولى وأرى المسجونين المقيدين فى الاغلال . أرى على شفاههم المحرومة أشلاء من قبلات مضت عليها سنوات طويلة لم تتكرر . . فبعد سنوات تتباعد القبلات وتقل الزيارات حتى تنعدم . أرى فى قسمات وجوههم جثثا من الأمانى . الامانى الحلوة تموت فى الزنزانة ، فالأمانى كالزهور فى حاجة الى شمس وماء وهواء لتتفتح . وفى الزنزانة لاتدخل الشمس ولا يدخل الهواء ولا يوجد الا ماء البول ! أرى فى المسجونين حولى أشلاء سعادات . ضحايا . ضائعين . تائهين . مكبلين بالوحدة والقهر والذل والهوان . وأمسك قلمى وأكتب فأحس أننى وجدت نفسى . فأنا لاأكتب لاسعد الناس وأنما لاسعد نفسى . فالكتابة عندى هى نوع من الانانية . فى بعض الأحيان أحس أننى متعب فأمسك قلمى لأكتب فأستريح ، كأننى أضع رأسى على وسادة الأوهام .

زنزانتى لها نافذة صغيرة . والخطابات التى تصلنى من أصدقائى وأحبائى هى نوافذ جديدة . كلما كبر حجم الخطاب زادت مساحة الشباك . كلما زاد عدد الخطابات ازداد عدد النوافذ التى أطل منها على الدنيا . عندما أتسلم رسالة لاأشعر أننى كسيح . أحس أننى أنطلق . كل خطاب يصلنى فى السجن هو أشبه بزيارة لمسجون لايزوره أحد . . زائر يبقى معه بالليل والنهار . .

فى بعض الأحيان أحس أننى لست المسجون الوحيد فى زنزانتى ، عواطفى

مسجونة فى روحى . دموعى مسجونة فى عيونى . أفكارى مسجونة فى رأسى ، أحلامى مسجونة فى قيودى . وعندما يصلنى خطاب من الذين أحبهم أحس كأن مفتاح باب الزنزانة يطلق سراح كل هؤلاء المسجونين ! .

أرى المسجونين وهم يتلهفون على الاستفسار عن خطاباتهم ، كأنهم غرقى يبحثون عن قشة يتعلقون بها . هذه الخطابات هى ضمادات يوقفون بها نزيف الدم من قلوبهم . هى النسمات تتسرب إلى أرواحهم المخنوقة . هى شمس ربيع جميل تشرق فوق خريفهم المظلم . .

أحيانا اقرأ خطاباتهم الساذجة . . تحوى مئات الأسماء . فيها جملة واحدة « فلان يسلم عليك ألف مليون سلام ، وفلانة تسلم عليك ألف مليون سلام » . لاشيء سوى هذا . ومع هذا يبدو على المسجون الامى وهو يسمع زميله يقرأ له خطابه كأنه تلقى فعلا آلاف الملايين من السلامات ! .

فى الخارج توجد تقاليد جميلة . هناك جمعيات لرعاية المسجونين تبحث عن كل مسجون لايكتب له أحد . تبحث عن أشخاص يراسلونه ، ويزورونه ، ويقدمون له الهدايا ، ويشعرونه أنه محل رعاية وأهتمام . آلام الوحدة والنسيان والاهمال أشد وأقسى من آلام السرطان . .

أننا فى السجن لانكتب دائما بأقلامنا . أحيانا نكتب بدمائنا وأعصابنا . قد لاتكون كتاباتنا صرير أقلام ، وأنما صوت السلاسل فى أيدينا وأرجلنا وأرواحنا . أحيانا نغضب على الذين نحبهم لأنهم لم يكتبوا لنا ، ونقسو عليهم فى غضبنا فليعذرونا فان كتاباتنا ليست بأقلام الحبر فى أيدينا ولكن بأفواه البنادق التى تحرسنا ، نحن ننسى فى وحدتنا وفى سجننا أن الزنزانات التى نحن فيها أوسع كثيرا من الزنزانات التى سجنوا أنفسهم فيها . اذا كنا نشكو فراشنا لأنه ليس وثيرا فهم لايشكون مع أنهم ينامون كل ليلة على مسامير من الوحدة والحرمان واليأس والشقاء . أنهم وهم يكتبون لنا بدموعهم يحاولون أن يبحثوا عن كلمات مفرحة راقصة يخفون بها هذه الدموع . الزهور التى يحملونها إلينا فى

رسائلهم لنزين بها زنزاناتنا هى باقات زهور كانت موضوعة فوق قبور أحلامهم ، وغسلوا منها رائحة الموت لتحمل لنا عبير الحياة . كم رأيت أم مسجون تحرم نفسها من ضروريات للحياة لتجىء له بالسجائر ليدخنها . نحن لانشعر بكل تضحيات الذين يحبوننا لاننا مسجونون فى أقفاص أنانيتنا . أنا عندما أقرأ خطابات أهالى المسجونين السياسيين الى أولادهم أحس أننى أسمع صوت بحة حزينة مخنوقة بالعبرات في أنغام كلمات راقصة أسمع أنينا أخرس فى ضوضاء ضحكات مغتصبة . أراهم يتحدثون عن الصبر والتجلد والشجاعة وقوة الاحتمال ، وأرى بين الكلمات قلوبا مكسورة ، وهم يرون بصيص الأمل الذى صنعته أوهامهم يخبو ويموت ويتحول إلى رماد . . أننى عندما أقرأ كلمات هذه الرسائل لاأقرأ حروفها ، بل أحاول أن أنفذ إلى أعماقها . فأرى فيها أشباح اليأس الأسود والعذاب والقهر وهى تطل من عباراتهم الوردية . ابتساماتهم مخضبة بدموعهم . أحلامهم تمشى متعثرة فى سلاسل الحديد . خيالهم الواسع يصطدم بقفص الحقيقة الضيق فيختنق فيه . مهما يحاولوا أن يخفوا أحزانهم فان أنينهم يظهر بين الحروف ! أنا لست أعرف ماهى الحكمة فى أن تفتك الحكومة بأسرة المسجون السياسى وتطاردها . ترفت وتنقل وتحيل إلى المعاش ! انها تخلق فى البلد طبقة منبوذين ، وهى لاتعلم أن هذا الاضطهاد المستمر لابد أن يؤدى الى الانفجار !

أننى مدين بتحمل شظف الحياة ، فى السجن وقسوتها الى أمى ! لقد عودتنى أمى أن أرضى بكل أنواع الحياة ، وأعود نفسى على قبولها . ومن أجل هذا نمت في أعظم القصور وفي أفخر فنادق العالم ثم نمت على الاسفلت ولم أشعر بهوان الانتقال من الفراش الوثير الى الاسفلت . وعرفت الملوك والرؤساء والحكام ، وعرفت اللص والنشال وقاطع الطريق ، واختلط على الأمر حينا فلم أعرف أيهم هو قاطع الطريق ! وتناولت طعامى فى أعظم مطاعم العالم ثم أكلت فى السجن الفول المدمس المخلوط بالسوس والتراب ، وأسعدنى طبق الفول كما أسعدنى طبق « الفيزان » فى مطعم مكسيم بباريس !

أصبحت الأن فقط أفهم لماذا كانت أمى تصر على أن أكل كل طعام تقدمه لى . ترفض أن أقول لها أننى أحب هذا الصنف ولا أحب هذا الصنف . لقد جعلتنى أحب الفول المدمس وأفضله ألف مرة على الديك الرومى . .

لعلها كانت تقرأ الغيب . .

أحذية الطغاة فوق أعناقنا !

أول يونيو سنة ١٩٦٨

عزيزتى . .

لاأريد أن أثقل عليكم بالطلبات . أنا أعرف أن الحالة المالية ليست على مايرام ، لهذا أرجوك ألا ترسلى أى شىء الا بعد أن تتحسن الحالة المالية تماما . أننى آسف اذ أضعكم فى مثل هذه الازمات والمآزق . وأحب أن تصارحونى بكل شىء . ولا تتحملوا المتاعب وحدكم . أنا أستطيع أن أدبر نفسى هنا . وأن أرتب حياتى على أى صورة . الشىء الذى يهمنى وألح فيه ألا تربكوا أنفسكم أكثر مما أرتبكت حتى الأن . يظهر أن أحدا لايتصور المتاعب التى يعيش فيها المسجون السياسى ، ولا المصاريف التى يضطر المسجون إلى انفاقها . وقد رأيت أن أبدأ بالتوفير وأقتصد فى عدد السجائر التى أدخنها بل أقتصد فى كل شىء حتى تمر الأزمة . وبعد أن تنتهى الأزمة يعود كل شىء كما كان .

أحمد الله أن الناس فى داخل السجن يخدموننى لله . لو كانوا يعاملوننى كأى مسجون آخر لكانت مصيبة المصائب ! قطعة الثلج التى ثمنها قرشان فى الشارع تباع فى داخل السجن بخمسين قرشا وأحيانا يصل ثمنها الى جنيه فى اليوم الواحد ! كل مرة يدخل الطعام الى مسجون في السجن يكلفه ذلك بين الخمسين قرشا والجنيه ! كل باب يقف عليه جمرك ، ولكى يمر الطعام على هذه الأبواب العديدة يجب أن يدفع المسجون علبة سجائر بلمونت على كل باب ، الذى يحمل الطعام يأخذ علبة سجائر ، والشاويش الذى يجىء مع الطعام يأخذ علبة سجائر ، والشاويش الذى يفتح بوابة العنبر يأخذ علبة سجائر ، والشاويش الذى يفتح الزنزانة ليدخل الطعام يأخذ علبة سجائر !

والقهوة ممنوعة . الرجل الذى يصنع لك القهوة يأخذ علبة سجائر ، لأنه لو ضبط يصنع لك القهوة يوضع فى التأديب ، وتمنع عنه الشمس والهواء لمدة ستة أيام . والذى يسخن لك الطعام يأخذ علبة سجائر ، لأن الولعة جريمة ، يعاقب عليها ، فهو يأخذ هذا المبلغ الكبير تعويضا له عن الخطر الذى يتعرض له بتسخين الطعام . وفى كل يوم يهاجم الحراس الزنزانات ويستولون على مالدى المسجونين من غاز أو آلات لتسخين الطعام . ويلقون الغاز على الأرض ، ويدوسون « التاوتاو » بأقدامهم !

وفى كل يوم يبدلون ويغيرون غرف المسجونين . وعندما يضطر المسجون الى الانتقال الى زنزانة جديدة ، عليه أن يدفع عدة علب سجائر ليدهن بياض الجدران وينظف الزنزانة من الحشرات ، ويدفع علب سجائر أخرى ليركب النور الكهربائى . ويدفع علب سجائر ليدق الرفوف على جدران الزنزانة ! وتتكرر عمليات التغيير والتبديل والنقل فى الزنزانات ، لايكاد يستقر المسجون فى زنزانة حتى يصدر اليه أمر بالانتقال الى زنزانة أخرى ، فاذا أراد أن يحتفظ بزنزانته يجب أن يدفع سجائر ليستقر فى هذه الزنزانة القديمة . ويجب أن يدفع المسجون علبتى سجائر للكهربائى شهريا ، فاذا لم يدفع الجزية ، قطع الكهربائى السلك ، فانقطع النور ، ويات المسجون فى ظلام . . والكهربائى يجد دائما سببا فنيا لانقطاع النور ، لاتستطيع أن تكتشفه أكبر لجنة فنية كهربائية متخصصة فى استخراج الكهرباء من السد العالى ! .

والويل للمسجون الذى لايدفع أتاوة المسجون الذى يوزع الطعام . عدد السجائر التى يعطيها هى التى تفرق بين قطعة اللحم وقطعة العظم ! المسجون الذى لايملك سجائر يموت جوعا ، ويصاب بالسل من قلة الطعام . ولايستطيع المسجون أن يشكو من وزير التموين المكلف بتوزيع الطعام . فهذا المسجون هو مندوب أركان حرب الليمان ، وهو المكلف بأن يجىء له بأخبار المسجونين وأسرارهم . . ومن أجل ذلك الهدف الاسمى يباح له أن يجعل المسجونين يموتون جوعا ، فى سبيل أن يعرف حضرة الضابط كل كلمة هايفة

تحدث فى العنبر ! واذا غضب وزير التموين على مسجون حرمه من الطعام ، ثم أبلغ الضابط أنه يرتكب مخالفات ، ويعاقب المسجون البرىء . ومن هنا يشترى المسجون نفسه بأن يدفع أتاوات يومية للمسجون الذى يوزع الطعام ، أو يسكت عن السرقة اليومية ، والمغالطة فى توزيع الطعام . . وهكذا يكون نصيب المسجون من الطعام نصيب اليتيم من مأدبة اللئام ! .

ويجىء الطعام في جرادل . ويستعملون هذه الجرادل أحيانا للبول ولايهمهم اذا وضعوا الطعام فى جردل البول . ويصنعون الفول المدمس بالزيت . ومايكاد يصل جردل الفول المدمس الى العنبر حتى يجىء وزير تموين العنبر ، ويفرغ من الجردل كل مافيه من زيت ، ويبيع الزيت للمسجونين القادرين . ويوزع على باقى المسجونين المساكين التعساء الفول بغير زيت !

وينام المرضى على سراير ، فاذا لم يدفع المسجون المريض علبة سجائر لرئيس المرضين أو للممرض وجد نفسه نائما على الأرض ، ويجد الممرض دائما فتوى فنية قانونية طبية تقتضى سحب السرير من المسجون المريض الذى لم يدفع علبة السجائر .

ومن المناظر العجيبة مايحدث عندما يموت أحد المسجونين فى السجن . لايكاد يلفظ النفس الأخير ، حتى يستخرج الممرض تذكرة علاجه ، ويضيف اليها عشرات الادوية الغالية ، من كلور مايسين وبنسلين وفيتامينات ، وكلها موزعة ومقسمة بعناية على الأيام التى كان المسجون فيها مريضا . ويبلغ مجموعها عادة حوالى ثلثمائة جنيه . . فلا تكاد تطلع على تذكرة علاج المسجون المتوفى حتى تبدى أعجابك بالاهتمام الشديد بالمسجونين المرضى ، فى حين أن الذى حدث فى الحقيقة هو أن أحدا لم يصرف للمسجون دواء واحدا بمليم واحد وهو على قيد الحياة ، وعندما مات قيدوا على حسابه جميع الأدوية الغالية التى سرقها المرضون ، وبذلك يقيم المرضون فرحا بدل المأتم للمسجون الفقيد ، فان وفاته السعيدة سوف تؤدى الى أن تصبح جميع دفاتر السجن سليمة ، والعهدة كاملة ، ولائحة المخازن منفذة حرفيا ! .

وحدث فى هذا الاسبوع أن تأخر بعض المرضى الذين ينامون على سراير فى عنبر واحد الذى أقيم فيه عن دفع الجزية ، وصدر قرار بأخراجهم جميعا من المستشفى ، وأسرع خمسة منهم ودفعوا الجزية فأعيدت لهم السراير فى الحال ، وفى اليوم التالى بدأت المفاوضات مع عدد آخر من الذين ذاقوا النوم على الأرض ، فدفعوا الجزية ، فتقرر أن يناموا على سراير من جديد .

ولايستطيع الأطباء أن يفعلوا شيئا ليواجهوا على بابا والأربعين حرامى . المرض الشاطر يربح أكثر من الجراح الممتاز . وهو أشبه بمأذون القرية الذى يستطيع بسهولة ، أن يحلل الحرام ويحرم الحلال ، ويجد من النصوص البلهاء والقواعد والسوابق مايبرر علبة السجائر التى أخذها ، أو يعاقب من أمتنعوا عن دفع الجزية ! .

وبعض الشاويشية يقاسمون المسجون فى كل شىء . بعض فقراء المسجونين يحملون جرادل بول المساجين وبرازهم من الزنزانات ، ويتقاضون سجائر فى مقابل هذا العمل الشاق الذى يستدعى أن يصعدوا مئات الدرجات خلال أربعة أدوار . وينزلوا أربعة أدوار عدة مرات فى اليوم . وكان المفروض أن يستفيد هذا المسجون المسحوق من السجائر التى يحصل عليها ليشترى ما يحتاجه من طعام . ولكن الشاويش الشاطر يقاسم هذا المسجون البائس فى السجائر القليلة التى يحصل عليها . فإذا لم يدفع الجزية ، حرمه من شرف خدمة الأدوار ، وتركه فى زنزانته يتضور جوعا . وكلما اشتد الغلاء فى الخارج زاد بؤس المسجونين فى الداخل . فالشاويش يتقاضى عادة فرق زيادة الأسعار ، فاذا ارتفع سعر السكر ثلاثة قروش يجب أن يدفع المسجون الجزية ثلاثة قروش حتى يوازن السجان ميزانيته ! .

أعتقد أن الصورة الصغيرة التى نراها فى السجن هى مصغر الصورة الكبيرة لخارج السجن . نفس الفساد . نفس الظلم . نفس الاستغلال . نفس الفراعنة الصغار الذين يمتصون دم المسحوقين والضعفاء ويدوسون عليهم بأقدامهم .

الطغيان الكبير هو أشبه بمصنع للأحذية يصنع أحذية صغيرة تدوس على رقاب الضعفاء !

عصفور فوق نافذتى

٥ يونيو سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

رأيت عصفورا يبكى على نافذة زنزانتى . أنها أول مرة تبدو زقزقة العصافير كانها دموع وبكاء . ترى هل أصبحت نافذة زنزانتى حائط مبكى جديدا للطيور تهرع اليه لتندب وتبكى وتصرخ وتصيح . ألم يكفنى أن زنزانتى غرقى فى دموع البائسين . تكاد تحترق من أشواقهم . تمتلىء بأحزانهم وأناتهم . كل المسجونين يجيئون الى زنزانتى ليبكوا فيها ، ليحملوا الى متاعبهم وآهاتهم وعذاباتهم كأننى أصبحت مخزنا لآلامهم . يفرغون عندى مافى قلوبهم من مآس . وما فى عيونهم من دموع . وما فى رؤوسهم من مصائب . يتركوننى مع كل هذه العذابات وينصرفون كأننى مكلف أن أحمل على ظهرى آلام البشر . كانه لايكفينى بلائى وعذابى وشقائى . وتعودت الا أقفل قلبى أمام باك ، ولا أغلق أذنى أمام صراخ مظلوم . أننى أحاول أن أبيع الأمانى للاشقياء ، وأبيع الاحلام لليائسين . أقبض دموعهم وأسلمهم أحلاما وآمالا وأمانى عذابا ! أنا البنك المفلس الذى يقرض المأزومين . أنا المريض الذى يصف الدواء للمرضى والاطباء . وفى بعض الأحيان أخاف أن يضبطنى هؤلاء الذين أبيعهم الاحلام ، ويكتشفوا أننى أبيع لهم الأوهام . أخشى أن يعلموا أن دوائى ليس ترياقا لبكائهم ، وأنما هو ذوب دموعهم . أخشى أن يكتشفوا أننى أنصب عليهم وأحتال . وأن شيكات الاحلام التى أعطيها لهم كلها بغير رصيد . ولكنهم يخرجون من زنزانتى سعداء ، كأنهم خلعوا عندى شقاءهم . وارتدوا أثواب الأمانى التى قدمتها اليهم . ومن حسن حظى أنهم لاينظرون الى المرايا ، والا لعرفوا أنهم عراة ! .

ولكن ما الذى جاء بهذا العصفور الى نافذة زنزانتى ليبكى ؟ ولماذا يبكى ؟ وضحكت أنه أختار شباك زنزانتى ، دون نوافذ الدنيا كلها ليذرف دموعه عندى وازداد ضحكى ! فالعصفور الطليق يبكى ، وأنا المسجون أضحك ! ماأغرب الدنيا . . على شفتى الحر دمعة ، وفى وجه الاسير ابتسامة !! هل العصفور يخدعنى كما أخدعه ؟ هل يبكى ليعزينى ، كما أنا أضحك لاسرى عنه ؟ هل يشقيه منظرى مقيدا فى الاسر ، ويسعدنى منظره وهو منطلق فى حياة الأحرار ! ولكن مايدرينى أن كان هذا العصفور حرا . كم من الذين لاقيود فى أيديهم يشعرون بأغلال فى قلوبهم ، وبسلاسل فى أرواحهم . لعل هذا العصفور يشعر أن أحدا يطارده ، والمطارد لايشعر بالحرية ، أو لعل العصفور يخاف من بندقية تصطاده ، والخائف يفقد حريته ، ماأدرانى أنه ليس مسجونا مثلى قادما من سجن أو فى طريقه الى سجن ؟

وشعرت برغبة فى أن أتحدث الى العصفور . ونحن المسجونين عندما تغلق علينا الأبواب نشعر برغبة شديدة فى أن نتحدث . نتحدث الى الجدران . نتحدث الى القضبان . نتحدث الى الباب المغلق . نتحدث الى أنفسنا . ثم نكتشف أثناء الحديث أننا تحولنا الى جدران وقضبان وسلاسل . قد لاتكون فينا صلابتها . ولكن فينا جمودها !

ولكن ماذا أقول للعصفور . ان فى فمى ماء ساخنا . النار المشتعلة فى نفسى تجعل لعابى يغلى ، فأقفل فمى ، حتى لاتخرج منه الحمم ، كما تخرج القذائف الساخنة من البركان . فى فمى ماء الحنظل ، فى حلقى مرارة الظلم ، أنفاس ساخنة كلعنات المظلومين . قلبى كالخرائب والاطلال فيه رائحة الهجر والترك والاهمال . كل كلمة من فمى ستخرج كرصاص مدفع رشاش ، كغازات خانقة حارقة ، كقنابل النابالم . فلأقفل فمى أيضا حتى لايصاب العصفور المسكين ببعض الرشاش !

ورأيت العصفور يتطلع إلى . هل رآنى من قبل فأدهشه الفرق بين ماكنت

وأصبحت ؟ . أنه يتطلع الى شعر رأسي . لعله يعد الشعرات البيضاء لعله تعب من عدها واحصائها . فاذا تعب من الاحصاء ، فسوف يتعب أكثر ، اذا عرف أن كل شعرة بيضاء فى رأسى تمثل عذابا وتعذيبا ، تمثل ضربة سوط ، أو طعنة خنجر . تمثل تهمة ظالمة ، أو حملة غاشمة .
تمثل خيانة صديق أو نكران جميل من شخص خدمته . تمثل ليالى لم أذق فيها النوم ، وأياما لم أذق فيها الطعام . العصفور يتطلع إلى تجاعيد وجهى . هل أستطاع الزمن أن يكتب على وجهى كل مأساتى ؟ أم أن الرقابة شطبت كثيرا من الخطوط ، لو أن الزمن حفر فى وجهى كل مارأيت لتحول وجهى كله الى خطوط وحفر وتجاعيد . العصفور يحملق فى عينى ، وكأنه يطل على قلبى . يبحث عن ذلك البريق الذى كان فى عينى فلا يجده . وما العيون الا مرايا . تنطبع عليها ماتراه . هى الأخرى تلمع وتنطفىء وتنير وتظلم ، ترتسم فيها مواكب الظافرين وطوابير المقهورين . لعل العصفور يطل في عينى ليرى أعماقى . ليرى مسيحا مصلوبا بلا خطيئة ، مشنوقا بلا جريمة ، معلقا على مقصلة بغير ذنب . مسجونا يجر سلاسله وقيوده . يعيش فى بحر من الوحل والطين . فى عالم مقلوب . نحن فيه الصاعدون الى الحضيض . الهابطون الى القباب . الراكعون واقفين ، والواقفون راكعين ! عالم يمشى على رأسه ، ويفكر بقدميه . عالم الصامتين فى ضوضاء الخرس الذين يثرثرون . عالم من المنبوذين الحائرين ، الممزقين الملعونين ، المغلوبين فى غير معركة ، المدفونين على قيد الحياة ! .

هذا العصفور سيىء الحظ . جاء إلى دكانى بعد مواعيد العمل . بعد أن أغلقت باب زنزانتى ، وأنصرف الزبائن . منذ دقائق فقط كنت أبيع الأمل بلا ثمن . وأبيع الأحلام بلا ثمن ، وأبيع الزهور بلا ثمن ، وأبيع الشمس بلا ثمن . كنت أضمد جراح زملائى المسجونين الذين يستنجدون بالصيدلية التى فتحتها فى قلبى أبيع مجانا بلسما لكل جرح ، ودواء لكل مرض . فهل بعت كل الأدوية التى عندى ، ولم يبق عندى دواء يشفينى ؟ أم أن أدويتى ومراهمى أعجز من أن تشفى مرضى العضال ؟ غريب أن أخترع الأدوية المنومة للناس وأبقى وحدى ساهرا وأن أضع كفى على رؤوسهم لاخفف حرارتها ، ولا أجد كفا

تمسح جروح روحى . . وأن أضع الضحكات فوق شفاههم ، ولا أجد بسمة أضعها فى قلبى الحزين . جراح قلوبهم أحدثتها شكة دبوس ، وجراح قلب صنعتها طعنات خناجر . النزيف من الخارج يمكن أن يشفى ، ولكن النزيف من الداخل مستحيل الشفاء . ماأقسى أن تشرب القلق والارق وتفرز الاطمئنان والنوم . ماأقسى أن تعيش فى كهف وتفكر بعقلية القصور . أن تضع أصابعك فى آذانك تسدها لتسمع ! أن تغلق عينيك لترى الحقيقة ! أن تدخل لسانك فى فمك لتتكلم . ماأقسى أن توزع كئوس الأحلام على الشاربين وأنت أكثر منهم عطشا ، تسكرهم خمرك ، وتجعلك تفيق فى وقت أنت فى أشد الحاجة أن تخدر روحك حتى لاتشعر بما فيها من آلام , قلبى سجين بغير قضبان . مقيد دون سلاسل . أبوابه مغلقة . نوافذه موصدة . ظلامه دامس . بين وقت وآخر أشعر أنهم نزعوا قلبى وأخذوه الى غرف التعذيب ، وصلبوه ، وجلدوه ، وعذبوه ، وضربوه بالسياط . زاد عدد الجروح فى قلبى حتى أصبحت أتصور أن قلبى كله أصبح جرحا . ومع ذلك فان وظيفتى فى السجن أن أضمد جروح المسجونين .

العصفور حسن الحظ لانه تأخر فى قدومه عندى ساعة . لولا ذلك لرأى صديقى السجين رقم واحد . دخل زنزانتى وهو ممزق مقطع الاوصال . كأنه دخل زنزانتى على دفعات . كأنه قطع ممزقة وأعضاء متفرقة وأوصال قطعت بالسكين . وظيفتى أن أحاول أن أعيد هذه البقايا الى بشر جديد . لقد تزوج لمدة شهر ونصف شهر ثم زجوا به فى السجن . ومضى على فراقهما ثلاث سنوات . تكتب هى اليه كل يوم ، ويكتب هو اليها كل يوم . ثم مضى شهر ولم تكتب له خطابا واحدا . وجاء موعد الزيارة فلم تحضر . ياللخائنة ! أنها لم تصمد لضربات الزمن . حنثت فى ايمانها . زاده يأكله غيره . الوردة التى زرعها وتعهدها قطعها الغريب . أخذ الغريب الرحيق وترك له شوك العذاب . كان يتحدث وكأن لعنات الدنيا أنصبت عليه . منبوذ . محطم . مغلوب . مقهور ! .

كنت أشعر فى قرارة نفسى أنه يظلم زوجته . يتصور أن الشهر ونصف الشهر

زواجا تكفى المرأة زادا تعيش عليه ثلاث سنوات من العذاب . لو أن قبلاته قسمت على سنوات الفراق لما أصابها قبلة واحدة كل أسبوع . كم نقسو عندما نطلب من المحرومين أن يعيشوا سنوات على ذكرى دقائق شبعوا فيها ! نحن ننسى أن الالم يترك فينا أثرا أكثر مما تترك السعادة . الفقير يذكر طوال حياته تفاصيل فقره وجوعه وحرمانه ، بينما الغنى لايكاد يذكر مااستمتع به من مآدب شهية وحياة باذخة ! أردت أن أقول له يكفى هذه المرأة ان عاشت ثلاث سنوات شريدة طريدة مهجورة مهزومة ، تفكر طوال لياليها فى رجل مسجون الى الابد . تحتضن الورق بدلا من اللحم . تحاول أن تخدع نفسها بأن حرارة الانفاس يمكن أن تستغنى عنها بحرارة الكلمات . الناس كالمعادن ، بعضها لايتحمل النار الا دقائق ثم ينصهر ، وبعضها يصمد أياما . وأقلها شهورا ، وأندرها ثلاث سنوات ! ثلاث سنوات أنتظار أيها الظالم كم تريد منها أن تنتظر أكثر ! ولكن لم أرض أن أفجع صاحبى بهذه الأراء ، بل قلت له أن الغائب حجته معه ، ولانه لابد أن هناك من الأسباب الوجيهة الهامة ما جعلها تتوقف عن الكتابة . الحب لايموت بالسكتة القلبية . يموت بالشيخوخة عادة . غير معقول أن تكتب لك زوجتك خطابا كل يوم ثم تتوقف فجأة . الذى يحدث دائما أن تبدأ وتكتب كل يومين ، ثم كل أسبوع ، ثم كل شهر ، ثم تنقطع عن الكتابة . أنت تشكو من أنك حرمت من محاكمة عادلة . لم يسمع أحد دفاعك ، كيف تجيء اليوم وتظلم زوجتك كما ظلموك ، وتحاكمها غيابيا ، وتحكم عليها بغير أن تسمع كلمة دفاع ؟ عليك أن تختلق لها الاعذار اذا لم تقدم لك الأعذار والمبررات .

ولكن صاحبى لم يستمع لنصحى ، وكتب الى زوجته خطابا مليئا بالاتهامات : أنها غادرة كالزمان ، خائنة كالايام . متقلبة كالاحداث جبارة كالحكام !

وجاء الرد منها يقول « لم أكتب لك لأننى لاأملك ثمن طابع البريد . لم أزرك فى السجن لأننى لاأملك أجر الركوب . لولا مرضى لمشيت على قدمى ثلاث

ساعات حتى أصل من بيتى الى سجنك . أننى أخفيت عنك عذابى حتى لاأزيد عذابك . بعت كل مافى البيت لأكل وأكتب اليك ولازورك مرة كل شهر بقيت معى بضعة قروش ، وكنت أفضل ألا أشترى رغيف الخبز لكى أشترى طابع البريد . وأخفيت عنك عدة مرات أننى زرتك عدة مرات مشيا على الأقدام . كنت أغادر بيتى فى عابدين فى الفجر فأصل إلى ليمان طره عند الظهر . واقف عند بوابة السجن أمسح حذائى ، وأجفف عرقى ، وأخفى تعبى تحت المكياج الذى استعرته من جارتى ، لكيلا ترى ماتحت البودرة من شقاء . لم يبق جار لى لم أقترض منه ولا صديق لك لم يهرب منى . ياحبيبى ! ان الذى خانك ليس قلبى ؛ وانما هو طابع البريد الذى لاأجد ثمنه .

* * *

وخرج زميلى المسجون الأول ليدخل المسجون الثانى زنزانتى ، وقد كان له قبل أن يدخل الى السجن زوجة وعشيقة . ماكادت تحكم عليه المحكمة بالاشغال الشاقة المؤبدة حتى انكرته الزوجة وتخلت عنه ، ووقفت العشيقة بجانبه ، كانت العاشقة تبيع نفسها كل ليلة لتوفر لعشيقها السجين السجائر التى يدخنها ، والأطعمة التى يأكلها ، والدواء الذى يحتاج إليه .

ولم يعجب الزوجة أن تصمد الغانية وتنهار هى ، فأبلغت الزوجة سلطات الامن ضد العشيقة بأنها تقوم بنشاط سياسى مشبوه . وزج بالعشيقة الى السجن . وانقطع الطعام وانقطعت السجائر وانقطع الدواء . وانهارت صحة المسجون العاشق المريض ، ونقل بين الحياة والموت الى مستشفى الحميات . وهناك عرف ممرضه وأحبته وبدأت تقتطع من مرتبها البسيط ثمن سجائره وطعامه ودوائه . وشفى العاشق وعاد الينا فى الليمان من جديد . . وخرجت الغانية من سجنها ، وعادت تبيع نفسها من أجل أن تشترى الدواء للسجين المريض بأمراض أخرى غير الحمى . . ووبخ الزوجة ضميرها فقررت أن تعود وتقف الى جوار زوجها ووالد أولادها . وأستمرت الممرضة تحرم نفسها من ضرورات الحياة لترسل له كل شهر مبلغا على السجن .

وكان العاشق الدون جوان يكاتب الثلاث معا . ويوهم كل واحدة منهن أنها الوحيدة التى وقفت بجواره في محنته . وأستطاع حمدى أن يقسم الزيارات على العاشقات الثلاث ، وأفهم كل واحدة منهن أن الزيارة أصبحت مرة واحدة كل ثلاث شهور لا مرة واحدة كل شهر . . وصدقت العاشقات الساذجات . ثم حدثت المفاجأة . وأكتشفت العاشقات الثلاث علاقة العاشق المسجون بهن جميعا .

وأسقط فى يد العاشق وهرول حمدى الى زنزانتى يسألنى ماذا يفعل ازاء هذه الكارثة التى حلت به ؟ عليه الأن أن يختار بين الثلاث . هل يختار الغانية أو الممرضة أو زوجته السابقة أم أولاده ؟

قلت له أن أى شخص غيرى ستسأله سيقول لك أن تختار أم أولادك . ولكنى لاأقولها . المرأة التى تخلت بالأمس سوف تتخلى عنك غدا . أنها لاتقف بجوارك من أجلك ، وانما لتنتقم من كل امرأة أخرى وقفت الى جانبك . وأحب أن تعلم أننى لاأختار لنفسى وانما اختار لك . وأعتقد أن الممرضة لن تنفعك . أو على الأصح لن تنفعها ،

واجبك أن تتركها لتعيش حياتها ، وهى فى حاجة الى هذه القروش التى ترسلها لك كل شهر . ولهذا فأننى أختار لك الغانية . لأنها ضحت من أجلك أكثر مما ضحت الزوجة والممرضة ، لأنها دخلت السجن بسببك . لأنها عادت اليك بعد خروجها من السجن ، وقد كان يكفيها أنها فعلت لك كل مافعلت حتى سجنت من أجلك .

ولست أعرف هل قبل حمدى نصيحتى أم لا ؟

وقال أحد زملائنا أن حمدى سيختار من تحول له مبلغا أكبر

وضحك حمدى وقال أنه قرر أن يحاول الاحتفاظ بالثلاث معا !

وخبرتى به كدون جوان قدير تجعلنى أعتقد أنه سوف يستطيع ذلك .

ثم دخل المسجون الثالث وقد تقوس ظهره ، يحمل همومه على كتفيه . وذكر أنه تزوج وقبض عليه وهو فى شهر العسل ، وتعرض لتعذيب لايطيقه بشر ، واضطر أن يعترف كذبا على زوج شقيقة زوجته وعلى شقيق زوجته أنهم شركاؤه فى المؤامرة المزعومة !

وهاجمته أسرة زوجته لأنه أعترف على أولادها من وطأة التعذيب ، وبهذا خرب البيت كله ! وثارت أمه على أسرة عروسه ، وطردتها من البيت «لأنها جاءت وجاء النحس معها ، وأنه لولا شقيقها وزوج شقيقتها لما حكم على ابنها بالسجن المؤبد . وأرسلت الأم الى ولدها المسجون تقول له « أما أنا . . وأما زوجتك » . . وأرسلت الزوجة تقول له « أما أنا . . وأما أمك » . .

وجاء زميلى المسجون الثالث يسألنى ماذا يفعل ؟ هو يحب زوجته ويحب أمه . لايريد أن يتخلى عن أمه ولا يريد أن يتخلى عن زوجته . وأنا بطبيعتى أقف بجوار الأم فى كل مشكلة دون أن أفكر . هذه نقطة ضعف فى . قلبى هو الذى يفكر فى أى مشكلة فيها أم .

وقرأت خطاب الزوجة التعسة وهى تصف كيف أنها تعيش الأن فى بيت أمها فى جو عدائى لزوجها ، وهى ممزقة بين شقيقتها وبين زوجها . حائرة بين بيت عاشت فيه طوال عمرها ، وبيت عاشت فيه أياما . ثم هى فوجئت بجنين فى بطنها . لاأحد يريده ! والزوج المسكين لايستطيع أن يدافع عن نفسه ولا عن بيته ، ولا عن الجنين الذى فى بطن زوجته. . وهو يرى بيته يتهدم ولا يستطيع أن يمد يده ليمنع المعاول التى تهدمه . ولقد نصحته أن يؤجل قراره . وقد يستطيع الزمن أن يمحو الكراهية من قلب أمه . قد يستطيع الجنين عندما يولد أن يجمع بين الأسرتين المتنافرتين ، قد تشعر الزوجة أنها لاتستطيع أن تصبر أكثر مما صبرت وتطلب الطلاق . أو تصمد أمام الضربات فتستحق أن تقف بجوارها . الوقت هو الذى يصدر القرار ولست أنت .

أنظمة السجن فى بلادنا لاتحكم على المخطىء وحده . أنها تعاقب الأسرة

كلها تتفنن فى تعذيبها وتمزيقها وتشريدها . تقطع العلاقة بين رب الأسرة وأفرادها ، وتتركهم معلقين من أرجلهم فى الهواء . النظام الذى منع المسجونين السياسيين ثلاث سنوات من أن يكتبوا خطابا الى أفراد أسرهم ، أو يتلقوا منهم خطابات الا بطريق التهريب ! النظام الذى منع المسجونين السياسيين ثلاث سنوات من لقاء زوجاتهم وأولادهم . . النظام الذى يجعل المسجون يقابل أسرته لمدة دقائق وهو محشور فى قفص فيه عشرات المسجونين يتكلمون فى وقت واحد ! هذا النظام يحطم الأسر ، ويمزق العلاقات الانسانية ، ويشرد الأطفال الأبرياء ، يعهر الزوجات ويخرب البيوت فالحكم الذى يصدر لم يعد حكما ضد فرد واحد ، انما هو ضد الأسرة كلها . وهذا عودة الى شريعة الغاب أيام كانت تعذب القرية كلها بذنب فرد واحد من أفرادها !

وفجأة طار العصفور من نافذة زانزنتى .

لعل آرائى لم تعجبه ، لعله شعر أن هذه الآراء مسجونة مثلى ، مقيدة مثلى بالسلاسل والأغلال . أو لعله ضاق بالآهات والزفرات والعبرات فى زنزانتى فطار يبحث عن نافذة قوم أحرار !

البحث عن نوبتجى للدولة !

٢٥ يونيو ١٩٦٨

أخى العزيز

قلت لك أن العملة المستعملة فى السجن هى علبة السجاير البلمونت . وهى عملة صعبة مثل الدولار الأمريكى أو المارك الألمانى أو الفرنك السويسرى . وثمن علبة السجاير يرتفع وينخفض طبقا لبورصة خاصة . فهى تنخفض فى أيام فتح كانتين السجن وترتفع عند اغلاق الكانتين . وفى السجن بنوك . بعض المسجونين تخصصوا فى اقراض علب السجاير بالفايظ ، فهو يعطيك علبة سجاير اليوم ، ويأخذ بعد أسبوع أو أسبوعين علبة ونصف علبة أو علبتين . ويوجد فى السجن كما يوجد فى الحياة نصابون ، يقترضون السجائر من المسجون ، ولا يعيدون مايقترضون ، وكلما علت مراكزهم فى حياتهم قبل السجن زادت عمليات النصب والاحتيال . والعجيب أن الفقراء والجهلاء والمحتاجين لاينصبون ، وأنما الذين تخصصوا فى النصب مسجونون من أسر طيبة ومن القادرين . وكثيرا ماتشترى هنا علبة سجائر ، وبعد أن تفتحها لاتجد فيها سيجارة واحدة ، فقد حشيت العلبة ورقا وأغلقت بمهارة بحيث تخدع أى عين خبيرة . وحدث لى هذه الحادثة أخيرا . وعندما فوجئت بها أغرقت فى الضحك على خيبتى ! .

أمضيت أياما فى تعاسة لاحد لها . المسجون النوبتجى الذى ينظف زنزانتى ويحمل جردل البول ويجىء لى بجردل ماء الشرب نقلوه الى عنبر آخر لأنه رفض أن يكون جاسوسا على ! كان له عيوب كثيرة ، ولكننى تعودت عليه ، فأنا أكره التغيير والتبديل فى الذين يخدموننى ، وجربت مسجونين أخرين . وكان

أحدهم قذرا ، حتى عندما تراه يحمل جردل البول تتساءل من منهما جردل البول ! واذا حمل الطبق بين يديه أغمى عليك وعدلت عن تناول أى طعام . وعندما يدخل الزنزانة لينظفها يحمل اليها كميات لاحد لها من البق والذباب والصراصير والناموس حتى نحسبه جمعية الحشرات بنصها وفصها . وهو لايفهم أى شىء . تطلب علبة السجائر فيجىء لك بالحذاء ، وتطلب علبة كبريت فيحضر لك صابونة ، وتطلب كوب ماء فيجىء لك بجردل البول . وكنت أتصور أن هذه القذارة نتيجة الحرمان ، وعندما أعطيته سجائر ليستحم وليشترى ملابس جديدة أخذها واشترى قطعة حشيش ! ورفض أن يقتنع بأن النظافة من الايمان ، وهو يعتبر أن الاستحمام وقاحة وقلة أدب لأنه يضطر إلى خلع ملابسه أمام الناس والحمامات فى السجن جماعية ، ولهذا فهو لايستحم الا فى الأعياد الرسمية .

واستقال النوبتجى احتجاجا على تدخلى بين البصلة وقشرتها واصرارى على أنه لابد أن يستحم مرة كل يوم ! وكان النوبتجى الثانى قاطع طريق . لايدخل الزنزانة الا ويخرج منها وقد سرق شيئا وهو لايفرق بين الرخيص والثمين . يسرق الجريدة . وهو لايقرأ ولا يكتب ويسرق دواء السكر وهو ليس مريضا بالسكر . وفى خلال ٢٤ ساعة أكتشفت أنه سرق كل شىء فى الزنزانة ولم يبق فيها سواى . ولما كنت نصحتنى بأن أحرص على نفسى ، فقد رأيت أن استغنى عنه حتى لايسرقنى أنا أيضا ! .

والنوبتجى الثالث كان يعمل فى زاوية العميان . وهو يصطدم بكل شىء فى الزنزانة ، ولا يكاد يدخل الزنزانة حتى يقلب كل ما فيها ، الكرسى يقع الطبق يقع حتى السرير نفسه يقع أيضا . ولكى أتخلص من هذه « الواقعة السودة » تخلصت منه أيضا ! .

واذا بمسجون سياسى حاصل على شهادة كلية الآداب يعرض أن يقوم بخدمتى وخجلت أن يكون النوبتجى الذى يخدمنى حامل شهادة عليا ، ولكنه أصر على طلبه ، ووجدته شابا متعلما ممتازا أمينا فجعلته سكرتيرى الخاص ، واخترت

فلاحا من الصعيد ليكون النوبتجى وهو قاتل ولكنه يخاف من خياله . الحكم عليه يقول أنه مجرم أثيم وحقيقته أنه مظلوم برىء . كان يعمل خادما عند عمدة ثرى ، وأراد العمدة أن يتخلص من خصم له فأطلق عليه الرصاص

وقتله . واتفق مع نجيب على أن يعترف بأنه القاتل فى مقابل أن يدفع لاسرته ثلاثة جنيهات كل شهر . وقبل نجيب أن يحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لتأخذ أسرته ثلاثة جنيهات كل شهر ! وهو يتصور أنه عقد صفقة رابحة . أسرته تأكل بالجنيهات الثلاثة وهو يأكل مجانا فى السجن . وفى السجن تجد كثيرا من هذا النوع من المتبرعين بأنهم أرتكبوا جرائم لم يرتكبوها ، أو قتلوا أشخاصا لم يقتلوهم ولم يعرفوهم ! .

تنص لائحة السجن على أن المستشفى يصرف للمسجون المريض بالسكر ربع فرخة . . ولما كانت عين الحكومة بصيرة ويدها قصيرة ، فانها استبدلت بالفراخ البيض ، وهى تصرف لنا الأن ١١ بيضة كل أسبوع . وأفاجأ كل مرة بأن عشر بيضات فاسدة وبيضة واحدة طيبة ، ويقول الممرض أن حظى من السماء أن وجدت بيضة جيدة من ١١ بيضة . وأن غيرى من المسجونين غير المحظوظين لم يجدوا بيضة واحدة جيدة ، ويظهر أن السر فى ذلك أن البيض يصرف لنا بدل الفراخ ولهذا يحرص بائع البيض على أن يضع كتكوتا في كل بيضة !

وأنا أستطيع وأنا جالس فى زنزانتى أن أعرف حالة الدولة فى الخارج . الظلم الذى أراه هنا . الاستبداد . السرقة . الرشوة . استغلال النفوذ . المحسوبية . الرغبة في اذلال الناس . تحكم القوى فى الضعيف . الطلاء الخارجى الذى يخفى الخرائب الداخلية . النهب والتهليب . كل هذه صور مصغرة لما يحدث خارج السجن . أنا أرى بلدى فى داخل السجن . أؤمن أن القيود هى التى تولد المخالفات . الأنظمة الدكتاتورية هى التى تقتل شخصية الافراد وتحولهم الى قطيع . لقد مضى الأن أكثر من عام على الهزيمة ولم يحدث فى مصر أى شىء يدل على أننا تقدمنا شبرا واحدا . لم نستطع أن نحرر شبرا واحدا من أرضنا المحتلة لم

نستطع أن نحطم سلسلة واحدة ولا قيدا واحدا من الاغلال المقيد بها هذا الشعب . مازلنا نحارب بالكلام وبالشعارات . لم يحدث فى التاريخ أن دولة كبيرة قامت على الشتائم والسباب . . من يقرأ صحفنا يشعر أننا لم نتعلم شيئا ! مازالت الصحافة مكممة ، والرأى الأخر محجوبا عن الناس . مازلنا نحاول الانتصار بعقلية الهزيمة وأسلحة الهزيمة ورجال الهزيمة .

أن الأنباء التى تجىء الينا من خارج السجن عن حالة البلد مروعة . عملية بناء القوات المسلحة سوف تحتاج الى بضع سنوات ، الروس يعتقدون أن أستمرار حالة اللاحرب واللاسلم سوف يؤدى الى قيام حكم شيوعى في مصر . . الامريكان يعتقدون أنه لن تقوم لنا قائمة . وأن هزيمتنا أبدية . . الدولة يهمها أن يدافع الجيش عنها . ثم بعد ذلك يدافع عن البلد . . لايهم أن العدو يحتل هذه المساحة الضخمة من أرض مصر . . مادام حكامنا يحتلون مقاعدهم ، الاذاعة تنشر انتصارات وهمية ومعارك خرافية . الشعب أصيب بأزمة عدم تصديق . عندما أكتشف الخديعة التى كان يعيش فيها أصبح لايصدق أى شىء ولايثق بأى شىء !

الدولة فى حاجة الى « نوبتجى » يتولى تنظيفها . . يتولى القضاء على مافيها من حشرات وصراصير وذباب . .
فلنفتح النوافذ والأبواب . . لتختفى كل الصراصير . . والحشرات .

سر الملك

٢٧ يونيو سنة ١٩٦٨ .

أخى العزيز :

أننى متشوق لأن اقرأ في يوم من الأيام كتاب هيوماكلين عن فاروق وأنا أوافق على وجهة نظره التى نقلتها عنه الصحف البريطانية التى لخصت الكتاب الجديد بأن الملك السابق كان ضعيفا جنسيا . وأن هذه كانت عقدة حياته . وكان الملك السابق بحكم نشأته بين خدمه المصريين والأيطاليين يعتقد ما يعتقدون بأن قيمة الرجل فى فحولته وقوته جنسيا . وكان كل واحد منهم يعود من بيته إلى القصر ويتفاخر أمام الأمير الصغير بالليلة الحمراء التى أمضاها بين ذراعى عشيقته أو زوجته .

وكان الأمير الصغير يبهر بما يسمع ، ويحاول أن تكون له علاقات مع الكلفاوات من خادمات القصر فيفشل .

وكان هذا الفشل ينغص عليه حياته . وأصبح يحاول أن يعوض هذا النقص فيقوم باستعراضات كاذبة ، ليظهر أمام الناس أنه زئر نساء فتاك ، وأنه دون جوان لامثيل له ، وأنه قاهر النساء الذى يستبدل كل ليلة امرأة جديدة . . وكان يخترع القصص عن مغامرات غرامية لم تحدث ، وعن انتصارات مع نساء لم تحدث .

وكان يتعمد أن يظهر فى المجتمعات العامة فى صحبة نساء جميلات ، ويتعمد أن يغازلهن أمام الموجودين ، ويضحك معهن بصوت عال لافت للنظر ، ليوهم الناس أنهن عيشقاته ومحظياته ، ثم يتعمد أن يظهر أمام الناس وكأنه يصحب الواحدة منهن الى بيتها .

ولكن الذى يحدث عادة أن يودع الملك الدون جوان المرأة الفاتنة أمام باب بيتها ، ولا يصعد ابدا الى مخدعها ! . ثم يعود ادراجه يحكى لخدمه واخصائه تفاصيل عن مغامراته وبطولاته فى مخادع النساء ! .

وكان خدمه الايطاليون يتظاهرون بأنهم يصدقونه ، ويتغامزون عليه فيما بينهم . فهم يعرفون أن مأساته أنه أضعف كثيرا جدا من أى شاب فى عمره .

وقد روى لى أحمد حسنين باشا الذى كان رائده ، ومن أقرب الناس اليه أنه بعد أن تزوج الملك فاروق من الملكة فريدة كان يسمع من بعض قريبات الملكة ان الملك يخون عروسه كل ليلة . .

وكان حسنين يكذب هذه الاشاعات ، فكانت السيدات يقلن له ان الملك نفسه اعترف للملكة بهذه العلاقات بكل تفاصيلها !

وكان حسنين يقول أن أى زوج يخون زوجته لايذهب اليها كل ليلة ويعترف لها بخيانته الزوجية ، بل هو يتعمد اخفاء هذه الخيانات ، ولكن الملك كان يدعى هذه العلاقات المزعومة ، ويؤلف هذه القصص المختلفة عن غرامياته ، ويرويها بكل تفاصيلها للملكة ليعتذر عن عدم قيامه بواجباته الزوجية ، وحتى لاتعرف الملكة فريدة أنه ضعيف فتعيره بهذا الضعف وتحتقره وهو يعتقد أن الرجل المحترم هو الرجل الفحل ذو العلاقات الغرامية المتعددة . .

وقال لى حسنين باشا أن الملك كان يروج هذه الاشاعات الكاذبة عن صديقات الملكة ، فتصدق الملكة الصغيرة السن العديمة التجارب هذه الأكاذيب وتقطع علاقتها بصديقاتها ، وتصدر أوامر بمنع دخولهن القصر ، وتتناثر الأقوال عن اتهامات الملكة لصديقاتها ، فيعجب الناس لان الملكة تظلم صديقاتها بلا دليل . بينما الملكة هى المظلومة لان زوجها الملك هو الذى يعترف لها بأنه ارتكب الخطيئة مع الاميرة فلانة أو النبيلة علانة .

وعندما تواترت هذه الاشاعات بين الناس وترددت ، وعندما كان يقول

الناس ان الملك لم يترك زوجة كبير الا واغتصبها ، ولا توجد سيدة مجتمع الا وبينها وبين الملك علاقات غرامية كانت هذه الأخبار تسعده وكأنها أخبار فتوحات حربية وانتصارات سياسية .

وقد حدثني كريم ثابت باشا مستشاره الصحفي وأقرب رجال حاشيته اليه انه ذات مرة وصله تقرير يقول فيه صاحبه أن الوفديين يشيعون فى كل مكان أنه زئر نساء وأنه يستبدل عشيقاته كما يستبدل جواربه ، وأنه لايشبع من النساء وأنه مثل جده الخديو اسماعيل لايفرق بين الملكة والخادمة . .

وتصور كريم أن هذا التقرير سوف يزيد من عداوة الملك للوفديين ، وكان كريم يعمل على تقريبهم من القصر وأنتظر كريم ثابت أن يثور الملك ، واذا بفاروق يقرأ التقرير وهو يهتز طربا ، ويهز رأسه فخرا ، ويعرض التقرير على خدمه مباهيا مزهوا . .

ثم قال كريم أن الملك التفت نحوه فجأة وقال :

ـ تعرف ياكريم الوفديين دول ناس طيبين ، ويجب أن ندخلهم فى وزارة قومية .

وذكر كريم أن هذا التقرير الذى كتبه مفتش فى الداخلية من أشد خصوم الوفد كان سببا مباشرا من أسباب أدخال الوفديين فى وزارة حسين سرى الائتلافية بعد أن كان فاروق لايطيق ذكر أسمائهم !

وهذه الرواية تفسر حرص الملك فاروق على أن يظهر دائما فى المنتديات العامة برفقة سيدات جميلات انيقات ، ولم يحدث مرة واحدة أن قابل امرأة فى قصر عابدين أو قصر القبة أو قصر رأس التين أو قصر المنتزه ، وأنما يصحبها الى ملهى الاوبرج بشارع الهرم أو نادى السيارات أو نادى الصيد فى القاهرة أو نادى الصيد فى الاسكندرية .

ولقد عشق الملك نساء كثيرات واحب ، وتدله فى الحب . ولكن ماذاع وشاع

من أنه فارس مغوار فى ميدان الحب والغرام ينصب غالبا على الحب الافلاطونى الذى كان هو يشيعه فى كل مكان أنه حب دنس فاجر وأنه يرتكب الخطيئة كل يوم عدة مرات . وكأن معه دائما شهود من خدمه الايطاليين يشهدون له شهادة الزور التى يحب ان يسمعها بأنه كازنوافا زمانه .. وفالنتينو عصره .

ومن الغريب أن زوجته الملكة فريدة صدقت أكاذيبه ، ونظرا لحداثة سنها تصرفت على ضوء هذه الأكاذيب والاعترافات الخيالية . ولو كانت أكبر سنا لاكتشفت دوافعها ، وعرفت أنها لا أساس لها من الصحة ، ولما أصرت على طلب الطلاق من الملك ، هذا الطلاق الذى كان المسمار الأخير فى نعش الملكية فى مصر . ومما يستحق الذكر أننى كتبت سلسلة مقالات عن غراميات فاروق نشرتها فى الأخبار وأخبار اليوم . وكتبت المعلومات التى عندى عن ضعف فاروق الجنسي ، وجاء الرقيب وشطب هذه الفقرات وقال لى :

ـ من مصلحة الثورة أن يقال ان الملك فاروق كان فاتن النساء ، وكان رجلا فتاكا ، وفحلا مغوارا . له كل ليلة محظية . وذلك حتى يكرهه الناس .

وعبثا حاولت اقناع الرقيب أن هناك أشياء كثيرة جدا تجعل الناس تكره الملك السابق غير فحولته وقوته الجنسية المزعومة .

التليفزيون القاتل !

٣٠ يونيو سنة ١٩٦٨ .

أخى العزيز . .

أعيش هنا قصص المسجونين . أنها دوامة من العواطف البشرية قصص الذين يتحاورون بغير حوار . يتكلمون بغير شفاه . يصرخون بغير صوت ينزفون بغير أن يسقط منهم الدم . شخصيات تبحث عن مؤلف . ويوم يدخل السجن كاتب قصة لن يشكو من قلة موضوعات القصص والروايات . كل واحد من هؤلاء الالوف من المسجونين هو قصة . أعجب ما فى القصة أن صاحبها لايعرف كيف يرويها . فهو يحذف منها ويضيف اليها . يحذف منها ما يتصور أنه يدينه . ويضيف ما يعتقد أنه يبرئه . ولو روى القصة كما هى لكانت رائعة .

هذه قصة عبده المسجون معى . . ترك زوجته وثلاثة أطفال . كان يتلقى من زوجته كل أسبوع خطابا يفيض بالحب والشوق والحنين . كانت هذه الخطابات هى المناديل التى تجفف دموعه ، وهى المراهم التى تضمد جراحه ، وهى الشمعة الوحيدة التى بقيت مضيئة فى ظلام حياته . كان ينتظر هذه الخطابات كأنه ينتظر لقاء حبيب . يعيش مع كل خطاب الى أن يصل اليه خطاب تال . يجمع الخطابات بعضها فوق بعض ، ويخفيها تحت رأسه ، وينام فى زنزانته وهو يحلم بكلمات الخطابات الساذجة . التى تبدو فى أذنيه أجمل وأروع وأبلغ ماسطر العشاق . وكانت زوجته وهيبة لاتعرف القراءة والكتابة ، ولكنها كانت تملى خطاباتها على صراف القرية وهو أعز أصدقائه . وكان الصراف الصديق يلبى رغبتها ويدون كلمات وهيبة الساذجة ويحولها الى جمل كالاغانى وعبارات كالموسيقى . وكان السجين عبده سعيدا بوفاء صديقه ، وبأنه يترك أعماله

الكثيرة ليكتب له ماتمليه وهيبة من لهفة وشوق وحنين لعبده . وكأن عبده يصعد الجبل ، ويكسر الاحجار ، ويؤدى عقوبة الاشغال الشاقة ، فاذا انهكه العمل المضنى سرح فى خطابات وهيبة . وأخرج آخر خطاب من جيبه ، وراح يتغفل الشاويش ويقرأ خطاب وهيبه وكأنه يجفف عرقه . كأن الخطاب هو مياه كولونيا يرشها على وجهه ، فتبعث فيه النشاط ، وتنسيه قسوة حرارة الجبل وقسوة أحجار الجبل . كانت أشبه بالكمادات يضعها على تسلخات أصابعه التى جعلتها الفأس الغليظة تتحول الى شقوق . أنه لاينـدم لانه قتل ! ارتكب الجريمة من أجل وهيبة . هذه المرأة الوفية تساوى أن يقتل من أجلها كل سكان القرية . عاش سنوات يسمع أن فى بيت العمدة تليفزيون . زوجة العمدة تجلس أمام التليفزيون طول الليل والنهار . ترى القاهرة وهى جالسة فى أبو قرقاص . تسمع أم كلثوم وهى تغنى فى باريس . ترى المسرحيات وتشهد الافلام ، وتروى لزوجات الفلاحين الاعاجيب التى تراها على الشاشة . مرة واحدة دعت زوجة العمدة وهيبة لتشاهد التليفزيون . ومكثت وهيبة خمس سنوات كاملة تروى له وتعيد وتكرر مارأته فى التليفزيون . وتساءل عبده لماذا لايكون لدى المرأة التى يعبدها تليفزيون كتليفزيون زوجة العمدة . وهيبة أجمل ألف مرة من زوجة العمدة وأكثر منها نضارة وشبابا . وهو يحب وهيبة أكثر مما يحب العمدة زوجته . ولكن من أين يأتى بالمبلغ الكبير الذى يشترى به هذه الآلة السحرية . لقد قالوا له أن تليفزيون العمدة من النوع الفاخر . ثمنه ١٨٠ جنيها . لو وفر من أجره قرشا كل يوم لاشترى أحفاده التليفزيون ! وكيف يستطيع أن يوفر قرشا من أجره البسيط الزهيد أصبح التليفزيون شبحا يعكر عليه حياته . . يؤرقه عندما ينام . يزغده عندما يسرح . كل حياته تحولت الى حلم بالتليفزيون الذى يريد أن يهديه الى زوجته وهيبة . قبل أن يسمع عن هذه الآلة الملعونة كان يحلم بأن يمتلك قطعة أرض . وكان يحلم بأن يملك البيت الذى يقيم فيه كل هذه الاحلام شحبت وتضاءلت واصبحت لا قيمة لها بجوار الحصول على تليفزيون ، لو كان يملك ارضا لباعها واشتراها ،

ولكنه يعمل فلاحا اجيرا فى ارض الحج حسين تاجر الاصواف المقيم فى البندر

يابخت الحاج حسين لابد أنه يملك تليفزيون هو الآخر بإعتباره علية اليسى . . .

أليس هو يملك عشرين فدانا فى القرية ويملك عمارة فى البندر . ويملك محلا تجاريا فى القاهرة . ثلاث معجوزات لا معجزة واحدة . أنه شخص فوق البشر ، وإلا لما ملك كل هذا . هو قادر على أنه يشترى مائه تليفزيون لا تليفزيون واحدا . وعم حسنين رئيس الأنفار قال له أن الحاج حسين يغير التليفزيون كل عام . قال له أن التليفزيون له موضه كالملابس ، والأثرياء يغيرون تليفزيوناتهم كما يغيرون ملابسهم . وجلس عبده يدرس ميزانيه . لو أختصر طعامه . لو بقى بجلابية واحدة . لو ضاعف ساعات عمله . فهل يستطيع أن يجىء بالمائة والثمانين جنيها ؟ ! ورمى القلم من يده . مهما اقتصد ! لو أنه بقى عشر سنوات جائعا لما حصل لوهيبة على تليفزيون .

وسمع عبده أن الحاج مطاوع وكيل الحاج حسين صاحب الأرض قدم الى القرية ليحصل من المزارعين على الايجار . الحاج مطاوع هو رسول الاله الذى لايرونه . يحمل اليهم كل عام كتبا مقدسه على شكل ايصالات بقيمة الايجار . أوراقا مقدسة لا تقبل المناقشة أو التأويل والتغيير . ويدفع الفلاحون صاغرين . وفى دقائق يحمل الحاج مطاوع مبلغا يزيد على المائتى جنيه ، ويركب حماره فى طريقه الى محطة البندر ليسلم المبلغ الى الاله صاحب الأرض .

وتلفت عبده الى زوجته وهى نائمة ، فوجد وجهها الجميل الفاتن مقطبا . لابد أنها هى الأخرى حزينة لأنها لاتملك تليفزيون . ولمعت فى رأس عبده فكرة . لماذا لاينتظر الحاج مطاوع بقرب المحطة ويطلق عليه الرصاص ويستولى على المائتى جنيه ويشترى التليفزيون لوهيبة . وشعر أن الرصاصة سوف تحل كل مشاكله وستحقق كل أحلامه . ستسهل الصعب . ستقرب البعيد . ستحدث المعجزة ويصبح المستحيل ممكنا . ستجعل هذا الوجه الجميل القانط اليائس المقطب مشرقا تملؤه السعادة ويرفرف عليه الهناء . وحمل عبده بندقيته وأنتظر فى

الظلام خلف عيدان القصب قدوم الحاج مطاوع وأطلق عليه رصاصة أردته قتيلا ، وأسرع إليه وأنتزع محفظته وعاد بسرعة الى بيته ونام فى فراشه بجوار وهيبة ، ولكنه لم ينم . جلس يحصى المبلغ المسروق فوجده ٢٢٥ جنيها ، يزيد ٤٥ جنيها على ثمن التليفزيون المطلوب . وقرر أن يشترى ملابس جديدة لوهيبة لتزداد جمالا فوق جمالها . سيشترى لها قميص نوم شفافا كالذى رأته فى التليفزيون عند زوجة العمدة ، وكانت ترتديه نجمة السينما وملكة الاغراء .

ستكون وهيبة أروع من نجمة السينما والاغراء . . وقام وحفر فى الأرض حفرة عميقة وأخفى فيها البندقية ، وأخفى مع البندقية المبلغ المسروق ، وذهب فى الصباح الى الحقل كالمعتاد ، وبدأ يعمل فى هدوء ، وسمع زملاءه الفلاحين يتحدثون عن مصرع الحاج مطاوع ، وأن الشرطة قبضت على القاتل ، وأنه أعترف ! وأنتفض عبده ، وسأل عن اسم القاتل المقبوض عليه فعرف أنه جاره عواد !

وروى الفلاحون أن عواد تشاجر مع الشيخ مطاوع عندما طالبه بالايجار المتأخر فلم يدفع ، فهدده الحاج مطاوع بأن سيطرده من الأرض التى عاش هو وأباؤه وأجداده يزرعونها ، وثار عواد على الحاج مطاوع وقال أنه سيقتله قبل أن يترك الأرض التى رواها بعرقه ودمه ودموعه . وبعد دقائق من هذا التهديد وجد الخفير جثة الحاج مطاوع ملقاة على الأرض . وأقبل ضابط النقطة والعمدة وضربوا عواد ضربا مبرحا حتى أعترف بأنه هدد الحاج مطاوع بالقتل ، وأنهالوا عليه بالسياط حتى تهاوى وأعترف بأنه القاتل ! ثم تقدم شهود من القرية يقولون أنهم رأوا عواد وهو يطلق الرصاص على الحاج مطاوع ، وذهل عبده مما سمع ، أنه واثق أن الرصاصة التى قتلت الشيخ مطاوع كانت من بندقيته هو . ولم يسمع رصاصة سواها . فكيف يكون القاتل سواه ! وأحس أن ضميره يعذبه . وفكر فى أن يتقدم لوكيل النيابة ويعترف بأنه القاتل ، ثم تذكر تليفزيون وهيبة الذى سيشتريه لها . ووجد ضميره ينام من جديد ، ويستريح الى ماوصل اليه

التحقيق . وجلس مع زملائه الفلاحين يشيد بعدالة وكيل النيابة المحقق وبذكاء ضابط النقطة ويلعن القاتل السفاح عواد . وشعر عبده أن الدنيا تبتسم له . لقد حصل على ٢٢٥ جنيها ، وليس هو القاتل فهو لم يرتكب جريمة لأن القانون والعدالة والتحقيق أثبتت أن القاتل سواه . ومع الوقت بدأ يصدق التحقيق ويكذب عينه . لعل رصاصته طاشت ، ورصاصة عواد هى التى أصابت القتيل . لابد أنه فى رهبة الموقف لم يسمع الرصاصة الأخرى . واطمأن أنه لم يقتل ولم يسرق . كل ماحدث أنه وجد كنزا فى جيب جثة فأخذ الكنز وأخفاه . المهم أنه سيشترى التليفزيون ، ويسعد وهيبة ويحقق حلمها الطويل . وأنتظر عبده حتى قدم عواد الى المحاكمة . وحكم عليه بالاعدام . ونفذ الحكم . وفى يوم التنفيذ ذهب وأشترى التليفزيون . وعانقته وهيبة والدموع فى عينيها ، وروى لها فى فخر وزهو كيف قتل وسرق من أجلها . الحب الذى يلد أنبل المشاعر قد يخلق أخطر الجرائم ، قد يحول القديس الى شيطان . قبل أن يحب وهيبة جاع عبده . ولم يفكر فى أن يسرق ليشترى خبزا . فضل أن يبيت جائعا ولا يلمس المال الحرام . عاش سنوات فى الحرمان والجوع والعدم والشقاء ، ولم يخطر بباله يوما أن يرتكب جريمة . ولكن حبه المبرح لوهيبة جعله يتحول الى لص وقاتل . هو لم يقتل رجلا واحدا من أجلها . بل قتل رجلين القتيل والمحكوم عليه بالاعدام .. وعاش أياما قليلة سعيدة مع وهيبة أمام التليفزيون . ثم بدأ يقشعر بدنه عندما يسأل الناس كم دفع ثمنا للتليفزيون الذى اشتراه . كان يكذب عليهم ويقول أنه دفع ١٨٠ جنيها ، والواقع أنه دفع ١٨٠ جنيها وحياة رجلين ..

وبدأ الفلاحون فى القرية يتحدثون عن قصة الثروة المفاجئة التى هبطت على عبده . وذات يوم وصل الى الشرطة خطاب من مجهول أن ثمن التليفزيون هو المبلغ الذى كان فى جيب الحاج مطاوع القتيل وتحركت النيابة وفتشت بيت عبده فوجدت فيه البندقية المدفونة فى التراب . وقال الطبيب الشرعى أن رصاصة البندقية هى التى قتلت الحاج مطاوع ..

وقبضت النيابة على عبده . وقدمته الى المحكمة بتهمة عجيبة . وهى أنه شريك عواد فى قتل الحاج مطاوع ، لم يشأ رجال التحقيق أن يذكروا الحقيقة ، خجلوا من أن يعترفوا بأنهم أعدموا بريئا ، فغيروا وبدلوا فى وصف الجريمة ، وقدموا عبده بأنه شريك فى قتل الحاج مطاوع . صحيح أن عواد قتل الحاج مطاوع ، ولكن المؤكد أنه أعطى البندقية لعبده فأخفاها فى بيته ، وأعطاه نصف المبلغ المسروق . . وأقسم عبده أنه لم يكن شريكا لعواد ، وأنه لم يتفق مع عواد على قتل الحاج مطاوع ، ولم يستطيع أن يثبت مصدر المائتى جنيه ، وحكمت محكمة الجنايات عليه بالسجن عشر سنوات .

وأعتبر عبده هذا الحكم انتقام الله منه لأنه سكت عن ظلم برىء ولم يحزن لما أصابه ، فقد كان كل مايهمه الا يصادر الحكم التليفزيون . وفعلا صودرت البندقية التى قتلت الحاج مطاوع . ولم يصادر التليفزيون الذى هو القاتل الحقيقى !

وكان عبده واثقا بأن التليفزيون سيذكر وهيبة به كلما فتحته فى الصباح والعصر والمساء . سوف يصبح التليفزيون صورته المعلقة فى البيت . صورة تتحرك وتتكلم وتقول أن عبده لايزال هنا . سوف تذكره وهيبة كلما سمعت فى التليفزيون أغنية حب ، كلما شهدت مسرحية غرام ، كلما رأت قميص نوم شفافا ترتديه بطلات الافلام .

وفى كل خطاب كان يرسله عبده من السجن الى زوجته فى القرية كان يسأل عنها وعن أولاده وعن التليفزيون . لقد أصبح التليفزيون أحد أفراد الأسرة . هو مندوب عندهم ورسول لديهم . هو صورته التى تعلقها وهيبة فى غرفة النوم . هو صوته الذى يملأ عليها البيت . لن تشعر وهيبة بالوحدة الا ساعات توقف الارسال . سوف يحدثها بالنيابة عنه . يناجيها . يسليها . وهاهى ذى خطاباتها الأسبوعية أدلة حية على وفائها وحبها . أنها تذكر دائما التضحية التى قدمها من أجلها ليسعدها ويحقق أحلامها ، لقد أمضى فى السجن ثلاث سنوات . وسوف يخرج بعد عامين فى عفو انتهاء العقوبة لمناسبة انتهاء نصف المدة . وسيعود الى

زوجته الحبيبة . وسيجلسان معا الى جوار التليفزيون يستمتعان ببرامجه وهما يتبادلان العناق والقبلات .

وذات يوم حضر الى السجن وكيل النيابة ليسمع أقوال عبده فى بلاغ تقدمت به أم عبده الى العمدة . تقول أم عبده فى بلاغها أن وهيبة زوجة عبده حملت وأنها فى شهرها الثامن وأن زوجها مسجون منذ ثلاث سنوات . ومن غير المعقول أن تحمل وهيبة ويبقى الجنين فى بطنها ثلاث سنوات . . وأن هذا يدل على أن وهيبة خانت زوجها . وطلبت تقديم زوجة ابنها الى المحاكمة بتهمة الزنا . .

وعرض وكيل النيابة الزوجة على الطبيب الشرعى فأثبت أنها حامل فى ثمانية شهور . والقانون يقول أن الزوجة لاتقدم الى المحاكمة بتهمة الزنا الا بموافقة زوجها ، ولهذا جاء وكيل النيابة ليعرف رأى عبده .

وتهاوى عبده وسقط على الأرض . أحس أن مطرقة هائلة سقطت فوق رأسه .
لايمكن أن يكون هذا صحيحا . وزوجته الحبيبة تكتب اليه كل أسبوع لم تنقطع أسبوعا واحدا . تملأ خطاباتها بكل الحب والاخلاص والوفاء . آخر خطاب كتبته له منذ أسبوعين . لابد أن أمه تتجنى على وهيبة . تنتقم من الزوجة التى كانت سببا فى دخول أبنها السجن . لايمكن أن تكتب وهيبة كل عبارات الهوى والغزل والشوق وهى حامل من رجل آخر .

وقال وكيل النيابة لعبده أن الزوجة أعترفت بأنها استدعت صراف القرية وصديق عبده لتملى عليه خطاباتها لزوجها ، وكافآته على ذلك بأن دعته ليتفرج معها على التليفزيون . وحدث عندما كانا يشاهدان منظرا غراميا على الشاشة أن لسعتهما حرارة المشهد ، ووجدت الصراف يحيطها بذراعه وراحا يكملان ما لم تقله شاشة التليفزيون أو تجرؤ على البوح به .

وأحس عبده بطعنة أكبر من الطعنة الأولى وأشد إيلاما . صديقه الصراف دون جميع أهل القرية هو الذى خانه . الرجل الذى تمليه وهيبة كل الخطابات

الغرامية التى تلقاها طوال هذه السنوات الثلاث . اذن عبارات الغزل هذه لم تكن موجهة له . كانت موجهة الى الصراف . كانت محاضر أسبوعية تدون فيها عبارات الهوى والغزل التى يتبادلها العاشقان الفاجران . فجأة تحولت الخطابات التى كانت مكمدات الى سكاكين . الخطابات التى كانت مناديل تجفف دموعه أصبحت أشواكا ومسامير . عاد يسترجع العبارات التى كان يحفظها من رسائل وهيبة . أصبح لكل كلمة معنى آخر . ماأغرب القدر وأقساه . الكلمة التى كانت تسكره أصبحت الأن تلسعه . الكلمة التى كانت تشفيه أصبحت تقتله . نفس العبارات التى كانت رحيقا من السعادة والهناء واللذة . أصبحت جرعة من المر والصاب والعذاب .

واستعجله وكيل النيابة أن يبدى رأيه . هل يطلب تقديم وهيبة الى المحكمة بتهمة الزنا ؟ .

وشعر أن هذه الكلمة توقظه من غفوته . ماذا يقول ؟ لو قدمها بتهمة الزنا فسوف يزج بها فى السجن . سوف يشرد أولاده . يبقى أولاده طوال حياتهم مدموغين بتهمة أنهم أولاد المرأة الزانية . سوف يمشون فى طرقات القرية منكسى الرأس ، يدفعون ثمن جريمة لم يرتكبوها ، بل كانوا بعض ضحاياها .

وزادت حيرته . هل ينتقم منها . لقد قتل رجلين من أجلها ولو أنه أودعها السجن فسيشرد أطفاله الصغار وسوف يبقى الصراف حيا يخدع زوجات باقى الفلاحين . وقال عبده بصوت يشبه رنين القدح المكسور : لاأريد أن أقدمها الى السجن أريد أن أقابلها هنا مرة واحدة ، وبعد ذلك سوف أطلقها .

ودهش وكيل النيابة أن يظهر هذا المسجون المسحوق كل هذا التسامح فى لحظة لايرتفع فيها ، الا صوت الرغبة فى الانتقام .

وسأله وكيل النيابة : لماذا تشفق على المرأة التى لم تشفق عليك لماذا تحافظ على عرض امرأة لم تصن عرضك ؟ لماذا ترحم امرأة لم ترحمك .

ولم يستطع عبده أن يجيب . أجابت عنه دمعة ساخنة سقطت على ورق محضر التحقيق الذى فتحه وكيل النيابة فعبثت بحروف بعض كلمات التحقيق .

وعاد عبده الى فى العنبر يتعثر فى خطواته ، وعاد الى رسائل وهيبة وعشيقها يقرؤها من جديد .

ووجدت فى عينيه لمعانا غريبا فقلت له : أنك تريد أن تقابلها لتقتلها . . تذكر أنك قتلت قبل ذلك اثنين . .

ووعدنى عبده وأقسم أنه لن يقتلها .

وجاءت وهيبة الى السجن . . وطلبت مقابلة خاصة .

وارتدى عبده أنظف ملابسه . . وحلق ذقنه وكأنه يذهب الى حفلة زفافه . .

ودخلت وهيبة الى غرفة الضابط ، واذا بها تجد عبده يهش لها ويبش ، ويأخذها فى أحضانه ويضمها الى صدره وهو يقول :

ـ ياحبيبتى ياوهيبة . . ياحبيبتى يا وهيبة . .

ثم مد أصابعه فجأة وقلع عينيها !

وأقبل حراس السجن على صراخ وهيبة . . وقيدوه بالحديد وحملوه الى عنبر التأديب . .

وقابلته فى الطريق فوجدته يضحك ويقول :

ـ لن ترى وهيبة التليفزيون بعد الأن .

الجبهة الوطنية فى الزنازين !

٧ يوليو سنة ١٩٦٨ .

عزيزتى . .

كل يوم تجيء من معتقل طرة أخبار جديدة . فى كل يوم أسمع اسم معتقل جديد . أشعر فى بعض الأحيان أن مصر كلها فى السجن . أبرز المحامين فى مصر مقبوض عليهم وموجودون فى معتقل مزرعة طره . عندنا شوكت التونى المحامى وحماده الناحل المحامى والدكتور نور الدين رجائى المحامى والدكتور عبد المنعم الشرقاوى المحامى وعلى عبد العظيم المحامى وعبد الوهاب حسنى المحامى والأستاذ عيسى العيوطى المحاسب وغيرهم وغيرهم . .

وفى المعتقل عدد من الشعراء منهم الشاعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية والشاعر السعودى عبد الله عبد الجبار والشاعر كامل أمين والشاعر محمد وجدى والشاعر الفلسطينى سليم اليعقوبى والشاعر محمد بدر الدين والشاعر محمود شاوير ربيع والشاعر الماحى . . وبعض هؤلاء يهربون لى من المعتقل أشعارهم ، وهى أشعار تلعن الظالمين وتطالب بالحرية وتصف سوط الجلاد ! .

ومن بين القصائد التى وصلتنى قصيدة للشاعر محمود شاوير ربيع يصف فيها السجن الحربى والتعذيب فى ملحمة جاء فيها :

ياحمزة ياابن البسيونى ... أعوانك يوما جلدونى
كتبوا فى جسدى ملحمة ... بسياط الباغى المأفون
لادين لهم . . ولسيدهم ... والظلم يعيش بلا دين !

وفى المعتقل عدد كبير من الوفديين ، وقد شاهد ليمان طره الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية السابق ، فقد حكم عليهما الدجوى بالأشغال الشاقة المؤبدة فى مؤامرة ملفقة . . ومن الطريف أن عددا من الوفديين الذين اشتركوا فى جنازة النحاس باشا فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٥ قبض عليهم مساء يوم الجنازة ، ولا يزالون فى السجن حتى اليوم بغير محاكمة ، ولم يثبت أنهم نظموا الجنازة ، ولكن الأمر صدر بالقبض عليهم وابقائهم فى السجن عقابا لهم على أن الشعب أقام جنازة شعبية للنحاس باشا !

وفى السجن عدد من الشيوعيين . . وعدد آخر من مختلف الاتجاهات يسمونه « النشاط المعادى » . . وهكذا فإن مصر ممثلة خير تمثيل فى ليمان طره ! وإذا رأت الحكومة أن تؤلف جبهة قومية لمواجهة الموقف فلن تتعب فى البحث عنها فهى موجودة فى زنازين الليمان !

وقد التقيت فى مستشفى الليمان بالنائب الوفدى السابق الاستاذ الدرملى فأخبرنى أنه يوم أن فرضت الحراسة عليه كانت زوجته وأولاده فى قريته ببنى سويف ، وكان هو فى القاهرة . وجاءت قوة من البوليس الحربى واقتحمت داره في القرية واستولت على كل مالدى زوجته من نقود ومجوهرات . ثم رأى الضابط خاتما فى يد زوجته وحاول أن يخلعه فقالت أن هذا خاتم زواجى فنهرها وقال أن الأوامر أن نجردك من كل شىء ! وحاول أن يجذب الخاتم الذهبى فلم يخرج من أصبعها ، فقال لها أمامك ثلاث دقائق أم أن تنتزعى الخاتم من أصبعك . أو أقطع أصبعك وآخذه هو والخاتم ! .

وأخذت الزوجة المسكينة تجذب الخاتم ، حتى انتزعته مع بعض لحم أصبعها وقدمته له ملوثا بدمها !

ثم قال لها الضابط : أن الأمر يقضى بأن أقبض عليك أنت وأطفالك . وأن تغادروا القرية . . فجزعت الزوجة وقالت أن زوجها فى القاهرة ولاتعرف عنوانه

هناك ولاتستطيع أن تترك بيتها بغير أذنه . فجذبها الضابط ودفع الأطفال خارج البيت ، وأقفله بالشمع الأحمر ، ثم وضعهم فى سيارة بوكس فورد حملتهم الى القاهرة . وتوقفت السيارة فى ميدان التوفيقية ، وطلب منها الضابط النزول هى والأطفال . .

وكانت الساعة الثانية صباحا ! . .

ومشت الزوجة هائمة فى الشوارع . لأنها لاتعرف اسم الفندق الذى يقيم به زوجها . .

ومشى خلفها الاطفال يبكون !

واستمروا يهيمون فى شوارع القاهرة الى أن أشرقت الشمس وهنا تذكرت الزوجة أن لها أقارب فى القاهرة ، فمشت على قدميها أكثر من ساعة ونصف حتى وصلت الى بيت أقاربها . . ذلك لأن الضابط الشهم لم يترك لها قرشا واحدا أجر الترام ! .

محاولة قتل مسجون سياسى

أخى العزيز . .

١٤ يوليو سنة ١٩٦٨

بين المسجونين معنا مسجون اطلقنا عليه اسم « شنبو » تيمنا بقصة أحمد رجب فى الأذاعة بعنوان « شنبو فى المصيدة » . كان ضابطا فى القوات المسلحة وعمل فى البوليس الحربى ، وأتهم بتهديد الراقصات فى الكباريهات فطرد من الخدمة ، وسافر إلى أسرائيل وأدعى أنه عالم مصرى فى الصواريخ واحتفلوا به ثم اكتشفوا أمره فطردوه ، ولجأ إلى الأردن ، وأدعى أن لديه تنظيما فى الجيش قادرا على عمل انقلاب ثم عرفوا أمره ، فهرب الى بيروت وبلغت سذاجة مخابرات صلاح نصر أن صدقت ادعاءاته ، وتوهمت أنه شخصية خطيرة فأرسلت عددا من ضباط وجنود المخابرات الى بيروت ، وخدروه بمادة مخدرة ، ثم شحنوه فى صندوق فى احدى سيارات السفارة المصرية الى القاهرة ، وتكلفت هذه العملية الدولية حوالى مائة الف جنيه بينما لو كانت أعطت هذا الشاب مائة جنيه لعاد إلى القاهرة من تلقاء نفسه . ولكن المثل الذى يقول « رزق الهبل على المجانين » كان شعار الدولة فى وقت من الأوقات . المهم أنه حكم على هذا الشاب وهو مختل القوى العقلية بالاشغال الشاقة المؤبدة !

والغريب فى عقلية هذا الشاب أنه يؤمن بأن « التلفيق » هو أساس الملك ! وأن كل كبار رجال الدولة وصلوا الى مناصبهم بالتلفيق . ويعتقد أن عمل المخابرات هو التلفيق ، ولهذا لاعمل له فى السجن الا تلفيق التهم والاكاذيب حتى يعتقد الجميع أنه من رجال المخابرات !

والغريب أيضا أن هذا المجنون عاقل فى أمر واحد ، وهو يعتقد أن الدولة

تريد تعذيب المسجونين السياسيين ، وأن تنكد عليهم الحياة ، وأن تجعل حياتهم لاتطاق فى زنازينهم ، ولهذا فهو يقوم بهذه المهمة خير قيام بالنيابة عن الدولة ! .

حدث مرة أن جاء النوبتجى الذى يتولى بريد المسجونين ، جاء يوزع الخطابات على المسجونين السياسيين وفوجئت بهذا الضابط المسجون يقول لى : سأذهب الأن لاقدم بلاغا ضد موزع البريد لأنه يتاجر فى الحشيش !

وسألته : هل يتاجر فى الحشيش ؟

قال ببساطة . لا . . ولكنه سلم خطابات المسجونين المدنيين اليهم قبل أن يسلمنى خطابى . . والمفروض أن المسجون العسكرى أعلى مقاما من المسجون المدنى ! .

وفعلا قدم البلاغ الكاذب ضد المسجون البرىء !

وقامت الدنيا وقعدت . وحفظ البلاغ بعد أن عرف المسئولون فى السجن أن الذى قدم البلاغ هو مديرعام التلفيق .

وكثرت اعتداءاته على الضباط والاطباء والمسجونين فتقرر وضعه بعيدا عنا فى سجن التأديب ! ولكن ولاة الأمور أعادوه ليعيش معنا ، لانهم علموا أنه يعكنن علينا الحياة ، فآثروا أن يبقى ليستمر فى مهمته ويقوم بها خير قيام .

ثم حدث أن رأى أحد المسجونين السياسيين فى المستشفى وهاجمه بآلة حادة فى أنفه ، وقال لزملائه أنه فعل ذلك لانه علم أن كل من يقتل مسجونا سياسيا يصدر له قرار جمهورى بالعفو عنه على الفور .

ثم حدث أن قدم بلاغا يقول أننى أنا وعددا من المسجونين السياسيين وضابط العنبر اقتحمنا زنزانته وقيدناه وأن الضابط قام بحرق ظهره بالسجائر المشتعلة . . والغريب أن وزارة الداخلية تصورت أن الهضيبى الذى يبلغ من العمر ٧٥ سنة وانا عمرى ٥٤ سنة وغيرى من المسجونين السياسيين نهاجم شابا قوى

العضلات ونقوم بتعذيبه ، واذا بمصلحة السجون ترسل وكيل المصلحة للتحقيق معنا ، وهى تعلم طبعا أن البلاغ كاذب ، ولكن التعليمات العليا هى جعل حياة المسجونين السياسيين لا تطاق .

واذا بأحد المسجونين العاديين الذى يجاوره فى زنزانته يعترف بأن شنبو أعطاه خمس علب سجائر ليطفىء السجائر فى ظهره حتى يدعى أن ضابط السجن هو الذى قام بتعذيبه ! وجاء كبير الاطباء . وأثبت أن كل الاصابات فى شنبو مفتعلة !

ولكنى أصررت على أن يجرى تحقيق بمعرفة النيابة فى هذا البلاغ الكاذب ، وقلت أنه لو ثبت أن المسجونين السياسيين فعلوا فى « شنبو » مايدعيه فهذا دليل على أنهم جميعا مجانين ويجب أحالتنا كلنا الى مستشفى المجاذيب . واذا ثبت أن شنبو كاذب فيجب احالته الى مستشفى المجاذيب . واذا لم تفعل ادارة السجن شيئا فيجب أن تحال الادارة الى مستشفى المجاذيب .

ولكن ادارة السجن لم تستطع أن تفعل شيئا .

كل ماحدث أن مدير السجن قال لنا أنه مجنون !

ومادام هو مجنونا فلماذا تبقونه مع المسجونين السياسيين فى طابق واحد ! قالوا أنها الأوامر !

وكان أغرب مافعلوه أنهم وضعوه بجوار المسجون السياسى الذى حاول أن يقتله قبل ذلك . ثم نقلوه الى زنزانه أمامه ، بعد أن أحتج على وضع القاتل بجوار القتيل .

ثم حدث أن فوجىء المسجونون السياسيون بصدور أمر بأن يوضع معنا فى نفس الطابق المخصص للسياسيين مجرم قتل أحد أصدقائه ليسرق منه خمسة وعشرين قرشا ومزق جثته الى قطع صغيرة وأحرقها ، وحكم عليه بالسجن المؤبد !

ودهش المسجونون السياسيون لهذا التصرف الغريب . . وقالت الادارة فى تبرير هذا التصرف أنه مجرم كثير الشكاوى والاتهامات ، وأنهم وضعوه معنا حتى يمتنع عن الشكوى من ادارة السجن ! ولكن هذه الأجابة أثارت ريبة المسجونين السياسيين وشكوكهم . . وأرادوا أن يحتجوا على هذا فقلت أن أحتجاجنا لن يفيد أحدا سوى الذى أصدر هذا القرار المجرم . اذا كان هو مدير مصلحة السجون فسيرقى وكيلا للداخلية ، واذا كان وكيل الداخلية فسيرقونه وزيرا للداخلية فاذا كان وزيرا للداخلية فسوف يرقونه رئيسا للوزراء لأنه نكد الحياة على المسجونين السياسيين .

وبدأ المسجون القاتل يقوم بمهمته المكلف بها . فى كل مساء عندما يهدأ كل شيء فى العنبر يصعد على نافذة زنزانته ويصيح :

ـ أيها المسجونون السياسيون ! ياكلاب ياخونة ياأعداء الوطن ثم يوجه اليهم شتائم وسبابا وكلمات قذرة لاتكتب !

وكنت أتحمل هذه الشتائم كل ليلة ، وأقول لزملائى أنه لابد أن يتعب فى يوم من الأيام ويكف عن الشتائم ، أو أنه سيتوقف عن الشتائم عندما يكتشف أنهم لم يدفعوا له الثمن المطلوب وهو الافراج عنه . وكانوا يثورون عليه ، وكنت أقول لهم أن الذنب ليس ذنبه . وانما ذنب الذين ظلمونا ووضعونا فى هذا المكان . واذا كنت سامحت الذين حكموا على ظلما . فلماذا لا أسامح الذى يشتمنى ظلما .

وبعد أيام ذهلنا عندما سمعنا المسئولين فى السجن يقولون فى أذاعة السجن أن هذا المسجون ـ المسجون الذى يشتمنا كل ليلة ـ هو المسجون النموذجى فى الليمان ! .

ولم أصدق أذنى عندما سمعت هذا الكلام فى أذاعة السجن واذا بإدارة السجن تقوم بعمل شريط لهذه الخطبة العصماء ، وتقوم بأذاعة الشريط كل يوم . وكأنه أخر أغنية من أغانى أم كلثوم

وأعتقد المسجون القاتل أن هذا النطق الملكى هو أمر له بأن يضاعف شتائمه وسبابه ضد المسجونين السياسيين !

وثار المسجونون العاديون على التعذيب اليومى .

وأرسل لنا مأمور العنبر رسولا يقول لنا أن علينا أن نعطى المسجون القاتل سجائر وطعاما حتى يكف عن سبنا .

وشكرنا الضابط على نصيحته « الغالية » . وقلنا له أن الشتائم أرخص كثيرا من السجائر فى السجن ، وما لدينا منها لايكاد يكفينا ، وأننا إذا فتحنا هذا الباب فلن ننتهى ، وأننا لانقبل أن ندفع للمسجون القاتل الجزية التى كانت تدفعها الدول الصغرى للدول الكبرى !

وتضاعفت شتائم المسجون القاتل أكثر وأكثر .

ولم تحتمل أعصاب أحد المسجونين السياسيين ، وهو الضابط البحرى أحمد لطفى ، الذى كان ياورا للرئيس محمد نجيب فى أول الثورة ، فرد على المسجون بعنف .

وتدخل الضباط وصالحوا الاثنين ، واعتذر المسجون القاتل للسجين أحمد لطفى وقبل رأسه .

وعندما قص على أحمد لطفى ماحدث قلت له : اننى لااطمئن الى هذا الصلح وأتوقع غدرا !

وكانت الأخبار تجىء الى المسجونين السياسيين بأن « شنبو » يحرض هذا المسجون القاتل على أن يذبحنى بسكين ، ويؤكد له أن قتل المسجون السياسى خدمة عظيمة للدولة ، وأن من يفعل هذا سينال عفوا شاملا ، وأن بعض الوزراء الحاليين لم يصلوا الى مناصبهم فى الوزارة الا لانهم قتلوا بأيديهم مسجونين سياسيين !

وأقترح أحمد لطفى على المسجونين السياسيين ، بطيبة قلبه ، أن ندعو السجين القاتل ليشاركنا طعامنا . ونعطيه سجائر ، باستمرار . وبذلك ننتزع السم الذى فى أنيابه ، ونعالج الحقد الذى يملأ قلبه .

ورفض المسجونون السياسيون اقتراح أحمد لطفى .

وأصر أحمد لطفى الطيب القلب على أن يتولى هو وحده تنفيذ اقتراحه ، على الرغم من سوء حالته المالية .

وفى صباح اليوم التالى كان أحمد لطفى يتمشى معى أمام الزنزانة ، ثم تركته لاتناول طعام افطارى فى زنزانتى . واذا بى أسمع صراخا . وتركت طعامى وأسرعت الى خارج زنزانتى ، فوجدت المسجون القاتل ينقض على أحمد لطفى ويحاول ذبحه بسكين !

فقد جاء السجين القاتل وحيا زميلنا أحمد لطفى قائلا له : صباح الخير . .

ورد أحمد لطفى : صباح النور .

ومضى أحمد فى طريقه . واذا بالمسجون القاتل يخرج من جيبه سكينا كبيرا . ويهاجم أحمد لطفى من الخلف ، ويطعنه طعنات متوالية ، ويسقط أحمد لطفى على الأرض ، ويبرك السجين القاتل فوقه يحاول أن يذبحه بالسكين .

ووجدت دما يغطى مساحة طولها متر وعرضها متر من أرض الردهة الخارجية لزنزانتى . وتجمع المسجونون والسجانون حول المجرم ، وانتزعوا منه السكين ، وهو يصر على الاجهاز على أحمد لطفى ذبحا . . أحمد لطفى الذى كان يصر من بضع ساعات على أن يقتسم طعامه وسجائره مع الذى يريد أن يذبحه .

ورأيت جثتى مكان جثة أحمد لطفى ! كان المفروض أن تكون هذه الطعنات فى أنا ، لولا أننى دخلت زنزانتى قبل الحادث ببضع ثوان . . ولولا ذلك لاصبت بعدد من الطعنات ، وشاركت أحمد لطفى فى المذبحة ! .

وكان من حسن الحظ أن بين المسجونين السياسيين طبيبا نابغة هو الدكتور محمد حلمى عفيفى ، المحكوم عليه بالسجن عشر سنوات ، وأسرع يحاول وقف النزيف . . واذا به يكتشف أن طعنه السكين العميقة تبعد عن القلب بنصف سم ، ولولا هذا النصف سنتى لمات هذا الشاب المسكين .

ونقل أحمد لطفى الى مستشفى السجن حيث أسعف بالعلاج . وتصادف أن كان هذا اليوم ، هو أول يوم فى أيام أجازة مدير الليمان فى الاسكندرية ، وفوجئت بمحاولة للتستر على الحادث !

فقد اتجه رأى بعض الضباط الذين يهمهم رضاء ولاة الأمور الى كلفته الموضوع .

أن مايهم بعض رجال الشرطة عندنا حينما يقع حادث أن يتخلصوا من المسئولية ، حتى لايمسهم التحقيق من قريب أو بعيد ، والا يخصم من عسكرى أهمل فى واجبه . هذا هو المهم . . أما حياة المعتدى عليه نفسه ، وجريمة المجرم الذى شرع فى قتل أحد زملائه فهى مسألة ثانوية جدا . تجىء بعد أن تتخلص الوزارة من المسئولية تتخلص المصلحة من المسئولية ويتخلص الضباط والصولات والباشجاويش والعساكر من المسئولية . حياة المسجون السياسى لاتساوى خصم يوم من مرتب عسكرى !

ولهذا بدأت المحاولة تتجه الى « لم المسألة » . لتصغير الشروع فى قتل انسان الى خناقة عادية . وتضاءل السكين الى موسى حلاقة ـ وتضاءلت الجروح القاتلة الى جروح سطحية لاتستدعى علاجا أكثر من ٢٠ يوما . ومادامت الجروح لاتحتاج لعلاج أكثر من ٢٠ يوما فلا داعى لابلاغ النيابة .

وذهب الضابط ليسمع أقوال أحمد لطفى الجريح ، ورفض أحمد أن يتكلم ويصر على أنه لن يتكلم الا أمام النيابة العامة . وبذلت محاولات متعددة معه ، واضطر المسكين وهو فى حالة اعياء وضعف نتيجة النزيف الشديد أن يعدل عن التمسك بحضور النيابة . ولم أستطع أن أسكت ، وأنا أرى هذا التزوير يرتكب

أمامى ، كان بحر الدم لايزال كما هو أمام زنزانتى ينادينى بأنه لابد أن أتحرك وأفعل شيئا !

قلت : أننى لايمكن أن أسكت على الجريمة الجديدة ، المراد بها طمس الجريمة القديمة . وأصررت أن أقابل مدير الليمان بالنيابة وقلت لهم أننى أعتبر أن القاتل الحقيقى هو وزير الداخلية . ومصلحة السجون هى شريكة للقاتل ، لانها هى التى أمرت أن يقيم هذا القاتل مع المسجونين السياسيين ، وشجعته على أن يسب المسجونين السياسيين كل ليلة ، وحرضته عندما أثنت عليه ادارة السجن فى أذاعتها بعد أن شتمنا وقالت أنه سجين نموذجى !

وزارة الداخلية هى التى أعدت الجريمة وأشتركت فيها عندما وضعت مجرما قاتلا بين المسجونين السهاسيين .

أنها هى التى أبقت المسجون القاتل فى الطابق الذى نقيم فيه وأعتبرته مسجونا سياسيا ، بعد أن أمر طبيب السجن الدكتور أحمد كمال باخراجه من هذا الطابق قبل الحادث بثمان وأربعين ساعة ، وأعطى هذا الأمر كتابة ، فلم تنفذ تأشيرة الطبيب المسئول .

أن وزارة الداخلية هى التى أحضرت المسجون « شنبو » الذى حاول أن يقتل أحد المسجونين السياسيين ، ووضعته فى الزنزانة المجاورة للمسجون الذى حاول شنبو أن يقتله قبل ذلك بأسبوعين . كل هذا يثبت أن وزير الداخلية شريك فى حادث الشروع فى القتل . .

ورجانى بعض الضباط أن اهدأ ، وأكدوا أن الادارة ستتصرف فورا . فقلت أننى مستعد أن أهدأ بشرط أن تكتبوا تعهدا بالمحافظة على حياة المسجونين السياسيين . . أننى أخشى أن يتحول التحقيق من : « لماذا قتلت المسجون السياسى » الى « لماذا فشلت فى قتل هذا المسجون السياسى » . . كل شىء أمامى يدل على أن الدولة متلبسة فى جريمة الشروع فى قتل مسجون سياسى ! . . والدولة لها سوابق فى هذا الموضوع .

وبدأ التحقيق فاذا به يسفر عن أشياء خطيرة . شهد عدد من المسجونين أنهم رأوا هذه السكين مع شنبو قبل الحادث بيوم . وشهد مسجونون آخرون بأنهم رأوا شنبو يسلم السكين للقاتل فى ليلة ارتكاب الحادث . كما شهد مسجونون غيرهم بأنهم سمعوا شنبو يقول للقاتل : شد حيلك ياسعادة البيه وخلص عليهم . . وأنا تحت أمرك ! .

ووضع المسجون القاتل فى مبنى التأديب . كما وضع المسجون شنبو فى نفس المبنى .

ولكن وزارة الداخلية منعت السجين من ابلاغ النيابة .

وأستطعنا أن نهرب برقية الى النائب العام بأمضاء أحمد لطفى نطلب فيها التحقيق وارسال رئيس النيابة الى السجن .

ولا أعرف ماذا سيحدث ؟

هل سيمنع وزير الداخلية رئيس النيابة من الذهاب إلى السجن ؟ .

هل سيخرج القاتل من التأديب ويعود الى عنبرنا يشتم المسجونين السياسيين من جديد ويحاول ذبحهم من جديد .

هل سيعاقب القاتل لانه فشل فى قتل المسجون السياسى . مسكين هذا القاتل الفاشل . . ربما لو نجح فى قتل زميلنا أحمد لطفى لاصبح وزيرا ! .

الغريب . . الغريب أن الكلمة المجنونة التى قالها شنبو عن الذين قتلوا مسجونين سياسيين وأصبحوا وزراء . . هى حقيقة تاريخية !

وفى يوم من الأيام سوف تتكشف كثير من الأسرار التى مازالت وراء الستار ! .

كلنا شركاء فى الجريمة

٢٠ يوليو سنة ١٩٦٨ .

أخى العزيز . .

اليوم تنتهى السنة الثالثة لى فى السجن ، وغدا تبدأ السنة الرابعة .

احمد الله كثيرا على أنه أعطانى كل هذا الايمان والصبر والاحتمال ! عندما أنظر خلفى أشعر بدهشة كيف أستطعت أن أحتمل كل ما أحتملت من ظلم وتعذيب وسجن وتنكيل .

الله يعطى عندما يأخذ . وقد أعطانى من الايمان والصبر والاحتمال مايذهل جميع المسجونين والحراس والضباط . . وما يذهلنى أنا أيضا .

ترى كم سنة أخرى سوف أستطيع أن أحتملها ! ؟ لاأعرف.. ولكننى مصمم على أن أستمر أقاوم ، بقائى حيا هو نوع من المقاومة . فعلوا كل شىء بالمسجونين السياسيين ليقضوا عليهم ، فلما عجزوا دفنونا أحياء . وهم يتوهمون أنهم أنتهوا منا ولن تقوم لنا قائمة ، وأنا أقول لزملائى أن بقاءنا أحياء هو مظاهرة يومية بسقوط الطغاة ، فيجب أن نبقى أحياء لكيلا ينقص عدد المشتركين فى المظاهرة ! وفى كل يوم يجىء لنا مسجون سياسى جديد . فالقضايا لاتنتهى والتلفيقات لاتنتهى . وأنا أشبه الحكومة والشعب الأن بالقصة التى كان يرويها عمر بن الخطاب وملخصها أنه رأى امرأة جالسة مع أولادها وأمامها نار مشتعلة عليها قدر مغطاة وأطفالها حولها ينتظرون ، وكشف عمر الغطاء عن القدر فوجد ماء ولم يجد طعاما . . وسألها عن السبب . . فقالت الأم أنها تغلى الماء حتى توهم الاطفال أنه طعام فيصبرون على الجوع ! والحكومة توهم الشعب أنها

تستعد للحرب فى أى لحظة . . ولا يوجد عندنا عمر بن الخطاب ليكشف عن غطاء القدر !

أنتقلت من الزنزانة التى كنت بها فى الجهة القبلية الى زنزانة أخرى بالجهة البحرية تماما كما كانت الحكومة تنتقل فى الصيف من القاهرة الى مصيفها فى الاسكندرية . كان الحر لايطاق فى زنزانتى . حمو النيل ملأ كل جسمى حتى كنت أشبه بالمريض بالحصبة عجزت المراهم والبودرة عن القضاء عليه . كنت أستيقظ فى منتصف الليل فأجد سريرى تحول الى بركة سباحة من العرق ، فاضطر الى تغيير الملاءة وتغيير ملابسى ، وتتكرر المأساة وفى بعض الليالى أحس أننى أكاد أختنق . وكنت أنتظر بفارغ الصبر فتح باب الزنزانة فى الصباح لاخرج الى الردهة الخارجية واستنشق نسمة هواء . ومن الغريب أننى أمضيت صيفية قبل هذا العام فى نفس الزنزانة ولم أشعر بهذه الحرارة وهذا الاختناق . ولا أعرف هل السبب هو تقدم السن أو تأخر الصحة . . أو هو سوء الجو فعلا . . وأخيرا وافق طبيب السجن على انتقالى الى زنزانة فى الجهة البحرية ، ووافق مأمور السجن ، ووافق مدير السجن ، ووافق مدير المصلحة ، ووافق مدير المباحث العامة ، ووافق وزير الداخلية .

وكان الأمر يقتضى أن أقوم بعملية تنظيف واسعة النطاق ، كما تفعل الحكومة الجديدة عندما تحل مكان الحكومة القديمة ! وكان الجو فى الزنزانة الجديدة يختلف عن الجو فى الزنزانة القديمة كانت زنزانتى الأولى تطل على زنزانات أخرى . السجن ورائى وأمامى ! أما نوافذ زنزانتى الجديدة فهى ترى الشارع بعيد . أستطيع لأول مرة منذ ثلاث سنوات أن أرى المارة فى الشوارع ، أن أرى مترو حلوان ، أشهد السيارات والدراجات وعربات الكارو .

أرى من بعيد آنسة ترتدى الميني جيب وبجوارها سيدة ترتدى الملاية اللف . شعرت كأننى أطل على الحياة من جديد . ثلاث سنوات لأرى الناس الطلقاء ! رأيت رجلا حافيا يرتدى جلابية . حسدته على حفائه وهو يمشى فى أرض الحرية . ماقيمة حذائى وأنا أدوس به على أرض السجن . هذا الرجل ينتقل من

رصيف الى رصيف ، وأنا لاأستطيع أن أنتقل مترا الا بعد أن أستأذن ! هذا الرجل يمشي وحده . وأنا لاأستطيع أن أسير الا وأمامى حارس وخلفى رقيب ! وتمنيت أن أعيش الى اليوم الذى أستطيع أن أمشى فيه على أرض الحرية حتى ولو كنت حافى القدمين ! .

ثم ساءلت نفسي مايدرينى أن هذا الرجل لابس الجلابية حر ؟ هل كل الذين خارج السجون أحرار ؟

ما أكثر أشكال الزنازين التى يجد فيها الناس أنفسهم .

ربما كان بعضها أضيق من زنزانتى ! مابال خطوات الرجل متعثرة . الرجل الحر يكون واثقا من نفسه وخطواته ثابتة !

أيكون مقيدا بقيود غير منظورة لاأرها من بعيد .

هل يكون كل هؤلاء المارين فى الشارع أمامى سجناء من أنواع مختلفة ؟ !

بعضهم سجناء الاستبداد ، وبعضهم سجناء الهزيمة . وبعضهم سجناء الخوف . الناس لم تعد هى الناس التى كنت أعرفها . على وجوهها كآبة غريبة . كل واحد منهم أشبه بجيش مهزوم أو شعب مقهور . كأن تعاسة الأمة كلها حلت فى كل رجل وكل امرأة . لاأرى فى الشارع المرح الذى كنت أراه فى الشوارع فى السنوات الخالية . وجوه مكفهرة . قسمات واجمة . نظرات حزينة . لاأحد يضحك . زاد عدد الناس فى الشوارع . تضاعفت أحزانهم ومآسيهم وخيبة آمالهم وأقفلت نافذتى بورق كارتون . وتحسرت على نافذة زنزانتى الأخرى التى تطل على زنازين السجن ! .

الشعب كله مسجون . . كله محكوم عليه بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة المؤبدة . ليس فينا أحد برىء ! كلنا شركاء فى الجريمة . . كلنا أشتركنا فى صنع السلاسل التى قيدنا بها . فى صنع السوط الذى ألهب ظهورنا . فى صنع الصنم

الذى حكم علينا بالاستعباد ! جريمتنا كانت كبيرة ، ولهذا كان عقابنا هائلا !

وأستطعت أن أرقد فى فراشى دون أن أحس لأول مرة بمطر العرق ينهمر على وجهى وجسمى كله ، ولم أغير الملاءات ولا ملابسى الداخلية ولا الخارجية . . وفوجئت أثناء الليل بزائرتين غير منتظرتين . وهما بقتان . ظهرت البقة الأولى على النافذة والبقة الثانية على الباب . وهكذا أصبحت محاصرا من جميع الجهات . شعرت أننى أواجه كارثتين فى وقت واحد . لو كان من الممكن فتح باب الزنزانة فى الليل لهرولت الى زنزانتى القديمة مفضلا الحر القاتل على حشرة البق . وأمضيت الليل كله فى قتل البق . اكتشفت أن البقتين اللتين رأيتهما أولا كانتا عبارة عن وفد رسمى أرسلته جيوش البق الموجودة فى الزنزانة لترحب بمقدمى السعيد !

وما أن أنتهيت من القضاء على البق ، حتى فوجئت بجيش من النمل . نعم جيش . لانملة ولا خمس نملات ولا عشر ولا مائة . أنما هى كتائب وألوية وفرق ! .

وأعلنت الحرب على النمل ، ثم فوجئت بزحف جيش آخر من الناموس والذباب ورحت أقاومه بالفليت وجميع المبيدات الحشرية . . واحترت فى الصباح بين أن أعود الى الحر الملعون فى زنزانتى القديمة أو أن أبقى مع الحشرات فى زنزانتى الجديدة . وفضلت أن أبقى فى الزنزانة الجديدة لأستطيع أن أطل على الطريق فأرى وجوه المارة . وأتخيل أن هذا الأب سيلتقى بعد دقائق مع أولاده ، وهذا الولد سيجتمع بعد وقت قصير مع أمه . وأغبط الناس الذين يستطيعون أن يروا أهلهم وأحباءهم واصدقاءهم مرة كل يوم وكل ساعة . كل المتاعب تهون مع الحرية . وأسمع من بعيد نبض الشارع . الشارع يتحرك . يتكلم . يرقص . يضحك . فيه حركة وفيه حياة . وأتلفت الى الزنازين فاذا بها أشبه بالقبور . صامتة . خرساء . حزينة . مقبضة فيها طعم الموت ورائحته ورهبته .

لقد جاء المخرج حلمى رفله الى السجن ليصور فيلما للتليفزيون . ماكاد يرانى

بملابس السجن حتى أنهار وبكى . . ودعوته الى الصعود من الطابق الأول الى الطابق الرابع لأتحدث إليه . . ووضع قدمه على درجات السلم وكأنه يضع قدمه على سلم المشنقة . وماكاد يصعد درجتين من السلم حتى تراجع رعبا وعاد أدراجه ! .

وأكتفيت بأن اتحدث الى حلمى رفله بالاشارة ! وفهمت أن الحكومة اشترطت لعرض فيلم معبودة الجماهير الذى ألفته ، ومثله عبد الحليم حافظ وشادية أن يحذف اسمى من الفيلم .

وقال حلمى رفله أنه يخشى لو حذف اسمى أن أرفع عليه قضية وأطالبه بتعويض عشرة آلاف جنيه لانه حذف اسم المؤلف . . وأشترط أن تصدر الدولة أمرا كتابيا برفع اسم المؤلف من الفيلم ! .

وسلمته الدولة الأمر الكتابى . . متصورة أنها أخفت الى الابد اسمى من الدنيا والأخرة .

المساكين لايعرفون ان ليس فى يد انسان أن يملك الى الابد الدنيا والأخرة ! .

فان الله لن يتخلى عن المظلومين حتى لو كانوا ظلموا بقرار جمهورى

يسقط الظلم !

٢١ يولية سنة ١٩٦٨

أخى العزيز

أحتفلت منذ بضعة شهور بمرور الف ليلة وليلة فى السجن . مضى على الأن الف ليلة وليلة وفوقها ثلاثة أشهر فى السجن . ولم أتنبه الى الموعد الا بعد أن فات الميعاد ، وفى يوم الاحتفال حدثت أشياء لاتخطر على البال . أحد المسجونين معنا فى العنبر أشعل فى نفسه النار ، ومات محترقا على طريقة كهنة البوذيين فى فيتنام . كان منظرا يفتت الاكباد أن ترى رجلا تحول الى كومة من رماد . هو مسجون محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . أمضى فى السجن ١٤ عاما ، وبقى له عام واحد ليخرج بالعفو عن المسجونين الذين أمضوا نصف المدة وكانوا حسنى السير والسلوك . شعر المسكين أنه مظلوم ومضطهد . . احتمل ١٤ عاما فى السجن ، ولم يستطع أن يحتمل سنة واحدة من الظلم .

جريمته أنه وجد « البرش » الذى ينام عليه فى الزنزانة ممزقا ، ووجد زملاءه الثلاثين معه فى زنزانة واحدة ينامون على أبراش مهترئة ينفذ اليها من بلاط الزنزانة البرد القارص والروماتيزم الملعون . وطالب المسكين بأبراش سليمة فلم يستمع أحد لطلبه . وفتح مخزن الأبراش . وأخذ منه ثلاثين برشا جديدة وزعها على زملائه في الزنزانة الذين يكاد يفتك بهم البرد . وجرى تحقيق كيف يجرؤ هذا المسجون الوقح على أن يدخل الغرفة المقدسة بدون اذن . كيف يجرؤ على أن يوزع الأبراش الجديدة وينقذ زملاءه من الموت والسل ! وأمرت مصلحة السجون بعقابه بوضعه فى زنزانة فى الطابق الأسفل فى عنبرنا أشبه بالجب . طولها متر ونصف وعرضها متر . لاتدخلها الشمس ولا الهواء ، وليس فيها نور كهربائى . وأعترض المسجون المسكين على هذا الحكم الجائر . وقيل له أن

حكم مصلحة السجون هو حكم نهائى لايقبل الاستئناف أو النقض والابرام . هو حكم الهى . وقال المسجون للضابط أنه لايستطيع الحياة فى هذا الجب ، وسوف يقتل نفسه ، لعله بهذه الطريقة يستطيع أن ينبه الغافلين ويوقظ النائمين ، ويوصل صوته ميتا الى آذان الذين أبوا أن يسمعوا صوته حيا ، وضحك الضابط والحراس ساخرين من هذا التهديد .

بعضهم لم يصدق أنه جاد فيما يقول ، وبعضهم صدق ولم يهتم بما سوف يحدث . . ماذا لو أن عدد المسجونين نقص منه مسجون واحد من بضعة آلاف . .

وجاء المسجون بأناء فيه غاز ، وسكبه على نفسه ، وأشعل النار كانت زنزانته مغلقة ، وسمعنا صراخا من المسجونين ، ودخانا يتصاعد ورائحة اللحم المشوى .

وأسرع الحارس بفتح باب الزنزانة وحاول أطفاء النار ، وحمل المسجونون بقايا جثة زميلهم الى مستشفى السجن ، وهرول الأطباء يحاولون انقاذه ، وسألوه لماذا أنتحر ؟ فقال أنه أنتحر لأن مصلحة السجون هى التى قتلته بأجراءاتها الظالمة وأسلم الروح ! وبدأت عملية توضيب شهود الزور . الضابط يلقن العساكر مايقولون ، والعساكر يلقنون المسجونين مايقولون ، وهكذا تم طبخ محضر التحقيق .

وتحول السجن كله الى مأتم . كل واحد منا يجلس منكس الرأس فى زنزانته وكأنه يشيع جنازة . هذا المسجون مات من أجل كل واحد منا . فى أى بلد آخر كان وزير الداخلية ينتقل فورا الى السجن . كانت الصحف تنشر النبأ فى الصفحة الأولى . كان هذا الحادث كفيلا بأن يثار فى البرلمان ويطالب بتأليف لجنة برلمانية للتحقيق عن الحالة فى السجون . شىء من هذا لم يحدث . أحسست أن بعض الحراس فقدوا فى عملهم فى السجن كل ذرة من الانسانية . كانوا سوف يتأثرون لو أن الذى قتل هو كلب مدير السجن أو قطة المأمور ، أو بطة من عهدة

البط الذى يتولى السجن تربيته فى الليمان ! عدد قليل من الضباط والحراس أبدى تأثره وحزنه وألمه لهذا الحادث البشع ، وأخشى عليهم أن ينقلوا من مناصبهم عقابا لهم على هذه الانسانية المخالفة للوائح والأوامر والتعليمات ! . .

وفى نفس اليوم ألقى مسجون نفسه فى عنبر آخر من الطابق الرابع فمات على الفور . لأنه عوقب فى السجن على جريمة لم يرتكبها . وقدمت أسرته بلاغا للنيابة تقول أنها تشك فى أسباب مقتلة ، وبدأت النيابة التحقيق . ولا أعتقد أن التحقيق سوف يؤدى الى أى شىء لأن فرقة شهود الزور بدأت تستعد للادلاء بأقوالها فى التحقيق !

وقبل ذلك بيومين سقطت مادة حارقة على اثنين من المسجونين الذين يعملون فى مصنع الصابون بالليمان ، فاحترقا وماتا على الفور .

ولم يكلف أحد نفسه بأن يحقق ليعلم بأن الاشتراطات الصحية غير متوافرة فى المصنع .

ومن المفارقات الغريبة أنه لو وقع هذا الحادث فى أى مصنع خارج السجن لدفع المصنع تعويضا لأسرة المقتولين ، ماعدا الليمان ، فان لوائح السجن تقول أن مصلحة السجون غير مسئولة عن الذين يقتلون فى أثناء عملهم كمسجونين فى الليمان ! .

أننى أقرأ فى الصحف الانجليزية كل يوم مقالات وتحقيقات عن السجون والاهتمام بها والبحث عن شكاوى المسجونين ، ومما يؤسف له أن الصحف المصرية ممنوعة من التحدث فى هذا الموضوع الا اذا كان الحديث عن عبقرية مدير مصلحة السجون وابداء الاعجاب بالزيتون والصابون اللذين تصنعهما السجون وتهديهما الى بعض الصحفيين !

من رأيى أنه لايمكن اصلاح السجون الا اذا أصبح مدير مصلحة السجون هو أحد مستشارى محكمة الاستئناف ، ينتدب لهذا العمل ، بإعتبار أن المصلحة

تنفذ الحكم الذى أصدره القضاء . ومن رأيى أن يكون مدير السجن هو أحد القضاة . بل أننى أعترض على أن تكون السجون تابعة لوزارة الداخلية ، بل أرى أن تكون تابعة لوزارة العدل ، وأن يكون الحراس من المشرفين الاجتماعيين ، وأن تكون مهمة الجنود مقصورة على حراسة الاسوار من الخارج . أن الذى يجب أن يعلمه

الناس أن مدير مصلحة السجون فى عهود الاستبداد هو طرطور ، وأن ضابطا برتبة ملازم أول فى المباحث العامة يستطيع أن يعطى الأوامر الى سيادة اللواء مدير المصلحة ! .

وأن المباحث العامة هى التى تحكم السجون التى يوجد فيها مسجونون سياسيون ، حتى أنه فى بعض السجون لايمكن نقل مسجون سياسى من زنزانة الى زنزانة أخرى الا بعد استئذان ضابط صغير فى المباحث العامة . وهكذا لاتنتهى سيطرة وزارة الداخلية على المسجون السياسى بالحكم عليه ، بل يبقى طوال فترة سجنه تحت رحمة وزير الداخلية . يستبد به ويتعنت معه ويضيق عليه الخناق كما يهوى ويشاء ! .

السجون فى بلادنا بأنظمتها الحالية هى جرائم يومية ترتكب بقرار وزارى .

ومن سخرية القدر أن وزير الداخلية الذى أصدر لائحة السجون الظالمة التى تطبق الأن على المسجونين هو عباس رضوان ، وهو الأن مسجون فى السجن تطبق عليه نفس اللائحة غير الانسانية التى أقرها .

وحياة المسجون الفقير فى السجن هى جزء من الجحيم . . علبة السجائر البلمونت هى جواز المرر دخول الجنة . يجب أن يدفع المسجون سجائر ليفتح الحارس له باب الزنزانة فى موعده . وإلا فإن السجان ينسى أن يفتح الباب ، ويجب أن يدفع المسجون سجائر للسجان لكيلا يغلق عليه باب الزنزانة قبل موعده . ويجب أن يدفع سجائر للكهربائى لكى تضاء زنزانته بالنور . فاذا لم يدفع لعب الكهربائى فى الاسلاك وانطفأ النور . ويجب أن يدفع سجائر

للممرض لكى يعرضه على الطبيب ويجب أن يدفع سجائر لرئيس الممرضين ليصرف له دواء . ويجب أن يدفع لمن يحمل له الطعام ليتسلم نصيبه كاملا والا لاعطاه قطعة من العظم أو طبقا من الفول مخلوطا بالسوس والطين . ويجب أن يدفع لمن يأتى له بخطابه والا فانه يخفيه ، ويجب أن يدفع لمن سيستلم الخطاب الذى يرسله الى أهله . ويجب أن يدفع للنوبتجى ليحمل جردل البول ويفرغه ، ويجب أن يدفع سجائر للحلاق الذى يحلق لحيته ، والا أصبحت له لحية مهيبة ! ويجب أن يدفع سجائر لحارس الليل حتى لايدق على باب زنزانته كل خمس دقائق ليسأله هل هو نائم أم متيقظ ؟ ويجب أن يدفع سجائر ليحتفظ بالبرش الذى ينام عليه .

وحدث فى هذا الأسبوع أن بعض المسجونين المعدمين وجدوا أن حياتهم فى السجن لاتطاق بغير سجائر . وأهلهم لايستطيعون أن يرسلوا لهم نقودا لشراء سجائر . وضاقت الدنيا بهم . وسرق بعض المسجونين سجائر من زملائهم ، فجاءوا بالمتهمين ومدوهم ، وراحوا يضربونهم ضربا مبرحا . كان صوت صراخهم يمزق قلبى ويحطم أعصابى . هذه الطريقة الوحشية فى سجوننا يجب أن تتوقف ومن الغريب أن ولاة الأمور يعتبرون هذه القسوة دليلا على الحزم ، وهذه الوحشية دليلا على القوة ، أن صوت الكرابيج لايرتفع الا اذا صمت صوت الشعب . وأنا أعتقد أن سبب انتشار الضرب فى السجون وفى أقسام الشرطة ، وفى غرف التحقيق سببه هو الحكم الفردى . الحاكم الفرد عادة ينعزل عن العالم . ونحن عندما نكون وحدنا نخاف . وهذا الخوف هو الذى يجعل الحاكم يقسو ويشتد ويضرب بالكرباج !

* * *

أرجو أن تعذرنى اذا وجدت خطابى مقبضا . هذا شعور طبيعى بالنسبة لنوع الحياة التى أعيشها فى السجن . عندما تتحطم جميع الجسور بينك وبين العالم . عندما تتمزق جميع العلاقات . عندما تنهدم كل الاحلام . عندما يرثيك الناس على قيد الحياة . عندما تصبح الاعلام مماسح تنظف فيها أحذية الحكام . عندما

ترفع أحذية الظالمين كالرايات ! عندما يصبح كوب الماء البارد الذى تشربه فى الصيف الحار مشكلة عويصة تستدعى التفكير والتدبير والمغامرة . عندما تشرب , فنجان القهوة وكأنك تسرق البنك الأهلى . . عندما تصبح أطول رحلة تقطعها فى حياتك هى نزولك من الطابق الرابع فى السجن الى الطابق الأول . عندما تزورك أسرتك مرة كل شهر لبضع دقائق . عندما تعرف أن عليك أن تنافق السجان الذى يسجنك ، وتسترضيه بدلا من أن تلعنه ، وتطيع أوامره بدلا من أن تثور عليه . عندما تصبح حياتك كلها هى الطعام الذى تأكله عندما تشعر أن الذين رفعتهم فوق رأسك داسوك بالأقدام . والذين دافعت عنهم أتهموك . والذين أحببتهم كرهوك ، والذين أنقذتهم من الهزيمة ألقوا بك الى هاوية العار . عندما يحدث للانسان كل هذا يفقد القدرة على الرؤية . يفقد القدرة على الحكم على الأشياء . ومع ذلك فأننى أحاول دائما أن أخرج رأسى من الوحل الذى أغوص فيه . أرفع رأسى لأرى الدنيا كما هى !

المظالم التى أراها حولى تجعلنى أشعر بالعجز من هولها ومن كثرتها كيف يمكن انصاف كل هؤلاء المظلومين ؟ هذه ليست مهمة فرد بل هو واجب شعب . . المظالم فى بلادنا تراكمت فوق بعضها البعض حتى أصبح الظلم هو القاعدة والعدل هو الاستثناء !

لايوجد فى الدنيا كلها بلد تدفع فيه رشوة لتنال حقك . المفروض ان من يدفع الرشوة يدفعها لكى يحصل على أكثر من حقه . وعندنا أصبحت الرشوة كورقة التمغة يجب أن تلصق بكل طلب ! .

ولا أوافق الذين يقولون أن القيم الاخلاقية انهارت فى بلادنا نتيجة الهزيمة ، بل أننى أرى العكس ، فان الهزيمة نتيجة أنهيار القيم الأخلاقية .

ولقد كان الرئيس جمال عبد الناصر يقول لى فى أول الثورة « لاأريد فراعنة يستبدون ولا أريد أرانب يخافون » !

ولكنه تحول الى فرعون ، وحكم الفرد لايكتفى بفرعون واحد ، بل يتفرع

منه فراعين . فنحن نجد أن فى كل ركن من أركان بلادنا فرعونا أو نصف فرعون أو ربع فرعون وأصبحنا كلنا أرانب ! .

وفي رأيى أن الطغيان هو الذى يحطم القيم العالية ، وينشر الاخلاق الفاسدة ينشر الجبن والكذب والنفاق والانانية والقسوة والغدر والملق والحسد والحقد . فهذه صفات الظلام ومواليد الظالمين ! .

وأعتقد أن الشورى أى الديموقراطية سوف تعيد لنا بعض مافقدناه في الظلام ، كالشهامة والفروسية والصدق والشجاعة والحب والصراحة والقناعة . .

وسوف يحدث هذا عندما لايبقى فى مصر فراعنة يستبدون . .

وعندئذ سوف تختفى الأرانب . .

لأن الأرانب هى ظل فرعون ! .

فى هذا الكتاب

كتب المؤلف

أمريكا الضاحكة - حياة طالب مفلس فى أمريكا .
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ - (نفدت) .
الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣ - (نفدت) .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ - (نفدت) .
فاطمة . .
مثلتها للسينما أم كلثوم وأنور وجدى سنة ١٩٤٧ .
عمالقة وأقزام :
ساسة مصر قبل الثورة .
سنة ١٩٥١ - (نفدت) .
ليالى فاروق :
قصة حياة الملك السابق .
الجزء الأول سنة ١٩٥٤ - (نفدت) .
الجزء الثانى سنة ١٩٥٤ - (نفدت) .
معبودة الجماهير :
الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ - (نفدت) .
مثلها للسينما : عبد الحليم حافظ وشادية .
صاحبة الجلالة فى الزنزانة :
قصة الصحافة المصرية فى الاغلال والصراع بين الصحافة والطغيان .
الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ - (نفدت) .
الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ - (نفدت) .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٥ - (نفدت) .
سنة أولى سجن :

الطبعة الاولى سبتمبر ١٩٧٤ ـ (نفدت) .
الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٤ ـ (نفدت) .
الطبعة الثالثة يناير ١٩٧٥ ـ (نفدت) .
الطبعة الرابعة فبراير ١٩٧٥ ـ (نفدت) .
الطبعة الخامسة مايو ١٩٧٥ ـ (نفدت) .
الكتاب الممنوع :
أسرار ثورة ١٩١٩
الجزء الأول من الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـ (نفدت) .
الطبعة الثانية ١٩٧٥
الجزء الثانى سنة ١٩٧٥
سنة أولى حب :
يناير سنة ١٩٧٥
ست الحسن :
الطبعة الأولى ١٩٧٦
من واحد الى عشرة :
١٩٧٧
سنة ثانية سجن
الطبعة الخامسة ١٩٨٩
من عشرة لعشرين : ١٩٨٧

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٩ / ٨٣٨٢

وروى لى الهضيبى سرا خطيرا وهو أن عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز السرى للاخوان المسلمين زاره فى بيته بعد قيام الثورة بفترة غير قصيرة ، وأخبره ان الرئيس جمال عبد الناصر استدعاه إلى بيته فى منشية البكرى ، وطلب منه أن يسافر إلى ايطاليا ، ومعه عدد من زملائه ويقتلوا الملك فاروق .

وأنه أعطاه الاسلحة اللازمة والمبلغ الكافى لمصاريف الاقامة والسفر .

فقال عبد الرحمن السندى : لا استطيع ان اقوم بهذه المهمة قبل أن استأذن المرشد العام .

فقال الرئيس عبد الناصر : يمكنك ان تستأذنه كما تشاء .
واستطرد الاستاذ الهضيبى وقال لى :

ـ قلت لعبد الرحمن السندى بالحرف الواحد : لا تقتله ! انك اذا قتلته فكأنك قتلت مسلما بلا جريمة . افهم ان نقاتل اعداءنا ونحن فى معركة . اما أن نقتلهم بعد ان استسلموا فهذا ضد الشرع والدين ، والملك فاروق استسلم للثورة ، وتنازل عن العرش . وترك البلاد ، ولم يعد خطرا على مصر فلماذا تقتلونه الآن . . أنا أرفض الموافقة على جريمة قتل .

وذهب السندى وابلغ حديثى الى عبدالناصر ، واعاد له الاسلحة والفلوس .

وقال لى الأستاذ الهضيبى : أنا لاأنتظر خيرا من هؤلاء القوم . أنى لم أسمع أن طاغية أصبح رحيما ، وأن ظالما أصبح عادلا ، وأن الشياطين يصبحون فجأة ملائكة ! إنهم لو مضوا فى تحقيقات التعذيب فسوف يحاكمون أنفسهم وسوف يحكمون على أنفسهم .

فهل تتصور أن الضمائر التى ماتت ممكن أن تعود الى الحياة ! أنا أ
هذا الذى يقال عن الاتجاه الى تحسين الأحوال هو مسرحية يراد بها ا
قلت : ومن الذى ينقذ البلد مما هى فيه ؟

قال الأستاذ الهضيبى : ان ماوصلنا إليه هو أسوأ مما يستطيع أى
ينقذه . . إن الله وحده هو الذى يستطيع أن ينـ
نحن فيه .

مطابع الأهرام بكورنيش النيل